

مَجْمَعُ الْبَيِّنَاتِ
 فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تأليف العلامة المحقق والفقير الميرزا محمد باقر

الشيخ أبو علي الفضل الجليل الطبرسي

صححه وعلق عليه سيد هاشم الرسولي المحمدي

بنفقته

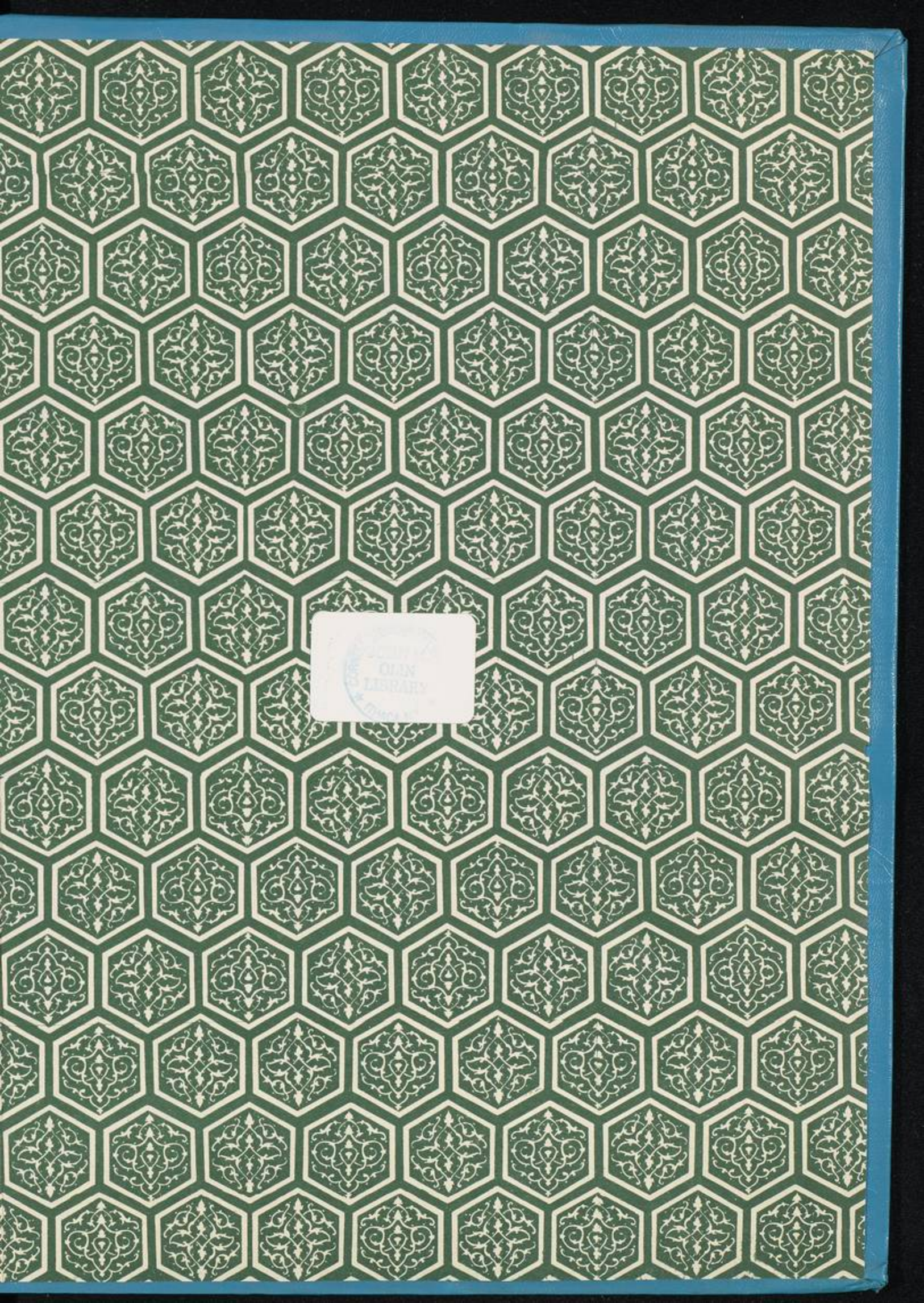
السيدي محمد باقر الحج السيدي الكناجيري

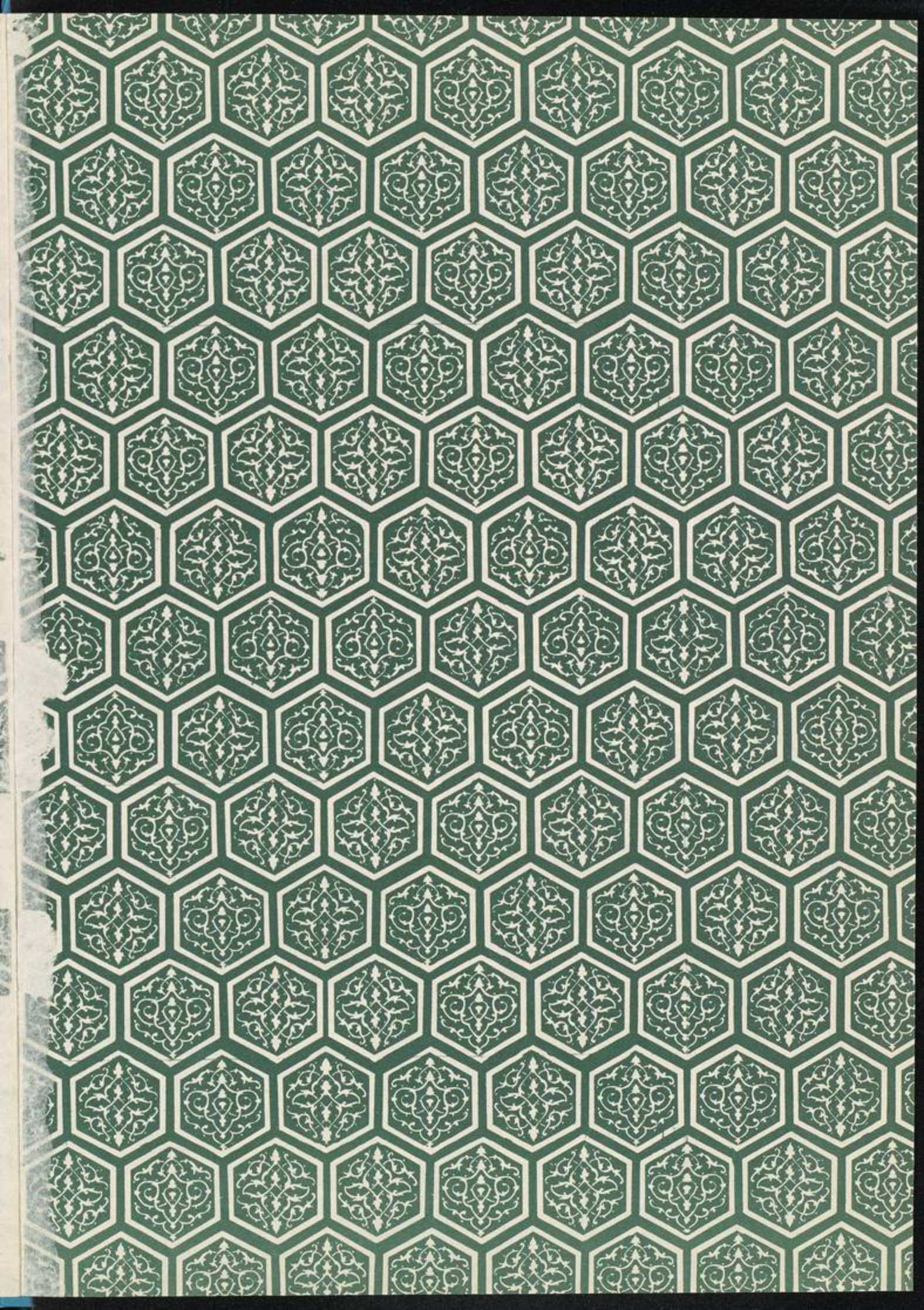
الناشر

مكتبة علمية لاسلامية

طهران - سوق الشيرازي

بازار ٥٦٢٥٥٩ } تلفون
 ناصر ٣٩٤٥٢٩ }





مَجْمَعُ الْبَيِّنَاتِ

في
تفسير القرآن

تأليف العلامة المحقق والشيخ
الشيخ أبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي

للتوفيق سنة ٥٤٨

صححه وعلق عليه سيدها شم الرسول محمد
بنفقته

السيد أبو جعفر الحاج السيد محمد بن أبي
الناشر

مكتبة علمية لا سلافية
طهران - سوق الشيرازي

بازار ٥٦٢٥٥٩ } تلفون
ناخري ٣٩٤٥٢٩ }

OLIN
+
BP
130
.4
T14
1980
Juz'3

IR-AR-85-930750

٢٤

V.3

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمتنا

الاصل في نسختنا هذه هي النسخة المطبوعة بـ «صيداء الا انها لما
لم تكن خالية عن الاغلاط حاولنا تصحيحها فراجعنا فيه الى عدة من النسخ
منها : نسخة مخطوطة مصححة عتيقة لغزارة كتب العلامة النسابة الآية العجبة
السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دامت بركاته العالمة .
منها : نسخة مخطوطة عتيقة اتحفنا بها العالم الجليل الحاج الشيخ حسن
المصطفوي دام ظلّه العالی .
منها : النسخة المطبوعة بالطبع الحجري بطهران المعروفة بـ (طبع ملاحسن)
فما كان من تعريف او تصحيف او زيادة اصلحناه في المتن واماما كان من سقط
يتعدو فاوردناه بالهامش بين المعقنين مضافا الى بيان المشكلات ، وحل المعضلات
فجاءت بحمد الله نسخة صحیحة لم يطبع مثلها ، والكتاب أقوى شاهد و
برهان .

حقوق الطبع بهذه الصورة المزدانة

بالتعاليق والمقدمة و سائر الخصوصيات

محفوظة للناشر

[الجزء الخامس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سورة التوبة

وهي مدنية كلها وقال بعضهم غير آيتين لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وفتحت مكة سنة ثمان وحج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر وقال قتادة ومجاهد وهي آخر ما نزلت على النبي ﷺ بالمدينة

✽ عدد آياتها ✽

هي مائة وتسع وعشرون آية كوفي وثلاثون في الباقي

✽ اختلافها ✽

ثلاث آيات برى من المشركين بصري عذابا ألياً شامياً وعاد وثمود - حجازي

✽ أسماؤها عشرة ✽

سورة براءة سميت بذلك لأنها مفتوحة بها ونزلت باظهار البراءة من الكفار - التوبة - سميت بذلك لكثرة ما فيها من التوبة كقوله ويتوب الله على من يشاء فإن يتوبوا يك خيراً لهم ثم تاب عليهم ليتوبوا - الفاضحة - عن سميد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال تلك الفاضحة ما زال ينزل حتى خشينا ان لا يبقى منهم أحد الا ذكر وسميت بذلك لأنها فضحت المنافقين باظهار نفاقهم - المبعثرة - عن ابن عباس ايضاً سماها بذلك لأنها تبث عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها - المتشقة - عن ابن عباس سماها بذلك لأنها تبرئ من آمن بها من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء الى الاخلاص وفي الحديث كان يقال لسورتي قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المتشقتان سميتا بذلك لأنها تبرئان من الشرك والنفاق يقال تشقت اذا برأه وتشقتش المريض من علته اذا أفاق وبرئ منها - البحوث - عن ابي ايوب الانصاري سماها بذلك لأنها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن سراتهم - المدممة - عن سفيان بن عيينة اي المهلكة ومنه قوله فدمدم عليهم ربهم ✽ الحافرة ✽ عن الحسن لأنها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه - المثيرة - عن قتادة لأنها أثارت مخازبهم ومقاصبهم - سورة العذاب - عن حذيفة بن اليمان لأنها نزلت بمذاب الكفار وروى عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفة قال يسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب فهذه عشرة أسماء

✽ فضلها ✽

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له الخبير بتمامه وقد مضى ذكره مع ما في مناه في اول الانفال وقد روي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الانفال والبراءة واحد وروي ذلك عن سعيد بن المسيب وروى الثعلبي بإسناده عن عائشة عن رسول الله ﷺ انه قال ما نزل علي القرآن الا آية آتو حرفاً حراً فخلا سورة البراءة وقل هو الله احد فإنها نزلت علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

كل قول يا محمد استوص بنسبة الله خيرا - علة ترك التسمية - في أولها قراءة وكتابة للماء والمفسرين فيه أقوال - أحدها - أنها ضمت إلى الانفال بالمقاربة فصارتا كسورة واحدة إذا الأولى في ذكر اليهود والثانية في رفع اليهود عن أبي بن كعب - وثانيها - أنه لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لأن بسم الله للأمان والرحمة ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف عن علي عليه السلام وسفيان بن عيينة واختاره أبو العباس المبرد - وثالثها - ما روي عن ابن عباس أنه قال قلت لعثمان بن عفان ما حكمكم على أن عمدتم إلى براءة وهي من المثين وإلى الانفال وهي من المثاني فجمعتنهما في السبع الطوال ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كان النبي ﷺ تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول له ضع هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أول ما نزل من القرآن بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا أنها منها وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين أنها موضعها في السبع الطوال ولم نكتب بينها سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكاننا تدعيان القرينتين

- تفسيرها -

لما ختم الله سبحانه سورة الانفال بإيجاب البراءة عن الكفار افتتح هذه السورة بأنه تعالى ورسوله بريتان منهم كما أمر المسلمين بالبراءة منهم فقال

قوله تعالى (١) بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٢) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (آيتان)

* اللفظة *

معنى البراءة انقطاع العصمة يقال برأ يبرأ براءة وتبرأ تبرؤا وبرأه ابرأه والسيح السير على مهل يقال ساح يسيح سِيحًا وسِيحًا وسِيوحًا وسِيحَانًا والاعجاز ايجاد المعجز والعجز ضد القدرة عمدن اثبتته معنى والاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة والعار والخزي النكال الفاضح

* الاعراب *

براءة ترتفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذه الآيات براءة ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره في الظرف وهو قوله إلى الذين وجاز أن يكون المبتدأ نكرة لأنها موصوفة والاول ايجاد لأنه يدل على حضور المدرك كما تقول لمن تراه حاضرًا حسن والله أي هذا حسن

- المعنى -

(براءة من الله) أي هذه براءة من الله (ورسوله) أي انقطاع للعصمة ورفع للأمان وخروج من اليهود (إلى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب للنبي ﷺ والمسلمين والمعنى تبرؤا ممن كان بينكم وبينهم عهد من المشركين فإن الله ورسوله بريتان منهم قال الزجاج معناه قد برى الله ورسوله من اعطائهم العهد والوفاء لهم بها إذ نكثوا وإذا قيل كيف يجوز أن ينقض النبي ﷺ العهد فالقول فيه أنه يجوز أن ينقض ذلك على أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون العهد مشروطًا بأن يبقى إلى أن يرفضه الله تعالى بوحى وإما أن

يكون قد ظهر من المشركين خيانة وتقص فأمر الله سبحانه بأن يبنذ اليهم عهدهم وإيمان يكون مؤجلا الى مدة تنتضي المدة وينتقض العهد وقد وردت الرواية بأن النبي ﷺ شرط عليهم ما ذكرناه وروي ايضا ان المشركين كانوا قد تقضوا العهد وأموهموا بذلك فأمره الله سبحانه ان يتقض عهدهم ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال (فسيحوا في الأرض) اي سيروا في الأرض على وجه المهل وتصرفوا في حوائجكم آمنين من السيف (اربعه اشهر) فإذا انقضت هذه المدة ولم تسلموا انقطعت العصمة عن دمائكم وأموالكم (واعلموا انكم غير معجزي الله) اي غير فائتين عن الله كما يفوت ما يعجز عنه لأنكم حيث كنتم في سلطان الله وملكه (وان الله مخزي الكافرين) اي مذموم ومهينهم واختلف في هذه الاشهر الاربعة قبل كان ابتداءها يوم النحر الى العاشر من شهر ربيع الآخر عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل انما ابتداء اجلهم الا شهر الاربعة من اول شوال الى آخر المحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال عن ابن عباس والزهري قال الفراء كانت المدة الى آخر المحرم لأنه كان فيهم من كانت مدته خمسين ليلة وهو من لم يكن له عهد من النبي ﷺ فجعل الله له ذلك وقيل ان من كان له عهد من النبي ﷺ أكثر من اربعة اشهر حطالى اربعة أشهر ومن كان له عهد أقل منها رفع اليها عن الحسن وابن اسحاق قيل كان ابتداء الاشهر الاربعة يوم النحر لمشرين من ذي القعدة الى عشرين من شهر ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة الوداع وكان سبب ذلك النبي الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية على ما سيأتي بيانه إن شاء تعالى عن الجبائي

❖ القصة ❖

اجمع المفسرون ونقله الاخبار انه لما نزلت براءة دفعها رسول الله ﷺ الى ابي بكر ثم أخذها منه ودفعها الى علي بن ابي طالب (ع) واختلفوا في تفصيل ذلك فقيل انه بثه وأمره ان يقرأ عشر آيات من أول هذه السورة وان يبنذ الى كل ذي عهد عهده ثم بث عليا خلفه ليأخذها ويقرأها على الناس فخرج على ناقة رسول الله ﷺ المصعب حتى ادرك ابا بكر بندي الحليفة فأخذها منه وقيل ان ابا بكر رجع فقال هل نزل في شيء قال ﷺ لا الا خيراً ولكن لا هوذي عني الا انا او رجل مني وقيل انه قرأ على براءة على الناس وكان ابو بكر أميراً على الموسم عن الحسن وقتادة وقيل انه ﷺ أخذها من ابي بكر قبل الخروج ودفعها الى علي (ع) وقال لا يبلغ عني الا انا او رجل مني عن عروة بن الزبير وابي سعيد الخدري وابي هريرة وروي اصحابنا ان النبي ﷺ ولأه ايضا الموسم وانه حين أخذ البراءة من ابي بكر رجع أبو بكر وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن سالك بن حرب عن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ بعث براءة مع ابي بكر الى اهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بث اليه فردّه وقال لا يذهب بهذا الا رجل من أهل بيتي فبث عليا (ع) وروي الشعبي عن محرز بن ابي هريرة عن ابي هريرة قال كنت انا ادي مع علي حين أذن المشركين فكان اذا صحل صوته فيما ينادي دعوت مكانه قال قلت يا ابي شي كتمتم تقولون قال كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل البيت الا مؤمن ومن كانت بنته وبين رسول الله ﷺ مدة فإن اجله الى اربعة اشهر فإذا انقضت الاربعة الاشهر فإن الله بري من المشركين ورسوله وروى عاصم بن حميد عن ابي بصير عن ابي جعفر (ع) قال خطب علي (ع) الناس واخترط سيفه فقال لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك

ومن كانت له مدة فهو إلى مدته ومن لم يكن له مدة فمدته اربعة اشهر وكان خطب يوم النحر وكانت عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وقال يوم النحر يوم الحج الأكبر وذكر أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن ثعلبة قال سألتنا عليا (ع) بأي شيء بعثت في ذي الحجة قال بعثت باربعة لا يدخل الكعبة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فهداه إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله اربعة اشهر وروى انه عليه السلام قام عند جرة العقبة وقال يا أيها الناس اني رسول الله اليكم بأن لا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فله عهده الى اربعة اشهر ومن لا عهد له فله مدة بقية الاشهر الحرم وقرأ عليهم سورة براءة وقيل قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من أول براءة وروى انه عليه السلام لما نادى فيهم ان الله بريء من المشركين اي من كل مشرك قال المشركون نحن ننبأ من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة عشر حج النبي ﷺ حجة الوداع وقفل الى المدينة ومكث بقية ذي الحجة الحرام والمحرم وصفر ولبالي من شهر ربيع الاول حتى لحق بالله عز وجل

قوله تعالى (٣) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ (٤) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا الْبَيْعَ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (آيتان)

❖ القراءة ❖

قرأ يعقوب برواية روح وزيد ورسوله بالنصب وهي قراءة الحسن وابن ابي اسحق وعيسى بن عمرو وقرأ سائر القراء ورسوله بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمة وعطالم بتقصوكم بالضاد المعجمة

❖ الحجية ❖

من قرأ ورسوله بالرفع فإنه على الابتداء وخبره محذوف وبدل عليه ما تقدمه وتقديره ورسوله ايضا بريء منهم ويجوز ان يكون معطوفا على المضمر في بريء وحسن العطف عليه وإن كان غير مؤكدا لأن قوله من المشركين قام مقام التوكيد وذكر سيبويه وجها ثالثا وهو أن يكون معطوفا على موضع أن وهذا وهم منه لأن ان المفتوحة مع ما بعدها في تأويل المصدر فقد تغيرت عن حكم المبتدأ وصارت في حكم ليت ولعل وكان في احداثها معنى يفارق المبتدأ فكما لا يجوز العطف على مواضعه فكذا لا يجوز العطف على موضع أن وإنما يجوز العطف على موضع إن المكسورة كما قال الشاعر

فَمَنْ يَكْ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلَهُ فَإِنِّي وَقِيَارُهَا لَقَرِيبٌ (٧)

ولعل سيبويه توهم انها مكسورة فحمل على موضعها فقد قرأ في الشواذ إن الله بريء بالكسر فله تأويل على هذه القراءة ومن نصب عطفه على اسم الله تعالى وعلى هذا فيكون خبره محذوفا ايضا ومن قرأ لم يتقصوكم فمعناه لم يتقصوا اموركم وعهودكم

(١) اي رجع . (٢) قائله ضامى بن الحارث البرجمي قالها حين حبسه عثمان بالمدينة لجرم اقترفه . وقيار : اسم فرسه وقيل غلامه .

- اللغة -

الأذان الأعلام يقال أذنته بكذا فأذن أي أعلمته فعلم وقيل إن أصله من النداء الذي يسمع بالأذن ومعناه أوقعه في أذنه وتأذن بمعنى آذن كما يقال تيقن وأيقن والمدة والزمان والحين نظائر وأصله من مددت الشيء مَدَّ فكَانَ زَمَان طَوِيلَ الفسحة والمدة عند المتكلمين اسم للممدود من حركات الفلك وهو محدث

* الإغراب *

وأذات عطف على براءة عن الزجاج وقيل إن تقديره عليكم أذان لأن فيه معنى الأمر فيكون مبتدأ وخبره محذوف عن علي بن عيسى ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر قوله أن الله بريء على حذف الباء كأنه قال بأن الله وعلى الوجهين الأولين يكون موضع إن نصباً على أنه مفعول له وقوله الذين عاهدتم في موضع نصب على الاستثناء وبشر معطوف على معنى الأذان أي أذن وبشر عن أبي مسلم

* المعنى *

ثم بين سبحانه أنه يجب اعلام المشركين ببراءة منهم لئلا ينسبوا المسلمين إلى التدر فقال (وأذان من الله ورسوله إلى الناس) معناه واعلام وفيه معنى الأمر أي اذنوا للناس يعني أهل العهد وقيل المراد بالناس المؤمن والمشرک لأن الكل داخلون في هذا الاعلام وقوله إلى الناس أي للناس يقال هذا اعلام للكواكب (يوم الحج الأكبر) فيه ثلاثة أقوال * أحدها * أنه يوم عرفة عن عمرو وسعيد بن المسيب وعطاء واطووس ومجاهد وروى ذلك عن علي (ع) ورواه المسور بن مخرمة عن النبي ﷺ قال عطاء الحج الأكبر الذي فيه الوقوف والحج الأصغر الذي ليس فيه وقوف وهو العمرة * وثانيها * أنه يوم النحر عن علي وابن عباس وسعيد بن جبيرة وابن زيد والنخعي ومجاهد والشعبي والسدي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ورواه ابن أبي أوفى عن النبي ﷺ قال الحسن وسمي الحج الأكبر لأنه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك * وثالثها * أنه جميع أيام الحج عن مجاهد أيضاً وسفيان فمعناه أيام الحج كلها كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أباناً (إن الله بريء من المشركين) أي من عهد المشركين فحذف المضاف (ورسوله) معناه ورسوله أيضاً بريء منه وقيل إن البراءة الأولى لنقض العهد والبراءة الثانية لقطع الموالاة والاحسان فليس بتكرار (فإن تبتم فهو خير لكم) معناه فإن تبتم في هذه المدة أيها المشركون ورجعتم عن الشرك إلى توحيد الله فهو خير لكم من الإقامة على الشرك لأنكم تنجون به من نزوي الدنيا وعذاب الآخرة (وإن توليتم) عن الإيمان وصبرتم على الكفر (فاعلموا أنكم غير معجزين) أي لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتون بأنفسكم من أن يحمل بكم عذاب في الدنيا وفي هذا اعلام بأن الإهمال ليس بمعجز وإنما هو لظهور الحججة والمصاحبة ثم أوعدهم بعذاب الآخرة فقال (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) أي أخبرهم مكان البشارة بعذاب موجع وهو عذاب النار في الآخرة (إلا الذين عاهدتم من المشركين) قال الفراء استثنى الله تعالى من براءته وبراءة رسوله من المشركين قوماً من بني كنانة وبني ضمرة كان قد بقي من أجلهم تسعة أشهر أمر باتمامها لهم لأنهم لم يظاهروا على المؤمنين ولم ينقضوا عهد رسول الله ﷺ وقال ابن عباس عني به كل من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد قبل براءة وبنيي إن يكون ابن عباس أراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنة ولم يتعرض له بعد أوة ولا ظاهر عليه عدواً

(١) قال الفلقشندي: يوم بعاث كان بين الأوس والخزرج «انتهى» وقيل سمي بذلك لأن الأوس طلبوا من الخزرج أن يوقفوا الحرب فطلب الخزرج منهم دهائن فبعثوا لهم بأربعين غلاماً منهم ففرقهم الخزرج في دورهم. وقال الحموي: بعاث موضع في نواحي المدينة كانت به وقايح بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

لأن النبي ﷺ صالح اهل هجر وأهل البحرين وائلة ودومة الجندل وله عهود بالصلح والجزية ولم ينبد اليهم بنقض عهد ولا حاربهم بعد وكانوا أهل ذمة إلى ان مضى لسبيله ﷺ ووفى لهم بذلك من بعده (ثم لم ينقصوكم شيئاً) معناه لم ينقصوكم من شروط العهد شيئاً وقيل معناه لم يضروكم شيئاً (ولم يظاهروا عليكم احداً) اي لم يماونوا عليكم ايها المؤمنون احداً من اعدائكم (فأتوا اليهم عهدهم إلى مدتهم) اي إلى انقضاء مدتهم التي وقعت المعاهدة بينكم اليها (ان الله يحب المتقين) لنقض اليهود

قوله تعالى (٥) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (آيتان)

— * اللغة * —

الانسلخ خروج الشيء مما لابسها واصله من سلخ الشاة وهو نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سلخاً وسلوخاً والحصر المنع من الخروج عن محيط والحصر والحبس والأسر نظائر والمرصد الطريق ومثله المرقب والمربأ ورصده يرصده رصداً

* الأعراب *

قال ابو الحسن الأخفش قوله كل مرصد المعنى على كل مرصد فحذفت على وانشد

نُعَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نِيًّا وَنَرُخِّصُهُ إِذَا نَضَجَ الْقُدُورُ (١)

المعنى نعالي باللحم فحذفت الباء قال الزجاج كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهباً وذهبت طريقاً وذهبت كل طريق قال ابو علي لا يجناج في هذا إلى تقدير على إذا كان المرصد اسماً للمكان كما انك إذا قلت ذهبت مذهباً ودخلت مدخلا إذا جعلت المذهب والمدخل اسمين للمكان لم يحتج إلى على ولا إلى تقدير حرف جر إلا ان ابا الحسن ذهب إلى ان المرصد اسم للطريق وإذا كان اسماً للطريق كان مخصوصاً وإذا كان مخصوصاً وجب ان لا يصل الفعل الذي لا يتعدى اليه إلا بحرف جر نحو قدمت على الطريق إلا ان يجيء في ذلك اتساع نحو ما حكاه سيبويه من قولهم ذهبت الشام ودخلت البيت وقد غلط ابو اسحاق الزجاج في قوله كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهباً وذهبت طريقاً في ان جعل الطريق ظرفاً كالذهب وليس الطريق بظرف لأنه مكان مخصوص وقد نص سيبويه على اختصاصه الا ترى انه حل قول ساعدة

لَدَنْ يَهْرَ الْكَفِّ يَبْسِلُ مَتْنَهُ فِيهِ كَأَنَّ عَسَلَ الطَّرِيقِ الثَّلَبُ (٢)

على انه قد حذف منه الحرف اتساعاً كما حذف من ذهبت الشام واذا اثبت ذلك فالمرصد مثله ايضا في الاختصاص وان لا يكون ظرفاً اذا كان اسماً للطريق وقوله احد فاعرابه أنه مرفوع بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره المعنى وان استجارك احد قال الزجاج ومن زعم انه يرفع احداً بالابتداء قد اخطأ لأن ان الجزاء

(١) النى : اللحم الذى لم ينضج واصله نى فترك الهمز وقلب ياء . يقول : تشتري اللحم غالباً ثم تبذله وتطعمه اذا نضج فى قدورنا . (٢) رمع لذن لين المهزة . وعسل الثملب : مضى مسرعاً واضطرب فى عدوه وهز رأسه يصف الشاعر رمعه بالدونة . قال فى اللسان ويروى «لذ» .

لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده فلو أظهرت المستقبل لقلت ان احد يقيم اكرمه ولا يجوز ان أحد يقيم زيد يقيم لا يجوز ان يرفع زيد بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره ويجزم وانما جازي في ان لأن ان يلزمها الفعل وجواب الجزاء يكون بالفعل وغيره ولا يجوز ان تضمر وتجزم بعد المبتدأ لأنك تقول ها هنا ان تأتي فزيد يقوم فالموضع موضع ابتداء قال ابو علي اعلم ان جواب الشرط وان كان خبر الفعل فالاصل فيه الفعل والفاء واذا واقعان موقع الفعل بدلالة ان قوله ويذرم على قراءة من قرأ بالجزم فمحمول على الموضع من قوله فلا هادي له وأما قول ابي اسحاق لا يجوز ان تضمر وتجزم بعد المبتدأ ولعمري انه لا يجوز ان يضمر الفعل فيرفع الاسم الذي يرتفع بالابتداء بالفعل المضمر في نحو قولك ان تأتي فزيد يقوم لأن الجزم لا يقع بعد المبتدأ ولكن لا يمتنع ان يقع الجزم بعد الفاعل في الجزاء كما يقع في الشرط لأن الجزاء موضع فعل كما ان الشرط موضع فعل فالمسألة التي منع ابو اسحاق اجازتها جائزة لاشكال في جوازها وهي قوله ان يقيم احد زيد يقيم وقد نص سبويه على اجازة ذلك قال الزجاج وانما يجوز الفصل في باب ان لأن ان أم الجزاء ولا يزول عنه الى غيره فأما اخواتها فلا يجوز ذلك فيها الا في الشعر قال

فَتَىٰ وَاعْلُ يَنْبُؤُهُمْ يُجَبِّوْهُ
هُوَ تَعَطَّفَ عَلَيْهِ كَأَنَّ السَّاقِي (١)

— المعنى —

ثم بين سبحانه الحكم في المشركين بعد انقضاء المدة فقال (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) قيل هي الأشهر الحرم المعروفة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد عن جماعة وقيل هي الأشهر الاربعة التي حرم القتال فيها وجعل الله للمشركين ان يسيحوا في الأرض آمنين على ما ذكرناه من اختلاف المفسرين فيها وعلى هذا فمنهم من قال معناه فإذا انسلخ الأشهر بانسلاخ الحرم لان المشركين من كان منهم لهم عهد امهلوا أربعة اشهر من حين نزلت براءة ونزلت في شوال ومن لا عهد لهم فأجلهم من يوم نزول النداء وهو يوم عرفة او يوم النحر إلى تمام الأشهر الحرم وهي بقية ذي الحجة والمحرم كله فيكون ذلك خمسين يوما فإذا انقضت هذه الخمسون يوما انقضت الأجلان وحل قتالهم سواء كان لهم عهد خاص او عام ومنهم من قال معناه إذا انسلخ الأشهر الاربعة التي هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر إذ حرمنا فيها دماء المشركين وجعلنا لهم ان يسيحوا فيها آمنين (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) اي فضوا السيف فيهم حيث كانوا في الأشهر الحرم وغيرها في الحل او في الحرم وهذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح والاعراض عنهم (وخذوهم) قيل فيه تقديم وتأخير وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم وقيل ليس فيه تقديم وتأخير وتقديره فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم او خذوهم واحصروهم على وجه التخيير في اعتبار الأصلح من الأمرين وقوله (واحصروهم) معناه واحبسوهم واسترقوهم او فادوهم بال وقيل وامنعوهم دخول مكة والتبصر في بلاد الإسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) اي بكل طريق وبكل مكان تظنون انهم يسيرون فيه وضيّقوا المسالك عليهم لتمكنوا من اخذهم وقوله لهم معناه لقتلهم وأسرهم (فان تابوا) اي رجعوا من الكفر واقادوا للشرع (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قبلوا اقامة الصلاة وآتوا الزكاة لأن عصمة الذم لا تقف على اقامة الصلاة واداء الزكاة فثبت أن المراد به القول (فخلوا سبيلهم) اي دعوهم يتصرفون في بلاد الإسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقيل معناه فخلوا سبيلهم الى البيت اي دعوهم يحجوا معكم (ان الله غفور رحيم) واستدلوا بهذه الآية على ان من ترك الصلاة متعمداً يجب قتله لأن الله تعالى اوجب الامتناع من قتل المشركين بشرط ان يتوبوا ويقبوا الصلاة فإذا لم يقبوا وجب قتلهم (وان احد من المشركين استجارك

(١) الواغل : الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير ان يدعوهم اليه . يصف قومه بالجدود .

فأجره حتى يسمع كلام الله) معناه وان طلب احد من المشركين الذين امرت بك بقتالهم منك الأمان من القتل بعد الأشهر الأربعة لسمع دعوتك واحتجابك عليه بالقرآن فأمنه وبين له ما يريد وامهله حتى يسمع كلام الله ويتدبره وإنما خص كلام الله لأن معظم الأدلة فيه (ثم ابغضه فأمنه) معناه فإذن دخل في الإسلام نال خير الدارين وان لم يدخل في الإسلام فلا تقتله فتكون قد غدرت به ولكن اوصله الى ديار قومه التي يأمن فيها على نفسه وماله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) اي ذلك الأمان لهم بأنهم قوم لا يعلمون الايمان والدلائل فامنعهم حتى يسمعوا ويتدبروا ويعلموا وفي هذا دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية وفي الآية دلالة على ان المتلوه والمسوع كلام الله لأن الشرع والعرف جملا الحكاية كمين المحكي يقال هذا كلام سيوييه وشعر امرى القيس ومن ظن ان الحكاية تقارق المحكي لاجل هذا الظاهر فقد غلط لأن المراد ما ذكرناه

قوله تعالى (٧) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٨) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة مكرمة ايلا ييا. بعد المنزة

الحجة

يمكن أن يكون أراد إلا كقراءة الجماعة إلا انه ابدل اللام الاولى ياء لتقل الادغام وكسر المنزة كما قالوا دينار وقيراط والأصل دينار وقيراط لقولهم دنانير وقيراط وقد جاء مع التضعيف وحده قال

يَالْتِيَا أَمْنَا شَأَلْتِ نَعَامَتَهَا
أَيَا إِلَى جَنَّةٍ أَيَا إِلَى نَارٍ (١)

اللقية

الظهور الطرب الغلبة واصله خروج الشيء إلى حيث يصح أن يدرك الرقبة والانتظار والمراقبة والمراعاة والمحافظة نظائر والرقيب الحافظ والإل العهد مأخوذ من الأيل وهو أن يريق يقال آل يؤول إذا لم والالة الحربية للمعاني وأذن مؤلثة مشبهة للعربة في تحديدها قال الشاعر

وَجَدْنَا هُمْ كَاذِبًا إلهم
وَذُو الْإِلِّ وَالْهَمْدِ لَا يَكْذِبُ
والإل القرابة قال حسان

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قَرِيْشٍ
كَالِ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ (٢)

المضى

لما امر سبحانه بنذ الهد إلى المشركين بين ان العلة في ذلك ما ظهر منهم من النذر وأمر باقامة العهد لمن استقام على الأمر فقال (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع اضارهم النذر والنكث وهذا يكون على التعجب او على الجحد ويدل عليه ما روي ان في قراءة عبد الله كيف يكون عهد عند الله ولاذمة فأدخل الكلام لأن معنى الاول جحد اي لا يكون لهم عهد وقيل معناه كيف يأمر الله ورسوله بالكف عن دماء المشركين ثم استثنى سبحانه فقال (إلا

(١) قائله نعت الغدري يهجو به امه وكان شريرا أو عاق لها. وشالت من شالت الناقة ذنبها اي رفعت. والنعامة: باطن القدم. وذلك كناية عن موتها. (٢) السقب: ولد الناقة ساعة بولد. والرأل: ولد النعام. يقول: ان قرابتك من قريش كقراة ولد الناقة لرأل النعام اي لست منهم في نسب.

الذين عاهدتم عند المسجد الحرام (أي فلان لهم عهد عند الله لأنهم لهم يضرروا القدر بك والحياة لك واختلف في هولاء من هم قليل هم قريش عن ابن عباس وقيل هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله يوم الحديبية فلم يستقيموا ونقضوا العهد بأن اعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون امرهم امانا يسلّموا واما ان يلحقوا بأي بلاد شاءوا فأسلموا قبل الأربعة الأشهر عن قتادة وابن زيد وقيل هم من قبائل بكر بنو خزيمه وبنو مداح وبنو ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا عهد قريش يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فلم يكن نقضها إلا قريش وبنو الدئل من بكر فأمر بإتباع العهد لمن لم يكن له نقض إلى مدته وهذا القول أقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة (فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم) معناه فما استقاموا لكم على العهد أي ما داموا باقين معكم على الطريقة المستقيمة فكونوا معهم كذلك (إن الله يحب المتقين) لأنك والقدر (كيف وان يظهروا عليكم) هاهنا حذف وتقديره كيف يكون لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وإنما حذفه لأن ما قبله من قوله كيف يكون للمشركين عهد يدل على ذلك ومثله قول الشاعر يرثي اخا له قد مات

وَخَبَّرْتَنِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقَرْيِ فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةً وَقَائِبٌ (١)

أي فكيف مات وليس بقريه ومثله قول الحطيئة

فَكَيْفَ وَلَمْ أَعْلَمَهُمْ حَدْلُوكُمْ عَلَى مُعْظِمٍ وَلَا أَدْبَعَكُمْ قَدُوا (٢)

أي وكيف تلمونني على مدح قوم وتذمونهم فاستغنى عن ذكر ذلك لأنه جرى في القصيد . يدل على ما اضره ومعناه كيف يكون لهؤلاء عهد عند الله وعند رسوله وهم بحال ان يظهروا عليكم ويظفروا بكم ويغلبوك (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) أي لا يحفظوا ولا يراعوا فيكم قرابة ولا عهدا والأول القرابة عن ابن عباس والضحاك والعهد عن مجاهد والسدي والجوار عن الحسن والحلف عن قتادة واليهين عن ابي عبيدة وقيل أن الأول اسم الله تعالى عن مجاهد وروى ان ابا بكر قرئ عليه كلام مسيلمة فقال لم يخرج هذا من إلهم أنين يذهب بكم ومن قال إن الأول هو العهد قال جمع بينه وبين الذمة وإن كان بمعناه لاختلاف معنى اللفظين كما قال «والنبي قولها كذبا ومينا» وقال «متى ادن منه ينأ عني وبمد» (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) معناه يتكلمون بكلام المرابين لكم لترضوا عنهم وتأبى قلوبهم إلا العداوة والقدر ونقض العهد (وأكثرهم فاسقون) أي متمردون في الكفر والشرك عن ابن الاخشيد وقال الجبائي أراد كلهم فاسقون لكنه وضع الحصوص موضع العموم وقال القاضي معناه أكثرهم خارجون عن طريق الوفاء بالعهد وأراد بذلك رؤسائهم

قوله تعالى (٩) أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١١) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتُفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٢) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَلِيَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٣) أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (خمس آيات)

(١) قائله كم بن سعد الفنوي . والهضبة : العجل . الرابية (٢) حدل حدلا وحدولا جادو ظلم . وفي التبيان «دخلوكم» بمجمعتين و«قد الادب» قيل : هي هنا كناية عن هتك العرض

* القراءة *

قرأ أهل الكوفة والشام أئمة الكفر بهمزتين وقرأ الباقون أئمة بهمزة واحدة ويا بعدها وقرأ ابن عامر لإيمان بكسر الهزة ورواه ابن عقدة بإسناده عن عريف بن الوضاح الجعفي عن جعفر بن محمد عليهما السلام والباقر بن يقطين

* الحجة *

قال أبو علي أئمة أصله أفعلة واحدها إمام فإذا جمعته على أفعلة ففيه همزة هي فاء الفعل ويزيد عليها همزة أفعلة الزائدة فيجتمع همزتان واجتماع الهمزتين في كلمة لا يستعمل بحقيقتها قال الزجاج أصله أئمة ولكن الميم لما اجتمعتا ادغمت الأولى في الثانية والقت حركتها على الهزة فصارت أئمة فأبدل النحويون من الهزة المكسورة الياء قال ومن قال هذا أؤم من هذا كان أصله أم فجعلها واواً مقترحة كما قالوا في جمع آدم أوادم قال أبو علي ومن جمع بين الهمزتين في أئمة فحجته أن سيويوه قال زعموا أن ابن أبي إسحاق كان يحقق الهمزتين في إناس معه وقد يتكلم ببعض العرب وهو ردي ووجهه من القياس أن تقول إن الهزة حرف من حروف الخلق كالعين وغيره وقد جمع بينها في نحو كعامة وكع يكع فكما جاز اجتماع العينين جاز اجتماع الهمزتين قال علي بن عيسى إنما جاز اجتماع الهمزتين هنا لثلاثي مجتمع على الكلمة تغيراً في الإدغام والقلب مع خفة التحقيق لأن جمل ما بعده من السكون وعلى هذا تقول هذا أؤم من هذا بهمزتين قال وإنما قلبت الهزة من أئمة دون حركة ما قبلها لأن الحركة إنما نقلت من الميم إلى الهزة لبيان زنة الكلمة فلما ذهبت بقلبها على ما قبلها انكبت مناقضاً للعرض فيها وأما قوله لا إيمان لهم فمن فتح الهزة قال هو أشبه بالموضع فقد قال نكثوا إيمانهم ومن كسرهما جعله مصدر آمنته إيماناً خلاف خورقته ولا يريد مصدراً من الذي هو صدق فيكون تكراراً للدلالة ما تقدم من قوله بقائلنا أئمة الكفر على أن أهل الكفر لا إيمان لهم

* اللغة *

الإيمان جمع بين وهو القسم والطمع الاعتماد بالعب وأصله الطعن بالرمح والإمام هو المتقدم للاتباع فالإمام في الخير مهتهدا وفي الشر ضال مضل والهمم مقارنة الفعل بالعزم من غير إيقاع له وقد ذموا بهذا الهم فيه دليل على العزم وقد يستعمل الهم على مقارنة العزم والبدء فعل الشيء من قبل غيره وهو فعل الشيء أو المرة فعل لم يتكرر وهي الفعلة من المرّ والمرة والدفعة والكرة نظائر

« المعنى »

ثم بين سبحانه خصال القوم فقال (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله) ومعناه عرضوا عن دين الله وصدوا الناس عنه بشي يسير نالوه من الدنيا واصلوا الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ونقيضه البيع وهو المقدم على تسليم المتاع بالثمن ومعنى الفاء هنا أن اشتراءهم هذا آذاهم إلى الصد عن الإسلام وهذا ورد في قوم من العرب جمعهم أبو سفيان على طامه ليستميلهم على عداوة النبي ﷺ عن مجاهد وقيل ورد في اليهود الذين كانوا يأخذون الرشاً من العوام على الحكم بالباطل عن الجبائي (أنهم ساء ما كانوا يعملون) أي بش العمل عملهم (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) سبق معناه والفائدة في الإعادة أن الأول في صفة الناقضين للعهد والثاني في صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وقيل إنما كرر تأكيداً (وأولئك هم المعتدون) أي المجاوزين الحد في الكفر والظلمين (فلن تلبوا) أي ندموا على ما كان منهم من الشرك وعزموا على ترك العود إليه وقبلوا الإسلام (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قبلوها وأدوها عند نزومها (فأخوانكم في الدين) أي فهم أخوانكم في الدين فعاملوهم معاملة أخوانكم من المؤمنين (ونفصل الآيات) أي نبينها ونغيرها بخاصة لكل واحدة منها تسميتها من غيرها حتى يظهر مداؤها على أتم ما يكون من الظهور فيها (لقوم يعلمون) ذلك وببينونه دون الجهال الذين لا يتفكرون (وان نكثوا) أي

نقضوا (أي إيمانهم) أي عهودهم وما حلفوا عليه (من بعد عهدهم) أي من بعد أن عقدوه (وطعنوا في دينكم أي عايوه وقد حووا فيه) فقاتلوا أمة الكفر (أي رؤساء الكفر والضلالة وخصمهم بالامر بقتالهم لأنهم يضلون اتباعهم قال الحسن وأراد به جماعة الكفار وكل كافر إمام لنفسه في الكفر وتغيره في الدعا. إليه وقال ابن عباس وقتادة أراد به رؤساء قريش مثل الحرث بن هشام وربيعة بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وكان حذيفة بن اليمان يقول لم يأت أهل هذه الآية بعد وقال مجاهد هم أهل فارس والروم وقرأ علي عليه السلام هذه الآية يوم البصرة ثم قال أما والله لقد عهد إلي رسول الله ﷺ وقال لي يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة (أنهم لا أيمان لهم) من قرأ بفتح الهزة فمعناه أنهم لا يحفظون العهد واليمين كما يقال فلان لا عهد له أي لا وفاء له بالعهد ومن قرأ بالكسر فمعناه لا تؤمنونهم بعد نكثهم العهد ويحتمل أن يكون معناه أنهم إذا آمنوا أناسا لا يفون به ويحتمل أن يكون معناه أنهم كفروا فلا إيمان لهم (لعلهم ينتهون) معناه قاتلوهم لينتهوا عن الكفر فإنهم لا ينتهون عنه بدون القتال وقيل معناه ليكن قصدكم في قتالهم انتهاؤهم عن الشرك لأن قيل كيف نفى بقوله لا إيمان لهم ما أثبتته بقوله وأن نكثوا أيمانهم قيل له إن الأيمان التي أثبتتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها وإنما نكثوا بها من بعد لأنهم لم يفوا بها ولم يتمسكوا بتوجبها (الأتقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهو ما أخرج الرسول) الألف للاستفهام والمراد بالتحضيض والإيجاب ومعناه هلا تقاتلونهم وقد نقضوا عهودهم التي عقدوها واختلفت في هولا. فقيل هم اليهود الذين نقضوا العهد وخرجوا مع الأحزاب وهو ما أخرج الرسول من المدينة كما أخرجه المشركون من مكة عن الجاثمي والقاضي وقيل هم مشركوا قريش وأهل مكة (وهم بدوكم أول مرة) أي بدوكم بنقض العهد عن ابن إسحاق والجاثمي وقيل بدوكم بقتال حلفاء النبي ﷺ من خزاعة عن الزجاج وقيل بدوكم بالقتال يوم بدر وقالوا حين سلم المير لا نصرف حتى نساصل محمداً ومن معه (أنحشونهم) أي أتغافون أن ينالكم من قتالكم مكروه لفظه استفهام والمراد به تشجيع المؤمنين وفي ذلك غاية الفصاحة لأنه جمع بين التقرع والتشجيع (فأله أحق أن تخشوه أن كنتم مؤمنين) المعنى لا تخشوهم ولا تتركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم فإنه سبحانه أحق أن تخافوا عقابه في ترك أمره بقتالهم أن كنتم مصدقين بعقاب الله وثوابه أي أن كنتم مؤمنين فضحية الله أحق بكم من خشية غيره والله أعلم وأحكم

قوله تعالى (١٤) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٥) وَيَذْهَبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ (آيَات)

(- القراءة -)

في الشواذ قراءة الأعرج وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وعمرو بن عبيد ويتوب الله بالنصب ورويت عن أبي عمرو أيضا

(- الحجة -)

قال ابن جني إذا نصب فالتوبة داخلية في جراب الشرط وإذا رفع فهو استئناف وتقديره في النصب أن تقاتلوهم تكن هذه الأشياء كلها التي أحدها التوبة من الله على من يشاء والوجه قراءة الجماعة على الاستئناف لأنه تم الكلام على قوله ويذهب غيظ قلوبهم ثم استأنف فقال ويتوب الله على من يشاء لأن التوبة منه سبحانه على من يشاء ليست مسبية عن قتالهم

= (المعنى) =

ثم أكد سبحانه ١٠ تقدم بأن أمر المسلمين بقتالهم وبشرهم بالنصر والظفر عليهم فقال (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) قتلًا وأسرا (ويخزهم) أي ويذأهم (وينصرهم عليهم) أي ويمنعكم أيها المؤمنون عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني صدور بني خزاعة الذين بيت عليهم بنو بكر عن مجاهد والسدي لأنهم كانوا حلفاء النبي ﷺ (ويذهب غيظ قلوبهم) معناه ويكون ذلك النصر شفاء لقلوب المؤمنين التي امتلأت غيظًا لكثرة ما نالهم من الأذى من جهتهم ثم استأنف سبحانه فقال (ويتوب الله على من يشاء) أي ويقبل توبة من تاب منهم مع فرط تديبهم رحمة وفضلا (والله عليم حكيم) عليم بتوبتهم إذا تابوا حكيم في أمرهم بقتالهم إذا نكثوا قبل أن يتوبوا ويرجموا لأن أفعاله كلها صواب وحكمة وفي هذا دلالة على فبوة نبينا ﷺ لأنه وافق خبره المخبر = (النظر) =

والوجه في اتصال قوله ويتوب الله على من يشاء بما قبله شيان ﴿ احدهما ﴾ البشارة بأن فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر إلى الإيمان ﴿ الآخر ﴾ بيان أنه ليس في قتالهم اقتطاع لأحد منهم عن التوبة قوله تعالى (١٦) **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** (آية) = (اللفظ) =

الحساب قوة المعنى في النفس من غير قطع وهو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب به والترك ضد يتاني الفعل المبتدأ في محل القدرة عليه ويستعمل بمعنى أن لا يفعل كقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون والوليعة الدخيلة في القوم من غيرهم والبطانة مثله وليعة الرجل من يختص بدخلة أمره دون الناس الواحد والجمع فيه سواء وكل شيء دخل في شيء ليس منه فهو وليعة قال طرفة

فَإِنَّ الْقَوَائِي يَتَلَجَّنَ مَوَاجِلًا
تَضَائِقُ عَنْهُ أَنْ تَوَلَّجَهُ الْإِبْرُ

= (الاعراب) =

أم حرف عطف يعطف به الاستفهام وأم حسبتم معطوف على ما تقدم من قوله الا تقاتلون وهو من الاستفهام المعتز في وسط الكلام فجعل بأم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ لما يفعل نفي الفعل مع تقريب لوقوعه ولم يفعل نفي الفعل بعد اطماع في وقوعه

= (المعنى) =

ثم نبه سبحانه على جلالة موقع الجهاد فقال (أم حسبتم أن تتركوا) معناه اظننتم أيها المؤمنون أن تتركوا من دون أن تكلفوا الجهاد في سبيل الله مع الاخلاص (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) معناه ولا يظهر ما علم الله منكم فذكر نفي العلم والمراد نفي المعلوم تأكيداً للنفي والا فإن الله عز اسمه عالم بما يكون قبل أن كان وبما لا يكون لو كان كيف كان يكون وتقديره اظننتم أن تتركوا وأم تجاهدوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي ولم يعلم الله الذين لم يتخذوا سوى الله وسوى رسوله والمؤمنين بطانة وأولياء بالرونهم ويفشون إليهم أسرارهم وقال الجبائي هو أن يكونوا منافقين وهو قول الحسن وفي هذا دلالة على تحريم موالاة الكفار والفساق والآف بهم ٤ والله خبير بما تعملون) أي عليهم بأعمالكم فيجازيكم عليها = (النظم) =

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما تقدم الأمر بالقتال عطف عليه بهذا الشرط وهو الاخلاص في الجهاد

على وجه قطع العصمة ليظهر الظفر ويستحق الثواب

قوله تعالى (١٧) ما كان للمشركين ان يعبروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون (١٨) انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين (آيتان)

(=) القراءة (=)

قرأ أهل البصرة وابن كثير مسجد الله على الواحد وهو قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والباقرن مساجد الله

(=) الحجة (=)

حجة من افرد انه عنى به المسجد الحرام وحجة من جمع انه عنى به المسجد الحرام وغيره من المساجد ويحتمل ان يكون أراد المسجد الحرام وإنما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه فيكون القراءتان بمعنى

اللغة *

الأصل في المسجد هو موضع السجود في العرف ويمبر به عن البيت الميتا لصلاة الجماعة فيه والعمارة أن يجدد منه ما استرم من الأبنية ومنه اعتمر إذا زار لأنه يجدد بالزيارة ما استرم من الحال
= « المعنى » =

لما أمر الله سبحانه بقتال المشركين وقطع العصمة والمالاة عنهم أمر بمنعهم عن المساجد فقال (ما كان للمشركين أن يعبروا مساجد الله) معناه لا ينبغي للمشركين أن يكونوا اقواما على عمارة مساجد الله ومتولين لأمرها وينبغي أن يعمرها المسلمون وقيل ان المراد بذلك المسجد الحرام خاصة وقيل هي عامة في جميع المساجد (شاهدين على انفسهم بالكفر) أي حال شهادتهم على انفسهم بالكفر أو مع شهادتهم واختلف في العنارة للمسجد فقيل هي بدخوله وتزوله كما يقال فلان يعمر مجلس فلان إذا أكثر غشيانه لأن المسجد تكون ممارته بطاعة الله وعبادته وقيل هي باستصلاحه ورّم ما استرم منه لانه إنما يعمر للعبادة عن الجبائي وقيل هي بأن يكونوا من أهله أي لا ينبغي أن يترك المشركون فيكونوا أهل المسجد الحرام عن الحسن واختلف في شهادتهم على انفسهم بالكفر كيف هي فقيل هي ان النصراني يسأل ما أنت فيقول انا نصراني واليهودي يقول انا يهودي وكذلك المشرك إذا سئل ما دينك يقول مشرك لا يقولها أحد غير العرب عن السدي وقيل معناه ان كلامهم يدل على كفرهم كما يقال كلام فلان يدل على بطلان دعواه عن الحسن وقيل هي قولهم ليبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك فملكه وما ملك وقيل شهادتهم سجدتهم لاصنامهم مع اقرارهم بأنها مخلوقة عن ابن عباس ومعناه انهم يشهدون على انفسهم بأفعالهم واحوالهم ومن أظهر شيئا وبيته يقال قد شهد به (أو تلك حبطت اعمالهم) التي هي من جنس الطاعة من المؤمنين أي بطلت لانهم أوقعوها على الوجه الذي لا يستحق لأجله الثواب عليها عند الله (وفي النار هم خالدون) أي مقيمون مرتدون (إنما يعمر مساجد الله) ولفظة إنما لا تبيّن المذكور ونفي ما عداه فمعناه لا يعمر مساجد الله بزيارتها واقامة العبادات فيها أو ببنائها ورّم المسترم منها إلا (من آمن بالله واليوم الآخر) أي من أقر بوحداية الله واعترف بالقيامة (واقام الصلاة) بمجدودها (وآتى الزكاة) أي اعطاها إن وجبت عليه إلى مستحقها (ولم يخش إلا الله) أي لم يخف سوى الله احدا من المخلوقين وهذا راجع إلى قوله اتخشونهم فآله

أحق أن تحشوه أي إن خشيتهم قد ساويتهم في الشرك كما قال فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يحشون الناس كخشية الله الآية (فسي أو لك أن يكونوا من المهتدين) إلى الجنة ونيل ثوابها لأن عسى من الله حاجة من ابن عباس والحسن وفي ذكر الصلاة والزكاة وغير ذلك بعد ذكر الإيمان بالله دلالة على أن الإيمان لا يتناول أفعال الجوارح إذ لو تناولها لما جاز عطف ما دخل فيه عليه ومن قال ان المراد فيه التفصيل وزيادة البيان فقد ترك الظاهر

قوله تعالى (١٩) أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين (٢٠) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون (٢١) يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجات لهم فيها نعيم مقيم (٢٢) خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم (أربع آيات)
— (القراءة) —

في الشواذ قراءة محمد بن علي الباقر (ع) وابن الزبير وابي وجرة السواري وابي جعفر السعدي القاري أجمعتم سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام وقرأ الضعك سقاية الحاج بالضم وعمرة المسجد
— (الحجة) —

أما سقاية فهو جمع ساق وعمرة جمع عامر وأما سقاية فقد قال ابن جني فيه نظر ووجهه ان يكون جمعا جاهل فعال كعروق وعراق ورجل ورجال وظفر وظفر وظنار ووظنار وتوام ويري وبراء وإنسان وأناس ثم أنت كما يؤنث من الجموع أشياء نحو حجارة وعميرة وكان من عدل عن قراءة الجماعة سقاية الحاج وعمارة المسجد إلى هذا إنسا هرب من ان يقابل الحدث بالجواهر وذلك ان من آمن جوهر وسقاية وعمارة مصدران فلا بد إذن من حذف المضاف أي أجمعتم هذين الفعلين كفضل من آمن بالله فلما رأى أنه لا بد من حذف المضاف قرأ سقاية وعمرة على ما مضى

— اللفظة —

السقاية آلة تتخذ لسقي الماء والسقاية مصدر كالسقي أيضا وقيل إنهم كانوا يسقون الحجاج الماء والشراب ويبت السقاية أيضا والبشارة الدلالة على ما يظهر به السرور في بشرة الوجه كما يقال بشرته أبيضه بشرى ورضوان هو معنى يستحق بالإحسان ويدعو إلى الحمد على ما كان ويضاد سخط العصيان والنعيم مشتق من النعمة وهي اللين فأما النعمة بكسر النون فهي منفعة يستحق بها الشكر لأنها كنعمة العيش وأبدا للزمان المستقبل من غير آخر كما ان قط الماضي يقال ما رأيت قط ولا أراه أبدا وجمع الأبد آباد وأبود يقال لا أفضل ذلك أبدا الأبد وأبد الأبدين وتأبّد المنزل أتى عليه الأبد والأبدا وابد الوحش سميت بذلك لطول أعمارها وقيل لم يموت وحشي حتف اقه وإنما يموت بأفة والآبدة الداهية

✽ النزول ✽

قيل انها نزلت في علي بن ابي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبه وذلك انهم اقتضوا فقال طلحة انا صاحب البيت ويدي مفتاحه ولو اشاءت فيه وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي (ع) ما ادريه ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة اشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد عن الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وقيل إن عليا (ع) قال للعباس يا عم ألا تهاجر والاتلحق برسول الله فقال ألت في

(١) الرخل: الاتى من اولاد الضان . (٢) عميرة جمع العير: العمارة وحشيا أو اهليا وقد غلب على الوحشى .

أفضل من الحجرة أمر المسجد الحرام واستقي حاج بيت الله فنزلت أجعلتم سقاية الحاج عن ابن سيرين ومرة الحمداني وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن ابن بريدة عن أبيه قال بنا شيبه والعباس بتفاخران إذ مرَّ بها علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال بماذا تتفاخران فقال العباس لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد سقاية الحاج وقال شيبه أوتيت عمارة المسجد الحرام فقال علي (ع) استحييت لكما فقد أوتيت علي صغري ما لم تؤتيا فقالا وما أوتيت يا علي قال ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتم بالله ورسوله فقام العباس مفضبا يجر ذيله حتى دخل على رسول الله ﷺ وقال أما ترى إلى ما يستقبلني به علي فقال ادعوا لي عليا فدعي له فقال ما حملك على ما استقبلت به عمك فقال يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليفضب ومن شاء فليرض فنزل جبرائيل (ع) فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول أتى عليهم أجعلتم سقاية الحاج الآيات فقال العباس إنا قد رضينا ثلاث مرات وفي تفسير أبي حمزة أن العباس لما أمر يوم بدر أقبل عليه أناس من المهاجرين والانصار فعمروه بالكفر وقطيعه الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا قالوا وهل لكم من محاسن قال نعم والله لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج وقتك العاني فأنزل الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا إلى آخر الآيات

المعنى

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) هذا استفهام معناه الانكار أي لا تجعلوا وفيه حذف بدل الكلام عليه وتقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله حتى يكون مقابلة الشخص بالشخص أو يكون تقديره أجعلتم السقاية والعمارة كإيمان من آمن بالله حتى تكون مقابلة الفعل بالفعل وسقاية الحاج سقيهم الشراب قال الحسن وكان نبيذ زبيب يسقون الحاج في الموسم بين الله سبحانه أنه لا يقابل هذه الأشياء بالإيمان بالله (واليوم الآخر) وبالجهاد في سبيله فإنه لا مساواة بين الأمرين (لا يستون عند الله) في الفضل والثواب (والله لا يهدي) إلى طريق ثوابه (القوم الظالمين) كما يهدي إليه من كان عارفاً به فاعلا لطاعته محبتاً لمصيته ثم ابتداء سبحانه فقال (الذين آمنوا) أي صدقوا واعترفوا بوحدانية الله (وهاجروا) أوطانهم التي هي دار الكفر إلى دار الإسلام (وجاهدوا في سبيل الله) أي تحمّلوا المشاق في ملاقات أعداء الدين (بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله) من غيرهم من المؤمنين الذين لم يفعلوا هذه الأشياء (وأولئك هم الفائزون) أي الظافرون بالغبية (يبشّروهم ربهم) برحمة في الدنيا على السنة الرسل وبما بين في كتبه من الثواب الموعود على الجهاد (برحمة منه ورضوان) في الآخرة (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) أي دائم لا يزول ولا ينقطع (خالدين فيها أبداً) أي دائمين فيها مع كون النعيم مقبلاً لهم (إن الله عنده أجر) أي جزاء على العمل (عظيم) أي كثير متضاعف لا يبلغه نعمة غيره من الخلق

قوله تعالى (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٤) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (آيات)

* القراءة *

قرأ ابو بكر عن عاصم وعشيرة اتيكم على الجمع والباقون وعشيرة اتيكم على التوحيد

* المحبة *

من افرد فلان المشيرة يقع على الجمع وقال ابو الحسن العرب لا تجمع العشيرة عشيرات وإنما تقول عشائر ومن جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة

* اللغة *

الاستحباب طلب المحبة ويجوز ان يكون استحب بمعنى أحب كما ان استحباب يكون بمعنى اجاب فيكون كأنه طلب محبة فوقع له والعشيرة الجماعة ترجع إلى عقد واحد كالعشيرة ومنه المعاشرة والاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره من قرفت القرحة إذا قشرتها والقرف القشر والتربص التثبت في الشيء حتى يبيح وقته والتربص والتثبت والتنظر والتوقف نظائر وتقيضه التمجيل

* النزول *

روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انها نزلت في حاطب بن ابي بلتمه حيث كتب الى قريش يخبرهم بخبر النبي ﷺ لما اراد فتح مكة

* المعنى *

ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن موالاته الكافرين وإن كانوا في النسب الاقربين فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واهوانكم اولياء) وهذا في امر الدين فأما في امر الدنيا فلا بأس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه وصاحبها في الدنيا معروف قال ابن عباس لما امر الله تعالى المؤمنين بالهجرة واراوا الهجرة فنهى من تعلقت به زوجته ومنهم من تعلق به ابواه واولاده فكانوا يمتنعونهم من الهجرة فيتركون الهجرة لأجلهم فبين سبحانه ان امر الدين مقدم على النسب وإذا وجب قطع قرابة الأيوين فالأجنبي أولى (إن استحبوا الكفر على الإيمان) أي إن اختاروا الكفر وآثروه على الإيمان قال الحسن من تولى المشرك فهو مشرك وهذا إذا كان راضياً بشركه (ومن يتولهم منهم) فترك طاعة الله لأجلهم واطلمهم على اسرار المسلمين (فأولئك هم الظالمون) نفوسهم والباطسون حقها من الثواب لأنهم وضعوا الموالاتة في غير موضعها لأن موضعها أهل الإيمان (قل) يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة الى دار الإسلام (ان كان آباؤكم) الذين ولدوكم (وابناؤكم) الذي ولدتموهم وهم الأولاد الذكور (واهوانكم) في النسب (وازواجكم) اللاتي عقدتم عليهن عقدة النكاح (وعشيرتكم) أي واقاربكم (واموالهم) اقربتموها (أي اكتسبتموها واقتطعتموها وجمتموها) وتجارة تخشون كسادها) أي تخشون انها تكسد إذا اشتغلت بطاعة الله تعالى والجهاد (ومساكن ترضونها) أي مساكن اخترتموها لأنفسكم وبعجبكم المقام فيها (أحب اليكم) أي أثر في نفوسكم واقرب إلى قلوبكم (من الله ورسوله) أي من طاعة الله وطاعة رسوله (وجهاد في سبيله) أي ومن الجهاد في سبيل الله (فتربصوا) أي انظروا (حتى يأتي الله بأمره) أي بحكمه فيكم وقيل بمقبولكم على اختياركم هذه الأشياء على الجهاد وطاعة الله إما عاجلاً وإما آجلاً وفيه وعيد شديد عن الحسن والجبائي وقيل يفتح مكة عن مجاهد وقال بعضهم وهذا لا يصح لأن سورة براءة نزلت بعد فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) مضي تفسيره

قوله تعالى (٢٥) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ

(٢٦) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٧) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (ثلاث آيات)

✽ اللفظة ✽

الموطن الموضع الذي يقيم فيه صاحبه وهو مفعول من الوطن واستوطن بالمكان إذا اتخذ وطنًا وحنين اسم واد بين مكة والطائف والإعجاب السرور بما يتمعّب منه والعجب السرور بالنفس والرحب السعة في المكان وضده الضيق وقولم مرحبًا معناه أتيت سعة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فميلة من السكون قال الشاعر

لِللَّهِ قَبْرٌ عَالِمًا مَاذَا أَجَبَتْ لَقَدْ أَجَبَتْ سَكِينَةً وَوَقَارًا (١)

والجنود الجموع التي تصلح للحروب

= الإعراب =

مواطن لا ينصرف لأنه جمع ليس على مثال الآحاد ويوم حنين أي وفي يوم حنين عطفت على مواطن أي ونصركم في يوم حنين وإنما صرف حنينًا لأنه اسم للمذكر وهو واد ولو ترك صرفه على أنه اسم للبقعة لجاز قال الشاعر

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَرْهَمَ بِحَنِينِ يَوْمٍ تَوَاكَلِ الْإِبْطَالِ (٢)

ومافي قوله بما رحبت مصدرية أي يرحبها وسعتها

✽ المعنى ✽

لما تقدم أمر المؤمنين بالقتال ذكروهم بعده بما أتاهم من النصر حالًا بعد حال فقال (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) اللام للقسم فكأنه سبحانه أقسم بأنه نصر المؤمنين أي أعانهم على أعدائهم في مواضع كثيرة على ضعفهم وقلة عددهم حتاهم على الانقطاع إليه ومفارقة الأهلين والاقربين في طاعته وورد عن الصادقين (ع) أنهم قالوا كانت المواطن ثمانين موطنًا وروي أن المتوكل اشتكى شكاية شديدة فنذر أن يتصدق بمال كثير إن شفاه الله فلما عوفي سأله العلماء عن حديث المال الكثير فاختلفت أقوالهم فأشير عليه أن يسأل أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى (ع) وقد كان حبسه في داره فأمر أن يكتب إليه فكتب بتصدق بثمانين درهمًا ثم سأله عن العلة في ذلك فقرأ هذه الآية وقال عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين موطنًا (ويوم حنين) أي وفي يوم حنين (إذ أعجبتمكم كثيرتمكم) أي سررتكم وصرتم معجبين بكثيرتمكم قال قتادة وكان سبب انهزام المسلمين يوم حنين أن بعضهم قال حين رأى كثرة المسلمين لن نفلب اليوم عن قلة فانهزموا بعد ساعة وكانوا اثني عشر ألفًا وقيل أنهم كانوا عشرة آلاف وقيل ثمانية آلاف والأول أصح وأكثر في الرواية (فلم تغن عنكم شيئًا) أي فلم يدفع عنكم كثيرتمكم سوءًا (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) أي يرحبها والباء بمعنى مع والمعنى ضاقت عليكم الأرض مع سعتها كما يقال أخرج بنا إلى موضع كذا أي معنا والمراد لم تجدوا من الأرض موضعًا للفرار إليه (ثم وليتم مدبرين) أي وليتم عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتموم أدياركم وانهزمتم (ثم أنزل الله سكينته) أي رحمته التي تسكن إليها النفس ويزول معها الخوف (على رسوله وعلى المؤمنين) حين رجعوا إليهم وقاتلهم وقيل على المؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله علي والعباس في قمر من بني هاشم عن الضحاح بن مزاحم وروي الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن الرضا أنه قال السكينة ريح من الجنة تخرج طيبة لها صورة

(١) عال الشيء فلانًا: غلبه وتقل عليه. وفي التبيان «غالبها» بالعين المعجمة ومعناه أهلكتها. وأجن بمعنى ستر.
(٢) قائله حسان بن ثابت وفي الديوان واللسان ومعجم البلدان «أزره» مكان «أزرهم» وهو البظاهر. وتواكل الأبطال أي ضعفهم واتكالهم على غيرهم. (٣) وفي نسخة مخطوطة «وقد كان حينئذ».

كصورة وجه الإنسان فتكون مع الأنبياء اوردده العياشي مسندا (وأنزل جنوداً لم تروها) أراد به جنوداً من الملائكة وقيل ان الملائكة نزلوا يوم حنين بنقوبة قلوب المؤمنين وتشجيعهم ولم يباشروا القتال يومئذ ولم يقاتلوا إلا يوم بدر خاصة عن الجبائي (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر وسلب الاموال والاولاد (وذلك جزاء الكافرين) اي وذلك العذاب جزاء الكافرين على كفرهم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) ذكر سبحانه ثم في ثلاثة مواضع متقاربة ﴿الاول﴾ ثم وليتم مدبرين عطف على ما قبله من الفعل وهو قوله ضاقت عليكم ﴿الثاني﴾ ثم أنزل الله سكينته عطف على وليتم مدبرين ﴿الثالث﴾ ثم يتوب الله عطف على أنزل وإنما حسن عطف المستقبل على الماضي لأنه يشاكله فإن الاول تذكر بنعمة الله والثاني وعد بنعمة الله والمعنى ثم يقبل الله توبة من تاب عن الشرك ورجع الى طاعة الله والاسلام وندم على ما فعل من القبيح ويجوز ان يريد ثم يقبل الله توبة من انهزم من بعد هزيمته ويجوز ان يريد يقبل توبتهم عن اعجابهم بالكثرة وإنما علّقه بالمشيئة لأن قبول التوبة تفضل من الله ولو كان واجبا على ما قاله أهل الوعيد لما جاز تعليقه بالمشيئة كما لا يجوز تعليق الثواب على الطاعة بالمشيئة ومن خالف في ذلك قال إنما علّقا بالمشيئة لأن منهم من له لطف يصلح به ويتوب ويؤمن عنده ومنهم من لا لطف له منه (والله غفور) اي ستار للذنوب (رحيم) بعباده

﴿ القصة ﴾

ذكر أهل التفسير وأصحاب السير ان رسول الله ﷺ لما فتح مكة خرج منها متوجهاً الى حنين لقتال هوازن وثقيف في آخر شهر رمضان اوفي شوال من سنة ثمان من الهجرة وقد اجتمع رؤساء هوازن الى مالك بن عوف النصرى يساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذراريهم ونزلوا بأوطاس^(١) قال وكان دريد بن الصمة في القوم وكان رئيس جيشهم وكان شيخاً كبيراً قد ذهب بصره من الكبر فقال بأي واد أتمم قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا تحزن ضرس ولا سهل ديس مالي اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وخوار البقر ونغاء الشاة وبكاء الصبيان فقالوا ان مالك بن عوف ساق مع الناس ابناءهم وأموالهم ونساءهم ليقاتل كل منهم عن أهله وماله فقال دريد راعي ضأن ورب الكعبة ثم قال ائتوني بمالك فلما جاءه قال يا مالك انك أصبحت رئيس قومك وهذا يوم له ما بعده ردّ قومك إلى عليا بلادهم والحق الرجال على متون الخيل فإنه لا ينفعك إلا رجل بسيفه وفرسه فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت عليك لا تكون فضحت في أهلك وعيالك فقال له مالك إنك قد كبرت وذهب علمك وعقلك وعقد رسول الله ﷺ لواءه الاكبر ودفعه إلى علي بن ابي طالب «ع» وكل من دخل مكة براءة امره أن يحملها وخرج بعد ان اقام بمكة خمسة عشر يوماً وبعث إلى صفوان بن أمية فاستعار منه مائة درع فقال صفوان عارية أم غصب فقال عارية مضمونة مؤداة فأعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج من مسلمة الفتح الفا رجل وكان «ع» دخل مكة في عشرة آلاف رجل وخرج منها في اثني عشر الفا وبعث رسول الله ﷺ رجلاً من اصحابه فاتمى إلى مالك بن عوف وهو يقول لقوم ليصير كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم واكنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر فإذا كان في غيب الصبح^(٢) فاحملوا حملة رجل واحد فهدوا القوم فإن محمداً لم يلق احداً يحسن الحرب ولما صلى رسول الله ﷺ باصحابه الغداة انحدر في وادي حنين فخرجت عليهم كتائب هوازن من كل ناحية وانهمت بنو سليم وكانوا على المقدمة وانهم ما وراءهم: خلى الله بينهم وبين عدوهم لاوعجابهم بكثرتهم وبقي علي «ع» ومعه الراية يقاتلهم في قر قليل ومنا المنهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيء وكان العباس بن عبد المطلب أخذ بلجام بفضة رسول الله ﷺ والفضل عن يمينه وابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره ونوفل بن الحرث وريعة بن الحرث في تسعة من بني هاشم وعاشرهم امين بن أم امين وقتل يومئذ وفي ذلك يقول العباس

(١) أوطاس : واد بديار هوازن جنوبي مكة بنحو ثلاث مراحل ، وهي من النوادر التي جاء بلفظ الجمع الواحد .
(٢) الحزن - بالفتح - : المكان الغليظ الضخم . و الضرس : الاكمة الضخمة الغليظة العشن كأنها مضرسة .
و الدهس : ماسهل ولان من الارض ولم يبلغ أن يكون دملاً (٣) النيش : ظلمة آخر الليل . وقيل هو ما يلي الصبح

نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْحَرْبِ تِسْعَةَ وَقَدَّ فَرَّ مِنْ قَدَّ فَرَّ عَنْهُ فَأَقْشَعُوا (١)
 وَقَوْلِي إِذَا مَا الْفَضْلُ كَرَّ بِسَيْفِهِ عَلَى الْقَوْمِ أُخْرَى يَا بَنِي لِيَرْجِعُوا (٢)
 وَعَاثِرْنَا لَأَقَى الْجَمَامَ بِنَفْسِهِ لَمَّا نَالَهُ فِي اللَّهِ لَا يَتَوَجَّعُ (٣)

ولما رأى رسول الله ﷺ هزيمة القوم عنه قال للعباس وكانت جهوريا صيتا اصعد هذا الغرب^(١) فناد يا معشر المهاجرين والانصار يا اصحاب سورة البقرة يا أهل بيعة الشجرة إلى اين تقرون هذا رسول الله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا ليك ليك وتبادر الانصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله ﷺ الآن حمي الوطيس «انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب» ونزل النصر من عند الله تعالى وانهمزت هوازن هزيمة قبيحة فعمروا سيفه كل وجه ولم يزل المسلمون في آثارهم ومر مالک بن عوف فدخل حصن الطاييف وقتل منهم زهاء مائة رجل واغتم الله المسلمين اموالهم ونساءهم وامر رسول الله بالذراري والاموال ان تحدر إلى الجمرانة وولي على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي ومضى ﷺ في أثر القوم فوافي الطاييف في طلب مالک ابن عوف فحاصر أهل الطاييف بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف وأتمى الجمرانة وقسم بها غنائم حنين واطلاس قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى إذ انهبنا إلى صاحب البغلة الشهباء يعني رسول الله فتلقتنا رجال ييض الوجوه فقالوا لنا شامت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا فكانوا اياها يعني الملائكة قال الزهري وبلغني ان شيبه بن عثمان قال استديرت رسول الله ﷺ يوم حنين وانا أريد ان اقتله بطلحة بن عثمان وعثمان ابن طلحة وكانا قد قتلنا يوم أحد فاطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت إليّ وضرب في صدري وقال أعينك بالله يا شيبه فأرعدت فراضي فنظرت اليه وهو أحب إليّ من ممحي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله وان الله اطلمك على ما في نفسي وقسم رسول الله الغنائم بالجمرانة وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاة ما لا يدري عدته قال ابو سعيد الخدري قسم رسول الله للمتألفين من قريش من سائر العرب ما قسم ولم يكن في الانصار منها شيء قليل ولا كثير فمضى سعد بن عباد إلى رسول الله فقال يا رسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء فقال ﷺ فأين انت من ذلك يا سعد فقال ما انا إلا امرؤ من قومي فقال رسول الله فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فجمعهم فخرج رسول الله فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر الانصار اولم آتكم ضلالتنا إذ كرم الله وعالة فأغناكم الله واعداً فألف بين قلوبكم قالوا بلى يا رسول الله ثم قال ألا تجيبوني يا معشر الانصار فقالوا وما تقول وبماذا نجيبك المنّ لله ولرسوله فقال رسول الله أما والله لو شئتم لقتلتم فصدقتم جئنا طريداً فأوبناك وعائلاً فأسيناك وخائفاً فأمناك ومخذولاً فنصرناك فقالوا المنّ لله ولرسوله فقال رسول الله وجدتم سيفي انفسكم يا معشر الانصار في لعاة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الاسلام أفلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس إلى رحالم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالمكم فولذي نفسي بيده لو ان الناس سلكوا شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحام وقالوا رضينا بالله ورسوله فقامت تفرقوا وقال انس بن مالك وكان رسول الله ﷺ امر منادياً فنادى يوم اوطاس ألا لاتوطأ الجبال حتى يضعن ولا غير الجبال حتى يستبرأن بحجزة ثم اقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله ﷺ بالجمرانة مسلمين فقام خطيبهم وقال يا رسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضك اللاتي كن يكفلنك فلو اناملكننا ابن ابي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابتنا منها مثل الذي أصابتنا منك رجونا عائدتها وعطفها وانت خير

(١) اقشعوا اي تفرقوا . (٢) اي اضرب ضربة اخرى يرجع القوم على اديارهم . (٣) الحمام : الموت .

(٤) الضرب: التل الصغير . (٥) اللعاة : نقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا و نعيمها .

(٦) و ابن أبي شمر هو الحادث بن أبي شمر الغساني ملك الشام من العرب والنعمان بن منذر ملك العراق من ال

الكفولين ثم اشد اياتنا فقال ﷺ أي الأسمين أحب اليكم السي او الاموال قالوا يا رسول الله خيرتنا بين الحسب وبين الاموال والحسب أحب الينا ولا يتكلم في شاة ولا بعير فقال رسول الله ﷺ اما الذي لبني هاشم فهو لكم وصوفأ كل لكم المسلمين واشفع لكم فكلموهم واظهروا إسلامكم فلما صلى رسول الله ﷺ الهجرة قاموا فكلّموا فقال النبي ﷺ قد زددت الذي لبني هاشم والذي بيدي عليهم فمن أحب منكم أن يعطي غير مكره فليعمل ومن كره أن يعطي فليأخذ الفداء وعلي فداؤهم فأعطى الناس ما كان بأيديهم منهم إلا قليلا من الناس سألو الفداء وارسل رسول الله ﷺ إلى مالك بن عوف وقال إن جئتني مسلما رددت اليك أهلك ومالك وملك عندي مائة ناقة فخرج اليه من الطائف فرد عليه أهله وماله واعطاء مائة من الإبل واستعمله على من اسلم من قومه قوله تعالى (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن السميع انجاس على الجمع وفي مصحف عبد الله بن مسعود وإن خفتم عائلة

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني هذا من المصادر التي جاءت على فاعلة كالمأقبة والمافية واللاغية

﴿ اللفظة ﴾

كل مستقذر نجس يقال رجل نجس وامرأة نجس وقوم نجس لأنه مصدر وإذا استعملت هذه اللفظة مع الرجس قيل رجس نجس بكسر النون والعيلة الفقر تقول عال يعيل إذا افتقر قال الشاعر
وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ
وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعْجَلُ

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم النهي عن ولاية المشركين أزال سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام وحظر عليهم دخوله فقال (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) معناه ان الكافر ينجس (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) أي فامنعوا عن المسجد الحرام قيل المراد به منعهم من دخول الحرم عن عطا قال والحرم كله مسجد وقبلة والعام الذي اشار اليه هو سنة تسع الذي نادى فيه علي (ع) بالبراءة وقال لا يجتنب بعد هذا العام مشرك وقيل المراد به منعهم من دخول المسجد الحرام على طريق الولاية للموسم والعمرة وقيل منعوا من الدخول أصلاً في المسجد ومنعوا من حضور الموسم ودخول الحرم عن الجبائي واختلف في نجاسة الكافر فقال قوم من الفقهاء ان الكافر نجس العين وظاهر الآية يدل على ذلك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كتب امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيهم قول الله تعالى إنما المشركون نجس الآية وعن الحسن قال لا تصالحوا المشركين فن صالحهم فليتوضأ وهذا يوافق ما ذهب اليه اصحابنا من ان من صالح الكافر ويده رطبة وجب ان ينسل يده وان كانت ايديها يابستين مسحها بالحنط وقال آخرون انما سأم الله نجساً لخبث اعتقادهم وافضالهم واقوالهم واجازوا للذي دخول المساجد قالوا انما يمنعون من دخول مكة للحج قال قتادة سأم نجساً لانهم يمينون ولا يفتسلون ويحدثون ولا يتوضئون فمنعوا من دخول المسجد لأن الجنب لا يجوز له دخول المسجد (وان خفتم عيلة) اي قرا وحاجة وكانوا قد خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين عن دخول الحرم (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) اي فسوف يغنيكم الله من جهة أخرى ان شاء ان

يفنيكم بأن يرغب الناس من أهل الآفاق في حل الميرة اليكم رحمة منه ونعمة عليكم قال مقاتل اسلم أهل نجد وصنعاء وجرش من اليمن وحملوا الطعام إلى مكة على ظهور الإبل والدواب وكفاهم الله تعالى ما كانوا يتخوفون وقيل معناه يفنيكم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب وقيل بالمطر والنبات وقيل بإباحة الغنائم وإذا سئل عن معنى المشيئة في قوله ان شاء فالتقول فيه ان الله تعالى قد علم ان منهم من يبقى الى وقت فتح البلاد واغتنام اموال الكاسرة فيستغني ومنهم من لا يبقى الى ذلك الوقت فهذا علّقه بالمشيئة وقيل إنما علّقه بالمشيئة ليرغب الإنسان إلى الله تعالى في طلب الغنى منه وليعلم ان الغنى لا يكون بالاجتهاد (ان الله عليم بالمصالح وتدبير العباد وبكل شيء حكيم) فيما يأمر وينهى

قوله تعالى (٢٩) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (آية)

❖ اللغة ❖

الدين في الأصل الطاعة قال زهير

لَنْ حَلَلْتَ يَجُوزَ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتَ بَيْنَنَا فَدَكَ (١)

والجزية فعلة من جرى يجرى مثل الصدّة والجلسة وهي عطية مخصوصة جزاء لهم على تمسكهم بالكفر عقوبة لهم عن علي بن عيسى والصفار الذل والنكال الذي يصغر قدر صاحبه يقال صغر بصغر صفاراً فهو صاغر

❖ الإعراب ❖

عن يد في موضع نصب على الحال أي تقدماً كما يقال باعه يداً بيد

❖ التزويل ❖

قيل هذه الآية نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بحرب الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك عن مجاهد وقيل هي على العموم

❖ المعنى ❖

ثم بين الله سبحانه ان من الكفار من يجوز تبيته بالجزية فقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعني الذين لا يعترفون بتوحيد الله ولا يقرؤون بالبعث والنشور وهذا يدل على صحة ما يذهب اصحابنا اليه من انه لا يجوز ان يكون في جملة الكفار من هو عارف بالله وان اقر باللسان وانما يكونون معتقدين لذلك اعتقاداً ليس بعلم لأنه صريح في ان أهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن قال انه يجوز ان يكونوا عارفين بالله قال ان الآية خرجت مخرج الذم لهم لأنهم بمنزلة من لا يقرب في عظم الجرم قال الجبائي لأنهم يضيغون اليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه وإنما جمعت هذه الأوصاف لهم ولم يذكرها بالكفار من أهل الكتاب التحريض على قتالهم لما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) موسى وعيسى عليهما السلام من كتاب نمت محمد ﷺ وقيل يعني ما حرمه محمد ﷺ (ولا يدينون دين الحق) وقيل الحق

(١) الجو: الأرض المطمئنة. واسم اليامة وجواب الشرط في قوله «لكن جللت ٥١» في شعر بعده وهو: «ليأتينك منى منطلق قدع ❖ باق كما درس القطبية الودك» و منطلق قدع: فاحش.

هنا هو الله تعالى أي دين الله والعمل بما في التوراة من اتباع نبينا عليه السلام وقيل الحق هو الله ودينه الإسلام عن قتادة وقيل مناه ولا يطعمون الله طاعة أهل الإسلام عن أبي عبيدة وقيل مناه لا يعترفون بالإسلام الذي هو الدين الحق (من الذين اتوا الكتاب) وصف الذين ذكروهم بأنهم من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وقال أصحابنا إن المجوس حكمهم حكم اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) أي تقدماً من يده إلى يد من يدفعه إليه من غير نائب كما يقال كلمته فمأ بقم وقيل معناه عن قدرة لكم عليهم وقهر لهم كما يقال كان اليد لفلان وقيل يد لكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم (وم صاغرون) أي ذليلون مقهورون يجرون إلى الموضع الذي يقبض منهم فيه بالمنف حتى يؤدوها وقيل هو أن يعطوا الجزية قائمين والآخذ جالس عن عكرمة

قوله تعالى (٣٠) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣١) اتَّخَذُوا أُخْبَارَهُمْ زُرْهَاتٍ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم والكسائي ومقبوب وسهل عزيز منوناً والباقون عزيز ابن الله بغير تنوين وقرأ عاصم وحده بضاهئون بالهمزة وقرأ الباقون بضاهون بغير الهمزة

﴿ اللمحة ﴾

قال أبو علي من نون عزيزاً جعله مبتدأ وجعل ابناً خبره وإذا كان كذلك فلا بد من إثبات التنوين في حال السعة والاختيار لأن عزيزاً ونحوه ينصرف عجباً كان أو عريياً وأما من حذف التنوين فإنه حذفه على وجهين * أحدهما * أنه جعل الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد كما جعلهما كذلك في قوله لا رجل ظريف وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين كما يحرك في زيد المائل لأن الساكنين كأنهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة فحذف الأول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال ولا يجوز إثبات التنوين في هذا الباب إذا كان صفة وان كان الأصل لأنهم جملوه من الأصول المرفوضة كذا ان اظهار الأول من المثليين في نحو ظنوا لا يجوز في الكلام فإذا كانا بمنزلة اسم مفرد والمفرد لا يكون جملة مستقلة بنفسها مفيدة في هذا النحو فلا بد من ضمير جزء آخر يقدر انضمامه إليه ليتم جملة ويجعل الظاهر اما مبتدأ او خبر مبتدأ فيكون التقدير صاحبنا أو نبيينا أو نبينا عزيز ابن الله ان قدرت المضر المبتدأ وان قدرت بمكس ذلك جاز فهذا أحد الوجهين والوجه الآخر ان لا تجعلها اسماً واحداً ولكن يجعل الأول من الاسمين المبتدأ والآخر الخبر فيكون المعنى فيه على هذا كالمعنى في إثبات التنوين وتكون القراءة متفتحة الا انك حذف التنوين لالتقاء الساكنين وعلى هذا ما روي من قراءة بعضهم أحد الله الصمد فحذف التنوين لالتقاء الساكنين وقد جاء ذلك في الشعر كثيراً قال الشاعر

حميد الذي أمج دارة
أخو الحمير ذو الشيب الأصلع (١)

(١) قاله حميد الأحمدي وقيل «شربت الدمام فلم أقلع به و عوتبت فيها فلم اسع» و أمج : موضع بين مكة والدينة .

وقال «وَحَاتِمُ الطَّائِمِيِّ وَهَابُ المِثِيِّ»^(١) فاما يضاهاون فقد قال الزجاج اصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمزة واشتقاقه من قولهم امرأة ضهبا وهي التي لا يثبت لها ثدي وقبل هي التي لا تحيض ومعناها انها قد اشبهت الرجال في انه لا ثدي لها وكذلك اذالم تحض وضمياء فلاء الهمزة زائدة كما زيدت في شمال وغرقى البيض ولا نعلم الهمزة زيدت غير اول الا في هذه الاشياء ويجوز ان يكون كقبلا وان كانت بنية ليس لها في الكلام نظير قال ابو علي ليس قوله يضاهاون من امرأة ضهبا لأن هذه الهمزة زائدة غير اصلية وليس بفعل لأنه لو كان اياه لكان مكسور الصدر وإنما ادخله في هذا ما رامه من اشتقاق يضاهاون وقد يجوز ان تجيء الكلمة من غير مشتقة وذلك اكثر من ان يحصى

✽ اللغة ✽

الحبر العالم الذي صنعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها وهو الحبر والجبر بفتح الحاء وكسرها والرهبان جمع الراهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه لباس الخشية وقد كثر استعماله على متنسكي النصارى

✽ المعنى ✽

ثم حكى الله سبحانه عن اليهود والنصارى اقوالهم الشنيعة فقال (وقالت اليهود عزير ابن الله) وقال ابن عباس القائل لذلك جماعة منهم جاؤا الى النبي ﷺ منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الضيف فقالوا ذلك قيل وإنما قال ذلك جماعة منهم من قبل وقد اتقروا وان عزيرا املى التوراة من ظهر قلبه وقد علمه جبرائيل (ع) فقالوا انه ابن الله الا ان الله تعالى اضاف ذلك الى جميعهم وان كانوا لا يقولون ذلك اليوم كما يقال ان الخوارج يقولون بتعذيب اطفال المشركين وإنما يقوله الازارقة منهم خاصة ويدل على ان هذا مذهب اليهود انهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول ﷺ (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواهم) معناه انهم اخترعوا ذلك القول بافواهم لم يأتهم به كتاب ولا رسول وليس عليه حجة ولا برهان ولا له صحة وقيل انه لم يذكر القول مقرونا بالافواه الا اذا كان ذلك القول زورا كقوله يقولون بافواهم مالميس في قلوبهم (يضاهاون) يشابهون عن ابن عباس وقيل هو اقوتون عن الحسن (قول الذين كفروا) يعني عباد الاوثان في عبادتهم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى عن ابن عباس ومجاهد والفراء وقيل في عبادتهم الملائكة وقولهم انهم بنات الله (من قبل) اي ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله عن قتادة والسدي وقيل شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم الكافرة عن الحسن (قاتلهم الله) اي لعنهم الله عن ابن عباس قال ابن الانباري المقاتلة اصلها من القتل فاذا اخبر عن الله بها كانت بمعنى اللعنة لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك (اتي يوفكوك) اي كيف يصرفون عن الحق الى الايفك الذي هو الكذب فكانه قال لأي داع مالوا الى ذلك القول (اتخذوا احبارهم) اي علماءهم (ورهبانهم) اي عبادهم (اربابا من دون الله) روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انها قالا اما والله ما صاموا ولا صلوا ولكنهم احلوا لهم حراما وحرّموا عليهم حلالا فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون وروى الثعلبي باسناده عن عدي بن حاتم قال اتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرأ من

(١) و قبله « حيدة خالى و لقيط و على » . قائلته امرأة من بني عقيل تفخر بأخوالها من اليمن . (٢) قال الجوهري : الا زارقة : صنف من الخوارج تنسب الى نافع بن الازرق .

سورة البراءة هذه الآية اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا حتى فرغ منها فقلت له انا لسنا نبيدهم فقال ليس يحرمون ما احل الله فحرمونه ويحلون ما حرم الله فستحلونه قال فقلت بلى قال فذلك عبادتهم (والمسيح ابن مريم ابي اتخذوا المسيح ابا من دون الله) وما امروا الا ليعبدوا لها واحدا) أي معبودا واحدا هو الله تعالى (لا اله الا هو) اي لا تحق العبادة الا له ولا يستحق العبادة سواه (سبحانه) تنزيها له (عما يشركون) اي عن شركهم وعما يقولونه وعما لا يليق به

قوله تعالى (٣٢) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٣) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (آيتان)

✽ اللفظة ✽

الاطفاء اذهاب نور النار ثم استعمل في اذهاب كل نور والأفواه جمع فم وأصله فوه فحذفت الهاء وابدلت من الواو ميم لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشا بكل لها والاباء الامتناع مما طلب من المعنى قال الشاعر « وإن أرادوا ظلمنا أيننا » أي منعنا من الظلم

✽ الإعراب ✽

قوله إلا ان يتم نوره انما دخلت إلا لأن في آية ضرباً من الجحد تقول آيت ان أفعل كذا فيكون معناه لم أفعل كذا قال الشاعر

وهل لي أم غيرها إن تركتها أبي الله إلا أن أكون لها ابناً

قال الزجاج في الآية حذف تقديره بأبي الله كل شيء إلا إتمام نوره قال ولا يكون الإيجاب جحداً ولو جاز ذلك على ان يكون فيه طرف من الجحد لجاز كرهت إلا أخاك مثل آيت إلا ان آيت الحذف مستعمل معها

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم (يريدون أن يطفئوا نور الله) وهو القرآن والإسلام عن أكثر المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لأنها يهتدى بها كما يهتدى بالنوار عن الجبائي قال ولما سمى سبحانه الحجج والبراهين أنواراً سمى معارضتهم لذلك اطفاء ثم قال (بأفواههم) لأن الاطفاء يكون بالأفواه، هو النفع وهذا من عجب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم لأن التهم يوثق في الأنوار الضعيفة دون الأقباس العظيمة (وبأبي الله إلا أن يتم نوره) معناه ويمنع الله إلا أن يظهر أمر القرآن وأسر الإسلام وحجته على التمام وأصل الاباء المنع والامتناع دون الكراهية على ما ادعته المجرة ولهذا تقول العرب فلان بأبي الضيم وهو ابي الضيم ولا مدحة في كراهية الضيم لأنه يستوي فيه القوي والضعيف وإنما المدحة في الامتناع او المنع منه (ولو كره الكافرون) أي على كره من الكافرين (هو الذي أرسل رسوله) محمداً وحمله الرسالات التي يؤدبها إلى امته (بالهدى) أي بالحجج والبيئات والدلائل والبراهين (ودين الحق) وهو الإسلام وما تضمنته من الشرائع التي يستحق عليها الجزاء بالثواب وكل دين سواه باطل يستحق به العقاب (ليظهره على الدين كله) معناه ليعطي دين الإسلام على جميع الأديان بالحجة والعلية والقهر لما حتى لا يبقى على وجه الأرض دين إلا مقلوباً ولا يقلب احد أهل الإسلام بالحجة وهم يظنون أهل سائر الأديان بالحجة واما الظهور بالعلية فهو ان كل طائفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية من نواحي أهل الشرك ولحقهم قهر من جهتهم وقيل

أراد عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى أهل دين إلا أسلم أو أدت الجزية عن الضحاك وقال ابو جعفر (ع) ان ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد فلا يبقى أحد إلا أقر بمحمد وهو قول السدي وقال الكافي لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك وقال المقداد بن الاسود سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام اما عزير واما بذل ذليل اما يعزّم فيجعلهم الله من اهله فيمزوا به واما يذلم فيدينون له وقيل ان الماء في ليظهره عائدة إلى الرسول ﷺ اي ليعلمه الله الأديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها عن ابن عباس (ولو كره المشركون) أي وان كرهوا هذا الدين فإن الله يظهره رغماً لهم

قوله تعالى (٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٥) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (آيتان)

✽ اللفظة ✽

الكنز في الأصل هو الشيء الذي جمع بعضه الى بعض ويقال للشيء المجتمع مكنته وناقته كنباز اللحم مجتمعة قال تقطوبه سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى وسميت الفضة فضة لأنها تنفض اي تنفرد فلا تبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فناهما والاحياء جعل الشيء حاراً في الاحساس وهو فوق الاسخان وضده التبريد يقال حمى يحمي حمى واحماه غيره والكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن

✽ الاعراب ✽

الذين يكتزون موضعه نصب لأنه معطوف على اسم إن ويكون المعنى وان الذين يكتزون الذهب والفضة ولا يأكلونها ويجوز أن يكون رفعا على الاستئناف وذكر في قوله ولا ينفقونها وجوه ✽ احدها ✽ انه اراد لا ينفقون الكنوز فرجع الضمير الى ما دل عليه الكلام ✽ والثاني ✽ انه لما ذكر الذهب والفضة دل على الأموال فكأنه قال ولا ينفقون الأموال ✽ والثالث ✽ أن الذهب موث وث هو جمع واحده ذبه وهذا الجمع الذي ليس بينه وبين واحده إلا الهاء يذكّر ويؤنث ثم لما اجتمعا في التأنيث وكان كل واحد منهما يؤخذ عن صاحبه في الزكاة على قول جمهور العلماء جعلهما كالشيء الواحد ورد الضمير اليهما بلفظ التأنيث ✽ والرابع ✽ انه اكتفي باحدهما عن الآخر للإيجاز ورد الضمير الى الفضة لأنها اقرب اليه كما قال حسان

ان شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا (١)
وقدم ذكر امثاله فيما مضى

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حال الاحبار والرهبان فقال (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل) أي يأخذون الرشى على الحكم عن الحسن والجبائي واكل المال بالباطل تملكه من الجهات التي يحرم منها اخذه الا انه لما كان معظم التصرف والتملك للأكل وضع الأكل موضع ذلك وقيل إن معناه يأكلون متاع اموال الناس من الطعام فكأنهم يأكلون الاموال لأنها ثمن الأكل كما قال الشاعر

ذرا الا كيلين الماء لوما فما أرى يتألون خيرا بعد اكيلهم الماء

(١) شرح الشبث: أوله وقوته ونضارته ، وقوله ما لم يعاص أي ما لم يعص .

أي ثمن الماء (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون غيرهم عن اتباع الإسلام الذي هو سبيل الله التي دعاهم إلى سلوكها وعن اتباع محمد ﷺ (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) أي يجمعون المال ولا يؤدون زكاته فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال كل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً وكل مال أدت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً في الأرض وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والسدي قال الحياثي وهو إجماع وروي عن علي عليه السلام ما زاد على أربعة آلاف فهو كنز أدنى زكاته أو لم يؤد مادونها فهو نفقة وتقدير الآية والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله و يكنزون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فحذف المعطوف من الأول لدلالة الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني لدلالة الأول عليه في قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وتقديره والذاكرات الله وأكثر المفسرين على أن قوله والذين يكنزون على الاستئناف وإن المراد بذلك ما نوا الزكاة من هذه الأمة وقيل أنه معطوف على ما قبله والأولى أن يكون محمولاً على العموم في الفريقين (فبشروهم بمذاب اليم) أي أخبرهم بمذاب موجه وروى سالم بن أبي الجعدان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال تباً للذهب تباً للفضة يكررها ثلاثاً فشق ذلك على أصحابه فسأله عمر فقال يا رسول الله أي المال تتخذ فقال لساناً ذا كراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه (يوم يحمى عليها في نار جهنم) أي يوقد على الكنوز أو على الذهب والفضة في نار جهنم حتى تصير ناراً (فتكوى بها) أي بتلك الكنوز المحماة والأموال التي منعوا حق الله فيها بأعيانها (جياهم وجنوبهم وظهورهم) وإنما خص هذه الأعضاء لأنها معظم البدن وكان أبو ذر القاري يقول بشر الكاذبين بكفي في الجباه وكفي في الجنوب وكفي في الظهر حتى يلتقي الحر في أجوافهم وفي هذا المعنى الذي أشار إليه أبو ذر خصت هذه المواضع بالكفي لأن داخلها جوف بخلاف اليد والرجل وقيل إنما خصت هذه المواضع بالعذاب لأن الجبهة محل الوسم لظهورها والجنب محل الألم والظهر محل الحدود وقيل لأن الجبهة محل السجود فلم تقم فيه بحقه والجنب يقابل القلب الذي لم يخلص في معتقه والظهر يحمل الأوزار قال يحملون أوزارهم على ظهورهم عن الماوردي وقيل لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى عينيه وطوى عنه كشحته وولاه ظهره عن أبي بكر الوراق (هذا ما كنزتم لأنفسكم) أي يقال لهم في حال الكفي أوبسده هذا جزاء ما كنزتم وجمعتم المال ولم تؤدوا حق الله عنها وجملتموها ذخيرة لأنفسكم (فذوقوا ما كنزتم) أي فذوقوا العذاب بسبب ما كنزتم تكنزون أي تجمعون وتمنعون حق الله منه فحذف لدلالة الكلام عليه وقال رسول الله ﷺ ما من عبد له مال ولا يؤدي زكاته إلا جمع يوم القيامة صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى به جبهته وجنباؤه وظهره حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار أورده مسلم بن الحجاج في الصحيح وروى ثوبان عن النبي ﷺ قال من ترك كنزاً مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يتبعه ويقول وبلك ما أنت فيقول أنا كنزك الذي تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقصمها ثم يتبعه سائر جسده وروى الثعلبي بإسناده عن الأعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة فلما رأيته قد أقبلت قال هم الأخرسون ورب الكعبة هم الأخرسون ورب الكعبة قال فدخلني غم وجمعت أنفسي وقلت هذا شيء حدث في قال قلت من هم فداك أبي وأمي قال الأخرسون إلا من قال بالمال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله ومن خلفه وقليل ما هم وروى عن أبي ذر أنه قال من ترك يضاء أو حمراء كوتي به يوم القيامة

قوله تعالى (٣٦) **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا**

(١) البريبتان : نقطتان سوداوان فوق عيني الحبة .

المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ أبو جعفر اثنا عشر واحد عشر وتسعة عشر بسكون العين والباقون بفتحها

❖ الحجة ❖

الوجه في ذلك ان الاسمين لما جلا كالاسم الواحد وبني الأول منها لأنه كصدر الاسم والثاني منها لتضمنه معنى واو العطف جعل تسكين أول الثاني دليلاً على انها قد صارا كالاسم الواحد

❖ اللغة والاعراب ❖

كافة بمعنى الإحاطة مأخوذ من كافة الشيء وهي حرفه وإذا انتهى الشيء الى ذلك كفَّ عن الزيادة واصل الكف المنع ومنه المكفوف وهو المنوع البصر وكافة نصب على المصدر ولا يدخل عليها الألف واللام لأنه من المصادر التي لا تتصرف لوقوعه موقع معاً وجميعاً بمعنى المصدر الذي في موضع الحال المؤكدة فهو في لزوم التكرة نظير اجمعين في لزوم المعرفة هذا قول القراء وقال الزجاج كافة تنصب على الحال وهو مصدر على فاعله كالمافية والمافية وهو في موضع قاتلوا المشركين محيطين بهم باعتبار مقاتلتهم ولا يثنى ولا يجمع فلا يقال قاتلوهم كافات ولا كافين كما انك اذا قلت قاتلوهم عامة لم تثن ولم تجمع وكذلك خاصة هذا مذهب النحويين

❖ المعنى ❖

لما ذكر الله سبحانه وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج الزكاة وغيرها من حقوق الله منه اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن مثل حاله وهو الظلم في الاشهر الحرم الذي يؤدي الى مثل حاله او شر منه في المنقلب فقال (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) اي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهرا وإنما تعبد الله المسلمين ان يجعلوا سنينهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب والشهر مأخوذ من شهرة الأمر لحاجة الناس اليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحججهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله (في كتاب الله) معناه فيما كتب الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على انبيائه وقيل في القرآن وقيل في حكمه وقضائه عن ابي مسلم وقوله (يوم خلق السماوات والأرض) متصل بقوله عند الله والعامل فيها الاستقرار وإنما قال ذلك لأنه يوم خلق السماوات والأرض أجرى فيها الشمس والقمر وبمسيرها تكون الشهور والأيام وبما تعرف الشهور (منها أربعة حرم) اي من هذه الاثني عشر شهراً أربعة اشهر حرم ثلاثة منها سرد ذو القعدة وذو الحجة والحرم وواحد فردوهو رجب ومعنى حرم انه يعظم انتهاك المحارم فيها أكثر مما يعظم في غيرها وكانت العرب تعظمها حتى لو ان رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها وإنما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها ولأنه ربما أدى ذلك الى ترك الظلم أصلاً لانطفاء النائرة وانكسار الحمية في تلك المدة فإن الأشياء تجرّ الى اشكالها وشهور السنة المحرم سمي بذلك لتحریم القتال فيه وصفر سمي بذلك لأن مكة تصفر من الناس فيه اي تخلو وقيل لأنه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم وقال ابو عبيدة سمي بذلك لأنه صفرت فيه اوطابهم عن اللبن وشهرا ربيع سمي بذلك لانبات الأرض وإصراعها فيها وقيل لارتباع القوم اي إقامتهم وجماديان سمي بذلك لجمود الماء فيها ورجب سمي بذلك لأنهم كانوا يرجبونه اي يعظمونه يقال رجبته ورجبته بالتخفيف والتشديد قال الكميت

وَلَا غَيْرَهُمْ أَبْنِي لِنَفْسِي جَنَّةً
وَلَا غَيْرَهُمْ مِنْ أَجَلٍ وَأَرْجَبُ

وقيل سمي بذلك لترك القتال فيه من قولهم رجل ارجب إذا كان أقطع لا يمكنه العمل وروي عن النبي

ﷺ انه قال ان في الجنة نهرًا يقال له رجب ماؤه أشدّ بياضًا من الثلج وأحلى من العسل من صام يومًا من رجب شرب منه وشعبان سمي بذلك لتشعب القبائل فيه عن أبي عمرو وروى زياد بن ميمون ان النبي ﷺ قال إنما سمي شعبان لأنه يشعب فيه خير كثير لرمضان وشهر رمضان سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب وقيل سمي بذلك لشدة الحر وقيل ان رمضان من اسماء الله وشوال سمي بذلك لأن القبائل كانت تشول فيه أي تبرح عن أمكنتها وقيل لشولان النوق اذ نابها فيه وذو القعدة سمي بذلك لعودهم فيه عن القتال وذو الحجة لقضاء الحج فيه (ذلك الدين القيم) أي ذلك الحساب المستقيم الصحيح لاما كانت العرب تفعله من النسي ومنه قوله الكيس من دان نفسه أي حاسبها وسمي الحساب دينا لوجوب الدوام عليه ولزومه كلزوم الدين والعبادة وقيل معناه ذلك القضاء المستقيم الحق عن الكلبي وقيل معناه ذلك الدين تعبد به فهو اللازم (فلا تظلموا فيهن) أي في هذه الشهور كلها عن ابن عباس وقيل في هذه الأشهر الحرم الأربعة عن قتادة واختاره الفراء قال لأنه لو أراد الأثني عشر شهرًا لقال فيها (اتقسكم) بترك أوامر الله وارتكاب نواهيه وإذا عاد الضمير إلى جميع الشهور فإنه يكون نهيًا عن الظلم في جميع العمر وإذا عاد إلى الأشهر الحرم فمائدة التخصيص ان الطاعة فيها أعظم ثوابا والمعصية أعظم عقابا وذلك حكم الله في جميع الاوقات الشريفة والباق المقدسة (وقاتلوا المشركين كافة) أي قاتلوهم جميعًا مؤتلفين غير مختلفين (كما يقاتلونكم كافة) أي جميعًا كذلك فتكون كافة حالًا عن المسلمين ويجوز ان تكون حالًا من المشركين أي قاتلوا المشركين جميعًا ولا تمسكوا منهم بمهد ولا ذمة إلا من كان من أهل الجزية واعطاها عن صغار والظاهر هو الأول وقيل معناه قاتلوهم خلفًا بعد سلف كما انه يخلف بعضهم بعضًا في قتالكم عن الأمام (واعلموا ان الله مع المتقين) بالنصرة والولاية وفي هذه الآية دلالة على أن الاعتبار في الستين بالشهور القمرية لا بالشمسية والاحكام الشرعية معلقة بها وذلك لما علم الله سبحانه فيه من المصلحة ولسهولة معرفة ذلك على الخاص والعام

قوله تعالى (٣٧) إِنَّمَا النَّسِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر النسي بالتشديد من غير همز وقرأ جعفر بن محمد عليهما السلام والزهرية النسي مخففاً في وزن الهدى بغير همز وروى مثل ذلك ابضا عن شبل عن ابن كثير والباقون النسي بالمد والهمز وقرأ بضل بضم الياء وفتح الضاد اهل الكوفة غير أبي بكر وقرأ بضل بضم الياء وكسر الضاد أقوية من طريق ابن مقسم عن أبي عمرو وروى عن يعقوب والباقون بضل بفتح الياء وكسر الضاد

— الحجة —

قال أبو علي النسي مصدر كالنذير والنكير وعذير الحي ولا يجوز ان يكون فعيلًا بمعنى مفعول كما قاله بعض الناس لأنه ان حمل على ذلك كان معناه إنما المؤخر زيادة في الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة في الكفر وإنما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر ليست له تلك الحرمة فأما نفس الشهر فلا وأما ما روي من النسي بالياء فذلك يكون على ابدال الياء من الهمزة ولا اعلمها لفة في التأخير كما ان ارجيت لفة في ارجأت وما روي من النسي بتشديد الياء فعلى تخفيف الهمزة وليس هذا القلب مثل القلب في النسي بالياء لأن النسي بتشديد الياء على وزن فعيل تخفيف قياسي كما ان مقروءة في مقروءة تخفيف قياسي وليس

النسي كذلك وذكر ابن حني فيه ثلاثة أوجه **﴿أحدها﴾** ان يكون اراد النسي ثم حثفت بأن أبدلت الممزة ياء كما قال الشاعر «هي التراب قوقه أهبايا» أراد أهبايا **﴿والثاني﴾** ان يكون فعلا من نسي لأن النسي إذا نحر فكأنه نسي **﴿والثالث﴾** وفيه الصيغة ان يكون اراد النسي على بصيرته ثم خفف وادغم فصار النسي ثم قصر فصيلا بحذف يائه فصار نسي ثم اسكن عين فعل فصار نسي كما قيل في سميح سمح وفي رطيب رطب وفي جديب جديب فأما قوله بضل فليس في بضل اشكال ولا في بضل لأن المضل لغيره ضال فعله اضلال غيره فأما بضل فالمنى فيه ان كبراهم واشرافهم بضلونهم بضمهم على هذا التأخير في الشهور ونرى في الشواذ بضل بفتح الياء والضاد وهذه لغة اعني ضللت أضل

﴿ اللغة ﴾

قال ابو زيد نأت الاوبل في ظمئها يوما او يومين او اكثر من ذلك والمصدر النسي يقال نأت الاوبل عن الحوض انساها نساء اذا خرت عاتقه والمواطاة المواطاة يقال واطأ في الشعر اذا قال يتبين على قافية واحدة وأوطأ مثله

- المعنى -

لما قدم سبحانه ذكر السنة والشهر عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسي فقال (أما النسي زيادة في الكفر) يعني تأخير الاشهر الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الاربعة وذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم واسماعيل وهم كانوا اصحاب غارات وحروب فرجما كان يشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية لا يفترون فيها فكانوا يؤخرون تحريم الحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمانا ثم يزول التحريم إلى المعزم ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة قال ابن عباس ومعنى قوله زيادة في الكفر انهم كانوا أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله قال الفراء والذي كان يقوم به رجل من كنانة يقال له نسي بن ثعلبة وكان رئيس الموسم فيقول انا الذي لا اعاب ولا أخاب ولا يردني قضاء فيقولون نعم صدقت الساشهرا او آخر عنا حرمة الحرم واجعلها في صفر وأحل الحرم فيفعل ذلك والذي كان ينساها حين جاء الإسلام جنادة بن عوف بن أمية الكنتاني قال ابن عباس وأول من سن النسي عمرو بن لحي بن قمنة بن شندف وقال ابو مسلم بن اسلم بل رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان يقول اني قد نأت المحرم العام وهما العام صفران فاذا كان العام القابل قضينا فجملائها محرمين قال شاعرهم «ومنا ناسي الشهر القلمس» وقال الكمي

وَفَحْنُ النَّاسِئُونَ عَلَى مَعْتَرٍ شُهُورَ الْحَلْلِ نَجْمَلَهَا حَرَامًا

وقال مجاهد كان المشركون يحجّون في كل شهر عامين فحجّوا في ذي الحجة عامين ثم حجّوا في المعزم عامين ثم حجّوا في صفر عامين وكذلك في الشهور سقى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حجّ النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع فوافقت في ذي الحجة فذلك حين قال النبي ﷺ وذكر في خطبته إلا وإن الزمان قد استدار كهيئت يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أراد عليه السلام الاشهر الحرم رجعت إلى مواضعها وعاد الحج إلى ذي الحجة وبطل النسي (بضل به الذين كفروا) اي بضل بهذا النسي الذين كفروا ومن قرأ بضم الباء فمناه بضلون به غيرهم واضلالهم انهم فعلوا ذلك ليحللوا للناس الاشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها ووجب الحج في بعضها فيستحلون ترك الحج في الوقت الذي هو واجب فيه ويوجبونه في الوقت الذي لا يجب فيه وجوزوا ذلك عليهم حتى حلوا باتباعهم (يحلونه عاما ويمرّمونه عاما) اي يجعلون الشهر الحرام حلالا اذا احتاجوا الى القتال فيه ويجعلون الشهر الحلال حراما ويقولون شهر بشهر وإذا لم يحتاجوا إلى القتال لم يضلوا ذلك (ليواطئوا عدا ما حرم الله) معناه انهم لم يحلوا شهرا من الحرم إلا حرموا مكانه شهرا من الحلال

ولم يجرّموا شهراً من الحلال إلا أحلّوا مكانه شهراً من الحرم ليكون موافقه في العدد وذلك الموافقة (زين لهم سوء أعمالهم) اي زينت لهم انفسهم او زين لهم الشيطان سوء أعمالهم عن الحسن وقيل معناه استحسنوا ذلك بهوهم (والله لا يهدي القوم الكافرين) مرّة تفسيره

قوله تعالى (٣٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّا قَلَّمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٩) إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آياتان)

❖ اللغة ❖

النفير الخروج إلى الشيء لأمر هيج عليه ومنه نفور الدابة يقال قمرت الدابة نفورا وقر إلى النفير قرا ونفيرا والتناقل تعاطي اظهار ثقل النفس ومثله النباطو وضده التسرع والمتاع الانتفاع بما يظهر للحواس ومنه قولهم تمتع بالرياض والمناظر الحسان ويقال للاشياء التي لها اثمان متاع تشبيهاً به والاستبدال جعل احد الشيئين بدل الاخر مع الطلب له

❖ الإعراب ❖

انناقلتم إفاعلتم وأصله تفاعلتم ادغمت التاء في التاء لمناسبتها لها ثم أدخلت الف الوصل ليتمكن الابتداء بها ومثله إدار كوا واتابع في قول الشاعر
تَوَلَّى الضَّجِيعَ إِذَا مَا اسْتَأَقَهَا خَصِرًا عَذَّبَ الْمَفْدُوقَ إِذَا مَا اتَّابَعَ الْقَبْلُ (١)

❖ النزول ❖

قالوا لما رجع رسول الله ﷺ من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان ادراك النار فأحبوا المقام في المسكن والمال وشق عليهم الخروج إلى القتال وكان (ع) قلماً خرج في غزوة إلا كنى عنها ووري بنبرها إلا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة العدو ليتأهب الناس فأخبرهم بالذي يريد فلما علم الله سبحانه بتناقل الناس أنزل الآية

❖ المعنى ❖

ثم عاتب سبحانه المؤمنين في التناقل عن الجهاد فقال (يا ايها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم) أي دعاكم رسول الله ﷺ وقال لكم (انفروا في سبيل الله) أي اخرجوا إلى مجاهدة المشركين وهو ههنا غزوة تبوك عن الحسن ومجاهد (انناقلتم إلى الأرض) أي تناقلتم وملتتم إلى الإقامة في الأرض التي أنتم عليها قال الجبائي هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين لأن جميعهم لم يتناقلوا عن الجهاد فهو عموم أريد به الخصوص بدليل (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) هذا استفهام يراد به الانكار ومعناه آثرتم الحياة الدنيا القانية على الحياة في الآخرة الباقية في النعيم الدائم (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) أي فما فوائد الدنيا ومقاصدها في فوائد الآخرة ومقاصدها إلا قليل لا تقطاع هذه ودوام تلك ثم عقبه سبحانه بالتهديد والوعيد فقال (ان لا تنفروا يعذبكم الله عذاباً أليماً) ومعناه ان لا تخرجوا إلى القتال الذي دعاكم إليه الرسول وتقعّدوا عنه يعذبكم الله عذاباً أليماً في الآخرة وقيل في الدنيا (ويستبدل) بكم (قوماً غيركم) لا يتخلّفون عن الجهاد وقيل هم أبناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل هم أهل اليمن عن أبي روق وقيل هم الذين أسلموا بعد نزول هذه الآية عن

(١) اوليته خير أي اعطيت . و الخصر : الباردو أراد منه ريقها . والقبل جمع القلبة .

الجبائي (ولا تضروه شيئاً) أي ولا تضربوا الله بهذا القعود شيئاً لأنه غني لنفسه لا يحتاج إلى شيء عن الحسن وابي علي وقيل معناه ولا تضربوا الرسول شيئاً لأن الله عصمه من جميع الناس وبنصره بالملائكة أو بقوم آخرين من المؤمنين (والله على كل شيء قدير) فهو القادر على الاستبدال بكم وعلى غير ذلك من الأشياء قال الزجاج وهذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد

قوله تعالى (٤٠) **إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهُ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللهِ هِيَ الْعَلِيَّا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (آية)**

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب وحده كلمة الله بالنصب والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

من نصب عطفه على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هي العليا ومن رفع استأنف وهو أبلغ لأنه يفيد ان كلمة الله هي العليا على كل حال

✽ الاعراب ✽

ثاني اثنين نصب على الحال والعرب في هذا مذهبان **✽ احدهما ✽** قولهم هذا ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع اربعة وخامس خمسة أي احد اثنين واحد ثلاثة واحد اربعة واحد خمسة **✽ والآخر ✽** قولهم ثالث اثنين وخامس اربعة بمعنى انه ثلث اثنين وخمس اربعة فالاول اضافة حقيقية محضة والثاني اضافة غير محضة اذ هو في تقدير الانفصال، إذ هما في الغار بدل من قوله إذاخرجه الذين كفروا وضع احد الزمانين في موضع الآخر لتقاربهما

— المعنى —

ثم أعلمهم الله سبحانه انهم ان تر كوا نصره رسوله لم يضروه ذلك شيئاً كما لم يضروه قلة ناصر به حين كان بمكة وهم به الكفار فنزل الله نصره فقال (الانتصروه فقد نصره الله) معناه ان لم تنصروا النبي **ﷺ** على قتال العدو فقد فعل الله به النصر (إذاخرجه الذين كفروا) من مكة فخرج يريد المدينة (ثاني اثنين) يعني انه كان هو وابو بكر (إذهما في الغار) ليس معهما ثالث أي وهو احد اثنين ومعناه فقد نصره الله منفرداً من كل شيء إلا من ابي بكر والغار الثقب العظيم في الجبل وأراد به هنا غار ثور وهو جبل بمكة (إذ يقول لصاحبه) أي إذ يقول الرسول لأبي بكر (لا تحزن) أي لا تخف (ان الله معنا) يريد انه مطلع علينا عالم بحالتنا فهو يحفظنا وينصرنا قال الزهري لما دخل رسول الله **ﷺ** وابو بكر الغار ارسل الله زوجاً من سماه حتى باضا في اسفل الثقب والعنكبوت حتى تنسج بيتاً فلما جاء مراقبة بن مالك في طلبها فرأى ييض الحمام وبيت العنكبوت قال لو دخله أحد لانكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرف وقال النبي **ﷺ** اللهم اعم ابصارهم فعميت ابصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار وقال ابو بكر لو نظرنا إلى أقدامهم لرأونا وروى علي بن ابراهيم بن هاشم قال كان رجل من خزاعة فيهم يقال له ابو كرز فا زال يقفوا اثر رسول الله **ﷺ** حتى وقف بهم باب الغار فقال لم هذه قدم محمد **ﷺ** هي والله اخت القدم التي في المقام وقال هذه قدم ابي قحافة اوابنه وقال ما جازوا هذا المكان اما ان يكونوا قد صدعوا في السماء او دخلوا في الأرض وجاء فارس من الملائكة في صورة الانس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم اطلبوه في هذه الشهاب فليس هننا وكانت العنكبوت نسجت على باب الغار وتزل رجل من قريش فبال على باب الغار فقال ابو بكر قد ابصرونا يا رسول الله فقال **ﷺ** لو ابصرونا ما استقبلونا بعوراتهم (فأنزل الله سكينته

عليه) يعني على محمد ﷺ اي التي في قلبه ما سكن به وعلم انهم غير واصلين اليه عن الزجاج (وأبدّه) أي قواه ونصره (بجنود لم تروها) أي بملائكة بضريرين وجوه الكفار وأبصارهم عن ان يروه عن الزجاج وقيل معناه قواه بملائكة يدعون الله تعالى له عن ابن عباس وقيل معناه واعانه بالملائكة يوم بدر واخير الله سبحانه انه صرف عنه كيد أعدته وهو في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر عن مجاهد والكبي وقال بعضهم يجوز ان تكون الماء التي في عليه راجعة إلى ابي بكر وهذا بعيد لأن الضائر قبل هذا وبعده تعود إلى النبي ﷺ بلا خلاف وذلك في قوله الا تنصروه فقد نصره الله وفي قوله اذ اخرجه وقوله لصاحبه وقوله فبما بعده وابدّه فكيف بتخللها ضمير عائذ الى غيره هذا وقد قال سبحانه في هذه السورة ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال في سورة الفتح فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي ﷺ في هذه الآية بالسكينة كلاماً رأينا الاصراب عن ذكره أخرى لثلاثا بنسبنا ناسب الى شيء (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) معناه ان الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة ذنية واراد به انه سفل وعيدهم للنبي ﷺ وتخويلهم اياه وأبطله بأن نصره عليهم فعبّر عن ذلك بأنه جعل كلمتهم السفلى لا انه خلق كلمتهم (وكلمة الله هي العليا) اي هي المرتفعة المنصورة بغير جعل جاعل لأنها لا يجوز ان تدعو الى خلاف الحكمة وقيل ان كلمة الكفار كلمة الشرك وكلمة الله هي كلمة التوحيد وهي قوله لا اله الا الله فمعناه جعل كلمة الكفار السفلى بأن جعلهم أدلة أسفلين واعلى كلمة الله بأن اعز الإسلام والمسلمين (والله عزيز) في انتقامه من اهل الشرك (حكيم) في تدبيره

قوله تعالى (٤١) **انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** (٤٢) **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** (٤٣) **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِنَا لِكُلِّ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَاذِبِينَ** (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

في الشواذ قراءة الاعمش لو استطعنا بضم الواو وقد مضى الكلام فيه في اوائل سورة البقرة

❖ اللفظة ❖

القاصد السهل المقصد عن غير طول لأنه ما بقصد لسهولته وسمي العدل قصداً لأنه ما ينبغي ان يقصد والشقة القطعة من الأرض التي بشق ركوبها على صاحبها لبعدها ويحتمل ان يكون من الشق الذي هو الناحية من الجبل ويحتمل ان يكون من المشقة والشقة السفر والمسافة وقربش بضمون الشين وقيس بكسر دنها وقربش بضمون العين من بعدت وقيس بكسرونها

- المعنى -

ثم امر سبحانه بالجهاد وبين تأكيد وجوبه على العباد فقال (انفروا) أي اخرجوا إلى الغزو (خفافا وثقالا) اي شبانا وشيوخاً عن الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم وقيل نشاطاً وغير نشاط عن ابن عباس وقاتدة وقيل مشاغيل وغير مشاغيل عن الحكم وقيل اغنياء وفقراء عن ابي صالح وقيل اراد بالخفاف اهل العسرة من المال وقلة العيال وبالثقال اهل اليسرة في المال وكثرة العيال عن الفراء وقيل معناه ركباناً ومشاة عن ابي عمرو وعطية العوفي وقيل ذا صنعة وغير ذي صنعة عن ابن زيد وقيل عزاباً ومتأهلين عن يمان والوجه ان يحمل على الجميع فيقال

معناه اخرجوا الى الجهاد خفّ عليكم او شقّ على أيّ حالة كنتم لأن احوال الانسان لا تخلو من أحدهذه الأشياء (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) وهذا يدلّ على ان الجهاد بالنفس والمال واجب على من استطاع بها ومن لم يستطع على الوجهين فعليه ان يجاهد بما استطاع (ذلكم خير لكم) معناه ان الخروج والجهاد بالنفس والمال خير لكم من الثناقل وترك الجهاد الى مباح (ان كنتم تعلمون) ان الله عزّ اسمه صادق في وعده ووعده وقيل معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا ان هذا خير قال السدي لما نزلت هذه الآية اشتدّ شأنها على الناس فنسخها الله تعالى بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (لو كانت عرضاً قريباً) معناه لو كان ما دعوتهم اليه غنيمة حاضرة (وسفراً قاصداً) اي قريباً هيئاً وقيل قاصداً اي ذا قصد نحو تأمرولابن عن المبرد وقيل سهلاً متوسطاً غير شاق (لا تبوءك) طبعاً في المال (ولكن بعدت عليهم الشقة) اي المسافة يعني غزوة تبوك أمروا فيها بالخروج الى الشام (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) معناه ان هؤلاء سبعتدرون اليك في قعودهم عن الجهاد ويحلفون لو استطعنا وقدرنا وتمكّنا من الخروج لخرجنا معكم ثم اخبر سبحانه انهم (يهلكون أنفسهم) بما أسروهم من الشرك وقيل باليمين الكاذبة والبذر الباطل لما يستحقون عليها من العقاب (والله يعلم انهم لكاذبون) في هذا الاعتذار والحلف وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا ﷺ اذ أخبر أنهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا وكان مخبره على ما أخبره وفيه أيضاً دلالة واضحة على أن القدرة قبل الفعل لأن هؤلاء لا يخلو اما ان يكونوا مستطيعين من الخروج قادرين عليه ولم يخرجوا أو لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا لو انهم قدروا في المستقبل لخرجوا فإن كان الأول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وان كان الثاني فقد كذبهم الله تعالى في ذلك وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك أيضاً وجوب تقدم القدرة على المقدور فإن حلوا الاستطاعة على وجود الآلة وعدة السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضرورة فإن حقيقة الاستطاعة القدرة على انه لو كان عدم الآلة والعدة عذراً في التأخر فقدم القدرة اصلاً آخرى واولى أن يكون عذراً فيه ثم خاطب النبي ﷺ بما فيه بعض العتاب في اذنه لمن استأذنه في التأخر عن الخروج معه الى تبوك فقال (عفا الله عنك لم اذنت لهم) في التخلف عنك قال قتادة وعمر بن ميمون اثنان فعلها النبي ﷺ لم يؤمر بها اذنه للمناقضين وأخذ الفداء من الاسارى فتابه الله كما تسمعون وهذا من لطيف المعاتبه بدأ بالعفو قبل العتاب وهل كان هذا الاذن قبيحاً ام لا قال الجبائي كان قبيحاً ووقع صغيراً لانه لا يقال في المباح لم فعلته وهذا غير صحيح لانه يجوز ان يقال فيما غيره افضل منه لم فعلته كما يقول القائل لغيره إذا رآه يمتاب احاً له لم عاتبته وكلمته بما يشقّ عليه وان كان يجوز له معاتبته بما يشقّ عليه وكيف يكون اذنه لهم قبيحاً وقد قال سبحانه في موضع آخر فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل معناه اذام الله لك العفو لم اذنت لهؤلاء في الخروج لأنهم استأذنوا فيه فمقلوا لو خرجوا لأرادوا الخبال والفساد ولم يعلم النبي ﷺ ذلك من سريرتهم عن ابي مسلم (حق يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) أي حتى تعرف من له العذر منهم في التخلف ومن لا عذر له فيكون اذنتك لمن اذنت له على علم قال ابن عباس وذلك ان رسول الله ﷺ لم يكن يعرف المناقضين يومئذ وقيل انه (ع) انما خيرهم بين الظلم والإقامة متوعداً لهم ولم يأذن فاعتنم القوم ذلك وفي هذا اخبار من الله سبحانه انه كان الاولى ان يلزمهم الخروج معه حتى إذا لم يخرجوا أظهر نفاقهم لأنه متى أذن لهم ثم تأخروا لم يعلم النفاق كان تأخرهم

أم لغيره وكان الذين استأذنوه منافقين ومنهم جد بن قيس ومعتب بن قشير وهما من الأنصار
قوله تعالى (٤٤) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٥) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّنْ يَتَرَدَّدُونَ (آيات)

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه حال المؤمنين والمنافقين في الاستئذان فقال (لا يستأذنك) أي لا يطلب منك الاذن
في القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة وقبل معناه لا يستأذنك في الخروج لأنه مستغن عنه بدعائك
إلى ذلك بل يتأهب له عن ابي مسلم (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم)
والمعنى في ان يجاهدوا فحذف في فافضى الفعل (والله عليم بالمتقين) قال ابن عباس هذا تعبير للمنافقين حين
استأذنوه في القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين في قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه والمعنى أنه لم يخرجهم من صفة
المتقين إلا لأنه علم انهم ليسوا منهم (إنما يستأذنك) في التأخر عن الجهاد والنخلف عن القتال معك وقبل في
الخروج لأن المناق انما يستأذنك في الخروج تلقا ولا يتأهب كما يتأهب المؤمنون عن ابي مسلم (الذين
لا يؤمنون بالله) أي لا يصدقون به (واليوم الآخر) يعني بالبعث والنشور (وارتابت قلوبهم) أي اضطربت
وشكت (فهم في ريبهم يترددون) فهم في شكهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع
مرات متقاربة مثل التحير وأراد به المنافقين أي يتوقفون الاذن لشكهم في دين الله وفي اوعدا المجاهدين ولو
انهم كانوا مخلصين لوثقوا بالنصر وبثواب الله فبادروا إلى الجهاد ولم يستأذنوك فيه

قوله تعالى (٤٦) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٧) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا إِلَّا لَكُمْ
يَغْوَنَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٨) لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ
وَقَلْبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ بَيَّأَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (ثلاث آيات)

❖ اللفظة ❖

العدة والاهبة والالة نظائر والانبات الانطلاق بسرعة في الأمر وفلان لا ينبعث في الحاجة اي
ليس له نفاذ فيها والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتهديد فيه ومثله التريث والخبال الفساد والخبال الموت
والخبال الاضطراب في الرأي والخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والخبيل فساد الأعضاء قال

أَبْنِي لِيْنِي لَسْتُمْ بِيَدِي إِلَّا يَدًا مَخْبُولَةً الْعَصْدُ (١)

والإيضاع الإسراع في السير قال امرؤ القيس

أَرَانَا مَوْضِعِينَ لِحْتَمٍ غَيْبٍ وَنَسَخَرَ بِالطَّامِ وَالشَّرَابِ (٢)

وربما قالوا للراكب وضع بنبر الف ووضعت الناقة تضع وضماً ووضوفاً ووضعتا ابيضاعاً قال

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ أَحَبَّ فِيهَا وَأَضَعُ (٣)

(١) ليني : اسم ابنة ابليس واسم ابنه لا قيس . (٢) قوله موضعين اي مسرعين و يريد بقوله لعنتم قبيح الموت .
والسحر : الفناء يقول : لسرع الى الموت و قد غيب عناوقته ونحن نلهي عنه بالطعام و الشراب
(٣) قائله دديد بن صمة قاله في قصة حنين . و الجدع : الشاب . و الضب و الوضع : ضربان من السير

خلالكم اي بينكم مشتق من التخلل وفي الحديث تراصوا بين الصفوف لا يتخللکم الشياطين كأنها بنات
حذفت^(١) والتقليب تصرف الشيئ يجعل اعلاه اسفله ورجل حوّل قلبه كأنه يقلب الآراء في الامور ويحوّلها

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين فقال (ولو ارادوا الخروج) مع النبي ﷺ نصرة له او رغبة
في جهاد الكفار كما اراد المؤمنون ذلك (لاعدوا له عدة) اي لاستعدوا للخروج عدة وهي ما يعدّ لأمر
يحدث قبل وقوعه والمراد لاخذوا اهبة الحرب من الكراع والسلاح لأن ايمارة من اراد أمراً أن يتأهب له
قبل حدوثه (ولكن كره الله انبعاثهم) معناه ولكن كره الله خروجهم الى الغزوة لعلهم انهم لو خرجوا لكانوا
يشون بالنميمة بين المسلمين وكانوا عيوناً للمشركين وكان الضرر في خروجهم اكثر من الفائدة (فتبطلهم) عن
الخروج الذي عزموا عليه لا عن الخروج الذي أمرهم به لأن الأول كفر والثاني طاعة ولا ينبغي ان
يقال كيف كره انبعاثهم بعد ما امر به في الآية الأولى لأنه انما أمر بذلك على وجه الذب عن الدين ونية
الجهاد وكره ذلك على نية التضريب والفساد فقد كره غير ما أمر به ومعنى تبطلهم بطأهم وخذلهم لما يعلم
منهم من الفساد (وقيل اقمدا مع القاعدین) اي وقيل لهم اقمدا مع النساء والصبيان ويحتمل ان يكون القائلون
لهم ذلك اصحابهم الذين نهوم عن الخروج مع النبي ﷺ للجهاد ويحتمل ان يكون ذلك من كلام النبي
ﷺ لهم على وجه التهديد والوعيد لا على وجه الاذن ويجوز ان يكون ايضا على وجه الاذن لهم
في العمود الذي عاتبه الله تعالى عليه اذ كان الأولى ان لا يأذن لهم ليظهر للناس نفاقهم قال ابو مسلم هذا
يدل على ان الاستئذان كان في الخروج وان الاذن من النبي ﷺ لهم كان في الخروج لأنه اذا كره
الله سبحانه خروجهم وأراد قعودهم واذن النبي ﷺ في قعودهم فلا عيب عليه ولكنهم استأذوا في الخروج
تلقا وارادة للفساد فأذن النبي ﷺ لهم فيه ولم يعلم ضمايرهم فعلم الله تعالى ذلك من نياتهم ومنعهم من
الخروج اذ كره خروجهم ثم بين سبحانه وجه الحكمة في كراهية انبعاثهم وتبطلهم عن الخروج فقال (لو
خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً) معناه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الجهاد ما زادوكم بخروجهم الا
شرّاً وفساداً وقيل غدرّاً ومكرّاً عن الضحاك وقيل يريد عجزاً وجبناً عن ابن عباس اي انهم كانوا يجبنونكم عن
لقاء العدو بهو يل الامر عليكم (ولا وضعوا خلالكم) اي لا سرعوا في السدخول بينكم بالتضريب والافساد
والنميمة يريد ولسموا فيما بينكم بالتفريق بين المسلمين ويكون تقديره ولاعدوا الا بل وسطكم وقيل معناه
لا وضعوا ابلهم خلالكم يتخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينها فيقول ما لا ينبغي (يبغونكم الفتنة) بعدوا الا بل
وسطكم ومعنى يبغونكم يبغون لكم اوفيكم اي يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة وقيل معناه يبغونكم
ان تكونوا مشركين والفتنة الشرك عن الحسن وقيل معناه يخوفونكم بالعدو ويخبرونكم انكم منهزمون وان
عدوكم سيظهر عليكم عن الضحاك (وفيكم ساعوت لهم) اي وفيكم عيون للمنافقين ينقلون اليهم
ما يسمعون منكم عن مجاهد وابن زيد وقيل معناه وفيكم قائلون منهم عند سماع قولهم يريد ضعفه المسلمين
عن قتادة وابن اسحاق وجماعة (والله عليم بالظالمين) أي هؤلاء المنافقين الذين ظلموا انفسهم لما أضمرنا
عليه من الفساد منهم عبد الله بن ابي وجد بن قيس واوس بن قبيط ثم اقسام الله سبحانه فقال (لقد ابتغوا
الفتنة من قبل) الفتنة اسم يقع على كل سوء وشر والمعنى لقد طلب هؤلاء المنافقون اختلاف كامتكم

(١) الحذف : الغنم الصغار العجازية .

وتشتيت اهل ايمانكم وافترق آرائكم من قبل غزوة تبوك اية في يوم أحد حين انصرف عبد الله بن ابي
 بصحابه وخذل النبي ﷺ فنصرف الله سبحانه عن المسلمين فنتهم وقيل أراد بالفتنة صرف الناس عن
 الايمان والقاء الشبهة الى ضغفاء المسلمين عن الحسن وقيل أراد بالفتنة الفتك بالنبي ﷺ في غزوة تبوك
 ليلة العقبة وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على الثنية ليفتكوا بالنبي ﷺ عن سعيد بن جبير
 وابن جريج (وقلبوا الامور) أي احتالوا في توهين أمرهم وايقاع الاختلاف بين المؤمنين وفي قتل كل
 ما امكهم فيه فلم يقدروا عليه وقيل انهم كانوا يريدون في كيدته وجها من التدبير فإذا لم يتم ذلك فيه تركوه
 وطلبوا المكيدة في غيره فهذا تليب الامور عن ابي مسلم (حتى جاء الحق) معناه حتى جاء النصر والظفر
 الذي وعده الله به (وظهر أمر الله) أي دينه وهو الاسلام على الكفار على رغبهم (وهم كارهون) أي في حال
 كراهيتهم لذلك فهي جارة في موضع الحال

قوله تعالى (٤٩) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
 بِالْكَافِرِينَ (٥٠) اِنْ نُبِصِكَ حَسَنَةٌ نَسُوهُمْ وَاِنْ نُبِصِكَ ضَلِيلَةٌ يَقُولُوا قَدْ اَخَذْنَا اَمْرًا مِّنْ قَبْلُ
 وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُوْنَ (٥١) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا اِلَّا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا اِلَّا اِحْدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ اَنْ يُصِيبَكُمْ
 اللّٰهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ اَوْ بِاَيْدِنَا فَتَرَبَّصُوا اِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ (اربع آيات)

✽ القراءة ✽

القراءة المشهورة لن يصيبنا وقرأ طلحة بن مصرف قل هل يصيبنا وكذلك هو في مصحف ابن مسعود

✽ النزول ✽

قيل ان رسول الله ﷺ لما استنفر الناس الى تبوك قال انفروا لعلكم تمنون بنات الاصفى فقام جد
 ابن قيس أخو بني سلمة بن بني الخزرج فقال يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني بينات الاصفى فاني أخاف
 ان افتن بين فقال قد اذنت لك فانزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي الآيات عن ابن عباس ومجاهد
 فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لبني سلمة من سيدكم قالوا جد بن قيس غير انه بجيلى جبان
 قال عليه السلام وأي داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد بشر بن البراء بن المعرور فقال
 في ذلك حسان بن ثابت

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْقَوْلُ لَأَحِقُّ	بِمَنْ قَالَ مِنَّا مَنْ تَعْدُونَ سِدًّا
فَقُلْنَا لَهُ جَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى الَّذِي	نُبْخَلُهُ فَبِنَا وَإِنْ كَانَ أَنْكَدَا
فَقَالَ وَآيَ الدَّاءِ أَدْوَى مِنَ الَّذِي	رَمَيْتُمْ بِهِ جَدًّا وَإِنْ كَانَ أَمَجَدَا
وَسُوْدٌ بَشْرٌ بِنِ الْبِرَاءِ يَلْجُدُهُ	وَحَقٌّ لِبَشْرِ ذِي النَّدَا أَنْ يَسُوْدَا
إِذَا مَا أَتَاهُ الْوَفْدُ أَنْهَبَ مَا لَهُ	وَقَالَ خَدُوهُ إِنَّهُ غَائِدٌ غَدَا

﴿ المعنى ﴾

(ومنهم) أي ومن المنافقين (من يقول ائذن لي) في القعود عن الجهاد (ولا تفتني) بينات الاصفى

١١، قال الجزري: وفي الحديث اخذوا قنفذ بنات الاصفى، يعني الهم لان اباهم الاول كان اصفر اللون وهو دم من يصيبون اسم من ابراهيم

عن ابن عباس ومجاهد قال الفراء سميت الروم أصغر لأن حبشيا غلب على ناحية الروم وكان له بنات قد أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكان صفر النساء وقيل معناه لا تؤثمني اي لا توقني في الاثم بالمعصيان لمخالفة أمرك بالخروج الى الجهاد وذلك غير متيسر لي عن الحسن وقسادة والجبائي والزجاج (الا في الفتنة سقطوا) معناه الا في المعصيان والكفر وقوا بمخالفتهم أمرك في الخروج والجهاد وقيل معناه لا تمذّبي بتكليف الخروج في شدة الحر الا قد سقطوا في حر أعظم من ذلك وهو حر نار جهنم عن ابي مسلم ويدل عليه قوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا (وان جهنم لمحيطه بالكافرين) اي استحيط بهم فلا مخلص لهم منها (ان تصبك حسنة تسوءهم) هذا خطاب من الله سبحانه للنبي ﷺ ومعناه ان تلك نعمة من الله وضع وغنية يحزن المناقون (وان تصبك مصيبة) معناه وان تصبك شدة ونكبة وآفة في النفس او المال (يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل) اي أخذنا حذرنا واحترزنا بالقيود من قبل هذه المصيبة عن مجاهد ومعناه أخذنا امرنا من مواضع الملكة فسلمنا مما وقوا فيه (ويتولوا وهم فرحون) اي رجعوا الى بيوتهم فرحين بما أصاب المؤمنين من الشدة (قل) يا محمد لهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) اي كل ما يصيبنا من خير او شر فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من امرنا وليس [على] ما نطقون وتوهمون من اهلنا من غير ان يرجع امرنا الى تدبير عن الحسن وقيل معناه لن يصيبنا في عاقبة امرنا الا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا وانا نظفر بالاعداء فكون النصره حسني لنا او تقتل فتكون الشهادة حسني لنا ايضا اي قد كتب الله لنا ما يصيبنا وعلما ما لنا فيه من الحظ عن الزجاج والجبائي (هو مولانا) اي هو مالكتنا ونحن عبده وقيل هو ولينا وناصرنا يحفظنا وينصرنا ويتولى حياتنا ودفع الضرر عنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) هذا امر من الله تعالى للمؤمنين بالتوكل عاياه والرضا بتدبيره وتقديره فليتوكل على الله المؤمنون (قل) يا محمد لهؤلاء المناقنين (هل تربصون بنا الا احدهم الحسين) معناه هل تنتظرون لنا الا احدي الخصميتين الحميدتين والنعمتين العظيمتين إما الغلبة والغنيمة في العاجل وإما الشهادة مع الثواب الدائم في الآجل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وهل وان كان خوف الاستفهام فعناه هنا التفرغ بالترخيص المؤدّي صاحبه الى كل ما يكرهه من خيبة وفوز خصمه ومن هلاكه ونجاة خصمه ومن شقوته وسعادة خصمه (ونحن نتربص بكم) اي ونحن نتوقع بكم (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بأيدينا) اي يوقع الله بكم عذابا من عنده يهلككم به او بان ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدينا (تربصوا) صورته صورة الأصر والمراد به التهديد كقوله اعملوا ما شئتم لأنه لو كان امرا لهم لكانوا في تربصهم بالمؤمنين القتل مطيعين الله (انا معكم متربصون) اي منتظرون إما الشهادة والجنة وإما الغنيمة والاجر لنا وإما البقاء في الذل والخزي وإما الموت او القتل مع المصير الى النار لكم وهذه الآية تفسير لقوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقيل معناه تربصوا هلاكنا فلما متربصون هلاككم وقيل تربصوا مواعيد الشيطان في باطل دين الله ونحن متربصون مواعيد الله في اظهار دينه ونصرة نبيّه واستئصال مخالفيه

قوله تعالى (٥٣) قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ

(٥٤) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ

إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٥) فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ان يقبل بالياء والباقون بالتاء

✽ الحجة ✽

وجه القراءة بالتاء ان الفعل مسند إلى موث في اللفظ ووجه الياء ان التانيث ليس بجيتي فجاز ان يذ كر كما جاء فمن جاءه موعظة

✽ اللفظة ✽

الطوع الاتقياد بإرادة لم يحمل عليها والكره فعل الشيء بكراهة حمل عليها والمنع امر يصاد الفعل وينافيه وهو على وجهين منع ان يفعل ومنع ان يفعل به فهو لاء منعوا من ان يفعل بهم قبول نفقتهم والزهق الخروج بصعوبة وأصله الهلاك وكل هالك زاهق زهق يزهق زهوقاً والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن لانه هالك ينقل بدنه في السير والكر والفر وزهق فلان بين ايدي القوم إذا ذهب سابقا لهم حتى يهلك منهم والإعجاب السرور بما ينعجب منه يقال اعجبني حديثه اي سرني

✽ الاعراب ✽

انفقوا طوعاً او كرها لفظ امر ومعناه معنى الشرط والجزاء المعنى ان انفقتم طائعين أو مكهين لن يتقبل منكم ومثله من الشعر قول كثير

أَسْبِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَأَمْلُومَةٌ لَدِينَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ (١)

فلم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها ان إساءت أو أحسنت فهو على عهدنا فكانه قال ان أحسنت أو أسأت فلا تلامي قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الأمر في معنى الخبر قيل له إذا كان في الكلام دليل عليه جاز كما يكون لفظ الخبر في معنى الأمر والدعاء كقولك غفر الله لزيد ورحم الله ومعناه اللهم اغفر له وارحمه وقوله ان تقبل في موضع نصب وتقديره من ان تقبل وانهم كفروا بالله في موضع رفع المعنى ما منهم من قبول نفقاتهم إلا كفرهم ويجوز ان يكون التقدير وما منعه الله منه إلا لأنهم كفروا

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه ان هؤلاء المنافقين لا ينفقون بما ينفقونه مع اقامتهم على الكفر فقال (قل) يا محمد هؤلاء (انفقوا طوعاً أو كرها) أي طائعين أو مكهين (لن يتقبل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين) معناه وانما لم يتقبل منكم لأنكم كنتم متمردين عن طاعة الله والله سبحانه انما يتقبل من المؤمنين المخلصين (وما منعه ان تقبل منهم نفقاتهم إلا انهم كفروا بالله ورسوله) اي وما يمنع هؤلاء المنافقين ان يثابوا على نفقاتهم الا كفرهم بالله ورسوله وذلك مما يجبط الاعمال وينع من استحقاق الثواب عليها (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) اي متثاقلين والمعنى لم يؤدوها على الوجه الذي أمروا ان يؤدوها على ذلك الوجه (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) لذلك لأنهم انما يصلون وينفقون للرياء والتستر بالإسلام لا لابتغاء مرضاة الله تعالى وفي هذا دلالة على ان الكفار مخاطبون بالشرائع لأنه سبحانه ذمهم على ترك الصلاة والزكاة ولولا وجوبها عليهم لم يذموا بتركها (فلا تمجيك

(١) القلاء: البغض . وقيل اي تبغض . وفي الشعر الثقات من الخطاب الى النبية .

أموالهم ولا أولادهم) الخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المؤمنين وقيل يريد لا تعجبك أيها السامع أي لا يأخذ بقلبك ماتراه من كثرة أموال هؤلاء المنافقين وكثرة أولادهم ولا تنظر اليهم بعين الإحجاب (انما يريد الله ان يعذبهم بها في الحياة الدنيا) قد ذكر في معناه وجوه * أحدها * ان فيه تقديما وتأخيرا أي لا يسرك أموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله يعذبهم بها في الآخرة عن ابن عباس وقسادة فيكون الظرف على هذا متعلقا بأموالهم وأولادهم ومثله قوله تعالى فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون والتقدير فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم * وثانيها * ان معناه انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا بالتشديد عليهم في التكليف وأمرهم بالإففاق في الزكاة والنزوة فيؤذونها على كره منهم ومشقة اذ لا يرجون به ثوبا في الآخرة فيكون ذلك عذابا لهم عن الحسن والبخي * وثالثها * ان معناه انما يريد الله يعذبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان المنفعة بها عن ابن زيد * ورابعها * ان معناه انما يريد الله يعذبهم بها في الدنيا أي بسبي الأولاد وغنيمية الأموال عند تمكن المؤمنين من أخذها وغنمها فيتحسرون عليها فيكون ذلك جزاء على كفرهم عن الجبائي * وخامسها * ان المراد يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها وكل هذا عذاب وكذلك خروجهم عنها بالموت لأنهم يفارقونها ولا يدرون الى ماذا يصيرون واللام في قوله يعذبهم يحتمل ان يكون بمعنى أن ويحتمل ان يكون لام العاقبة والتقدير انما يريد الله أن يعذبهم فيها يعذبهم (وترحق انفسهم) أي تهلك وتذهب بالموت (وهم كافرون) جملة في موضع الحال أي حال كونهم كافرين والإرادة تعلقت بزهور انفسهم لا بالكفر وهذا كما تقول اريدان أضربه وهو عاص فالإرادة تعلقت بالضرب لا بالعصيان

قوله تعالى (٥٦) وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ

(٥٧) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ (آيتان)

* القراءة *

قرأ يعقوب وسهل او مدخلا بفتح الميم وسكون الدال وهو قراءة ابن ابي اسحاق والحسن والباقر مدخلا وفي الشواذ قراءة مسلمة بن محارب ومدخلا بضم الميم وسكون الدال وقراءة الاعرج مدخلا بتشديد الدال والحاء وقرأ أنس وهم يجمعون رواه الاعمش عنه

— (الجملة) —

أما قوله مدخلا في القراءة المشهورة فأصله مدخلا لكن التاء تبدل بعد الدال دالا لأن التاء مهجوسة والدال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد أخف ومن قرأ مدخلا فهو من دخل يدخل مدخلا ومن قرأ مدخلا فهو من ادخلته مدخلا قال

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ مُمْسَانًا وَمُصَبِّحَنَا بِالْخَيْرِ صَبِّحَنَا رَبِّي وَمَسَانًا

ومن قرأ مدخلا بتشديد الدال والحاء جملة متدخلا ثم ادغم التاء في الدال وفي رواية الاعمش انه سمع انسا يقرأ يجمعون فقال وما يجمعون قال يجمعون ويشتدون واحد

— (اللمعة) —

الترق اتواعج النفس بتوقع الضرر وأصله من مفارقة الأموال حال الاتزعاج واللمعاً الموضع الذي يتحصن فيه ومثله المعقل والموتل والمقصم والمعتد والمغارات جمع مفارقة مفعلة من غار الشيء في غار الشيء يغور إذا دخل منه في موضع يستقره والتار الثقب في الجبل والمدخل المسلك الذي يتدنس بالدخول فيه وهو قتل والجراح مضي المار مسرعا على وجهه لا يردّه شيء عنه وقيل هو المشي بين الشيتين قال لاهل

لَقَدْ جَمَعَتْ جَمَاحًا فِي دِمَائِهِمْ
وَالجرح الرابك هراء قال
حَتَّى رَأَيْتُ ذَوِي اِحْسَائِهِمْ خَمَدُوا
خَلَعْتُ عِذَارِي جَامِحًا مَا يَرُدُّنِي
عَنِ الْيَيْضِ امثال الدمي زجر زاجر (١)

المضي *

ثم اظهر سبحانه سرًا من اسرار القوم فقال (ويظفون بالله انهم لمنكم) اي يقسم هؤلاء المناقون انهم لمن جملتكم أيها المؤمنون اي مؤمنون امثالكم (وما هم منكم) اي ليسوا مؤمنين بالله كما انتم كذلك (واكنتم قوم يفرقون) اي ينافقون القتل والاسران لم يظهر والايان (لويجدون ملجأ) اي لو يجد هؤلاء المناقون حرزا عن ابن عباس وقيل حصنا عن قتادة (او مغارات) اي غيرانا في الجبال عن ابن عباس وقيل سرايب عن عطاء (او مدخلا) اي موضع دخول يا ورون اليه عن الضحاك وقيل نفقا كنفق اليربوع عن ابن زيد وقيل اسرابا في الارض عن ابن عباس وابي جعفر (ع) وقيل وجها يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ من الحسن (لوتوا اليه) اي لدلوا اليه وقيل لا عرضوا عنكم اليه (وهم يجمعون) اي يسرعون في الذهاب اليه ومعنى الآية انهم من خبت دخلتهم وسوء سريرتهم وحرصهم على اظهار ما في نفوسهم من النفاق والكفر لو اصابوا شيئا من هذه الاشياء لا ووا اليه ليجاهروا بما يضررونه واعرضوا عنك

قوله تعالى (٥٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ (٥٩) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (آياتان)

(- القراءة -)

قرأ يعقوب يلزمك بضم الميم وهي قراءة الحسن والاعرج والباقون بكسر الميم

* اللفظة *

يقال لمزت الرجل المزّه والمزّه اذا جتته وكذلك همزته قال الشاعر
إِذَا لَقَيْتَكَ تَبَدَّى لِي مَكَاشِرَةٌ وَإِنْ تَغَيَّبْتَ كُنْتُ الْهَامِزَ الْهَمَزَةَ (٢)
وقيل الهمز اليب بكسر العين وغمزها اي يكسر عينه اذا غاب واللمز اليب على وجه المسارة وقيل لامراني
أتمز الفارة قال الهرهمزها فأوقع الهمز على الأكل والهمز كاللهمز
(- النزول -)

عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله ﷺ يقسم قسما وقال ابن عباس كانت غنائم هوازن يوم حنين اذا جاءه ابن ابي ذبي الحويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج فقال اعدل يا رسول الله فقال ويالك ومن يعدل إذا لم اعدل فقال عمر يا رسول الله أنذني في فأضرب عنقه فقال النبي ﷺ دعه فلو له اصحابا يمتقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرت والدم آبتهم رجل اسود في احدى يديه او قال في احدى يديه مثل ثدي المرأة او مثل البضة تدر در مجرجون على فقرة من الناس وفي حديث آخر فاذا خرجوا فاقتلوه ثم اذا خرجوا فاقتلوهم فقتلت ومنهم من يلزمك الآية قال ابو سعيد الخدري اشهد اني سمعت هذا من رسول الله ﷺ واشهد ان عليا (ع) حين قتلهم وانا معه جيت بالرجل على

(١) العنار: ما سأل من اللجام على خد الفرس ويقال الساب المنهك في العبي: خلع عذاره او اتبع هراء وما يابا إلى الشبي، كالفرس بلا لجام والذي جمع الرمية: الصورة ويكنى بها من الرمية. (٢) كاشره: عكف في وجهه وبأسطه (٣) وفي نسخة مطبوعة «يكترسيه» (٤) القنذ: ريش السم. الرصاف: العقب الذي يلوى على مدخل النمل.

النعمة الذي نعمة رسول الله ﷺ رواه الثعلبي باسناده في تفسيره وقال الكلبي تزلت في الموافقة قلوبهم وهم المنافقون قال رجل منهم يقال له ابن الجواظ لم يقسم بالسوية فأنزل الله الآية وقال الحسن أتاه رجل وهو يقسم فقال الست تزعم ان الله تعالى أمرك ان تضع الصدقات في الفقراء والمساكين قال بلى قال فما لك تضمها في رعاة النعم قال ان نبي الله موسى (ع) كان راعي غنم فلما رأى الرجل قال عليه السلام احذروا هذا وقال ابن زيد قال المنافقون ما يعطيها محمد إلا من أحب ولا يوثر بها الا هواه فتزلت الآية

« المعنى » -

ثم اخبر سبحانه عنهم فقال (ومنهم) اي ومن هؤلاء المنافقين (من يلسزك في الصدقات) اي يعيبك ويظن عليك في امر الصدقات (فان اعطوا منها) اي من تلك الصدقات (رضوا) وأقرروا بالمدل (وان لم يعطوا منها اذا هم يخطون) اي يفضون ويعيبون وقال ابو عبد الله (ع) اهل هذه الآية اكثر من ثلثي الناس (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) معناه ولو ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات وعابوك بهارضوا بما اعطاهم الله ورسوله (وقالوا) مع ذلك (حسبنا الله) اي كفانا الله او كافينا الله (سيوتينا الله من فضله ورسوله) اي سيعطينا الله من فضله وانعامه ويمطينا رسوله مثل ذلك وقالوا (انا إلى الله راغبون) في ان يوسع علينا من فضله فيضينا عن أموال الناس وقيل يعني راغبون اليه فيما يعطينا من الثواب ويصرف عنا من العذاب وجواب لو محذوف وتقديره لكان خيرا لهم وأعود عليهم وحذف الجواب في مثل هذا الموضع ابلغ على ما تقدم بيانه

قوله تعالى (٦٠) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (آية)

✽ الأعراب ✽

قال الزجاج فريضة منصوب على التوكيد لأن قوله إنما الصدقات لهؤلاء كقواك فرض الله الصدقات لهؤلاء.

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه لمن الصدقات فقال (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) ومعناه ليست الصدقات التي هي زكاة الأموال الا لهؤلاء. واختلف في الفرق بين الفقير والمساكين على قواين أحدهما أنها صنف واحد وإنما ذكر الصنفان تأكيداً للأمر وهو قول ابي علي الجبائي واليه ذهب ابو يوسف ومحمد فقالا فيمن قال تلك مالي للفقراء والمساكين وفلان ان فلان نصف الثلث ونصفه الآخر للفقراء والمساكين لأنها صنف واحد والآخر وهو قول الأكثرين انها صنفان وهو قول الشافعي وابي حنيفة فإنه قال في المسألة المذكورة ان فلان ثلث الثلث وثلثي الثلث للفقراء والمساكين ثم اختلف هؤلاء على اقوال فقيل ان الفقير هو المتخفف الذي لا يسأل والمساكين الذي يسأل عن ابن عباس والحسن والزهري ومجاهد ذهبوا إلى ان المسكين مشتق من المسكنة بالمسألة وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) وقيل ان الفقير الذي يسأل والمسكين الذي لا يسأل وجاء في الحديث ما يدل على ذلك فقد روي عن النبي ﷺ انه قال ليس المسكين الذي يرده الأكلة والأكتان والتمرة والتمران ولكن المسكين الذي لا يجد غنياً فيضيه ولا يسأل الناس شيئاً ولا يفتن به فيتصدق عليه وقيل الفقير هو الزمن المحتاج والمسكين هو الصحيح المحتاج عن قتادة وقيل الفقراء المهاجرون والمساكين غير المهاجرين عن الضحاك وابراهيم ثم اختلفوا من وجه آخر فقيل ان الفقير اسوأ حالا من المسكين فإن الفقير هو الذي لا شيء له والمسكين الذي له بلفة من العيش لا تكفيه واليه ذهب الشافعي وابن التبراري واحتجا

بقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وبأن الفقير مشتق من قار الظهر فكان الحاجة قد كسرت قار ظهره وقيل ان المسكين اسوأ حالا من الفقير فإن الفقير الذي له بلفه من العيش والمسكين الذي لا شيء له وهو قول ابي حنيفة والقتبي وابن دريد وأئمة اللغة وانشد بونس

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبداً (١)

فسأه فقيراً وجعل له حلوبة وأجابوا عن السفينة بأنها كانت مشتركة بين جماعة ولكل واحد منهم الشيء اليسير وايضا فإنه يجوز ان يكون سأم مساكين على وجه الرحمة كما جاء في الحديث مساكين أهل النار وقال الشاعر

مساكين أهل الحب حتى قبورهم
عليها تراب الذل بين المقابر

وقيل انهم كانوا يعملون عليها اجارة فأضيف اليهم (والعالمين عليها) يعني سعة الزكاة وجباتها (والمؤلفة قلوبهم) وكان هؤلاء قوما من الأشراف في زمن النبي ﷺ وكان يعطيهم سهامن الزكاة ليتألفهم به على الإسلام ويستعين بهم على قتال العدو ثم اختلف في هذا السهم هل هو ثابت بعد النبي ام لا قيل هو ثابت في كل زمان عن الشافعي واخباره الجبائي وهو المروي عن ابي جعفر (ع) إلا انه قال من شرطه ان يكون هناك إمام عادل يتألفهم على ذلك به وقيل ان ذلك كان خاصا على عهد رسول الله ﷺ ثم سقط بعده لأن الله سبحانه أعز الإسلام وقهر الشرك عن الحسن والشعبي وهو قول ابي حنيفة واصحابه (وفي الرقاب) يعني في فك الرقاب من العتق وأراد به المكاتبين واجاز اصحابنا ان يشتري منه عبد مؤمن اذا كان في شدة ويعتق ويكون ولاؤه لأرباب الزكاة وهو قول ابن عباس والحسن ومالك (والفارمين) وهم الذين ركبتهم الديون في غير معصية ولا اسراف يقضي عنهم الديون (وفي سبيل الله) وهو الجهاد بلا خلاف ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين وهو قول ابن عمر وعطاء وهو اختيار البلخي وجعفر بن مبشر قالوا يني منه المساجد والقناطر وغير ذلك (وابن السبيل) وهو المسافر المنقطع به يعطى من الزكاة وان كان غنيا في بلده ذا يسار وانما سمي ابن السبيل لزومه الطريق فنسب اليه كما قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتي وليد
إلى ان شئت واكتهمت لداقي (٢)

وقيل هو الضيف عن قتادة (فريضة من الله) أي مقدرة واجبة قدرها الله وختمها (والله عليم) بحاجة خلقه (حكيم) فيما فرض عليهم وواجب من اخراج الصدقات وغير ذلك

قوله تعالى (٦١) وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ يَأْتِيهِمُ الْغَيْبُ وَهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٢) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (ثلاث آيات)

(١) قائله الراي مدح به الملك بن مروان ويشعر اليه سعاده. وفي نسخة مطروقة لنسخة النبيان «أنا الفقير». والحلوبة: الناقة التي تحلب ويقال حلوبة فلان ومن عياله أي لعائلته قدر كتابهم لا فضل فيه. والسبدا: كناية عن القليل. (٢) الوليد: المراد حسين بن علي وليد ولوات جمع اللمة: الغريب وهو الذي ولد معك أو تربى معك.

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم في رواية الاعمش والبرجمي عن ابي بكر قل اذن خير لكم بالضم والتنوين فيها وهو قراءة الحسن وقتادة وعيسى بن عمر وغيرهم وقرأ الباقون اذن خير لكم بالاضافة وقرأ نافع اذن خير ساكنة الذال في كل القرآن وقرأ حمزة وحده ورحمة للذين آمنوا بالجر والباقون ورحمة بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اذن في الآية اذا خفت او ثقلت فإنه يجوز ان يطلق على الجملة وان كانت عبارة جارحة منها كما قال الخليل في التاب من الابل انه سميت به لمكان التاب البازل فسميت الجملة كلها به وقالوا للرئيس هو عين القوم والريثة هو عينهم ويجوز فيه شي آخر وهو ان الاسم يجري عليه كالوصف له لوجود معنى ذلك الاسم فيه كقول جرير

تَبَدُّوْ قَبْدِي جَمَالًا زَانَهُ خَفَرٌ
اِذَا تَرَارَاتِ السُّودِ العَنَاكِيْبُ (٢)

فأجرى العناكيب وصفاً عليهن يريد انهن من الحفارة والدمامة كالعناكيب وقال آخر

فَلَوْلَا اللهُ وَالْمَهْرُ المَفْدِيُّ
لَا بَتَ وَأَنْتَ غِرْيَالُ الإِهَابِ (٣)

فجعله غربالاً لكثرة الخروق فيه من آثار الطعن وكذلك قوله هو اذن أجرى على الجملة اسم الجارحة لما أراد به من كثرة استعماله لها في الإصغاء بها ويجوز ان يكون فلا من اذن بأذن اذا اذا استمع ومنه قوله تعالى وأذنت لربها اي استمعت وقوله ائذن لي اي استمع لي وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتقنى بالقرآن فعلى هذا يكون معناه انه كثير الاستماع مثل أنف وسجع قال ابو زيد رجل اذن اذا كان يصدّق بكل ما يسمع وقوله اذن خير لكم بالاضافة وهو الاكثر في القراءة فمعناه انه اذن خير اي مستمع خير وصلاح لكم ومصغ اليه لا مستمع شرّ وفساد ومن قرأ اذن خير لكم قال الزجاج معناه من يستمع منكم فيكون قريباً منكم قابلاً للمذخر خير لكم قال ابو علي ومن رفع ورحمة كان المعنى هو اذن خير لكم ورحمة جملة الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه وعلى هذا وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين ويجوز ان يقدر حذف المضاف من المصدر واما الجر في رحمة فعل المطف على خير كأنه اذن خير ورحمة فإن قلت فيكون اذن رحمة فإن هذا لا يمنع لأن الاذن في معنى مستمع في الأقوال الثلاثة التي تقدمت فكأنه مستمع رحمة فجاز هذا كما جاز مستمع خير الا ترى ان الرحمة من الخير فإن قلت فهلاً استغنى بشمول الخير للرحمة وغير هاعن تقدير عطف الرحمة عليه فالقول فيه ان ذلك لا يمنع كما لا يمنع اقراراً باسم ربك الذي خلق ثم خصّ قال خلق الإنسان وان كان قوله خلق يعم الإنسان وغيره فكذلك الرحمة إذا كانت من الخير لم يمنع ان تعطف فتخصص الرحمة بالذكر من ضرور الخير لقلبة من ذلك في وصفه وكثرته كما خصص الإنسان بالذكر وان كان الخلق قد عمه وغيره والبد بين الجار وما عطف عليه لا يمنع من المطف الا ترى ان من قرأ وقيله يارب انما يجعله على وعنده علم الساعة وعلم قبله

﴿ الفنة ﴾

الفرق بين الأحق والأصلح ان الأحق قد يكون من غير صفات الفعل كقولك زيد أحق بالمال والأصلح لا يقع هذا الموقع لأنه من صفات الفعل وتقول الله أحق بأن يطاع ولا تقول اصلح والمحادثة مجاوزة الحد بالمثاقفة وهي المخالفة والمجانبة والمعاداة نظائر واصله المنع والمحادثة ما يعتري الإنسان من

(١) الربيعة: الطليعة وهو الذم ينكر للقوم لثلاثتهم عدد، والتأنيث بامتنار العين. (٢) الخنز: شدة الغيا. (٣) الادب: الرجوع من الإهاب: الجلد.

النزق لأنه يمنعه من الواجب والخزي الموان وما يستحجي منه

✽ الاعراب ✽

اذن خير خبر مبتدأ محذوف ومن لم يصف جمل خبراً صفة لا اذن واللام في قوله يؤمن للمؤمنين على حد اللام في قوله ردف لكم أو على المعنى لأن معنى يؤمن يصدق فمدى باللام كما عدت مصدقاً به في نحو قوله مصدقاً لما بين يديه وقيل انما دخلت اللام للفرق بين إيمان التصديق وإيمان الامان قوله فإن له نار جهنم يحتمل ان يكون العامل في إن أحد أمرين اما ان يكون على تقدير حذف الجار على معنى فلان له نار جهنم أو فإن له نار جهنم واما ان يكون اعاد ان الاولى على التكرير للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج وأقول ان هذا على مذهب ابي الحسن وابي علي الفارسي يرتفع قوله ان له نار جهنم بظرف مضمرة محذوفة من هذا الموضع لطول الكلام وتقديره فله ان له نار جهنم والمعنى فله وجوب نار جهنم ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير فأمره أو شأنه ان له نار جهنم ولا يجوز ان يرتفع بفعل مضمرة لأن الفعل لا يقع بعد الفاء في جواب الشرط وانما يدخل الفاء في جواب الشرط إذا كان مبتدأ أو خبراً أو جملة فعلية غير خبرية نحو قوله فقولي اني نذرت هذا مذهب سيويه قال الزجاج ولو قرئ فان له بكسر الهمزة على وجه الاستئناف لكان جائزاً فيكون كقولك فله نار جهنم غير انه لم يقرأ به أحد

✽ النزول ✽

قبل نزلت في جماعة من المنافقين منهم الجلاس بن سويد وشاس بن قيس ومخشي بن حدير ورفاعة بن عبد المنذر وغيرهم قالوا ما لا ينبغي فقال رجل منهم لا تفعلوا فإننا نخاف ان يبلغ محمدا ما تقولون فيوقع بنا قال الجلاس بل تقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فإن محمداً اذن سامعة فأنزل الله الآية وقيل نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلاً ادلم احمر العينين اسفح الخلد من مشوه الخلقه وكان يتم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئاً صدقه تقول ما شئنا ثم نأتيه ونخلف له فيصدقنا وهو الذي قال فيه النبي ﷺ من أراد ان ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحرث عن محمد بن اسحاق وغيره وقوله يحلفون بالله لكم ابرؤكم الآية قيل انها نزلت في رهط من المنافقين تحلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله ﷺ من تبوك اتوا المؤمنين يعتذرون اليهم من تخلفهم وهتلون ويحلفون فنزلت الآية عن مقاتل والكلبي وقيل في جلاس بن سويد وغيره من المنافقين قالوا لئن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحير وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر ابن قيس فقال والله انما يقول محمد حق وأنتم شر من الحير ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامراً كذاب فنزلت الآية عن قتادة والسدي

✽ المعنى ✽

ثم رجع سبحانه إلى ذكر المنافقين فقال (ومنهم) أي ومن هؤلاء المنافقين (الذين يؤذون النبي) والأذى قد يكون بالفعل وقد يكون بالقول وهو هنا بالقول (ويقولون هو اذن) معناه انه يستمع الى ما يقال له ويصني اليه ويقبله (قل) يا محمد (اذن خير لكم) اي هو اذن خير يستمع إلى ما هو خير لكم وهو الوحي وقيل معناه هو يسمع الخير ويعمل به ومن قرأ اذن خير لكم فمعناه قل كونه اذناً أصلح لكم لأنه

يقبل عذركم ويستمع اليكم ولو لم يقبل عذركم لكان شرا لكم فكيف تعينونه بما هو خير لكم وأصلح (يومن بالله ويومن للمؤمنين) معناه انه لا يضره كونه اذنا فانه اذن خير فلا يقبل إلا الخبر الصادق من الله ويصدق المؤمنين ايضا فيما يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فإيمانه للمؤمنين تصديقه لهم على هذا القول وقيل يومن للمؤمنين اي يؤمنهم فيما يلتقي اليهم من الأمان ولا يومن للمنافقين بل يكونون على خوف وان حلفوا (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي وهو رحمة لهم لأنهم إنما نالوا الإيمان بهدايته ودعائه ايامه (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) في الآخرة (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) اخبر سبحانه ان هؤلاء المنافقين يقسمون بالله ان الذي يبلغكم عنهم باطل اعتذارا اليكم وطلب المرصاةكم (والله ورسوله أحق ان يرضوه) اي والله ورسوله أحق وأولى بأن يطلبوا مرضاةهما (ان كانوا مؤمنين) امصدقين بالله مقرين بنبوته نبيه محمد ﷺ وتقديره والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه فحذف للتخفيف ولدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

والمعنى نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التقرير والتوبيخ لهؤلاء المنافقين (ألم يعلموا) أي وما يعلموا (انه من يحادد الله ورسوله) أي من تجاوز حدود الله التي أمر المكلفين ألا يتجاوزوها وإنما قال ألم يعلموا لمن لا يعلم على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن عمله أي هلا علموا بعد ان مكثوا من عمله وقيل هو امر بالعلم اي يجب ان يعلموا بهذا الخبر وبالادلة وقيل معناه ألم يخبرهم النبي ﷺ بذلك عن الجبائي (فإن له نار جهنم خالدا فيها) أي دائما (ذلك الخزي) أي الهوان والذل (العظيم)

قوله تعالى (٦٤) يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة ننبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون (٦٥) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون (٦٦) لا تمتدروا وقد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعدب طائفة بأنهم كانوا مجرمين (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ عاصم ان نعف ونعدب فيها بالنون طائفة بالنصب وقرأ الباقون ان يعف بالياء وضمها وفتح الفاء تعذب بالياء وضمها طائفة بالرفع

❖ الحجة ❖

قال ابو علي حجة من قرأ ان نعف قوله ثم عفونا عنكم ومن قرأ ان يعف فالعنى معنى نعف واما تعذب بالياء فلأن الفعل في اللفظ مسند إلى موث ظاهر

❖ اللفظة ❖

الحذر اعداد ما ينفي الضرر ورجل حذر متحيز ورجل حذريان كثير الحذر شديد الفزع والمنافق الذي يظهر من الإيمان خلاف ما يبطنه من الكفر مشتق من ناقاه البربوع لأنه يخفي بابا ويظهر بابا ليكون اذا

اتي من احدهما خرج من الآخر والخوض دخول القدم فيما كان مائعا من الماء والطين ثم كثر حتى استعمل في غيره والمب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتمجيد اللذة كفعل الصبي ولذلك قالوا ملاعب الاسنة اي انه لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره والاعتذار اظهار ما يقتضي العذر والاجرام الانقطاع عن الحق إلى الباطل يقال جرم الثمر إذا صرمه وتجرمت السنة نصرمت

﴿ التزول ﴾

قبل نزلت في اثني عشر رجلا وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وامره ان يرسل اليهم ويضرب وجوه رواحلهم وعمار كان يقود دابة رسول الله ﷺ وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضر بها حتى نجام فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله ﷺ انه فلان وفلان حتى عدّهم كلهم فقال حذيفة ألا تبتم اليهم فقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم عن ابن كيسان وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) مثله الا انه قال ائتمروا بينهم ليقتلوه وقال بعضهم لبعض ان فطن تقول انا كنا نخوض ونلمب وان لم يفطن تقتله وقيل ان جماعة من المنافقين قالوا في غزوة تبوك يظن هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال اجسوا على الركب فدعاهم فقال لهم قلتهم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلمب وحلفوا على ذلك فنزلت الآية ولئن سألتهم ليقولن «الضغ» عن الحسن وقتادة وقيل كان ذلك عند منصرفه من غزوة تبوك إلى المدينة وكان بين يديه أربعة نفر او ثلاثة يستهزؤون ويضحكون واحدم يضحك ولا يتكلم فنزل جبريل واخبر رسول الله ﷺ بذلك فدعا عمار بن ياسر وقال ان هؤلاء يستهزؤون بي وبالقرآن اخبرني جبرائيل بذلك ولئن سألتهم ليقولن كنا نتحدث بمحدث الركب فاتبعهم عمار وقال لهم مم تضحكون قالوا نتحدث بمحدث الركب فقال عمار صدق الله ورسوله احترقتم احرقكم الله فأقبلوا إلى النبي ﷺ يتذرون فأنزل الله تعالى الآيات عن الكلبى وعلي بن ابراهيم وابي حمزة وقيل ان رجلا قال في غزوة تبوك ما رأيت اكذب لسانا ولا اجبن عند اللقاء من هؤلاء يعني رسول الله ﷺ واصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق واراد ان يخبر رسول الله ﷺ بذلك فجاء وقد سبقه الوحي فجاء الرجل منتذرا وقال انما كنا نخوض ونلمب ففيه نزلت الآية عن ابن عمر وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب وقيل ان رجلا من المنافقين قال يحدثنا محمد ان ناقة فلان بوادي كذا وكذا وما يدريه ما الغيب فنزلت الآية عن مجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن ابي رهمه

عن الضحاك

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه اخبار بانهم يخافون ان يفشوا سرايرهم ويحذرون ذلك عن الحسن ومجاهد والجبائي واكثر المفسرين والمعنى انه يحذرون من ان ينزل الله عليهم اي على النبي والمؤمنين سورة تنبئ عما في قلوبهم من النفاق والشرك وقد قيل ان ذلك الحذر انما اظهره على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق لانهم حين رأوا رسول الله ﷺ ينطق في كل شيء عن الوحي قال بعضهم لبعض أهدروا ألا ينزل

وحي فيكم يتناجون بذلك ويضحكون عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا يخافون ان يكون عليه السلام صادقا فينزل عليه الرحي فيفتضحون عن الجبائي وقيل انهم كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرايا عن مجاهد * والثاني * ان هذا اللفظ لفظه الخبر ومعناه الامر فهو كقولك ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تجبرهم بما في قلوبهم من النفاق وحسن ذلك لان موضع الكلام على التهديد (قل استهزوا) معناه قل يا محمد لهؤلاء المنافقين استهزوا اي اطلبوا الهزء وهو وعيد بلفظ الامر (ان الله مخرج ما تحذرون) اي مظهر ما تحذرون من ظهوره والمعنى ان الله يبين لنبيه باطن حالكم ونفاقكم (ولئن سألتهم عن طعنهم في الدين واستهزائهم بالنبي ﷺ وبالمسلمين (ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) واللام للتأكيد والتقسيم ومعناه لقالوا كنا نخوض خوض الركب في الطريق لا على طريق الجسد ولكن على طريق القلب والهوى فكان عذرم اشد من جرمهم (قل) يا محمد (ابالله وآياته) اي حجهه وبيناته وكتابه (ورسوله) محمد ﷺ (كنتم تستهزون) ثم امر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقول لهؤلاء المنافقين (لا تعتذروا) بالمعاذير الكاذبة (قد كفرتم بعد ايمانكم) اي فانكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين الايمان الذي يحكم لمن اظهره بأنه مؤمن ولا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين الثواب ثم يرتدون على ما تهرؤ بالدليل وذكر في غير هذا الموضع ان المؤمن لا يجوز ان يكفر (ان نف عن طائفة منكم تعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) اي كافرين مصرين على النفاق هذا اخبار منه سبحانه انه ان عفا عن قوم منهم اذا تابوا يعذب طائفة اخرى لم يتوبوا واقاموا على النفاق والطائفة اسم للجماعة على الحقيقة لانه اسم لما يطيف بغيره ويحيط به وقد سمي الواحد طائفة على معنى انها نفس طائفة وقد ورد القرآن بذلك في قوله وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين فقد ورد في الآثار عن ائمتنا (ع) ان اقل من يحذر عذابها واحد من المؤمنين فصاعداً وروي ان هاتين الطائفتين كانوا ثلاثة نفر فهذا اثنان وضحك واحد وهو الذي تاب من نفاقه واسمه مخشى بن حابر فعفا الله عنه

قوله تعالى (٦٧) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٨) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِي حَسْبِهِمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٩) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٧٠) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (أربع آيات)

* اللفظة *

الاستمتاع طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المأكل والمشرب والمناكح والخلاف النصيب سواه

كان عاجلاً أو آجلاً وقال الزجاج النصيب الذي هو عند صاحبه وافر الحظ والموتفكات جمع موتفكة قد اتفكت بهم الأرض أي انقلبت

= الإعراب =

موضع الكاف من قوله كالذين من قبلكم نصب أي وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم والكاف في قوله كما استمتع وكالذين خاضوا نصب بأنه صفة لمصدر محذوف وتقديره استمتعتم استمتاعاً مثل استمتاعهم وخضتم خوضاً مثل خوضهم قال جامع العلوم النحوي البصير كالذي خاضوا تقديره على قياس قول سيويه كالذي خاضوا فيه فحذف في فصار كالذي خاضوه ثم حذف الماء وهو على قول يونس والاختفش الذي مصدره والتقدير كالحوض الذي خاضوا فيه ومثل هذا اختلافهم في قوله ذلك الذي يبشر الله عباده على قول سيويه تقديره يبشر الله به على قول يونس والاختفش ذلك تبشيراً لله عباده

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه أحوال أهل النفاق فقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أي بعضهم من جملة بعض وبعضهم مضاف إلى بعض في الاجتماع على النفاق والشرك كما تقول أنا من فلان وفلان مني أي امرنا واحد وكلمتنا واحدة وقيل معناه بعضهم على دين بعض عن الكلابي وقيل بعضهم من بعض على لحوق مقت الله بهم جميعاً عن أبي مسلم (يأمرون بالمنكر) أي بالشرك والمعاصي (وينهون عن المعروف) أي عن الأفعال الحسنة التي أمر الله بها وحث عليها (ويقبضون أيديهم) أي يمسكون أموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته عن الحسن وقتادة وقيل معناه يمسكون أيديهم عن الجهاد في سبيل الله عن الجبائي (نسوا الله فسيهم) أي تركوا طاعته فتركهم في النار وترك رحمتهم واثابتهم عن الأصم وقيل معناه جعلوا الله كالنسي حيث لم يتفكروا في أن لهم صنماً يشبههم ويعاقبهم لينبئهم ذلك عن الكفر والأفعال القبيحة فجعلهم سبحانه في حكم المنسي عن الثواب وذكر ذلك لازدواج الكلام لأن النسيان لا يجوز عليه تعالى (إن المنافقين هم الفاسقون) أي الخارجون عن الإيمان بالله ورسوله وعن طاعته وقيل الفاسقون المترددون في الشرك (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) أخبر سبحانه أنه وعد الذين يظهرون الإسلام ويطنون الكفر النار وكذلك الكفار وإنما فصل النفاق من الكفر وإن كان النفاق كفرةً لبيان الوعيد على كل واحد من الصنفين (خالدين فيها) أي دائمين فيها (هي حسبهم) معناه نار جهنم والعقاب فيها كفاية ذنوبهم كما يقول عذبتك حسب ما فعلت وحسب فلان ما نزل به أي ذلك على قدر فعله (ولعنهم الله) أي أبعدهم من جنته وخيره (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا يزول (كالذين من قبلكم) أي وعدكم على النفاق والاستهزاء كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم عن الزجاج والجبائي وقيل معناه فعلكم كفعل الذين من قبلكم من كفار الأمم الخالية (كانوا أشد منكم قوة) في أبدانهم (وأكثر أموالاً وأولاداً) فلم ينفعهم ذلك شيئاً وحل بهم عذاب الله تعالى (فاستمتعوا بخلقهم) أي بتصبيهم وحظهم من الدنيا بأن صرفوها في شهواتهم المحرمة عليهم وفيما نهاهم الله عنه ثم اهلكوا (فاستمتعتم بخلقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلقهم) أي فاستمتعتم أنتم أيضاً بحظكم في الدنيا كما استمتعواهم (وخضتم كالذي خاضوا) أي وخضتم في الكفر والاستهزاء بالمؤمنين كما خاض الأولون (أو لئلك الذين حبطت أعمالهم) التي تقع

طاعة من المؤمنين مثل الانفاق في وجوه الخير وصلة الرحم وغيرها (في الدنيا والآخرة) إذ لم يستحقوا عليها ثوابا في الآخرة ولا تعظيما وتجيلا في الدنيا لكفرهم وشركهم (وأولئك هم الخاسرون) خسروا انفسهم وأهلكوها بفعل المعاصي المؤدية إلى الهلاك ووردت الرواية عن ابن عباس انه قال في هذه الآية ما شبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هزلوا بنوا اسرائيل شبهنا بهم لا اعلم إلا انه قال والسذي نفسي بيده لتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلموه وروي مثل ذلك عن ابي هريرة عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال لتأخذن كما أخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو أن احدا من اولئك دخل جحر ضب لدخلموه قالوا يارسول الله كما صنعت فارس والروم واهل الكتاب قال فهل الناس الا هم وقال عبد الله بن مسعود انتم اشد الامم ببني اسرائيل ستمتا وهديا تبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير اني لا ادري اتمجدون العجل ام لا وقال حذيفة المناقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ قلنا وكيف قال اولئك كانوا يخفون نفاقهم وهزلوا. اعلوه اورد ذلك جميعا التعلي في تفسيره ثم قال سبحانه (ألم يأتهم) اي ألم يأت هولاء المنافقين الذين وصفهم (نبا الذين من قبلهم) اي خبر من كان قبلهم (قوم نوح وعاد وثمود وقرى ابراهيم واصحاب مدين) ذكر سبحانه الامم الماضية والقرون السالفة وانه سبحانه اهلكها ودمر عليها لتكذيبها رسلها لئلا يأمنوا ان يزل بهم مثل ما نزل باولئك فاهلك سبحانه قوم نوح بالفرق وعاداً قوم هود بالريح الصرصر وثور قوم صالح بالرجفة وقوم ابراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب مدين وهي البلدة التي فيها قوم شعيب بعذاب يوم الظلة وقيل ان مدين اسم نسبت البلد اليه وقد مر ذكره (والموتفكات) اي المتقلبات وهي ثلاث قرى كان فيها قوم لوط ولذلك جمعها بالانف والهاء عن الحسن وقتادة وقال في موضع آخر والموتفكة اهوى فجاء بها على طريق الجنس اهلكهم الله بالحسف وقلب المدينة عليهم (اتهم رسالهم بالبينات) اي بالحجج والمعجزات (فما كان الله ليظلمهم) اي ما يظلمهم الله باهلاكهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) أي ولكن عاقبهم باستحقاق إذ كذبوا رسل الله كما فعلتم فأهلكهم بكفرهم وعصيانهم

قوله تعالى (٧١) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧٢) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (ثلاث آيات)

﴿ اللغة ﴾

المدن والاقامة والخلود نظائر ومنه المدن قال الاعشى

فَإِنْ يَسْتَضِيْفُوا إِلَى حُكْمِهِ يَضَافُوا إِلَى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنَ (٣)

والرضوان مصدر رضي يرضى ورضوانا والجهاد ممارسة الأمر الشاق واصله من الجهد

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بقبيح خصالهم اقتضت الحكمة ان يذكر المؤمنين ويصفهم بضد اوصافهم

(١) السميت: الهيئة. والهدى: السيرة والدرية (٢) القذة: ريش السهم. قال ابن الاثير في معنى الحديث: يعرب مثلا للشيبين بسريان ولا يستأويان (٣) وفي اللسان: يعضاف الى عادل قدوزن، واستضاف الى فلان: لجأ إليه. وأضاف إليه: مال ودنا.

ليصل الكلام بما قبله اتصال التقيض بالتقيض فقال (المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) اي بعضهم اتصار بعض يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه ومولاته حتى ان المرأة تهيم اسباب السفر لزوجها إذا خرج وتحفظ غية زوجها وهم يد واحدة على من سواهم (ياأمرون بالمعروف) وهو ما اوجب الله فعله اورغب فيه عقلا او شرعا (وينهون عن المنكر) وهو ما نهى الله عن فعله وزهد فيه عقلا او شرعا (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) اي يداؤمون على فعل الصلاة واخراج الزكاة من اموالهم ووضعها حيث امر الله تعالى بوضعها فيه ويمثلون طاعة الله ورسوله ويتبعون إراداتها ورضاهما (او تلك سيرتهم الله) اي الذين هذه صفتهم يرحمهم الله في الآخرة (ان الله عزيز حكيم) أي قادر على الرحمة والعذاب واضع كل واحد منهما موضعه وفي الآية دلالة على ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الأعيان لانه جعلها من صفات جميع المؤمنين ولم يخص قوماً منهم دون قوم (وعداة المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) اي من تحت أشجارها الانهار والماء فيها (خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب العيش فيها بناها الله تعالى من اللآلئ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر لا اذى فيها ولا وصب^(١) ولا نصب عن الحسن (في جنات عدن) اي في جنات اقامة وخلد وقيل هي بطنان الجنة اي وسطها عن ابن مسعود وقيل هي مدينة في الجنة وفيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم والجنان حولها عن الضحاك وقيل إن عدنا اعلی درجة في الجنة وفيها عين التسليم والجنان حولها محذقة بها وهي مظنة من يوم خلقها الله عز وجل حتى يتزلفا أهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب قتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كسبان المسك الأبيض عن مقاتل والكلبي وروي عن النبي ﷺ انه قال عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك (ورضوان من الله اكبر) رفع على الابتداء اي ورضا الله تعالى عنهم اكبر من ذلك كما قال الجبائي إنما صار الرضوان اكبر من الثواب لانه لا يوجد شيء منه إلا بالرضوان وهو الداعي اليه الموجب له وقال الحسن لأن ما يصل إلى القلب من السرور برضوان الله اكبر من جميع ذلك وإنما رفع رضوان لأنه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل اعطيتك ووصلتك ثم يقول وحسن رأيي فيك ورضاي عنك خير من جميع ذلك (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك النعيم الذي وصفت هو النجاح العظيم الذي لا شيء اعظم منه ثم امر سبحانه بالجهاد فقال (ياأيها النبي جاهد الكفار) بالسيف والقتال (والمنافقين) واختلفوا في كيفية جهاد المنافقين فقيل ان جهادهم باللسان والوظ والتخريف عن الجبائي وقيل جهادهم باقامة الحدود عليهم وكان نصيبهم من الحدود اكثر وقيل هو بالانواع الثلاثة بحسب الامكان يريد باليد فان لم يستطع فباللسان فان لم يستطع فبالقلب فان لم يقدر فليكفر في وجوههم عن ابن مسعود وروي في قراءة أهل البيت جاهد الكفار بالمناققين قالوا لأن النبي ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين وإنما كان يتألفهم لأن المنافقين لا يظهرون الكفر وعلم الله تعالى بكفرهم لا يبسح قتلهم إذا كانوا يظهرون الإيمان (واغلق عليهم) ومعناه واسمهم الكلام الغليظ الشديد ولا ترق عليهم (وماواهم جهنم) اي متزلهم ومقامهم ومسكنهم جهنم يريد ماوى الفريقين (وبئس المصير) اي بئس المرجع والمآل

قوله تعالى (٧٤) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنْتَلُوا وَمَا نَعْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ تَوْبُوا لَكُمْ خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَمْدِّ بِكُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

(١) الرصوب: المرض والتصب والجمع الدائم. (٧) الكفر: عيسر.

* اللغة *

الهم مقارنة الفعل بتقليبه في النفس تقول هم بالشئ يومَ همّ وليس الهم من العزم في شئ إلا ان يبلغ نهاية القوة في النفس والنيل لحوق الأمر يقال نال ما اشتى او تقي اي ادركه ونقم منه شيئاً اي انكر قال

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا
أَنَّهُمْ يَحْلِمُونَ إِنْ غَضِبُوا

والفضل الزيادة في الخير على مقدار ما وأما التفضل فهو الزيادة من الخير الذي كان لا قادر عليه ان يفعله وان لا يفعله

* النزول *

اختلف في من نزلت فيه هذه الآية فقيل ان رسول الله ﷺ كان جالساً في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم إنسان فينظر اليكم بعيني الشيطان فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال علام تشتمني أنت واصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس وقيل خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك فكفوا إذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله ﷺ واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ذلك حذيفة الى رسول الله ﷺ فقال لهم ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا بالله ما قالوا شيئاً من ذلك عن الضحاك وقيل نزلت في جلاس بن سويد بن الصامت وذلك ان رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك وذكر المناقين فسأهم رجساً وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقاً فيما يقول فنحن شر من الحمير فسمه عامر بن قيس فقال أجل والله ان محمداً لصديق واني شر من الحمير فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فأمرها رسول الله ﷺ ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف بالله ما قال ثم قام عامر فحلف بالله لقد قاله ثم قال اللهم أنزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون آمين فنزل جبرائيل (ع) قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيراً لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله سمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال لك لقد قتله وانا استغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه عن الكلبي ومحمد بن اسحاق ومجاهد وقيل نزلت في عبدالله بن ابي بن سلول حين قال لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عن قتادة وقيل نزلت في اهل العقبة فلم يثبتوا في ان يقتلوا رسول الله ﷺ في عقبه عند مرجهم من تبوك وأرادوا ان يقطعوا انساع راحلته ثم ينخسوا به فأطلعه الله تعالى على ذلك وكان من جملة معجزاته لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا يوحى من الله تعالى فسار رسول الله ﷺ في العقبة وهدو حذيفة معه احدها يقود ناقته والاخر يسوقها وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكان الذين هموا بقتله اثني عشر رجلاً او خمسة عشر رجلاً على الخلاف فيه عرفهم رسول الله ﷺ وسأهم بأسانهم واحداً واحداً عن الزجاج والواقدي والكلبي والقصة مشروحة في كتاب الواقدي وقال الباقر عليه السلام كانت ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب

* للمعنى *

ثم اظهر سبحانه اسرار المناقين فقال (يحلفون بالله ما قلوا) يعني انهم حلفوا كاذبين ما قالوا ما حكي عنهم ثم حقق عليهم ذلك واقسم سبحانه بأنهم قالوا ذلك لأن اللام في (لقد قالوا) لام القسم ولا كلمة الكفر) كل كلمة فيها جحد لنعم الله تعالى و كانوا يطعنون في الإسلام (و كفروا بعد اسلامهم) اي يمد اظهار اسلامهم يعني ظهر كفرهم بعد ان كان باطنا (وهو ما لم ينالوا) قيل فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ انهم هموا بقتل النبي ﷺ ليلة العقبة والتنفيذ بناقته عن الكلبي ومجاهد وغيرها ﴿ وثانيها ﴾ انهم هموا باخراج الرسول من المدينة فلم يلبثوا ذلك عن قتادة والسدي ﴿ وثالثها ﴾ انهم هموا بالفساد والتضريب بين اصحابه ولم ينالوا ذلك عن الجليلي ﴿ وما تقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ معناه انهم عملوا بضد الواجب فعملوا موضع شكر

(١) الانواع جمع المنع: حبل طويل تشد به الرمال

النعمة ان تقبوها وبيانه انهم تقموا فيما ليس بموضع للنعمة فلو انه لم يكن للمسلمين ذنب ينقمونه منهم بل الله تعالى اباح لهم الفنائم واغناهم بذلك فقابلوا النعمة بالكفران وكان من حقهم ان يقابلوها بالشكر وقد مر هذا المعنى عند قوله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الآية في سورة المائدة واما لم يقل من فضلها لانه لا يحتمل بين سم الله واسم غيره في الكناية تعظيما لله ولذلك قال النبي ﷺ لمن سمعه يقول من اطاع الله ورسوله فقد امتدى ومن عصاه فقد غوى بشئ خطيب القوم انت فقال كيف اقول يا رسول الله ﷺ قال قل ومن يعص الله ورسوله وهكذا القول في قوله سبحانه والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل لانه لم يقل من فضلها لان فضل الله سبحانه منه وفضل رسول الله من فضل الله (فلان يتوبوا بك خيرا لهم) أي فان يتب هؤلاء المناقرون ويرجعوا إلى الحق يكن ذلك خيرا لهم في الدنيا والآخرة فلانهم يتألون بذلك رضا الله ورسوله والجنة (وان يتولوا) أي يعرضوا عن الرجوع إلى الحق وسلوك الطريق المستقيم (يعذبهم الله عذابا أليما) مؤلما (في الدنيا) بما يتألمون من الحسرة والغم وسوء الذكر (في الآخرة) بعذاب النار (وما لهم في الارض) أي ليس لهم في الارض (من ولي) أي محب (ولا نصير) ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله

قوله تعالى (٧٥) وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٦) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٧) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٨) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (اربع آيات)

❀ اللغة ❀

المأهدة هي ان تقول علي عهد الله لا فطن كذا فلو انه يكون بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره لان الله تعالى قد حكم بذلك وقدر وجوبه عليه في الشرع والبخل منع السائل لشدة الاعطاء ثم صار في الشرع لمنع الواجب لان من منع الزكاة فهو بخيل قال الرماني لا يجوز ان يكون البخل ممنع الواجب لمشقة الاعطاء كما قال زهير
 إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَالْجَوَادُ عَلَىٰ عِلَاتِهِ هَرَمٌ (١)
 قال لانه يلزم على ذلك ان يكون الجواد هو بذل الواجب من غير مشقة الاعطاء وكان من قضي ديننا عليه يكون جوادا لانه أدى الواجب من غير مشقة واما قال زهير ما قاله لان البخل صفة نقص قال ومن منع مالا يضره بذله ولا ينفعه منعه مما تدعو اليه الحكمة فهو بخيل لانه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة في النفس وإن لم يرجع إلى ضرر الشدة من غير ضرر معقولة كما يصفون الجورة بأنها ثيمة لاجل الشدة وأعقبه وأورثه وآداه نظاير وقد يكون أعقبه بمعنى جازاه قال النابغة

فَمَنْ أَطَاعَ فَأَعَقِبَهُ بِطَاعَتِهِ
 وَمَنْ عَصَاكَ فَمَاقِبَهُ مَمَاقِبَةً
 كَمَا أَطَاعَكَ وَأَدَّلَهُ عَلَى الرَّشْدِ
 تَنْهَى الظُّلُومَ وَلَا تَقْعُدُ عَلَى ضَمْدٍ (٢)

والنجوى الكلام الخفي يقال ناجيته وتناجوا وانتجوا وفلان نجى فلان والجمع أنجى قال
 إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَةً
 وَأَضْطَرَبَ الْقَوْمَ اضْطِرَابَ الْأَرَشِيَّةِ (٣)
 وأصله من النجوى وهو البعد كأن المتناجين قد تباعدوا من غيرهما وقيل هو من النجوة أي المكان المرتفع الذي لا يصل اليه السيل فكانها رجعا حديثها إلى حيث لا يصل اليه غيرها

(١) قوله علاته أي على كل حال . وهرم : صاحب زهير وهو هرم بن سنان بن أبي حارثة المرتضى من بني مرة بن عوف . (٢) الظلوم : الظالم والضمد : المعذبة أي عاقبه بمقدار ينبت منه لا بمقدار يشفاه الضمض والمضد (٣) قائله سقيم بن وشيل اليربوعي . والأرشيبة جمع الرمشاء : الجبل عمرا وأجبل الدر ، وخبران في بيت جده وهو قوله وهناك أومئني ولا فوسى بي .

✽ الاعراب ✽

معنى لا معنى إذا لأن لا الغالب عليها الجزاء وهي اسم يقع في جواب متى يقال متى كان كذا فيقول السامع لما كان كذا ولما ولولا يكونان لا ماضى بخلاف إن وإذا فإنها لا يستقبل إلا ان لولا على تقدير نفي وجوب الثاني لاتنفا. الأول ولما يدل على وقوع الثاني لوقوع الأول. فلما آتاهم من فضله المفعول الثاني محذوف تقديره فلما آتاهم ما تمنوه من فضله. لنصدقن أصله لتصدقن أدغمت التاء في الصاد
 — (النزول) —

قيل تزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الانصار فقال للنبي ﷺ ادع الله أن يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال ممي ذهابا وفضة لسارت ثم آتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنائمه كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها ثم كثرت نمواً حتى تباعد عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة وبعث رسول الله ﷺ اليه المصدق ليأخذ الصدقة فأبى وبخل وقال ما هذه إلا أخت الجزية فقال رسول الله ﷺ يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة وأتزل الله الآيات عن أبي أمامة الباهلي وروى ذلك مرفوعاً وقيل ان ثعلبة أتى مجلساً من الانصار فأشهدهم فقال لئن آتاني الله من فضله تصدقت منه وآتيت كل ذي حق حقه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فمات ابن عم له فورثه مالا ولم يف با قال فنزلت عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة وقيل تزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف قال لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقها الله المال بجلال به من الحسن ومجاهد وقيل تزلت في رجال من المناقين نبئ بن الحارث وجد بن قيس وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير عن الضحاك وقيل نزلت في حاطب بن ابي يلمته مال بالشام فأبطأ عليه وجهه لذلك جهداً شديداً فحلف لئن آتاه الله ذلك المال ليصدقن فأتاه الله تعالى ذهب فلم يفعل من الكلبي

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (ومنهم) أي من جملة المناقين الذين تقدم ذكرهم (من عاهد الله لئن آتانا من فضله) أي لئن اعطانا من رزقه (لنصدقن) أي لتصدقن على الفقراء (ولنكونن من الصالحين) بإتقائه في طاعة الله وصلوة الرحم ومواساة أهل الحاجة (فلما آتاهم من فضله) أي اعطاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنوه من الأموال (بخلوا به) أي شحت نفوسهم عن الوفاء بالهد ومنعوا حق الله منه (وتولوا) عن فعل ما أمرهم الله به (وهم معرضون) عن دين الله تعالى (فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم) أي فأورثهم بخلهم بما أوجبوا الله تعالى على انفسهم النفاق في قلوبهم وأداهم إلى ذلك عن الحسن كأنهم حصلوا على النفاق بسبب البخل وهذا مكن يقول لابنه اعقبك صحبة فلان ترك التعلم وقيل معناه اعقبهم الله بذلك حرمان التوبة كما حرم ابليس عن مجاهد وأراد بذلك أنه دلنا على انه لا يتوب كما دلنا من حال ابليس على انه لا يتوب لأنه سلب عنه قدرة التوبة (إلى يوم يلقونه) أي يلقون جزاء البخل فذكر البخل وأراد به جزاءه كقوله سبحانه اعمالهم كرماد اشتدت به الريح على القول الثاني فعناه إلى يوم يلقون الله أي اليوم الذي لا يملك فيه النفع والضر إلا الله تعالى وهذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء المناقين انهم يموتون على النفاق وكان ذلك معجزة لنبي ﷺ لأنه خرج مخبره على وفق خبره (بما اختلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) بين

سببانه ان هذا انما اصابهم بفصلهم السي وهو اخلافهم الوعد وكذبهم (لم يعلموا) اي لم يعلم هؤلاء المنافقون (ان الله يعلم سرهم) اي ما يخفون في انفسهم (ونجوهم) ما يتناجون به بينهم وهذا استفهام يراد به التوبيخ والمعنى انه يجب عليهم ان يعلموا ذلك (وان الله علام الغيوب) جمع غيب وهو كل ما غاب عن الاحساس ومعناه يعلم كل ما غاب عن العباد وعن ادراكهم من موجود او معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه لأن ضالا صيغة مبالغة وفي قوله فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الآية دلالة على ان بعض المعاصي قد يدعو الى بعض لانهم لما تهاونوا باداء هذا الحق دعاهم ذلك الى الثبات على النفاق الى الممات وكذلك يدعو بعض الطاعات الى بعض وعلى ذلك ترتيب الشرائع وفيه دلالة على ان الاخلاف والخبانة والكذب من اخلاق أهل النفاق وقد صح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال للمنافق ثلاث علامات اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خاب

قوله تعالى (٧٩) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٨٠) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (آياتان)

—* الفة *

المطوع اصله المنطوع ادغمت التاء في الطاء لانها من مخرجها والطاء افضل منها بالاستعلاء والاطباق والتطوع كل فعل يستحق المدح بفعله ولا يستحق الذم بتركه ونظيره النافلة والفضيلة والجهد والجهد بمعنى وهو الحمل على النفس بما يشق وقيل بينها فرق والجهد بالفتح في العمل وبالضم في القوت عن الشعبي وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاعة عن القتيبي

— الاعراب —

يجوز ان يكون موضع الذين يلمزون بان يكون بدلا من الماء والميم في قوله ومنهم من عاهد الله ويحتمل ان يكون رفعا على الابتداء وخبره سخر الله منهم وهذا اولي وقوله في الصدقات من صلة يلمزون ولا يكون من صلة المطوعين لأنه فصل بينها قوله من المؤمنين والذين لا يجدون عطف على الذين يلمزون

—* المعنى *

ثم وصفهم الله بصفة أخرى قال (الذين يلمزون) اي يسيئون (المطوعين) المتطوعين بالصدقة (من المؤمنين) ويطعنون عليهم (في الصدقات) والذين لا يجدون إلا جهدهم) اي ويسيئون الذين لا يجدون إلا طاقتهم فيتصدقون بالقليل قبل اتاه عبد الرحمن بن عوف بصرة من دراهم تملأ الكف واتاه عتبة بن زيد الحارثي بصاع من تمر وقال يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعتر كنت لأهلي وصاعا اقرضته ربي وجاء زيد بن اسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نبتل ان عبد الرحمن رجل يحب الريا ويتقي الذك بذلك وان الله غني عن الصاع من التمر فابوا المكث بالرياء والمقل بالاقبال (فيسخرون منهم) أي فيستهزؤون منهم (سخر الله منهم) اي جازاهم جزاء سخرتهم حيث صاروا إلى النار (ولهم

عذاب اليم (أي موجع مؤلم وروى عن النبي ﷺ انه سئل فقيل يا رسول أي الصدقة افضل قال جدد المقل (استغفر لهم او لا تستغفر لهم) صبيته صيغة الأمر والمراد به المبالغة في الايام من المغفرة بأنه لو طلبها طلب الأمور بها أو تركها ترك المنهي عنها لكان ذلك سواء في ان الله تعالى لا يفعلها كما قال سبحانه في موضع آخر سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) الوجه في تمليق الاستغفار بسبعين مرة المبالغة لا العدد المخصوص ويجري ذلك مجرى قول القائل «لو قلت لي الف مرة ما قبلت» والمراد اني لا اقبل منك فكذلك الآية والمراد بذلك فيها نفي الغفران جملة وقيل ان العرب تبالع بالسبعة والسبعين ولهذا قيل للأسد السبع لأنهم تأولوا فيه لقوته انها ضوعفت له سبع مرات واما ما ورد ان النبي ﷺ قال والله لا يزيدن عن السبعين فإنه خبر واحد لا يعول عليه ولا يتضمن ان النبي ﷺ يستغفر للكفار وذلك غير جائز بالاجماع وقد روي انه قال لو علمت انه لو زدت على السبعين مرة غفر لهم لفظت ويمتثل ان يكون النبي ﷺ يرجو ان يكون لهم لطف يصلحون به فزعم على الاستغفار لهم فلما بين الله عز اسمه انه ليس لهم لطف ترك ذلك ويمتثل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يعلم بكفرهم ونفاقهم ويمتثل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يخبر بأن الكافر لا يغفر له أو قبل ان يمنع منه ويجوز ان يكون استغفاره لهم واقما بشرط التوبة من الكفر فمنه الله منه واخبره بأنهم لا يؤمنون أبدا فلا فائدة في الاستغفار لهم والله أعلم بحقيقة الأمر (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) معناه ان حرمان المغفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) مر معناه

قوله تعالى (٨١) فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨٢) فليضحكوا قليلا وليكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٣) فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن نخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (ثلاث آيات)

✽ اللفظة ✽

المخلف المتروك خلف من مضى ومثله المؤخر عن مضى والفرح ضد التهم وهو لذة في القلب بنيل المشتى ومثله السرور وقال البصريون من المعتزلة ان السرور والتهم يرجعان إلى الاعتقاد فالسرور اعتقاد وصول منفعة اليه في المستقبل أو دفع ضرر مظنون عنه أو معلوم والتهم اعتقاد وصول ضرر اليه في المستقبل أو فوت منفعة عنه واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه والخلاف مصدر خالفته مخالفة وخلافا وزعم ابو عبيدة ان معناه بعد وانشد

عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا
بَسَطَ الشَّوَابِطُ يَنْهَنُّ حَصِيرًا

والشواطي النساء يقدون الأديم بعد ما يقدرنه والخالف كل من تأخر عن الشاخص والمتخلف بمعناه والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الإنسان عن تعجب مع فرح والبكاء حال تقبض يظهر عن غم في الوجه مع جري الدموع على الخد

* الأعراب *

خلاف نصب على المصدر بمعنى المفعول له إذا جعلته بمعنى المخالفة وإذا جعلته بمعنى خلف فهو نصب على الظرف فليضحكوا وإنما سكنت لام الأمر ولم تسكن لام الإضافة لأنها تؤذن بعملها للجر المناسب لها فلذلك الزمت الحركة مع ان العوامل في الأسماء أقوى من العوامل في الأفعال جزاء نصب على المصدر أي يجوزون جزاء على أفعالهم التي اكتسبوها

* المعنى *

ثم أخبر سبحانه ان جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبي ﷺ ولم يخرجهم معه إلى تبوك استأذنه في التأخر فأذن لهم فرحوا بعودهم فقال (فرح المخلفون بعودهم) أي بعودهم عن الجهاد (خلاف رسول الله) أي بعده وقيل معناه لمخالفتهم النبي ﷺ (وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) ظاهر المعنى (وقالوا) أي قالوا للمسلمين ليصدوهم عن الغزو (لا تنفروا في الحرب) أي لا تخرجوا إلى الغزو سراعاً في هذا الحرب وقيل بل معناه قال بعضهم لبعض ذلك طلباً للراحة والدعة وعدولاً عن تحمل المشاق في طاعة الله ومرضاته (قل) يا محمد لهم (نار جهنم) التي وجبت لهم بالتخلف عن امر الله تعالى (أشد حراً) من هذا الحرب فهي أولى بالاحتراز والحذر عنها اذ لا يمتد بهذا الحرب في جنب ذلك الحرب (لو كانوا يفتقرون) أو امر الله تعالى ووعده ووعيدته (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) هذا تهديد لهم في صورة الأمر أي فليضحك هو لا المنافقون في الدنيا قليلاً لأن ذلك يفتني وان دام إلى الموت ولأن الضحك في الدنيا قليل لكثرة احزانها وهموما وليبكوا كثيراً في الآخرة لأن ذلك يوم مقداره خمسين الف سنة وهم فيه يبكون فصار بكواؤهم كثيراً (جزاء بما كانوا يكسبون) من الكفر والنفاق والتخلف بغير عذر عن الجهاد قال ابن عباس ان اهل النفاق ليكون في اثار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وروى انس بن مالك عن النبي ﷺ انه قال لو تعلمون ما نسئم لضحككم قليلاً ولبكيتم كثيراً (فإن رجعت الله) يا محمد أي فإن رددك الله من غزوتك هذه وسفرك هذا (إلى طائفة منهم) أي من المنافقين الذين تخلفوا عنك وعن الخروج معك (فاستأذنوك للخروج) معك إلى غزوة اخرى (قل لن تخرجوا معي ابدا) إلى غزوة (ولن تقاتلوا معي عدواً) ثم بين سبحانه سبب ذلك فقال (انكم رضيتم بالعود اول مرة) أي عن غزوة تبوك (فأتصدوا مع الخالفين) في كل غزوة واختلف في المراد بالخالفين ف قيل معناه مع النساء والصبيان عن الحسن والضحاك وقيل مع الرجال الذين تخلفوا من غير عذر عن ابن عباس وقيل مع المخالفين قال الفراء يقال عبد خالف وصاحب خالف إذا كان مخالفاً وقيل مع الخساسة والادنياء يقال فلان خالفه اهله إذا كان ادونهم وقيل مع اهل الفساد من قولهم خلف الرجل على اهله يخلف خلوفاً إذا فسد ونبيذ خالف أي فاسد وخلف فم الصائم إذا تغيرت ريحه وقيل مع المرضى والزمنى وكل من تأخر لتقص عن الجبائي

قوله تعالى (٨٤) وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٥) وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ
يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (آيَاتان)

* الأعراب *

مات جملة في موضع جر صفة لا حد وتقديره على احد مبت منهم وابدأ منصوب لأنه ظرف لقوله تصل وانما كسران من قوله انهم كفروا وان كان في موضع التعليل لتحقيق الاخبار بأنهم على الصفة التي ذكرها

* المعنى *

ثم نهى سبحانه نبيه ﷺ عن الصلاة عليهم فقال (ولا تصل) يا محمد (على احد منهم) اي من المنافقين (مات ابدأ) أي بعد موته فإنه عليه السلام كان يصلي عليهم ويجري عليهم احكام المسلمين (ولا تقم على قبره) أي لا تقف على قبره للدعاء فإنه (ع) كان إذا صلى على ميت يقف على قبره ساعة ويدعو له فنهأه الله تعالى عن الصلاة على المنافقين والوقوف على قبورهم والدعاء لهم ثم بين سبحانه سبب الأمرين فقال (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) فما صلى رسول الله ﷺ بعد ذلك على منافق حتى قبض وفي هذه الآية دلالة على أن القيام على القبر للدعاء عبادة مشروعة ولولا ذلك لم يخص سبحانه بالنهي عنه الكافر وروي أنه ﷺ صلى على عبد الله بن ابي والبسه قميصه قبل ان ينهى عن الصلاة على المنافقين عن ابن عباس وجابر وقتادة وقيل إنه ﷺ أراد ان يصلي عليه فأخذ جبرائيل بثوبه وتلا عليه ولا تصل على احد منهم لآية عن انس والحسن وروي انه قيل لرسول الله لم وجهت بقميصك اليه يكفن فيه وهو كافر فقال ان قميصي لن تغني عنه من الله شيئاً واني اؤمل من الله ان يدخل بهذا السبب في الاسلام خلق كثير فروي انه أسلم الف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ ذكره الزجاج قال والاكثر في الرواية انه لم يصل عليه (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم) الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة (انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا) بما يلحقهم فيها من المصائب والنعوم وبما يأخذها منهم المسلمون على وجه العنينة وبما يشق عليهم من اخراجها في الزكاة والانفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الاسلام فيشد عليهم فيكون ذلك عذاباً لهم (وتزهق انفسهم) أي تهلك بالموت (وهم كفرون) اي في حال كفرهم وقد مضى تفسير مثل هذه الآية وانما كرر للتذكير في موطنين مع بعد أحدهما عن الآخر ويموز ان يكون الآيتان في فريقين من المنافقين فيكون كما يقول القائل لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو عن الجبائي

قوله تعالى (٨٦) وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ أُتَوُا ذُنُوبَكُمْ وَأُولُو
الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٧) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧) لِيَكِنَّ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (أربع آيات)

(اللغة) =

قال الزجاج الخوالم النساء لتخلفن عن الجهاد ويموز أن يكون جمع خالفة في الرجال والخالف والخالفة الذي هو غير نجيب ولم يأت في فاعل فواعل صفة الا في حرفين قالوا فارس وفوارس وهالك وهوالك والطبع واختم بمعنى واحد والخيرات المنافع التي تسكن النفس اليها وترتاح لها من النساء الحسان وغيرهن من نعيم

الجنان واحدا خيرة قال الشاعر

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلَاتِ رَبَلَاتٍ هِنْدٍ خَيْرَةَ الْمَلَكَاتِ (١)

وقال المبرد الخيرات الجوارى الفاضلات جمع خيرة وقيل يجوز ان يكون خيرة بالتشديد فخفت نحو هين وهين واولا اعداد جعل الشيء مهيئا لغيره واصله من العدد لانه قد عدد الله جميع ما يحتاج الى تقديمه له من الامور ومثله اتخاذ الاعتاد

✽ الاعراب ✽

ان آمنوا في موضع نصب مجذف حرف الجر على تقدير بان آمنوا اي بالايان ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه تمام اخبار المنافقين فقال (واذا انزلت سورة) من القرآن على محمد ﷺ (ان آمنوا بالله) اي بان آمنوا هو خطاب للمؤمنين وامرهم بان يدوموا على الايمان ويتمسكوا به في مستقبل الاوقات ويدخل فيه المنافق ويتناول الامر بان يستأنف الايمان ويترك النفاق (وجاهدوا مع رسوله) اي اخرجوا الى الجهاد معه فكانه قال آمنوا انتم وادعوا الى الايمان غيركم (استأذنتك) اي طلب الاذن منك في التهود (اولوا الطول) اي اولوا المال والقدرة والغنى عن ابن عباس وغيره (منهم) اي من المنافقين (وقالوا ذرنا) اي دعنا (نكن مع القاعدين) اي المتخلفين عن الجهاد من النساء والصبيان وانما لحق هؤلاء الذم لانهم اقموا على الجهاد (ورضوا بان يكونوا مع الخولاف) اي رضوا لنفوسهم ان يقعدوا مع النساء والصبيان والمرضى والمقعدين (وطبع على قلوبهم) ذكرنا معنى الطبع فيما تقدم قال الحسن هؤلاء قوم قد بلغوا الحد الذي من بلغه مات قلبه (فهم لا يفقهون) او امر الله ونواهي ولا يتدبرون الا دلة ثم مدح النبي ﷺ والمؤمنين فقال سبحانه (لكن الرسول) والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم) بنفقونها في سبيل الله ورضاهم (وانفسهم) يقاتلون الكفار ثم اخبر سبحانه عما اعد لهم من الجزاء على اتيادهم الله ورسوله فقال (واولئك لهم الخيرات) من الجنة ونعيمها وقيل الخيرات المنافع والمدح والتعظيم في الدنيا والثواب والجنة في الآخرة (واولئك هم المفلحون) اي الظافرون بالوصول الى البقية (اعد الله لهم) اي هباً وخلق لهم (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) مضى تفسيره في غير موضع (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره (الفوز العظيم) والفوز النجاة من المهلكة الى حال النعمة وسببت المهلكة مغارة تفاولا لها بالنجاة وانما وصفه بالعظيم لانه حاصل على وجه الدوام وبالاغزاز والاجلال والاكرام

قوله تعالى (٩٠) وَجَاءَ الْمُذَرُّونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب وقتيبة المذرون بسكون العين وتخفيف الذال وهي قراءة ابن عباس والضحاك ومجاهد والباقون بفتح العين وتشديد الذال

(١) الربلات جمع الرباة: كل حبة غليظة وقيل هي بالطن الغنزة

(الخليفة) -

من قرأ بالتخفيف أراد الذين يأتون بالعدو ومن قرأ بالتشديد احتل أمرين * أحدهما * ان يكون المراد المعتذرون كان لهم عذراً ولم يكن وإنما ادغم التاء في الذال لقرب مخرجها * والثاني * انه أراد المقصرون من التمهيد فالمعذر المقصر الذي يريك انه معذور ولا عذره والمعذر المبالغ الذي له عذر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذره قال لبيد « ومن ييك حولا كاملا قد اعتذر » أي اتى بعذر

(المعنى) -

لما تقدم حديث المخلفين صنف الله تعالى الاعراب منهم صنفين فقال سبحانه (وجاء المعتذرون من الاعراب) أي المقصرون الذين يعتذرون وليس لهم عذر عن أكثر المفسرين وقيل هم المعتذرون الذين لهم عذر وهم نفر من بني غفار عن ابن عباس قال وبدل عليه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فعطف الكاذبين عليهم فدل ذلك على أن الأولين في اعتذارهم صادقون وقيل معناه الذين يتصورون بصورة أهل العذر وليسوا كذلك (ليؤذن لهم) في التخلف عن الجبائي (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أي وقعدت طائفة من المنافقين من غير ان يعتذروا وهم الذين كذبوا فيما كانوا يظهرونه من الإيمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) قال ابو عمرو بن العلاء في هذه الآية كلا الفريقين كان مسيئاً جاء قوم فهدروا وجنح آخرون فقدموا يريد أن قوما تكلفوا عذراً بالباطل يتخاف آخرون من غير تكلف عذرواظهار علة جراحة على الله ورسوله

قوله تعالى (٩١) لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٢) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتَحْمِلُهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ (٩٣) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتُنذِرُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (ثلاث آيات)

* النية *

النصح اخلاص العمل من الفش والحمل اعطاء المركوب من فرس او بعير او غير ذلك تقول حمله يحمله حلاً إذا اعطاه ما يحمل عليه قال

الْأَفْتَى عِنْدَهُ حُفَانٌ يَحْمِلُنِي
عَلَيْهَا إِنِّي شَيْخٌ عَلَى سَفَرٍ

والفيض الجري عن متلا من قولهم فاض الاناء بما فيه والحزن ألم في القلب بغوت أمر مأخوذ من حزن الأرض وهي الأرض التليظة المسلك

- الاعراب -

حزناً نصب لأنه مفعول له أي يبكون الحزن ولا يجدوا منصوب بأن وموضع ان لا يجدوا نصب تقديره لأن لا يجدوا حذف الجار فوصل الفعل

* النزول *

قيل إن الآية الأولى نزلت في عبد الله بن زائدة وهو ابن أم مكتوم وكان ضرب البصر جاء الى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله اني شيخ ضرب خفيف الحال نحيف الجسم وليس لي قائد فهل لي رخصة في التخلف عن الجهاد فسكت النبي ﷺ فأنزل الله الآية عن الضحاك وقيل نزلت في عائذ بن عمرو واصحابه عن قتادة والآية الثانية نزلت في البكائين وهم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب وعتبة بن زيد وعمرو بن نعمة وهو لاء من بني النجار وسالم بن عبيد وهرم بن عبد الله وعبد الله بن عمرو ابن عوف وعبد الله بن معقل من مزينة جاؤا الى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله اهلنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه فقال لا أجد ما احملكم عليه عن ابي حمزة الثمالي وقيل نزلت في سبعة نفر من قبائل شتى أتوا النبي ﷺ فقالوا له اهلنا على الخفاف والبنغال عن محمد بن كعب وابن اسحاق وقيل كانوا جماعة من مزينة عن مجاهد وقيل كانوا سبعة من قراء الانصار فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب النضري ثلاثة عن الواقدي قال وكان الناس يتوبك مع رسول الله ﷺ ثلاثين الفا منهم عشرة آلاف فارس

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه أهل العذر فقال (ليس على الضمفاء) وهم الذين قوتهم ناقصة بالزمانة والمعجز عن ابن عباس وقيل هم الذين لا يقدر على الخروج (ولا على المرضى) وهم اصحاب العلل المانعة من الخروج (ولا على الذين لا يبصرون ما ينفقون) يعني من ليست معه نفقة الخروج وآلة السفر (خرج) أي ضيق وجناح في التخلف وترك الخروج مع رسول الله ﷺ (إذا نصحو الله ورسوله) بأن يخلصوا العمل من النفس ثم قال سبحانه (ما على المحسنين من سبيل) أي ليس على من فعل الحسن الجميل في التخلف عن الجهاد طريق للتقرع في الدنيا والمذاب في الآخرة وقيل هو عام في كل محسن والاحسان هو ايصال النفع الى الغير ليتنفع به مع تعريه من وجوه القبح ويصح أن يحسن الإنسان الى نفسه ويحمد على ذلك وهو اذا فعل الأفعال الجميلة التي يستحق بها المدح والثواب (والله غفور) أي سائر على ذوي الاعذار بقبول العذر منهم (رحيم) بهم لا يلزمهم ما فوق طاقتهم ثم عطف عليه فقال (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) أي ولا على الذين اذا جاؤك يسألونك مركبا يركبونه فيخرجون معك الى الجهاد اذ ليس معهم من الأموال والظهر ما يمكنهم الخروج به في سبيل الله (قلت لا أجد ما احملكم عليه) أي لا أجد مركبا تركبونه ولا ما اسوي به أمركم (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون) أي رجوا عنك وأعينهم تسيل بالدمع لحزنهم ان لا يجدوا ما يركبونه من الدواب وينفقونه في الطريق ليخرجوا معكم ولحزنها على الخروج المعنى وليس على هؤلاء ايضا حرج في التخلف عن الجهاد وليس عليهم سبيل للذم والعقاب (انا السبيل) والطريق بالعقاب والحرج (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) أي يطلبون الاذن منك يا محمد في المقام وهم مع ذلك اغنياء متمكنون من الجهاد في سبيل الله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) من النساء والصبيان ومن لا حراك به (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) قد تقدم بيانه

قوله تعالى (٩٤) يَعتَظِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ

نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٥) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنِعْرِضُوا عَنْهُمْ
 فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ جُزْءًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) يَحْلِفُونَ لَكُمْ
 لِنِعْرِضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (ثلاث آيات)

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت الآيات في جد بن قيس ومعنب بن قشير واصحابها من المناقبين وكانوا ثمانين رجلا ولما قدم
 النبي ﷺ المدينة را جمان تبوك قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم من ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله
 ابن ابي حلف للنبي ﷺ ان لا يتخلف عنه بعدها وطلب الى النبي ﷺ ان يرضى عنه عن مقاتل

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر الله سبحانه عن هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ﷺ قال (يبتدرون اليكم) من
 تأخرهم عنكم بالأبطل والكذب اذا رجعت اليهم اي اذا انصرفتم الى المدينة من غزوة تبوك (قل) يا
 محمد (لا تتذروا لن تؤمن لكم) اي لسنا نصدقكم على ما تقولون (قد نبأنا الله من اخباركم) اي قد أخبرنا
 الله واعلمنا من اخباركم وحقيقة أمركم ما علمنا به كذبكم وقيل انه أراد به قوله سبحانه لو خرجوا فيكم
 ما زادوكم الا خبالا الآية (وسيرى الله عملكم ورسوله) أي سيعلم الله فيما بعد ورسوله عملكم هل تتوبون
 من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل معناه سيعلم الله أعمالكم وعزائمكم في المستقبل ويظهر ذلك لرسوله فيعلمه
 الرسول بأعلامه اياه فيصير كالشيء المرئي لأن أظهر ما يكون الشيء أن يكون مرئيا كما علم ذلك في الماضي
 فأعلم به الرسول (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) اي ترجعون بعد الموت الى الله سبحانه الذي يعلم ما غاب
 وما حضر وما يخفى عليه السر والعلانية (فينبئكم بما كنتم تعملون) اي يخبركم بأعمالكم كلها حسنها وقيبحها
 فيجازيكم عليها اجمع (سيحلفون بالله لكم) اي سيقسم هؤلاء المناقبون والمتخلفون فيما يبتدرون به اليكم
 ايها المؤمنون (اذا انقلبتم اليهم) انهم انما تخلفوا العذر (لنعرضوا عنهم) اي لنصفحواعن جرمهم ولا توبخوهم
 ولا تنفخوهم ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين فقال (فأعرضوا عنهم) اي اعراض ردوا انكار وتكذيب
 ومقت ثم بين عن سبب الاعراض فقال (انهم رجس) اي نجس ومعناه انهم كالشيء المتن الذي يجب الاجتناب
 عنه فاجتنبواهم كما تجتنب الانجاس (وما واهم جهنم) اي مصيرهم ومآلهم ومستقرهم جهنم (جزاء بما كانوا
 يكسبون) اي مكافاة على ما كانوا يكسبونه من المعاصي (يحلفون لكم لترضوا عنهم) اي طلبا لرضائكم عنهم
 ايها المؤمنون (فإن ترضوا عنهم) لجهلكم بحالهم (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) الخارجين من
 طاعته الى معصيته لعله بحالهم ومعناه انه لا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم
 وإنما قال سبحانه ذلك لئلا يتوهم انه اذا رضي المؤمنون فقد رضي الله والمراد بذلك انه اذا كان الله لا يرضى
 عنهم فينبغي لكم ايضا ان لا ترضوا عنهم وفي هذا دلالة على ان من طلب بفضله رضا الناس ولم يطلب رضا
 الله سبحانه فإن الله يسخط الناس عليه كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ انه قال من التمس رضا
 الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط الله عليه الناس

قوله تعالى (٩٧) الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليهم حكيم (٩٨) ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتر بصيكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليهم (٩٩) ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول إلا إنها قربة لهم سبغهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بضم السين وفي سورة الفتح مثله والباقون بفتح السين وقرأورش واسماعيل عن نافع قرينة بضم الراء والباقون قرينة بسكون الراء

❖ الحجة ❖

قال ابو علي الدائرة لا تخلو اما ان تكون صفة او بمنزلة العاقبة والمافية والصفة اكثر في الكلام فينبغي ان يحمل عليها فالمعنى عليها انها خلقة تحيط بالانسان حتى لا يكون له منها مخلص واضيفت الى السوء او الى السوء على الوجهين على وجه التأكيد والزيادة في التبيين ولولم تفضل له هذا المعنى منها كما ان محوقله شمس النهار كذلك والسوء الرداة والفساد وهو خلاف الصدق الذي في قولك ثوب صدق وليس الصدق من صدق اللسان كما ان السوء ليس من سوءته في المعنى وان كان اللفظ واحداً بذلك على ذلك انك اخضفته الى ما لا يجوز عليه الصدق والكذب في الأخبار واما دائرة السوء بالضمه فكقولك دائرة الهزيمة ودائرة البلاء فاجتمعا في جواز اضافة الدائرة اليهما من حيث اريد بكل واحد منهما الرداة والفساد فمن قال دائرة السوء فتقديره الإضافة الى الرداة والفساد ومن قال دائرة السوء فتقديره دائرة الضرر والمكروه من قولهم سوءته مساة ومساية والمعيان متقاربان قال ابو الحسن دائرة السوء كما تقول رجل سوء وانشد

وَ كُنْتُ كَذِيبِ السَّوِّ لَمَّا رَأَيْتُ دَمًا
بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ (١)

واما قوله قرينة فالأصل حركة الراء والاسكان للتخفيف كما في الرسل والكتب والأذن والطنب واما قربات فينبغي ان يتقل لأنه اذا ثقل ما اصله التخفيف نحو الظلمات والفرقات فان قرينة الثانية في الكلمة الواحدة اجدر ومثل قولهم قرينة وقرينة يسرة ويسرة هدنة وهدنة حكاه محمد بن يزيد

— الفة —

رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد ورجل اعرابي اذا كان ساكناً في البادية والعرب صنفان عدنانية وقحطانية والفضل للمدانية برسول الله ﷺ واجدر مأخوذ من جدر الحائط بسكون الدال وهو اصله واساسه والمغرم الغرم وهو نزول نائبة بالمال من غير خيانة واصله لزوم الأمر ومنه قوله ان عذابها كان غراماً اي لازماً وحب غرام اي لازم والغريم يقال لكل واحد من المتدائنين لزوم احدهما الآخر وغرته كذا اي الزمته اياه في ماله والتربص الانتظار ومنه التربص بالطعام لزيادة الاسعار واصله التمسك بالشيء لماقبة والدوائر جمع دائرة هي من حوادث الدهر وقيل الحال المنقلبة عن النعمة الى البلية والدائرة الدولة والقربة هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة

(١) قائد الفرزدق يذم صاحبه بالجفاء فان الذناب (نحو ما حكى عن اليمى) ان اجتمعت على انسان وأدى الانسان واحداً منها وتبى الباقر على المدى فتركو الانسان.

﴿ الأعراب ﴾

اجدر ان لا يلموا أن في موضع نصب لأن الباء محذوفة والمعنى اجدر بترك العلم تقول انت جدبر أن تفعل وجدبر بأن تفعل اي هذا الفعل ميسر لك واذا حذف الباء لم يصلح إلا بأن وان أثبت الباء صلح بأن وغيرها تقول انت جدبر بأن تقوم وجدبر بالقيام وإنما صلح مع ان الحذف لأن ان يدل على الاستقبال فكأنهما عوض من المحذوف وصلوات الرسول عطف على قوله ما ينفق وموضعه نصب وتقديره ويتخذ النفقة وصلوات الرسول ويتخذ قربات وقيل صلوات معطوف على قربات على معنى يطلبون بالاتفاق قرابة الله وصلوات الرسول عن الجائي

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر المناقنين بين سبحانه أن الأعراب منهم أشد في ذلك واكثر جهلا فقال (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً) يريد الأعراب الذين كانوا حول المدينة وانما كان كفرهم اشد لأنهم اقصى واجفى من أهل المدن وهم ايضا بعد من سماع التنزيل وانذار الرسل عن الزجاج ومناه أن سكان البوادي اذا كانوا كفاراً او مناققين فهم أشد كفراً من أهل الحضرة بعدهم عن مواضع العلم واستماع الحجج ومشاهدة المعجزات وبركات الوحي (واجدر أن لا يعلموا حدود ما نزل الله على رسوله) اي وهم احرى وأولى بأن لا يعلموا حدود الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما يحكم به عليهم (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مفرماً) اي ومن مناقبي الأعراب من يعد ما ينفق في الجهاد وفي سبيل الخير مفرماً لحقه لأنه لا يرجوه ثواباً (ويربص بكم الدوائر) أي ويتنظر بكم الدوائر اي صفوف الزمان وحوادث الايام والعواقب المذمومة قال الزجاج والفراء كانوا يربصون بهم الموت او القتل فكانوا ينتظرون موت النبي ﷺ ليرجموا الى دين المشركين واكثر ما يستعمل الدائرة في زوال النعمة الى الشدة والمافية الى البلاء ويقولون كانت الدائرة عليهم وكانت الدائرة لهم ثم رد سبحانه ذلك عليهم فقال (عليهم دائرة السوء) اي على هؤلاء المناقنين دائرة البلاء يعني أن ما ينتظرون بكم هو لاء حق بهم وهم المظنون ابداً (والله سميع) لمقاتلتهم (عليم) بنياتهم لا يخفى عليه شيء من حالهم ثم بين سبحانه من الأعراب المؤمنين المخلصين فقال (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) ومنهم من يرجع الى سلامة الاعتقاد في التصديق بالله وبالقيامة والجنة والنار (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) اي ويريد بنفقته في الجهاد وغير ذلك من أعمال البر قربات جمع قرابة وهي الطاعة اي طاعات عند الله وتمظيم امره ورعاية حقه وقيل معناه يتقرب الى الله بإنفاقه ويطلب بذلك ثوابه ورضاه (وصلوات الرسول) اي دعاؤه بالخير والبركة عن قتادة وقيل استغفاره عن ابن عباس والحسن ومعناه انه يرغب في دعاء النبي ﷺ (الا انها قرابة لهم) معناه الا ان صلوات الرسول قرابة لهم تقرتهم الى ثواب الله ويجوز ان يكون المعنى ان نفقتهم قرابة لهم الى الله (سيدخلهم الله في رحمته) هذا وعد منه سبحانه بأن يرحمهم ويدخلهم الجنة وفيه مبالغة بأن الرحمة غيرتهم ووسعتهم (ان الله غفور) لذنوبهم (رحيم) بأهل طاعته وهما من الفاظ المبالغة في الوصف بالمنفرة والرحمة

قوله تعالى (١٠٠) وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

بِحَسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب والانصار بالرفع وهي قراءة عمر بن الخطاب والحسن وقتادة والقراءة المشهورة والانصار
بالجر وقرأ ابن كثير وحده من تحتها بزيادة من وكذلك هو في مصاحف مكة وقرأ الباقر تحتها بشير من
وعليه سائر المصاحف والمعنى واحد

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالرفع عطفه على قوله السابقون ومن قرأ بالجر عطفه على المهاجرين واما قوله والذين اتبعوهم
باحسان فيجوز ان يكون معطوفا على الانصار في رفعه وجره ويجوز أن يكون معطوفا على السابقون وان
يكون معطوفا على الانصار اولى لقربه منه

﴿ الإعراب ﴾

السابقون مبتدأ والأولون صفة من المهاجرين تبين لهم والذين اتبعوهم ان حملته على السابقون كان
مرفوعا وان حملته على الانصار كان مجرورا وخبر الاسماء كلها رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم
عطف على رضي فالوقف على قوله خالدون فيها ابدا

﴿ النزول ﴾

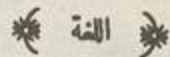
قيل نزلت هذه الآية فيمن صلى الى القبلتين عن سعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وقتادة وقيل نزلت
فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية عن الشعبي قال ومن اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين
الأولين وقيل هم اهل بدر عن عطاء بن رباح وقيل هم الذين اسلموا قبل الهجرة عن الجبائي

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر المناقين والكفار عقبه سبحانه بذكر السابقين الى الايمان فقال (والسابقون الاولون)
أي السابقون الى الايمان والى الطاعات وإنما مدحهم بالسبق لأن السابق الى الشيء يتبعه غيره فيكون
متبوعا وغيره تابع له فهو امام فيه وداع له الى الخير بسبقه اليه وكذلك من سبق الى الشر يكون اسوأ حالا
لهذه العلة (من المهاجرين) الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة (والانصار) أي ومن الانصار
الذين سبقوا نظراهم من أهل المدينة الى الاسلام ومن قرأ والانصار بالرفع لم يجعلهم من السابقين وجعل
السبق للمهاجرين خاصة (والذين اتبعوهم باحسان) أي بأفضل الخير والدخول في الاسلام بعدم وسلوك
مناجهم ويدخل في ذلك من يجيء بعدم الى يوم القيامة (رضي الله عنهم ورضوا عنه) أخبر سبحانه أنه
رضي عنهم افعالهم ورضوا عن الله سبحانه لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم به ويقينهم (واعد
لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا) أي بقون ببقاء الله منعمين (ذلك الفوز العظيم) أي الفلاح
العظيم الذي يصفر في جنبه كل نعيم وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما
لحقهم من انواع المشقة في نصره الدين فمنها مفارقة العشائر والأقربين ومنها ما ياتى من المؤلفين من الدين ومنها

نصرة الإسلام مع قلة العدد وكثرة العدو ومنها سبق إلى الإيمان والدعاء إليه واختلف في أول من أسلم من المهاجرين قبيل أن أول من آمن خديجة بنت خويلد ثم علي بن أبي طالب (ع) وهو قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وأنس وزيد ابن أرقم ومجاهد وقتادة وابن اسحاق وغيرهم قال انس بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى على عليه السلام وأسلم يوم الثلاثاء وقال مجاهد وابن اسحاق انه أسلم وهو ابن عشر سنين وكان مع رسول الله ﷺ أخذه من ابي طالب وضمه الى نفسه يربيه في حجره وكان معه حتى بعث نبيا وقال الكلابي انه اسلم وله تسع سنين وقبل اثنتا عشرة سنة عن ابي الاسود قال السيد ابو طالب الهروي وهو الصحيح وفي تفسير الثعلبي روى اسماعيل بن أبياس بن عفيف عن ابيه عن جده عفيف قال كنت امرأة تاجراً قدمت مكة أيام الحج فنزلت على العباس بن عبد المطلب وكان العباس لي صديقاً وكان يختلف الى اليمن يشترى المطر فيبيعه أيام الموسم فبينما أنا والعباس بمنى اذ جاء رجل شاب حين حلت الشمس في السماء فرمى ببعره الى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلاً فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث ان جاءت امرأة فقامت خلفها فركع الشاب فركع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجد امامه فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فقلت يا عباس امر عظيم فقال امر عظيم فقلت ويحك ما هذا فقال هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم ان الله بعثه رسولا وان كنوز كسرى وقصر ستمتج عليه وهذا الغلام علي بن ابي طالب وهذه المرأة خديجة بنت خويلد وزوجة محمد تابها على دينه وأيم الله ما على ظهر الأرض كلها حد على هذا الدين غير هؤلاء فقال عفيف الكندي بعد ما اسلم ورسخ الإسلام في قلبه يا ليتني كنت رابعا وروى ان ابا طالب قال لملي عليه السلام ابي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه قال يا ابي أنت بالله ورسوله وصدقه فيما جاء به وصليت معه لله فقال له ان محمداً ﷺ لا يدعوا الى خير فالزمه وروى عبد الله بن موسى عن العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال سمعت عليا (ع) يقول انا عبد الله وأخو رسوله وانا الصديق الأكبر لا يقوله ابي الا كذاب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وفي مسند السيد ابي طالب الهروي مرفوعا الى ابي ايوب عن النبي ﷺ قال صلت الملائكة علي وعلى علي سبعم سنين وذلك انه لم يصل فيها احد غيري وغيره وقبل ان أول من اسلم بعد خديجة ابوبكر عن ابراهيم النخعي وقيل أول من اسلم بعدها زيد بن حارثة عن الزهري وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده مرفوعا الى عبد الرحمن بن عوف في قوله سبحانه والسابقون الأولون قال هم عشرة من قريش اولهم اسلاماً علي بن ابي طالب (ع)

قوله تعالى (١٠١) وَمِنْ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠٢) وَأَخْرُوجُوا يُذَوِّبُهُمْ فَخَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آيتان)



حول الشيء المحيط به من حال يحول اذا دار بالانقلاب ومنه الحول للسنة والمحاولة لأنها تدور في المحور

والمراد أصله الملاسة ومنه صرح بمرد اي مملس والامرذ الذي لا شعر على وجهه والمراد الرملة التي لا تنبت شيئاً ذكره علي بن عيسى وقيل أصله الظهور والمراد الذي ظهر شره وشجرة مرداء اذا تساقط ورقها فظهرت عيدانها ورجل امرذ لظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفة ومرد الرجل يرد مروداً اذا عتا وخرج من الطاعة واعيا خبثاً ومنه شيطان مرد ومريد وفي المثل ترمذ مرد وخرز لا يلق وها حصنان

❖ الاعراب ❖

ومن أهل المدينة مردوا اي قوم مردوا فحذف الموصوف ويموزان يكون التقدير ومن أهل المدينة مناققون مردوا على النفاق ففصل بين الصفة والموصوف بالظرف وآخرون اعترفوا معطوف على قوله من الاعراب مناققون وكذلك وآخرون مرجون وان شئت قلّدت ومنهم آخرون

❖ المعنى ❖

ثم عاد الكلام الى ذكر المناقبين فقال سبحانه (ومن حولكم) اي ومن جملة من حولكم يعني حول مدينتكم (من الاعراب) وهم الذين يسكنون البدوا اذا كانوا مطبوعين على العريية (مناققون) يظهرون الايمان ويطنون الكفر وقيل انهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانت منازلهم حول المدينة (ومن أهل المدينة) اي مناققون وانما حذف لدلالة الأول عليه (مردوا على النفاق) اي مرونا على النفاق وتجروا عليه عن القراء وقيل معناه أقاموا عليه لم يتوبوا منه كما تاب غيرهم عن ابن زيد وابان بن تغلب وقيل معناه لجوافيه وابوا غيره عن ابن اسحاق وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره ومن حولكم من الاعراب مناققون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة اي مثل ذلك عن الزجاج (لا تعلمهم) يا محمد اي لا تعرفهم (نحن نعلمهم) اي نعرفهم (سعدتهم مرتين) فيه اقوال ❖ احدها ❖ ان معناه نعتهم في الدنيا بالفضيحة فإن النبي ﷺ ذكر رجالاً منهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته وقال اخرجوا فانكم مناققون ويمدّبهم في القبر عن ابن عباس والسدي والكلبي وقيل مرة في الدنيا بالسبي والقتل ومرة في الآخرة بذاب القبر عن مجاهد وروى حصيف عنه عذبوا بالجوع مرتين وقيل احداها أخذ الزكاة منهم والأخرى عذاب القبر عن الحسن وقيل احداها غيظهم من أهل الإسلام والأخرى عذاب القبر عن ابن اسحاق وقيل ان الأولى ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والأخرى عذاب القبر وقيل ان الأولى إقامة الحدود عليهم والأخرى عذاب القبر عن ابن عباس وكل ذلك محتمل غير اننا نعلم ان المرتين معا قبل ان يردوا الى عذاب النار (ثم يردون الى عذاب عظيم) اي يرجعون يوم القيامة الى عذاب مؤبد في النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) يعني من أهل المدينة ومن الاعراب آخرون أقرؤا بذنوبهم وليس يراجع الى المناققين والاعتراف الاقرار بالشيء عن معرفة (خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) يعني انهم يفعلون افعالاً جميلة ويفعلون افعالاً سيئة قبيحة والتقدير وعملاً آخر سيئاً (عسى الله ان يتوب عليهم) قال المفسرون عسى من الله واجبة وانما قال عسى حتى يكونوا بين طمع واشفاق فيكون ذلك ابعد من الاتكال على العفو واهمال التوبة وفي هذا دلالة على بطلان القول بالايجاب لانه لو صح الاحباط لكان احد العمالين اذا طرأ على الآخر احبطه وابطله فلم يجتسماً فلا يكون قوله خلطوا معنى وقال بهض التابعين ما في القرآن آية ارجى لهذه الامة من هذه الآية وقد يستعمل لفظ الخاط في الجمع من غير امتزاج يقال خلط الدرهم والدنانير وقيل انه يجري مجرى قولهم استوى

(الجزء الحادي عشر) قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم إلى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون ٦٧

الماء والحشة أي مع الحشة وقيل ان خلط بالتخفيف في الخير وخلط بالتشديد في الشر (ان الله غفور رحيم) هذا تمليل لقبول التوبة من العصاة اي لأنه غفور رحيم

﴿ النزول ﴾

قال ابو حمزة الشامي بلغنا انهم ثلاثة نفر من الانصار ابولبابة بن عبدالمزدر وثلعة بن وديعة واوس بن حذام تغلقوا عن رسول الله ﷺ عندما خرجوا الى تبوك فلما بلغهم ما انزل الله فيمن تخلف عن نبيه ايقنوا بالهلاك واوتقوا انفسهم بسواري المسجد فلم يزلوا كذلك حتى قدم رسول الله ﷺ فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يخلون انفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ يعلمهم وقال رسول الله ﷺ وانا اقسم لا اكون اول من حلهم الا ان اوامرهم بأمر فلما نزل عسى الله ان يتوب عليهم عند رسول الله ﷺ اليهم فاعلمهم فانطلقوا فجاءوا بأموالهم الى رسول الله ﷺ فقالوا هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا قال (ع) ما امرت فيها فنزل خذ من أموالهم صدقة الآيات وقيل انهم كانوا عشرة رهط منهم ابو لبابة بن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقيل كانوا ثمانية منهم ابو لبابة وهلال وكردم وابو قيس عن سعيد بن جبير وزيد بن اسلم وقيل كانوا سبعة من قتادة وقيل كانوا خمسة وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) انها نزلت في ابي لبابة ولم يذكر غيره معه وسبب نزولها فيه ماجرى منه في بني قريظة حين قال ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وبه قال مجاهد وقيل نزلت فيه خاصة حين تأخر عن النبي ﷺ في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية على ما تقدم ذكره عن الزهري ثم قال ابو لبابة يا رسول الله ان مسن توبتي ان لعجر دار قسومي التي احبت فيها الذنب وانا انقطع من مالي كله قال يجزيك يا ابا لبابة الثلث وفي جميع الاقوال اخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم وترك الثلثين لأن الله تعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم

قوله تعالى (١٠٣) خذ من أموالهم صدقة تطهيرهم ونزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك مسكن لهم والله سميع عليم (١٠٤) ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويبأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم (١٠٥) وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ان صلاتك وفي هود أصلاتك على التوحيد وقرأ الباقون ان صلواتك أصلاتك على الجميع

قال ابو علي الصلاة في اللغة الدعاء قال الاعشى في الخمر

وَصَلَّى عَلَى دِينَا وَارْتَسِمَ (٢)

وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دِينَا

فكان معنى صل عليهم ادع لهم فان دعاهم تسكن اليه نفوسهم وتطيب به فاما قولهم صلى الله على رسوله وملائكته فلا يقال فيه انه دعاه لهم من الله تعالى كما لا يقال في نحو ويل للمطغيين ونحوه انه دعاه عليهم ولكن المعنى فيه ان هو لا ممن يستحق عندكم ان يقال فيهم هذا النحو من الكلام وكذلك قوله بل عجبت ويسخرون فيمن ضم اليه وهذا مذهب سيويه فإذا كانت الصلاة مصدرا وقع على الجمع والمفرد على لفظ واحد كصوت الجبير فإذا اختلف جاز ان يجمع لاختلاف ضروبه كما قال ان انكر الاصوات فأما من زعم ان الصلاة اولى لأن الصلاة بكثرة والصلوات للقليل فلم يكن قوله متجها لأن الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كما يقع على القليل قوله وهم

(١) جمع السارية : بمعنى الاسطوانة . (٢) الدن : دافودا صغر من العب . وارتسم الرجل : كبر ودعا

في العرفات آمنون وقوله ان المسلمين والمسلمات. وقوله ان المصدقين والمصدقات فقد يقع هذا الجمع على الكثير كما يقع على القليل

✽ الاعراب ✽

قوله تطهرهم انما ارتفع لاحد امرين اما ان يكون صفة لصدقة ويكون التاء للتأنيث ويكون قوله بها للتبيين ويكون التقدير صدقة مطهرة واما ان يكون التاء خطابا للنبي ﷺ والتقدير فانك تطهرهم بها فتكون صفة لصدقة ايضا ويكون الضير في بها للصدقة الموصوفة واما وتزكيتهم فلا يكون الا للخطاب وقيل ان تطهرهم يجوز ان يكون على الاستئناف وحمله على الاتصال اولى

✽ المعنى ✽

ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ وامره بأخذ الصدقة من اموالهم تطهيراً لهم وتكفيراً لسيئاتهم فقال (خذ) يا محمد (من اموالهم) ادخل من التبويض لانه لم يجب ان يصدق بالجميع وانما قال من اموالهم ولم يقل من مالهم حتى يشتمل على اجناس المال كلها وهذا يدل على وجوب الأخذ من سائر اموال المسلمين لاستوائهم في احكام الدين الا ما خصه الدليل (صدقة) قيل اراد بها الامربان يأخذ الصدقة من اموال هؤلاء التائبين تشديداً للتكليف وليست بالصدقة المفروضة بل هي على سبيل الكفارة للذنوب التي اصابوها عن الحسن وغيره وقيل اراد بها الزكاة المفروضة عن الجبائي واكثر اهل التفسير وهو الظاهر لان حمله على الخصوص بغير دليل لا وجه له فيكون امراً بأن يأخذ من المالكين للنصاب الزكاة من الورق اذا بلغ مائتي درهم ومن الذهب اذا بلغ عشرين مثقالاً ومن الابل اذا بلغت خمسا ومن البقر اذا بلغت ثلاثين ومن النعم اذا بلغت اربعين ومن الفلات والشار اذا بلغت خمسة اوسق (تطهرهم وتزكيتهم بها) معناه تطهرهم تلك الصدقة عن دنس الذنوب وتزكيتهم انت بها اي تنسبهم الى الزكاة وتقدمو لهم بما يصيرون به ازكيا وقيل معناه تطهرهم انت وتزكيتهم انت بها فيكون كلا الفعلين مضافا الى النبي ﷺ (وصل عليهم) هذا امر من الله تعالى للنبي ﷺ ان يدعو لمن يأخذ منه الصدقة ومعناه ادع لهم بقبول صدقاتهم كما يقول الداعي اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وروي عن النبي ﷺ انه كان اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم وقال عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة فاتاه ابن ابي اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اورده البخاري ومسلم في الصحيح (ان صلاتك سكن لهم) اي ان دعواتك ما تسكن نفوسهم اليه وقيل رحمة لهم عن ابن عباس وقيل وقار وطأينة لهم ان الله قد قبل منهم عن قتادة والكلبي وقيل تثبت لهم عن ابي عبيدة (والله سميع عليم) يسمع دعائك لهم ويعلم ما يكون منهم في الصدقات (المينمساوا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) استفهام يراد به التثنية على ما يجب ان يعلم فالمخاطب اذا رجع الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوبه وانما وجب ان يعلم ان الله يقبل التوبة لانه اذا علم ذلك كان ذلك داعياله الى فعل التوبة والتمسك بها والمسارة اليها وما هذه صورته يجب العلم به ليحصل به الفوز بالثواب والخلاص من العقاب والسبب فيه انهم لما سألوا النبي ﷺ ان يأخذ من اموالهم ما يكون كفارة لذنوبهم امتنع من ذلك انتظاراً لاذن من الله سبحانه فيه فبين الله انه ليس بقبول التوبة الى النبي ﷺ وان ذلك الى الله عز اسمه فارنه الذي يقبلها (ويأخذ الصدقات) اي يتقبلها ويضمن الجزاء عليها قال الجبائي جعل الله اخذ النبي والمؤمنين للصدقات اخذاً من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بأمره وقد ورد الخبر عن النبي ﷺ انه قال ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تصل الى يد السائل والمراد بذلك انها تنزل هذا التنزيل ترغيباً للعباد في فعلها وذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها (وان الله هو الثواب الرحيم) عطف على ما قبله ولذلك فتح ان وقدم تفسيره (وقل اعلموا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون) هذا امر من الله سبحانه لنبيه ان يقول للمكلفين اعملوا ما امركم الله به عمل من يعلم انه مجازاً على فعله فإن الله سيرى عملكم وانما ادخل سين الاستقبال لأن ما لم يحدث لا يتعلق به الروية فكأنه قال كل ما تعملونه يراه الله تعالى وقيل اراد بالروية هاهنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد اي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله اي يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المؤمنون قيل اراد بالمؤمنين الشهداء وقيل اراد بهم الملائكة الذين هم المحفظة الذين يكتبون الاعمال وروى اصحابنا ان اعمال الأمة تعرض على النبي ﷺ في كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على ائمة الهدى عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله والمؤمنون وانما قال سيرى الله مع انه سبحانه عالم بالاشياء قبل وجودها لأن المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد ان علمها معدومة وكونه عالماً بأنها ستوجد هو كونه عالماً بوجودها اذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك (وسترّدون الى عالم الغيب والشهادة) اي سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلانية (فينبئكم) اي يخبركم (بما كنتم تعملون) ويجازيكم عليه

قوله تعالى (١٠٦) **وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ**

عَلِيمٌ حَكِيمٌ (آية) ﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة والكوفة غير ابي بكر مرجون بغير همز والباقون مرجون بالهمز

﴿ الحجة ﴾

قال الازهري الأرجاء يهمز ولا يهمز ارجأت الأمر وارجيته اخرته وارجأت الحامل دنت لأن يشرح ولدها

فهي مرجى ومرجئة وارجت بغير همز ايضا

﴿ النزول ﴾

قال مجاهد وقتادة نزلت الآية في هلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهم من الاوس والخزرج وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه وانما تخلف توابعه الاستعداد حتى فاته السير وانصرف رسول الله ﷺ فقال والله مالي من عذر ولم يعتذر اليه بالكذب فقال (ع) صدقت فمرحتي يقضي اذنيك وجاء الآخرون فقالوا مثل ذلك وصدقا فهي رسول الله ﷺ عن مكالمتهم وامرناهم باعترالهم حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت فاقاموا على ذلك خمسين ليلة وبنى كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده وقال في ذلك

أَبَعَدَ دُورِ بَنِي الْقَيْنِ الْكِرَامِ وَمَا شَادُوا عَلَيَّ بَنَيْتُ الْبَيْتَ مِنْ سَعْفٍ (٢)

ثم نزلت التوبة عليهم بعد الخمسين في الليل وهو قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية فاصبح المسلمون يستندونهم ويبتشرونهم قال كعب فجئت الى رسول الله في المسجد وكان (ع) اذا سريبتشتر كان وجهه فلقة قمر فقال لي ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم طلع عليك شرقة منذ ولدتك امك قال كعب فقلت أمن عند الله ام من عندك يا رسول الله فقال من عند الله وتصدق كعب بثلاث ماله شكراً لله على توبته

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما قبله من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فقال (وآخرون مرجون لأمر الله) اي مؤخرون متوقفون لما يرد من امر الله تعالى فيهم (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) لفظة اما وقوع احد الشيتين والله سبحانه عالم بما يصير اليه امرهم ولكنة سبحانه خاطب العباد بما عندهم ومعناه ولكن كان امرهم عندكم على هذا اي على الخوف والرجاء وهذا يدل على صحة مذهبتنا في جواز المغفرة عن العصاة لأنه سبحانه يبيّن ان قوما من العصاة يكون امرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم فغفر عنهم ويدل ايضا على

ان قبول التوبة تفضل من الله سبحانه لانه لو كان واجبا لما جاز تعليقه بالمشيئة (والله عليم) بما يؤول اليه جاهلهم (حكيم) فيما يفعل بهم

قوله تعالى (١٠٧) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِشَهَادَاتِهِمْ لَكَادِبُونَ (١٠٨) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى النَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٩) أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١١٠) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر الذين اتخذوا بغير ولو والباقون بالواو وقرأ نافع وابن عامر أُسِّسَ بضم الألف بنيانه بالرفع في الموضعين وقرأ الباقر أُسُّسَ بنيانه فيها وفي الشوافع قراءة نصر بن عاصم أُسُّسَ بنيانه على وزن فُعْل وقراءة نصر بن علي أسلس بنيانه وقرأ ابن طمر وحمة وحماد ويميم من أبي بكر وخلف جُزْف بالتخفيف والباقر جُزْف بالثقل وقرأ يعقوب وسهل إلى أن على انه حرف الجر وهو قراءة الحسن وقتادة والجددي وجماعة ورواه البرقي عن أبي عبد الله وقرأ الباقر إِلَّا أَنْ مَشْدَدَةُ اللام وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحمة وحض وسهل ورويس عن يعقوب تَقَطَّعَ بفتح التاء. والتشديد وقرأ روح تَقَطَّعَ بضم التاء مخففاً وقرأ الباقر تَقَطَّعَ بضم التاء مشدداً

﴿ اللمبة ﴾

من اتبت الواو في الذين عطفه على ما تقدم والتقدير ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ومن حذف الواو ابتداء الكلام واضمر الخبر بعده كما اضمر في قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام إلى قوله والباد والمعنى فيه يستقيم منهم أو يعذبهم ونحو ذلك وحسن الحذف في الموضعين لطول الكلام بالابتداء وصلته ويجوز ان يكون على ان تضمر ومنهم فيكون تقديره ومنهم الذين اتخذوا كما اضمرت الحرف مع الفعل في قوله وأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد إيمانكم أي فيقال لهم اكفرتم ولا يجوز ان يكون الذين بدلان من قوله وآخرون مرجون لأن المرجين لأمر الله غير الذين اتخذوا مسجداً ضراباً فلا يجوز ان يدلوا منهم ومن قرأ أسس بنيانه بنى الفعل للفاعل كما اضاف البيان اليه في قوله بنيانه فالصدر مضاف إلى الفاعل والباقي والمؤنس واحد ومن بنى الفعل للمفعول به لم يبعد ان يكون في المعنى كالأول لأنه إذا أسس بنيانه فيولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له فاما من قرأ أسس بنيانه في الموضعين وأساس بنيانه بالاضافة فإنها بمعنى واحد وجمع الاسم اساس كقتل واقتال وجمع الاسم أساس وأسس واما الجُزْف فالأصل فيه ضم العين والاسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل والطنب والطنب ومن قرأ إلا ان تَقَطَّعَ قلوبهم فمناه تلبى وتقطع بالبي اي لا تلج قلوبهم بالايان أبداً ومن قرأ تَقَطَّعَ بضم التاء فهو في المعنى مثل الأول الا ان الفعل اضيف إلى القطع المبني للقلوب بالموت وفي الأول اسند إلى القلوب لما كانت هي البالية وهذا مثل مات زيد وسقط الحائط ونحو ذلك ما اسند فيه الفعل

إلى من حدث فيه وان لم يكن منه وتقطع بسند الفعل فيه إلى المقطع المبني وان لم يذكر في اللفظ فاسند الفعل الذي هو انير القلوب في الحقيقة إلى القلوب ومن قرأ إلى ان تقطع فانه جعله على الغاية وزعموا ان في حرف إلى حتى الملمات وهذا يدل على انهم يموتون على نفاقهم فاذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به مسن الكفر

اللغة

الضرار هو طلب الضرر ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق يقال ضاره مضارة وضاروا الارصاد الارتقاب تقول رصده يرصده رصدا وارصدله ارصادا قال الكسائي رصده رقبته وارصدته اصدده والبيان مصدر قال ابو علي وهو جمع على حد شميرة وشهير لانهم قالوا بنيانة في الواحد قال اس

كَبَيَّانَةَ الْقَرْيَةِ مَوْضِعَ رَحْلِهَا وَأَثَارُ نَسْعِيهَا مِنَ الدَّفِّ الْمَلْقُ (١)

وجاء بناء المصدر على هذا المثال في غير هذا الحرف نحو الغفران وليس بنيان جمع بناء لان فعلانا إذا كان جمعاً نحو كَبَيَّانَ وَقَضْبَانَ لم تلحقه تا. التأنيث وقال ابو زيد يقال بنيت ابني بنياً وبنيانا وبناء وبنية وجمعها البنى قال بَنَى السَّمَاءَ فَسَوَّاهَا بِنْيَتِهَا وَلَمْ تَمُدَّ بِأَطْنَابٍ وَلَا عَمَدٍ

فالبناء والبنية مصدران ومن ثم قوبل به الفراش في قوله جعل لكم الأرض فراشا والساء بناء فالبناء لما كان رفعا للسبني قوبل به الفراش الذي هو خلاف البناء. والتقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة والتقى صفة مدح لا تطلق إلا على مستحق الثواب وواو تقوى مبدلة من الياء لأنها من وقت وانما أبدلت للفرق بين الاسم والصفة في الأبنية مثل خزيا وشفا جرف الشبي وشفيده وجرفه نهايته في المساحة ويشنى شفران وجرف الوادي جانبه الذي ينحفر بالماء اصله وهو من الجرف والاجتراف هو اقتلاع الشبي من اصله وهار الجرف يهور هورا فهو هائر وتهور وانهار ويقال ايضا هار يهار وهار اصله هائر وهو من القلوب كما يقال لاث الشبي به إذا دار فهو لاث والاصل لاثت وكما قالوا شاكي السلاح أي شائك قال

فَتَمَرَّفُونِي إِنِّي أَنَا ذَاكُمْ شَاكِنُ سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُعَلِّمٌ

وكما قال العجاج (لاث به الأشاء والمبري) أي مطيف وقال ابو علي والهنز من هائر منقلبة عن الراو لانهم قالوا تهور البناء إذا تساقط وتداعى وفي الحديث سار الليلة حتى انهار الليل ثم سار حتى تهور فهذا في الليل كالمثل والتشبيه بالبناء والانهيال والانهيال يتقاربان في المعنى كما يتقاربان في اللفظ

الاعراب

قد ذكرنا اعراب قوله والذين اتخذوا في الحجة ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره لا تقم فيه ابدا كما تقول والذي يدعوك إلى الضي فلا تسمع الدعاء وتقديره فلا تسمع دعاءه وكذلك التقدير في الآية لا تقم في مسجدك أبدا فعذف للاختصار ويجوز ان يكون خبر الذين قوله أفهن أسس بنيانه أي افهن أسس بنيانه من هولا. أم من اسس من الذين اتخذوا. ضارا منصوب على انه مفعول له وكذلك ما بعده والمعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والارصاد فلما حذف اللام افضى الفعل فنصب ويجوز ان يكون مصدرا محصولا على المعنى لأن اتخذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضارا. من أول يوم دخلت من في الزمان والاصل منذ ومنذ هذا الاكثر استعمالا في الزمان ومن جائز دخولها ايضا لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبويض ومنه قول زهير

لَمَنْ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَجَرِ أَقْوِينَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ (٢)

وبروى من دهر وقد قيل ان المعنى من مر حجج ومن مر شهر وأن تقوم في موضع نصب أي أحق بأن تقوم

(١) القرى : مجرى الماء . والنسم : جبل عريض طويل تشدبه الرحال . والدف : الجنين كل شيء . (٢) الاشياء : صفار النعل . والبري : السد . (٣) قنة الحجر : موضع . واقوين أي اقفرن من اقوت الدار : خلت من ساكنيها وحجج جمع حجة : السنة . وفي شرح الاشعري « أقوين من حجج ومدهر » والمعنى معبى الدين في شرحه كلام طويل فراجع ج ٣ : ٣٠٩ - ٣١١

فيه وفيه منصوب الموضع بقوله تقوم وفيه من قوله فيه رجال في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ مقدم عليه والمبتدأ رجال ولا يجوز أن يكون مرفوع الموضع بكونه وصفاً لمسجد بل هو على الاستئناف والوقف التام على قوله احق أن تقوم فيه ثم استؤنف الكلام فقيل فيه رجال وانما قلنا ذلك لأنك لو جعلت الظرف الذي هو فيه وصفاً للمسجد لكانت فصلت بين النكرة وصفها بالخبر الذي هو احق وقوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله قال ابو علي القول فيه انه يجوز أن تكون المعادلة وقعت بين البانيين ويجوز أن يكون بين البانيين فإذا عادت بين البانيين كان المعنى المؤسس بنيانه متقياً خيراً أم المؤسس بنيانه غير متقٍ لأن قوله على شفا جرف يدل على ان بانيه غير متقٍ لله تعالى ولا خاش له ويجوز أن يقدر حذف المضاف كأنه أبناؤه من أسس بنيانه متقياً خيراً أم بناءً من أسس بنيانه على شفا جرف والبنيان مصدر اوقع على المبنى مثل الخلق إذا عنيت به المخلوق وضرب الامير إذا عنيت به المضروب وكذلك نسج اليمين يدك على ذلك انه لا يجاز من ان يراد به اسم الحدث او اسم العين فلا يجوز أن يكون الحدث لأنه إنما يؤسس المبنى الذي هو عين ويبين ذلك ايضاً قوله على شفا جرف والحدث لا يعلو شفا جرف والجار في قوله على تقوى من الله وقوله على شفا جرف هار في موضع نصب على الحال تقديره افمن أسس بنيانه متقياً خيراً من أسس بنيانه غير متقٍ أو معاقبا على بنائه وفاعل انهار البنيان اي انهار البنيان بالباني في نار جهنم لأنه معصية وفعل لما كرهه الله تعالى من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن امال هار فقد احسن لما في الرأى من التكرير فكأنك لفظت براى مكمورتين وبجسب كثرة الكسرات تحسن الامالة ومن لم يعل فلا نترك الامالة هو الأصل وقوله الا ان تقطع قلوبهم موضع ان تقطع نصب تقديره الا على تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة ي حذف مع ان ولا ي حذف مع المصدر ومعنى الا ههنا حتى لأنه استثناء من الزمان المستقبل والاستثناء منه منته اليه فاجتمعت مع حتى في هذا الموضع على هذا المعنى

✽ النزول ✽

قال المفسرون ان بني عمرو بن عرف اتخذوا مسجداً قبا، وبشرا إلى رسول الله ﷺ ان يأتيهم فاتهم وصلى فيه فحسداهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عرف فقالوا نبي مسجدنا فنصلي فيه ولا نهضر جماعة محمد وكانوا اثني عشر رجلاً وقيل خمسة عشر رجلاً منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحرث فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قبا فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ رجو يشبهوا إلى تبرك فقالوا يا رسول الله اننا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشاتية وانا نحب ان تأتينا فتصلي فينا وتدعو بالبركة فقال ﷺ اني على جناح سفر ولو قدمنا اتيناكم ان شاء الله فصلينا لكم فيه فلما انصرف رسول الله من تبرك ترات عليه الآية في شأن المسجد

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه جماعة اخرى من المنافقين بنوا مسجداً للتفريق بين المسلمين وطلب الفرائض للمؤمنين فقال (والذين اتخذوا مسجداً) والمسجد موضع السجود في الأصل وصار بالعرف اسماً لقبعة مخصصة بنيت للصلاة فالاسم عربي فيه معنى اللغة (ضاراً) أي مضارة يعني للضرر بأهل مسجد قبا. أو مسجد الرسول ﷺ ليقبل الجمع فيه (وكفراً) اي ولا إقامة الكفر فيه وقيل اراد انه كان اتخذهم ذلك كفراً بالله وقيل ليكفروا فيه بالظن على رسول الله ﷺ والإسلام (وتفريقاً بين المؤمنين) اي لاختلاف الكلمة وابطال الإلفة وتفريق الناس عن رسول الله ﷺ (وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) اي ارضدوا ذلك المسجد واتخذوه واغدوا لأبي عامر الراهب وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل وكان من قصته انه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس السوح فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده وحزب عليه الأحزاب ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف

فما اسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج إلى الروم وتنصر وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل مع النبي ﷺ يوم احد وكان جنياً ففصلته الملائكة وسمى رسول الله ﷺ ابا عامر الفاسق وكان قد ارسل إلى المنافقين أن استعدوا وابنوا مسجداً فإني اذهب الى قيصر وآتي من عنده بجنود وأخرج محمداً من المدينة فكان هو لاء المنافقون يتوقعون ان يجيئهم ابو عامر فوات قبل ان يبلغ ملك الروم (وليجلفن ان أردنا الا الحسنى) معناه ان هو لاء يجلفون كاذبين ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الفعلة الحسنى من التوسعة على أهل الضعف والعلّة من المسلمين فأطلع الله نبيّه على فساد طويبتهم وخبث سريرتهم فقال (والله يشهد انهم لكاذبون) وكفى لمن يشهد الله سبحانه بكذبه خزيًا فوجه رسول الله ﷺ عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عمرو بن عوف فقال لما انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه وروى انه بعث عمار بن ياسر ووحشياً فحرّقاه وأمر بأن يتخذ كنانة يلتقى فيها الجيف ثم نهى الله سبحانه ان يقوم في هذا المسجد فقال (لا تقم فيه أبدا) اي لا تصل فيه أبدا يقال فلان يقوم بالليل اي يصلي ثم اقسم فقال (للسجد) اي والله (لسجد) أسس على التقوى (اي بني أصله على تقوى الله وطلاعته) من اول يوم) اي منذ اول يوم وضع اساسه عن المبرد (احق أن تقوم فيه) أي اولي بأن تصلي فيه واختلف في هذا المسجد فقيل هو مسجد قباء عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير وقيل هو مسجد رسول الله ﷺ عن زيد بن ثابت وابن عمر وابي سعيد الخدري وروى هو عن النبي ﷺ قال هو مسجدي هذا وقيل هو كل مسجد بني للإسلام وأريد به وجه الله عن ابي مسلم ثم وصف المسجد واهله فقال (فيه) اي في هذا المسجد الذي أسس على التقوى (رجال يحبون ان يتطهروا) اي يحبون ان يصلوا الله تعالى متطهرين بأبلغ الطهارة وقيل يحبون أن يتطهروا عن الذنوب عن الحسن وقيل يحبون ان ينظفروا بالماء عن الغائط والبول وهو المروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام وروى عن النبي ﷺ انه قال لا أهل قباء ماذا تفعلون في طهركم فإن الله تعالى قد احسن عليكم الثناء قالوا نغسل اثر الغائط فقال انزل الله فيكم (والله يحب المطهرين) اي المتطهرين ثم قرّر سبحانه الفرق بين المسجدين فقال (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من أسس بنيانه على شفا جرف هار) قد مضى بيانها والمراد ان الله تعالى شبه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفة فكما ان من بنى على جانب هذا النهر فإنه ينهار بناؤه في الماء ولا يثبت فكذلك بناء هو لاء ينهار ويسقط في نار جهنم يعني انه لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق فإن عمل المؤمن المتقي ثابت مستقيم مبني على اصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واه ساقط والالف في قوله افمن الف استفهام يراد به الإنكار ها هنا وليس معنى خير في الآية افضل بل هو كما يقال هذا خير وهذا شر وقال الشاعر

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ
فَالْخَيْرُ مَتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورٌ

واما قوله وافعلوا الخير فإن معناه وافعلوا الأفضل وقوله (فانهار به) في نار جهنم) اي بوقعه ذلك البناء في نار جهنم (والله لا يهدي القوم الظالمين) مر بيانه وروى عن جابر بن عبد الله انه قال رأيت المسجد الذي بنى ضاررا يخرج منه الدخان (لا يزال بنيانهم الذي بنوا فيه في قلوبهم) اي لا يزال بناء المبني الذي بنوه شكا في قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتاً على النفاق وقيل ان معناه حرازة في قلوبهم وقبل حسرة في قلوبهم يترددون

فيها (الا ان تقطع قلوبهم) معناه الا ان يموتوا والمراد بالآية انهم لا ينزعون عن الخطيئة ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم فاذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به من الكفر وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندما وأسفاً على ثريتهم (والله عليم) اي عالم بنبئهم في بناء مسجد الضرار (حكيم) في امره بنقضه والمنع من الصلاة فيه

قوله تعالى (١١١) **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٢) النَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (آيَاتان)**

(- القراءة -)

قرأ اهل الكوفة غير عاصم فيقتلون بضم الياء ويقتلون بفتح الياء والباقون فيقتلون بفتح الياء ويقتلون بضمها وفي قراءة ابي وعبد الله بن مسعود والأعمش التائبين العابدين بالياء الى آخرها وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام

(- الحجة -)

قال ابو علي من قرأ فيقتلون ويقتلون فقدم الفعل المسند الى الفاعل فلأنهم يقتلون اولاً في سبيل الله ويقتلون ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند الى المفعول به جاز ان يكون في المعنى مثل الاول لأن المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التثنية فإن لم يقدر فيه التقديم كان المعنى في قوله فيقتلون بعد قوله يقتلون بقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل واما الرفع في قوله التائبون العابدون على التنطع والاستئناف اي هم التائبون ويكون على المدح وقيل انه رفع على الابتداء وخبره محذوف بعد قوله والحافظون لحدود الله اي لهم الجنة ايضا عن الزجاج وقيل انه رفع على البدل من الضمير في يقاتلون اي يقاتل التائبون وأما التائبين العابدين فيحتمل ان يكون جراً وان يكون نصيباً اما الجر فلي ان يكون وصفاً للمؤمنين اي من المؤمنين التائبين واما النصب فعلى اضمار فعل بمعنى المدح كأنه قال اعني وامدح التائبين

❖ اللغة ❖

السائح من ساح في الأرض يسبح سباحاً اذا استمر في الذهاب ومنه السبح الماء الحار ومن ذلك يسمى الصائم سائحاً لاستمراره على الطاعة في ترك المشتبه

❖ الاعراب ❖

وعدا نصب على المصدر لأن قوله اشترى يدل على انه وعد ومثله صنع الله الذي اتقن كل شيء وفطرة الله التي فطر الناس عليها

* المعنى *

لما تقدم ذكر المؤمنين والمنافقين عقب سبحانه بالترغيب في الجهاد فقال (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة) حقيقة الاشارة لا تجوز على الله تعالى لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه وهو عز اسمه مالك الاشياء كلها لكنه مثل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً في انه ذكر لفظ الشراء والقرض تطلقاً لتأكيد الجزاء ولما كان سبحانه ضمن الثواب على نفسه عبر عن ذلك بالاشراء وجعل الثواب ثمناً والطاعات مثماً على ضرب من المجاز واخبر انه اشترى من المؤمنين انفسهم يبذلونها في الجهاد في سبيل الله واموالهم ايضاً ينفقونها ابتغاء مرضاة الله على ان يكون في مقابلة ذلك الجنة وروي عن الأعمش انه قرأ بالجنة وهي قراءة عمر بن الخطاب والجهاد قد يكون بالسيف وقد يكون باللسان وربما كان جهاد اللسان ابلغ لأن سبيل الله دينه والدعاء الى الدين يكون اولاً باللسان والسيف تابع له ولأن اقامة الدليل على صحة المدلول اولى وايضاح الحق وبيانه أخرى وذلك لا يكون الا باللسان وقد قال النبي ﷺ يا علي لان يهدي الله على يدك نسمة خير مما ظلمت عليه الشمس وإنما ذكر سبحانه شراء النفس والمال لأن العبادات على ضربين بدنية ومالية ولا ثالث لهما ويروى أن الله سبحانه تاجر المؤمنين فأخذ لهم الثمن فجعل ثمنهم الجنة وكان الصادق (ع) يقول ايا من ليست له همة انه ليس لأبدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وانشد الاصمعي للصادق (ع)

أَثَمِنُ بِالنَّفْسِ النَّفْسَةَ رَبِّهَا	فَلَيْسَ لَهَا فِي الْخَلْقِ كُلِّهِمْ ثَمَنٌ
بِهَا نَشْتَرِي الْجَنَّاتِ إِنَّا بَعْتُهَا	بِشَيْءٍ سِوَاهَا إِنَّا ذَلِكُمْ عَيْنٌ
إِذَا ذَهَبَتْ نَفْسِي بِدُنْيَا أَصَبْتُهَا	فَقَدْ ذَهَبَ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَ الثَّمَنُ

(يقاتلون في سبيل الله) هذا بيان للقرض الذي لأجله اشتراهم (فيقتلون) المشركين (ويقتلون) اي ويقتلهم المشركون يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قتلوا او قتلوا ومن قرأ فيقتلون ويقتلون فهو المختار عن الحسن لأنه يكون تسليم النفس الى المشتري اقرب والبائع إنما يستحق الثمن بتسليم المبيع (وعداً عليه حقاً) معناه ان ايجاب الجنة لهم وعد على الله حق لا شك فيه وتقديره وعدهم الله الجنة على نفسه وعدا حقاً اي صدقاً واجباً لاخلف فيه (في التوراة والإنجيل والقرآن) وهذا يدل على ان اهل كل ملة امروا بالقتال وعدوا عليه الجنة عن الزنجاج (ومن اوفى بهمه من الله) معناه لا احد اوفى بهمه من الله لأنه يفي ولا يخلف بحال (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فافرحوا بهذه المبايعة حتى ترى آثار السرور في وجوهكم بسبب هذه المبايعة لأنكم بعتم الشيء من مالكم واخذتم ثمنه ولأنكم بعتم فانياً بياق وزائلاً بدائم (وذلك هو الفوز العظيم) اي ذلك الشراء والبيع الظفر الكبير الذي لا يقاربه شيء ثم وصف الله سبحانه المؤمنين الذين اشترى منهم الاثمن والاموال بأوصاف فقال (الثابتون) اي الراجعون الى طاعة الله والمنقطعون اليه النادمون على ما فعلوه من القبائح (العابدون) اي الذين يبدون الله وحده ويتذللون له بطاعته في اوامره ونواهيه وقيل هم الذين اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم فبذروا الله في السراء والضراء عن الحسن وفتادة (الحامدون) اي الذين يحمدون الله على كل حال عن الحسن وقيل هم الشاكرون لنعم الله على وجه الإخلاص له (السائحون) اي الصائجون عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير

ومجاهد وروي مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال سباحة امتي الصيام وقيل هم الذين يسبحون في الأرض فيعتبرون بمعائب الله تعالى وقيل هم طلبة العلم يسبحون في الأرض لطلبه عن عكرمة (الراكهون الساجدون) أي المودون للصلاة المفروضة التي فيها الركوع والسجود (الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) أدخل الواو هنا لأن الأمر بالمعروف يتضمن النهي عن المنكر فكانهما شيئا واحداً ولأنه قرن النهي عن المنكر بالأمر بالمعروف ففي أكثر المواضع فادخل الواو ليدل على المقارنة (والحافظون لحدود الله) أي والقائمون بطاعة الله عن ابن عباس يعني الذين يؤدون فرائض الله وأوامره ويحفظون نواهيها لأن حدود الله وأوامره ونواهيها وإنما أدخل الواو لأنه جاء وهو أقرب إلى المعطوف (وبشّر المؤمنين) هذا المراد النبي ﷺ إن يبشّر المصدقين بالله المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة إذا جمعوا هذه الأوصاف وقد روى أصحابنا أن هذه صفات الأئمة المعصومين عليهم السلام لأنه لا يكاد يجمع هذه الأوصاف على تمامها وكما لها غيرهم ولقي الزهري علي بن الحسين (ع) في طريق الحج فقال له تركت الجهاد وصعوبته واقبلت إلى الحج والله سبحانه يقول إن الله اشترى من المؤمنين الآية فقال (ع) له أتم الآية الأخرى التائبون العابدون إلى آخرها ثم قال إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج

قوله تعالى (١١٣) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٤) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (آيتان)

اللغة

اصل الاواه من التأوه وهو التوجع والتحزن يقال تأوه تأوهاً وأوه تأويها قال المثقب العبدى

إِذَا مَا قُمْتَ أَرْحَلَهَا يَلِيلِ
تَأْوَهُ أَمَةٌ الرَّجُلِ الْحَزِينِ (١)

ولو جاء منه فعل مصر فالكان آه يوه أوها مثل قال يقول قولاً والعرب تقول آوة من كذا بكسر الواو وتسكين الهمزة قال

فَأَوْهَ يَذِكْرُهَا إِذَا مَا ذَكَرْتَهَا
وَمِنْ بَعْدِ أَرْضٍ دُونَهَا وَسَمَاءِ
والعامة تقول آوة وفيه خمس لغات آوه بسكون الواو وكسر الهمزة، وآوة بالفتحة وآوه وأوه

« المعنى »

(ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) ومعناه ليس للنبي والمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين الذين يبعدون مع الله إلهاً آخر والذين لا يوجدونه ولا يقرّون بآلهيته (ولو كانوا أولي قربى) أي ولو كان الذين يطلبون لهم المغفرة أقرب الناس إليهم (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي من بعد أن يعلموا أنهم كفار مستحقون للخلود في النار وفي تفسير الحسن ان المسلمين قالوا للنبي ﷺ ألا تستغفروا لنا الذين ما توا في الجاهلية فانزل الله سبحانه هذه الآية وبين أنه لا ينبغي للنبي ولا مؤمن أن يدعو لكافر ويستغفر له وقوله ما كان للنبي ابلغ من أن يقول لا ينبغي للنبي لأنه يدل على قبحه وإن الحكمة تمنع منه ولو قال لا ينبغي لم يدل على أن الحكمة تمنع منه وإنما كان يدل على أنه لا ينبغي أن يعتاده ومعناه لم يجعل الله في دينه ولا في حكمه أن يستغفروا للمشركين ولو دعتهم رقة القرابة وشفقة الرحم إلى الاستغفار لهم بعد ما ظهر أن لهم عذاباً عظيماً ثم بين سبحانه الوجه في استغفار إبراهيم لأبيه مع كونه كافراً سواء كان أباه الذي ولده أوجده

(١) وفي اللسان: قيل، ويروى «تهوه هامة الرجل العزير». وتأوه اصله تتأوه، وقيل أنه وضع الاسم موضع الهمزة أي تأوه تأوه الرجل.

لأنه ارعته على ما رواه اصحابنا فقال (وما كان استخفاف ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه) اي لم يكن استخفاره له الا صادراً عن موعدة وعدها اياه واختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو ابراهيم وابوه فقيل ان الموعدة كانت من الأب وعدها ابراهيم انه يؤمن ان استغفر له فاستغفر له لذلك (فلما تبين له انه عدو لله) ولا يعني بما وعد (تبرأ منه) وترك الدعاء له وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة الا انهم قالوا انما تبين عداوته لما مات على كفره وقيل ان الموعدة كانت من ابراهيم قال لأبيه اني استغفر لك ما دمت حياً وكان يستغفر له مقيداً بشرط الايمان فلما آيس من إيمانه تبرأ منه وهذا يوافق قراءة الحسن الا عن موعدة وعدها له بالبا. ويقويه قوله الا قول ابراهيم لايبه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء (ان ابراهيم لأواه) اي دعاء كثير الدعاء والبكاء. عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل لأواه الرحيم بعباد الله عن الحسن وقتادة وقيل هو الذي اذا ذكر النار قال اوه عن كعب وقيل لأواه المؤمن بلفظة الحبشة عن ابن عباس وقيل لأواه المؤمن المستيقن عن مجاهد وعكرمة وقيل لأواه العفيف عن النخعي وقيل هو الراجع عن كل ما يكره الله عز وجل عن عطاء وقيل هو الخاشع المتضرع رواه عبد الله بن شداد عن النبي ﷺ وقيل هو المسيح الكثير الذكر لله سبحانه عن عقبه بن عامر وقيل هو المتأثر شقفاً وفرقا المتضرع يقينا بالاجابة ولزوماً للطاعة عن ابي عبيدة وقال الزجاج وقد انتظم قول ابي عبيدة اكثر ما روي في الأواه (حلیم) يقال بلغ من حلم ابراهيم (ع) ان رجلا قد اذاه وشتمه فقال له هداك الله وقيل الحلیم السيد عن ابن عباس واصله انه الصبور على الاذى الصفوح عن الذنب

﴿ النظم ﴾

لما تقدم ذكر الكفار والمنافقين والمنع من موالاتهم والصلاة عليهم والقيام على قبرهم للدعاء لهم نهي عن دعائهم بعد موتهم ولما نهى الله النبي والمؤمنين عن الاستخفاف للمشركين ذكر قصة ابراهيم وعذره في الاستخفاف لايبه واما قوله ان ابراهيم لأواه حلیم فالنما اتصل بما قبله بأنه اذا كان له صفة الرأفة والرحمة يكون في دعائه اخلص وعلى خلاص اقربائه من العذاب احرص ومع ذلك تبرأ منه لما يش من فلاحه

قوله تعالى (١١٥) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٦) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِحَيْثُ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (آيَاتُ)

(التزول) -

قيل مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل أن تنزل الفرائض فقال المسلمون يا رسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم فنزل وما كان الله ليضل قوماً الآية عن الحسن

﴿ المعنى ﴾

(وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم) اي وما كان الله ليحكم بضلالة قوم بعد ما حكم بهدائيتهم (حتى يبين لهم ما يتقون) من الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية فلا يتقون فعند ذلك يحكم بضلالهم وقيل وما كان الله ليعذب قوماً فيضلهم عن الثواب والكرامة وطريق الجنة بعد إذ هداهم ودعاهم إلى الإيمان حتى يبين لهم ما يستحقون به الثواب والعقاب من الطاعة والمعصية وقيل لما نسخ بعض الشرائع وقد غاب اناس وهم بعملون بالأمر الأول إذ لم يعلموا بالأمر الثاني مثل تحويل القبلة وغير ذلك وقد مات الأولون على الحكم الأول سئل النبي ﷺ عن ذلك فأنزله الله الآية وبين انه لا يعذب هؤلاء على التوجه إلى القبلة الأولى حتى يسموا

بالنسخ ولا يعملوا بالناسخ فحينئذ يعذبهم عن الكلي (إن الله بكل شيء عليم) يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالماً لنفسه (إن الله له ملك السماوات والأرض) الملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير (يحيي ويميت) أسبغ يحيي الجهاد ويميت الحيوان (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) اي ليس لكم سواء حافظ يحفظكم وولي يتولى امركم ولا ناصر ينصركم ويدفع العذاب عنكم

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الاولى بما قبلها ان الله سبحانه لما حرم على المؤمنين ان يستغفروا للمشركين بين سبحانه انه لا يأخذهم بذلك الا بعد ان يدتم على تحريمه عن مجاهد ووجه اتصال الآية الثانية بما قبلها الحض على ما تقدم ذكره من اجهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم لانهم عبيد من له ملك السماوات والأرض يأمرهم بما يشاء ويديهم على ما يشاء عن علي بن عيسى

قوله تعالى (١١٧) لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَتَوْهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحفص عن عاصم يزيغ بالياء وهي قراءة الأعمش والباقر تزيغ بالياء والقراءة المشهورة الذين خلفوا وقرأ علي بن الحسين زين العابدين (ع) وابو جعفر محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وابو عبد الرحمن السلمي خالفوا وقرأ عكرمة وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد خلفوا بفتح الخاء واللام خفيفة

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلاثة اشياء ﴿ الأول ﴾ ان تضمر فيها القصة والحديث ويكون تزيغ الخبر وجاز ذلك فيها وإن كان الأصل في اضمار القصة إنما هو في الابتداء لأن الخبر لازم لكاد فأشبهه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر له قال ولا يجوز ذلك في عسى لأن عسى قد يكون فاعله المفرد في كثير من الأمر فلا يلزمه الخبر كقوله عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم فإذا كان كذلك لم يحتمل الضمير الذي يحتمله كاد كما لم يحتمله سائر الافعال التي تسند إلى فاعليهما لا يدخل على المبتدأ ﴿ الثاني ﴾ ان يضم في كاد ذكر مما تقدم لما كان النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار قبلاً واحداً وفريقاً واحداً جاز أن يضم في كاد ما دل عليه ما تقدم ذكره من القبيل والحزب والفريق ونحو ذلك من الأسماء المفردة الدالة على الجمع وقال منهم فحمله على المسمى مثل قوله آمن بالله واليوم الآخر ثم قال فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك فاعل كاد على هذا الوجه ﴿ الثالث ﴾ أن يكون فاعل كاد القلوب وتقديره من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ ولكنه قدم تزيغ كما تقدم خبر كان وجاز تقديمه وان كان فيه ذكر من القلوب ولم يمتنع من حيث يمتنع الاضمار قبل الذكر لما كان النية به التأخير كما لم يمتنع ضرب غلامه زيد لما كان التقدير به التأخير فأما من قرأ يزيغ بالياء فيجوز أن يكون قد ذهب إلى ان في كاد ضمير الحديث فيرتفع قلوب يزيغ فذكر وإن كان فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل ومن قرأ تزيغ بالياء جاز أن يكون ذهب إلى ان القلوب مرتفعة بكاد وجاز أن يكون الفعل المسند إلى القصة او الحديث مؤنثاً إذا كان في الجملة

التي يفسرها مؤنث كقوله فإذا هي شاخصة ابصار الذين ككفروا وجاز تأنيث هي التي هي ضمير القصة لذكر الأَبصار المؤنثة في الجملة التي هي التفسير فكذلك يؤنث الذي في كاد لذكر المؤنث في الجملة المنسرة فتقول كادت وتدغم التاء التي هي علامة التأنيث في تاء تزبيغ وتزبيغ على هذا للقلوب وهي مرتفعة به ويجوز الحاق التاء بكاد من وجه آخر وهي ان ترفع قلوب فريق بكاد فتلحقه علامة التأنيث من حيث كان مسنداً إلى مؤنث ومن قرأ خلفوا فتأوبله اقاموا ولم يبرحوا ومن قرأ خلفوا فمعناه عائد إلى ذلك لأنهم إذا خالفوهم فأقاموا فقد خلفوا هناك

✽ اللفظة ✽

الزبيغ ميل القلب عن الحق ومنه قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وزاغت الشمس إذا مالت وزاغ عن الطريق جاز وعدل والتخليف تأخير الشيء عن مضي فأما تأخير الشيء عنك في المكان فليس بتخليف وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهته الوجه يقال خلفه أي جملة خلفه فهو مخلف ورحبت البلاد إذا اتسعت والرحب السعة ومنه مرحباً واهلاً أي رحبت ببلادك واهلت والضيق ضد السعة والظن هنا بمعنى اليقين كما في قول دريد بن الصمة

فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْقَيْمِ مَدَجَّجٌ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرُدِ (١)

✽ النزول ✽

نزلت الآية الأولى في غزاة تبوك وما لحق المسلمين فيها من العسرة حتى هم قوم بالرجوع ثم تداركهم لطف الله سبحانه قال الحسن كان العسرة من المسلمين يخرجون على بعير يمتقبونهم ينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم الشعير الموس والتمر المدود والاهالة السنخة وكان نفر منهم يخرجون ما معهم من التميرات بينهم فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلا يأكلها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم فلا يبقى من التمرة إلا النواة قالوا وكان أبو خيشمة عبد الله بن خيشمة تخلف إلى أن مضى من مسير رسول الله ﷺ عشرة أيام ثم دخل يوماً على امرأتين له في يوم حار في عريشين لهما قد رتبناهما وبردنا الماء وهياتنا له الطعام فقام على العريشين وقال سبحانه الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الفتح والريح والحر والقر يحمل سلاحه على عاتقه وأبو خيشمة في ظلال باردة وطعام مهيب وامرأتين حسناوين ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أكلم واحدة متكئة وكلمة ولا ادخل عريشاً حتى ألحق بالنبي ﷺ فأناخ ناضحه واشتد عليه وتزود وارتحل وامرأته تكلمانه ولا يكلمها ثم سار حتى إذا دن من تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق فقال النبي ﷺ كمن أبا خيشمة أولى لك فلما دن قال الناس هذا أبو خيشمة يارسول الله فأناخ راحلته وسلم على رسول الله ﷺ فقال (ع) أولى لك فعده الحديث فقال له خيراً ودعا له وهو الذي زاع قلبه للمقام ثم ثبته الله وأما الآية الثانية فلما نزلت في شأن كعب ابن مالك ومسارة بن الربيع وهلال بن أمية وذلك أنهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يخرجوا معه لا عن قاق ولكن عن توان ثم ندموا فلما قدم النبي ﷺ المدينة جاءوا إليه واعتذروا فلم يكلمهم النبي ﷺ وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نسائهم إلى رسول الله ﷺ فقلن له يارسول الله نعتزلهم فقال لا ولكن لا يقربوك فضاقت عليهم المدينة فخرجوا إلى رؤوس الجبال وكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام ولا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض قد هجرنا الناس ولا يكلمنا أحد منهم فهلا تنهاجر نحن أيضاً ففترقوا ولم يجتمع منهم اثنان وبقوا على ذلك خمسين يوماً يتضرعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه فقبل الله تعالى توبتهم وانزل فيهم هذه الآية

(١) المدحج : اللابس السلاح . والسراة : الإسد . وسراة القوم : سادتهم . والسرد : الدع . وقد مر في ج ١
٢٥٥ أيضاً . (٢) ساس الطعام : وقم فيه السوس وهو دود يأكل العب . والمدود : الطعام الذي صار فيه المدود
وكل شيء من الأدهان مما يؤتد به أهالة . وقيل : الدسم الجامد . والسنخة : المتشيرة الريح .

* المعنى *

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأَنْصار) أقسم الله تعالى في هذه الآية لأن لأم لقد لام القسم بأنه سبحانه قبل توبتهم وطاعتهم وإنما ذكر اسم النبي ﷺ مفتاحاً للكلام وتحسيناً له ولأنه سبب توبتهم وإلا فلم يكن منه ما يوجب التوبة وقد روي عن الرضا علي بن موسى عليه السلام انه قرأ لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار (الذين اتبعوه) في الخروج معه إلى تبوك (في ساعة العسرة) وهي صعوبة الأمر قال جابر يعني عسرة الزاد وعسرة الظهر وعسرة الماء والمراد بساعة العسرة وقت العسرة لأن الساعة تقع على كل زمان وقال عمر ابن الخطاب اصابتنا حر شديد وعطش فأمطر الله سبحانه الساء بدعاء النبي ﷺ ففشنا بذلك (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) عن الجهاد فهجوا بالانصراف من غزاتهم من غير امر فعصمهم الله تعالى من ذلك حتى مضوا مع النبي ﷺ (ثم تاب عليهم) من بعد ذلك الزيف ولم يرد بالزيف هاهنا الزيف عن الإيمان (انه بهم رؤوف رحيم) تداركهم برحمته والرأفة اعظم من الرحمة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) قال مجاهد معناه خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم من المنافقين كما قال سبحانه فيما مضى وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وقال الحسن وقشادة معناه خلفوا عن غزوة تبوك لما تخلفوا واما قراءة اهل البيت عليهم السلام خلفوا فانهم قالوا لو كانوا خلفوا لما توجه عليهم العنب ولكنهم خلفوا (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) اي يوجبها وما هاهنا مصدرية ومعناه ضاقت عليهم الأرض مع اتساعها وهذه صفة من بلغ غاية الندم حتى كأنه لا يجد لنفسه مذنباً وذلك بأن النبي امر الناس بأن لا يجالسهم ولا يكلمهم كما مر ذكره لأنه كان تزلت توبة الناس ولم تنزل توبتهم ولم يكن ذلك على معنى رد توبتهم لأنهم كانوا مأمورين بالتوبة ولا يجوز في الحكمة رد توبة من يتوب في وقت التوبة لكن الله سبحانه أراد بذلك تشديد المحنة عليهم في تأخير انزال توبتهم وأراد بذلك استصلاحهم واستصلاح غيرهم لئلا يعودوا إلى مثله (وضاقت عليهم أنفسهم) هذه عبارة عن المبالغة في الضيق حتى كأنهم لم يجدوا لأنفسهم موضعاً يخفونها فيه وقيل معنى ضيق أنفسهم ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها (وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا إليه) أي وأيقنوا انه لا يعصمهم من الله موضع يتصمون به ويلجأون إليه غيره تعالى ومعناه علموا انه لا معتصم من الله إلا به وأن لا ينجيه من عذاب الله إلا التوبة (ثم تاب عليهم ليتوبوا) اي ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا وقيل ليتوبوا أي ليعودوا إلى حالتهم الاولى قبل المعصية وقيل معناه ثم تاب على الثلاثة وانزل توبتهم على نبيه ﷺ ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لهمم بأن الله سبحانه قابل التوبة قال الحسن أما والله ما سفكوا من دم ولا اخذوا من مال ولا قطعوا من رحم ولكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله ﷺ وتخلف هؤلاء وكان احدهم تخلف بسبب ضيعة له والآخر لاهله والآخر طلباً للراحة ثم ندموا وتابوا فقبل الله توبتهم (إن الله هو التواب) أي الكثير القبول للتوبة (الرحيم) بعباده

* النظم *

اتصلت الآية الاولى بقوله التائبون الآية اثني الله سبحانه عليهم هناك وبين في هذه الآية قبول توبتهم ورضاه عنه باتباعهم للنبي ﷺ في ساعة العسرة عن ابي مسلم وقيل انه سبحانه لما ذكر ان له ملك السماوات والارض ولا ناصر لأحد دونه بين عقيقه رحمته بالمؤمنين ورافته بهم في قبول توبتهم

قوله تعالى (١١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (آية)

* القراءة *

في مصحف عبد الله وقراءة ابن عباس من الصادقين وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

﴿ اللغة ﴾

الصادق هو القائل بالحق العامل به لأنه صفة مدح ولا يطلق إلا على من يستحق المدح على صدقه

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين المصدقين بالله المقرين بنبوة نبيه ﷺ فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اتقوا معاصي الله واجتنبوها (وكونوا مع الصادقين) الذين يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون ومعناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في اقواله وأفعاله وصاحبهم ورائقهم كقولك أنا مع فلان في هذه المسئلة أي أقتدي به فيها وقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فأمر سبحانه بالاعتداء بهؤلاء الصادقين المتقين وقيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب ومنهم من ينتظر يعني علي بن أبي طالب (ع) وروى الكافي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كونوا مع الصادقين مع علي واصحابه وروى جابر عن أبي جعفر (ع) في قوله وكونوا مع الصادقين قال مع آل محمد ﷺ وقيل مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالح في الدنيا عن الضحاك وقيل مع محمد ﷺ واصحابه عن نافع وقيل مع الذين صدقت نيانهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ ولم يتخلفوا عنه عن ابن عباس وقيل ان معنى مع هنا معنى من فكأنه أمر بالكون من جملة الصادقين وبمضه قراءة من قرأ من الصادقين والمعنيان متقاربان هنا لأن مع للمصاحبة ومن للتبويض فإذا كان من جملتهم فهو معهم وبمضهم وقال ابن مسعود لا يصلح من الكذب جد ولا هزل ولا أن بعد احدكم صبيته ثم لا ينجز له اقراوا إن شئتم هذه الآية هل تروا في الكذب رخصة

قوله تعالى (١٢٠) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢١) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الرغبة طلب المنفعة يقال رغب فيه إذا طلب المنفعة به ورغب عنه إذا طلب المنفعة بتركه والظما شدة العطش والنصب التعب ومثله الوصب قال النابغة

كَلْبَنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِي
وَلَيْلِ أُقَاسِيهِ بَطِي الكَوَاكِبِ (١)

والمخمصة الجماعة وأصله ضمور البطن للمجاعة ورجل خميص البطن وأمرأة خمصانة ضامرة البطن والموطئ الارض والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما بسوؤه يقال غاظه يغيظه

﴿ المعنى ﴾

لما قص الله سبحانه قصة الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ﷺ إلى غزوة تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه وانه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرافته بهم ورحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التويخ

لهم والاوزراء على ما كانوا فعلوه فقال (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) ظاهره خبر ومعناه نهي مثل قوله ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي ما كان يجوز وما كان يحل لأهل مدينة الرسول ومن حولهم من سكان البوادي أن يتخلفوا عنه في غزاة تبوك وغيرها بغير عذر وقيل انه مزينة وجيئة واشجع وغفار واسلم (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي ما كان يجوز لهم ولجميع المؤمنين أن يطلبوا قمع نفوسهم بتوقيتها دون نفسه وهذه فريضة ألزمهم الله إياها لحق رسول الله ﷺ فيما دعاهم اليه من الهدى الذي اهدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان وقيل معناه ولا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله في الحر والمشقة يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر أي ترفعت عنه بل عليهم أن يجعلوا أنفسهم وقاية للنبي ﷺ (ذلك) أي ذلك النهي لهم والزجر عن التخلف (بأنهم لا يصيبهم ظمأ) أي عطش (ولا نصب) أي ولا تعب في ابدانهم (ولا محمصة في سبيل الله) أي ولا مجاعة وهي شدة الجوع في طاعة الله (ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار) أي لا يضعون اقدامهم موضعا يغيظ الكفار وطمؤم إياه يعني دار الحرب فإن الإنسان يغيظه ويغضبه أن يطمأ غيره موضعه (ولا ينالون من عدو نيلاً) أي ولا يصيبون من المشركين أمراً من قتل أو جراحة أو مال أو أمر ينمئهم ويغيظهم (إلا كتب لهم به عمل صالح) وطاعة رفيعة (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي الذين يفعلون الأفعال الحسنة التي يستحق بها المدح والثواب وفي هذا تحريض على الجهاد وأعمال الخير (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) أي ولا ينفقون في الجهاد ولا في غيره من سبل الخير والمعروف نفقة قليلة ولا كثيرة يريدون بذلك اعزاز دين الله ونفع المسلمين والتقرب بذلك إلى الله تعالى (ولا يقطعون وادياً) أي ولا يجاوزون وادياً (إلا كتب لهم) ثواب ذلك (ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي يكتب طاعاتهم ليجزئهم عليها بقدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله حتى يصير الثواب أحسن وأكثر من عملهم وقيل ان الأحسن من صفة فعلهم لأن الأعمال على وجوه واجب ومندوب ومباح وإنما يجازي على الواجب والمندوب دون المباح فيقع الجزاء على أحسن الأعمال وقيل معناه ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال ابن عباس يرضيهم بالثواب ويدخلهم الجنة بغير حساب والآياتان تدلان على وجوب الجهاد مع رسول الله ﷺ وحظر التخلف عنه وقد اختلف في ذلك فقيل المراد بذلك جميع من دعاه النبي ﷺ إلى الجهاد وهو الصحيح وقيل المراد به أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل انه خاص في النبي ﷺ ليس لأحد أن يتخلف عنه في الجهاد إلا لعذر فأما غيره من الأئمة فيجوز التخلف عنه عن قتادة وقيل ان ذلك لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله عن الأوزاعي وابن المبارك وقيل ان هذا كان في ابتداء الإسلام وفي أهله قلة فأما الآن وقد كثرت الإسلام وأهله فإنه منسوخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية عن ابن زيد وهذا هو الأقوى لأنه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل أحد لصار من فروض الأعيان

قوله تعالى (١٢٢) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٤) وَإِذْ آمَأْنَا نَزَّلْنَا سُورَةَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٥) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (أربع آيات)

﴿ اللغة ﴾

التفقه تعلم الفقه والفقه العلم بالشيء وفي حديث سلمان انه قال لامرأة ففقت أي علمت وفهمت فأما ففقت بضم القاف فمعناه صارت فقيهة وقد اختص في العرف بعلم الأحكام الشرعية فيقال لكل عالم بها فقيه وقيل الفقه فهم المعاني المستنبطة ولذلك لا يقال الله سبحانه فقيه والحذر تجنب الشيء بما فيه من المضرة قال للزجاج يقال غلظة وغلظة وغلظة ثلاث لغات قال ابو الحسن قراءة الناس بالكسر وهي العربية والمراد بالمرض في الآية الشك فيه فساد في القلب يحتاج إلى العلاج كما ان الفساد في البدن يحتاج إلى مداواة ومرض القلب اعضل وعلاجه أعسر ودواؤه أعز وأطباؤه أقل

﴿ الإعراب ﴾

لولا قر بمعنى هلا نفر وهي للتحضيض إذا دخلت على الفعل فإذا دخلت على الاسم فمعناها امتناع الشيء لأجل وجود غيره ليتفقوا أي ليتفقوا بانهم لا يفرطون إذا قر طائفة منهم تفقه من بقي منهم وإن شئت فمعناه ليتفقوا كلهم لأنه من قر منهم إذا رجع استعلم من بقي فصار كلهم فقهاء وهم يستبشرون جملة في موضع الحال وكذلك قوله وهم كفرون

﴿ النزول ﴾

قيل كان رسول الله ﷺ إذا خرج غازيا لم يتخلف عنه إلا المنافقون والمعذرون فلما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين وبين تفاتهم في غزاة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزاة بغزوها رسول الله ﷺ ولا سرية ابدا فلما امر رسول الله ﷺ بالسرايا إلى الغزو نفر المسلمون جميعا وتركوا رسول الله ﷺ وحده فأنزل الله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا الآية عن ابن عباس في رواية الكلبى وقيل انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله ﷺ خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا وخصا ودعوا من وجدوا من الناس على الهدى فقال الناس ومانراكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل هذه الآية عن مجاهد

« المضى »

لما تقدم الترغيب في الجهاد بأبلغ اسباب الترغيب وتأنب من تخلف عنه بأبلغ اسباب التأنب بين في هذه الآية موضع الرخصة في تأخر من تأخر عنه فقال سبحانه (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) وهذا تقي معناه النهي أي ليس للمؤمنين ان ينفروا ويخرجوا إلى الجهاد باجمعهم ويتركوا النبي ﷺ فريدا وحيدا وقيل معناه ليس عليهم ان ينفروا كلهم من بلادهم إلى النبي ﷺ ليتعلموا الدين ويضيعوا ما وراءهم ويخلوا ديارهم عن الجبائي (فلولا قر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة وبقى مع النبي ﷺ جماعة ليتفقوا في الدين يعني الفرقة القاعدية يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام فإذا رجعت سرايا وقد نزل بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا اليهم ان الله قد انزل بعدكم على نبيكم قرآنا وقد تعلمناه فتعلمه سرايا فذلك قوله (وليندروا قوتهم إذا رجعوا اليهم) أي وليعلموهم القرآن ويخوفوهم به إذا رجعوا اليهم (لعلهم يحذرون) فلا يعملون بخلافه عن ابن عباس في رواية الواسبي وتنادة والضحاك وقال الباقر (ع) كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله ان نفر منهم طائفة وتقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزو نوبا ﴿ وثانيها ﴾ ان التفقه والانداز يرجعان إلى الفرقة النافرة وحثها الله تعالى على التفقه لترجع إلى المنخلفة فتحذرها ومعنى ليتفقوا في الدين ليبتصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين وليندروا قوتهم من الكفار إذا رجعوا اليهم من

الجهاد فيخبروهم بنصر الله النبي والمؤمنين ويخبروهم انهم لا بسدان لهم بقتال النبي والمؤمنين لعلهم يحذرون ان يقاتلوا النبي ﷺ فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار عن الحسن وابي مسلم قال ابو مسلم اجتمع للنافرة ثواب الجهاد والتفقه في الدين وانذار قومهم * وثالثها * ان التفقه راجع إلى النافرة والتقدير ما كان لجميع المؤمنين ان ينفروا إلى النبي ﷺ ويخلوا ديارهم ولكن لينفر اليه من كل ناحية طائفة لتسمع كلامه وتعلم الدين منه ثم ترجع إلى قومها فتبين لهم ذلك وتندبهم عن الجبائي قال والمراد بالفر هنا الخروج لطلب العلم وإنما سمي ذلك قرا لما فيه من مجاهدة اعداء الدين قال القاضي ابو عاصم وفي هذا دليل على اختصاص الغربة بالتفقه وأن الإنسان يتفقه في الغربة مالا يمكنه ذلك في الوطن ثم بين سبحانه ما يجب تقديمه فقال (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) اي قاتلوا من قرب منكم من الكفار الاقرب منهم فالاقرب في النسب والدار وقال الحسن كان هذا قبل الأمر بقتال المشركين كافة وقال غيره هذا الحكم قائم الآن لأنه لا ينبغي لأهل كل بلد ان يخرجوا إلى قتال الأعداء ويدعوا الأقرب والادنى لأن ذلك يؤدي إلى الضرر وربما يمنعهم ذلك عن المضي في وجهتهم إلا أن يكون بينهم وبين الاقرب موادة فلا بأس حينئذ بمجاوزة الأقرب إلى الأبعد على ما يراه الثولي لامور المسلمين ولو قال سبحانه قاتلوا الأعداء فلا بأس لكان لا يصح لانه لا حد للأبعد يبتدى منه كما للأقرب وفي هذا دلالة على انه يجب على أهل كل نجر الدفاع عن انفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام وإن لم يكن هناك إمام عادل وقال ابن عباس امروا ان يقاتلوا الادنى فالأدنى من عدوهم مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك وقال ابن عمر انهم الروم لأنهم سكان الشام والشام اقرب إلى المدينة من العراق وكان الحسن إذا سئل عن قتال الروم والترك والديلم تلا هذه الآية (وليجدوا فيكم غلظة) اي شجاعة عن ابن عباس وقيل شدة عن مجاهد وقيل صبراً على الجهاد عن الحسن والمعنى وليحسوا منكم بضداللين وخلاف الرقة وهو العنف والشدة ليكون زجراً لهم (واعلموا أن الله مع المتقين) عن الشرك اي معينهم وناصرهم ومن كان الله ناصرهم لم يغلبه احد فاما إذا نصره سبحانه بالحجة فإنه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال سبحانه (وإذا ما انزلت سورة) في القرآن (فمنهم) أي من المنافقين (من يقول) على وجه الإنكار اي يقول بعضهم لبعض (ايكم زادت هذه) السورة (إيماناً) وقيل معناه يقول المنافقون للمؤمنين الذين في ايمانهم ضعف ايمانكم زادت هذه السورة إيماناً أي يقينا وبصيرة (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) معناه فأما المؤمنون المخلصون فزادتهم تصديقاً بالفرائض مع ايمانهم بالله عن ابن عباس ووجه زيادة الايمان انهم كانوا مؤمنين بما قد نزل من قبل وآمنوا بما انزل الآن (وهم يستبشرون) اي يسرون ويبشرون بعضهم بعضاً قد تهلت وجوههم وفرحوا بنزولها (واما الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) أي قاقاً وكفراً إلى نفاقهم وكفرهم لأنهم يشكون في هذه السورة كما شكوا فيما تقدمها من السور فذلك هو الزيادة وسبي الكفر رجساً على وجه الذم له وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الارجاس وأضاف الزيادة إلى السورة لأنهم يزدادون عندها رجساً ومثله كفى بالسلامة داء وقول الشاعر «وحسبك داء ان تصح وتسلما» (وماتوا وهم كافرون) أي واداهم شكهم فيما أنزل الله تعالى من السور إلى أن ماتوا على كفرهم وآبوا شر مآب

قوله تعالى (١٢٦) **أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُقْتَبُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ** (١٢٧) **وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** (١٢٨) **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** (١٢٩) **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ**

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أولاً بترون بالتاء حمزة ويعقوب وهي قراءة أبي والقراءة المشهورة من اتسبكم بضم الفاء وقرأ ابن عباس وابن عليّة وابن محيصن والزهري من اتسبكم بفتح الفاء وقيل انها قراءة فاطمة «ع»

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالتاء فهو خطاب للمؤمنين ومن قرأ بالياء فهو تفرغ للمنافقين بالاعراض عما يجب أن لا يعرضوا عنه من التوبة والإقلاع عما هم عليه من النفاق ومن قرأ من اتسبكم بفتح الفاء فمعناه من اشرفكم ومن خياركم يقال هذا اتسب المتاع اي اجوده وخياره واشتقاقه من النفس وهي اشرف ما في الانسان

﴿ اللفه ﴾

العزیز الشدید والعزیز في صفات الله تعالى معناه المنيع القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريد والعزّة امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه وهو على ثلاثة أوجه امتناع الشيء بالقدرة او بالقلة او بالصعوبة والعنت لقاء الشدة والأذى الذي يضيق به الصدر وعنت الدابة بعنت عنتاً إذا حدث في قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري فكأنه شق عليه الجري وأكمة عنوت شاقة المصعد وحسبي الله اي كافي الله وهو من الحسلب لأنه تعالى يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره ويزيد من نعمه ما لا يبلغ إلى حد ونهاية إذ نعمه دائماً ومنه متواترة متظاهرة والتوكل تفويض الأمر إلى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته

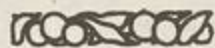
= (الأعراب) =

أولاً يروون الواو للعطف دخلت عليها همزة الاستفهام ويحتمل الرواية ان تكون المتعدية إلى فاعولين وان تكون من رواية العين فإذا كانت المتعدية إلى المفعولين بسدّان مسدّما وإن كانت من رواية العين يكون ابلغ ما عنتم ما مصدرية وتقديره عزيز عليه عنتم فهو في موضع رفع بعزيز وقوله لا اله الا هو جملة في موضع الحال وتقديره حسبي الله مستحقاً لإخلاص العبادة والإقرار بالوحدانية وجرا القراء كلهم العظيم على انه صفة العرش ولو قرئ بالرفع على ان يكون صفة لرب العرش لجاز

﴿ المعنى ﴾

ثم نبّه سبحانه على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي ان ينظروا ويتدبروا فيه فقال (أولاً يرون) أي أولاً يعلم هؤلاء المنافقون وقيل معناه أولاً يبصرون (انهم يقتنون) اي يمتحنون (في كل عام مرة او مرتين) أي دفعة او دفعتين بالأمراض والأوجاع وهو رائد الموت (ثم لا يثوبون) أي لا يرجعون عن كفرهم (ولام يذكرون) اي لا يذكرون نعم الله عليهم وقيل يمتحنون بالجهاد مع رسول الله ﷺ وما يرون من نصره الله رسوله وما يتال أعداؤه من القتل والسبي عن ابن عباس والحسن وقيل بالقحط والجوع عن مجاهد وقيل بهتك استارهم وما يظهر من خبث سرائرهم عن مقاتل وقيل بالبلاء والجلاء ومنع القطر وذهاب الثمار عن الضحاك (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض) معناه وإذا نزلت سورة من القرآن وهم حضور عند النبي ﷺ كرهوا ما يسمعونه ونظر بعضهم إلى بعض نظراً يؤمنون به (هل يراكم من احد) وإنما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يحدرون أن يعلم بهم فكأنهم يقول بعضهم لبعض هل يراكم من أحد ثم يقومون فينصرفون وإنما يفعلون ذلك مخافة أن تنزل آية تفضحهم وكانوا لا يقولون ذلك بأنفسهم ولكن ينظرون نظر من يقول لغيره ذلك القول فكأنه يقول ذلك وقيل معناه ان المنافقين كان ينظر بعضهم إلى بعض نظر تمنع وطمس في القرآن ثم يقولون هل يرانا أحد من

المسلمين فإذا تحقق لهم انه لا يراهم احد من المسلمين بالقوا فيه وان علموا انهم يراهم واحد منهم كفوا عنه (ثم انصرفوا) اي انصرفوا عن المجلس وقيل انصرفوا عن الايمان به (صرفت الله قلوبهم) عن الفوائد التي يستفيدها المؤمنون والسرور بها وحرمو الاستبشار بتلك الخائب وقيل معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبة لم على انصرفهم عن الايمان بالقرآن وعن مجلس النبي ﷺ وقيل انه على وجه الدعاء عليهم أي خذلهم الله باستحقاقهم ذلك ودعاء الله على عباده وعيد لم واخبار بلعاق العذاب بهم عن ابي مسلم (بانهم قوم لا يفقهون) أي ذلك بسبب انهم لا يفقهون مراد الله بخطابه لانهم لا ينظرون فيه ثم خاطب الله سبحانه جميع الخلق واكد خطابه بالقسم فقال (لقد جاءكم رسول من انفسكم) عني بالرسول محمدا ﷺ أي جاءكم رسول من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بني اسماعيل عن السدي وقيل ان الخطاب للعرب وليس في العرب قبيلة الا وهد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نسب عن ابن عباس وقيل معناه انه من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن الصادق «ع» وروى ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنيكاح الاسلام وانما من الله عليهم بكونه منهم لانهم اذا عرفوا مولده ومنشأه وشاهدوه صغيراً وكبيراً وعرفوا حاله في صدقه وامانته ولم يعثروا على شيء يوجب نقصاً فيه فبالحرى أن يكونوا اقرب الى القبول منه والاعتقاد له (عزيز عليه ما عنتم) معناه شديد عليه عنتكم أي ما يلحقكم من الضرر بترك الايمان وقيل معناه شديد عليه ما ائتمت عن الكلي والضحك وقيل ما اعتسكم وضرركم عن القتيبي وقيل ما هلكتم عليه عن ابن الانباري (حريص عليكم) معناه حريص على من لم يؤمن أن يؤمن عن الحسن والحسين (بالمؤمنين رؤوف رحيم) قيل مما واحد والرافة شدة الرحمة وقيل رؤوف بالمطيعين منهم رحيم بالمذنبين وقيل رؤوف بأقربائه رحيم بأوليائه رؤوف لمن رآه رحيم بمن لم يره وقال بعض السلف لم يجمع الله سبحانه لأحد من الأنبياء بين اسمين من اسمائه الا للنبي ﷺ فإنه قال بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال ان الله بالناس لرؤوف رحيم (فإن تولوا) أي ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما يأمرهم به واعرضوا عن قبوله وقيل معناه فإن تولوا عنك وعن الاقرار بنبوتك (فقل حسبي الله) أي كافي الله فإنه القادر على كل شيء (لا اله الا هو عليه توكلت) وبه وثقت وعليه اعتمدت وأموري اليه فوضت (وهو رب العرش العظيم) خص العرش بالذكر تفخيماً لشأنه ولأنه إذا كان رب العرش مع عظمه كان رب ما دونه في العظم وقيل ان العرش عبارة عن الملك والسلطان فمعناه رب الملك العظيم في السماوات والارض عن ابي مسلم وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من السماء وآخر سورة كاملة نزلت سورة براءة وقال قتادة آخر القرآن عهداً بالساء هاتان الآيتان خاتمة براءة



سورة يونس

هي مكية في قول الاكثرين وروي عن ابن عباس وقناة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة فإن كنت في شك مما انزلنا اليك إلى آخره وقال ابن المبارك الآ ومنهم من يؤمن به الآية فإنها نزلت في اليهود بالمدينة

عدد آياتها

مائة وتسع آيات عدد الجميع غير الشامي فإنه يقول وعشر آيات

اختلافها

ثلاث آيات مخلصين له الدين وشفاء لما في الصدور شامي من الشاكرين غير الشامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون وروي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة يونس في كل شهرين او ثلاثة لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين وكان يوم القيامة من المقربين

تفسيرها

لما ختم الله سورة البراءة بذكر الرسول افتتح هذه السورة بذكره وما انزل عليه من القرآن فقال
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ تَكُنْ لَنَا آيَاتٍ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) أَمْ كُنَّا لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَمْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ
رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (آيتان)

القراءة

قرأ آل بامالة الرء ابو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى وقرأ الباقون بالتفخيم وقرأ لساحر بالالف
ابن كثير وأهل الكوفة وقرأ الباقون لسحر بكسر السين وبغير الف

(الحجة) -

قال ابو علي من امال فقال رايا فلانها اساء لما تلفظ بها من الاصوات المنقطعة في مخارج الحروف كما ان غاق اسم للصوت الذي يصوته الغراب فجازت الإمالة فيها من حيث كانت اسماً ولم تكن كالحروف التي يمتنع فيها الإمالة نحو ما ولا وما اشبهها من الحروف فإن قلت ان الأسماء لا تكون على حرفين احدهما حرف لين وإتما يكون على هذه الصفة الحروف نحو ما ولا فالقول إن هذه الأسماء لا يمتنع أن تكون على حرفين احدهما حرف لين لأن التنوين لا يلحقها فيؤمن لامتناع التنوين من اللحاق لها ان تبقى على حرف واحد فإذا أمن ذلك لم يمتنع أن يكون الاسم على حرفين احدهما حرف لين الا ترى انهم قد قالوا هذا شاة فجاء على حرفين احدهما حرف لين لما امن لحاق التنوين له لاتصال علامة التأنيث به و كذلك قولك رأيت رجلاً ذا مال لاتصال المضاف اليه به وكذلك قولهم كسرت فازيد قال وبدل على قول من قال لسحر قوله سبحانه قالوا هذا سحر وانا به كافرون وبدل على ساحر قوله وقال

(١) اي الا في رواية يحيى عن عاصم فان فسى روايته عنه امال ايضاً بخلاف رواية غيره عن عاصم .

الكافرون هذا ساحر كذاب وقد تقدم قوله اوحينا إلى رجل منهم فمن قرأ ساحر اراد الرجل ومن قرأ
سحر أراد الذي اوحى سحر

❖ اللغة ❖

الآية العلامة التي تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن مفصل بالآيات مضمن بالحكم
النافية للشبهات والحكيم ههنا بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعول قال الاعشى
وَعَرِيَّةٌ تَأْتِي الْمُلُوكَ حَكِيمَةً
قَدْ قَلَّتْهَا يُقَالُ مَنْ ذَا قَالَهَا (١)

وأشده ابو عبيدة لأبي ذؤيب

يُوَاعِدُنِي عِكَازٌ لَتَرَلَّنَهُ وَلَمْ يَشْعِرْ إِذَا أَنِّي خَلِيفٌ (٢)

أي مخلف من أخلفته الوعد وقبل هو بمعنى الحاكم ودليله قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال
الازهري القدم الشيء الذي تقدمه قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه وقيل القدم المقدم كالنقض
والقبض قال ابن الاعرابي القدم المتقدم في الشرف وقال المعاج

ذَلْ بَنُو الْعَوَامِ عَنِ آلِ الْحَكَمِ وَتَرَكَوا الْمُلْكَ لِلْمَلِكِ ذِي قَدَمِ
وقال الازهري فلان يمشي اليقدمية والتقدمية اذا تقدم في الشرف وقال ابو عبيدة والكسائي كل
سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم ويقال لفلان قدم في الإسلام وهو موثق يقال قدم حسنة قال
حسان

لَنَا الْقَدَمُ الْعَلِيَا إِلَيْكَ وَخَلَفْنَا لِأَوْلِيَانَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعٌ
وقال ذو الرمة

لَكُمْ قَدَمٌ لَا يَنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا مَعَ الْحَسَبِ الْعَادِي طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ (٣)

❖ الإعراب ❖

أضيفت آيات الى الكتاب لأنها ابعاض الكتاب، كما ان قوله ابعاض الكتاب، كما ان قوله ابعاضه وان اوحينا في موضع رفع بأنه
اسم كان وعجبا خبره واللام في قوله للناس يتعلق بمحذوف كان صفة لمعجب فلما تقدم صار حالا كقوله
«لعزة موحشا طلل قديم» وان شئت كان ظرفا لكان وان انذر في موضع نصب تقديره اوحينا بأن انذر فحذف
الجار فوصل الفيل وان لهم قدم صدق كذلك موضعه نصب بقوله وبشر ولو قرى إن لهم بالكسر لكان
جائزا لأن البشارة في معنى القول إلا أنه لم يقرأ به وأضيف قدم الى صدق كما يقال مسجد الجامع

❖ المعنى ❖

قد مضى الكلام في معاني الحروف المعجمة المذكورة في أوائل السور من قبل (تلك آيات الكتاب
الحكيم) معناه ان الآيات التي جرى ذكرها او الآيات التي أنزلت على محمد ﷺ هي آيات القرآن
المحكم من الباطل المنوع من الفساد لا كذب فيه ولا اختلاف وقيل تلك أي هذه السور آيات الكتاب
الحكيم أي اللوح المحفوظ وساه محكما لأنه ناطق بالحكمة وقيل لأنه جمع العلوم والحكمة وقيل إنما
وصف الكتاب بالحكيم لأنه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ولأنه يودّي الى المعرفة التي تميز بها طريق
الهلاك من طريق النجاة (أكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم أن انذر الناس) هذه الف استفهام

(١) بمعنى قصيدة غريبة محكمة . (٢) وفي اللسان «تواعدنا الريق لننزلنه» وتولم تشعراه» (٣) وفي ديوانه «لنا
القدم الاولى» ولعله الظاهر. (٤) العادي : الشيء القديم تنسب السى عاد . وطم الماء كثر وغلب .

المراد به الإنكار وقيل ان المراد بالناس هنا أهل مكة قالوا تعجب ان الله سبحانه لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم ابي طالب والتقدير أكان ايجاوننا إلى رجل من الناس بأن ينذرهم عجباً ومعناه لما ذاتهم ان أوحينا إلى رجل منهم وليس هذا موضع التعجب بل هو الذي كان يجب فعله عند كل العقلاء فإن الله تعالى لما اكل لعباده عقولهم وكلفهم معرفته واداء شكره وعلم انهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك إلا بداع يدعوهم اليه ومنبه ينبههم عليه وجب في الحكمة أن يفعل ذلك ثم بين سبحانه الوجه الذي لأجله بعث وما الذي أوحى اليه فقال ان انذر الناس اي اخبرهم بالعذاب وخوفهم به (وبشّر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) اي عرفهم مافيه الشرف والخلود في نعيم الجنة على وجه الإكرام والإجلال لصالح الاعمال وقيل ان لهم قدم صدق اي أجرا حسنا ومنزلة رفيعة بما قدموا من اعمالهم عن ابن عباس وروي عنه ايضا ان المعنى سبقت لهم السعادة في الذكر الأول ويؤيده قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وقيل هو تقديم الله تعالى إياهم في البعث يوم القيامة بيانه قوله «ع» نحن الآخرون السابقون يوم القيامة وقيل ان القدم اسم للحسنى من العبد واليد اسم للحسنى من السيد للفرق بين السيد والعبد وقيل ان معنى قدم صدق شفاعته محمد ﷺ لهم يوم القيامة عن ابي سعيد الخدري وهو المروي عن ابي عبد الله «ع» قال الكافرون ان هذا لساحر مبين) يعنون النبي أي قالوا هذا ساحر مظهر للسحر وما أتى به سحر بين على اختلاف القراءتين والسحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم انه معجز وهذا يدل على عجزهم عن معارضة القرآن ولذلك عدلوا إلى وصفه بالسحر

قوله تعالى (٣) إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٤) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللهُ حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابو جعفر المدني انه يبدأ بفتح الهمزة وهو قراءة الاعمش والباقون بكسرها

✽ الحجة ✽

من قرأ انه فتقديره وعد الله حقا لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده اي من قدر على هذا الأمر العظيم فإنه غني عن اخلاف الوعد وان شئت كان تقديره وعد الله وعدا حقا انه يبدأ الخلق فيكون في محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعدا قال ابن جنى ولا يجوز ان يكون انه منصوبه الموضع بنفس وعدا لأنه قد وصف بقوله حقا والصفة اذا جرت على موصوفها اذنت بتامه وانتضاء اجزائه ولا يكون تاما اذا كان ما بعد الصفة من صلته فأما قول الخطيئة

أَزْمَعْتُ يَا سَأْمِيْنَا مِنْ نَوَالِكُمْ وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِأَحْرِكَا لِيَأْسِ (١)
فإن قوله من نوالكم ليس من صلة يأس بل يتعلق بفعل يدل عليه قوله يا سأمينا فكأنه قال فيما بعد

يشت من نوالكم وقال الفراء من فتح جمله مفعول حقا كما في قول الشاعر
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ زَائِرًا بَيْتِنَا أَوْ يَلْقَى الثَّرِيًّا رَقِيبًا (١)

— اللفظة —

القسط العدل ومنه القسط النصيب والقسط بفتح القاف الجور والقسط بفتح القاف والسين اعوجاج في
الرجلين والحميم الماء الذي اسخن بالنار اشد اسخان قال المرقش الأصغر

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُمَدٌّ وَحَمِيمٌ (٢)

✽ الإعراب ✽

جميعاً نصب على الحال وعد الله منصوب على المصدر لأن قوله اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وحقا
منصوب على أحق ذلك حقا عن الزجاج وأضيف المصدر في قوله وعد الله الى الفاعل لما لم يذكر الفعل كما
في قول كعب بن زهير

تَسْمَى الْوُشَاةَ جَنَابِيهَا وَقِيْلَهُمْ إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سَلْمَى لَمَقْتُولٌ (٣)

أي ويقولون قيلهم

✽ المعنى ✽

(ان ربكم) أي خالقكم ومنشئكم ومالك تدبيركم وتصريفكم من امره ونهيه والذي يجب عليكم عبادته
(الله الذي خلق السماوات والارض) اي اخترعها وأنشأها على ما فيها من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة
(في ستة ايام) بلا زيادة وتقصان مع قدرته على إنشائها دفعة واحدة والوجه فيه ان في ذلك مصلحة للملائكة
وعبرة لهم ولغيرهم إذا اخبروا عن ذلك وكذلك تصريف الانسان حالا بعد حال واخراج الثمار والازهار
شيئا بعد شيء مع قدرته على ذلك في اقل من لمح البصر لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه (ثم استوى
على العرش) مر نفسه في سورة الاعراف وقيل ان العرش المذكور هنا هو السماوات والارض لأنهن من
بنائه والعرش البناء واما العرش العظيم الذي تمجد الله سبحانه الملائكة بالحفوف به والاعظام له وعنايه بقوله
الذين يحملون العرش ومن حوله فهو غير هذا وقيل ان ثم هنا بمعنى الواو وقيل ان ثم دخل على التدبير وتقديره
أي ثم استوى عليه بإنشاء التدبير من جهته كما يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره فإن
تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش ولهذا ترفع الأيدي في دعاء الحوائج نحو العرش (يدبر الأمر) اي يقدره
وينفذه على وجه ويرتبه على مراتبه على احكام عواقبه وهو مأخوذ من الدبور (ما من شفيع إلا من بعد
إذنه) إنما قال هذا وإن لم يجز ذكر للشفعاء لأن الكفار كانوا يقولون الأصنام شفعاؤنا عند الله فيبين
سبحانه ان الشفيع إنما يشفع عنده إذا أذن له في الشفاعة وإذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة
مع انه لا يشفع عنده أحد من الملائكة والنبیین إلا بإذنه وامره (ذلكم الله ربكم) اي ان الموصوف بهذه
الصفات هو إلهكم (فاعبدوه) وحده لأنه لا إله له لكم سواه ولا يستحق هذه الصفات غيره ولا تعبدوا
الأصنام (أفلا تذكرون) حثهم سبحانه على التذكر والتفكير فيما اخبروهم به وعلى تعرف صحنه (اليه مرجعكم
جميعا) المرجع بمنحمل معنيين ✽ أحدهما ✽ أن يكونا بمعنى المصدر الذي هو الرجوع ✽ والآخر ✽ ان يكون بمعنى
موضع الرجوع أي اليه موضع رجوعكم يكون إذا شاء (وعد الله حقا) أي وعد الله تعالى ذلك عباداه وعدا

(١) رقيب الثريا من النجوم الاكليل فاذا طلعت الثريا عشاء غاب الاكليل وبالعكس ورقيب النجم: الذي
ينيب بطلوعه. وبئينة: اسم امرأة. (٢) الكباء: ضرب من العود الذي يتبخره. وفي اللسان: كل عشاء لها
مقطرة ✽ ذات كباء ممدوحميم ✽ (٣) قيل بنى حوالى المشوقة.

حقاً صدقاً (انه يبدو الخلق ثم يعيده) اي يبتدىء الخلق ابتداءً ثم يعيدهم بعد موتهم (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي ليوثبهم جزاء اعمالهم (بالقسط) اي بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئاً (والذين كفروا لهم شراب من حميم) اي ماء حار قد انتهى حره في النار (وعذاب أليم) وجميع (بما كانوا يكفرون) أي جزاء على كفرهم

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه قال أكان للناس عجباً قالوا وكيف لانعجب ولا علم لنا بالمرسل قال ان ربكم الله ويجوز ان يكون على انه لما قال أكان للناس عجباً وكان هذا حكماً على الله سبحانه فكأنه قال أفتحكمون عليه وهو ربكم قال الاصم ويحتمل ان يكون هذا ابتداءً خطاب للخلق جميعاً احتج الله بها على عباده بما بين من بدائع صنعه في السماوات والارض وفي انفسهم

قوله تعالى (٥) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٦) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل البصرة وابن كثير وحفص والمجلى يفصل بالياء والباقون يفصل بالنون

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فلائنه تقدم ذكر الله سبحانه فأضمره في الفعل ومن قرأ بالنون فمثل قوله تلك آيات الله نتلوها
— (اللفظة) —

الجلل إيجاد ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها والضياء يجوز ان يكون جمع ضوء كسوط وسياط وحوض وحياض ويجوز ان يكون مصدر ضاء بضو ضياء وضوءاً مثل عاذ يموذ عياداً وعوداً وقام يقوم قياماً وعلى اي الوجهين كان فالضاف محذوف وتقديره جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور ويكون جعل النور والضياء لكثرة ذلك فيها والاختلاف ذهاب كل واحد من الشيتين في غير جهة الآخر فاختلف الليل والنهار ذهاب احدهما في جهة الضياء والآخر في جهة الظلام والليل عبارة عن وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني وليل و ليلة مثل تمر وتمر والنهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس والنهار واليوم بمعنى واحد إلا ان في النهار فائدة اتساع الضياء

﴿ المعنى ﴾

ثم زاد سبحانه في الاحتجاج للتوحيد فقال (هو الذي جعل الشمس ضياءً) بالنهار (والقمر نوراً) بالليل والضياء ابلغ في كشف الظلمات من النور وفيه صفة زائدة على النور (وقدّرهُ منازل) أي وقدّر القمر منازل معلومة (لتعلموا) به وبمنازله (عدد السنين والحساب) وأول الشهر وآخره واقضاء كل سنة وكميتها وجعل الشمس والقمر آيتين من آيات الله تعالى وفيهما اعظم الدلالات على وحدانيته تعالى من وجوه كثيرة منها خلقها وخلق الضياء والنور فيها ودورانها وقربها وبعدها ومشارقتها ومغاربها وكسوفها وفي بثّ الشمس الشماع في العالم وتأثيرها في الحرّ والبرد واخراج النبات وطبخ الثار وفي تمام القمر وسط الشهر ونقصانه

عقابنا كما يكون الرجاء بمعنى الخوف كما في قول الهذلي

إِذَا سَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا وَخَالَفَهَا فِي يَتِّ نُوبِ عَوَائِلِ (١)

جعل سبحانه ملاقة ما لا يقدر عليه إلا هو ملاقة له كما جعل آياتنا ملائكته آياتنا له في قوله هل ينظرون إلا ان يأتيهم الله تفتيحاً للأمر (ورضوا بالحياة الدنيا) اي متعوا بها واختاروها فلا يعملون إلا لها ولا يجتهدون إلا لاجلها مع سرعة فنائها ولا يرجون ما وراءها (واطمأنوا بها) اي وسكنوا إلى الدنيا بأنفسهم وركنوا اليها بقلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) اي ذاهبون عن تأملها فلا يتبرون بها (او تلك ما أوهم النار) اي مستقرهم النار (بما كانوا يكسبون) من المعاصي ثم وعد سبحانه المؤمنين بعد ما وعد الكافرين فقال (إن الذين آمنوا) أي صدقوا بالله ورسله (وعملوا الصالحات) أي وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة (يهدىهم ربهم بالإيمانهم) إلى الجنة (تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) اي تجري بين ايديهم الأنهار وهم يرونها من علو كما قال سبحانه قد جعل ربك تحتك سرياً ومعلوم انه لم يجعل السري الذي هو الجدول تحتها وهي قاعدة عليه وإنما اراد انه جعله بين يديها وقيل معناه من تحت بساينهم وأسرتهم وقصورهم عن الجبائي وقوله بالإيمانهم يعني به جزاء علي إيمانهم (دعواهم فيها) اي دعاء المؤمنين في الجنة وذكرهم فيها ان يقولوا (سبحانك اللهم) يقولون ذلك لا على وجه العبادة لأنه ليس هناك تكليف بل يلتذون بالتسبيح وقيل انهم اذا مر بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الطير فيقع مشوباً بين ايديهم واذا قضوا منه الشهوة قالوا الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حياً كما كان فيكون مفتوح كلامهم في كل شيء التسبيح ومختتم كلامهم التحميد فيكون التسبيح في الجنة بدل التسمية في الدنيا عن ابن جريج (وتحيتهم فيها سلام) اي تحيتهم من الله سبحانه في الجنة سلام وقيل معناه تحية بعضهم لبعض فيها او تحية الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليك أي سلمت من الآفات والمكاره التي ابلى بها اهل النار وقد ذكرنا معنى قوله (واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) وليس المراد ان ذلك يكون آخر كلامهم حتى لا يتكلموا بعده بشيء بل المراد أنهم يعملون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكره عن الحسن والجبائي قوله تعالى (١١) وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِاخْتِيارِ لِقْضِي إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَندَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٢) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آيات)

(القرأة) -

قرأ ابن عاصم ويعقوب لقضي بفتح القاف أجلهم منصوب والباقون لقضي على ما لم يسم فاعله أجلهم بالرفع

الحجة

قال ابو علي اللام في قوله لقضي اليهم جواب لو في قوله ولو يجعل الله للناس الشر استعجالهم بالخير والمعنى والله اعلم ولو يجعل الله للناس دعاء الشر أي ما يدعون به من الشر على انفسهم في حال ضجر او بطر استعجاله إياهم بدعاء الخير فأضاف المصدر الى المفعول فحذف الفاعل كقوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء

في اللسان في مادة «جاء» فراجع .

(١) لم يرج اي لم يفض ولم يبال . وخالفها اي دخل عليها وأخذ عليها . ويروي فخالفها بالنسبة وهو بمعنى لزوما . والنسب : النحل وقد مر في ج ٢ : ١٠٤ ايضاً (٢) الاسرة جمع السر الارض طن الوادي

الخير في حذف ضمير الفاعل والتقدير ولو يعجل الله للناس الشر استعجالاً مثل استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم قال ابو عبيدة لقضي اليهم أجلهم معناه لفرغ من أجلهم وانشد لابي ذؤيب
وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا
داودُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ قَبَعُ (١)

ومثل ما أنشده قول الآخر

قَصِيَّتْ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرَتْ بَعْدَهَا
بِوَاتِقٍ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تَقْتَقِرْ (٢)

والمعنى لفرغ من اجلهم ومدتهم المضروبة للحياة وإذا انتهت مدتهم المضروبة للحياة هلكتوا وهذا قريب من قوله ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولاً وقالوا للمبت مقضى كأنه قضى إدامات وقضي فعل . التقدير استوفي أجله وفرغ منه قال ذوالرمة

إِذَا الشَّخْصُ فِيهَا هَزَهُ الْآلُ أَعْمَضَتْ
عَلَيْهِ كَأَغْمَاضِ الْمُقْضَى هُجُوعُهَا (٣)

المعنى اغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذي فيها فلم ير لفرقه في الآل كإغماض المقضى هوالميت واما ما يتعلق به الجار من قوله لقضي اليهم فكأنه لما كان معنى قضى فرغ وكان قولهم فرغ يتمدى بهذا الحرف في قوله

الآن فقد فرغت إلى تميم
فَهَذَا حِينَ صِرْتُ لَهُمْ عَذَابًا

وفي التنزيل سنفرغ لكم ايها الثقلان امكن ان يكون الفعل يمدى باللام كما يمدى بالياء وباللام في قوله بأن ربك أوحى لها فلما كان معنى قضى فرغ تعلق بها الي كذلك تعلق بقضي ووجه قراءة ابن عامر لقضى اليهم اجلهم على اسناد الفعل الى الفاعل ان الذكر قد تقدم في قوله ولو يعجل الله للناس قتال لقضى على هذا ومن حجته في ذلك قوله ثم قضى أجلاً واجل مسمى عنده فهذا الأجل الذي في هذه الآية هو الأجل المضروب للمحيا كما ان الأجل في قوله لقضى اليهم أجلهم كذلك فكما اسند الفعل في الأجل المضروب للحياة الى الفاعل في قوله ثم قضى اجلاً عند الجميع كذلك اسنده ابن عامر في قوله لقضى اليهم اجلهم الى الفاعل ولم يسنده الى الفعل المبني للمفعول ويدل على ان الأجل في قوله ثم قضى اجلاً المحيا ان قوله وأجل مسمى عنده اجل البعث يبين ذلك قوله ثم انتم تموتون اي انتم ايها المشركون تشكون في البعث ومن قرأ لقضى فبنى الفعل للمفعول به فلا أنه في المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل

﴿ الإعراب ﴾

قوله لجنبه في موضع نصب على الحال تقديره دعانا منبطحاً لجنبه او دعانا قائماً ويجوز ان يكون تقديره إذا مسّ الانسان الضر لجنبه او مسّه قاعداً او مسّه قائماً دعانا وموضع الكاف من كذلك نصب على مفعول ما لم يسم فاعله أي زين للمسرفين عملهم مثل ذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام الى ذكر المائتين الى الدنيا المطمئنين اليها الغافلين عن الآخرة فقال (ولو يعجل الله للناس الشر) اي اجابة دعوتهم في الشر إذا دعوا به على أنفسهم وأهليهم عند الفيض والضجر واستعجلوه مثل قول الانسان رضى الله من بينكم وقوله لولده اللهم العنه ولا تبارك فيه (استعجالهم بالخير) اي كما يعجل لهم اجابة الدعوة بالخير إذا استعجلوها (لقضى اليهم أجلهم) اي لفرغ من اهلاكهم ولكن الله

(١) مضى البيت في ج ٢ : ٣٠٩ . (٢) غادره : تركه . والبواقي جمع الباقية : الداهية . وفي اللسان «بوايح» وهو بضمه ايضاً . والا كما جمع الكم - بالكسر - وعاء الطلمع وغطاء النور . وبالفارسية «غلاف شكوفة» «٣» الآل : السراب . والهجول جمع الهجل : المطمئن من الارض .

تعالى لا يعجل لهم الهلاك بل يمهلهم حتى يتوبوا وقيل معناه ولو يعجل الله للناس العقاب الذي استحقوه بالمعاصي كما يستعجلونهم خير الدنيا وربما أجيبوا إلى ما سألوه إذا اقتضت المصلحة ذلك لفنوا لأن بنية الإنسان في الدنيا لا تحتل عقاب الآخرة بل لا تحتل ما دونه والله سبحانه يوصله اليهم في وقته وسمي العقاب شراً من جهة المشقة والأذى الذي فيه وفائدته أنه لو تعجلت العقاب لزال التكليف ولا يزول التكليف إلا بالموت وإذا عوجلوا بالموت لم يبق أحد (فندر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) أي فندع الذين لا يخافون البعث والحساب يتحبرون في كفرهم وعدولهم عن الحق إلى الباطل وترددهم في الظلم والمعصية شدة الحيرة ثم أخبر سبحانه عن قصة صبر الإنسان على الضرر والشدائد فقال (وإذا مس الإنسان الضر) أي المشقة والبلاء والمحنة من عن الدنيا (دعانا لجنبه) أي دعانا لكشفه مضطجعا (أو قاعداً أو قائماً) أي على أي حال كان عليها واجتهد في الدعاء وسؤال العافية وليس غرضه بذلك نيل ثواب الآخرة وإنما غرضه زوال ما هو فيه من الألم والشدة وقيل إن تقديره وإذا مس الإنسان الضر مضطجعا أو قاعداً أو قائماً دعانا لكشفه وفيه تقديم وتأخير (فلما كشفنا عنه ضره) أي فلما أزلنا عنه ذلك الضرر ووهبنا له العافية (مر) أي استمر على طريقته الأولى معرضاً عن شكرنا (كأن لم يدعنا إلى ضرر مسه) أي كأن لم يدعنا قط لكشف ضرره ولم يسألنا إزالة الألم عنه (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) أي كما زين لهم الشيطان وأقرانهم الفجوة ترك الدعاء عند الرخاء زينوا للمسرفين أي للمشركين عملهم عن الحسن ويحتمل أن يكون زين المسرفون بعضهم لبعض وإنما لم يصف التزيين اليهم فهو كقولهم فلان معجب بنفسه وقد حث الله سبحانه بهذه الآية الذين منحوا الرخاء بعد الشدة والعافية بعد البلية على أن يتذكروا حسن صنع الله اليهم وجزيل نعمته عليهم ويشكروه على ذلك ويسألوه إدامة ذلك لديهم وثبه بذلك على وجوب الصبر عند المحنة احتساباً للأجر وابتغاءاً للثواب والذخر

قوله تعالى (١٣) وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٤) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (آيَات)

✽ اللفظة ✽

القرون جمع قرن وهو أهل كل عصر سمو بذلك لمقارنته بعضهم ببعض ومنه قرن الشاة لمقارنته آخر بإزائه والقرن بكسر القاف هو المقاوم لقرينه في الشدة

✽ الأعراب ✽

موضع كيف نصب بقوله تعملون وتقديره لننظر أخيراً تعملون أم شراً ولا يجوز أن يكون معمول ننظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل في ما بعده

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه عما نزل بالأمة الماضية من المثالات وحذر هذه الأمة عن مثل مصارعهم فقال (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) بأنواع العذاب (لما ظلموا) انفسهم بأن أشركوا وعصوا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرة والدلالات الواضحة (وما كانوا ليؤمنوا) هذا اختيار بأن هذه الأمم

من قوله لا أدريه كما جاز فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وان تسخروا منا فإنا نسخر منكم وأيضا فإن الأعراب يذكرون أشياء يمنع جوازها كما قالوا

لَاهُمْ إِنْ كُنْتَ الَّذِي بَعْدِي وَلَمْ تَغَيِّرْكَ الْأُمُورَ بَعْدِي

وقال الآخر « لو خافك الله عليه حرمه » فأما الهمزة على ما حكى عن الحسن وغيره فلا وجه له لأن الدرء الدفع قال ابن جني يجوز ان يكون لها وجه وان كان فيه ضعف صنعة وهو ان يكون أراد ولا ادريتهكم به ثم قلبت الياء العا لانفتاح ما قبلها وان كانت ساكنة كقولهم في يأس يا اس وفي ييس يابس وقال قطرب ان لغة عقيل في اعطيتك ان يقولوا اعطاتك ثم همز الألف على لغة من قال في الباز الباز وفي العالم والخانم والنابل العالم والخانم والنابل ومن قرأ ولا ذريكم به فعناه ولا علمكم الله تعالى به فيكون نغيا للتلاوة واثباتا للعلم وعلى قراءة الجماعة يكون نغيا للأمرين جميعا

✽ اللفظة ✽

التلقاء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ظرفا فيقال هو تلقاه كما يقال هو حذاه وقبائه وتجاهه وإزاه والعمر بفتح العين وسكون الميم والعمر بضمها البقاء واذا استعمل في القسم فالفتح لا غير

✽ النزول ✽

قيل نزلت في خمسة نفر عبد الله بن أمية المنزومي والوليد بن مغيرة ومكرز بن حفص وعمر بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي ﷺ أنت بقرآن ليس فيه ترك عبادة الملات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها او بدله تكلم به من تلقاء نفسك عن مقاتل وقيل نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد أنت بقرآن غير هذا فيه مانسلكه عن الكافي

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال (واذا تتلى عليهم آياتنا) المنزلة في القرآن (بينات) أي واضحات في الحلال والحرام وسائر الشرائع وهي نصب على الحال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يؤمنون بالبعث والنشور فلا يخشون عقابنا ولا يطمعون في ثوابنا (أنت بقرآن غير هذا) الذي تتلوه علينا (او بدله) فأجمله على خلاف ما ترووه والفرق بينهما أن الإتيان بغيره قد يكون معه وتبدله لا يكون الا برفعه وقبل معنى قوله بدله غير احكامه من الحلال او الحرام أرادوا بذلك زوال الحظر عنهم وسقوط الأمر منهم وان يخلي بينهم وبين ما يريدونه (قل) يا محمد (ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي) أي من جهة نفسي وناحية نفسي ولا أنه معجز فلا أقدر على الإتيان بمثله (ان أتبع الا ما يوحى الي) أي ما أتبع الا الذي أوحى الي (اني أخاف ان عصيت ربي) في اتباع غيره (عذاب يوم عظيم) أي يوم القيامة ومن استدلل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد ابدل لأنه اذا نسخ القرآن بالسنة وما بقوله النبي ﷺ فإنما يقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يبدله من قبل نفسه بل يكون تبدله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرآنا ويؤيد ذلك قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي الا يوحى (قل) يا محمد (لو شاء الله ما تلوته عليكم) معناه لو شاء الله ما تلوته هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله علي (ولا ادراكم به) أي ولا اعلمكم الله به بأن لا ينزله علي فلا اقرأه عليكم فلا تعلمونه (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) أي فقد مكثت واقمت بينكم

(١) والشاهد في اسناد التنوير الى الله تعالى في البيت الاول والخوف اليه في الشعر الثاني فليس

كل ما قاله العرب متبعا بل هو حجة في ما يتعلق باللغة .

دهرا طويلا من قبل إنزال القرآن فلم أقرأ عليكم فلا تعلمونه ولا ادعيت نبوة حتى اكرمني الله تعالى به (أفلا تعقلون) اي افلا تفكرون فيه بقولكم فتملوا ان المصلحة فيما أنزله الله تعالى دون ما تقرونه قال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب والناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فبعضهم اعقل من بعض اذا كان اقدر على الاستدلال من بعض (فمن اظلم ممن افتري على الله) اي لا احد اظلم ممن اخترع على الله (كذبا أو كذب باياته إنه لا يفلح المجرمون) اي المشركون عن الحسن فإني قيل أليس من ادعى الربوبية اعظم ظلما من المدعي للنسبة قلنا إن المراد بقوله من افتري على الله كذبا من كفر بالله تعالى فقد دخل فيه من ادعى الربوبية وغيره من انواع الكفار فكأنه قال لا أحد اظلم من الكافر

قوله تعالى (١٨) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءُ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٠) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ تشركون بالياء أهل الكوفة غير عاصم وكذلك في النحل في موضعين وفي الروم والباقرن كل ذلك بالياء.

❖ الحجة ❖

من قرأ بالياء فلقوله اتنبئون الله ومن قرأ بالياء احتل وجهين ❖ احدهما ❖ على قل كأنه قيل له قل انت سبحانه وتعالى عما يشركون والوجه الآخر ان يكون هو سبحانه تزه نفسه عما أقروه فقال ذلك

❖ المعنى ❖

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (ويمبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) أي ويمبد هؤلاء المشركون الأصنام التي لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها فإن قيل كيف ذمهم على عبادة الصنم الذي لا ينفع ولا يضر مع انه لو نفع وضر لكان لا يجوز ايضا عبادته قلنا عبادة من لا يقدر على أصول النعم وإن قدر على النفع والضر إذا كان قبيحا فمن لا يقدر على النفع والضر أصلا من الجماد تكون عبادته اقبح واشنع فلذلك خصه بالذكر (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا انا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله وان الله أذن لنا في عبادتها وانه سيسفها فينا في الآخرة وتوهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله سبحانه من قصده تعالى بالعبادة فجمعوا بين قبيح القول وقبيح الفعل وقبيح التوهم وقيل معناه هؤلاء شفعاؤنا في الدنيا لإصلاح معاشها عن الحسن قال لأنهم كانوا لا يقرؤون بالبعث بدلالة قوله واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يمت (قل أنتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض) امر سبحانه نبيه ﷺ أن يقول لهم على وجه الإلزام أتخبرون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الأصنام وكرهها شافعة لأن ذلك لو كان صحيحا لكان تعالى به عالما فقي نفي علمه بذلك نفي المعلوم ومعناه انه ليس في السماوات ولا الأرض إلا غير الله ولا احد يشفع لكم يوم القيامة وقيل معناه اتخبرون الله بشريك او شفيع لا يعلم شيئا كما قال ويمبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض فكذلك وصفهم بأنهم لا يعلمون في السماوات والأرض شيئا

(سبحانه وتعالى عما يشركون) أي تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك في استحقاق العبادة (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا) فيه أقوال **﴿** أحدها **﴾** أن الناس كانوا جميعاً على الحق وعلى دين واحد فاختلّفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه ثم قيل انهم اختلفوا على عهد آدم وولده عن ابن عباس والسدي ومجاهد والجبائي وأبي مسلم، ومتى اختلفوا قيل عند قتل احد ابنه أخاه وقيل اختلفوا بعد موت آدم (ع) لأنهم كانوا على شرع واحد ودين واحد إلى زمن نوح وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا عن ابي روق وقيل كانوا على ملة الإسلام من لدن ابراهيم (ع) إلى أن غيّر عمرو بن لحي وهو أول من غيّر دين ابراهيم وعبد الصنم في العرب عن عطا وبدل على صحة هذه الأقوال قراءة عبادة الله وما كان الناس إلا أمة واحدة على هدى فاختلّفوا عنه **﴿** وثانيها **﴾** أن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعمة على الشرك والكفر عن ابن عباس والحسن والكلبي وجماعة ثم اختلف هو لا. فقيل كانت أمة كافرة على عهد ابراهيم ثم اختلفوا ففرقوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر عن الكلبي وقيل كانت كذلك منذ وفاة آدم إلى زمن نوح عن الحسن وقيل اراد به العرب الذين كانوا قبل بعث النبي **﴿** فإنهم كانوا مشركين إلى أن بعث النبي **﴿** فآمن به قوم وبقي آخرون على الشرك وسئل علي (ع) عن هذا قيل كيف يجوز ان يطبق اهل عصر على الكفر حتى لا يوجد مؤمن يشهد عليهم والله تعالى يقول فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد واجيوا عن ذلك بأنه يجوز أن يكون اهل كل عصر وان لم يخل عن مؤمنين يشهدون عليهم فربما يقولون في عصر وإنما يتبع الاسم الأعم وعلى هذا يقال دار الإسلام ودار الكفر وفي تفسير الحسن ما كان الناس إلى بعث نوح إلا ملة واحدة كافرة إلا الخاصة فلأن الأرض لا تخلو من أن يكون لله تعالى فيها حجة **﴿** وثالثها **﴾** ان الناس خلقوا على فطرة الإسلام ثم اختلفوا في الأديان (ولولا كلمة سبقت من ربك) من انه لا يعاجل العصاة بالمقوبة انعاماً عليهم في التآني بهم (اقضي بينهم) أي فصل بينهم (فيما فيه يختلفون) بأن يهلك العصاة وينجي المؤمنين لكنّه أخرهم إلى يوم القيامة تفضلاً منه اليهم وزيادة في الانعام عليهم ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه) أي هلا انزل على محمد آية من ربه تضطر الخلق إلى المعرفة بصدقه فلا يحتاجون معها إلى النظر والاستدلال ولم يطلبوا معجزة تدل على صدقه لانه **﴿** قد أتاهم بالمعجزات الدالة على نبوته وإنما لم يلجئهم الله إلى ما التمسوه لأن التكليف يمنع من الاضطرار إلى المعرفة فلأن الفرض بالتكليف التعريض للثواب ولو كانت المعرفة ضرورة لما استحقوا ثواباً فكيف وكان يكون ذلك ناقضاً للفرض (فقل إنما الغيب لله) معناه فقل يا محمد إن الذي يعلم الغيب ويعلم مصالح الأمور قبل كونها هو الله العالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها لا تخفى عليه خافية فيعلم ما في انزاله صلاح فينزله ويعلم ما ليس في انزاله صلاح فلا يترد له ولذلك لا يفعل الآية التي اقترحوها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن تدبير (فانتظروا) أي فانتظروا عقاب الله تعالى بالقهر والقتل في الدنيا والعقاب في الآخرة (أي معكم من المنتظرين) لأن الله تعالى وعد في النصرة عليكم وقيل معناه فانتظروا اذلال الكافرين فإني منتظر اعزاز المؤمنين

قوله تعالى (٢١) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِن بَعْدِ ضِرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا

قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢٢) هُوَ الَّذِي يُسِيرُ كُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٣) فَلَمَّا أَتَجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقَّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ روح وزيد عن يعقوب وسهل يمكرون بالياء. والباقون بالتاء. وقرأ ينشركم بالنون والشين من النثر ابو جعفر وابن عامر والباقون يسيركم بالسين والياء. من التسيير وقرأ حفص وحده متاع بالنصب والباقون بالرفع
= (الجملة) =

من قرا يمكرون بالياء فلعله إذا لم يكر في آياتنا ومن قرأ بالتاء فللخطاب اي قل لهم يا محمد إن رسل الله يكتبون ما تمكرون ومن قرأ يسيركم يقويه قوله فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقوله قل سيروا في الأرض ويقال سار الدابة وسرته وسيرته قال (فلا تجزعن من سنة أنت سيرتها) وقال ليبد

فَبَيْنَانُ حَرْبٍ أَنْ تَبُوءَ بِحِزْبِهِ وَقَدْ يَقْبَلُ الضَّمُّ الدَّلِيلَ الْمَسِيرَ

ومن قرأ ينشركم فحجته قوله وبث منها رجلا كثيرا ونساء. وقوله وما بث فيها من دابة والبث التفريق والنشر في المعنى وأما متاع الحياة الدنيا فقد قال الزجاج من رفع فعلى وجهين ❖ أحدهما ❖ ان يكون متاع الحياة الدنيا خبراً لقوله بغيكم ❖ والآخر ❖ ان يكون خبر المبتدأ على انفسكم ومتاع الحياة على اضرار هو ومن نصب فعلى المصدر اي تمتعون متاع الحياة الدنيا قال أبو علي قوله على انفسكم يحتمل تأويلين ❖ أحدهما ❖ ان يكون متعلقاً بالمصدر لأن فعله يتمدى بهذا الحرف الا ترى إلى قوله بغي بضمنا على بعض ثم بغي عليه وإذا كان الجار من صلة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا فيكون معناه بغي بعضكم على بعض متاع الحياة في الدنيا وليس ما يقرب إلى الله ويجوز ان يكون على متعلقاً بمحذوف فيكون خبراً للمصدر وفيه ذكر يعود إليه فيكون كقولك الصلاة في المسجد فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ومفعوله محذوفاً والمعنى إما بغي بعضكم على بعض بما يدل على انفسكم ويكون كقوله ولا يجيق المكر السيء إلا بأهله ومن نص احتمل النصب وجهين ❖ أحدهما ❖ ان يكون على من صلة المصدر ويكون الناصب لمتاع هو المصدر الذي هو البغي ويكون خبر المبتدأ محذوفاً وحسن حذفه أطول الكلام ولأن بغيكم يدل على تبغون فيحسن الحذف لذلك وهذا الخبر لو اظهرته لكان يكون مكروه او مذموم او منهي عنه ونحو ذلك ❖ والآخر ❖ ان يكون على انفسكم خبر المبتدأ فيكون متاع منصوباً على وجهين ❖ أحدهما ❖ تمتعون متاعاً فيدل انتصاب المصدر عليه ❖ والآخر ❖ أن يضم تبغون لأن ما يجري مجرى ذكره قد تقدم كأنه لو اظهره لكان تبغون متاع الحياة الدنيا فيكون مفعولاً له ولا يجوز ان يتعلق المصدر بالمصدر في قوله انا بغيكم وقد جعلت على خبراً لقوله انا بغيكم لفصلك بين الصلة والموصول

❖ اللفظة ❖

التسيير التحريك في جهة تمتد كالسير الممدود والبر الأرض الراسمة التي تقطع من بلد إلى بلد ومنه البرلاتساع الخيرية والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافته والفلك السفن وسميت فلكتاً لدورانها في الماء وأصله الدور ومنه فلكتة المغزل وتفلك ثدي الجارية إذا استدار والفلك يكون جماعاً واحداً وهو ههنا جمع والعاصف الريح الشديدة وعصفت الريح فهي عاصف وعاصفة قال

حَتَّىٰ إِذَا عَصَفَتْ رِيحٌ مَّرَعَزَةٌ فِيهَا قِطَارٌ وَرَعْدٌ صَوْتُهُ زَجَلٌ (٣)

❖ الاعراب ❖

جواب إذا الأولى في إذا الثانية وإنما جعل إذا جواباً لكونها بمعنى الجملة لما فيها من معنى المفاجأة وهي ظرف

(١) قائله خالد بن اخت ابي ذؤيب وبعده «فأول راض سنة من سيرها» (٢) اي جانباه. (٣) قطار ككتاب جمع القطر - بالفتح - : المطر .

مكان وهو كقوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ومعناه إن تصبهم سيئة فنظروا وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا وجربن بهم ابتداء الكلام خطاب وبعد ذلك إخبار عن غائب لأن كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز له أن يرده إلى الغائب قال كثير

أَسْبَغِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ
لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبَةٌ إِنْ تَقَلَّتِ ١١

وقال عنتره

شَطَّتْ مَزَارَ الْعَائِشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ
عَسْرًا عَلَى طِلَابِكِ ابْنَةَ مَخْرَمٍ ١٢

وقوله فلما انجأهم إذا هم يغنون المعنى فلما انجأهم بغوا

(= المعنى =)

ثم أخبر سبحانه عن ذمهم فعالمهم فقال (وإذا أذقنا الناس رحمة) يريد بالناس الكفار فهو عموم يراد به الخصوص (من بعد ضرا . مستهم) أي راحة ورخاء بعد شدة وبلاء . وحقيقة الذوق فيما له طعم يوجد إنما يكون طعمه بالضم وإنما قال أذقناهم الرحمة على طريق البلاغة لشدة ادراك الحاسة أياها (إذا لهم مكر في آياتنا) أي فهم يحايلون لدفع آياتنا بكل ما يجدون السبيل إليه من شبهة أو تخليط في مناظرة أو غير ذلك من الأمور الفاسدة وقال مجاهد مكروهم استهزأوهم وتكذبيهم (قل) يا محمد لهم (الله أسرع مكرا) أي اقدر جزاء على المكر ومعناه أن ما يأتيهم من العقاب أسرع مما أتوه من المكر أي اوقع في حقه وقيل إن مكروه سبحانه أنزله العقوبة بهم من حيث لا يشعرون (أن رسلنا) يعني الملائكة الحفظة (يكتبون ما تمكرون) أي ما تدبرون من سوء التدبير وفي هذا غاية الزجر والتهديد من وجهين * أحدهما * أنه يحفظ مكروهم * والآخر * أنه اقدر على جزائهم وأسرع فيه ثم امتن الله سبحانه على خلقه بأن عدد نعمه التي يقامها بهم في كل حال فقال (هو الذي يسيّركم في البر والبحر) أي يكتنكم من السير في البر والبحر بما هيأ لكم من آلات السير وهي خلق الدواب وتسخيرها لكم لركوبها في البر وتحملوا عليها أثقالكم وهيأ السفن في البحر وإرسال الرياح المختلفة التي تجري بالسفن في الجهات المختلفة (حتى إذا كنتم في الفلك) خص الحطاب براكب البحر أي إذا كنتم راكبي السفن في البحر (وجربن بهم) أي وجرت السفن بالناس لما ركبوها عدل عن الحطاب إلى الإخبار عن الغائب تصرفا في الكلام على أنه يجوز أن يكون خطابا لمن كان في تلك الحال وإخبارا لغيرهم من الناس (بريح طيبة) أي بريح لينة يستطيبونها (وفرحوا بها) أي سرّوا بتلك الريح لأنها تبلغهم مقصودهم عن أي مسلم وقيل فرحوا بالسفينة حيث حملتهم وأمتتهم (جاءتها ريح عاصف) أي جاءت السفينة ريح عاصف شديدة الهبوب الهائلة (وجاءهم المروج من كل مكان) من البحر والموج اضطراب البحر ومعناه وجاء راكبي البحر الأمواج العظيمة من جميع الوجوه (وظنوا أنهم أحيط بهم) أي ايقنوا أنهم دنوا من الهلاك وقيل غلب على ظنهم أنهم سيهلكون لما أحاط بهم من الأمواج (دعوا الله) عند هذه الشدائد والأحوال والتجأوا إليه ليكشف ذلك عنهم (مخلصين له الدين) أي على وجه الإخلاص في الاعتقاد ولم يذكروا الأوثان والاصنام لطمعهم بأنها لا تنفعهم ههنا شيئا وقالوا (لئن أنجيتنا) يا رب (من هذه) الشدة (لنكونن من الشاكرين) أي من جملة من يشكرك على نعمك وقوله جأمتها ريح عاصف جواب قوله إذا كنتم في الفلك وقوله دعوا الله جواب قوله وظنوا أنهم أحيط بهم (فلما انجأهم) أي خلصهم الله تعالى من تلك المحن (إذا هم يغنون في الأرض بغير الحق) أي يعملون فيها بالمعاصي والفساد ويستظنون بالظلم على الأنبياء وعلى المسلمين (يا أيها الناس إنما بنيتكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) أي بنيتكم على بعض وما يتألونه به متاع في الدنيا وإنما تأتونه لبعثكم العاجلة وإيثارها على ما يقرب إلى الله تعالى من الطاعات وقد مرتبانه قبل (ثم أينا مرجعكم) في الآخرة (فننبئكم بما كنتم تعملون) أي نخبركم

(١) مضى البيت بمعناه في صفحة ٣٨ من هذا الجزء . (٢) هذا على رواية أبي عبيدة لكن في رواية

الروزني والخطيب ومعلقته هكذا : « حلت بأرض الزائرين فأصبحت عسرا . اه » شطت أي جاوزت .

والإثر على رواية الروزني بمعنى العدو من زادا لاسد شبه توعدهم وتهدهم بزمر الاسد .

بأعمالكم لأننا اثبتناها عليكم وهي كلمة تهديد ووعيد

(=) النظر (=)

قيل إنما اتصل قوله هو الذي يسيركم الآية بما قبله لانه تفسير لبعض ما اجمل في الآية المتقدمة التي هي قوله وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم عن ابي مسلم ر قيل انه يتصل بما تقدم في السورة من دلائل التوحيد فكانه قال إلهكم الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهو الذي يسيركم

قوله تعالى (٢٤) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمْرٌ نَالِيلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٥) وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الاعرج والشعبي وابي العالية ونصر بن عاصم والحسن بخلاف وازينت وقراءة ابي عثمان وازينت

﴿ الحجة ﴾

اما ازينت فأصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي وسكنت الزاي فاجتلبت لها الف الوصل واما ازينت فلمنه على اقلت اي جاءت بالزينة وازينت اجود في العربية لأن ازينت الأجود فيه أزانة مثل اقال وابع واما ازيانة فوزنه افعالت وأصله ازيانة مثل ادهامت واسودت إلا انه كره التقاء الساكنين فحركت الألف فانقلبت همزة كقول كثير وَلِلْأَرْضِ أَمَّا سَوْدُهَا فَتَجَلَّتْ بِيَاضًا وَأَمَّا بَيْضُهَا فَادْهَامَتْ (١)

﴿ اللفظة ﴾

الزخرف كمال حسن الشيء ويقال زخرفته اي حسنته ومنه زخرفت الجنة لأهلها اي زينت بأحسن الألوان وغني بالمكان اقام به والمغاني المنازل قال النابغة

غَنَيْتَ بِذَلِكَ إِذْهُمْ لَكَ جِبْرَةٌ مِنْهَا بِمَطْفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدَّدِ

والدعاء طلب الفعل بما يقع لأجله والداعي إلى الفعل خلاف الصارف عنه والفرق بين الدعاء والأمر ان في الأمر ترغيباً في الفعل وزجراً عن تركه وله صيغة تنبي عنه والدعاء ليس كذلك وكلاهما طلب وأيضاً فإن الأمر يقتضي ان يكون المأمور دون الأمر في الرتبة والدعاء يقتضي ان يكون فوقه

(=) المعنى (=)

لما تقدم ما يوجب الترفيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا عقبه سبحانه بذكر صفة الدارين فقال (إنما مثل الحياة الدنيا) اي صفة الحياة الدنيا او شبه الحياة الدنيا في سرعة فنائها وزوالها (كماء انزلناه من السماء) وهو المطر (فاختلط به) اي بذلك المطر (نبات الأرض) لأن المطر يدخل في خلل النبات فيختلط به وقيل معناه فاختلط بسببه بعض النبات بالبيض فاختلط ما يأكل الناس بما يأكل الأنعام وما يقتات بما يتفككه ثم فصل ذلك فقال (بما يأكل الناس) كالحبوب والثمار والبقول (والأنعام) كالحشيش وسائر انواع المراعي وقد قيل في المشبه والمشبه به في الآية أقوال ﴿ احدها ﴾ انه تعالى شبه الحياة الدنيا بالباء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانتفاع ﴿ وثانيها ﴾ انه شبهها بالنبات على ما وصفه من الاعتزاز به ثم المصير إلى الزوال عن الجبائي وابي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ انه تعالى شبه الحياة الدنيا بحياة مقدرة على هذه الأوصاف (حتى إذا اخذت الارض زخرفها)

(١) تجلج بالثوب: تغطى. والدمعة: السواد. (٢) الجيرة جمع الجار.

أي حسنها وبهجتها بأنواع الألوان واجناس النبات وغير ذلك (وازيئت) أي تزيئت في عين رائيها (وظن أهلها) أي مالكتها (أنهم قادرون عليها) أي على الانتفاع بها ومعناه بلغت المبلغ الذي ظن أهلها أنهم يحصدونها ويقدرّون على غلتها أو أدامتها (أناها امرنا ليلاً أو نهاراً) أي أنها عذابنا من برد أو برد وقيل معناه أنها حكمتنا وقضاوتنا بإهلاكها وإتلافها (فجعلناها حصيداً) أي محصودة ومعناها مقطوعة مقلوعة ذاهبة يابسة (كان لم تقن بالأمس) أي كأن لم تقم على تلك الصفة بالأمس ومعناه كأن لم تكن ولم توجد من قبل (كذلك نفضل الآيات لقوم يتفكرون) أي مثل ذلك نسيّر الآيات لقوم يتفكرون فيها فيعتبرون بها ولما بين سبحانه أن الدنيا تنقطع وتفتى بالموت كما يفنى هذا النبات بفنون الآفات ونبه على التوقع لزوالها والتحرز عن الاغترار بأحوالها رغب عقبيه في الآخرة فقال (والله يدعو إلى دار السلام) قيل إن السلام هو الله تعالى فإن الله تعالى يدعو إلى داره وداره الجنة من الحسن وقيادة وقيل دار السلام الدار التي يسلم فيها من الآفات عن الجبائي والسلام والسلامة واحتمل الرضاع والرضاعة قال

نَحِيًّا بِالسَّلَامَةِ أُمَّ بِكُفْرٍ وَهَلْ لَكَ بَعْدَ رَهْطِكَ مِنْ سَلَامٍ

وقيل سميت الجنة دار السلام لأن أهلها يسلم بعضهم على بعض والملائكة تسلم عليهم ويسلم ربهم عليهم فلا يسمعون إلا سلاماً ولا يرون إلا سلاماً وبعضه قوله تحيتهم فيها سلام وما أشبهه (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) قيل يهدي من يشاء إلى الإيمان والدين الحق بالتوفيق واليسير والالطاف وقال الجبائي يريد به نصب الأدلة لجميع المكلفين دون الأطفال والمجانين وقيل معناه يهدي من يشاء في الآخرة إلى طريق الجنة الذي يسلكه المؤمنون ويعدل عنه الكافرون إلى النار

قوله تعالى (٢٦) الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَتَرَهَقُهَا ذَلِيلٌ مَّا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آيات)

(- القراءة -)

قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب وسهل قطعاً ساكنة الطاء والباقرن قطعاً بفتحها

- الحجة -

القطع جمع قطعة من الليل والقطع الجزء من الليل الذي فيه ظلمة

✽ التمه ✽

الرهق لحاق الأمر ومنه رهاق الفلام إذا لحق بالرجال رهاقه في الحرب أدركه قال الأزهري الرهق اسم من الأرهاق وهو أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه ومنه سأرهمه صعوداً والكسب اجتلاب النفع والجزاء والمكافأة والقتر العبار والقتر العبرة والقتر الدخان ومنه الاقتار في المعيشة

✽ الأعراب ✽

جزاء سيئة في ارتفاعه وجهان ﴿لحدهما﴾ أن يكون مبتدأ وخبره بمثابة على زيادة الباء في قول أبي الحسن لأنه وجد في مكان آخر وجزاء سيئة سيئة مثلها ويجوز أن يكون الباء متعلقة بنحو محذوف تقديره جزاء سيئة كائن بمثابة كما تقول إنما أنا بك وأمرى بيدك وما أشبه ذلك ﴿والآخر﴾ أن يكون فاعلاً باضراً فعل تقديره استقر لهم جزاء سيئة بمثابة حذف استقر فبقي لهم جزاء سيئة بمثابة حذف لهم لدلالة الكلام

على ان هذا مستقر لهم ويجوز ان يكون جزاء سيئة مبتدأ والخبر محذوف تقديره لهم جزاء سيئة بمثلها او جزاء سيئة بمثلها كائن هذا قد أجازة ابو الفتح وقوله وترهقهم عطف على كسبوا وجاز ان يفصل بينهما بقوله جزاء سيئة بمثلها لأنه من الاعتراض الذي يبين الأول ويسدده ويثبت مطلقا قال ابو علي ان اجريته على قطع ساكنة الطاء فيحتمل نصبه على وجهين ﴿احدها﴾ ان يكون صفة لقطع على قياس قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك و صفت الكتاب بالمفرد بعد ما وصفته بالجملة واجريته على النكرة ﴿والآخر﴾ ان يكون حالا من الذكر الذي في الظرف يعني قوله من الليل وان اجريته على قطع مفتوحة الطاء لم يكن صفة له ولا حالا من الذكر الذي في قوله من الليل ولكن يكون حالا من الليل والعامل في الحال ما يتعلق به من الليل وهو الفعل المختل ومثل ذلك في زيادة الوصف بالسواد قول الشاعر

وَدَوِيَّةٍ مِثْلَ السَّاءِ إِعْتَسَفَتْهَا
وَقَدْ صَنَعَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ

اي سودتها الظلمة وقال غيره يجوز ان يكون مطلقا صفة لقطع على قول الشاعر
لَوْ أَنَّ مِدْحَةَ حَيٍّ تَنْشُرَنَّ أَحَدًا
أَحْبَى أَبَا كَنٍّْ بِاللَّيْلِ الْإِمَادِيْعُ

= المعنى =

ثم بيّن سبحانه أهل دار السلام فقال (للذين احسنوا الحسنى) ومعناه للذين احسنوا العمل وأطاعوا الله تعالى في الدنيا جزاء لهم على ذلك الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الحالة الجامعة للذات والنصيم على أكمل ما يكون وأفضل ما يمكن وهو تأنيث الأحسن (وزيادة) ذكر في ذلك وجوه ﴿احدها﴾ ان الحسنى الثواب المستحق والزيادة التفضل على قدر المستحق على طاعتهم من الثواب وهي المضاعفة المذكورة في قوله فله عشر أمثاله عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ﴿ثانيها﴾ الزيادة هي ان ما اعطاهم الله تعالى من النعم في الدنيا لا يحاسبهم به في الآخرة عن ابي جعفر الباقر (ع) ﴿وثالثها﴾ ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب عن علي (ع) وقيل الزيادة ما يأتيهم في كل وقت من فضل الله مجددا ﴿ورابعها﴾ ان الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى وروي ذلك عن ابي بكر وأبي موسى الأشعري وغيرها وقد بيّن الله سبحانه الزيادة في موضع آخر بقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله (ولا يرهق وجوههم قدر ولا ذلة) اي لا يلحق وجوههم سواد عن ابن عباس وقتادة وقيل غبار ولا ذلة اي هوان وقيل كآبة وكسوف عن قتادة وروى الفضيل بن يسار عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ما من عين تفرقت بآئها إلا حرم الله ذلك الجسد على النار فان فاضت من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قدر ولا ذلة (او لئلك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) مرّ معناه (والذين كسبوا السيئات) اي اكتسبوا وارتكبوا (جزاء سيئة بمثلها) اي لهم جزاء كل سيئة بمثلها يعني يجوزون بمثل اعمالهم اي قدر ما يستحق عليها من غير زيادة لأن الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب لأن ذلك تفضل يحسن فطه ابتداء فالمثل هنا مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان (وترهقهم ذلة) اي يلحقهم هوان وذلل لأن العقاب يقارنه الإهانة والإذلال (ما لهم من الله من عاصم) اي ما لهم من حافظ ومانع يدفع عقاب الله عنهم (كأننا اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمة) اي كأننا البست وجوههم ظلمة الليل والمراد وصف وجوههم بالسواد كقوله سبحانه ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة (او لئلك اصحاب النار هم فيها خالدون) ظاهر المراد

قوله تعالى (٢٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ
وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَلَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَاتِعِدُونَ (٢٩) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٣٠) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَوَضَّلْنَا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ تملوا بالثاء اهل الكوفة غير عاصم وروح وزيد عن يعقوب والباقون تبلوا بالباء

(= الحجة =)

قال ابو علي من قرأ تبلوا فمعناه تخبر من قولم البلاء ثم الثناء اي الاختبار للمثني عليه ينبغي ان يكون قبل الثناء ليكون الثناء عن علم بقدر ما يوجه ومعنى اختبارها ما اسلفت انه ان قدم خيرا او شرا جوزي عليه كما قال فمن يعمل مثقال ذرة إلى آخره ومن عمل صالحا فلنفسه وغير ذلك من الآي ومن قرأ تملوا فإنه من التلاوة التي هي القراءة دليله قوله فأولئك يقرأون كتابهم وقوله اقرأ كتابك ويكون تملوا تتبع من قولم تلا الفريضة النفل إذا أتبعها النفل قال

عَلَى ظَهْرِ عَادِي كَانَ أَرُومَهُ
رِجَالٌ يَتَلَوْنَ الصَّلَاةَ قِيَامًا (١)
فيكون المعنى تتبع كل قس ما اسلفت من حسنة او سيئة قال
قَدْ جَعَلْتَ دَلْوِي تَسْتَلِينِي
وَلَأُحِبُّ تَبَعَ الْقَرِينِ
اي تستبغني من ثقلها

❖ اللفظة ❖

التنزيل التفريق مأخوذة من قولهم زلت الشيء عن مكانه ازيله وزيلته للكثرة من هذا إذا نجحت عن مكانه يزابلت فلانا إذا فارقت ههناك اي في ذلك المكان وهو ظرف فهنا للقريب وهنالك للبعيد وهنالك لما بينها قال زهير هُنَالِكَ إِنْ بَسْتَجَبَلُوا الْمَالَ يُحْبِلُوا وَإِنْ بَسَّالُوا بَعَطُوا وَإِنْ يَنْسِرُوا بَنْلُوا (٢)

والاسلاف تقدم امر لما بعده فمن اسلف الطاعة لله جوزي بالثواب ومن اسلف المعصية جوزي بالعقاب

❖ الاعراب ❖

جميعاً نصب على الحال ومكانكم قال الزجاج هو منصوب على الأمر والمعنى انظروا مكانكم حتى يفصل بينكم والعرب تنوع فتقول مكانك وانتظري وهي كلمة جرت على الوعيد واقول ان الصحيح عند المحققين ان مكانك ودونك من اساء الأفعال فيكون مكانكم ههنا اسما لا لزوما مبنيا على الفتح وليس بمنصوب نصب الظروف وكم لا محل له من الاعراب إذ هو حرف الخطاب وانتم رفع تأكيد للضمير في مكانكم وشركاؤكم عطف عليه وهذا كما تقول في قولهم عليك زيدا ان الكاف حرف الخطاب لا محل له من الاعراب وعلى ههنا اسم الفعل وليس بحرف وكفى بالله شهيدا قال الزجاج شهيدا منصوب على التمييز ان شئت وان شئت على الحال ان كنا ان بمنزلة ما التفتي اي ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين قاله الزجاج واقول الصحيح أن هذه هي المخففة من الثقيلة وإذا كانت مخففة من الثقيلة بلزمها اللام ليفرق بينها وبين النافية والتقدير انا كنا عن عبادتكم غافلين وهنالك منصوب بتبلوا إلا انه غير متبعين واللام زائدة كسرت لالتقاء الساكنين

❖ المعنى ❖

ولما تقدم ذكر الجزاء بين سبحانه وقت الجزاء فقال (وبوم نحشرهم جميعا) اي نحشر الخلائق اجمعين اي

(١) السى : السى القديم نسب الى عاد . والاروم : الاعلام ومين : هي قبور عاد . (٢) الاخبال : ان يعطى الرجل البعير او الناقة ليركبهوا ويجتروبرها وينتفعم بالبانهاثم يردهما . والاستخبال : الاستعارة . وقوله «ينسروا» من اليسر وهو القمار . و«بنلوا» اي باتون بجور سين أو انهم يبالوا اي يكثروا . يصف قوماً بالجدود .

نجمهم من كل اوب الى الموقف (ثم تقول للذين اشر كوا) في عبادتهم مع الله غيره وفي امواتهم فقالوا هذا لله وهذا لشركائنا (مكانكم انتم وشركاؤكم) اي اثبتوا والزمو مكانكم انتم مع شركائكم يعني الاوثان فقد صحبتهم في الدنيا فاصحوبهم في المحشر وقيل معناه اثبتوا حتى تسألوا كقوله وقفوم انهم مسؤلون (فزبلنا بينهم) أي فميزنا وفرقنا بينهم في المسئلة فسالنا المشركين على حدة لم عبدتم الا صنم وسألنا الا صنم على حدة لم عبدتم وبأي سبب عبدتم وهذا سؤال تقريع وتبكيت عن الحسن ومثله وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت وقيل معناه فزبلنا بينهم وبين الاوثان فتبرأ منهم الشركاء وانقطعت اسبابهم (وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) أي يجيبهم الله وينطقهم فقالوا ما كنا نشعر بانكم ايانا تعبدون عن مجاهد وقيل ان شركاءهم من كانوا يعبدونهم من الشياطين وقيل هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وفي كيفية جحدهم لعبادتهم اياه قولان * احدهما * انهم يقولون ذلك على وجه اهانتهم بالرد عليهم اي ما اعتذرنا بذلك لكم * والاخر * ان المراد انكم لم تعبدونا بأمرنا ودعائنا ولم يرد انهم لم يعبدوه اصلا لأن ذلك كذب لا يجوز أن يقع في الآخرة لكونهم ملجئين إلى ترك القبيح عن الجياني وهذه الآية نظير قوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية (فكفى بالله شهيدا) اي فاصلاً للحكم (بيننا وبينكم) ايها المشركون (إن كنا عن عبادتكم لغافلين) مرّ معناه وهذا إذا كان المراد به الملائكة فإنهم عما ادعوه غافلون لأنهم لم يشعروا بذلك ولا أمروا به وإن كان المراد الاصنام فلم يكن لها حس ولا علم وهذا غاية في الزام الحجّة حيث اختاروا للعبادة من لم يدعهم اليها ولم يشعر بها (هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت) أي في ذلك المكان وفي تلك الحال وفي ذلك الوقت تجرب وتعلم كل نفس ما قدمت من خير او شر وترى جزاءه على القراءة بالتاء معناه تقرأ كل نفس جزاء عملها وجزاء ما قدمته (وردوا إلى الله مولاهم الحق) اي وردوا إلى جزاء الله وإلى الموضع الذي لا يملك احد فيه الحكم إلا الله الذي هو مالكمهم وسيدهم وخالقهم والحق صفة لله تعالى وهو القديم الدائم الذي لا يفتي وما سواه يبطل وقيل الحق هو الذي يكون معنى اللفظ حاصله على الحقيقة فأنه جل جلاله هو الحق لأن معنى الإلهية حاصل له على الحقيقة (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اي بطل وهلك عنهم ما كانوا يدعون به باقتراثهم من الشركاء مع الله تعالى

قوله تعالى (٣١) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ (٣٣) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر كلمات ههنا وفي آخرها على الجمع وكذلك في سورة المؤمن والباقون على التوحيد

الحجّة

قال ابو علي من قرأ على التوحيد احتمل وجهين * احدهما * ان يكون جعل ما أوعده به الفاسقون كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات لأنهم قد بسبب القصيدة كلمة والخطبة كلمة * والاخر * ان يكون كلمة ربك التي يراد بها الجنس قد وقعت على بعض الجنس كما وقع اسم الجنس على بعضه في قوله وانكم لتعمرون عليهم مصبحين وبالليل وقول الشاعر «يَطْنُ شِرْيَانُ يَعْوِي عِنْدَهُ الذَّبُّ» فأما من جمع فإنه جعل الكلم التي توعداها كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال كلمات وكلاهما وجه

(١) قائمته جنوب اخت عمرو ذى الكلب ترنم اخاها . وقيل «أبلغ هديلا وأبلغ من يبلغها» عن حديثا وبعض القول تكذيب بان ذا الكلب عمرو أخيرهم نسابا بيطن شريان . اهـ وشريان بالكسر . موضع بينه اوواد .

❖ الاعراب ❖

كذلك حقت الكاف في موضع نصب أي مثل افعلهم جازاهم ربك وقوله انهم لا يؤمنون بدلب من كلمة ربك أي حقيق عليهم انهم لا يؤمنون ويجوز ان يكون على تقدير حقت عليهم الكلمة لانهم لا يؤمنون ويكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب

❖ المعنى ❖

ثم قرر سبحانه أدلة التوحيد والبعث عليهم فقال (قل) يا محمد هو لاء الكفار (من يرزقكم) أي من يخلق لكم الأرزاق (من السماء) بل ينزل المطر والغيث (ومن الأرض) بإخراج النبات وانواع الثمار والرزق في اللغة هو العطاء الجاري يقال رزق السلطان الجند إلا ان كل رزق فلان الله هو الرزاق به لأنه لو لم يطلقه على يد ذلك الانسان لم يجي منه شيء فلا يطلق اسم الرزاق إلا على الله تعالى وبقيد في غيره كما لا يطلق اسم الرب إلا عليه وبقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة ولا يجوز أن يخلق الله حيوانا يريد تبقيته إلا ويرزقه لأنه إذا أراد بقاءه فلا بد له من الغذاء (أمن يملك السمع والأبصار) معناه أم من يملك أن يعطيكم الاسماع والأبصار فيقويها وينورها ولو شاء لسلب نورها وجسمها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) قيل معناه ومن يخرج الانسان من النطفة والنطفة من الانسان وقيل معناه ومن يخرج الحيوان من بطن أمه إذا ماتت أمه ويخرج غير التام ولا البالغ حد الكمال من الحي وقيل معناه ومن يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (ومن يدبر الأمر) أي ومن الذي يدبر جميع الأمور في السماء والأرض على ما توجه الحكمة (فيقولون الله) أي فيستعترفون بأن الله تعالى يفعل هذه الأشياء وان الأصنام لا تقدر عليها (فقل أفلا تتقون) أي فقل لهم عند اعترافهم بذلك أفلا تتقون عقابه في عبادة الأصنام وفي الآية دلالة على التوحيد وعلى حسن المحاجة في الدين لأنه سبحانه حاج بها المشركين وفيها دلالة على انهم كانوا يقرؤن بالخالق وإن كانوا مشركين فلان جمهور العقلاء يقرؤن بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة الفلاسفة ومن اقرء بالصانع على هذا صنفان موحد يمتد ان الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره ومشرك وهم ضربان ف ضرب جعلوا لله شريكا في ملكه يضاده ويتاونه وهم الثنوية والمجوس ثم اختلفوا فممن يثبت لله شريكا قديما كالمثوية ومنهم من يثبت شريكا محدثا كالمجوس وضرب آخر لا يجعل لله تعالى شريكا في حكمه وملكه ولكن يجعل له شريكا في العبادة يكون متوسطا بينه وبين الصانع وهم اصحاب المتوسطات ثم اختلفوا فممنهم من جعل الوسايط من الاجسام العلوية كالنجوم والشمس والقمر ومنهم من جعل المتوسط من الأجسام السفلية كالأصنام ونحوها تعالى الله عما يقول الزائفون عن سبيله علوا كبيرا (فذلكم الله) ذلك اشارة إلى اسم الله تعالى الذي وصفه في الآية الأولى بأنه الذي يرزق الخلق ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي والكاف والميم المعطابين وهم جميع الخلق اخبر سبحانه ان الذي يفعل هذه الأشياء (ربكم الحق) الذي خلقكم ومعبودكم الذي له معنى الإلهية ويحق له العبادة دون غيره من الأصنام والأوثان (فماذا بعد الحق إلا الضلال) استفهام يراد به التقرير على موضع الحجة إذ لا يجد المجيب محيدا عن الاقرار به إلا بذكر ما لا يلتفت اليه والمراد به ليس بعد الذهاب عن الحق إلا الوقوع في الضلال لأنه ليس بينها واسطة فإذا ثبت ان عبادته هو الحق ثبت ان عبادة ما سواه باطل وضلال (فأتى تصرفون) أي فكيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على انه لا معبود سواه (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) معناه ان الوعيد من الله تعالى للكفار بالنار في الصحة كالقول بأنه ليس بعد الحق إلا الضلال وقيل ان معناه مثل انصرافهم عن الإيمان وجبت العقوبة لهم أي جازاهم ربهم بمثل ما فعلوا من الانصراف وهذا في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون ومعناه سبق علم ربك في هؤلاء انهم لا يؤمنون وقيل معنى قوله انهم لا يؤمنون أو لا يؤمنون أي وجبت العقوبة عليهم لذلك

قوله تعالى (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ
 ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ (٣٥) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي
 لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُبْعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ
 تَحْكُمُونَ (٣٦) وَمَا يُبْعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (ثلاث آيات)

﴿القرأة﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم أمن لا يَهْدِي ساكنة الهاء خفيفة الدال وقرأ أهل المدينة غير ورش يهدي
 ساكنة الهاء مشددة الدال وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عاصم وروح وزيد عن يعقوب يَهْدِي بفتح الياء والهاء
 وتشديد الدال إلا أن أبا عمرو أشار إلى فتحة الهاء من غير اشباع وقرأ عاصم غير حماد ويحيى ورويس عن
 يعقوب يَهْدِي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى عن أبي بكر عن عاصم يَهْدِي بكسر
 الياء والهاء والتشديد

﴿الحجة﴾

قوله يَهْدِي وَيَهْدِي وَيَهْدِي أصل جميعها يهتدي بفتح الهمزة وإن اختلفت الفاظها ادغموا التاء
 في الدال لمقاربتها لها فإنها من حيز واحد ثم اختلفوا في تحريك الهاء فمن قرأ يَهْدِي التي حركة الحرف المدغم
 وهو التاء على الهاء ومن قرأ يَهْدِي بكسر الهاء فإنه حرك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين ومن سكن الهاء
 جمع بين الساكنين ومن أشم الهاء ولم يسكن فالإشمام في حكم التحريك ومن كسر الياء مع الهاء اتبع الياء
 ما بعدها من الكسرة وهو ردي للثقل الكسر في الياء

— الاعراب —

قوله فالكم كيف تحكون ما مبتدأ ولكم خبره وكيف منصوب بقوله تحكون، لا يغني من الحق شيئاً
 يجوز أن يكون قوله شيئاً مفعول يغني ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي لا يغني من الحق غناء وكذا قيل
 في قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئاً قالوا هو مفعول تجزي وقالوا هو مصدر أي جزاء وكذلك قوله
 ولا تشركوها به شيئاً قالوا هو مفعول تشركوها وقالوا هو مصدر أي لا تشركوها به أشراكاً وكذلك قوله يعبدوني
 ولا بشركون بي شيئاً

﴿المعنى﴾

ثم احتج سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر فقال (قل) يا محمد هؤلاء المشركين (هل من شركائكم
 من يبدؤ الخلق ثم يعيده) أي هل من هذه الأصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة وقيل الذين جعلتموهم
 شركاء في أموالكم كما قال وهذا لشركائنا من يبدؤ الخلق بالإنشاء بعد أن لم يكن وهو النشأة الأولى ثم يعيده
 في النشأة الثانية (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) معناه فإن قالوا ليس من شركائنا من يقدر عليه أو سكتوا
 فقل أنت لهم الله هو الذي يبدؤ الخلق بأن ينشئه على غير مثال ثم يغنيه ثم يعيده يوم القيامة (فأنتي تؤفكون)
 أي كيف تصرفون عن الحق وتقلبون عن الإيمان ثم استأنف الاحتجاج فقال سبحانه (قل) يا محمد (هل من
 شركائكم من يهدي إلى الحق) أي هل من هذه الأصنام من يهدي الناس إلى الرشد وما فيه الصلاح
 والنجاة والغير بدلالة ينصبها وحجة يظهرها فلا بد من أن يجيبوا بلا (فقل) أنت لم (الله) هو الذي (يهدي

للحق) إلى طريق الرشاد يقال هديت إلى الحق وهديت للحق بمعنى واحد (أفمن يهدي إلى الحق) معناه أفمن يهدي غيره إلى طريق التوحيد والرشد (أحق أن يتبع) أمره ونهيه (أم من لا يهدي) أحداً (إلا ان يهدي) أو لا يهتدي هو إلا ان يهدي والاصنام لا تهتدي ولا تهدي احدا وان هديت لانها موات من حجارة ونحوها ولكن الكلام نزل على انها ان هديت اهتدت لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عن من يعقل ووصفت بصفة من يعقل وان لم يكن في الحقيقة كذلك ألا ترى إلى قوله سبحانه ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون وقوله إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم وإنما من موات ألا ترى انه قال فادعوهم فليستجيبوا لكم ألمهم ارجل يمشون بها الآية وكذلك قوله وان تدعوم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم فأجري عليه اللفظ كما يجري على من يعلم وعلى هذا فقولهُ إلا ان يهدي إلا بمنزلة حتى فكأنه قال امن لا يهتدي حتى يهدي ام من لا يعلم حتى يعلم ومن لا يستدل على شيء حتى يدل عليه وإن كان لو دل او علم لم يستدل ولم يعلم ولو هدى لم يهتد بين الله سبحانه بذلك جهلهم وقلة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر والعالم وقال البلخي لا يهدي ولا يهتدي بمعنى واحد يقال هديته فهدى اي اهتدى وقيل ان المراد بذلك الملائكة والجن لأنهم يهتدون إذا هدوا وقيل المراد به الرؤساء والمضلون الذين يدعون إلى الكفر وقيل ان المعنى في قوله لا يهدي إلا ان يهدي لا يتحرك إلا ان يحرك ولا ينتقل إلا ان ينقل كقول الشاعر «حيث تهدي ساقه قدمه» أي يحمل وقيل معناه إلا ان يركب الله فيه آله التمييز والهداية ويرزقه فهما وعقلا فإن هدي حينئذ اهتدى (فما لكم) قال الزجاج هذا كلام تام كأنه قال أي شيء لكم في عبادة من لا يضر ولا ينفع (كيف تحكون) هذا تعجب من حالهم اي كيف تقضون بأن هذه الأصنام آلهة وانها تستحق العبادة وقيل كيف تحكون لانفسكم بما لا توجه الحجة ولا تشهد بصحته الأدلة (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً) اي ليس يتبع أكثر هؤلاء الكفار إلا ظناً الظن الذي لا يجدي شيئاً من تقليد آبائهم ورؤسائهم (إن الظن لا يقضي من الحق شيئاً) لأن الحق إنما ينتفع به من علمه حقاً وعرفه معرفة صحيحة والظن يكون فيه تجويز ان يكون المظنون على خلاف ما ظن فلا يكون مثل العلم (إن الله عليم بما يفعلون) من عبادة غير الله تعالى فيجازهم عليه وفيه ضرب من التهديد

قوله تعالى (٣٧) وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٨) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٩) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا بَأْنِهِمْ تَأْوِيلَهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (أربع آيات)

— (اللفظة) —

القرآن عبارة عن هذا الكلام الذي هو في اعلى طبقات البلاغة مع حسن النظام والجزالة والتفصيل والتقسيم والتميز نظائر وضده التليس والتخليط والسورة جملة منزلة محيطية بآيات الله كحاطة سور البناء بالبناء والاستطاعة حالة للحي تنطاع بها الجوارح للفعل وهي مأخوذة من الطوع، والقدرة مأخوذة من القدر فهي معنى يمكن ان يوجد بها الفعل والا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى

✽ الاعراب ✽

وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله اي لأن يفترى ويجوز أن يكون المعنى ما كان هذا القرآن اقترأ فيكون مصدرا في موضع نصب بأنه خبر كان وتصديق عطف عليه اي ولكن كان تصديق الذي بين يديه ام يقولون اقترأ ام هذه هي المنقطعة وتقديره بل يقولون وكيف في موضع نصب على انه خبر كان

✽ المعنى ✽

ثم رد الله سبحانه على الكفار قولهم إئت بقراء غير هذا اوبديله وقولهم ان النبي ﷺ اقترأ هذا القرآن فقال (وما كان هذا القرآن ان يفترى) اي اقترأ (من دون الله) فأقام ان مع الفعل مقام المصدر بل هي وحى من الله ومتلقى منه (ولكن تصديق الذي بين يديه) من الكتب كما قال في موضع آخر مصدقا لما بين يديه وهذه شهادة من الله بأن القرآن صدق وشاهد لما تقدم من التوراة والانجيل والزبور بأنها حق ومن وجه آخر هو شاهد لما من حيث انه مصداق لما على ما تقدمت البشارة به فيها وقيل معناه تصديق الذي بين يديه في المستقبل من البعث والنشور والحساب والجزاء (وتفصيل الكتاب) اي تبين المعاني المجملة في القرآن من الحلال والحرام والأحكام الشرعية وقيل معناه وبيان الأدلة التي تحتاجون إليها في امور دينكم (لا رب فيه من رب العالمين) اي لا شك فيه انه نازل من عند الله وانه معجز لا يقدر احد على مثله وهذا غاية في التحدي (ام يقولون اقترأ) هذا تقرير على موضع الحجة بعد مضي حجة اخرى وتقديره بل يقولون اقترأ هذا فألزمهم على الأصل الفاسد امكان أن يأتوا بمثله (قل) لم (فأتوا بسورة مثله) أي مثله في البلاغة لأنكم من اهل لسانه فلو قدر على ذلك لقدرتم انتم ايضا عليه فإذا عجزتم عن ذلك فاعلموا انه ليس من كلام البشر وانه منزل من عند الله عز اسمه وقيل بسورة مثله اي بسورة مثل سورة منه وقال مثله لانه إنما التمس من هذا شبه الجنس (وادعوا من استطعتم من دون الله) اي وادعوا من قدرتم عليه من دون الله واستعينوا به للمعاضدة على المعارضة بسورة مثله (إن كنتم صادقين) في ان هذا القرآن مفترى من دون الله وهذا ايضا غاية في التحدي والتعجيز (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) اي بما كذبوا ولم يعلموه من جميع وجوهه لأن في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل ويحتاج إلى الفكر فيه والرجوع إلى الرسول في معرفة مراده وذلك مثل المتشابهة بالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به وقيل معناه بل كذبوا بما لم يحيطوا علما بكيفية نظمه وترتيبه وهذا كما ان الناس يعرفون الفاظ الشعر واخطب ومعانيها ولا يمكنهم ابداعها لجهلهم بنظمها وترتيبها وقال الحسن معناه بل كذبوا بالقرآن من غير علم يبطلانه وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من الجنة والنار والبعث والنشور والثواب والعقاب (ولما يأتهم تأويله) أي لم يأتهم بحقيقة ما وعد في الكتاب مما يؤول اليه امرهم من العقوبة وقيل معناه إن في القرآن اشياء لا يعلموه م ولا يمكنهم معرفته الا بالرجوع إلى النبي ﷺ فلم يرجعوا اليه وكذبوا به فلم يأتهم تفسيره وتأويله فيكون معنى الآية بل كذبوا بما لم يدركوا علمه من القرآن ولم يأتهم تفسيره ولو راجعوا فيه رسول الله ﷺ لعلموه وروي عن ابي عبيد الله (ع) انه قال ان الله خص هذه الامة بآيتين من كتابه ان لا يقولوا الا ما يعلمون وان لا يردوا ما لا يعلمون ثم قرأ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق الآية وقرأ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الآية وقيل ان من هنا اخذ امير المؤمنين علي عليه السلام قوله الناس اعداء ما جهلوا واخذ قوله قيمة كل امرئ ما يحسنه من قوله عز وجل فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبغضهم من العلم واخذ قوله تكلموا تعرفوا من قوله وتعرفنهم في لحن القول (كذلك كذب الذين من قبلهم) اي مثل تكذيب هؤلاء كذبت الامم السالفة رسلها (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) اي كما

كان عاقبة اولئك الملاك كذلك يكون عاقبة هؤلاء ثم اخبر سبحانه ان من جملة هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن ونسبوه إلى الاقتراء من سيؤمن به في المستقبل وبصدق بأنه من عند الله ومنهم من يموت على كفره فقال (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به) وأراد سبحانه انه إنما يهلكهم في الحال لما يعلم في بقيةتهم من الصلاح وقيل معناه ومنهم من يؤمن بالقرآن في نفسه ويعلم صحته إلا انه يماند ويظهر من نفسه خلاف ما يعلمه ومنهم من هو شاك فيه فكأنه قال ومنهم معاندون ومنهم شاكون (وربك اعلم بالمقصدين) اي بمن يدوم على الفساد ويعلم من يتوب

قوله تعالى (٤١) وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون (٤٢) وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ (٤٣) وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي السَّمْعِيَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ (٤٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (أربع آيات)

« المنى »

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (وان كذبوك) يا محمد ولم يصدقوك وردوا عليك قولك (قل) لهم (لي عملي) فإن كنت كاذبا فوباله علي (ولكم عملكم) اي ولكم جزاء عملكم (أنتم بريئون مما أعمل وانا بريء مما تعملون) نظيره قوله قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة وهذا وعيد لهم من الله تعالى كقوله اعملوا على مكانتكم ونحوه وقيل ان هذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل انه لا تنافي بين هذه الآية وآية القتال لأنها براءة ووعد وذلك لا ينافي الجهاد (ومنهم من يستمعون اليك) معناه ومن جملة هؤلاء الكفار من يستمع اليك يا محمد والاستماع طلب السمع فهم كانوا يطلبون السمع لرد لا للفهم فلذلك لزمهم الذم فإنهم اذا سمعوه على هذا الوجه كأنهم صم لم يستمعوه حيث لم يتفصوا به (أفأنت تسمع الصم) هذا خطاب للنبي ﷺ بأنه لم يقدر على اسماع الصم (ولو كانوا لا يفقهون) قال الزجاج معناه ولو كانوا جهالا وهذا مثل قول الشاعر «أصم عما ساءه سمع» (ومنهم من ينظر اليك) أي ومن جملةهم من ينظر اليك يا محمد فلم يخبر بلفظ الجمع هنا لأنه جملة على اللفظ وقال من يستمعون فأخبر بلفظ الجمع جملاً على المعنى اي ينظر إلى أفالك وأقوالك لا نظر الحقيقة والمبرة بل نظر العادة فلا يتفهم بنظره (أفأنت تهدي السمي) ولو كانوا لا يبصرون) أي فكأنك لا تقدر ان تبصر السمي فتفهمهم به كذلك لا تقدر ان تنفع بما تأتي به من الأدلة من ينظر اليها ولا يطلب الانتفاع بها وقوله أفأنت استفهام المراد به النفي وقيل ان معنى الآية ان منهم من يستمع الى كلامك استماع الطعن والتمتد وينظر الى أدلتك نظر الطاعن القادح فيها المكذب بها الراد عليها فلا تقدر ان تنفعهم بمثل هذا الاستماع والنظر (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون) قد تمدح سبحانه في هذه الآية بأنه لا يظلم أحداً من الناس شيئا بأن ينقص من حسناتهم وجزاء طاعاتهم ولكنهم يتقصون انفسهم ويظلمونها بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح والمعنى هنا ان الله تعالى لا يمنح أحداً الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن والأدلة ولكنهم يظلمون انفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به وتقويتهم انفسهم الثواب عليها وادخالهم عليها العقاب ففي الآية دلالة على انه سبحانه لا يفضل الظلم فبطل قول المجبرة في

اضافة كل ظلم الى خلقه وإرادته

﴿ النظم ﴾

قبل في اتصال الآية الأولى بما قبلها انه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوات فاندوا وكذبوا أمر فإيمد بقطع العصمة عنهم والوعيد لهم وأما الآية الأخيرة وهي قوله إن الله لا يظلم الناس شيئا فالوجه في اتصالها بما قبلها انها متصل بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعني انهم استحقوا ذلك الهلاك والعذاب بأفعالهم وما ظلمناهم وقيل انها اتصلت بقوله ومنهم من يستمعون اليك ومنهم من ينظر اليك فكأنه قال ان الله لا ينهم الانتفاع بما كلفهم بل مكثهم وبين لهم وهداهم وازاح عنهم ولكن ظلموا هم أنفسهم بترك الانتفاع به عن الجبائي وأبي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر الوعد والوعيد بين سبحانه انه لا يظلمهم أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد في سيئاتهم

قوله تعالى (٤٥) وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٦) وَإِنَّمَا نُزِّيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيكَ فَأَلْبِنَا مَرَجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٧) وَإِكْلُ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يظلمون (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص عن عاصم ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون

﴿ الحجة ، والإعراب ﴾

قال ابو علي يحتمل قوله كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ثلاثة أوجه ﴿ احدها ﴾ أن يكون صفة ليوم ﴿ والآخر ﴾ أن يكون صفة للمصدر المحذوف ﴿ والثالث ﴾ أن يكون حالا من الضمير في نحشرهم فإذا جعلته صفة ليوم احتمل ضربين من التأويل ﴿ احدهما ﴾ أن يكون التقدير كأن لم يلبثوا قبله إلا ساعة فحذفت الكلمة لدلالة المعنى عليها ومثل ذلك في حذف هذا النحو منه قوله فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أي أمسكوهن قبله وكذلك قوله يترصدن بأنفسهن أي يترصدن بعدهم ويجوز أن يكون المعنى كأن لم يلبثوا قبله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذفت العاء من الصفة كقولك الناس رجلان رجل أهنتم ورجل أكرتم ومثل هذا في حذف المضاف واقامة الصفة المضاف اليه مقامه قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم التقدير وجزاؤه واقع بهم فحذف المضاف وان جعلته صفة للمصدر كان على هذا التقدير الذي وصفناه وبمثله وإن جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتاج الى حذف شيء من اللفظ لأن الذكر من الحال قد عاد الى ذي الحال والمعنى نحشرهم مشابهة احوالهم احوال من لم يلبث إلا ساعة واما يوم نحشرهم فإنه يصلح ان يكون معمولا لا حديثين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون معمول يتعارفون ﴿ والآخر ﴾ أن يكون يوم نحشرهم لما دل عليه قوله كأن لم يلبثوا فإذا جعلته معمولا لقوله يتعارفون انتصب يوم على وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون ظرفا معناه يتعارفون في هذا اليوم ﴿ والآخر ﴾ أن يكون مفعولا على السمة على قوله يا سارق الليلة أهل الدار ومعنى يتعارفون يحتمل أمرين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون المعنى مدة إقامتهم التي وقع حشرهم بعدها وحذف المفعول للدلالة عليه كما حذف في مواضع كثيرة وعدي

تفاعل كما يمدي في قوله تخاطأت الثبل احشاه او يكون اعمل الفعل الذي دل عليه يتعارفون الا ترى انه قد دل على يستعملون ويتعرفون وتعرفوا مدة اللبث هاهنا كما تعرفوها في قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم والآخر في التعارف ما جاء من قوله واقبل بمضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فتعارفهم يكون على احد هذين الوجهين فعلى هذا يكون قوله ويوم نحشرهم معمول يتعارفون والآخر ان يكون يوم نحشرهم معمول ما دل عليه قوله كأن لم يلبثوا الا ترى ان المعنى تشابه أحوالهم احوال من لم يلبث فيعمل في الظرف هذا المعنى ولا يمنع المعنى من ان يعمل في الظرف وان تقدم الظرف عليه كقولهم أكل يوم لك ثوب وإذا حملته على هذا لم يجوز ان يكون صفة للمصدر لأن الموصوف الذي هو المصدر موضعه بعد الفعل تقديره يوم نحشرهم حشراً كأن لم يلبثوه أو لم يلبثوا قبله والصفة لا يتقدم عليها ما تعمل فيه ولا يجوز أيضا ان تجعله صفة ليوم على هذا لأن الصفة لا تعمل في الموصوف الا ترى ان الصفة شرح للموصوف كما ان الصلة لا تعمل في الموصول لذلك فإن قلت فإذا قدرت كأن لم يلبثوا على تقدير الحال من الضمير هل يجوز ان يكون يوم معمولاً له فإن ذلك لا يجوز لأن العامل في الحال يحشر او نحشر وقد اضيف اليوم اليه ولا يجوز ان يعمل في المضاف المضاف اليه ولا ما يتعلق بالمضاف اليه لأن ذلك يوجب تقديمه على المضاف الا ترى انه لم يجوز القنال زيدا حين يأتي وإذا جعلت يتعارفون العامل في يوم نحشرهم لم يجوز ان يكون صفة ليوم على انك كأنك وصفت اليوم بقوله كأن لم يلبثوا وتعارفون فوصفت يوم نحشرهم بجملتين لم يجوز ان يكون معمولاً لقوله يتعارفون لأن الصفة لا تعمل في الموصوف وجاز وصف اليوم بالجملة وان اضيف لأن الاضافة ليست بمحضة فلم تعرفه ويدل على النون في نحشرهم قوله سبحانه وحشرناهم وقوله فجعلناهم جماعاً ونحشره يوم القيامة اعمى وبدل على الياء قوله ليجمعنكم إلى يوم القيامة وكل واحد منها يجري مجرى الآخر

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حالهم يوم الجمع فقال (ويوم يحشرهم) أي يجمعهم من كل مكان إلى الموقف (كأن لم يلبثوا) في الدنيا (إلا ساعة من النهار) أي كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار ومعناه انهم استقلوا أيام الدنيا فإن المكث في الدنيا وإن طال كان بمنزلة مكث ساعة في جنب الآخرة عن الضحك وجماعة وقيل استقلوا أيام مقامهم في الدنيا لقلة انتفاعهم بأعمارهم فيها فكأنهم لم يلبثوا إلا يوماً فيها لقلة فائدتها وقيل انهم استقلوا مدة لبثهم في القبور عن ابن عباس وقد دل الله سبحانه بذلك على انه لا ينبغي لأحد أن يتبر بطل ما يأمله من البقاء في الدنيا إذا كان عاقبته إلى الزوال (يتعارفون بينهم) معناه ان الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت كما كانوا في الدنيا كذلك وقيل معناه يعرف بعضهم بعضاً ما كانوا عليه من الخطأ والكفر قال الكلبي يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا العذاب وتبرأ بعضهم من بعض (قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله) أي بقاء جزاء الله (وما كانوا مهتدين) للحق قال الحسن معناه خسروا أنفسهم لأنهم لم يكونوا مهتدين في الدنيا ولو كانوا مهتدين في الدنيا لم يخسروا أنفسهم ومعناه انهم خسروا الدنيا حين صرفوها إلى الماصي وخسروا نعم الآخرة حين فوتوها على انفسهم بما صيبهم (وإما زينك) يا محمد في حياتك (بعض الذي ندمم) أي ندم هؤلاء الكفار من العقوبة في الدنيا قالوا ومنها وقعة بدر (او

نتوفيك) أي نيتك قبل ان يبرر ذلك . نزل ذلك بهم بعد موتك (فألينا مرجعهم) أي إلى حكمنا مصيرهم في الآخرة فلا يفوتونا وقيل ان الله سبحانه وعده نبيه ^{رسوله} ان يتقم له منهم اما في حياته او بعد وفاته ولم يمهده بوقت فقال ان ما وعدناه حقاً لا محالة (ثم الله شهيد على ما يفعلون) أي عليم بأفعالهم حافظ لها فهو يوقهم عقاب معاصيهم (ولكل أمة رسول) أي لكل جماعة على طريقة واحدة ودين واحد كآمة محمد وأمة موسى وعيسى عليهم السلام رسول بعثه الله اليهم وحمله الرسالة التي يؤدونها اليهم (فإذا جاء رسولهم) ههنا حذف واخضرار والتقدير فإذا جاء رسولهم وبلغ الرسالة فكذبوه قومه وصدقوه آخرون (قضى بينهم) فيهلك المكذوبون وينجو المؤمنون وقيل مناه فإذا جاء رسولهم يشهد عليهم يوم القيامة عن مجاهد وقيل في الدنيا بما أذن الله له من الدعاء عليهم قضى بينهم أي فصل بينهم الأمر على الحتم (بالقسط) أي بالعدل (وم لا يظلمون) أي لا ينقصون عن ثواب طاعتهم ولا يزيدون في عقاب سيئاتهم

قوله تعالى (٤٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٥٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُمْ عَذَابُهُ يَبَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥١) أَنَّمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الثَّنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥٢) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْغُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (خمس آيات)

❖ اللفظة ❖

الوعد خبر بما يعطى من الخير والوعيد خبر بما يعطى من الشر هذا إذا فصل فإن اجل وقع الوعد على الجميع والنفع هو اللذة والسرور وما أدى اليها أو الى واحد منها والضرر الألم والنم وما أدى اليها أو الى واحد منها والأجل هو الوقت المضروب لوقوع أمر كاجل الدين وأجل الانسان

❖ الأعراب ❖

متى سؤال عن الزمان وأين سؤال عن المكان . يباتاً منصوب على الظرف وقوله ماذا يستعجل يجوز ان يكون ما في موضع رفع وذلك اذا كان ذا معنى الذي والمعنى ما الذي يستعجل منه المجرمون فيكون ما مبتدأ والذي خبره ويجوز ان يكون في موضع نصب وذلك اذا جعلت ما وذا اسماً واحداً والمعنى أي شيء يستعجل منه المجرمون من العذاب أو من الله فيكون مفعول يستعجل وجواب ان اتاكم محذوفاً وتقدير الكلام أرايتم ماذا يستعجل من العذاب المجرمون ان اتاكم عذابه يباتاً أو نهاراً أو وقع ان اتاكم في وسط الكلام موقع الاعتراض ومعنى ماذا يستعجل ههنا الإنكار أي ليس في العذاب شيء يستعجل به وجاء في صيغة الاستفهام لأنه لا جواب لصاحبه يصح له وقوله أنتم دخلت الف الاستفهام على ثم التي للمطف لتدل على ان معنى الجملة الثانية بعد الأولى منع ان لالف صدر الكلام والمامل في اذا قوله آمتم به وقوله الآن وقد كنتم به تستعجلون تقديره الآن به تؤمنون

« المضي »

لما وعد سبحانه المكذبين بين عقبيه أنهم اذا استعجلوا ذلك على سبيل التكذيب والرد فقال (ويقولون)

أي ويقول هو لولا المشرق كون (متى هذا الوعد) الذي تمدنا به من البعث وقيام الساعة وقبل من العذاب (ان كنتم صادقين) في ذلك (قل) يا محمد جواباً لهم (لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً) أي لا أقدر لنفسي على ضرر أو نفع (إلا ما شاء الله) ان يملكني أو يقدرني عليه فكيف أقدر لكم لأنني اذا لم أقدر على ذلك كنت عن انزال العذاب وعن معرفة وقته اعجز او يكون معناه اذا لم املك لنفسي شيئاً من ذلك الا ما ملكنيه الله تعالى فكيف املك تقديم القيامة وتمجيل العقوبة قبل الوقت المقدر له (لكل امة أجل) اي لكل امة في عذابها على تكذيب الرسل وقت معلوم (اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) فلا يتأخرون عن ذلك الوقت ولا يتقدمون عليه بل يهلكهم في ذلك الوقت بسينه (قل) يا محمد لهؤلاء المكذبين المستعجلين بالعذاب (أرايتم) اي اعلمتم (ان اتاكم عذابه) اي عذاب الله (بياتاً) اي ليلاً (اونهاراً) ماذا يستعجل منه المجرمون) وهذا استفهام معناه التقطيع والتحويل كما يقول الانسان لمن هو في امر يستوخم عاقبته ماذا تجني على نفسك وهذا جواب لقولهم متى هذا الوعد وقال ابو جعفر الباقر (ع) يريد بذلك عذاباً ينزل من السماء على فسقة اهل القبلة في آخر الزمان ونموذ بالله منه (انتم اذا ما وقع آمتهم به) هذا استفهام معناه الانكار وتقديره احين وقع بكم العذاب المقدر الموقت آمتهم به أي بالله في وقت اليأس وقبل بالقرآن وقيل بالعذاب الذي كنتم تنكرونه فيقال لكم (الآن) تؤمنون وقد اضطررتم لحلوله (وقد كنتم به) اي بالعذاب (تستعجلون) من قبل مكذبين مستهزئين وقال الحسن معناه ثم انكم ستؤمنون به عند وقوع العذاب فلا ينفعكم ايمانكم ونظيره الآن وقد عصيت قبل (ثم قبل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) أي ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا انفسهم ذوقوا عذاب الدوام في الآخرة بعد عذاب الدنيا (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) معناه انكم قد دعيتم وهديتم وبيئ لكم الأدلة وازيحت عنكم العلة فأيتم الاتمادي في الكفر والانهماك في النفي فذوقوا جزاء اعمالكم وانما شبهوا بالذائق وهو الذي يطلب الطعم بالنم لأنه اشد احساساً وقيل لأنهم يتجرعون العذاب بدخوله اجوافهم

قوله تعالى (٥٣) وَيَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلُ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٤) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٥) أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٦) هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (أربع آيات)

❖ الفته ❖

الاستنباء طلب النبا الذي هو الخير والافتداء ايقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه به يقال فداء بفضله فدية وفداء وافتداه افتداء وفاداه مفاداة

❖ الإهراب ❖

الا كلمة تستعمل في التنيه واصلها لا دخل عليها حرف الاستهغام تقريراً وقد كبراً فصارت تنبيها وكسرت إن بعد الأ لأن الأ يتأنف ما بعدها لينبه بها على معنى الإهراء ولذلك وقع بعدها الأمر والدعاء كقول امرئ القيس «ألا انعم صباحاً أبيا الطلل البالي»

المعنى

(ويستنبئونك) يا محمد أي يطلبون منك أن تحبرهم (أحق هو) أي أحق ما جئت به من القرآن والنبوة والشريعة وقيل أحق ما تعدنا من البعث والقيامة والعذاب عن الجبائي (قل) يا محمد (أي وربني) أي نعم وحق الله (انه لحق) لا شك فيه (وما أنتم بمجزين) أي سابقين فائتين وهذا الاستخار يحتمل ان يكون إنما وقع منهم على وجه التعريف والاستقحام ويحتمل ان يكون وقع على وجه الاستهزاء (ولو ان لكل قس ظلمت) أي أشركت بالله عن ابن عباس وقيل ظلمت بكل ما يسمى ظلما (ما في الأرض) من الأموال (لافتدت به) من هول ما يلحقها من العذاب (وامرؤا الندامة لما رأوا العذاب) أي اخفوا الندامة أي امر الندامة رؤساء الضلالة من الاتباع والسفلة وقيل امرؤا الندامة أي اخلصوها والندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وقيل اسروا أي اظهروا عن أبي عبيدة الجبائي وقال الأزهرى وهذا غلط لأن ما يكون بمعنى الاظهار يكون بالثين المنقطة من فوق (وقضي بينهم بالقسط) أي فصل بينهم بالعدل (وم لا يظلمون) فيما يفعل بهم من العقاب لأنهم جنوه على أنفسهم وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال إنما اسروا الندامة وهم في النار كراهية لشانة الاعداء على أنفسهم (ألا ان الله ما في السماوات والأرض) أي له ملك السماوات والأرض وما فيها فلا يقدر أحد على منعه من احلال العقاب بمملوكه المستحق له (ألا ان وعد الله) باحلال العقاب بالمجرمين (حق) ولكن أكثرهم لا يعلمون) صحة ذلك لجهلهم به تعالى وبصحة ما أتى به النبي ﷺ (هو يحيى) أي يحيى الخلق بعد كونهم أمواتا (ويمت) أي يميتهم بعد ان كانوا أحياء (واليه ترجعون) يوم القيامة فيجازيهم على اعمالهم قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على انه لا يقدر على الحياة إلا الله تعالى لأنه تعالى تمدح بكونه قادراً على الاحياء والاماتة

النظم

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها ان قوله ويستنبئونك عطف على ويستعملونك المعنى انهم يستعملونك ويقولون متى تكون القيامة والعذاب أو يستخبرونك أحق ما تقول من كونه ووجه اتصال قوله ألا ان الله ما في السموات والأرض بما قبله اتصال الاثبات بالنفي وتقديره ليس للظالم ما يفتدي به بل جميع الملك له تعالى وقيل انه يتصل بما قبله بمعنى ان من يملك السموات والأرض يقدر على ايقاع ما توعد به ووجه اتصال قوله ألا ان وعد الله حق بما قبله انه إذا خلق السموات والأرض لا للبعث بل لمنافع الخلق فلا يجوز عليه خلف الوعد وايضا فان من صفة الخالق ان يكون عالما لذاته غنياً غير محتاج والخلف كذب قبيح ولا بد للفعل من داع والسداعي إلى القبيح اما الجهل بقبحه أو الحاجة اليه فإذا لا يجوز الخلف عليه إذ لا داعي له اليه

قوله تعالى (٥٧) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشَفَا لَمَّا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٨) قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (آيات)

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالياء تجمعون بالتاء وقرأ يعقوب برواية زويس فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فهما جميعا وروي ذلك عن النبي ﷺ وابي بن كعب والحسن وسفي رواية زيد عن يعقوب فلتفرحوا بالتاء يجمعون بالياء وروي ذلك عن ابن عباس وفتادة وجماعة والباقرن بالياء فهما جميعا

- (الحجعة) -

قال ابو علي قوله بفضل الله وبرحمته الجارية بتعلق بمضمرة استخفي عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاء تكلم موعظة من ربكم كما ان قوله الآن وقد عصيت قيل بتعلق الظرف فيه بمضمرة بدل عليه ما تقدم من الفعل وكذلك قوله الآن وقد كنتم به تستمعون فاما قوله فبذلك فليفرحوا فإن الجار في قوله فبذلك بتعلق بليفرحوا لأن هذا الفعل اتصل بالباء قال وفرحوا بها وقال وفرحت بما قد كان من سيدبكم فاما الفاء في قوله فليفرحوا فزيادة يدل على ذلك ان المعنى فافرحوا بذلك ومثل هذه الآية قول الشاعر « وَإِذَا هَلَكْتُ فَيَعْنِدُ ذَلِكَ فَاجْزَعِي » فالفاء في قوله فاجزعي زيادة كما كانت الفاء في قوله فليفرحوا زيادة ولا تكون الزيادة الاولى لأن الظرف إنما يتعلق باجزعي فاما من قرأ فلتفرحوا بالفاء فإنه اعتبر الخطاب الذي قبل وهو قوله قد جاء تكلم موعظة وزعموا انها في حرف ابي فافرحوا قال ابو الحسن وزعموا انها لفة وهي قليلة نحو لضرب وانت تخاطب فاما من قرأ هو خير ما تجمعون بالفاء فعلى انه عنى المخاطبين والنيب جميعا الا انك غلبت المخاطبة على النية ومن قرأ بالياء كان المعنى فافرحوا بذلك ايها المؤمنون اي افرحوا بفضل الله ورحمته فإن ما اتاكموه من الموعظة شفاء لما في الصدور تلج اليقين النفس بالايمان وسكون النفس اليه خير مما يجعده غيركم من اعراض الدنيا ممن فقد هذه الحال التي حزنتموها

* المعنى *

لما تقدم ذكر القرآن وما فيه من الوعد والوعيد عقبه سبحانه بذكر جلاله . وقع القرآن وعظم محله في باب الأدلة فقال (يا ايها الناس) خطاب لجميع الخلق وتنبه لهم ويقال انه خطاب لقريش (قد جاء تكلم موعظة من ربكم) يعني القرآن والموعظة بيان ما تجب أن يحذر عنه ويرغب فيه وقيل هي ما يدعو الى الصلاح ويحذر عن الفساد (وشفاء لما في الصدور) الشفاء معنى كالدواء لازالة الداء فداء الجهل أضرب من داء البدن وعلاجه اعسر واطباؤه اقل والشفاء منه اجل والصدر موضع القلب وهو اجل موضع في البدن لشرف القلب (وهدى) اسيء ودلالة تؤدي الى معرفة الحق (ورحمة للمؤمنين) اي ونعمة لمن تمسك به وعمل بما فيه وخص المؤمنين بالذكر وان كان القرآن موعظة ورحمة لجميع الخلق لأنهم الذين اتفقوا به ووصف الله سبحانه القرآن في هذه الآية باربعة صفات بل الموعظة والشفاء لما في الصدور وبالهدى والرحمة (قل بفضل الله وبرحمته) معناه قل يا محمد بفضل الله وبعمته فإنه يجوز اطلاق الفاصل على الله تعالى فوضع الفضل في موضع الافعال كما وضع النبات في قوله والله انبتكم من الارض نباتا في موضع الانبات وقيل ان الفضل الى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بأنه مالك له (فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال الزجاج قوله بذلك بدل من قوله بفضل الله وبرحمته وهو بدل على انه يعني به القرآن اي فبذلك فليفرح الناس لأنه خير لكم باصحاب محمد مما يجمعهم هو الكفار من الاموال ومعنى الآية قل لهؤلاء الفرحين بالدنيا المتشددين بها الجامعين لها اذا فرحتم بشي فافرحوا بفضل الله عليكم ورحمته لكم بانزال هذا القرآن وارسال محمد اليكم فإنكم تحصلون بهما نعيما دائما مقيما هو خير لكم من هذه الدنيا الفانية وقيل فضل الله هو القرآن ورحمته الاسلام عن ابي سعيد الخدري والحسن وروى انس عن النبي ﷺ انه قال من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكى الفاقة كتب الله عز وجل الفقر بين عينيه الى يوم القيامة ثم تلا قل بفضل الله وبرحمته الآية وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن قتادة ومجاهد وغيرهما قال ابو جعفر الباقر (ع) فضل الله رسول الله ﷺ ورحمته علي بن ابي طالب (ع) ورواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس

قوله تعالى (٥٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٦٠) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ الكسائي وما يعزب بكسر الزاي هنا وفي سبأ وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب وقرأ الباقون بضم الزاي وقرأ حمزة وخلف وبعقوب وسهل ولا اصغر ولا اكبر بالرفع والباقون بفتحها

✽ الحجة ✽

يعزب ويعزب لفتان صحيحتان ومن فتح الزاي من اصغر واكبر فلان افضل في الموضعين في موضع جر على تقدير ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر وإنما فتح لأنه غير منصرف وإنما منع الصرف لأن الفعل اذا اتصل به ميم كان صفة واذا كان صفة لم ينصرف في التكرار ومن رفع حملة على موضع الجار والمجرور الذي هو من مثقال ذرة فإنه في موضع رفع كما كانا في قوله وكفى بالله وبجوز رفعه من جهة اخرى على الابتداء ويكون الخبر قوله الا في كتاب مبين

✽ اللفظة ✽

الشأن اسم يقع على الامر والحال تقول ما شأنك وما بالك وما حالك والإفاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه مأخوذ من فيض الاناء اذا انصب الماء من جوانبه ومنه قوله افضتم من عرفات اي تفرقتم كفتق الماء الذي ينصب من الاناء والمزوب الذهب عن المعلوم وضده حضور المعنى للنفس وتعزب اذا اتفرد عن اهله

✽ الإعراب ✽

ما في قوله ما انزل الله في موضع نصب بانزل ويكون بمعنى اي في الاستفهام ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي فيكون نصبا برأيتهم

✽ المعنى ✽

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ ان يخاطب كفار مكة فقال (قل) يا محمد لهم (ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق) فجعله حلالا (فجعلتم منه حراما وحلالا) اي جعلتم بعضه حراما وبعضه حلالا يعني ما حرّموا من السائبة والبحيرة والوصيلة ونحوها مما حرّموا من زروعهم وإنما قال انزل الله لأن ارزاق العباد من المطر الذي ينزله الله (قل) يا محمد لهم (أالله اذن لكم ام على الله تفترون) ومعناه انه لم يأذن لكم في شيء من ذلك بل انتم تكذبون في ذلك على الله سبحانه (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) معناه أي شيء يظن الذين يكذبون على الله انه يصيبهم يوم القيامة على افتراءهم على الله اي لا ينبغي ان يظنوا ان يصيبهم على ذلك الا العذاب الشديد والعقاب الأليم (ان الله لذو فضل على الناس) بما فعل بهم من ضروب الانعام (ولكن اكثرهم لا يشكرون) نعمه ويحسدونها وهذا الكلام خرج مخرج التقرير على افتراء الكذب وان كان في صورة الاستفهام وتقديره اهو ديهم افتراؤهم الكذب الي خير ام شر وقيل ان معنى قوله لذو فضل على الناس انه لم يضيق عليهم بالتحريم كما ادعيتهم ذلك عليه وقيل معناه انه لذو فضل على خلقه بترك معاملة من افتري عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وامهاله اياهم الى يوم القيامة ثم بين سبحانه ان امهاله اياهم ليس لجهل بمآلهم فقال (وما تكون في شأن)

اي ما تكون انت يا محمد في حال من الأحوال وفي امر من امور الدين من تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة وغير ذلك (وما تتلوا منه من قرآن) اي وما تقرأ من الله من قرآن وقيل من الكتاب من قرآن والقرآن يقع على القليل والكثير منه وقيل ان الهاء تعود الى الشأن اي وما تتلوا من الشأن من قرآن (ولا تعملون من عمل الاكنا عليكم شهودا) اي ولا تعمل انت وامتك من عمل الا كنعالمين به شاهدين عليكم به (اذ تفيضون فيه) اي تدخلون فيه وتخوضون فيه (وما يعزب عن ربك) اي وما يبعد وما يغيب عن علم ربك ورويته وقدرته (من مثقال ذرة) اي وزن نملة صغيرة (في الارض ولا في السماء ولا اصفر من ذلك) من وزن نملة (ولا اكبر الا في كتاب مبين) اي في كتاب بينه الله فيه قبل ان خلقه وهو اللوح المحفوظ وقيل اراد به كتاب الحفظ الذي كتبه الملائكة السفرة وحفظوه وقال الصادق (ع) كان رسول الله ﷺ اذا قرأ هذه الآية بكى بكاء شديدا

النظم

قيل في اتصال الآية الاولى بما قبلها انها اتصلت بقوله قل من يرزقكم من السماء والارض فاذا قرأوا انه الرزاق قيل لهم اجعلتم ما رزقكم بعضه حراما وبعضه حلالا عن ابي مسلم وقيل لما وصف القران بأنه هدى ورحمة وامرهم بالتمسك بما فيه عقبه بذكر مخالفتهم لما جاء في القران وتحريمهم ما احل الله

قوله تعالى (٦٢) **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٣) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٤) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ كَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٥)** وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (أربع آيات)

اللغة

الخوف والفرع والجزع نظائر وهو ازعاج القلب لما يتوقع من المكروه والأمن ضده والحزن غلظ الم مأخوذ من الحزن وهي الأرض الغليظة والسرور ضده والبشرى الخبر مما يظهر سروره في بشرة الوجه والبشارة مثلها والعزة شدة الغلبة من عزه بعزه إذا غلبه ومنه قولهم إذا عز اخوك فهن يعني إذا غلبك ولم تقاومه فلن له وعز الشيء يعز بفتح العين إذا اشتد ويعز بكسرهما إذا صار عزيزاً لا يوجد فكأنه اشتد وجوده

— (الاعراب) —

الذين آمنوا يمتثل موضعه ثلاثة أوجه من الاعراب **الأول** النصب على انه صفة أولياء الله **والثاني** الرفع على المدح **والثالث** الرفع على الابتداء وخبره لهم البشرى فإن جعلت الذين آمنوا صفة لم تقف على يحزنون بل تقف على يتقون وإن جعلته مبتدأ وقتت على يحزنون دون يتقون لأن لهم البشرى خير عنهم والبشرى يرتفع بالظرف على الأقوال الثلاثة ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا كسرت ان للاستثناف بالتذكير لما بنى الحزن ولا يجوز ان يكون كسرت لأنها وقعت بعد القول لأنه بصير حكاية عنهم وان النبي ﷺ يحزن لذلك وهذا كفر ويجوز فتحها على تقدير اللام كأنه قال ولا يحزنك قولهم لأن العزة لله جميعاً وقد غلط القتيبي في هذا فزعم ان فتحها يكون كفراً ولبس الأمر كما ظنه فإنها إذا كانت معمولة للقول لم يحزن وإذا تعلق بغير القول جاز سواء فتحت أو كسرت ومثل الفتح قول ذي الرمة

فَمَا هَجَرْتِكَ النَّفْسُ يَا مَيِّ أَنهَا قَلَّتْكَ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيْبَهَا

وَلَكِنَّهُمْ يَا أَمْلَحَ النَّاسِ أَوْلَعُوا يَقُولُ إِذَا مَا حِجَّتْ هَذَا جَنْبِهَا (١)

وقال القتيبي عند ذكر هذه المسألة إذا قلت هذا قاتل اخي بالتنوين دل على انه لم يقتل وإذا قلت هذا قاتل اخي يحذف التنوين دل على انه قتل وهذا غلط باجماع من النحويين لأن التنوين قد تحذف وأنت تريد الحال

(١) مي ومية : اسم امرأة . والقلبي : البغض . والجنيب بمعنى القرين .

والاستقبال قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة يريد بالغا الكعبة وكل قس ذائقة الموت أي ستذوق

المعنى

(ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم) بين سبحانه أن المطيعين لله الذين تولوا القيام بأمره وتولاهم سبحانه بحفظه وحياطته لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب (ولا هم يحزنون) أي لا يخافون واختلف في أولياء الله فقيل هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيئات الخير والاختبات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم المتحابون في الله ذكر ذلك في خبر مرفوع وقيل هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وقد يئتهم في الآية التي بعدها عن ابن زيد وقيل انهم الذين أدوا فرائض الله واخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل هذه الدنيا ورجبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله لمعاشهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر ثم انفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة فأولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ويشابون على ما قدموا منه لا خرتهم وهو المروي عن علي بن الحسين عليه السلام وقيل هم الذين توالى أفعالهم على موافقة الحق (الذين آمنوا) أي صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته (وكانوا يتقون) مع ذلك معاصيه (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فيه أقوال **أحدها** * أن البشرى في الحياة الدنيا هي ما بشرهم الله تعالى به في القرآن على الأعمال الصالحة ونظيره قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه الآية عن الزجاج والفراء **وثانيها** * أن البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة (ع) للمؤمنين عند موتهم بأن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة عن قتادة والزهري والضحاك والجبائي * **وثالثها** * أنها في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له وفي الآخرة بالجنة وهي ما يبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى أن يدخلوا الجنة يبشرونهم بها حالا بعد حال وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبي **صلى الله عليه وآله** وروى عقبة بن خالد عن أبي عبد الله (ع) انه قال يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الدين الذي اتم عليه وما بين احدكم وبين ان يرى ما تقر به عينه إلا ان يبلغ نفسه إلى هذه واومي يده إلى الوريد الخبر بطوله ثم قال ان هذا في كتاب الله وقرأ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة الآية وقيل ان المؤمن بفتح له باب إلى الجنة في قبره فيشاهد ما أعد له في الجنة قبل دخولها (لا تبدل لكلمات الله) أي لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب ولا خلاف في قوله بوضع كلمة أخرى مكانها بدلا منها لأنها حق والحق لا خلف فيه بوجه (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك الذي سبق ذكره من البشارة في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي النجاة العظيمة التي بصرفي جنبها كل شيء (ولا يحزنك قولهم) ظاهره النهي والمراد به التسلية للنبي **صلى الله عليه وآله** عن أقوالهم المؤذية وهو مثل قولهم لا رأيتك ههنا أي لا تكن ههنا فمن كان ههنا رأيتك وكذلك المراد بالآية لا تعبأ بأذاهم فمن عبأ به آذاهم (ان العزة لله جميعا) فيمنهم منك بعزته ويدفع اذاهم عنك بقدرته وقيل معناه لا يحزنك قولهم انك ساحر او مجنون فينصرك الله عليهم وسيذلهم وبتنقم منهم لك فإنه عزيز قادر عليه (هو السميع العليم) يسمع أقوالهم ويعلم ضائرهم فيجازيهم عليها ويدفع عنك شرهم ويرد كيدهم **ضرهم**

النظم

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه لما تقدم ذكر المؤمن والكافر بين عقيبه ان اولياءه لا خوف عليهم وقيل لما ذكر انه يحصي اعمال خلقه بشر من تولاه وذكر ما أعد لهم ووجه اتصال قوله ولا يحزنك قولهم بما تقدم انه يتصل بقوله وان كذبوك فلا يحزنك قولهم وقل لي عملي ولكم عملكم وقيل انه يتصل بما قبله فكأنه قال إذا كنت من اولياء الله ومن اهل البشارة فلا ينبغي ان تحزن بطعن من بطعن عليك ووجه اتصال قوله هو السميع

العلم بما قبله انه يسمع قولهم ويجازيهم فلا يحزنك ذلك
قوله تعالى (٦٦) **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ**
مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٧) **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ**
الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (آيتان)

❖ اللفظة ❖

الفرق بين الجعل والفعل ان جعل الشيء يكون باحداث غيره كجعل الطين خزفا ولا يكون فعله إلا باحداثه
والفرق بين الجعل والتغيير أن تغيير الشيء لا يكون إلا بتغييره على خلاف ما كان وجعله يكون بتغييره على
مثل ما كان كجعل الإنسان قسه ساكنا على استدامة الحال وإنما قال والنهار مبصرًا وإنما يبصره تشبيهاً وبجازاً
واستعارة في صفة الشيء بسببه على وجه المبالغة كما يقال مرُّ كاتم ليل نائم ومثله قول جرير

لَقَدْ لَمْتُنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السَّرَى
وقال رؤبه «قد نام ليلي وتجلت همي»
وَمَتَّ وَمَا لَيْلُ الْمُطِيِّ بِنَائِمِ

❖ المعنى ❖

لما سلى الله سبحانه نبيه ﷺ بقوله ولا يحزنك قولهم فإنهم لا يفوتوني بين بعد ذلك ما يدل على صحته فقال
(ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض) يعني العقلاء وإذا كان له ملك العقلاء فما عدام تابع لهم وإنما
خص العقلاء تفخيماً (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) (يحتمل ما هاهنا وجهين) ❖ أحدهما ❖ ان
يكون بمعنى أي شيء فكأنه قال وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقييماً لفعلهم ❖ والآخر ❖
ان يكون نافية أي وما يتبعون شركاء في الحقيقة ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو ان يكون ما بمعنى الذي ويكون
منصوباً بالمعطف على من ويكون التقدير والذي يتبع الأصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء فحذف المائد
من الصلة وشركاء حال من ذلك المحذوف وإن جعلت ما تقيماً لقوله شركاء ينتصب يدعونه والمائد إلى الذين
الواو في يدعون ويكون قوله ان يتبعون مكرراً لطول الكلام وتقف في هذا القول على قوله ومن في الأرض
وفي ذلك القول على قوله شركاء (ان يتبعون إلا الظن) أي ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء إلا الظن
لتقليدهم أسلافهم في ذلك أو لشبهه دخلت عليهم بأنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى (وإن هم إلا يخرصون)
أي وليسوا إلا كاذبين بهذا الاعتقاد والقول (هو الذي جعل لكم الليل لسكونكم ولأن يزول التعب والكلال عنكم بالسكون فيه
في السموات ومن في الأرض هو الذي خلق لكم الليل لسكونكم ولأن يزول التعب والكلال عنكم بالسكون فيه
(والنهار مبصرًا) أي وجعل النهار مبصرًا مضيئاً تبصرون فيه وتهتدون به في حوائجكم بالأبصار (ان في ذلك
لايات) أي لحججاً ودلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر على ذلك غيره (لقوم يسمعون) الحجج
سماع تدبر وتفهم وتعقل

قوله تعالى (٦٨) **قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**
إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٩) **قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى**
اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٧٠) **مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ**
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (ثلاث آيات)

* الإعراب *

متاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذلك أو هو متاع وقوله لا يفلحون وقف تام ويجوز ان يكون متاع مبتدأ محذوف الخبر وتقديره لهم متاع

* المعنى *

ثم حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار انهم اضافوا اليه اتخاذ الولد وهم طائفتان * احدهما * كفار قريش والرب فانهم قالوا الملائكة بنات الله * والاخرى * النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله فقال سبحانه (قالوا اتخذ الله ولدا) وانما قال قالوا وان لم يكن سبق ذكرهم لانهم كانوا بحضرة النبي ﷺ وكان يعرفهم وتصح الكناية عن المعلوم كما تصح عن المذكور (سبحانه) أي تنزيها له عما قالوا (هو الغني) عن اتخاذ الولد ثم بين سبحانه الوجه فيه فقال (له ما في السموات وما في الأرض) ومعناه إذا كان له ما في السموات وما في الأرض ملكا وملكا وخلقا فهو الغني عن اتخاذ الولد لأن الإنسان انما يتخذ الولد ليتقوى به من ضعف أو ليستغني به من فقر والله سبحانه منزّه عن ذلك وإذا استحال اتخاذ الولد حقيقة عليه سبحانه استحال عليه اتخاذ الولد على وجه التبني (ان عندكم من سلطانت بهذا) أي ما عندكم من حجة وبرهان بهذا (أتقولون على الله ما لا تعلمون) هذا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بين سبحانه الوعيد لهم على ذلك فقال (قل) يا محمد (ان الذين يفترون) أي يكذبون (على الله الكذب) باتخاذ الولد وغير ذلك (لا يفلحون) أي لا يفوزون بشيء من الثواب وأصل الاقتراء من القطع من فريت الأديم أي قطعه فمعناه يقطعون الكذب الذي يكذبون به على الله تعالى وقوله (متاع في الدنيا) معناه لهم متاع في الدنيا يتمتعون به أياما قلائل ثم تنقضي وقوله (ثم الينا مرجعهم) أي ثم إلى حكمتنا مصيرهم (ثم نذيقهم العذاب الشديد) وهو عذاب النار (بما كانوا يكفرون) أي بكفرهم

قوله تعالى (٧١) وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عِمْةً ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧٢) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٣) فَكَذَّبُوهُ فَتَبِعْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (ثلاث آيات)

* القراءة *

قرأ يعقوب وحده وشركاؤكم بالرفع وهو قراءة الحسن وابن ابي اسحق وابي عبدالرحمن السلمي وعيسى الثقفى وقرأ الباقون وشركاؤكم بالنصب وفي الشواذ قراءة الاعرج وعاصم والجحدري والزهري فاجمعوا امركم مفتوحة الميم موصولة الهمزة من جمع

* الحجة *

من قرأ فاجمعوا امركم وشركاؤكم بالرفع رفعه على المطف على الضمير في اجمعوا وساغ عطفه على

الضبير من غير توكيد من أجل طول الكلام بقوله امركم وإذا جاز في قوله سبحانه ما اشر كنا ولا آباؤنا ان نكتفي من طول الكلام بلا وان كانت بعد حرف المطف كان الاكتفاء من التوكيد باهو أطول من لا وهو ايضا قبل الواو كما ان التوكيد لو ظهر لكان قبلها اخرى فلو قال قائل قم وزيد كان اقبح من ان يقول قمت وزيد وذلك لأن المطفوف عليه في قم وزيد ضمير مستكن لا لفظ له فهو اضعف من ضمير المخاطب او المتكلم في قمت لأن له لفظا وهو التاء وقمت وزيد اضعف من قمتا وزيد لأن «ناه» من قمتا اتم لفظا من التاء في قمت واما شركاءكم بالنصب فقد قيل فيه انه منصوب على اضرار فعل كأنه قيل وادعوا شركاءكم قالوا وكذا هو في مصحف ابي وقيل تقديره فاجموا امركم واجموا شركاءكم لأن اجموا يدل عليه وذهب المحققون إلى انه مفعول معه وتقديره مع شركائكم كما انشد سيبويه

فَكُونُوا أَنْتُمْ وَبَنِي أَبِيكُمْ مَكَانَ الْكَلْبَيْنِ مِنَ الطَّعَالِ (١)

ويقال اجمت الامر وجمت الامر واجمت على الامر أي عزمت عليه قال المورج اجمت الامر افصح من اجمت عليه قال ابو الهيثم اجمع امره إذا جعله جمعا بعد ما كان متفرقا قال «هل اغدون يوماً وآمرى بجمع» (٢)

❖ اللفظة ❖

الغمة ضيق الأمر الذي يوجب الحزن والذلة والكره والاضغطة والشدة نظائر وتقيضه الفرجة وقيل غمة منغلق تنطية خبره مأخوذ من غم الهلال إذا حال دون رويته غيم
(= المعنى =)

ثم امر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقرأ عليهم اخبار نوح قال (واتل عليهم نبأ نوح) اي خبره (إذ قال لقومه) الذين يمش اليهم (يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي) اي شق وعظم عليكم اقامتي بين اظهركم (وتذكيري) اي وعظي وتنبيهي اياكم (بآيات الله) اي بمحبجه وبياناته على صحة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وبطلان ما تدبنون به وفي الكلام حذف هو قوله وعزمتم على قتلي وطردي من بين اظهركم (فلى الله توكلت) جملة جواب الشرط مع انه متوكل عليه في جميع احواله ليبين لهم انه متوكل في هذا التفصيل لما في اعلامه ذلك من زجرهم عنه لأن الله تعالى يكفيه امرهم ومعناه فإلى الله فوضت امري وبه وثقت ان يكفيني امركم (فاجموا امركم وشركاءكم) معناه فأعزموا على امركم مع شركائكم وانفقوا على امر واحد من قتلي وطردي ولا تضطربوا فيه فتختلف احوالكم فيما تلقوني به وهذا تهديد في صورة الأمر وقيل معناه اعزموا على امركم وادعوا شركاءكم فبين (ع) انه لا يرتدع عن دعائهم وعيب آلتهم مستعينا بالله عليهم واتقا بأنه سبحانه يعصمه منهم وقيل أراد بالشركاء الأوثان التي كانوا يصبونها من دون الله وقيل أراد من شاركهم في دينهم (ثم لا يكن امركم عليكم غمة) أي لا يكن امركم عليكم غماً وحزناً بأن ترددوا فيه وقيل معناه ليكن امركم ظاهراً مكشوفاً ولا يكون منغلقاً مبهما مستوراً من خمت الشيء إذا سترته وقيل معناه لا تأتوه من غير أن تشاوروا ومن غير أن يجتمع رأيكم عليه لأن من حاول أمراً من غير ان يعلم كيف يتأتى ذلك كان امره غمة عليه (ثم اقصوا إلي ولا تنظرون) أي انهضوا إلي فاقتلوني ان وجدتم اليه سبيلا ولا تؤخروني ولا تمهلوني عن ابن عباس وقيل معنى اقصوا إلي افعلوا ما تريدون وادخلوا إلي لأنه

(١) والشاهد في قوله «وبني» فانه منصوب على انه مفعول معه والواو بمعنى مع. (٢) وقيل «باليات

بمعنى افرغوا من جميع جبهلكم كما يقال خرجت اليك من المهدة وقيل معناه توجهوا اليّ وروي عن بعضهم انه قرأ ثم افضوا اليّ أي أسرعوا اليّ من الفضا لأنه اذا صار إلى الفضا تمكن من الإسراع وهذا كان من معجزات نوح (ع) لأنه كان وحيدا مع نفر يسير وقد اخبر بأنهم لا يقدرّون على قتله وعلى ان ينزلوا به سواء لأن الله تعالى ناصره وحافظه عنهم (فإن توليتهم) أي ذهبتم عن الحق واتباعه ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه (فما سألتكم من اجر) أي لا اطلب منكم أجراً على ما أوّديته اليكم من الله فيثقل ذلك عليكم وقيل معناه ان عرضتم عن قبول قولي لم يضرنّي لأنني لم اطلع فيما لكم فبغوتني ذلك بتوليكم عني وانما يعود الضرر عليكم (ان اجرى إلا على الله) أي ما اجري الا على الله في القيام باداء الرسالة (وامرث ان اكون من المسلمين) أي امرني الله بأن اكون من المسلمين لأمر الله بطاعته ثقة بأنها خير ما يكتسبه العباد (فكذبوه) يعني انهم كذبوا نوحاً أي نسبوه إلى الكذب فيما يذكره من انه نبي الله وان الله بشه اليهم ليدعوهم إلى طاعته (فنجيناه ومن معه في الفلك) أي في السفينة (وجملناهم خلائف) أي جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاء لمن هلك بالغرق وقيل انهم كانوا ثمانين نفساً وقال البلخي يجوز ان يكون أراد جعلناهم رؤساء في الأرض (وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا) أي اهلكنا باقي اهل الأرض اجمع لتكذيبهم لنوح (ع) (فانظر) ايها السامع (كيف كان عاقبة المنذرين) اي المخوفين بالله وعذابه اي كيف اهلكهم الله

قوله تعالى (٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٥) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٦) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٧) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٨) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَنَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ (خمس آيات)

﴿ القراءه ﴾

روى حماد ويحيى عن ابي بكر وزيد عن يعقوب ويكون لكما الكبرىا بالياء والباقون بالياء

— (الوجه) —

الوجه في الياء ان تأنث الكبرىا غير حقيقي وقد فصل ايضا بينه وبين الفعل ومن قرأ بالياء فلان لفظه لفظ التأنث

— (اللفظ) —

الاجرام اكتساب السيئه واصله القطع والفت الصرف عن الأمر يقال لفته يلفته لفتا وامرأة لفتت ذات زوج لها ولد من غيره لأنها تلفت إلى ولدها عنقها

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قصة من بعث بعد نوح فقال (ثم بعثنا من بعده) أي من بعد نوح واهلاك قومه (رسلا) يريد

ابراهيم وهودا وصالحا واوطا وشعبيا (الى قومهم) الذين كانوا فيهم بمد أن تناسلوا وكثروا (فجاؤهم بالبينات) أي فأتوهم بالبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم الشاهدة بنبوتهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أي لم يكونوا ليصدقوا يعني أو تلك الأقسام الذين بعث اليهم الرسل بما كذبت به أوائلهم الذين هم قوم نوح أي كانوا مثلهم في الكفر والعنوة وقيل معناه لم يكن منهم من يؤمن من بعد هذه الآيات بما كذبوا به من قبلها بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البينات وبعدها عن ابي مسلم والبلخي (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) أي نجعل على قلوب الظالمين لنفوسهم الذين تعدوا حدود الله سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذم بها ويعرفهم بها الملائكة كما فعلنا ذلك بقلوب هؤلاء الكفار وقد مر معاني الطبع والختم فيما تقدم (ثم بعثنا من بعدهم) أي من بعد الرسل أو من بعد الأمم (موسى وهارون) (ع) نبيين مرسلين إلى فرعون وملائته أي وروساء قومه (بآياتنا) أي بأدلتنا ومعجزاتنا (فاستكبروا) أي من الاقبياد لها والايمان بها (وكانوا قوما مجرمين) عاصين لربهم مستحقين للعقاب الدائم (فلما جاءهم) أي جاء قوم فرعون (الحق من عندنا) يعني ما أتى به موسى من المعجزات والبراهين (قالوا إن هذا السحر مبین) أي ظاهر (قال موسى) لهم (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) أي أتقولون لمعجزاته سحر والسحر باطل والمعجز حق وهما متضادان (ولا يفلح الساحرون) أي لا يظفرون بحجة ولا يأتون على ما يدعونه بينة وإنما هو تمويه على الضعفة (قالوا) يعني قال فرعون وقومه لموسى (أجبنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) أي لتصرفنا عن ذلك (وتكون لكنا الكبرياء) أي الملك عن مجاهد وقيل العظمة والسلطان والأصل ان الكبرياء استحقاق صفة الكبر في اعلی المراتب (في الأرض) أي في أرض مصر وقيل أراد اسم الجنس والمراد به الانكار وان كان اللفظ لفظ الاستفهام تعلقوا بالشبهة في انهم على رأي آباءهم وان من دعاهم الى خلافه فظاهر أمره انه يريد التأمير عليهم فلم يطيعوه (وما نحن لكنا بمؤمنين) أي بمصدقين فيما تدعيانه من النبوة

قوله تعالى (٧٩) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٨٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى اأَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨١) فَلَمَّا آتَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُظِلُّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨٢) وَيَحِقُّ لِلَّهِ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (اربع آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل الكوفة غير عاصم بكل سحار بالتشديد والباقون ساحر على وزن فاعل وقرأ ابو جعفر وابو عمرو السحر بقطع الألف ومدها على الاستفهام والباقون السحر موصولة على الخبر

❖ الحجة ❖

قد بينا الوجه في سحار وساحر في سورة الاعراف وأما قوله السحر فإن ما في قوله ما جئتم به في موضع رفع بالابتداء وجئتم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والكلام استفهام والسحر بدل من ما المبتدأ ولزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوي المبدل منه في انه استفهام ألا ترى انه ليس في قولك السحر استفهام وعلى هذا قالوا كم مالك اعشرون أم ثلاثون فجملت المشرون والثلاثون بدلا من كم والحقت ام لأنك

في قولك كم درهما مالك مدع ان له مالا كما انك في قولك اعشرون ام ثلاثون مالك مدع احد الشيتين ولا يلزم ان تضمر للسحر خبرا على هذا لأنك اذا ابدلت من المبتدأ صار في موضعه وصار ما كان خبرا لما ابدلت منه في موضع خبر البدل ومن قرأ ما جتم به السحر كان ما في قوله موصولا وجتم به الصلة والهاء المجرورة عائدة على الموصول وخبر المبتدأ الذي هو الموصول السحر وبما يقوي هذا الوجه ما زعموا انه في حرف عبد الله ما جتم به سحر فعلي هذا يكون تقديره الذي جتم به السحر وعلى الوجه الأول وهو ان يكون ما استفهاما فتقديره أي شيء جتم السحر واما وجه الاستفهام مع علم موسى انه سحر فإنه مثل قوله أنت قلت للناس اتخذوني وامى آلهين من دون الله في انه للتقرير

المعنى

(وقال فرعون) حكي الله سبحانه عن فرعون انه حين اعجزه المعجزات التي ظهرت لموسى (ع) ولم يكن له في دفعها حيلة قال لقومه (انتوني بكل ساحر عليم) بالسحر بليغ في عمله وإنما طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى وحقى لا يفوته شيء من السحر بتأخر بعضهم وإنما فعل ذلك للجلل بأن ما أتى به موسى من عند الله وليس بسحر وبعد ذلك علم انه ليس بسحر فأتد كما قال سبحانه لقد علمت ما أنزل هؤلاء الأرب السوات والارض بصائر وقيل انه علم انه ليس بسحر ولكنه ظن ان السحر يقاربه مقاربة تشبيه (فلما جاء السحرة) الذين طلبهم فرعون وأمر بإحضارهم وموسى حاضر (قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون) وفي الكلام حذف يدل عليه الظاهر وتقديره فلما أتوه بالسحرة وبالجمال والمصي قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي اطرحوا ما جتم به وقيل معناه افلوا ما انتم فاعلون وهذا ليس بأمر بالسحر ولكنه قال ذلك على وجه التحدي والإلزام اي من كان عنده ما يقاوم المعجزات فليقله وقيل انه امر على الحقيقة بالإلقاء ليظهر بطلانه وإنما يقتصر على قوله القوال انه اراد القوا جميع ما انتم ملقون في المستأنف فلو اقتصر على القوا ما افاد هذا المعنى والإلقاء اخراج الشيء عن اليد إلى جهة الأرض ويشبه بذلك قولهم التي عليه مسألة والتي عليه رداء (فلما القوا) اي فلما القت السحرة سحرهم (قال موسى) لهم (ما جتم به السحر) اي الذي جتم به من الجبال والمصي السحر ادخل عليه الالف واللام للمهد لأنهم لما قالوا لما أتى به موسى انه سحر قال (ع) ما جتم به هو السحر عن الفراء (ان الله سبطله) اي سبطل هذا السحر الذي فعلتموه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) معناه ان الله لا يهيب عمل من قصد افساد الدين ولا يمضيه ويبطله حتى يظهر الحق من الباطل والحق من المبط (ويحق الله الحق) أي يظهر الله الحق ويحققه ويثبتته وينصر اهله (بكلما ته) قيل في معناه اقوال **أحدها** ان معناه بوعده موسى «ع» وكان وعده النصر فأنجز وعده عن الحسن **وثانيها** ان معناه بكلامه الذي يبين به معاني الآيات التي اتاهاتيه عن الجبائي **وثالثها** بما سبق من حكمه في الوح المحفوظ بأن ذلك سيكون (ولو كره المجرمون) ظهور الحق وابطال الباطل وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كاهم في حقهم وذلك على وجهين **أحدهما** بالحجة فهذه النصرة مستمرة على كل حال **(والثاني)** بالنبله والقهر وهذا يختلف بحسب المصلحة لأن المصلحة قد تكون بالتخلية تارة وبالحيلولة اخرى

قوله تعالى (٨٣) **فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ** (٨٤) **وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ**

ج ٥ (الجزء الحادي عشر) قوله تعالى وقال موسى يا قوم إن كنتم إلى قوله من القوم الكافرين ١٢٧

إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٥) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا
لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٦) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (أربع آيات)

— (الفتنة) —

الذرية الجماعة من نسل القبيلة وقد تقدم القول في أصلها ووزنها والفتنة أصلها البلية وهي معاملة تظهر
الأمور الباطنة يقال فتن الذهب إذا أحرقت بالنار ليظهر الخالص وقوله يوم هم على النار يفتنون أي
يحرقون لما فيه من إظهار حالهم في الضلال وقوله والفتنة أشد من القتل معناه التمهيد للرد عن الدين لما فيه
من إظهار النصرة أشد

— (الإعراب) —

يا قوم حذفته منه يا الإضافة اجتزاء بالكسرة منها وهو في النداء أحسن من إثباتها لقوة النداء على
التغيير والفاء في قوله فقالوا فاء العطف وجواب الأمر كما تقول قال السائل كذا فقال المجيب كذا وإنما جازت
الفاء في الجواب ولم تجز الواو لأن الفاء تترتب من غير مهلة فهي موافقة لمعنى وجوب الثاني بالأول
وليس كذلك الواو

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه من آمن من قوم موسى (ع) فقال (فما آمن لموسى) أي لم يصدق موسى في ما ادعى من
النبوة مع ما أظهره من المعجزات الظاهرة (الاذرية من قومه) أي أولاد من قوم فرعون وقيل أراد من
قوم موسى (ع) وهم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر واختلف من قال بالأول فقيل أنهم قوم كانت أمهاتهم
من بني إسرائيل وآبائهم من القبط فاتبعوا أمهاتهم وأخوالهم عن ابن عباس وقيل أنهم أناس يسير من قوم فرعون
منهم امرأة فرعون ومومن آل فرعون وجارية وامرأة هي مشاطة امرأة فرعون عن عطية عن ابن عباس
وقيل أنهم بعض أولاد القبط لم يستجب آباؤهم موسى واختلف من قال بالثاني فقيل هم جماعة من بني
إسرائيل أخذهم فرعون لتعلم السحر وجعلهم من أصحابه فآمنوا بموسى عن الجبائي وقيل أراد مؤمني بني
إسرائيل وكانوا ستمائة ألف وكان يعقوب دخل مصر منهم بائنين وسبعين إنساناً فتوالدوا حتى بلغوا ستمائة
ألف وإنما ساءم ذرية على وجه التصغير لضعفهم عن ابن عباس في رواية أخرى وقال مجاهد أراد بهم أولاد
الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء (على خوف من فرعون)
يعني آمنوا وهم خائفون من معرفة فرعون (وملئهم) ومن أشرافهم وروؤسائهم قال الزجاج وإنما جازأت
يقال وملئهم لأن فرعون ذو أصحاب يأتمرون له وقيل إن الضمير في ملئهم راجع إلى الذرية لأن
آباءهم كانوا من القبط وكانوا يخافون قومهم من القبط إن يصر فوهم عن دينهم ويمذبوهم (إن يفتنهم)
أي يصر فوهم عن الدين يعني إن يمتحنهم لمحنة لا يمكنهم الصبر عليها فينصرفون عن الدين وكان جنود
فرعون يمدبون بني إسرائيل فكان خوفهم منه ومنهم (وإن فرعون لعال في الأرض) أي مستكبر باغ طاغ
في أرض مصر ونواحيها (وإنه لمن المسرفين) أي من المجاوزين الحد في العصيان لأنه ادعى الربوبية وأسرف
في القتل والظلم والإسراف التجاوز عن الحد في كل شيء (وقال موسى) لقومه الذين آمنوا به (يا قوم

إن كنتم آمنتم بالله (كما تظهرون) فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين (اي فاستندوا اموركم اليه ان كنتم مسلمين على الحقيقة وانما اعاد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لبين المعنى باجتماع الصفتين التصديق والانقياد اي ان كنتم آمنتم بالله فاستسلموا لامره وفائدة الآية بيان وجوب التوكل على الله عند نزول الشدة والتسليم لامره ثقة بحسن تدبيره وانقطاعا اليه (فقالوا على الله توكلنا) اخبر سبحانه عن حسن طاعتهم له وانهم قالوا استندنا امورنا إلى الله واثقين (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) اي لا تمكن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف عن ديننا عن مجاهد وقيل معناه ربنا لا تظهر علينا فرعون وقومه فيفتن بنا الكفار ويقولوا لو كانوا على الحق لما ظفروا عليهم عن الحسن وابي مجاز وروى زارة ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان معناه لا تسلطهم علينا ففتنهم بنا (ونحننا) وخلصنا (برحمتك من القوم الكافرين) اي من قوم فرعون واستعبادهم ايانا واخذهم جماعة بالاعمال الشاقة والمهن الخسيسة

قوله تعالى (٨٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُبُوتَا وَأَجْعَلُوا يُبُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٩) قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (ثلاث آيات)

(=) (القرأة) =

قرأ ابن عامر ولا تتبعان خفيفة النون والباقون بالشديد

✽ الحجة ✽

من قرأ بالنون الشديدة كسرهما لوقوعهما بعد الف الثانية فاشبهت نون الاثنين في رجلان ولم يعتد بالنون الساكنة قبلها السكونا وخفتها فصارت المكسورة كأنها وليت الألف ومن قرأ بالتخفيف فإنه يمكن ان يكون خفف الثقلية للتضمين كما خففوا رب وان ونحوهما إلا انه حذف الاولى من المثليين كما بدلوا الاولى من المثليين في نحو قيراط ودينار وازم ذلك في هذا الموضع لأن الحذف لولحظ الثانية لزم التقاء الساكنين والتقاء الساكنين على هذا الحد غير مأخوذ به عند العامة وان شئت كان على لفظ الخبر والمعنى الامر كقوله يترصد بأنفسهن ثلاثة قروء ولا تضار والدة بولدها اي لا ينبغي ذلك وان شئت جعلته حالا من استقيما والتقدير استقيما غير متبعين وبدل على ذلك قول الشاعر

فَلَا أَسْقَى وَلَا يَسْقَى شَرِبِي وَيُرْوِيهِ إِذَا أَوْرَدَتْ مَائِي (١)
و كقول الفرزدق
بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشْجِمُوا سِيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَىٰ بِهَا حِينٍ سَلَّتِ (٢)

(=) (اللفظة) =

تبوء اي اتخذ يقال تبوء لنفسه بينا اي اتخذه وبوأت له يتأى اي اتخذته له ويقال ان تبوء وبوء بمعنى

- (١) والشاهد في قوله «ويرويه» حيث انه وقع حالامع استثناء الحال عن الواو اذا كان ضلامضاراً .
(٢) شام السيف شيئا : اغمده والشاهد في قوله ولم تكثر القتلى ووقوعه حالا لم يشدها والقتلى بها لم تكثر، وانما يشدها بعد ان تكثر القتلى بها .

اي اتخذ بيتا مثل بدل وتبدل وخلص وتخلص قال ابو علي تبوء فضل يتعدى إلى مفعولين واللام في قوله لقومكما كالتي في قوله ردف لكم ويقوي ذلك قوله واذ بوا نالا إبراهيم مكان البيت فدخلت اللام على غير المطاوع كادخلت على المطاوع في قوله تبوءا لقومكما والطمس محو الاثر يقال طمس عينه اطمسها طمسا وطموسا وطمست الريح آثار الديار والطمس تغير إلى الدثور والدروس قال كعب بن زهير

مِنْ كُلِّ نَضَاخَةٍ الدِّفْرِى إِذَا عَرَقَتْ
عَرَضَتْهَا طَامِسُ الأَعْلَامِ مَجْهُولٌ (١)

✽ الاعراب ✽

مصر غير منصرف لأنهم موث معرفة ولو صرفت لخطفتها كما تصرف هند لكان جائزا وترك الصرف اقيس وقوله بيوتامفعول به وليس بظرف مكان لاختصاصه والبيوت هنا كالغرف في قوله تعالى لنبيوهم من الجنة غرفا فلا يؤمنوا بحتمل وجهين من الاعراب النصب والجزم فأما النصب ففيه وجهان ✽ احدهما ✽ ان يكون على جواب صيغة الأمر بالفاء ✽ والآخر ✽ ان يكون عطفا على ليضلوا اي ليضلوا فلا يؤمنوا وهذا قول المبرد وعلى هذا فيكون قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضا واما الجزم فيكون على وجه الدعاء عليهم وتقديره فلا آمنوا ومثله قول الاعشى

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا أَنْزَوَى
وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ (٢)

(- المعنى -)

(واوحينا إلى موسى وأخيه) أي أمرناهما (ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا) اي اتخذنا لمن آمن بكما بمصر يعني البلدة المعروفة بيوتا تسكنونها وتأوون اليها (واجلوا بيوتكم قبلة) اختلف في ذلك قبيل لما دخل موسى مصر بعد ما اهلك الله فرعون أمروا باتخاذ مساجد يدكر فيها اسم الله تعالى وان يجعلوا مساجدهم نحو القبلة أي الكعبة وكانت قبلتهم إلى الكعبة عن الحسن ونظيره في بيوت اذن الله ان ترفع الآية وقيل أن فرعون أمر بتخريب مساجد بني اسرائيل ومنهم من الصلاة فأمروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلون فيها خوفا من فرعون وذلك قوله واجلوا بيوتكم قبلة أي صلوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم وقيل معناه اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا عن سعيد بن جبير (واقموا الصلاة) أي أديموا واظبوا على فطرها (وبشر المؤمنين) بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب وانواع النعيم والخطاب لموسى (ع) عن ابي مسلم وقيل الخطاب لمحمد ﷺ (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وسلاة) اي اعطيت فرعون وقومه (زينة) بزينة بها من الحلي والثياب وقيل الزينة الجمال وصحة البدن وطول القامة وحسن الصورة (واموالا) تعظمون بها (في الحياة الدنيا) وانما اعطاهم الله تعالى ذلك للإتمام عليهم مع ثمرها من وجود الاستفساد (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اللام للماقبة والمعنى وعاقبة امرهم انهم يضلون عن سبيلك ولا يجوز ان يكون لام الغرض لأننا قد علمنا بالادلة الواضحة ان الله سبحانه لا يبعث الرسول ليأمر الخلق بالضلال ولا يريد ايضا منهم الضلال وكذلك لا يؤمنهم المال ليضلوا وقيل معناه لئلا يضلوا عن سبيلك فحذفت لا كقوله شهدنا ان تقولوا يوم القيامة أي لئلا تقولوا وحذف ذلك لدلالة العقل عليه وقيل انه لام الدعاء والمعنى ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال وانما قال ذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون من طريق الوحي وفائدته اظهار التبرؤ منهم كما يلين ابليس ويدل عليه انه اعاد قوله (ربنا اطمس على اموالهم) فدل ذلك

(١) النضغ: شدة فور الماء والمرق. والذفرى: خلف الاذن، اراد ان ذفرى الناقة كثير النضغ بالمرق. والمرضعة: السافة التي تمرض الناقة لقطعها. وطماس الاعلام اي ليس فيها علامة يهتدى بها.

(٢) زوى ما بين عينيه فانزوى: جمعه فاجتمع وقبضه.

على انه اراد به الدعاء عليهم والمراد بالطمس على الأموال تغييرها عن جبتها إلى جهة لا يتفجع بها قال مجاهد وقناة وعامة اهل التفسير صارت جميع اموالهم حجارة حتى السكر والفانيد (واشدد على قلوبهم) بمعناه ثبتم على المقام بيلدهم بعد اهلاك أموالهم فيكون ذلك اشد عليهم وقيل معناه أمتهم بعد سلب أموالهم واهلكهم وقيل انه عبارة عن الخذلان والطبع (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) قد ذكرنا وجوهه وقيل معناه انهم لا يؤمنون إيمان الجاه حتى يروا العذاب وهم مع ذلك لا يؤمنون إيمان اختيار أصلاً ثم اخبر سبحانه انه اجاب لها الدعوة فقال (قال) اي قال الله تعالى لموسى وهارون (قد اجيبت دعوتكما) والداعي كان موسى «ع» لأنه كان يدعو وكان هارون يؤمن على دعائه فساهم ادا عين عن عكرمة والربيع وابي العالبة واكثر المفسرين ولأن معنى التأمين اللهم استجب هذا الدعاء (فاستقيا) اي فأتبنا على ما امرت من دعاء الناس إلى الايمان بالله تعالى والايذار والوعظ قال ابن جريج مكث فرعون بعد هذا الدعاء اربعين سنة وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) نهاهما سبحانه عن ان يتبعنا طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرف انبياءه عليهم السلام

قوله تعالى (٩٠) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩٢) فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ اهل الكوفة غير عاصم آمنت إنه بكسر الالف والباقون أنه بالفتح وروي عن ابي جعفر ونافع الان باللقاء حركة الهزة على اللام وحذف الهزة وقرأ ننجيك خفيفة قتيبة ويعقوب وسهل والباقون ننجيك بالشديد وفي الشواذ قراءة ابي بن كعب ومحمد بن السميع ننجيك بالحاء - (الحجة) -

قال ابو علي من قرأ آمنت انه بالفتح فلأن هذا الفعل يصل بحرف الجر في نحو يؤمنون بالغيب فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى ان فصار في موضع نصب او جر على الخلاف في ذلك ومن قرأ آمنت إنه بالكسر حمله على القول المضر كأنه قال آمنت وقلت انه واضمار القول في هذا النحو كثير وقال علي بن عيسى من كسر إنه جعله بدلا من آمنت ومن فتح جعله معمول آمنت واما الآن فان لام المعرفة إذا دخلت على كلمة اولها الهزة فخفضت الهزة كان في تخفيفها وجهان ﴿احدهما﴾ ان يلقي حركتها على اللام وتقر هزة الوصل فيقال الحمر وقد حكى ذلك سيوريه وحكى ابو الحسن ان اناسا يقولون حمر فيحذفون الهزة التي لا وصل قال

فَقَدْ كُنْتُ تُخَفِّي حُبَّ سَمْرَاءَ حِقْبَةً فَبِحْ لَانَ مِنْهَا بِالَّذِي أَنْتَ بَاتِحٌ (٤)

فاسكن الحاء لا كانت اللام متحركة ولو لم يعتد بالحركة كما لم يعتد بها في الوجه الاول لحرك الحاء بالكسر كما يحرك في بح اليوم وبنجيك وبنجيك في معنى واحد اي نلقيك على نجوة من الارض قال اوس بن حجر

فَمَنْ يَنْجُوْتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ وَالْمُسْتَكِينُ كَمَنْ يَمْشِي بِقُرْوِاحِ (٤)

والقرواح حيث لا ماء ولا شجر ومن قرأ ننجيك بالحاء فإنه نفعك من الناحية اي نبعلك في ناحية ومنه

(١) الفانيد : ضرب من الحلواء ، فلوحي معرب . (٢) يمشي في الاحمر (٣) فائله عنتره . العقبه في الاصل يطلق على مدة معينة من الزمن والترات منه هنا مجرد الزمن الطويل و«لان» اصله «آلان» و«بح» أمر من باح يوح اذا اعلن ما عنده وأظهره (٤) النجوة : ما ارتفع من الارض . والقوة : الساحة وما حول الدار .

نحيت الشئ فتحتى اي باعدته فتباعد فصار في ناحية قال الخطيب
 تَنَحَّى فَأَجْلِسِي مِنِّي بَعْدًا أَرَأَيْتَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ
 * اللغة *

المجاورة الخروج عن الحد من احدى الجهات الاربع والاتباع طلب الاتباع بالأول اتبعه اتباعا وتبعه بمعنى
 وحكى ابو عبيدة عن الكسائي انه قال إذا اريد انه اتبعهم خيراً أو شراً قالوا بقطع الهززة وإذا اريد به انه
 اقتدى بهم واتبع أثرهم قالوا بتشديد التاء. ووصل الهززة والبعي طلب الاستعلاء بغير حق والمدون والمدوان الظلم
 والنجوة الأرض التي لا يعلوها السيل واصلاها من الارتفاع

* الاعراب *

بغيا وعدوا مفعول له وقيل انها مصدران في موضع الحال اي في حال البغي والمدوان الآن فصل بين الزمان
 الماضي والمستقبل مع انه إشارة إلى الحاضر ولهذا بني كما بني ذا وعرف الآن بالالف واللام وامس يتضمن حرف
 التعريف لأن ما مضى بمنزلة المضمر في المعنى في انه ليس له صورة والحاضر في معنى المصرح في صحة الصورة والعامل
 في قوله الآن محذوف وتقديره الآن آمنت

(المعنى)

ثم بين سبحانه مآل آل فرعون وقومه فقال (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر) أي عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه
 سالمين بأن يبسنا لهم البحر وفرقنا لهم الماء اثني عشر فرقا (فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا) اي ليغفوا
 عليهم ويظلموهم وذلك ان الله سبحانه لما اجاب دعاء موسى امره بلوخراج بني اسرائيل من مصر ليلافخرج وتبعهم
 فرعون وجنوده مشرقين حتى انتهوا إلى البحر وامر الله سبحانه موسى (ع) فضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر
 درقا وصار لكل سبط طريق يابس فارتفع بين كل طريقين الماء كالجليل وصار في الماء شبه الحروق فجعل بعضهم
 ينظر إلى بعض فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر رأوا البحر بتلك الهيئة فهابوا دخول البحر وكان فرعون على
 حصان ادهم فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس وديق وخاض البحر وميكائيل يسوقهم فلما شم ادهم فرعون
 ريح فرس جبريل (ع) انسل خلفه في الماء واقتحمت الخيول خلفه فلما دخل آخرهم البحر وهم أولاهم ان يخرج
 انطبق الماء عليهم (حتى إذا ادركه الفرق) اي وصل اليه الفرق وايقن بالهلاك (قال آمنت انه لا إله إلا الذي
 آمنت به بنوا إسرائيل وانا من المسلمين) وكان ذلك إيمان الجاهل لا يستحق به الثواب فلم ينفعه إيمانه (الآن) وقد
 عصيت قبل فيه اضمار اي قيل له الآن آمنت حين لا ينفع الإيمان ولا يقبل لأنه حال الإلطاء (وقد عصيت)
 بتوك الأيمان في حال ما ينفعك الإيمان فهلا آمنت (قبل) ذلك (وكنت من المفسدين) في الأرض بقتل المؤمنين
 وادعاء الالهية وانواع الكفر واختلاف في قائل هذا القول فقيل قاله جبريل (ع) وقيل ذلك كلام الله تعالى قاله
 به على وجه الإهانة والتوبيخ وكان ذلك معجزة لموسى عليه السلام وروى علي بن ابراهيم بن هاشم بإسناده عن
 الصادق عليه السلام قال ما اتى جبريل رسول الله ﷺ إلا كنييا حزينا ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون
 فلما امر الله سبحانه بنزول هذه الآية تزل وهو ضاحك مستبشر فقال له جبريل ما اتيتني إلا وبينت الحزن
 في وجهك حتى الساعة قال نعم يا محمد لما غرق والله فرعون قال آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل
 فأخذت حماة فوضتها في فيه ثم قلت له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم خفت ان تلحقه الرحمة من
 عند الله فيعذبني على ما فعلت فلما كان الآن وأمرني أن أودّي اليك ما قلته انا لفرعون آمنت وعلت ان ذلك
 كان لله رضا (فاليوم ننجيك ، بيدك) اختلف في معناه فقال اكثر المفسرين معناه لما أغرق الله فرعون وقومه انكر
 بعض بني اسرائيل غرق فرعون وقالوا هو اعظم شأناً من ان يفرق فأخرج الله نحتى رأوه فذلك قوله فاليوم

ننجيك اي نلقبك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع ببدنك أي بجسدك من غير روح وذلك انه طفا عريانا وقيل معناه مخلصك من البحر وانت ميت والبدن الدرع قال ابن عباس كانت عليه درع من ذهب يعرف بها فالمعنى زُفمك فوق الماء بدرعك المشهورة ليعرفوك بها (لتكون لمن خلفك آية) اي لتكون نكالا لمن خلفك فلا يقولوا مثل مقاتلتك عن الكلبي وقيل انه كان يدعي انه رب فبين الله امره وانه عبد وفيه من الآية انه غرق مع القوم واخرج هو من مبيتهم وكان ذلك آية عن الزجاج (وان كثيرا من الناس عن آياتنا غافلون) يعني ان كثيرا من الناس عن التفكير في دلالاتنا والتدبر لحججنا وبيناتنا غافلون اي ذاهبون

قوله تعالى (٩٣) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (آية)

-- « الاعراب » --

المبوء يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون مكانا ويكون المفعول الثاني من بوأ على هذا محذوفا كما حذف من قوله وبوأكم في الأرض ويجوز ان ينتصب المبوء نصب المفعول به على الاتساع وان كان مصدرا فقد أجاز ذلك سيوريه في قوله أما لضرب فأنت ضارب

= (المعنى) =

ثم بين سبحانه حال بني اسرائيل بعد اهلاك فرعون فقال (ولقد يوأنا بنى اسرائيل ميوأ صدق) اخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد ان نجاهم واهلك عدوهم يقول مكثناهم مكانا محمودا وهو بيت المقدس والشام وانما قال ميوأ صدق لأن فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب وقيل معناه انزلناهم في موضع خصب وامن يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة وقال الحسن يريد به مصر وذلك ان موسى عبر يميني اسرائيل البحر ثانيا ورجع إلى مصر وتبوأ مساكن آل فرعون وقال الضحاك هو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات) اي مكثناهم الاشياء اللذيذة وهذا يدل على سعة ارزاق بني اسرائيل (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) معناه فما اختلفوا في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم يعني اليهود كانوا مقرين به قبل مبئته حتى جاءهم العلم وهو القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس وقال الفراء العلم محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان معلوما عندهم بنعمته فلما جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم وقيل ان معناه فما اختلف بنو اسرائيل الا من بعد ما جاءهم العلم بالحق على يد موسى وهارون فانهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجي موسى فلما جاءهم آمن به بعضهم وثبت على الكفر بعضهم فصاروا مختلفين (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا اخبار منه تعالى بأنه الذي يتولى الحكم بينهم يوم القيامة في الأمور التي يختلفون فيها فلن مع بقاء التكليف لا يرتفع الخلاف

قوله تعالى (٩٤) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ بَقَرُوا مِنَ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٥) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٦) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٧) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (ثلاث آيات)

❀ القراة ❀

قد تقدم اختلاف القراء في كلمة وكلت والوجه في ذلك

﴿ اللغة ﴾

الامقراء طلب الشك مع ظهور الدليل وهو من مري الضرع وهو مسحه ليدر فلامنى لسحه بعد دروره بالحليب

(الاعراب) =

النون في قوله فلا تكونن نون التأكيد وهي لا تدخل في غير الواجب لأنك لا تقول انت تكونن ودخلت في القسم على هذا الوجه لأنه يطلب بالقسم التصديق وانما بنى الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الاخرى مع ان الأولى ساكنة واقتضت حركة بناء لاتقاء الساكنين، ولو جاءتهم كل آية قال الأخصش أنت كل لأنها مضافة إلى موثث ولفظة كل للمذكر والموتث سواء والرؤية في الآية رؤية العين لأنها تعدت إلى مفعول واحد والمذاب وان كان اليا وهو لا يصح ان يرى فإنه ترى اسبابه فهو بمنزلة ما يرى

(المعنى) =

ثم بين سبحانه صحة نبوة محمد ﷺ فقال (فإن كنت في شك مما انزلنا إليك فسنل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) اختلف المفسرون في معناه على اقوال اولها قال الزجاج ان هذه الآية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها وفي السورة ما يدل على بيانها فإن الله سبحانه يخاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى فإن كنتم في شك فاسألوا والدليل عليه قوله في آخر السورة يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تمجدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوكلكم الآية فاعلم الله سبحانه ان نبيه عليه السلام ليس في شك ومثل هذا قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فقال طلقتم والخطاب للنبي ﷺ وحده وهذا مذهب الحسن وابن عباس واكثر اهل التأويل وروي عن الحسن وقتادة وسعيد بن جبير انهم قالوا ان النبي ﷺ لم يشك ولم يسأل وهو المروي ايضا عن ابي عبد الله (ع) ﴿ وثانيها ﴾ ان الخطاب لرسول الله ﷺ وان لم يشك وعلم الله سبحانه انه غير شك ولكن الكلام خرج مخرج التقرير والافهام كما يقول القائل اعبد الله ان كنت عبدي فأطني ولا ييه ان كنت والدي فتعطف علي ولولده ان كنت ابني فبرني يريد بذلك المبالغة وربما خرجوا في المبالغة الى ما يستحيل كقولهم بكت السماء لموت فلان اي لو كان تبكي سماء على ميت لبكت عليه وكذلك ههنا يكون المعنى لو كنت ممن يشك فشككت فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك عن الفراء وغيره ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى فإن كنت ايها المخاطب او ايها السامع في شك مما انزلنا إليك على لسان نبينا محمد ﷺ فيكون الخطاب لغيره ﴿ ورابعها ﴾ ما ذكره الزجاج انه يجوز ان يكون ان في معنى ما فيكون المعنى ما كنت في شك مما انزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب اي لسنا نريد بامرنا ان تسأل لأنك شك ولكن لتزداد ايمانا كما قال ابراهيم (ع) حين قال له اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالزيادة في التعريف ليست مما يبطل صحة العقيدة وإنما امر سبحانه بسؤال اهل الكتاب مع جمع اكثرهم لنبوته فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه امره بأن يسأل مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وتميم الداري واشباههم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك ﴿ والاخر ﴾ ان المراد سلهم عن صفة النبي ﷺ المبشر به في كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفة وهذا القول اقوى لأن هذه السورة مكية وابن سلام وغيره انما اسلموا بالمدينة وقال الزهري ان هذه الآية نزلت في السماء فإن صح ذلك فقد كفي المؤونة ورواه اصحابنا ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل ايضا ان المراد بالشك الضيق والشدة بما يعانیه من نعمهم واذا هم اي ان ضقت ذرعا بما تلقيت من اذى قومك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم فاصبر كذلك (لقد جاءك الحق من ربك) يعني بالحق القرآن والاسلام (فلا تكونن من المترين) اي الشاكين (ولا تكونن من الذين

كذبوا بآيات الله (اي من جملة من يجحد آيات الله ولا يصدق بها) فتكون من الخاسرين) اي فإذك ان فعلت ذلك كنت من الخاسرين ولم يقل من الكافرين لأن الانسان قد علم شدة تجسره وتأسفه على خسران ماله فكيف اذا خسر دينه ونفسه (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) معناه ان الذين اخبر الله عنهم بغير شرط انهم لا يؤمنون فنفي الايمان عنهم ولم ينف عنهم القدرة عليه فان نفي الفعل لا يكون نفيًا للقدرة عليه كما ان الله سبحانه نفى عن نفسه مغفرة المشركين ولم يكن ذلك نفيًا لقدرة على مغفرتهم وقيل معناه ان الذين وجب عليهم سخط ربك عن قتادة وقيل معناه وجب عليهم وعيد ربك (وار جاؤهم كل آية) اي كل معجزة ودلالة مما يقترحونها (حتى يروا العذاب الأليم) الموجه فيصيروا ملجأين الى الايمان وفي هذا اعلام بأن هؤلاء الكفار لا لطف لهم في المعلوم يؤمنون عنده ايمان اختيار

قوله تعالى (٩٨) فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (آية)

✽ الاعراب ✽

لولا بمعنى هلا وهي تستعمل على وجهين ✽ احدهما ✽ التحضيض ✽ والآخر ✽ التأنيب ✽ كقواك في التحضيض هلا تأتي زيدا لحاجتك وفي التأنيب هلا امتنعت من الفساد الذي دعيت اليه قال الشاعر
تعدون عقر النيب افضل مجدكم
اي هلا تعقرون الكمي وكانت قرية . كان هذه هي التامة لا تحتاج الى خبر وآمنت فنفعها ايمانها صفة لقرية فان الجمل قد تقوم مقام الصفة للنكرة والاقوم يونس استثناه متصل واقع على المعنى لا على ظاهر اللفظ فكأنه قال هلا آمن اهل قرية والجميع مشتركون في هذا العتاب وقوم يونس مستثنى من الجميع ومثل هذا الاستثناء في قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم وقال الزجاج الا قوم يونس استثناه منقطع وتقديره لکن قوم يونس لما آمنوا ومثله قول النابغة

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلاً لَا أَسْأَلُهَا
إِلَّا أَوَارِيَّ لَا يَأْمَأُ أَيْسَهَا
عَيْتُ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبِيعِ مِنْ أَحَدٍ
وَالنَّوِي كَالْحَوْضِ بِالْمَطْلُومَةِ الْجَلْدِ (٢)

وحكى الفراء في البيت لا ان ما ابيها وقال جمع الشاعر بين ثلاثة احرف في النفي لا وان وما وقرأ بعضهم يونس ويوسف بكسر النون والسين اراد ان يجعل الاسمين عربيين مشتقين من آسف وأنس وهو شاذ

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه ان ايمان فرعون لم يقبل عند معاينة العذاب وصل ذلك بذكر ايمان قوم يونس قبل نزول العذاب فقال (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس) قيل ان معناه فهلاً كان اهل قرية آمنوا في وقت ينفعهم إيمانهم . أعلم الله سبحانه أن الايمان لا ينعف عند وقوع العذاب ولا عند حضور الموت الذي لا يشك فيه ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب عن الزجاج قال وقوم يونس لم يقع بهم العذاب إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب فمثلهم . مثل العليل الذي يتوب في مرضه وهو يرجو العافية ويخاف الموت وقيل ان معناه لم يكن فيما خلا ان يؤمن اهل قرية بأجمعهم حتى لا يشذ منهم احد الا قوم يونس فهلا كانت القرى كلها هكذا عن الحسن وقيل معناه فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها يريد بذلك لم يكن هذا معروفا لامة من الأمم كفرت ثم آمنت عند نزول العذاب وكشف عنهم اي لم يفعل هذا بأمة قط الا قوم يونس (لما آمنوا) عند نزول العذاب كشف عنهم العذاب بمد ما تدلى عليهم وهو قوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) عن

(١) الشعر في جامع الشواهد وقدم ايضاً . (٢) وفي معلقته «أصيلاً كي أسألها» في البيت الاول ويروي «أصيلان» وأصيلان تصغير الاصل - بضمين - جمع الاصل : الوقت بعد العصر ؛ وأصيلال على البديل ابدلوا من النون لأمأ - بقول : وقفت في هذه الدار عشية أسألها عن اهلها أين ذهبوا فلم تقدر على الجواب ولم يكن فيها أحد يعيبنى

قتادة وابن عباس في رواية عطاء وقيل انه اراد بقوله فلولا كانت قرية آمنتم قوم ثمود فإنه قد جاءهم العذاب يوماً فيوماً كما جاء قوم يونس الا ان قوم يونس استدر كوا ذلك بالتوبة واولئك لم يستدر كوا فصرف اهل القرية بأنهم سوى قوم يونس ليعرفهم به بعض التعريف اذ كان اخبر عنهم على سبيل الاخبار عن النكرة عن الجبائي وهذا الذي ذكره انما كان يصح لو كان الا قوم يونس مرفوعاً فكان يكون صفة لقرية او بدلاً منه على معنى هلاك ان قوم قرية آمنوا الا قوم يونس ولم يقرأ احد من القراء بالرفع (ومتناهم الى حين) وهو وقت انقضاء آجالهم - (القصة) -

وكان من قصة يونس على ما ذكره سعيد بن جبير والسدي ووهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا بنيوى من ارض الموصل وكان يدعوهم الى الاسلام فأبوا فأخبرهم ان العذاب مصعبهم الى ثلاث ان لم يتوبوا فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فلن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا ان العذاب مصعبكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس من بين اظهريهم فلما اصبحوا يشاهم العذاب قال وهب اغامت السماء غيماً اسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم وقال ابن عباس كان العذاب فرق رؤسهم قدر ثلثي ميل فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا الى الصيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت اصواتها واختلطت اصواتها بصواتهم وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلم قال عبد الله ابن مسعود بلغ من توبة اهل نينوى ان يردوا المظالم بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيقتلعه ويرده وروي عن ابي مخلد انه قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقة علمائهم فقالوا له لقد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حيي حيين لا حيي ويا حيي محيي الموتى ويا حيي لا إله الا انت فقالوا فما نكشف عنهم العذاب وروي عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن جميل قال قال ابو عبد الله (ع) كان فيهم رجل اسمه مليخا عابداً وآخر اسمه روييل عالم وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهيه ويقول له لا تدع عليهم فان الله يستجيب لك ولا يجب هلاك عباده فقبل يونس قول العابد فدعا عليهم فادعى الله تعالى اليه انه يأتيهم العذاب في شهر كذا في يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم فلما كان اليوم الذي نزل بهم العذاب قال لهم العالم افزعوا الى الله فلهم برحمتكم ويرد العذاب عنكم فاخرجوا الى المفازة وفرقوا بين النساء والاولاد وبين سائر الحيوان والاولاد هائم ابكوا وادعوا فاطفوا فصرف عنهم العذاب وكان قد نزل بهم وقرب منهم ومرو يونس على وجهه مفاضاً كما حكى الله تعالى عنه حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا سفينة قد شحنت^(١) وارادوا ان يدفروها فسالهم يونس ان يعملوه فعملوه فلما توسطوا البحر بعث الله عليهم حوتاً عظيماً فحبس عليهم السفينة فتساموا فوقع من بينهم سهم مسل يونس فأخبره فالتقه في البحر فالتقه الحوت ومربته في الماء وقيل ان الملاحين قالوا نقتع فنن اصابت القرعة القيتة في الماء فلن هاهنا عبداً عاصياً ابقاء فوقت القرعة سبع مرات على يونس فقام وقال لنا العبد الأبق والقي نفسه في الماء فابتلته الحوت فادعى الله الى ذلك الحوت لاتؤذ شجرة منه فادى في جملة بطنك سجنه ولم اجمله طعامك فلبث في بطنه ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعين يوماً وقد سأل بعض اليهود امير المؤمنين علياً عليه السلام عن سجن طاف اقطار الارض بصاحبه فقال له يا يهودي هو الحوت الذي حبس يونس في بطنه فدخل في بحر تلمزم حتى فرج الى بحر مصر ثم سار منها الى بحر طبرستان ثم خرج من الدجلة قال عبد الله بن مسعود ابتلع الحوت حوتاً آخر تأهده به الى قرار الارض وكان في بطنه اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب

والاوارى : حيث تجلس الدواب وقوله لاياً اي جهداً ، والنوى : نهر يحفر حول الاخبية يجري فيها الماء فنسبه بالحوض وقوله بالمظلومة الجلداى بالموضع الذي لا يحضر لصلابته فجعلها مظلومة لانها حفرت في غير موضع حفر . والشاهد في قوله الا اوارى بالنصب على الاستثناء المنقطع لانها من غير جنس الاحد . (١) اى ملئت .

الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ المتسقط فأثبت الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها ووكّل الله به وعلا يشرب من لبنها فيست الشجرة فبكى عليها فوحى الله تعالى إليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون اردت ان اهلكهم فخرج يونس فإذا هو بفلام يرعى فقال من أنت قال من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فاخبرهم الفلام ورد الله عليه بدنه ورجع الى قومه وآمنوا به وقيل انه (ع) ارسل الى قوم غير قومه الاولين

قوله تعالى (٩٩) **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كَلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُنْكِرُ الْنَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (١٠٠) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (آيتان)**

❖ القراءة ❖

قرأ ونجعل بالنون حماد ويحيى عن ابي بكر والباقرن بالياء.

❖ الحجة ❖

من قرأ بالنون فإنه ابتداء بالاجبار عن الله ومن قرأ بالياء فلأنه تقدم ذكر الله تعالى فكفى عنه

❖ اللفظة ❖

المشيئة والارادة والايثار والاختيار نظائر وانما يختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بين في موضعه قال علي بن عيسى النفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يطل ذلك الشيء ونفسه وذاته واحد إلا انه قد يوكد بالنفس ولا يوكد بالذات والنفس مأخوذة من النفاسة

(الاعراب) —

كلهم تأكيد لمن وجما نصب على الحال

❖ المعنى ❖

لما تقدم ان إيمان الملجأ غير نافع بين سبحانه ان ذلك لو كان ينفع لا كره لعن الارض عليه فقال (ولو شاء ربك) يا محمد (لا من من في الأرض) أي لا من أهل الأرض (كلهم جميعا) ومعناه الاجبار عن قدرة الله تعالى وانه يقدر على ان يكره الخلق على الايمان كما قال ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ولذلك قال بعد ذلك (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ومعناه انه لا ينبغي ان تريد اكرامهم على الايمان مع انك لا تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريد له لأنه ينافي التكليف وأراد بذلك تسليمة النبي ﷺ وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على إيمانهم عنه وفي هذا ايضا دلالة على بطلان قول المجبرة انه تعالى لم يزل كان شائياً وانه لا يوصف بالقدرة على ان يشاء لأنه تعالى اخبر انه لو شاء لقدرة لكنه لم يشأ فلذلك لم يوجد ولو كانت مشيئة اذلية لم يصح تطبيقها بالشرط فصح ان مشيئته فعلية ألا ترى انه لا يصح ان يقال لو علم سبحانه ولو قدر كما صح ان يقال لو شاء ولو اراد (وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله) معناه انه لا يمكن احد ان يؤمن إلا باطلاق الله تعالى له في الايمان وتمكينه منه ودعائه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك وقيل ان اذنه هاهنا امره كما قال يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم عن الحسن والجبائي وحقيقة الاذن اطلاقه في الفعل بالأمر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل برفع التبعة وقيل ان اذنه هنا علمه اي لا تؤمن نفس إلا بعلم الله من قولهم اذنت لكذا إذا سمعته وعاشته واذنته اعلمته فيكون خيراً

من علمه سبحانه لجميع الكائنات ويجوز ان يكون بمعنى اعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعوههم الى فعله ويبيشهم عليه (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) معناه ويجعل العذاب على الذين لا يتفكرون حتى يعقلوا فكانهم لا عقول لهم عن قتادة وابن زيد وقيل معناه ويجعل الكفر عليهم أي يحكم عليهم بالكفر ويذمهم عليه عن الحسن وقيل الرجس الفضب والسخط عن ابن عباس وقال الكسائي الرجس النتن والرجز والرجس واحد قال ابو علي وكان الرجس على ضربين ﴿احدهما﴾ ان يكون في معنى العذاب ﴿والآخر﴾ ان يكون بمعنى القدر والنجس اي يحكم بانهم رجس كما قال سبحانه انما المشركون نجس

قوله تعالى (١٠١) قُلْ اَنْظُرُوا مَا ذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا نُنْفِي الْاَيَاتِ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٢) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ اِلَّا مِثْلَ اَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا اِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٣) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ (ثلاث آيات)

(القراءة) =

قرأ الكسائي برواية نصير ويعقوب برواية روح وزيد ثم ننجي رسلنا خفيفة وروي عن روح التشديد أيضا فيه والباقر ننجي بالتشديد وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وسهل ننجي المؤمنين خفيفة والباقر ننجي بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

حجة من قال ننجي قوله فانجاه الله من النار وحجة من قال ننجي قوله ونجينا الذين آمنوا وكلاهما حسن قال الشاعر
ونجى ابن هندٍ سابعٌ ذُو غِلَالَةٍ
أجشُّ هزيمٌ والرِّمَّاحُ دَوَانِ (١)

﴿ اللفظة ﴾

النظر طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب ادراكه بالعين والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة والانتظار هو الثبات لتوقع ما يكون من الحال تقول انتظري حتى احقك ولو قلت ترقصني لم تكن قد أمرته بالثبات والمثل في الجنس ما سدّ احدهما مسدّ صاحبه فيما يرجع الى ذاته والمثل في غير الجنس ما كان على معنى يقربه من غيره كقربه من جنسه كشبيه اعمال الكفار بالسراب والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك وكذلك السلامة مأخوذة من اعطاء الشيء من غير نقیصة اسلمته اليه اذا اعطيته سالما من غير آفة

﴿ الأعراب ﴾

وجه التشبيه في كذلك ان نجاة من بقي من المؤمنين كنجاة من مضى في انه حق على الله واجب لهم ويحتمل ان يسكون العامل في كذلك ننجي الأول وتقديره ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء ويحتمل ان يكون العامل فيه ننجي الثاني وحقا نصب على المصدر أي يحقّ حقا وقيل انه نصب على الحال وان كان لفظه لفظ المصدر عن ابي مسلم قال جامع العلوم للنحوي الضرير ويجوز ان ينصب حقا بدلا من كذلك او وصفا ولا يجوز ان ينصب كذلك وحقا جميعا بقوله ننجي رسلنا لأن الفعل الواحد لا يعمل في مصدرين ولا في حالين ولا في استثناءين ولا في مفعولي معها وقد بين ذلك في موضعه فإن جمعت كذلك من صلة ننجي وجمعت حقا من صلة قوله ننجي المؤمنين اي ننجي المؤمنين حقا كان الوقف على كذلك

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما يزيد في تنبيه القوم وارشادهم فقال (قل) يا محمد لمن يسألك الآيات (انظروا ماذا في السماوات والأرض) من الدلائل والعبر من اختلاف الليل والنهار ومجاري النجوم والأفلاك وما خلق من الجبال والبحار وأنبت من الأشجار والثمار واخرج من أنواع الحيوانات فإن النظر في أفرادها وجمعتها يدعو إلى الإيمان وإلى معرفة الصانع ووجدانيته وعلمه وقدرته وحكمته (وما تفتي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) معناه وما تفتي هذه الدلالات والبراهين الواضحة مع كثرتها وظهورها ولا الرسل المخوفة عن قوم لا ينظرون في الأدلة تفكراً وتدبراً ولا يريدون الإيمان وقيل ما تفتي معناه أي شيء تفتي عنهم من اجتلاب نفع أو دفع ضرر إذا لم يستدلوا بها فيكون ما للاستفهام وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية هتف بها وقال وما تفتي الحجج عن قوم لا يقبلونها وقال أبو عبد الله عليه السلام لما أسرى برسول الله ﷺ جبريل بالبراق فركبها فأتى بيت المقدس فلقى من لقي من الأنبياء ثم رجع فأصبح يحدث أصحابه أني أتيت بيت المقدس ولقيت اخواني من الأنبياء فقالوا يا رسول الله كيف أتيت بيت المقدس الليلة قال جاءني جبرائيل بالبراق فركبها وآية ذلك أني مررت بعير لأبي سفيان على ما لبني فلان وقد اضلوا جملهم احمر وهم في طلبه فقال القوم بعضهم لبعض انما جاءه راكب سريع ولكنكم قد أتيتهم الشام وعرفتموها فأسألوهم عن أسواقها وأبوابها وتجارها فأسألوهم عن ذلك وكان ﷺ إذا سئل عن الشيء لا يعرفه شق ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه قال فيينا هو كذلك إذا أتاه جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله ﷺ فإذا هو بالشام فقالوا له أين بيت فلان ومكان كذا فأجابهم في كل ما سأله عنه فلم يؤمن منهم إلا قليل وهو قول الله تعالى وما تفتي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ثم قال أبو عبد الله (ع) فنعوذ بالله أن لا نؤمن بالله آمناً بالله ورسوله (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) معناه فهل ينتظر هؤلاء الذين أمروا بالإيمان فلم يؤمنوا وبالنظر في الأدلة فلم ينظروا إلا العذاب والهلاك في مثل الأيام التي هلك من قبلهم من الكفار فيها قال قتادة أراد به وقائع الله في عاد وثمود وقوم نوح وغيره من الهلاك بالأيام كما يقال أيام فلان يراد به أيام دولته وأيام محنته واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التفتي وتقديره ليس ينتظرون إلا ذلك (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) أي قل يا محمد لهم فانتظروا ما وعدنا الله من العذاب فأوفي منتظر معكم من جميع المنتظرين لما وعد الله به (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) من بينهم ونخلصهم من العذاب وقت تزوله وقيل من شرور أعدائهم ومكرهم (كذلك حق علينا ننج المؤمنين) قال الحسن معناه كنا إذا اهلكنا أمة من الأمم الماضية نجينا نبيهم ونجينا الذين آمنوا به أيضاً كذلك إذا اهلكنا هؤلاء المشركين نجيناك يا محمد والذين آمنوا بك وقيل معناه كذلك حق علينا أي واجبا علينا من طريق الحكمة ننجي المؤمنين من عذاب الآخرة كما ننجيهم من عذاب الدنيا وقال أبو عبد الله (ع) لأصحابه ما ينفكم من أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنه من أهل الجنة إن الله تعالى يقول كذلك حق علينا ننجي المؤمنين

قوله تعالى (١٠٤) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَتَوَفَّأَكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٥) وَأَنْ أَقِيمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْ لِكَافٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (أربع آيات)

* اللغة *

الشك وقوف في المعنى ونفيضه كمن يشك في كون زيد في الدار فإنه لا يكون لأحدى الصفتين عنده مزية على الأخرى فيقف وهو معنى غير الاعتقاد عند أبي علي الجبائي وأبي هاشم ثم رجع عنه أبو هاشم وقال ليس بمعنى وهو اختيار القاضي والتوفي قبض الشيء على التام والاقامة نصب الشيء ونقيضه الاضجاع وأقام بالمكان استمر فيه كاستمرار القيام في جهة الانتصاب والمهاسة والمطابقة والمجامعة نظائر وضدها المباينة والكشف رفع الساتر المانع من الإدراك فكان الضّر ههنا ساتر يمنع من إدراك الإنسان

(الاعراب) —

ان كنتم في شك شرط وجوابه في قوله لا اعبد وإنما صح ذلك لأن معناه ان كنتم في شك فلا تطعموا في تشكيكي حتى اعبد غير الله كعبادتكم

* المعنى *

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ بالبراءة عن كل معبود سواه فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني) أحق هو أم لا (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) لشككم في ديني (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) أي يقدر على إمامتكم وهذا يتضمن تهديداً لهم لأن وفاة المشركين مبعاد عذابهم حتى قيل كيف قال ان كنتم في شك من ديني مع اعتقادهم بطلان دينه فجوابه من وجوه **الاول** أحدها **الاول** ان يكون التقدير من كان شاكا في امري فهذا حكمه **والثاني** انهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدونه في انفسهم عند ورود الآيات **والثالث** ان فيهم من كان شاكا قلب ذكرهم (وامرت ان اكون من المؤمنين) أي وامرني ربي ان اكون من الصادقين بالتحديد واخلص العبادة له (وان اقم وجهك) هذا عطف على ما قبله فكأنه قال وقيل لي واقم وجهك (للدين) أي استقم في الدين باقبالك على ما امرت به من القيام باعباء الرسالة وتحمل امر الشريعة بوجهك وقيل معناه واقم وجهك في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة (حنيفا) أي مستقيما في الدين (ولا تكونن من المشركين) هذا نهى عن الاشراف مع الله سبحانه غيره في العبادة (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان اطعته (ولا يضرك) ان عصيته وتركته أي لا تدعه إلهما كما يدعو المشركون الأوثان آلهة وإنما قال ما لا ينفعك ولا يضرك مع انه لو نفع وضر لم تحسن عبادته ايضا لأمرين **أحدهما** ان معناه ما لا ينفعك نفع الآلهة ولا يضرك ضرره **والثاني** انه إذا كان عبادة غير الله بمن يضر وينفع قبيحة فعبادة من لا يضر ولا ينفع اقبح فإذن فلت فإنك إذا من الظالمين (معناه فإن خالفت ما أمرت به من عبادة غير الله كنت ظالما لنفسك بإدخالك الضرر الذي هو العقاب عليها وهذا الخطاب وان كان متوجها إلى النبي ﷺ في الظاهر فالمراد به امته (وان يمسهك الله بضر) معناه وان احل الله بك ضرا من بلاء او شدة او مرض (فلا كشف له إلا هو) أي لا يقدر احد على كشفه غيره كأنه سبحانه لما بين ان غيره لا ينفع ولا يضر عقبه بيان كونه قادرا على النفع والضرر (وان يردك بخير) من صحة جسم ونعمة وخصب ونحوها (فلا راد لفضله) أي لا يقدر على منعه أحد وتقديره وان يردك خيرا ويجوز فيه التقديم والتأخير يقال فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير (يصيب به) أي بالخير (من يشاء من عباده) فيعطيه على ما تقتضيه الحكمة ويعلمه من المصلحة (وهو الضور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم

قوله تعالى (١٠٨) قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن أهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل (١٠٩) وأتبع ما يوحي إليك وأصبر

حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (آيات)

(- المعنى -)

ثم ختم الله سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسلية للنبي ﷺ والوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين فقال عز اسمه (قل) يا محمد مخاطباً للمكلفين (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن ودين الاسلام والادلة الدالة على صحته وقيل يريد بالحق النبي ﷺ ومعجزاته الظاهرة (فمن اهتدى) بذلك بأن نظر فيه وعرفه حقاً وصواباً (فإنيتهدي لنفسه) معناه فإن منافع ذلك من الثواب وغيره يعود عليه (ومن ضل) عنه وعدل عن تأمله والاستدلال به (فإني يضل عليها) أي على نفسه لأنه يجني عليها (وما انا عليكم بوكيل) أي وما أنا بمحافظ لكم عن الهلاك إذا لم تنظروا انتم لأنفسكم ولم تعلموا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره والمعنى انه ليس علي إلا البلاغ ولا يلزمني ان أجعلكم مهتدين وان انجيكم من النار كما يجب على من وكل على متاع ان يحفظه من الضرر (واتبع ما يوحي اليك واصبر) على اذى الكافرين وتكذيبهم (حتى يحكم الله) بينك وبينهم باظهار دينه واعلاء أمره (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يحكم إلا بالعدل والصراب

سورة هود

هي مكية كلها في قول الاكثرين وقال قتادة إلا آية وهو قوله واقم الصلاة طرفي النهار فاوانزلت بالمدينة

﴿ عدد آياتها ﴾

هي مائة وثلاث وعشرون آية كوفي وآيتان شامي والمدني الاول وآية في الباقي

﴿ اختلافها ﴾

سبع آيات بري ما تشركون كوفي في قوم لوط غير البصري من سجيل مكبي شامي والمدني الأخير كنتم مؤمنين حجازي منضود وانا عاملون عراقي شامي والمدني الأول مختلفين عراقي شامي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السماء وروى الثعلبي باسناده عن ابي اسحق عن ابي جحيفة قال قيل يا رسول الله قد اسرع اليك الشيب قال شيبتي هود واخواتها وفي رواية اخرى عن انس بن مالك عن ابي بكر قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتي هود واخواتها الحاققة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الفاشية وروى العياشي عن الحسن بن علي الوشا عن ابن سنان عن ابي جعفر عليه السلام قال من قرأ سورة هود في كل جمعة بمشه الله يوم القيامة في زمرة النبيين وحوسب حساباً يسيراً ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لا ختم الله سبحانه سورة يونس بذكر الوحي في قوله واتبع ما يوحي اليك افتتح هذه السورة ببيان ذلك الوحي فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ
حَكِيمٍ خَيْرٍ (٢) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٣) وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
ثُمَّ تُؤْتُوا إِلَيْهِ يُعْطِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٤) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
(أربع آيات)

❖ اللغة ❖

الاحكام منع الفعل من الفساد والحكمة المعرفة بما يمنع الفعل من الفساد والنقص وبما يميز القبيح من الحسن
والفاسد من الصحيح والحكيم في صفات الله سبحانه يحتمل وجهين ❖ احدها ❖ ان يكون بمعنى محكم فهو
فعل بمعنى مفعول اي محكم أفعاله فيكون على هذا من صفات فعله فلا يوصف به فيما لم يزل ❖ والثاني ❖ ان
يكون بمعنى عليم فيكون من صفات ذاته فيوصف بأنه حكيم لم يزل

❖ الإعراب ❖

قال الزجاج كتاب مرفوع باضمار هذا كتاب وقال بعضهم كتاب خبر الر وهذا غلط لأن كتاب أحكمت
آياته ليس هو الر وحدها وان لا تعبدوا في موضع نصب تقديره فصلت آياته لأن لا تعبدوا ويحتمل ان يكون
على تقدير أمرم بأن لا تعبدوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه وان استغفروا معطوف عليه ومعنى إلا في قوله إلا
الله ايجاب للمذكور بعدها ما نفي عن كل ما سواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها يمتعكم
جزم جواب لقوله وان استغفروا ربكم وان تولوا يريد تولوا فحذف احدى التامين تخفيفا وابن كثير يدغم التاء
الاولى في الثانية ويشدد

❖ المعنى ❖

قد بينا تفسير (آر) والاقاويل التي فيها في اول البقرة فلا معنى لاعادته (كتاب) يعني القرآن اي هو
كتاب (احكمت آياته ثم فصلت) ذكر فيه وجوه ❖ احدها ❖ ان معناه احكمت آياته فلم ينسخ منها شي
كما نسخت الكتب والشرائع ثم فصلت ببيان الحلال والحرام وسائر الاحكام عن ابن عباس ❖ وثانيها ❖ ان
معناه احكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب عن الحسن وابي العالية ❖ وثالثها ❖
احكمت آياته جملة تم فرقت في الانزال آية بعد آية ليكون المكلف اسكن من النظر والتدبر عن مجاهد
❖ ورابعها ❖ احكمت في نظمها بأن جعلت على ابلغ وجوه الفصاحة حتى صار معجزاً ثم فصلت بالشرع
والبيان المفروض فكانت قيل محكم النظم - فصل الآيات عن ابي مسلم ❖ وخامسها ❖ اتقنت آياته
فليس فيها خلل ولا باطل لأن الفعل المحكم ما قد اتقنه فاعله حتى لا يكون فيه خلل ثم فصلت بأن جعلت
متتابعة بعضها اثر بعض (من لدن حكيم) اي ان هذا الكتاب أتاكم من عند حكيم في احواله وتدبيره (خبير)
اي عليم باحوال خلقه ومصالحهم وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محدث لأنه وصفه بأنه احكمت
آياته ثم فصلت والاحكام من صفات الافعال وكذلك التفصيل ثم قال من لدن حكيم وهذه الاضافة لاتصح
الا في المحدث لأن القديم يستحيل أن يكون صادراً من غيره وقوله الا تعبدوا الا الله معناه انزل هذا الكتاب
ليأمركم (أن لا تعبدوا الا الله) ولكي لا تعبدوا الا الله كما يقال كتبت اليك ان لا تخرج من الدار وان
لا تخرج بالنصب والجزم (انني لكم منه نذير وبشير) هذا اخبار من النبي ﷺ انه مخوف من مخالفة

الله وعصيانه بأليم العقاب مبشر على طاعة الله بجزيل الثواب (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) ومعناه اطلبوا المغفرة واجعلوها غرضكم ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا اليه في المتأنف متى وقعت منكم المصيبة عن الحيائي وقيل ان ثم ههنا بمعنى الواو عن الفراء . وهذا لأن الاستغفار والتوبة واحد فتكون التوبة تأكيداً للاستغفار (يمتكم متاًحسناً الى اجل مسمى) يعني انكم متى استغفرتوه وتبتم اليه يتمكم في الدنيا بالنعم السابقة في الخفض والدعة والأمن والسعة الى الوقت الذي قدر لكم اجل الموت فيه وقال الزجاج يريد يقيقكم ولا يستأصلكم بالعذاب كما استأصل اهل القرى الذين كفروا (ويوت كل ذي فضل فضله) قيل ان الفضل بمعنى التفضيل والافضال اي ويعط كل ذي افضال على غيره بجال او كلام او عمل بيد او رجل جزاء افضاله فيكون الماء في فضله عائداً الى ذي الفضل وقيل ان معناه يعطي كل ذي عمل صالح فضله اي ثوابه على قدر عمله فالإن من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة وعلى هذا فالاولى أن تكون الماء في فضله عائداً الى اسم الله تعالى (وان تولوا) اي عرضوا عما امروا به وقيل معناه وان تتولوا اتم اي تعرضوا فحذف احدى التائين ولذلك شدد ابن كثير في رواية البرقي عنه (فلوني اخاف عليكم عذاب يوم كبير) اي كبير شأنه وهو يوم القيامة وهذا الخوف ليس في معنى الشك بل هو في معنى اليقين اي فقل لهم يا محمداني اعلم ان لكم عذاباً عظيماً وانما وصف اليوم بالكبير اعظم ما فيه من الالهوال (الى الله مرجعكم) اي في ذلك اليوم الى حكم الله مصيركم لأن حكم غيره يزول فيه وقيل معناه اليه مصيركم بأن يعيدكم للجزاء (وهو على كل شيء قدير) يقدر على الإعادة والبث والجزاء فاحذروا مخالفته

قوله تعالى (٥) **أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** (آية)

❖ القراءة ❖

روي عن ابن عباس بخلاف ومجاهد ويحيى بن يعمر وعن علي بن الحسين وابي جعفر محمد بن علي وزيد ابن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام يشنون صدورهم على مثال يفمعل وعن ابن عباس ايضاً يشنون وعن مجاهد يشنون وروي ذلك ايضاً من عروة الأعمش

❖ الحجة ❖

اما يشنون على مثال يفمعل فهو من امثلة المبالغة تقول امشب البلد فاذا كثر ذلك قلت اعشوشب وكذلك اهلولى واخشوشب واخشوشن وأما يشنون ويشنون فقد قال ابن جنى انها من لفظ الش وهو ما هش وضمف من الكلاء وانشد ابو زيد

تَكْفِي اللَّقُوحِ أَكْلَهُ مِنْ شِنْ (١)

يشن بالهمزة اصله يشنان فحركات الألف لسكونها وسكون النون الاولى فانقلبت همزة واما يشنون فاصله يشنونين فلزم الادغام لتكرير العين اذا كان غير ملحق فاسكنت النون الاولى ونقلت كسرتها الى الواو وادغمت النون في النون فصارت يشنون

❖ اللفظ ❖

اصل الثني الحلف تقول ثنيته عن كذا اي عطفته ومنه الاثنان لحلف احدهما على الآخر في المعنى ومنه الاثناء لحلف المناب في المدح ومنه الاستثناء لأنه حلف عليه بالاخراج منه والاستخفاء طلب خفاء الشيء يقال استخفي وتخفي بمعنى وكذلك استخفي وتخفي قالت الحناء

أَرَعَى النُّجُومَ وَمَا كَلَّفَتْ رِعْيَتَهَا وَتَارَةَ النَّمْسِيِّ فَضَلَ اطْمَارِي (٢)

(١) قاله اخوص بن عبد الله الرياحي وبعده «ولم تكن آثر عندي مني» . واللقوق : الناقة العلوبة . يقول : اذا شرب الاضياف لبنها علفها الثن فماد لبناها (٢) داعى النجوم وراعها : راقبها وانتظر منيها وفي الشعر كناية عن السهر والاطمار جمع الطمر : الثوب الخلق .

﴿ الاعراب ﴾

الامتناع التنبيه ولاحظ لها في الاعراب وما بعدها مبتداً

- (النزول) -

قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكان حلو الكلام يلقي رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره عن ابن عباس وروى المياشي باسناده عن ابي جعفر (ع) قال اخبرني جابر بن عبد الله ان المشركين اذا مروا برسول الله ﷺ طأطأ احداهم رأسه وظهروه هكذا وظلوا رأسه بشوبه حتى لا يراه رسول الله ﷺ فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر القرآن بين سبحانه فعلهم عند سماعه فقال (الانهم) يعنى الكفار والمنافقين (يشنون صدورهم) اي يطورونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن وقيل معناه يعنون صدورهم لكيلا يسموا كلام الله سبحانه وذكره من قتادة وقيل يشنونها على عداوة النبي ﷺ عن الفراء والزجاج وقيل انهم اذا عقدوا مجلسا على مطاعة النبي ﷺ والسعي في امره بالفساد انضم بعضهم الى بعض وثنى بعضهم صدره الى صدر بعض يتناجون (ليستخفوا منه) اي ليخفوا ذلك من الله تعالى على القول الاخير فانهم كانوا قد بلغ من شدة جهلهم بالله أن ظنوا انهم اذا ثنوا صدورهم على سبيل الاخفاء لم يعلم الله تعالى اسرارهم وعلى الاقوال الاخر معناه ليستروا ذلك عن النبي ﷺ (العين يستشون ثيابهم) معناه انهم يتخطون بشياهم ثم يتفاوضون فيما كانوا يدبرونه على النبي ﷺ وعلى المؤمن فيكتمونه عن ابن عباس فبين الله سبحانه انه (يعلم ما يسرون وما يعلنون) وقت ما يتخطون بشياهم ويجعلونها غشا فوقهم لا بمعنى انه يتجدد له العلم في حال استنشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الأزل (انه عليهم بذات الصدور) يريد بما في النفوس عن ابن عباس وبمحققة ما في القلوب من المضمرات وقيل انه كنى باستنشاء ثيابهم عن الليل لانهم يتخطون بظلمته كما يتخطون بشياهم

قوله تعالى (٦) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّا لَنُؤْمِنُ بِمَا بَدَأَ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٨) وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ الْأَيُّومَ بِأَنِّيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (ثلاث آيات)

﴿ اللفظ ﴾

الدابة الحي الذي من شأنه ان يدب وقد صار في العرف مختصا بنوع من الحيوان وقد ورد القرآن بها على الأصل في قوله وما من دابة بوالله خلق كل دابة

﴿ الاعراب ﴾

اللام في قوله لئن لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لأنها دخلت على ان التي للجزء ولام الابتداء إنسا هي للاسم او ما ضارع الاسم في باب ان وجواب الجزاء مستثنى عنه بجواب القسم لأنه إذا جاء في صدر

الكلام ظن عليه كما انه إذا تأخر وتوسط النبي ويوم يأتيهم غضب على الطرف من مصروف اي ليس يصرف العذاب عنهم يوم يأتيهم العذاب

« المعنى »

(وما من دابة في الأرض) اي ليس من دابة تدب على وجه الأرض ويدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالى على وجه الأرض من الجن والانس والطير والأنعام والوحوش والهوام (إلا على الله رزقها) اي إلا والله سبحانه يتكفل برزقها ويوصله اليها على ما تقتضيه المصلحة وتوجيه الحكمة (ويعلم مستقرها ومستودعها) اي يعلم موضع قرارها والموضع الذي اودعها فيه وهو اصلاب الآباء وارحام الامهات عن مجاهد وقيل مستقرها حيث تأوي اليه من الأرض ومستودعها حيث تموت وتبعث منه عن ابن عباس والربيع وقيل مستقرها ما يستقر عليه عملها ومستودعها ما يصير اليه (كل في كتاب مبين) هنا اخبار منه سبحانه ان جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو الوحي المحفوظ وإنما أثبت سبحانه ذلك مع انه عالم لذاته لا يمزج عن علمه شيء من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة أو لمن يخبر بذلك (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بأنه انشأها في هذا المقدار من الزمان مع قدرته على ان يخلقها في مقدار لمح البصر والوجه في ذلك انه سبحانه امداد ان يبين بذلك ان الامور جارية في التدبير على منهاج الحكمة منشأة على قرين لما في ذلك من المصلحة والمراد بقرنه ستة ايام ما مقداره مقدار ستة ايام لأنه لم يكن هناك ايام بعد فأن اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها (وكان عرشه على الماء) في هذا دلالة على ان العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض وكان الماء قائما بقدره الله تعالى على غير موضع قرار بل كان الله يمكها بكمال قدرته وفي ذلك اعظم الاعتبار لأهل الإنكار وقيل ان المراد بقوله عرشه بناؤه يدل عليه قوله وما يعرشون أي يبنون والمعنى وكان بناؤه على الماء فأن البناء على الماء ابداع واعجب عن امي مسلم (ليلوكم ايكم احسن عملا) معناه ان الله خلق الخلق ودبر الامور ليظهر احسان المحسن فإنه الغرض في ذلك اي ليعلمكم معاملة المتبلي المختبر لتلايتهم انه سبحانه يجازي العباد على حسب ما في مطومه انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وفي قوله احسن عملا دلالة على انه قديكون فعل حسن احسن من حسن آخر لأن حقيقة لفظه افضل يقتضي ذلك (واثن قلت) يا محمد لهم (انكم مبعوثون من بعد الموت) للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين) أي ليس هذا القول إلا توجيه ظاهر لا حقيقة له ومن قرأ سحر فالمراد ليس هذا يبنون النبي ﷺ الا ساحر قال الجبائي وفي الآية دلالة على انه كان قبل خلق السموات والأرض الملائكة لأن خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه الا ان يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد اذا من حي مكلف وقال علي بن عيسى لا يستع ان يكون في الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين فلا يجب ما قاله الجبائي وهو الذي اختاره المرتضى قدس الله روحه (ولئن اخبرنا عنهم العذاب الى امة ممدودة) معناه ولئن اخبرنا من هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال الى اجل مسمى ووقت معلوم والامة الذين كما قال سبحانه وادكر بعد امة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقيل الى امة اي الى جماعة يتعاقبون فيصرون على الكفر ولا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقوم نوح عن علي بن عيسى وقيل معناه الى امة بعد هؤلاء فكلفهم فيصون فقتضي الحكمة اهلاكم واقامة القيامة عن الجبائي وقيل ان الامة الممدودة هم اصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ثلثائة وبضعة عشر رجلا كلمة اهل بدر يسمعون في ساعة واحدة كما يجتمع قزح الشريف وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهم السلام (ليقولن) على وجه الاستهزاء (ما يجسه) اي أي شيء يؤخر هذا العذاب عنا ان كان حقا (الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) اي ان هذا العذاب الذي يستبطونه اذا نزل بهم في الوقت المقدر لا يقدر احد على صرفه عنهم إذا اراد الله ان يأتيهم به ولا يتمكن من

إذ هابه عنهم إذا أراد الله أن يأتيهم به (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي ونزل بهم الذي كانوا يسخرون به من نزول العذاب ويحققونه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها أنه لما قال سبحانه يعلم ما يسرون وما يعلنون قال عقيه وكيف يخفى على الله سره هو لا. وهو يرزقهم وإذا وصل إلى كل واحد رزقه ولم ينسه فليعلم أنه يعلم سره وقوله ويعلم مستقرها ومستودعها يدل على ما ذكرنا ثم زاده بيانا بقوله وهو الذي خلق السماوات الآية فإن أصل الخلق التقدير الذي لا يختل بالنقصان والزيادة وذلك لا يتم إلا من العالم لذاته

قوله تعالى (٩) وَلَئِن أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ (١٠) وَلَئِن أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مِّسْتَهٍ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١١) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (ثلاث آيات)

﴿ اللمة ﴾

الذوق تناول الشيء بالفهم لا إدراك الطعم وسمى الله سبحانه أحلال اللذات بالإنسان اذاعة لسرعة زوالها تشبها بما يذاق ثم يزول كما قيل «أحلام نوم أو كظلم زائل» والنزع قلع الشيء عن مكانه واليوس فعل من يش والياس القطع بأن الشيء المتوقع لا يكون ونقيضه الرجاء، والنعماء انعام يظهر أثره على صاحبه والضراء مضرة تظهر الحال بها لأنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة مثل حمراء وهيناء مع ما فيها من المبالغة والفرح والسرور من النظائر وهو انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم والصحيح ان الغم والسرور من جنس الاعتقادات وليسا بجنسين من الاعراض ومن الناس من قال انها جنسان والفخور الذي يكتر فخره وهو التطاول بتعديد المناقب وهي صفة ذم اذا اطلقت لما فيها من التكبر على من لا يجوز ان يتكبر عليه

«الاعراب» -

اللام في لئن لتوطية القسم وليست للقسم والتقدير والله لئن اذقنا الإنسان منا رحمة انه ليوس فإنه جواب القسم الذي هيأته اللام الا انه مغمى عن جواب الشرط وواقع موقعه ومثله قول الشاعر
لئن عادلي صبد العزير بمثلها
وأمكنني منها إذا لا أقبلها
أي والله لا أقبلها ولو كانت جواب ان لكان لا أقبلها الذين صبروا في موضع نصب على الاستثناء من الإنسان لأنه اسم الجنس فهو كقوله ان الإنسان لفي خسرة الا الذين آمنوا وقال الزجاج والأخشى انه استثناء ليس من الأول والمضى لكن الذين صبروا والأول قول الفراء

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه حال الإنسان فيما قابل به نعمه من الكفر فقال (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة) أي أحلنا به نعمه من الصحة والكفاية والسعة من المال والولد وغير ذلك من نعم الدنيا (ثم نزعناها منه) أي سلبنا تلك النعمة عنه إذا رأينا المصلحة فيه (انه ليوس) أي قنوط وهو الذي سنته وعادته اليأس (كفور) وهو الذي عادته كفران النعمة ومعنى الآية مصروف إلى الكفار الذين هذه صفتهم لجهلهم بالصانع الحكيم الذي لا يطغي ولا يمنع الا لما تقتضيه الحكمة من وجوب المصالح (ولئن أذقناه) أي أحلنا به واعطيناه (نعماء بعد ضراء مسته) أي بمدبلا. أصابته (ليقولن) عند نزول النعماء به (ذهب السيئات عني) أي ذهبت الحصال التي تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه منه وهو ما هنا بمعنى الشدائد والآلام والأمراض عني فلا تعود الي ولا يودى شكر الله عليها

(انه لفرح فخور) يفرح به ويفخر به على الناس فلا يصبر في المحنة ولا يشكر عند النعمة (الا الذين صبروا)
معناه الا الذين قابلوا الشدة بالصبر والنعمة بالشكر (وصلوا الصالحات) أي واطبوا على الاعمال الصالحة (او لتك
لهم مغفرة ولجر كبير) وهو الجنة

قوله تعالى (١٢) فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكَ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا
أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزًا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٣) أَمْ يَقُولُونَ
أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَعْظَمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
(١٤) فَإِلْمٌ بِسْتَجِبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَإِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
(ثلاث آيات)

❖ اللفظة ❖

ضائق وضيق بمعنى واحد إلا ان ضائق ههنا أحسن لوجهين ❖ احدهما ❖ انه عارض ❖ والآخر ❖ انه
اشكل بقوله تارك والكنز المال المدفون سمي بذلك لاجتماعه وكل مجتمع من لحم وغيره مكنته وصار في الشرع
اسم ذم لكل مال لا يخرج منه حق الله تعالى من الزكاة وغيره وان لم يكن مدفونا واقتري واخترق واخترق
وخلق وحرص وخرق إذا كذب والاستجابة في الآية طلب الإجابة بالقصد إلى فعلها ويقال استجاب واجاب
بمعنى واحد والفرق بين الإجابة والطاعة ان الطاعة موافقة الإرادة الجاذبة إلى الفعل برغبة او رهبة والإجابة موافقة
الداعي إلى الفعل من اجل انه دعا به

(- الاعراب -)

ان يقولوا في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة ان يقولوا فحذف المضاف وقيل ان يقولوا في
موضع جر بدلا من الهاء في قوله ضائق به صدرك ام يقولون اقتراء ام هذه منقطعة ليست بالمعادلة وتقديره بل
يقولون اقتراء وهو تقرير بصورة الاستفهام

❖ النزول ❖

روي عن ابن عباس ان رؤساء مكة من قريش اتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ان كنت رسولا
فحول لنا جبال مكة ذهباً أو اثنتا بملائة يشهدون لك بالنبوة فأنزل الله تعالى فلعلك تارك الآ يا قوروي المياشي
باسناده عن ابي عبد الله (ع) ان رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام ابي سألت ربي ان يواخي بيني وبينك
ففعل وسألت ربي ان يجعلك وصيي ففعل فقال بعض القوم والله لصاح من تمر في شنب بال احب الينا مما سألت
محمد ربه فهلاً سأله ملكاً بعضه على عدوه او كنزاً يستعين به على فاقته فنزلت الآية

(- المعنى -)

ثم امر سبحانه رسوله بالثبات على الأمر وحسنه على حجاج القوم بما يقطع المنذر فقال (فلعلك تارك بعض
ما يوحي إليك) أي ولعلك تارك بعض القرآن وهو ما فيه سب آهنتهم ولا تبلفهم إياه دفعا لشركهم وخوفا منهم
(وضائق به صدرك) أي ولعلك بضيق صدرك بما يقولونه وما يلحقك من اذاهم وتكذيبهم وقيل باقتراحاتهم
(ان يقولوا) أي كراهة ان يقولوا أو مضافة ان يقولوا (لولا انزل عليه كنز) من المال (أو جاء معه ملك)
يشهد له فليس قوله فلعلك على وجه الشك بل المراد به النهي عن ترك اداء الرسالة والحث على اداها كما يقول
احدنا لغيره وقد علم من حاله انه بطيحه ولا يصحبه ويدعوه غيره إلى عصيانه لعلك تترك بعض ما أمرك به لقول

فلان وإنما يقول ذلك ليؤس من يدعو إلى ترك أمره فمناه لا تترك بعض ما يوحى اليك ولا يضق صدرك بسبب مقالاتهم هذه (إنما أنت نذير) أي منذر (والله على كل شيء وكيل) أي حفيظ يجلب النفع إليه ويدفع الضرر عنه (أم يقولون اقترأه) مناه بل يقولون اختلق القرآن واخترعه واتى به من عند نفسه وقيل ان ههنا محذوقاً وتقديره أيكذبونك فيما أتيتهم به من القرآن أم يقولون اقتربته على ربك وحذف لدلالة ما اقبل على ما التقي وعلى هذا فيكون أم هذه هي متصلة (قل) يا محمد لم (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) أي ان كان هذا مفترى على الله كما زعمتم فاتوا أنتم بعشر سور مثله في النظم والفصاحة مفتريات على زعمكم فإن القرآن نزل بلفتكم وقد نشأت أنا بين أظهركم فإن لم يمكنكم ذلك فاعلموا انه من عند الله تعالى وهذا صريح في التحدي وفيه دلالة على جهة اعجاز القرآن وانها هي البلاغة والفصاحة في هذا النظم المخصوص لأنه لو كان جهة الاعجاز غير ذلك لما قنع في المعارضة بالاقترأه والاختلاق لأن البلاغة ثلاث طبقات فأعلى طبقاتها معجز وأدناها وأوسطها يمكن للتحدي في الآية وإنما وقع في الطبقة العليا منها ولو كان وجه الاعجاز الصرفة لكان الركيك من الكلام أبلغ في باب الاعجاز والمثل المذكور في الآية لا يجوز ان يكون المراد به مثله في الجنس لأن مثله في الجنس يكون حكايته فلا يقع بها التحدي وإنما يرجع ذلك إلى ما هو متعارف بين العرب في تحدي بعضهم بعضاً كما اشتهر من مناقضات امرئ القيس وعلقمة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وجرير والفرزدق وغيرهم وقوله (وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) مناه ادعوهم ليعينوكم على معارضة القرآن إن كنتم صادقين في قولكم إنني اقتربته ويريد بقوله من استطعتم من خالف نبياً محمداً ﷺ من جميع الأمم وهذا غاية ما يمكن في التحدي والمعاينة وفيه الدلالة الواضحة على اعجاز القرآن لأنه إذا ثبت ان النبي ﷺ قد اهداهم بالتهدى بالقتل والأمر بعد ان عاب دينهم وأهنتهم وثبت انهم كانوا احرص الناس على ابطال أمره حتى بذلوا مهجهم وأموالهم في ذلك فإذا قيل لهم اقترأوا انتم مثل هذا القرآن وادحضوا حجته وذلك ايسر وأهون عليكم من كل ما تكلفتموه فمدلوا عن ذلك وصاروا إلى الحرب والقتل وتكلف الأمور الشاقة فذلك من ادل الدلائل على عجزهم إذ لو قدروا على معارضته مع سهولة ذلك عليهم لفظوه لأن العاقل لا يعدل عن الأمر السهل إلى الصعب الشاق مع حصول الفرض بكل واحد منها فكيف لو بلغوا غلبة أمانيتهم في الأمر الشاق وهو قتله ﷺ لكان لا يحصل غرضهم من ابطال أمره فإن المحقق قد يقتل فإن قيل لم ذكر التحدي مرة بعشر سور ومرة بسورة ومرة بمحدث مثله فالجواب ان التحدي إنما يقع بما يظهر فيه الاعجاز من منظوم الكلام فيجوز ان يتحدى مرة بالأقل ومرة بالأكثر (فإن لم يستجيبوا لكم) قيل انه خطاب للمسلمين والمراد فإن لم يجيبكم هؤلاء الكفار إلى الايمان بعشر سور مثله معارضة لهذا القرآن (فاعلموا) أيها المسلمون (انما انزل) القرآن (يعلم الله) عن مجاهد واختاره الجبائي وقيل هو خطاب للكفار وتقديره فإن لم يستجب لكم من تدعونهم إلى المعاونة ولم يتبها لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة وقيل ان الخطاب للرسول ﷺ أي فإن لم يجيبوك وذكره بلفظ الجمع تفخيماً والنرض التنبيه على اعجاز القرآن وانه المنزل من عند الله سبحانه على نبيه ﷺ وذكر في قوله يعلم الله وجوه ﷺ احدها * ان معناه ان الله عالم به وبأنه حق منزل من عنده ﷺ وثانيها * ان معناه يعلم الله مواقع تأليفه في علو طبقتيه وانه لا يقدر احد على معارضته ﷺ وثالثها * انه انزله الله على علم بترتيبه ونظمه ولا يعلم غيره ذلك (وان لا إله الا هو) أي واعلموا انه لا إله الا هو لأن مثل هذا المعجز لا يقدر عليه الا الله الواحد الذي لا إله الا هو (فهل انتم مسلمون) أي هل انتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام الله مستسلمون منقادون له معتقدون لتوحيده وهذا استفهام في معنى الأمر مثل قوله فهل انتم منتهون

قوله تعالى (١٥) من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها

لَا يُخْصُونَ (١٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آيات)

❖ القراءة ❖

روي في الشواذ قراءة الجوابين مسعود وابطلا ما كانوا يعملون

-(الحجة)-

الوجه فيه ان يكون باطلا منصوبا يعلمون وما مزيدة للتوكيد فكأنه قال وابطلا كانوا يعملون ومثله قوله
أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون

-(اللفظة)-

الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلينة أو هيئة يقال زانه يزبئه زينة وزبئته يزبئته تزبئته والتوفية تأدية
الحق على تمام والبخس نقصان الحق وكل ظالم باخس لأنه يظلم غيره بنقصان حقه وفي المثل «تخسبها حمقاء وهي باخس»

❖ الإعراب ❖

قال الفراء كان هذه هنا زائدة وتقديره من يرد الحياة الدنيا وقال غيره معناه ان يصح انه كان كقوله سبحانه
ان كان قميصه قد من دبر ولا يجوز مثل ذلك في غير كان لأنها أم الأفعال قال ابو علي الشرط والجزاء لا يقمان
إلا فيما يستقبل فحرف الجزاء يحيل معنى الماضي إلى الاستقبال لا محالة ولو جاز وقوع الماضي بعدها على معناها
لما جازمت ألا ترى ان لو لم تجزم وان كان فيها معنى الشرط والجزاء لوقوع الماضي بعدها على بابه نحو لو جئتني
أمس لا كرمثك

❖ المعنى ❖

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أي زهرتها وحسن بهجتها ولا يريد الآخرة (نوف اليهم اعمالهم
فيها) أي نوفر عليهم جزاء اعمالهم في الدنيا تاماً (وم فيها لا يبخسون) أي لا ينقصون شيئاً منه واختلف في
معناه فقيل ان المراد به المشركون الذين لا يصدقون بالبعث يعملون أعمال البر كصلة الرحم واعطاء السائل
والكف عن الظلم واغاثة المظلوم والأعمال التي يحسنها العقل كبناء القناطير ونحوه فإن الله يعجل لهم جزاء
اعمالهم في الدنيا بتوسيع الرزق وصحة البدن والامتاع بما خوئهم وصرف المكافاة عنهم عن الضحك وفتادة وابن
عباس ويقال ان من مات منهم على كفره قبل استيفاء العوض وضع الله عنه في الآخرة من العذاب بقدره فأما ثواب
الآخرة فلا حظ لهم فيه وقيل المراد به المنافقون الذين كانوا يفترون مع النبي ﷺ للنعمة دون نصرة الدين
وثواب الآخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بأن جعل لهم نصيباً في النعمة عن الجبائي وقيل ان المراد به أهل الريا
فإن من عمل عملاً من أعمال الخير يريد به الرياء لم يكن لعمله ثواب في الآخرة ومثله قوله تعالى ومن كان يريد
حرف الدنيا نوتته منها وما له في الآخرة من نصيب وفي الحديث ان النبي ﷺ قال بئروا امتي بالسنة والتمسكين
في الأرض ومن عمل منهم عملاً للدنيا لم يكن له نصيب في الآخرة (أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار)
ظاهر المراد (وحبط ما صنعوا فيها) فلا يستحقون عليه ثواباً لأنهم أوقفوه على خلاف الوجه المأمور بإيقاعه عليه
(وباطل ما كانوا يعملون) أي بطل اعمالهم التي عملوها لغير الله تعالى وهذا يحق ما ذهبنا إليه من ان الإحباط
عبارة عن ابطال ثمن العمل بأن يقع على غير الوجه الذي يستحق به الثواب وذكر الحسن في تفسيره ان
رجلا من اصحاب النبي ﷺ خرج من عند اهله فإذا جارية عليها ثياب وهيئة فجلس عندها فقامت فأهوى
بيده إلى عارضها فمضت فأنتبها بصره ومضى خلفها فلقية حائط فخدش وجهه فلم انه اصيب يذنبه فأقرب رسول الله

فذكر له ذلك فقال أنت رجل عجّل الله عقوبة ذنبي في الدنيا إن الله تعالى إذا أراد بعبده شرّاً أمسك عنه عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وإذا أراد به خيراً أمسك عنه عقوبة ذنبه في الدنيا

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية بما قبلها أنه سبحانه لما قال فهل أنتم مسلمون فكان قائلاً قال إن أظهرنا الإسلام لسلامة المال والنفس يكون ماذا فقال من أراد الدنيا دون الآخرة سواء أَرادها باظهار الإسلام أو أَرادها بسائر المساعي فسيبيله هذا

قوله تعالى (١٧) أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ لَيْتِكَ بَعْضُ مَنْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٢٠) أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ (ست آيات)

﴿ اللفظة ﴾

البينة الحجة الفاصلة بين الحق والباطل والعرض اظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت الكتاب على فلان وعرضت الجند ومعنى العرض على الله انهم يقفون في المقام الذي يريه الباطل للمطالبة بالاعمال فهو كالعرض عليه سبحانه والاشهاد جمع شاهد فهو كصاحب واصحاب وقيل جمع شهيد كشريف واشراف والموج العدول عن طريق الصواب يقال في الدين عوج بالكسر وفي المصاه عوج بالفتح فرقا بين ما يرى وما لا يرى فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب أعني الفتح والكسر والاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه إيقاعه وحقيقة الاستطاعة القوة التي تنطاع بها الجارحة للفعل ولذلك لا يقال في الله تعالى انه مستطيع واصل الجرم القطع ولا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذا إلا انه أكثر حتى صار كالمثل وهو قول الشاعر

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمَتْ فِزَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضِبُوا

أي قطعتم إلى الغضب فرواية الفراء في فزارة النصب والمعنى كسبتهم ان يغضبوا وروى غيره برفعها بمعنى ان الفعل لما

(الاعراب) =

من كان على بينة من ربه خبره محذوف وتقديره أفمن كان على بينة من ربه وعلى الاوصاف التي ذكرتها كن لا بينة له ومثله حذف جواب لو في قوله

وَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُكَ
مِوَالِكُ لَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا (١)

وكتاب موسى عطف على قوله وبتلوه شاهد منه أي وكان يتلوه كتاب موسى من قبله ونصب اماماً ورحمة على الحال لأن كتاب موسى معرفة وقوله وهم بالآخرة هم كافرون كرر قوله هم مرتين كما قال ابيدكم انكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون كرر انكم مرتين ووجهه انه لما طال الكلام كرر مرة أخرى للتوكيد، لا جرم قال سيويه جرم فعل ماض ولا رد لقولهم كقوله وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار قال لا اي ليس لهم الجنة ثم قال جرم اي كسبهم قولهم ان لهم الحسنى ان لهم النار، وقيل جرم بمعنى وجب اي وجب ان لهم النار

المعنى

(أفمن كان على بينة من ربه) استفهام يراد به التقدير وتقديره هل الذي كان على يوهان وحجة من الله والمراد بالبينه هنا القرآن والمعنى بقوله أفمن كان على بينة النبي ﷺ وقيل المعنى به كل محق يدين بحجة وبينه لأن من يتناول العقلاء وقيل هم المؤمنون من أصحاب محمد ﷺ عن الجبائي (وبتلوه شاهد منه) أي وبتبعه من يشهد بصحته منه واختلف في معناه فقيل الشاهد جبرائيل (ع) يتلو القرآن على النبي ﷺ من الله تعالى عن ابن عباس ومجاهد والزجاج وقيل شاهد من الله تعالى محمد ﷺ وروي ذلك عن الحسين بن علي عليها السلام وابن زيد واختاره الجبائي وقيل شاهد منه لسانه أي يتلو القرآن بلسانه عن محمد بن علي اعني ابن الحنفية والحسن وقتادة وقيل الشاهد منه علي بن ابي طالب عليه السلام يشهد للنبي ﷺ وهو منه وهو المروي عن ابي جعفر وعلي بن موسى الرضا عليها السلام ورواه الطبري باسناده عن جابر بن عبد الله عن علي عليه السلام وقيل الشاهد ملك يحفظه ويسدده عن مجاهد وقيل بينة من ربه حجة من عقله واطراف البينة اليه تعالى لأنه ينصب الأدلة العقلية والشرعية وبتلوه شاهد منه يشهد بصحته وهو القرآن عن ابي مسلم (ومن قبله) أي ومن قبل القرآن لأنه مدلول عليه فيما تقدم من الكلام وقيل معناه ومن قبل محمد ﷺ (كتاب موسى) يتلوه ايضاً في التصديق لأن النبي ﷺ بشر به موسى في التوراة (اماماً) يؤتم به في أمور الدين (ورحمة) اي ونعمة من الله تعالى على عباده وقيل معناه ذا رحمة أي سبب الرحمة لمن آمن به (أولئك يؤمنون به) معناه أولئك الذين هم على بينة من ربهم يؤمنون بالقرآن وقيل بمحمد ﷺ وتقدير الآية أفمن كان على بينة من ربه وبصيرة كمن ليس على بينة ولا بصيرة الا أنه اختصر وقيل تقديره أفمن كان على بينة من ربه وبتلوه شاهد منه على صدقه ويتقدمه شاهد فأمن بهذا كله كمن أراد الحياة الدنيا وزينتها ولم يؤمن ثم أخبر عنه فقال أولئك يؤمنون به وقوله (ومن يكفر به من الأحزاب فالتار موعده) معناه ومن يكفر بالقرآن او بمحمد ﷺ من مشركي العرب وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالتار موعده ومصيره ومستقره وفي الحديث ان النبي ﷺ قال لا يسمع بي أحد من الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي الا كان من اصحاب النار (فلا تكف في مربة) أي في شك (منه) الخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين وقيل ان تقديره لا تكف أيها الانسان او أيها السامع في مربة من ربك أي من أمره وإزاله (إنه الحق من ربك) الهاء راجع إلى القرآن وقيل إلى محمد ﷺ وقيل معناه ان الخبر الذي أخبرتك به حق من عند الله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بصحته وصدقته لجهلهم بالله تعالى وجحدهم لنبوته ﷺ (ومن اظلم ممن اقترى على الله كذباً) أي لا أحد اظلم منه إلا انه خرج مخرج الاستفهام ليكون ابلغ (أولئك يعرضون على ربهم) يوم القيامة أي يوقفون موقفاً يراهم الخلاق للمطالبة بما عملوا ويسألون عن اعمالهم ويجازون عليها (ويقول الأَشهاد) يعني الملائكة يشهدون على الباطل وهم الحفظة عن مجاهد وقيل هم الأنبياء عن الضحاك وقيل هم شهداء كل عصر من أئمة المؤمنين (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) أي كذبوا على رسل ربهم وأضافوا إلى الله ما لم ينزله (ألا لعنة الله على الظالمين) هذا ابتداء خطاب من الله تعالى وقيل هو من كلام الأَشهاد ومعناه ألا لعنة الله على الذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليها وغيرهم بإحلال

الآلام عليهم ولعنة الله ابعاده من رحمته ثم وصف سبحانه الظالمين الذين لعنهم فقال (الذين يصدون عن سبيل الله) اي يغفون الخلق ويصرفونهم عن دين الله وقد يكون ذلك بلقاء الشبهة اليهم وقد يكون ايضا بالترغيب والترهيب والاطماع والتهديد وغير ذلك وانما جاز تمكين الصادق عن سبيل الله من هذا الفساد لأنه مكلف بالامتناع منه وليس في منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد الى الصلاح فهو كشهوة القبيح الذي به يصح التكليف (ويغفونها عوجا) اي ويطلبون لسبيل الله زبعا عن الاستقامة وعدولا عن الصواب وقيل ان بغيتهم العوج هي زيادتهم وتقصانهم في الكتاب ليتغير الأدلة ولا يستقيم صفة النبي ﷺ كما كان يفعلها اليهود وقيل هي ايرادهم الشبه وكتمانهم المراد وتحريفهم التأويل (وم بالآخرة) أي بالقيامة والبعث والنشور والثواب والعقاب (م كافرون) أي جاحدون غير مقرين (أو لك لم يكونوا معجزين في الأرض) أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله وانهم الذين يصدون عن سبيل الله بأنهم لم يكونوا فائتين في الأرض هربا فيها من الله تعالى إذا أراد اهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو قد جدد في طلبه وإنما خص الأرض بالذكر وان كانوا لا يفوتون الله ولا يخرجون عن قبضته على كل حال لأن معاقل الأرض هي التي يهرب اليها البشر ويمتصمون بها عند المخاوف فكأنه سبحانه نفى ان يكون هؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه (وما كان لهم من دون الله من أولياء) معناه انه ليس لهم من ولي ولا ناصر ينصرونهم ويحمونهم من الله سبحانه مما يريد ايقاعه بهم في الدنيا من المكارة وفي الآخرة من انواع العذاب (يضاعف لهم العذاب) قيل في معنى وجوه * احدها * انه لا يقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون عليه وعلى سائر المعاصي كما قال في موضع آخر زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون * وثانيها * ان معناه انه كلما مضى ضرب من العذاب يعقبه ضرب آخر من العذاب مثله أو فوقه كذلك دائما مؤبدا وكل ذلك على قدر الاستحقاق * وثالثها * انه يضاعف العذاب على رؤسائهم لكفرهم وظلمهم اتسهم ولدعائهم الاتباع اليه وهو عذاب الضلال وعذاب الصد عن الدين (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) فيه وجوه * احدها * يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون عنادا وذهابا عن الحق فاسقطت الباء عن الكلام كما في قول الشاعر

تُعَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نِيًّا وَبَدَّلَهُ إِذَا نَضَّجَ الْقُدُورَ (١)

أراد نعالي باللحم عن القراء والبلخي وهذا وجه رابع من معنى قوله يضاعف لهم العذاب * وثانيها * انه لا يستثقلهم استماع آيات الله وكراحتهم تذكرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع وان ابصارهم لم تفهمهم مع اعراضهم عن تدبير الآيات فكأنهم لم يبصروا وبما يجري هذا المجرى قول الاعشى

وَدِعْ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مَرَّجِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيَّهَا الرَّجُلُ

وقد علمنا ان الاعشى كان يقدر على الوداع وإنما تقي الطاقة عن نفسه من حيث الكراهية والاستئثار * وثالثها * انه انما عني بذلك آلتهم وأوثانهم وتقدير الكلام أو لك الكفار وآلتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب وقال مخبرا عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وروي ذلك عن ابن عباس وفيه أدنى بعد * ورابعها * ان ما هنا ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لا واصلتك ما لاح نجم والمعنى انهم معذبون ما داموا أحياء (أو لك الذين خسروا انفسهم) من حيث فتلوا ما استحقوا به العقاب فهلكوا فذلك خسرا انفسهم وخسرا النفس اعظم الخسرا لانهم ليس عنها عوض (وضل عنهم ما كانوا يفترون) مضى بيانه سرا (لاجرم) قال الزجاج لا تقي لما ظنوا انه ينفعهم كأن المعنى لا ينفعهم ذلك جرم (انهم في الآخرة هم الأخسرون) اي كسب ذلك الفعل لهم الخسرا وقال غيره معناه لا بد ولا محالة انهم وقيل معناه حقا ويستعمل في امر يقطع عليه ولا يرتاب فيه اي لا شك ان هؤلاء الكفار هم أخسر الناس في الآخرة

* النظم *

اتصلت الآية الأولى بقوله قل فاتوا بشر سور مثله والمراد انهم إذا لم يأتوا بذلك فقل لهم أفمن كان على
مينة كمن لا يكون معه مينة وقيل اتصلت بقوله من كان يريد الحياة الدنيا أي من كان مجتهداً في الدين كمن
كان همه الحياة الدنيا وزينتها ووجه اتصال الآية الثانية وهي قوله ومن اظلم ممن اقرى على الله كذباً انه سبحانه
أراد ان يبين حال العاقل والعاقل فكأنهم قالوا وما بضرنا ان لا نعرف ذلك فأجيبوا بأن من لا يعرف الله لا يأمن
ان يكذب على الله ومن اظلم ممن كذب على الله

قوله تعالى (٢٣) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (٢٤) **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** (آيات)

* اللمعة *

الإخبات للطمانينة وأصله الاستواء من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة فكان الإخبات خشوع مستمر على
استواء فيه والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الأول والمعنى عبارة عن فساد آلة الرؤية وليس بمعنى
يضاد الإبصار وكذلك الصمم عبارة عن فساد آلة السمع لأن الصحيح ان الإدراك ايضاً ليس بمعنى

« المعنى »

لما تقدم ذكر الكفار وما اعد الله لهم من العذاب عقبه سبحانه بذكر المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا)
أي صدقوا الله ورسوله واعتقدوا وحدانيته (وعملوا الصالحات) التي أمرهم الله تعالى بها ورغبهم فيها (واخبتوا
إلى ربهم) أي انابوا وتضرعوا اليه عن ابن عباس وقيل معناه اطمأنوا إلى ذكره عن مجاهد وقيل خضعوا له
وخشعوا اليه عن قتادة والكل متقارب وقيل ان معناه واخبتوا لربهم فوضع إلى موضع اللام كما قال سبحانه اوحى
لها بمعنى اوحى اليها وقال بنادي للاويان (أو لئلك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) ظاهر المعنى ثم ضرب سبحانه
مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أي مثل فريقين المسلمين
كالصم والبصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأن المؤمن ينتفع بحواسه لاستعماله إياها في الدين
والكافر لا ينتفع بها فصارت حواسه بمنزلة المعدوم وإنما دخل الواو ليبين ان حال الكافر كحال الأعمى على حدة
وكحال الأصم على حدة وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعاً (هل يستويان مثلاً) أي هل يستوي
حال الأعمى الأصم وحال البصير السميع عند عاقل فكما لا تستوي هاتان الحالتان عند العقلاء كذلك لا تستوي
حال الكافر والمؤمن (أفلا تذكرون) أي أفلا تتفكرون في ذلك فتعلموا صحة ما ذكرناه

قوله تعالى (٢٥) **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** (٢٦) **أَفَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا
اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الِئْتِمَارِ** (٢٧) **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ
إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن يُكْفِرُوا مِنَّا مَآثِرًا**
فَضْلًا بَلْ نَحْنُكُمْ كَاذِبِينَ (٢٨) **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتِنَا مِن دُونِ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً
مِّنْ عِندِهِ فَصَبَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا مَكُومًا وَأَنزَلْنَا كَارِهُونَ** (أربع آيات)

* القراءة *

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمة إني لكم بكسر الهمزة والباقون أني بفتحها وقرأ ابو عمرو ونصر عن الكسائي بادي الرأي بالهمزة وقرأ الباقون بادي الرأي بالياء غير مهموز وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر فعصيت بضم السين وتشديد الميم والباقون فعصيت بفتح العين مخففاً

- (الحجة) -

قال ابو علي من فتح آني فإنه يجعلها على أرسلنا أبي أرسلناه بأني لكم نذير مبين فإن قيل لو كان محمولاً عليه لكان انه لأن نوحاً اسم للعيبة قيل هذا لا يمتنع لأن الخطاب بعد النية في نحو هذا سائغ الا ترى قوله وكتبنا له في الألواح ثم قال فخذها بقوة ومن كسر فالوجه فيه انه حمله على القول المضمر لأنه مما قد اضر كثيراً في القرآن قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام اي يقولون سلام وقال الذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أي قالوا ما نعبدهم فإن قلت فهلا رجعت قراءة من قرأ ان على قراءة من كسر لأن قوله الا تعبدوا محمول على الإرسال وإذا فتحت ان كان اشكل بما بعدها لملها جميعاً على الإرسال يقال لك ان من كسر قال يجوز أن يكون قوله إني لكم وما بعده محمولاً على الاعتراض بين المفعول وما يتصل به مما بعده كما كان في قوله قل إن الهدى هدى الله اعتراضاً بينها في قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم فكذلك قوله إني لكم نذير مبين لأن التقدير ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه ان لا تعبدوا إلا الله واما قوله بادي الرأي فقد حكى ابو علي عن الجبائي انه قال يقال انت بادي الرأي يريد ظاهر الرأي لا بهمز بادي وبادي الرأي مهموز فمن لم يهزم اراد انت فيما بدا من الرأي اي انت ظاهر الرأي ومن همز اراد انت اول الرأي وببتهاء قال ابو علي المعنى فيمن قال بادي الرأي بلا همز فجعله من بدا الشيء إذا ظهر اي ما اتبعك إلا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي إن لم يتعقبوه ينظر فيه ولا يبين لهم ومن همز اراد اتبعوك في اول الأمر من غير ان يتبعوا الرأي بفكر وروية فيه وهاتان الكلمتان يتقاربان في المعنى لأن الهمزة في اللام معناه ابتداء الشيء واوله واللام إذا كانت واوا كان المعنى الظهور وابتداء الشيء يكون ظهوراً وان كان الظهور قد يكون ابتداء وغير ابتداء فلذلك يستعمل كل واحد مكان الآخر وجاز في اسم الفاعل ان يكون ظرفاً كما جاز في فميل نحو قريب وملي لأن فاعلاً وفضيلاً يتماقبان على المعنى نحو عالم وعليم وشاهد وشهيد وحسن ذلك اضافته الى الرأي وقد اجروا المصدر ايضاً في اضافته اليه في قولهم اما جهد رأي فإني منطلق فهذا لا يكون إلا ظرفاً وفعل إذا كان مصدرراً وفاعل قد يتفقان في اشياء وقد يجوز في قول من همز فقال بادي الرأي إذا خفف الهمز ان يقول بادي الرأي فيقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها فيكون كقولهم مير في جمع ميرة وذيب في جمع ذيبة والعامل في هذا الظرف هو قولك اتبعك التقدير ما اتبعك في اول رأيهم او فيما ظهر من رأيهم إلا ارادنا فأخر الظرف ووقع بعد إلا الظرف ولو كان بدل الظرف غيره لم يجوز ألا ترى انك لو قلت ما اعطيت احداً إلا زبداً درهماً فأوقعت بعد الاسمين لم يجوز لأن الفعل او معنى الفعل في الاستثناء يصل إلى ما انتصب به بتوسط الحرف ولا يصل الفعل بتوسط الحرف إلى اكثر من مفعول ألا ترى انك إذا قلت استوى الماء واخشية فنصبت الاخشية لم يجوز أن تتبعه اسماً آخر تنصبه فكذلك المستثنى إذا ألحقته الا ووقعت بعدها اسماً مفرداً لم يجوز أن تتبعه آخر ولو قلت ما ضرب القوم إلا بعضهم بعضاً لم يجوز وتصحيحها ما ضرب القوم احداً إلا بعضهم بعضاً تبدل الاسمين بعد إلا من الاسمين قبلها قال جامع العلوم البصير التحوي ان أبا علي حمل بادي الرأي هنا على انه ظرف لما قبله ثم رجع عن مثله في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً او من وراء حجاب فجعله على فعل آخر دل عليه بكلمه على تقدير او يكلمه الله من وراء حجاب قال والظرف في الآيتين عندنا محمول على الفعل قبل إلا لأن الظرف قد يكتفى

فيه برائحة الفعل انتهى كلامه واقول ان ما قاله فيه نظر لأن ابا علي قال في تلك الآية لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاماً تاماً فيما بعده وليس ما قبل إلا في هذه الآية كلاماً تاماً فإن قوله الذين هم اراذلنا فاعل لقوله اتبعك فلذلك فرق بين الموضعين رجع كلام ابي علي واما تحقيق الهمزة وتحققها في الرأي فأهل تحقيق الهمزة يخففونها وأهل التخفيف يبدلون منها الألف وكذلك ما اشبهه من نحو الباس والراس والفاص ومن قرأ فصيت بالتخفيف بقوي قوله اجتمعهم على التخفيف في قوله سبحانه فصيت عليهم الأبناء وهذه مثلها ويجوز في قوله فصيت أسران احد هما ان يكون عمومهما الآن والرحمة لاتعمي وإنما يعنى عنها فيكون كقولهم ادخلت القنطرة في رأسي ونحو ذلك مما يقلب إذا لم يكن فيه اشكال وفي التنزيل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله وقال الشاعر

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مَدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ
وَسَائِرُهُ بَادِيَ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ (١)
والآخر ان يكون بمعنى خفيت كقول الشاعر
وَمَهْمَهُ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ
أَعْمَى الْهَدَى بِالْحَائِرِينَ الْعَمَّةِ (٢)

اي خفي الهدى لأن الهدى ليس بذى جارحة تلحقها هذه الآفة ومن هذا يقال للسحاب الماء لا يخفاه ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن هنا قول الشاعر «وَأَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدِيْعِمِ» قال وقولهم اتاني صكّة عمي إذا أتى في المهاجرة وشدة الحر يمتل عندنا تأويلين * احدهما * ان يكون المصدر أضيف إلى العمى كما قالوا ضرب التلف أي الضرب الذي يحدث عنه التلف * والآخر * ان يكون عمي تصغير اعنى على وجه الترخيم واضيف المصدر إلى المفعول به كقولك من دعاء الخير والتقدير صكّة الحر الاعمى والمعنى ان الحر من شدته كأنه يعمي من أصابه والمصدر في الوجهين ظرف نحو مقدم الحاج وخفوق النجم ومن قرأ عميت اعتبر قراءة أبي والأعمش فعمما عليكم وإسناد الفعل إلى المفعول به في عميت قريب من عمى هنا في المعنى

* اللغة *

الردل الخسيس الحقير من كل شيء والجمع ارذل ثم يجمع على اراذل كقولك كلب واكلب واكالب ويجوز ان يكون جمع الارذل فيكون مثل اكابر جمع الاكبر والرأي الرؤبة من قوله يرونهم مثليهم رأي العين اي رؤبة العين والرأي ايضا ما يراه الانسان في الأمر وجمعه آراء

* الاعراب *

ان لا تبدوا إلا الله يحتمل ان يكون موضع تبدوا من الاعراب نصبا بأن ويحتمل أن يكون جزما بالتهي وقوله عذاب يوم اليم يجوز ان يكون تقديره يوم اليم عذابه فحذف المضاف الذي هو عذاب واقيم المضاف اليه الذي هو الضمير مقامه فاستكن في اليم ويجوز ان يكون وصف اليوم بالاليم لأن الالم فيه يقع ويجوز في غير القراءة أليما فيكون صفة لعذاب وقوله اتبعك وفاعله الذي هو الذين هم اراذلنا في موضع نصب بأنه مفعول ثان لتربك إن كان بمعنى نعلمك وفي موضع الحال إن كان من رؤبة العين وقوله انلزمكوها فيه ثلاث ضمائر ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب فجاءت على احسن ترتيب بدأ بالمتكلم لأنه أخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب ولو أتى بالمنفصل لجاز لتباعده من العامل بما فرق بينه وبينه فأشبه ما ضربت إلا إياك وما ضربني إلا أنت واجاز الفراء انلزمكوها بتسكين الميم جملة بمنزلة عضد وعضد وكبد وكبد ولا يجوز ذلك عند البصريين وإنما يجيزون ذلك في ضرورة الشعر كقول امرئ القيس

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ
إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَأَغِيلِ (٥)

(١) اي فدخل الثور رأسه في الظل فقلب في الكلام . (٢) قائلة رؤبة بن السجاج والمهمة : المفاضة لاماء فيها . (٣) قائله زهير في المعلقة وقوله «وأعلم علم اليوم و الامس قبله» (٤) وفي هذا المثل أقوال آخر ذكرها في اللسان في مادة «عمى» فراجع (٥) وفي ديوانه «فاليوم أسقىاه» .

وكقول الآخر

وَنَاعٍ يُخَيِّرُنَا بَيْنَكَ سَيِّدٍ تَقَطَّعَ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِ الْأَنْامِلُ

وقول الآخر «إذا أعوججن قلت صاحب قوم» يريد يا صاحب قوم

المعنى *

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب عقب ذلك سبحانه بذكر اخبار الأنبياء تأكيدياً لذلك وتخويفاً للقوم وتسلياً للنبي ﷺ وبدأ بقصة نوح «ع» فقال (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه اني لكم نذير مبين) وقدمت بيانه (أن لا تعبدوا إلا الله) اي انذركم ان لا تعبدوا إلا الله عن الزجاج يريد لأن توحيدوا الله وتتركوا عبادة غيره وبدأ بالدعاء إلى الإخلاص في العبادة وقيل انه دعاهم إلى التوحيد لأنه من أهم الأمور إذ لا يصح شيء من العبادات إلا بعد التوحيد (اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم) إنما قال اخاف مع ان عقاب الكفار مقطوع عليه لأنه لم يعلم ما يؤل إليه عاقبة امرهم من إيمان او كفر وهذا لطف في الاستدعاء واقرب إلى الإجابة في الغالب (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) اي من قوم نوح لنوح «ع» (ما نراك إلا بشراً مثلنا) ظناً منهم ان الرسول إنما يكون من غير جنس المرسل اليه ولم يعلموا ان البعثة من الجنس قد تكون أصلح ومن الشبهة أمد (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) اي لم يتبعك الملأ والاشراف والرؤساء منا وإنما اتبعك اخسأؤنا الذين لا مال لهم ولا جاه (بادي الرأي) اي في ظاهر الأمر والرأي لم يتديروا ما قلت ولم يتفكروا فيه وقال الزجاج معناه اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ومن قرأ بالهمز فالمعنى انهم اتبعوك ابتداء الرأي أي حين ابتدأوا بنظرون ولو فكروا لم يتبعوك وقيل معناه ان في مبتدأ وقوع الروية عليهم يعلم انهم اراذلنا واسفلتنا (وما نرى لكم علينا من فضل) اي وما نرى لك ولقومك علينا من فضل فإن الفضل إنما يكون في كثرة المال والمنزلة في الدنيا والشرف في النسب وإنما قالوا ذلك لأنهم جهلوا طريقة الاستدلال ولو استدلو بالمعجزات الدالة على نبوته لعلموا انه نبي وان من آمن به مؤمن ومن خالفه كافر وعرفوا حقيقة الفضل وهكذا عادة ارباب الدنيا يستحقرون ارباب الدين إذا كانوا فقراء ويستردلونهم وإن كانوا هم الاكرميين الأفضلين عند الله سبحانه (بل نظنكم كاذبين) هذا تمام الحكاية عن كفار قوم نوح قالوه لنوح ومن آمن به (قال) نوح لقومه (يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) اي على يرهان وحجة يشهد بصحة النبوة وهي المعجزة وقال ابن عباس على بينة اي على يقين وبصيرة ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته واختلف في قول نوح (ع) هذا انه جواب عما اذا قيل انه جواب عن قولهم بل نظنكم كاذبين فكأنه قال ان تظنوني كاذباً فما تقولون لو كنت على خلافه وعلى حجة من ربي وواضحة ألا تصدقوني وقيل بل هو جواب عن قولهم ما نراك إلا بشراً مثلنا اي وإن كنت بشراً فماذا تقولون إذا أتبعكم بحجة دالة على صدقي ألا تصدقوني وفيه بيان ان الرسالة إنما تظهر بالمعجزة فلا معنى لاعتبار البشرية وقيل هو جواب عن قولهم ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا فكأنه قال إنهم اعتصموا بالله وبما آتاهم من البينة والرحمة فنالوا بذلك الرفعة والفضل وانتم تنتم بالدنيا الدنية الفانية فأتم في الحقيقة الاراذل لا هم وقيل هو جواب عن قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فكأنه قال لا تتبعوا المال والجاه فإن الواجب اتباع الحجة والدلالة ويجوز ان يكون جواباً عن جميع ذلك (وآتاني رحمة من عنده) رد عليهم بهذا جميع ما ادعوه والرحمة والنعمة هي هنا النبوة اي واعطاني نبوة من عنده (فصميت عليكم) اي خفيت عليكم لقلة تدبركم فيها (أنلزمكموها وانتم لها كارهون) اي أتريدون مني ان اكرهكم على المعرفة وألجسكم اليها على كره منكم هذا غير مقدور لي والهاء كتابة عن الرحمة فيدخل فيها النبوة والدين وسائر النعم وقيل معناه انلزمكم قبولها فحذف المضاف ويجوز ان يكون الهاء كتابة عن البينة ويكون المراد ان علي أن ادلكم بالبينة وليس علي

ان اضطررتم الى معرفتها

قوله تعالى (٢٩) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٣٠) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣١) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (ثلاث آيات)

❖ اللفظة ❖

الطرد الإبعاد على جهة الهوان وتطارد الأقوال حمل بعضها على بعض والازدراء الاحتقار افتعال من الزرابة

يقال زريت عليه إذا عبته وازرت به إذا قصرت به قال الشاعر

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ خِرْقٌ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَيْحُ
وَلَمْ يَخْشَوْا مَقَالَتَهُ عَلَيْهِمْ وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ (١)

❖ المعنى ❖

ثم انكر نوح استنقالهم التكليف والعامل وإنما يستقل الأمر إذا ألزمتهم مؤنة ثقله فقطع هذا العذر بقوله (ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا) أي لا اطلب منكم على دعائكم إلى الله أجراً فتمتنعون من إجابتي خوفاً من اخذ المالك (إن أجري إلا على الله) أي ما ثوابي وما أجري في ذلك إلا على الله (وما أنا بطارد الذين آمنوا) أي لست اطرد المؤمنين من عندي ولا ابعدهم على وجه الإهانة وقيل انهم كانوا سألوهم طردهم ليؤمنوا له أمة من ان يكونوا معهم على سواء عن ابن جريج والزجاج (انهم ملأوا ربهم) وهذا يدل على انهم سألوهم طردهم فأعلمهم انه لا يطردهم لأنهم ملأوا ربهم فيجازي من ظلمهم وطردهم بجزائه من العذاب عن الزجاج وقيل معناه انهم ملأوا ثواب ربهم فكيف يكونون اراذل وكيف يجوز طردهم وهم لا يستحقون ذلك عن الجبائي (ولكني أراكم قوماً تجهلون) الحق واهله وقيل معناه تجهلون ان الناس إنما يتفاضلون بالدين لا بالدنيا وقيل تجهلون فيما تسألون من طرد المؤمنين (ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم) معناه من يمنعي من عذاب الله إن انا طردت المؤمنين فكانوا خصائي عند الله في الآخرة (أفلا تذكرون) أي أفلا تتفكرون فتعلمون ان الأمر على ما قلته وفرق علي بن عيسى بين التفكير والتذكر بأن التذكر طلب معنى قد كان حاضراً للنفس والتفكير طلب معرفة الشيء بالقلب وإن لم يكن حاضراً للنفس وليست النصرة المذكورة في الآية من الشفاعة في شيء لأن النصرة هي المنع على وجه المغالبة والقهر والشفاعة هي المسألة على وجه الخضوع فلا دلالة في الآية على نفي الشفاعة للمذنبين على ما قاله بعضهم (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) هذا تمام الحكاية عما قاله نوح لقومه ومعناه اني لا ارفع قصبي فوق قدرها فأدعي ان عندي مقدرات الله تعالى فأفعل ما أشاء وأعطي ما أشاء وأمنع من اشاء عن الجبائي وابي مسلم وقيل خزائن الله مفاتيح الله في الرزق وهذا جواب لقولهم ما نراك إلا بشراً مثلنا او قولهم وما نرى لكم علينا من فضل (ولا اعلم الغيب) أي ولا ادعي علم الغيب حتى أدلكم على منافعكم ومضاركم وقيل لا اعلم الغيب فأعلم ما تسرونه في نفوسكم فيكون جواباً لقولهم ان هؤلاء الذين آمنوا بك اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم أي فسبلي قبول ايمانهم الذي ظهر لي ولا يعلم ما يضمرونه إلا الله تعالى (ولا

(١) العرق - بالكسر - : الكريم السخي . والرغوة من اللبن : ماعليه من الزبد . يعني رأوا ظاهره القبيح وغفلوا

عن باطنه فاحتقروه .

اقول إني ملك) فأخبركم بخبر السماء من قبل نفسي وإنما أنا بشر لا أعلم الأشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا أقول إني روحاني غير مخلوق من ذكر وأنثى بل أنا بشر مثلكم خصني الله بالرسالة (ولا الهول للذين تردى أعينكم) أي لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين تستقلونهم وتستخفونهم وتحتقرم أعينكم لما ترون عليهم من زينة الفقراء (لن يؤتيم الله خيراً) أي لا يعطيهم الله في المستقبل خيراً على أعمالهم ولا يثيبهم عليها بل اعطاهم الله كل خير في الدنيا من التوفيق ويعطيهم كل خير في الآخرة من الثواب (الله أعلم بما في أقسام) أي بما في قلوبهم من الإخلاص وغيره (إني إذا لمن الظالمين) أن طردتم تكذيباً لظاهر إيمانهم أو قلت فيهم غير ما أعلم

قوله تعالى (٣٢) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٣) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٤) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٥) أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ قُلْ إِنْ أَقْرَبْتُهُ فَعَلَيَّْ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْرِمُونَ (أربع آيات)

✽ اللفظة ✽

الجدال والمجادلة المتعاقبة بما يفتل الخصم من مذهبه بحجة أو شبهة وهو من الجدل شدة القتال ويقال للصقر أجدل لأنه من أشد الجوارح والجدال والمرء بمعنى غير ان المرء مذموم لأنه محاصمة في الحق بعد ظهوره كرمي الضرع بعد دروره وليس كذلك الجدال والفرق بين الحجاج والجدال ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب والاعجاز هو القوت بالحرب والفرق بين اقتراء الكذب وقول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد الإنسان فيه لغيره وأما اقتراء الكذب فهو افتعاله من قبل نفسه واجرم وجرم بمعنى قال

طَرِيدٌ عَشِيرَةٌ وَرَهِينٌ ذَنْبٌ بِمَا جَرَمَتْ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي

✽ المعنى ✽

ثم حكى الله سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم فقال (قالوا يا نوح قد جادلتنا) أي خاصمتنا وحاججتنا (فأكثر جدالنا) أي زدت في مجادلتنا على مقدار الكفاية وفي بعض الروايات عن ابن عباس فأكثر جدلنا والمعنى واحد (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) في ان الله تعالى يعدنا على الكفر أي فلسنا نؤمن بك ولا تقبل منك (قال) نوح (إنما يأتيكم به الله ان شاء) أي لا يأتي بالعذاب إلا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه غيره فإن شاء عجل وان شاء أخر (وما أنتم بمعجزين) أي لا تفوتونه بالحرب (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم) ذكر في تأويله وجوه **احدهما** **﴿﴾** إن كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته بأن يجرمكم ثوابه ويماقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم وقد سمى الله سبحانه المقاب غيياً بقوله فسوف يلتون غيياً ويشهد بصحة ما قلناه قول الشاعر

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسَ أَمْرَهُ وَمَنْ يَفْوَ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لِأَمْرًا

ولما خيب الله سبحانه قوم نوح من رحمته وثوابه واعلم الله نوحاً (ع) بذلك في قوله لن يؤتيم الله خيراً من قومك الا من قد آمن قال لهم لا ينفعكم نصحي مع ايثاركم ما يوجب خيبكم والعذاب الذي جره اليكم قبيح افعالكم واذا طرأ شرط على شرط كان الثاني مقدماً على الاول في المعنى وان كان موخراً في اللفظ والتقدير ولا ينفعكم نصحي

ان كان الله يريد أن يغويكم ان اردت ان انصح لكم ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى ان كان الله يريد عقوبة اغوائكم اخلق واضلالكم اياهم اي يريد عقوبتكم على ذلك ومن عادة العرب أن تسمي العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه كما في قوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا والله يستهزئ بهم وقد مر فيما مضى امثال ذلك ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه ان كان الله يريد ان يهلككم فلا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتم قولي وآنتم لأن الله تعالى حكم بأن لا يقبل الايمان عند نزول العذاب عن الحسن وقد حكى عن العرب انهم قالوا اغويت فلانا بمعنى اهلكته ويقال غوي الفصيل اذا فسد من كثرة شرب اللبن ﴿ ورابعها ﴾ ان قوم نوح كانوا يعتقدون ان الله تعالى يضل عباده عن الدين وان ما هم عليه بارادة الله لولا ذلك لغيره واجبرهم على خلافه فقال لهم نوح على وجه التعجب من قولهم والانكار لذلك ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وهذا هو المحكي عن جعفر بن حرب وانما شرط النصح بالارادة في قوله ان اردت ان انصح لكم مع وقوع هذا النصح استظهاراً في الحججة عليهم لأنهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما قع من لا يقبله ولا يجوز ان يكون المراد بالاغواء في الآية فعل الكفر أو الدعاء الى الكفر والحمل عليه على ما يعتقده المجبرة لقيام الأدلة على ان خلق الكفر وادارته من اقباح القبائح كالأمر به وكما لم يجوز ان يأمر به فكذلك لا يجوز ان يفعله ويريده ولأنه لو جاز منه الاضلال لجاز منه ان يبعث من يدعو الى الضلال ويظهر المعجزات على يده وفي هذا ما فيه (هو ربكم واليه ترجعون) اي هو خالقكم ورازقكم والى حكمه وتدييره تصيرون فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افتراه) قيل انه يعني بذلك محمداً ﷺ والمراد أبو من كفار محمد ﷺ بما اخبرهم به محمد ﷺ من نيا قوم نوح (ع) ام يقولون افتراه محمد ﷺ من تلقاء نفسه (فقل) لهم يا محمد (ان افتريته) واختلقته كما تزعمون (فعلي اجرامي) اي عقوبة جرمي لا تؤخذون به (وانا بري مما تجرمون) اي لاؤخذ بجرمكم عن مقاتل وقيل يعني به نوحاً (ع) وانه يقول على الله الكذب عن ابن عباس

﴿ النظر ﴾

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها على القول الاول انها تتصل بقوله ام يقولون افتراه قل فأتوا بشر سورته

قوله تعالى (٣٦) وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٧) وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ (٣٨) وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٩) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (أربع آيات)

(اللفظة) -

الابتئاس حزن في استعانة وانشد ابو عبيدة

مَا يَتَّقِسُّ اللَّهُ أَقْبَلَ غَيْرِ مَبْتَسِّسٍ مِنْهُ وَأَقْعَدُ كَرِيماً نَاعِمَ الْبَالِ

وهو اتصال من البؤس وقد يكون البؤس بمعنى الفقر ايضاً والصنع جعل الشيء موجوداً بعد ان كان معدوماً ومثله الفعل وينفصلان من الحدوث من حيث ان الصنعة يقضي صناعاً والفعل يقضي فاعلاً من حيث اللفظ وليس كذلك الحدوث لأنه يفيد تجدد الوجود لا غير والصناعة الحرفة التي يكتسب بها والفلك السفينة ويكون واحداً

وجما والسخرية اظهر خلاف الايطان على وجه يفهم منه استضعاف العقل ومنه السخيرة التذليل يكون استضعافا بالقهر والفرق بين السخرية واللعب ان في السخرية خديمة واستنقاصا ولا يكون الا بحيوان وقد يكون اللعب بجماد والحلول النزول للمقام وهو من الحللّ خلاف الارتحال وحلول المرض وجوده في الجوهر من غير شغل حيزو المصحح للحلول التحيز

= الاعراب =

سوف ينقل الفعل من الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التسوييف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور من يأتيه قيل في من هذه قولان ﴿ احدثهما ﴾ أن يكون بمعنى اي فكأنه قال ابنا يأتيه عذاب يخزيه ﴿ والآخر ﴾ ان يكون بمعنى الذي والمعنى واحد ومن اذا كانت للاستعظام استغنت عن الصلة كما استغنت كيف وكم عن الصلة واذا كانت بمعنى الذي فلا بد لها من الصلة لأن البيان مطلوب من المسؤول دون السائل

﴿ المعنى ﴾

(واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اعلم الله سبحانه نوحا انه لن يؤمن به احد من قومه في المستقبل (فلا تبشش) اي لا تتشتم ولا تجزن (بما كانوا يفعلون) والعقل لا يدل على ان قوما لا يؤمنون في المستقبل وإنما طريق ذلك السمع فلما علم ان احدا منهم لا يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا أنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فلما اراد الله سبحانه اهلاكم امر نبيه باتخاذ السفينة له ولقومه فقال (واصنع الفلك) اي اعمل السفينة لتركبها انت ومن آمن بك (باعيننا) اي بمرأى منا عن ابن عباس والتأويل بحفظنا اياك حفظ الرائي لغيره اذا كان يدفع الضرر عنه وذكر العين لتأكيد الحفظ وقيل اراد بالأعين الملائكة الموكلين بك وبحضرتهم وهم ينظرون باعينهم اليك وإنما اضاف ذلك الى قسه اكراما وتعظيما لهم وقوله (ووحينا) معناه وعلى ما اوحينا اليك من صفتها وحالها عن ابي مسلم وقيل المراد بوحينا اليك ان اصنمها وذلك انه (ع) لم يعلم صنعة الفلك فعلمه الله تعالى عن ابن عباس اي فان اوحى اليك بما تحتاج اليه من طوله وعرضه وهياته (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفروقون) اي لا تسألني العفو عن هؤلاء الذين كفروا من قومك ولا تشفع لهم فانهم مفروقون عن قريب وهذا غاية في الوعيد كما يقول الملك لوزيره لا تذكر حديث فلان بين يدي وقيل انه عنى به امراته وابنه وانما نهاه عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب اليه وليصرف عنه مآثم الممالة للطفافة (وبصنع الفلك) اي وجعل نوح (ع) يصنع الفلك كما امره الله تعالى وقيل واخذ نوح في صنعة السفينة بيده فجعل ينحتها ويسويها واعرض عن قوله (وكلنا مر عليه ملا من قومه سخروا منه) اي كلما اجتاز به جماعة من اشراف قومه وروسائهم وهو يعمل السفينة هزوا من فعله وقيل انهم كانوا يقولون له يا نوح صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل إنما كانوا يسخرون من عمل السفينة لأنه كان يعملها في البر على صفة من الطول والعرض ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا ينضحون ويتعجبون من عمله (قال) أي كان يقول لهم (ان تسخروا منا فاننا نسخر منكم كما تسخرون) والمراد ان تستجهلونا في هذا الفعل فاننا نستجهلكم عند نزول العذاب بكم كما تستجهلونا عن الزواج وقيل معناه فاننا نجازيكم على سخريتكم عند الفرق والهلاك واراد به تعذيب الله اياهم فسمى الجزاء باسم المجزي به ويحتمل ان يريد فاننا نسخر منكم بعد الفرق على وجه الشامة لاعلى وجه السفه (فسوف تعلمون) اي انا اسحق بالسخرية او تعلمون عاقبة سخريتكم (من يأتيه عذاب يخزيه) هذا ابتداء كلام من نوح والاظهر أن يكون متصلا بما قبله اي فسوف تعلمون ابنا يأتيه عذاب بهينه وفضحه في الدنيا ويكون يخزيه صفة العذاب (ويجعل عليه عذاب مقيم)

اي وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة

* القصة *

قال الحسن كان طول السفينة الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقال قتادة كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلاثين ذراعا وياها في عرضها وقال ابن عباس كانت ثلاث طبقات طبقة للناس وطبقة للأنعام والدواب وطبقة للهوام والوحش وجعل أسفلها للوحش والسباع والهوام واوسطها للدواب والأنعام وركب هو ومن معه في الأعلى معما يحتاج اليه من الزاد وكانت من خشب الساج وروت عائشة عن النبي ﷺ انه قال مكث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى حتى اذا كان آخر زمانهم غرس شجرة فغطت وذهبت كل مذهب فقطعها وجعل يعمل على سفينته وقومه يمرّون عليه فيسألونه فيقول اعمل سفينة فيسخرّون منه ويقولون تعمل سفينة على البر فكيف تجري فيقول سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت ام صبي عليه وكانت تجبه جبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبته رفعت يديها حتى ذهب بها الماء فلورحم الله منهم احدا لرحم أم الصبي وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن صفوان عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لما اراد الله اهلاك قوم نوح عقم ارحام النساء اربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولما فرغ نوح من اتخاذ السفينة امره الله تعالى أن ينادي بالسريانية أن يجمع اليه جميع الحيوانات فلم يبق حيوان الا وقد حضر فادخل من كل جنس من اجناس الحيوان زوجين ما خلا الفأر والسنور وانهم لما شكوا اليه سرقين الدواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فمسح من انفه زوج فأرة فتناسل فلما كثروا وشكروا اليه منهم دعا بالأسد ومسح جبينه فمسح من انفه زوج سنور وكان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلا وفي حديث آخر انهم شكوا اليه العذرة فأمر الله الفيل فمسح من انفه زوج من الشيوخ ابو جعفر في كتاب النبوة باسناده عن حنان بن سدير عن ابي عبد الله (ع) قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر

قوله تعالى (٤٠) حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل (٤١) وقال أركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسها إن ربي لغفور رحيم (٤٢) وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني أركب معنا ولا تكن مع الكافرين (٤٣) قال ساوي إلى جبل يعصني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المفرقين (أربع آيات)

* القراءة *

قرأ حفص عن عاصم من كل زوجين منونا وفي المؤمنين كذلك وقرأ الباقون من كل زوجين مضافا وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر مجريها بفتح الميم والباقون بضم الميم وانفقوا على ضم الميم في مرسيا الاميري في الشواذ عن ابن محيصن انه فتح الميم فيها وقرأ عاصم يا بني اركب معنا بفتح اليا والباقون بالكسر وروى عن علي بن ابي طالب (ع) وابي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعروة بن الزبير ونادى نوح ابنه وروى

عن عكرمة ابنها وعن السدي ابناه وعن ابن عباس ابنه على الوقف
* الحجة *

الوجه في قراءة حفص ما قاله ابو الحسن ان الاثنين زوجان قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والمرأة
زوج الرجل والرجل زوجها قال وقد يقال للاثنين هما زوج قال لبيد

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يَطَّلُ عَصِيْبَةً زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا (١)

قال ابو علي من قرأ من كل زوجين كان قوله اثنين مفعول الحمل والمعنى احمل من الأزواج إذا كانت اثنتين اثنتين
زوجين فالزوجان في قوله من كل زوجين يراد بهما الشيعاء وليس يراد بهما الناقص عن الثلاثة ومثل ذلك قول الشاعر

فَاعْتَمِدْ لِمَا يَمْلُؤُ فَمَا لَكَ بِالَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأُمُورِ يَدَانِ

إنما يريد تشديد انتفاء قوته عنه وتكثيره ويبيّن هذا المعنى قول الفرزدق

وَكُلٌّ رَفِيقِي كُلِّ رَحْلٍ وَإِنْ هُمَا تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمًا هُمَا أَخَوَانِ (٢)

فرفيقان اثنان لا يكرونان رفيقي كل رحل وإنما يريد الرفقاء إذا كانوا رفيقين ومن نون فقال من كل زوجين
فحذف المضاف اليه من كل ونون فالمعنى من كل شيء ومن كل زوج زوجين اثنين فيكون انتصاب اثنين على انه
صفة لزوجين فإن قلت فالزوجان قد فهم انها اثنان فكيف جاز وصفها بقوله اثنين فإنما جاز ذلك للتأكيد
والتشديد كما قال لا تتخذوا إلهين اثنين وقد جاء في غير هذا من الصفات ما مصرفه إلى التأكيد كقولهم أمس
الديار ونفخة واحدة ونعجة واحدة قال ومناة الثالثة الأخرى قال ابو علي ويجوز في قوله بسم الله مجربها ومرساها
ان يكون حالاً من شيتين من الضمير الذي في قوله اركبوا ومن الضمير الذي في فيها فإن جعلت قوله بسم الله خبر
متداً مقدماً في قول من لم يرفع بالظرف او جعلت قوله مجربها مرتقفاً بالظرف لم يكن قوله بسم الله مجربها
إلا جملة في موضع الحال من الضمير الذي في فيها ولا يجوز أن يكون من الضمير الذي في قوله اركبوا لأنه
لا ذكر فيها يرجع إلى الضمير ألا ترى ان الظرف في قول من رفع بالظرف قد ارتفع به الظاهر وفي قول من رفع
في هذا النحو بالابتداء قد جعل في الظرف ضمير المبتدأ فإذا كان كذلك خلت الجملة من ذكر يعود إلى ذي الحال
من الحال وإذا خلا من ذلك لم يكن إلا حالاً من الضمير الذي في فيها ويجوز أن يكون بسم الله حالاً من الضمير
الذي في قوله اركبوا على أن لا يكون الظرف خبراً عن الاسم الذي هو مجربها على ما كان في الوجه الأول
ويكون حالاً من الضمير على حد قولك خرج بشيابه وركب في سلاحه والمعنى ركب مستعداً بسلاحه ومتلبساً
بشبابه وفي التنزيل وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به فكان المعنى اركبوا متبركين باسم الله ومتمسكين
بذكر اسم الله ويكون في باسم الله ذكر يعود إلى المأمورين فإن قلت فكيف يكون اتصال المصدر الذي هو مجربها
بالكلام على هذا فإنه يكون متملقاً بما في باسم الله من معنى الفعل وجاز تعلقه به لأنه يكون ظرفاً على نحو مقدم
الحاج وخفوق النجم كأنهم كانوا متبركين بهذا الاسم او متمسكين به في وقت الجري او الاجراء والرسو او الارساء
على حسب الخلاف بين القراء فيه ولا يكون الظرف متعلقاً بركبوا لأن المعنى ليس عليه الا ترى ان المعنى لا يراد
اركبوا فيها في وقت الجري والثبات إنما المعنى اركبوا الآن متبركين باسم الله في الوقتين اللذين لا ينفك الراكبون
فيها من الاجراء والارساء ليس يراد اركبوا وقت الجري والرسو فموضع مجربها نصب على هذا الوجه بأنه
ظرف عمل فيه المعنى وفي الوجه الأول رفع بالابتداء او بالظرف ويدل على انه في الوجه الأول رفع وإن كان
ذلك الفعل الذي كان يتعلق به لا يعتبر به الآن قول الشاعر أنشده الأصمعي

وَأَبِي أَنْتِ وَفَوْكِ الْأَسْنَبِ كَأَنَّ ذُرّاً عَلَيْهِ الزَّرْنَبُ (٣)

(١) حف الهودج وغيره بالثياب اذا غطى . والمعنى هيهنا عيدان الهودج . والزوج : النمط من الثياب . والكلة :
الستر الرقيق . والقوام : الستر . يعنى الهودج محفوظة بالثياب فعيدانها تحت ظلال ثيابها . (٢) الشعر في جامع
الشواهد . (٣) وفي اللسان «وابأبي نترك ذلك الاشب . اهـ» . والشنب : طيب نكهة الاسنان وقيل : البرد والمذوبة
في الفم . والزرنب : نبات طيب الرائحة .

وحجة من فتح مجريها قوله وهي تجري بهم ولو كان مجريها لكان وهي تجريهم وحجة من ضم أن جرت بهم وأجرتهم يتقاربان في المعنى يقال جرى الشيء وأجريته وجريت به وأما قوله يا بني فقد قال ابو علي الكسري في اليا. الوجه في يا بني وذلك ان اللام من ابن ياء او واو حذفت في ابن كما حذفت في اسم واثنين فإذا حقرت الحقت ياء التحقير فلزم ان ترد اللام الذي حذفت لأنك لو لم تردها لوجب أن تحرك بالتحقير بحركات الاعراب وتعاقبا عليها وهي لا تحرك ابدا بحركة الاعراب ولا غيرها ألا ترى ان من حذف الهزة الساكن ما قبلها في نحو الحب لم يفعل ذلك في الهمز نحو أقياس (١) إنما يبدل من الهزة ياء، ويدغم فيها ياء التحقير كما يفعل ذلك مع ياء خطية وواو مقرونة ونحو ذلك من حروف المد التي لا تتحرك فإذا تبينت ان ياء التحقير اجريت هذا المجري علمت انها لا تتحرك كما لا تتحرك حروف المد التي أجريت بالتحقير مجراها فلو لم ترد اللام مع ياء التحقير وجعلتها محذوفة في التحقير كما حذفتها في التكبير للزم اليا. التي للتحقير الانقلاب كما لزم سائر حروف الاعراب فيبطل دلالتها على التحقير كما ان الألف في التكسير لو حركتها لبطلت دلالتها على التكسير ولذلك رددت اللام فإذا رددت اللام وأضفتها إلى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات الأولى منها التي للتحقير والثانية لام الفعل والثالثة التي للاضافة تقول هذابني فإذا ناديت جاز فيها وجهان اثبات اليا. وحذفها فمن قال يا عبادي فأثبت بقياس قوله ان يقول بني ومن قال يا عباد قال يا بني فحذف اليا. التي للاضافة وأبقى الكسرة دالة عليها وهذا الوجه هو الجيد عندهم ومن قرأ يا بني بالفتح فالقول فيه انه أراد به الإضافة كما أرادها في قوله يا بني إذا كسر اليا. التي هي لام الفعل كأنه قال يا بني باتباء اليا. الاضافة ثم ابدل من الكسرة الفتحة ومن اليا. الألف فصار يا بني كما قال الشاعر « يا بنت عما لا تلومي واهجبي » ثم حذف الألف كما كان حذف اليا. في يا بني وقد حذفت اليا. التي للاضافة إذا أبدت الألف منها أنشد ابو الحسن

فَلَسْتُ بِمَدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي بَلْهَفَ وَلَا بَلَيْتَ وَلَا لَوَائِي

انما هو بلها قال ابو عثمان ووضع الألف مكان اليا. في الاضافة مطرد واجازيا زيدا اقبل إذا أردت الاضافة فقال وعلى هذا قراءة من قرأ يا أبت لم تصد ويا قوم لا أسألکم وانشدوه وهل جزع ان قلت وا ابتاهما واما من قرأ ونادى نوح ابنه فإنه أراد ابنها كما روي عن عكرمة والمنى ابن امرأته لأنه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه وأهلك فحذف الألف تخفيفا كما قلناه في بني بالفتح ويا أبت واما قراءة السدي ابنه فإنه يريد به التندبة وهو على الحكاية اي قال له يا ابنه ووا ابنه فأما ابنه بالسكون فطلى ما جاء في نحو قوله « وَمَطَوَائِي مَشْتَاقَان لَه أَرْقَان »

❖ اللغة ❖

الفر النليان واصله الارتفاع فار القدر يفور فوراً وفورراً وفورانا ارتقع ما فيه بالنليان ومنه قولهم فعل ذلك من فوره اي من قبل ان يسكن والارساء امسك السفينة بما تقف عليه يقال ارساها الله فرست قال عنتره

فَصَبَرْتُ نَفْسًا عِنْدَ ذَلِكَ حَرَّةً تَرَسُّوْا إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَّلَعُ

والموج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتقع عن جملة الماء الكثير والعصبة المنع

(ص) الاعراب)

حتى متعلقة بقوله واصنع الفلك بأعيننا. لا عاصم ركب عاصم مع لافني لأنها بالتركيب صارا كاسم واحد وقيل انه بني لتضمنه معنى من لأن هذا جواب هل من عاصم وحق الجواب ان يكون وفق السؤال فكان يجب ان يقول لا من عاصم إلا ان من حذفت وتضمن الكلام معناه فبني الاسم لذلك وهذا وجه حسن واليوم خبر والمامل فيه المعذوف لا قوله عاصم لأنه لو عمل فيه عاصم لصار من صلته فكان يجب تنوينه لأنه يشبه المضاف كما تقول لا ضاربا زيدا في دارك ولم يقرأ احد لا عاصم اليوم وقيل ان خبره قوله من امر الله والتقدير لا إذا عصبة

(١) تضيير فؤوس جمع فاس .

كائن من امر الله في اليوم واليوم معمول الظرف وان تقدم عليه كما جاز كل يوم لك ثوب ولا يجوز ان يتعلق اليوم بنفس امر لأن امر مصدر فلا يتقدم عليه ما في صلته ومن رحم فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ ان يكون استثناء منقطعاً لأن التقدير الا من رحمه الله فيكون من مفعولاً واستثناء من عاصم وعاصم فاعل فكأنه قال لكن من رحمه الله معصوم ﴿ وثانيها ﴾ ان يكون المعنى لا عاصم الا من رحمتنا فكأنه قال لا عاصم الا الله ﴿ والثالث ﴾ ان عاصم ههنا بمعنى معصوم وتقديره لا معصوم من امر الله إلا من رحمه الله وقد يأتي فاعل بمعنى مفعول كقوله في عيشة راضية اي مرضية وما وافق اي مدفوق وقال الخطيب

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبَغْيَتِهَا وَأَقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي (١)

اي المكسور وعلى القولين الآخرين يكون الاستثناء متصلاً وقال ابن كيسان لما قال لا عاصم كان معناه لا معصوم لأن في نفي العاصم نفي المعصوم ثم قال إلا من رحم فاستثناء على المعنى فيكون متصلاً
= (المعنى) =

ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم نوح فقال (حتى اذا جاء امرنا) والمعنى فذلك حاله وحالهم حتى اذا جاء قضاوتنا بنزول العذاب (وفار التنور) بالماء اي ارتفع الماء بشدة اندفاع وفي التنور اقوال ﴿ اولها ﴾ انه تنور الخابزة وانه تنور كان لا دم فار الماء منه علامة لنوح (ع) اذ نبع الماء من موضع غير معهود خروجه منه عن ابن عباس والحسن ومجاهد ثم اختلف في ذلك فقال قوم ان التنور كان في دار نوح (ع) بعين وردة من ارض الشام وقال قوم بل كان في ناحية الكوفة وهو المروي عن أنستنا (ع) وروي المفضل بن عمر عن ابي عبد الله (ع) في حديث طويل قال كان التنور في بيت عجز مؤمنة في دير قبله ميمنة مسجد الكوفة قال قلت فكيف كان بدخول الماء من ذلك التنور قال نعم ان الله احب ان يري قوم نوح آية ثم ان الله سبحانه ارسل عليهم المطر يفيض فيضاً وفاض الفرات فيضاً وفاضت الميرون كلها فيضاً ففرقهم الله وانجى نوحاً ومن معه في السفينة فقلت فكيف لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعة ايام بلياليها فقلت له ان مسجد الكوفة لتقديم فقال نعم هو مصلى الانبياء ولقد صلى فيه رسول الله ﷺ حين اسري به الى السماء قال له جبرائيل (ع) يا محمد هذا مسجد ابيك آدم ومصلى الانبياء فانزل فصل في فصل في فيه ثم ان جبرائيل (ع) عرج به الى السماء وفي رواية اخرى ان السفينة استقلت بها فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوماً بلياليها وروي ابو عبيدة الخذاء عن ابي جعفر (ع) قال مسجد كرفان وسطه روضة من رياض الجنة الصلاة فيه بسبعين صلاة صلى فيه الف نبي وسبعون نبياً فيه فار التنور وجرت السفينة وهو سرة بابل ومجمع الانبياء عليهم السلام ﴿ وثانيها ﴾ ان التنور وجه الارض عن ابن عباس والزهري وعكرمة واختاره الزجاج ويؤيده قوله وفجرنا الارض ميوناً ﴿ وثالثها ﴾ ان معنى قوله وفار التنور طلع الفجر وظهرت امارات دخول النهار وتقضي الليل من قولهم نور الصبح تنويراً وروي ذلك عن علي (ع) ﴿ ورابعها ﴾ ان التنور أعلى الارض وأشرفها والمعنى نبع الماء من الامكنة المرتفعة فشبهت بالتناير لعلوها عن قتادة ﴿ وخامسها ﴾ ان فار التنور معناه اشتد غضب الله عليهم ووقعت نقتهم بهم كما تقول العرب حمي الوطيس اذا اشتد الحرب وفار قدر القوم اذا اشتد حربهم قال الشاعر

تَفَوَّرَ عَلَيْنَا قَدْرَهُمْ فَذَنبُهُمْ وَنَفَثْنَا هَا عَنَّا إِذَا حَمَيْهَا غَلًّا (٢)

يريد بالقدر الحرب ونذيمها نسكنها وهذا أبعد الاقوال من الاثر وحمل الكلام على الحقيقة التي تشهد بها الرواية اولى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) اي قلنا لنوح (ع) لما فار الماء من التنور احمل في السفينة من كل جنس من الحيوان زوجين اي ذكر وانثى وقد ذكرنا المعنى في حجة القراءتين (واهلك) اي واحمل اهلك وولدك (الا من سبق عليه القول) أي من سبق الوعد باهلاكه والاخبار بانه لا يؤمن وهي امرأته الخائنة واسمها

(١) الشعر في جامع الشواهد . (٢) نسه في اللسان الى الجمدى ثم قال : وهذا البيت في التهذيب منسوب الى الكعب ، وقتاً القدر : سكن غليانها بماء بارد .

واظلة وابيها كنعان (ومن آمن) أي واحمل فيها من آمن بلك من غير اهلك ثم اخبر سبحانه فقال (وما آمن معه الا قليل) أي الا نفر قليل وهم ثمانون انسانا في قول الاكثرين وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة وبنوه الثلاثة ونسأدهم فهم ثمانية وسبعون نفسا وحمل معه جسد آدم (ع) عن مقاتل وقيل عشرة انفس عن ابن اسحاق وقيل ثمانية انفس عن ابن جريج وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل سبعة انفس من الاعمش وكان فيهم بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وثلاث كنان لهم فالعرب والروم وفارس واصناف العجم ولد سام والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين والصقالبة وبأجوج وماجوج ولد يافث (وقال اركبوا فيها) أي وقال نوح لمن آمن معه اركبوا في السفينة وفي الكلام حذف تقديره فلما فار التنور ووقف نوح على ما دله الله عليه من هلاك الكفار قال لأهله وقومه اركبوا فيها (بسم الله مجربها ومرسيها) أي متبركين باسم الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها أي اثباتها وجسها وقيل معناه بسم الله اجراؤها وارساؤها وقد ذكرنا تفسيره في الحجة وقال الضحاك كانوا اذا ارادوا ان تجري السفينة قالوا بسم الله مجربها فجرت واذا ارادوا ان تقف السفينة قالوا بسم مرسيها فوقفت (ان ربي لغفور رحيم) هذا حكاية عما قاله نوح لقومه ووجه اتصاله بما قبله انه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة ذكرت النعمة بالمنفرة والرحمة بتجلبا بالطاعة كما اجتلبت النجاة بركوب السفينة (وهي تجري بهم في موج كالجبال) معناه ان السفينة كانت تجري بنوح ومن معه على الماء في امواج كالجبال في عظمها وارتفاعها ودل بتشبيهها بالجبال على ان ذلك لم يكن موجا واحدا بل كان كثيرا وروي عن الحسن ان الماء ارتفع فوق كل شيء وفرق كل جبل ثلاثين ذراعاً وقال غيره خمسة عشر ذراعاً وقيل ان سفينة نوح سارت لمشر مضين من رجب فسارت ستة اشهر حتى طافت الارض كلها لا تستقر في موضع حتى اتت الحرم فطافت بموضع الكعبة اسبوعا وكان الله سبحانه رفع البيت إلى السماء ثم سارت بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه اليوم العاشر من المحرم وروي اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) ان نوحا ركب السفينة في اول يوم من رجب فصام وأمر من معه أن يصوموا ذلك اليوم وقال من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل ان اسمه يام (وكان في منزل) أي في قطعة من الارض غير القطعة التي كان نوح فيها حين ناداه وقيل معناه كان في ناحية من دين أبيه أي قد اعتزل دينه وكان نوح يظن انه مسلم فلذلك دعاه وقيل كان في منزل من السفينة (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) دعا ابنه إلى أن يركب معه في السفينة ليسلم من القرق قال الحسن كان ينافق اياه فلذلك دعاه وقال ابو مسلم دعاه بشرط الايمان ومعناه يا بني آمن بالله ثم اركب معنا ولا تكن على دين الكافرين وعلى القول الأول يكون معناه لا تتخلف مع الكافرين فتفرق معهم فأجابته ابنه (قال سأوي إلى جبل) أي سأرجع إلى مأوى من جبل (يعصمني من الماء) ان يعني من آفات الماء (قال) نوح (لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم) أي لا مانع ولا دافع اليوم من عذاب الله إلا من رحمه الله بإيمانه فأمن بالله يرحمك الله (وحال بينها الموج فكان) أي فصار (من المرفقين)

قوله تعالى (٤٤) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْ مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ

وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

البلع اجراء الشيء في الخلق إلى الجوف والاقلاع اذ هاب الشيء من اصله حتى لا يرى له أثر يقال اقلعت السماء إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شيء منه واقلع من الأمر إذا تركه رأسا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان فقال (وقيل يا ارض ابلي ماءك) أي قال الله سبحانه للارض

انثني ماءك الذي نبت به الميون واشربي ماءك حتى لا يبقى على وجهك شيء منه وهذا اخبار عن ذهاب الماء عن وجه الارض بأوجز مدة فجري مجرى ان قيل لما ابلي فبلت (وياساء اقلعي) اي وقال تعالى للساء ياساء امسكي عن المطر وهذا اخبار من اقتشاع السحاب وانقطاع المطر في اسرع زمان فكأنه قال لما اقلعي فأقلعت (وغيض الماء) اي ذهب به عن وجه الارض إلى باطنه والمعنى ونشفت الارض ماءها ويقال ان الارض ابتلعت جميع ماؤها وماء السماء لقوله وغيض الماء ويقال لم تبتلع ماء السماء لقوله ابلي ماءك وان ماء السماء صار بحارا وانهارا وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام (وقضي الأمر) اي وقع اهلاك الكفار على التام وفرغ من الأمر وقيل وقضي الأمر بنجاة نوح ومن معه (واستوت على الجودي) اي استقرت السفينة على الجبل المعروف قال الزجاج هو بناحية آمد وقال غيره بقرب جزيرة الموصل قال زيد بن عمرو بن نفيل

سَبَّحَانَهُ ثُمَّ سَبَّحَانَا يَعُودُ لَهُ وَقَبْلَهُ سَبَّحَ الْجُودِيَّ وَالْجَمْدُ (١)

وقال ابو مسلم الجودي اسم لكل جبل وارض صلبة وفي كتاب النبوة مسنداً إلى ابي بصير عن ابي الحسن علي بن موسى بن جعفر عليهما السلام قال كان نوح لبث في السفينة ماشاء الله وكانت مأمورة فظنى سبيلها فأوحى الله إلى الجبال اني واضع سفينة نوح على جبل منكن فتطاوت الجبال وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل بالموصل ف ضرب جرجو السفينة الجبل فقال نوح عند ذلك يا ماري اتقن وهو بالعربية يا رب اصلح وفي رواية أخرى يارهمان اتقن وتأويله يا رب احسن وقيل ارست السفينة على الجودي شهراً (وقيل بعداً للقوم الظالمين) اي قال الله تعالى ذلك ومعناه أبعده الله الظالمين من رحمة لا يرادهم أنفسهم مورد الهلاك وإنما انتصب على المصدر وفيه معنى الدعاء ويجوز ان يكون هذا من قول الملائكة او من قول نوح والمؤمنين وفي هذه الآية من بدائع الفصاحة وعبائب البلاغة ما لا يقاربه كلام البشر ولا يدانيه منها انه خرج مخروج الأمر وإن كانت الارض والسماء من الجماد ليكون أدل على الاقتدار ومنها حسن تقابل المعنى واتتلاف الألفاظ ومنها حسن البيان في تصوير الحال ومنها الایجاز من غير اخلال إلى غير ذلك مما يعلمه من تدبره وله معرفة بكلام العرب ومحاوراتهم ويروى ان كفار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن فعكفوا على لباب البر ولحوم الضأن وسلاف الحمر اربعين يوماً لتصفو أذهانهم فلما أخذوا فيما أرادوا سمعوا هذه الآية فقال بعضهم لبعض هذا كلام لا يشبهه شيء من الكلام ولا يشبه كلام المخلوقين وتركوا ما أخذوا فيه وافترقوا

قوله تعالى (٤٥) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٦) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٨) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْتَعِبُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْنَا مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٤٩) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلصَّابِرِينَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي ويعقوب وسهل انه عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ عَلَى الْفِعْلِ وَنَصَبَ غَيْرَ وَالْبَاقُونَ عَمَلُ اسْمٍ مَرْفُوعٍ مَنُونٍ

(١) وفي رواية العموي في معجم البلدان «نسب الله تسبيحاً نجود به ثم وقبله . اهـ . والجعد - بضتين - : جبل بنجد لبني نصر . وقد ينسب هذا الشعر الى ورقة بن نوفل .

غير بالرفع وقرأ ابن كثير فلا تسألن مشددة النون مفتوحة وقرأ ابو عمرو ويعقوب وسهل فلا تسألني خفيفة النون
مشبهة الياء وقرأ اهل الكوفة خفيفة النون بغير ياء وقرأ اهل المدينة غير قالون فلا تسألني مشددة النون مشبهة
الياء وقرأ ابن عامر وقالون فلا تسألن مشددة النون مكسورة بغير ياء

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من قرأ انه عمل فنون فالمراد ان سؤالك ما ليس لك به علم عمل غير صالح ويحتمل ان يكون
الضمير في انه لما دل عليه قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فيكون تقديره ان كونك مع الكافرين
وانحيازك اليهم وترتكب الركوب معنا والدخول في جملتنا عمل غير صالح ويجوز أن يكون الضمير لابن نوح كأنه
جعل عملاً غير صالح كما يجعل الشيء الشيء لكثرة ذلك منه كقولهم الشعر زهير او يكون المراد انه ذو عمل
غير صالح فحذف المضاف ومن قرأ انه عمل غير صالح فيكون في المعنى كقراءة من قرأ انه عمل غير صالح وهو
يجعل الضمير لابن نوح وتكون القراءة تان متفتحين في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ ومن ضعف هذه القراءة بأن
العرب لا تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عمل غير حسن فالقول فيه انهم يقيمون الصفة مقام الموصوف عند
ظهور المعنى فيقول القائل قد فعلت صواباً وفعلت حسناً بمعنى فعلت فلما صواباً وفعلت قولاً حسناً قال عمر بن ابي ربيعة

أَيُّهَا الْقَائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ أَخِيرَ النَّصْحِ وَأَقْلِلْ عِتَابِي

وقال ايضاً

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ
وَإِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدَّمِيِّ (٢)
وَمِنْ غَلَقِي رَهْنٍ إِذَا لَفَّهُ مِثْنِي (١)

اراد وكم من انسان قتيل ونظائره كثيرة ومن قرأ فلا تسألن بفتح اللام ولم يكسر النون عدى السؤال
إلى مفعول واحد في اللفظ والمعنى على التعدي إلى مفعول ثان ومن كسر النون هاهنا فإنه يدل على تعدية السؤال
إلى مفعولين ﴿احدهما﴾ اسم المتكلم والآخر اسم الموصول وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع
النونات كما حذفت النون من قولهم انى كذلك وكما حذفت النون من قوله «يسوء الغاليات إذا فليتي» وأما
اثبات الياء في الوصل فهو الأصل وحذفها اخف والكسرة تدل عليها

✽ الاعراب ✽

قوله ما ليس لك به علم يحتمل قوله به في الآية وجهين ﴿احدهما﴾ أن يكون كقوله «كان جزائي
بالصا ان اجلدا» إذا قدمت بالصا وكقوله وكانوا فيه من الزاهدين وإني لكألمن الناصحين وانا على ذلكم من
الشاهدين وزعم ابو الحسن أن ذلك إما يجوز في حروف الجر والتقدير فيه التلطيح بضمير يفسره هذا الذي ظهر
بعد وإن كان لا يجوز تسلطه عليه ومثل ذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين فانصب يوم
يرون بما دل عليه لا بشرى يومئذ ولا يجوز لما بعد لا هذه ان يتسلط على يوم يرون وكذلك اني لكألمن الناصحين
متعلق بما دل عليه النصح المظهر والتقدير اني ناصح لكألمن الناصحين وكذلك به في قوله ما ليس لك به علم
يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظاهر وان لم يجوز أن يعمل فيه والوجه الآخر أن يكون متعلقاً بالمستقر وهو العامل فيه
كمتعلق الظرف بالمعاني كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به في الآية بمنزلة فيه والعلم المتيقن الذي
يعلم به الشيء على الحقيقة ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله فلن علمتموهن مؤمنات ونحو
ما يعلمه الحاكم بشهادة الشاهدين وقرار المقر بما يدعي ونحو ذلك مما يعلم به العلم الظاهر الذي يسع الحاكم
الحكم بالشيء معه تلك من انباء الغيب تلك مبتدأ ومن انباء الغيب الخبر ونوحها اليك خبر ثان وإن شئت
كان في موضع الحال اي تلك كائنة من انباء الغيب موحاة اليك وان شئت كان تلك مبتدأ ونوحها الخبر والجار

(١) وفي بعض النسخ «ومن غلق رهناً اذاضه» وما يباء به دم اي ليس من يكافئه فيقتل به وغلقت الرهن اذا صار
لا سبيل الى فكاهه . (٢) اللمى جمع اللمية : الصنم . (٣) قائلة عمرو بن معديكرب و قبله «تراه كالثغام بعل مسكاً»
وقدمر . والشاهد في فليتي فان اصله فليتي .

من صلة نوحها أي تلك نوحها إليك من أبناء الغيب ولا يجوز أن يكون من زيادة على تقدير تلك أبناء الغيب لأنها لا تزداد في الموجب ويجوز على قول الأخص
 « المعنى »

ثم حكى سبحانه تمام قصة نوح (ع) فقال (ونادى نوح ربه) نداء تعظيم ودعاء (فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق) معناه يا مالكي وخالقي ورازقي وعدتني بتنجية أهلي وإن ابني من أهلي وإن وعدك الحق لا خلف فيه فنجبه إن كان ممن وعدتني بنجاته (وأنت أحكم الحاكمين) في قولك وفعلك (قال) الله سبحانه (يانوح انه ليس من أهلك) وقد قيل في معناه أقوال **أحدها** انه كان ابنه لصلبه والمعنى انه ليس من أهلك الذين وعدت بنجاتهم معك لأن الله سبحانه قد استثنى من أهله الذين وعده ان ينجيهم من أراد أهلاكهم بالفرق فقال إلا من سبق عليه القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة واختاره الجبائي **والثاني** ان المراد بقوله ليس من أهلك انه ليس على دينك فكأن كفره أخرجه عن ان يكون له احكام أهله عن جماعة من المفسرين وهذا كما قال النبي عليه وآله السلام سلمان منا أهل البيت وإنما أراد على ديننا وروى علي بن مهزيار عن الحسن بن علي الرضا (ع) قال قال ابو عبد الله (ع) ان الله تعالى قال لنوح انه ليس من أهلك لأنه كان مخالفا له وجعل من اتبعه من أهله ويؤيد هذا التأويل ان الله سبحانه قال على طريق التعليل إنه عمل غير صالح فبين انه إنما خرج عن احكام أهله لكفره وسوء عمله وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفا له في العمل والنية فمن قيل انه ليس من أهلك **والثالث** انه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنما ولد على فراشه فقال (ع) انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى أن الأمر بخلاف الظاهر ونبّه على خيانة امرأته عن الحسن ومجاهد وهذا الوجه بعيد من حيث ان فيه منافاة القرآن لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه ولان الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها تعير وتشين وقد نزه الله انبياءه عما دون ذلك توقيراً لهم وتعظيماً عما ينفر من القبول منهم وروى عن ابن عباس انه قال ما زنت امرأة نبي قط وكانت الحيانة من امرأة نوح انها كانت تنسبه إلى الجنون والحيانة من امرأة لوط انها كانت تدل على اضيافه **ورابعها** انه كان ابن امرأته وكان ربيبه ويمضه قراءة من قرأ ابنه بفتح الهاء وابنها والمعتمد المعول عليه في تأويل الآية القولان الأولان (انه عمل غير صالح) قد ذكرنا الوجه في القراءتين واختار المرتضى (رض) في تأويله ان التقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح واستشهد على ذلك بقول الخنساء

مَا أُمُّ سَقِيٍّ عَلَى بَوٍّ تَطْفُ بِهِ
 قَدْ سَاعَدَتْهَا عَلَى التَّحْنَانِ اِظْأَرُ (١)
 تَرْتَعُ مَا رَعَمَتْ حَتَّى إِذَا أَذْكَرَتْ
 فَأَيْمًا هِيَ اِقْبَالُ وَإِدْبَارُ (٢)

أرادت فانها هي ذات اقبال وادبار قال ومن قال ان المعنى إن سؤالك أي ما ليس لك به علم عمل غير صالح فإن من امتنع من أن يقع على الأنبياء شيء من القبائح يدفع ذلك فإذا قيل له فلم قال (فلا تسألن ما ليس لك به علم) وكيف قال نوح رب إني اعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم قال لا يستنع أن يكون نهي عن سؤال ما ليس لك به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذ من ذلك وان لم يوقعه كما نهى الله سبحانه نبيه عن الشرك في قوله لئن اشركت ليجطن عملك وإن لم يجز وقوع ذلك منه وإنما سأل نوح (ع) نجاة ابنه بشرط المصلحة لا على سبيل القطع فلما بين الله تعالى ان المصلحة في غير نجاته لم يكن ذلك خارجاً عما تضمنه السؤال وقوله (إني اعظك) أي احذرك والوعظ الدعاء إلى الحسن والزجر عن القبيح على وجه الترغيب والترهيب (أن تكون من الجاهلين) معناه لا تكن منهم قال الجبائي يعني اني اعظك لئلا تكون من الجاهلين ولا شك ان وعظه سبحانه يصرف عن الجهل وينزه عن القبيح (قال) نوح عند ذلك (رب اني اعوذ بك ان أسألك ما ليس

(١) السقب: الذكر من ولد الناقة. والبو: ان ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيحشى ويدنى من امه لتسلى به.
 التحنان: العنين والاختار جمع الظئر وهي التي تمطف على ولد غيرها. (٢) يقول ان هذه الناقة ترعى مادامت ناسية ولدها الذي ذبح فاذا تذكرته اخذتها رعدة واضطراب فصارت تقبل وتدير. وشبهت نفسها بها.

لي به علم) اي اعتصم بك ان اسألك ما لا اعلم انه صواب وانك تفعله ومعنى العياذ بالله الاعتصام به طلباً للنجاة ومعناه ههنا الخضوع والتذلل لله سبحانه ليوقفه ولا يكله الى نفسه وإنما حذف يا من قوله رب واثبته في قوله يا نوح لأن ذلك نداء تعظيم وهذا نداء تنبيه فوجب ان يأتي بحرف التنبيه (وايلاً تغفر لي وترحمي اكن من الغاصرين) وإنما قال ذلك على سبيل التخشع والاستكانة لله تعالى وإن لم يسبق منه ذنب ثم حكى الله سبحانه ما أمر به نوحا حين استقرت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال (قيل يا نوح اهبط) اي اتزل من الجبل او من السفينة (سلام منا) اي بسلامة منا ونجاة وقيل بتحية وتسليم منا عليك (وبركات عليك) اي ونعم دائمة وخيرات نافية ثابتة حالاً بعد حال عليك (وعلى أمم عن معك) يعني الأمم الذين كانوا معه في السفينة من المؤمنين والأمة الجماعة الكثيرة المتفقة على ملة واحدة وقيل معناه وعلى أمم من ذرية من معك وقيل يعني بالأمم سائر الحيوان الذين كانوا معه لأن الله تعالى جعل فيها البركة (وأمم ستمتهم ثم يمسه منا عذاب أليم) معناه انه يكون من نسلهم أمم ستمتهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون ونهلكهم ثم يمسه بعد الهلاك عذاب مؤلم وإنما ارتفع أمم لأنه استأنف الاخبار عنهم وروي عن الحسن انه قال هلك المتمتعون في الدنيا لأن الجهل يغلب عليهم والفتنة فلا يتذكرون إلا في الدنيا وعمارتها وملذاتها ثم اشار سبحانه إلى ما تقدم ذكره من اخبار قوم نوح فقال (تلك) اي تلك الأنبياء (من انبياء الغيب) اي من اخبار ما غاب عنك معرفته ولو قال ذلك كان جائزاً لأن المصادر قد يكتفى عنها بالتذكير كما يكتفى بالتأنيث يقولون قدم فلان ففرحت بها اي بقدمته وفرحت به اي بقدومه (نوحيا اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) اي ان هذه الاخبار التي اعلمنا كما لم تكن تعلمها انت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل إيماننا اليك لأنهم لم يكونوا اهل كتاب وسير وقيل من قبل هذا القرآن وبيان القصص فيه (فاصبر) اي فاصبر على القيام بأمر الله وعلى أذى قومك يا محمد كما صبر نوح على أذى قومه وهذا أحد الوجوه التي لاجلها كرر الله قصص الأنبياء عليهم السلام ليصبر النبي ﷺ على ما كان يقاسمهم أمور الكفار الجاهل حالاً بعد حال (ان العاقبة للمتقين) اي ان العاقبة المحمودة وخاتمة الخير والنصرة للمتقين كما كانت لنوح (ع)

قوله تعالى (٥٠) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥١) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥٢) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٣) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٤) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٥) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (٥٦) إِنِّي نَوَّكَتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٧) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَقْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ (٥٨) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٩) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ

وَأَتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٦٠) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا
كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (احدى عشرة آية كوفي وعشر في الباقيين، عدداً الكوفي
ما نشر كون آية)

❖ اللفظة ❖

الفطر الشق عن أمر الله كما ينظر الورق عن الشجر ومنه فطر الله الخلق لأنه بمنزلة ماشق عنه فظهر المدراز
الدار الكثير المتتابع على قدر الحاجة اليه دون الزائد المفسد المضر ومفعال للمبالغة كقولهم معطار ومقدام واعتراك
من قولهم عراه يعروه إذا أصابه قال الشاعر [من القوم يعروه اجترأ ومأثم] والفرق بين الإظهار والتأخير ان
الإظهار امهال لينظر صاحبه في امره والتأخير خلاف التقديم والناسية قصاص الشعر واصله الاتصال من
قولهم مفازة تناصي مفازة إذا كانت الأخيرة متصلة بالأولى قال «في تناصيها بلاد في» وقال ابو الدجيم
ان يمس رأسي أشمط العناصي كأنما فرقه المناصي (١)
أي يجاذب ليتصل به في مرة • العنيد العاتي الطاغى عند يمد عنوداً إذا تجبر وعند عن الأمر إذا حاد
عنه فهو عاند وعنود

= (الاعراب) =

أخام نصب بتقدير ارسلنا كأنه قال وارسلنا إلى عاد أخام وهوذا عطف بيان وعاد مصروف لأن المراد به
الحي وقد يقصد به القبيلة فلا يصرف قال

لَوْ شَهِدَ عَادَ فِي زَمَانِ عَادٍ لَأَبْتَرَهَا مَبَارِكِ الْجَلَادِ (٢)

«غيره من ضم الراء حمل الصفة على الموضع ومن جرّه حمل على اللفظ قوله ان تقول إلا اعتراك بعض آهتنا
بسوء قال صاحب كتاب كشف الجامع التحوي إن حرف نفي لحقت وتقول فنفت جميع القول إلا قولاً واحداً
وهو قولهم اعتراك بعض آهتنا بسوء والتقدير ما تقول قولاً إلا هذه المقالة والفعل يدل على المصدر وعلى الظرف
وعلى الحال ويجوز ان يذكر الفعل ثم يستثنى من مدلوله ما دلّ عليه من المصادر والظروف والأحوال فنقول
اعتراك مستثنى من المصدر الذي دلّ عليه نقول كقوله تعالى أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى فنصب موتتنا
على الاستثناء لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دلّ عليه قوله بميتين ومما جاء من ذلك في الظروف قوله ويوم
نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار فساعة استثناء مما دلّ عليه يلبثوا من الأوقات ومما جاء من ذلك في
الحال قوله ضربت عليهم الذلة أبنا ثقفوا إلا يجبل من الله التقدير ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال أبنا
ثقفوا إلا شمسكين يجبل أي بعد من الله انتهى كلامه وقوله فإن تولوا تقديره فإن تولوا فحذف احدى التائين
لدلالة الكلام عليه وقوله بعداً لعاد منصوب على المصدر أي ابدهم الله بعداً فوقع بعداً موقع ابعاد كما وقع نبات
موقع انبات في قوله والله انبتكم من الارض نباتا

— (المعنى) —

ثم عطف سبحانه قصة هود على قصة نوح فقال (وإلى عاد أخاهم هوداً) أراد أخاهم في النسب دون الدين
(قال يا قوم اعبدوا الله) وحده وأطيعوه دون الأصنام (ما لكم من إله غيره) دخول من يفيد التعميم قى
ان يكون لهم معبود يستحق العبادة غير الله عز اسمه (إن أنتم إلا مفترون) أي ما أنتم إلا كاذبون في قولكم
إن الأصنام آلهة (يا قوم لا أسألكم عليه أجراً) أي لست اطلب منكم على دعائي لكم إلى عبادة الله جزاء

(١) الاشمط : الابيض . والعناصي جمع عنصوة : الفصلة من الشعر والنصاصة : مدالنصاصة من قولهم : نصوت
الرجل : اذامددت ناصيته . (٢) مبارك الابل : الموضع الذي تبرك اي تنيخ فيه . والجلادمن النوق : التي لا اولاد
لها فتصبر على الحر والبرد . او الكباد التي لا صغار فيها واللفظ كناية .

(إن أجري إلا على الذي فطرني) أي ليس جزائي إلا على الله الذي خلقتني (أفلا تعقلون) عني ما أقول لكم فتعلمون أن الأمر على ما أقوله (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) قد بينا وجه تقديم الاستغفار على التوبة في أول هذه السورة (يرسل السماء عليكم مدراراً) أي يرسل المطر عليكم متتابعاً متواتراً داراً وقيل أنهم كانوا قد اجذبوا فوعدهم هود أنهم إن تابوا اخضبت بلادهم وامرعت وهادم وأثمرت اشجارهم وزكت ثمارهم بنزول الغيث الذي يعيشون به وهذا مثل قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب (ويزدكم قوة إلى قوتكم) فسرت القوة هنا بالمال والولد والشدة وكل ذلك مما يتقوى به الإنسان قال علي بن عيسى يريد عزاً إلى عزكم بكثرة عددكم واموالكم وقيل قوة في إيمانكم إلى قوة ابدانكم (ولا تتولوا) عما أدعوكم إليه (مجرمين) أي مشركين كافرين (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) أي بحجة ومعجزة تبين صدقك (وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك) أي لسنا بتاركي عبادة الأصنام لأجل قولك وقيل إنَّ عن جملت مكان الباء فمعناه بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين وإنما حملهم على دفع البينة مع ظهورها أشياء منها تقليد الآباء والرؤساء ومنها اتمامهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها ومنها أنه دخلت عليهم الشبهة في صحتها ومنها اعتقادهم لأصول فاسدة دعتهم إلى جحدها وإنما حملهم على عبادة الأوثان أشياء منها اعتقادهم أن عبادتها تقربهم إلى الله زلفى ومنها أن الشيطان ربما القى اليهم أن عبادتها تحظيهم في الدنيا ومنها أنهم ربما اعتقدوا مذهب المشبهة فاتخذوا الأوثان على صورته عندهم فعبدوها (إن تقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) هذا تمام الحكاية عن قوم هود جواباً لهود والمعنى لسنا نقول فيك إلا أنه اصابك بعض آلهتنا بسوء فخبيل عقلك لشمك لها وسبك أياها ذهب إليه ابن عباس ومجاهد (قال) أي قال هود لقومه (إني أشهد الله وأشهدوا) أي وأشهدكم أيضاً بعد إظهار الله (إني بريء مما تشركون من دونه) أي إن كنتم تزعمون أن آلهتكم عاقبتني لطعني عليها فإني على بصيرة في البراءة مما تشركونه مع الله من آلهتكم التي تزعمون أنها أصابني بسوء وإنما أشهدهم على ذلك وإن لم يكونوا أهل شهادة من حيث كانوا كفاراً فساقاً إقامة للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم فقال هذا القول اعذاراً وانذاراً وقيل أنه أراد بقوله أشهدوا واعلموا كما قال شهد الله أي علم الله (فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) أي فاحتالوا واجتهدوا أنتم وآلهتكم في أنزال مكروه بي ثم لا تمهلوني قال الزجاج وهذا من أعظم آيات الأنبياء أن يكون الرسول وحده وامته متعاونة عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع واحد منهم ضره وكذلك قال نوح لقومه فاجمعوا أمركم وشركاءكم الآبة وقال نبينا ﷺ فإن كان لكم كيد فكيدون ومثل هذا القول لا يصدر إلا ممن هو واثق بنصر الله وبأنه يحفظه عنهم وبعضه منهم ثم ذكر هود (ع) هذا المعنى فقال (إني توكلت على الله ربي وربكم) أي فوضت أمري إلى الله سبحانه متمسكاً بطاعته تاركاً لمعصيته وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي ما من حيوان يدب على وجه الأرض إلا وهو مالك لها بصرفها كيف يشاء ويقهرها وجعل الأخذ بالناصية كناية عن القهر والقدرة لأن من أخذ بناصية غيره فقد قهره وأذله (إن ربي على صراط مستقيم) أي أنه سبحانه مع كونه قاهراً على عدل فيما يعامل به عباده والمعنى أنه يعدل ولا يجور وقيل معناه إن ربي في تدبير عباده على طريق مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب فهو يجري على سبيل الصواب ويفعل ما يقتضيه الحكمة (فإن تولوا) هذا حكاية عما قاله هود (ع) لقومه والمعنى فإن تولوا ويحوز أن يكون حكاية عما قاله سبحانه لهود والمعنى فإن تولوهم (ف) قل لهم (قد ابليتكم ما أرسلت به إليكم) أي ليس ذلك لتقصير مني في إبلاغكم وإنما هو لسوء اختياركم في اعراضكم عن نصحي فقد ابليتكم جميع ما أوحى إليّ (ويستخلف ربي قوماً غيركم) أي ويهلككم ربي بكفركم ويستبدل بكم قوماً غيركم يوحدونه وعبدونه (ولا تضرونه شيئاً) يعني إذا استخلف غيركم فحطهم بدلا منكم لا تقدررون له على ضررٍ وقيل معناه لا تضرونه بتوليكم

(١) مرع المكان: اخصب. ووهاد جمع وهدي: المظمن من الارض والمكان المنخفض كانه حفرة.

واعراضكم شيئاً ولا ضرر عليه في اهلاكم لانه لم يخلقكم لحاجة منه اليكم (إن ربي على كل شيء خفيظ) يحفظه من الهلاك إن شاء وبهلكه إذا شاء وقيل معناه إن ربي يحفظني عنكم وعن اذاكم وقيل معناه إن ربي على كل شيء من أعمال عباده خفيظ حتى يجازيهم عليها (ولما جاء امرنا) بهلاك عاد (نجيتا هوداً والذين آمنوا معه) من الهلاك وقيل انهم كانوا اربعة آلاف (برحمة منا) أي بما أريناهم من الهدى واليان عن ابن عباس وقيل برحمة منا أي برحمة منا وهي النجاة أي. أنجيتناهم برحمة ليعلم انه عذاب اريد به الكفار لا اتفاق وقع (ونجيتناهم من عذاب غليظ) أي كما نجيتناهم من عذاب الدنيا نجيتناهم من عذاب الآخرة والغليظ الثقل العظيم ويحتمل أن يكون هذا صفة للعذاب الذي عذب به قوم هود ثم ذكر سبحانه كفر عاد فقال (وتلك) أي وتلك القبيلة (عاد جعدوا بآيات ربهم) يعني معجزات هود الدالة على صحة نبوته (وعصوا رسله) إنما جمع الرسل وكان قد بعث اليهم هود لأن من كذب رسولا واحداً فقد كفر بجميع الرسل ولأن هوداً كان يدعوهم إلى الإيمان به وبين تقدمه من الرسل وما انزل عليهم من الكتب فكذبوا بهم جميعاً فلذلك عصومهم (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أي واتبع السفلة والسقاط الرؤساء وقيل إن الجبار من يقتل ويضرب على غضبه والعنيد الكثير العناد الذي لا يقبل الحق (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أي واتبع عاداً بعد اهلاكم في الدنيا بالايمان عن الرحمة فإن الله تعالى ابعدهم من رحمته وتعبد المؤمنین بالدعاء عليهم باللعن (وبوم القيامة) أي وفي يوم القيامة يبعدون من رحمة الله كما بعدوا في الدنيا منها ويلعنون بأن يدخلوا النار فلن اللعنة الدعاء بالايمان من قولك لعنة إذا قال عليه لعنة الله وأصله الإبعاد من الخير (ألا) ابتداء وتنبية (إن عاداً كفروا ربهم) أراد برهم فحذف الباء كما قالوا امرتكم بالخير أي بالخير (ألا بعداً لعاد قوم هود) أي ابعدهم الله من رحمته فبعدوا بعداً

قوله تعالى (٦١) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦٢) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٣) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَنَا فِيهِ مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٤) وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٥) فَقَرَّوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ (٦٦) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٧) وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ (٦٨) كَأَنْ لَمْ يَضُرُّوهَا آلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِدًا لثَمُودَ (ثمانى آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل المدينة غير اسماعيل والكسائي والبرجمي والشموني عن أبي بكر عن عاصم ومن خزري يومئذ فتح الميم ههنا وعذاب يومئذ في المعارج والباقون بكسر الميم على الإضافة وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ويعقوب لا أن ثمود غير ممنون في جميع القرآن وقرأ الباقون ثموداً بالتثنية ههنا وفي الفرقان والنبوة والتنجيم لأنه مكتوب

بالألف في هذه المواضع وابو بكر عن عاصم بقرا وثود في والنجم بغير تنوين وبتون الباقي وروى عنه البرجمي
ومحمد بن غالب عن الأعشى في والنجم بالتنوين أيضا وقرأ الكسائي وحده ألا بعدا لشمود بالجر والتنوين والباقيون
لشمود بفتح الدال

(الحجة -)

قال ابو علي قوله ومن خزري يومئذ يوم في قوله يومئذ ظرف فتحت او كسرت في المعنى إلا انه اتسع فيه
فجعل اسما كما اتسع في قوله بل مكر الليل والنهار فأضيف المكر اليها وإنما هو فيها فكذلك العذاب والخزري
والفزع في قوله من فزع يومئذ اضمن إلى اليوم والمعنى على ان ذلك كله في اليوم كما ان المكر في الليل والنهار
يدل على ذلك قوله ولعذاب الآخرة أخزى وقوله لا يميزهم الفزع الاكبر وقوله ففزع من في السموات ومن في
الارض وقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيتنا واما من كسر الميم من يوئذ فلأن يوما اسم معرب فأضيف
اليه ما أضيف من العذاب والخزري والفزع فانجر بالاضافة ولم يفتح اليوم فتبنيه لاوضافته إلى المبني لأن المضاف
منفصل من المضاف اليه ولا يلزمه الاضافة فلما لم يلزم الاضافة المضاف لم يلزم فيه البناء يدل على ذلك انك
تقول ثوب خز ودار زيد فلا يجوز فيه إلا الاعراب وإن كان الاسمان جمعا بمعنى الحرف فلم يلزمها البناء كما
يلزم ما لا ينفك منه معنى الحرف نحو ابن وكيف ومتى فلما لم يبين المضاف للاضافة وإن كان قد عمل عمل الحرف
من حيث كان غير لازم كذلك لم يبين يوم للاضافة الى اذ لأن اضافته لم تلزم كما لم يبين المضاف وإن كان
قد عمل في المضاف اليه بمعنى اللام او بمعنى من لما لم تلزم الاضافة واما من فتح فقال من عذاب يومئذ ومن
خزري يومئذ ففتح مع انه في موضع جر فلأن المضاف بكسبي من المضاف اليه التعريف والتشكيك ومعنى الاستفهام
والجزاء في نحو غلام من تضرب وغلام من تضرب اضربه والنفي في نحو قولهم ما اخذت باب دار احد فلما كان
يكسبي من المضاف اليه هذه الاشياء اكتسب منه الاعراب والبناء ايضا اذا كان المضاف من الأسماء الشائعة
نحو يوم وحين ومثل ويشبه بهذا الشياح الأسماء الشائعة المبنية نحو ابن وكهف ولو كان المضاف مخصوصا نحو
رجل وغلام لم يكسب منه البناء كما اكتسب منه الأسماء الشائعة فمما جاء من ذلك قوله

عَلَى حِينٍ عَاتَيْتَ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا
وَقُلْتَ أَلْمَأْصِحَّ وَالشَّيْبُ وَإِزْعُ (١)

ومن ذلك قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون فمثل في موضع رفع في قول سيبويه وقد جرى وصفا على
النكرة إلا انه فتح للاضافة إلى ما ومن ذلك قول الشاعر

وَتَدَاعَى مَنخَرَاهُ بِدَمٍ
مِثْلَ مَا أَثْمَرَ حَمَاضُ الْجَبَلِ (٢)

لما اضاف مثل إلى المبني وكان اسما شائعا بناه ولم يعربه وذهب ابو عثمان إلى انه جعل مثلا مع ما بمنزلة اسم
واحد فبنى مثلا على الفتح ولا دلالة قاطعة على هذا القول في هذا البيت وإن كان ما ذهب اليه مستقيما فاما الكسرة
في إذ فلان لقاء الساكنين وذلك ان إذ من حكما أن تضاف الى الجملة من الابتداء والخبر فلما اقتطعت عنها
الاضافة نوتت ليدل التنوين على ان المضاف اليه قد حذف فكسرت الذال لسكونها وسكون التنوين وقال
في صرف ثمود وترك صرفه ان هذه الأسماء التي تجري على القبائل والاحياء على ضروب * احدها * أن
يكون اسما للحمي والاب * والآخر * ان يكون اسما للقبيلة * والثالث * ان يكون الغالب عليه الأب والحمي
والقبيلة * والرابع * أن يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهين ولا يكون لأحد الوجهين مزية على الآخر
في الكثرة فمما جاء على انه اسم الحمي قولهم ثقيف وقربش وكل ما لا يقال فيه بنو فلان واما ما جاء اسما للقبيلة
فنحو تميم قالوا تميم بنت مر قال سيبويه سمعناهم يقولون قيس ابنة غيلان وتميم صاحبة ذلك وقالوا تغلب ابنة وائل قال

(١) قاله النابتة الذياني وذكره في جامع الشواهد . (٢) العماض : نبت جبلية زهره احمر شبه به الدم .

لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَأَثَلٍ نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانٍ

واما ما غلب عليه اسم الحي او القبيلة فقد قالوا باهله بن اعصر وقالوا بمصر وباهلة اسم امرأة قال سيبويه ولكنه جعل اسم الحي ومجوس لم يجعل الاسم القبيلة وتميم اكثرهم يجعله اسم القبيلة ومنهم من يجعله اسم الأب فأما ما استوى فيه ان يكون اسما للقبيلة وان يكون اسما للحي فقال سيبويه هو ثمود نسباً فهما مرة للقبيلتين ومرة للحيين وكثرتها سواء قال وعاداً وثموداً وقال ألا ان ثموداً كفروا ربهم وقال وآتينا ثمود الناقة فإذا استوى في ثمود ان يكون مرة للقبيلة ومرة للحي فلم يكن لحمله على احد الوجهين مزية في الكثرة فمن صرف في جميع المواضع كان حسناً ومن لم يصرف في جميع المواضع كان حسناً وكذلك ان صرف في موضع ولم يصرف في موضع آخر إلا انه لا ينبغي أن يخرج عما قرأت به القراء فإن القراءة سنة متبعة ومن ذلك قول الشاعر

كَسَا اللَّهُ حَيَّ تَغْلِبَ ابْنَةَ وَأَثَلٍ مِنَ اللُّؤْمِ أَظْفَاراً بَطِيئاً نَصُولَهَا

فقال حي ثم قال ابنة واثل فجمع بين الحي والقبيلة وأما قوله .

أُولَئِكَ أَوْلَى مِنْ يَهُودَ بِلَدْحَةٍ إِذَا أَنْتَ يَوْمًا قُلْتَهَا لَمْ تَوْنَبِ

فقد قامت الدلالة على أن يهود استعملت على انها للقبيلة وليس للحي في قوله اولئك اولى من يهود لأن يهود لو كان للحي لصرف وانشد ابو الحسن

فَرَّتْ يَهُودٌ وَأَسْلَمَتْ جِبْرَانُهَا صَيِّ لِمَا فَعَلْتَ يَهُودَ صَمَامٌ^(١)

وكذلك جاء في الحديث تقسم يهود ومثل يهود في هذا مجوس في قول الشاعر « كَنَارِ مَجُوسٍ تَسْتَعْرِاسْتَعَارَا^(٢) » إلا ترى انه لو كان للحي دون القبيلة لانصرف

❖ اللغة ❖

الإشياء إيجاد ابتداء من غير استعانة بشيء من الاسباب وانشأ فلان حديثاً او شعراً والاستعمار جعل القادر يعمر الأرض كعمارة الدار ومنه العمري في الفقه وهو أن يقول اعطيتك هذه الدار عمري او عمرك والمس والمس بمعنى وفرق علي بن عيسى بينها بأن المس قد يكون بين جمادين والمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الادراك والجنوم السقوط على الوجه وقيل هو القعود على الركبة وغني بالمكان إذا أقام به والمعنى المنزل قال النابغة

غَيْبَتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لَكَ جِبْرَةٌ مِنْهَا يَعْطَفُ رِسَالَةٌ وَتَوَدُّ

وأصل الغنى الاكتفاء ومنه الغنى بالمال والفناء بالمد الصوت الذي يكتب به والفناء الاكتفاء بحال الشيء ومنه غني بالمكان لا كنفائه بالإقامة فيه

❖ الإعراب ❖

أرأيت لا مفعول له ههنا لأنه معلق كما يطلق إذا دخل الجملة لام الابتداء في مثل قوله قد رأيت لزبد خير منك فكذلك الجزاء وجواب انت الأولى الفاء وجواب ان الثانية محذوف وتقديره ان عصيته فمن ينصرفني إلا انه استغنى بالأول فلم يظهر ومن ينصرفني صورته صورة الاستفهام ومعناه النبي فكأنه قال فلا ناصر لي من الله ان عصيته وإنما جاز الفاء رأيت هنا لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد لو اقردت عن غيرها وهو يتعلق بمنها دون تفصيل لفظها وقوله فيأخذكم جواب النهي بالفاء ولذلك نصبه وتقديره لا يقع منكم مسها بسوء فإن يأخذكم عذاب قريب أي فاخذ عذاب عاجل إياكم وإيام أصله ابوام قلبت الواو ياء وادغمت الياء الأولى فيها

(١) قائله اسود بن بغير احد شعراء العرب في العاهلة وكان من ندماء النعمان بن المنذر وصفي صمام اي آخرسى اداهية ولا تستمى لمن يطلب اليك الذهب والانصراف وهم يريدون زيدي واشتدى . (٢) وقوله « أحاد أريك برقاً هب وهناءً وصدرا البيت لا مريء القيس وعجبره للثوام البشكري قاله حين نازعه امرى القيس في الشعر وتفصيل القصة -

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على ذلك قصة صالح فقال (والى ثمود اخاهم صالحا) وكان ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكان عاد باليمن عن الجبائي (فقال لهم صالح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره) مضى تفسيره (هو انشأكم من الارض) أي ابتداء خلقكم من الارض لأنه خلق آدم من الارض ومرجع نسبكم اليه (واستعمركم فيها) أي جعلكم عمارة الارض بأن مكنتكم من عمارتها وأحوجكم إلى السكنى فيها وقيل معناه واعمرها لكم مدة اعماركم من العمري عن مجاهد وقيل معناه وأطال فيها اعماركم عن الضحاك قال وكانت اعمارهم من ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة وقيل معناه امركم من عمارتها بما تحتاجون اليه من المساكن والزراعات وغرس الأشجار وفي هذا دلالة على فساد قول من حرم المكاسب لأنه سبحانه امتن على عباده بأن مكنتهم من عمارة الارض ولو كان ذلك محرماً لم يكن لذلك وجه (فاستغفروه ثم توبوا اليه) أي فاستغفروه من الشرك والذنوب ثم دوموا على التوبة (إن ربي قريب) يرحمهم لمن وحده (محجب) لمن دعاه (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا) أي كنا نرجو منك الخير لما كنت عليه من الأحوال الجميلة قبل هذا القول فلآن بشئنا منك ومن خيرك بإبداعك ما ابدعت وقيل معناه كنا نرجوك ونظنك عوناً لنا على ديننا (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) استفهام معناه الانكار كأنهم أنكروا أن ينهى الانسان عن عبادة ما عبده آباؤه (وإنا لنرى شكاً مما تدعونا اليه) من الدين (مريب) موجب للريبة والتهمة إذ لم يكن آباؤنا في جهالة وضلالة (قال) صالح لهم (يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي) مرئياً به فيما قبل (وآتاني منه رحمة) أي وأعطاني الله منه نعمة وهي النبوة (فمن ينصرنى من الله إن عصبته) أي فمن يمنع عذاب الله عني إن عصبته مع نعمته علي * (فما يزيدونني غير تخسير) أي ما يزيدونني بقولكم أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا غير نسبتي إياكم إلى الخسارة والتخسير مثل التفسيق والتفجير قال ابن الاعرابي يريد غير تخسير لكم لآلئ وقال ابن عباس ما يزيدونني إلا بصيرة في خسارتكم وقيل معناه ان أجتبكم إلى ما تدعونني اليه كذات بمنزلة من يزداد الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) أشار إلى ناقته التي جعلها الله معجزته لأنه سبحانه أخرجهما لهم من جوف صخرة يشاهدونها على تلك الصفة وخرجت كما طلبوه وهي حامل وكانت تشرب يوماً جميع الماء فتنفرد به ولا ترد الماء معها دابة فإذا كان يوم لا ترد فيه وردت الوردة كلها الماء وهذا اعظم آية ومعجزة وانتصب آية على الحال من ناقه الله فكأنه قال اتبهوا اليها في هذه الحال والمعنى ان شككم في نبوتي فهذه الناقة معجزة لي وأضافها إلى الله تشريفاً لها كما يقال بيت الله (فذروها تأكل في أرض الله) أي فاطر كوها في حال أكلها فتكون تأكل في أرض الله جملة منصوبة الموضع على الحال ويجوز أن يكون مرفوعاً على الاستئناف والمعنى فإنها تأكل في أرض الله من العشب والنبات (ولا تمسوها) أي لا تصيبوها (بسوء) قتل أو جرح أو غيره (فإخذكم) ان فعلتم ذلك (عذاب قريب) أي عاجل فهلككم (فمقروها) أي عقرها بمضهم ورضي به البعض وانما عقرها احمر ثمود وضربت به العرب المثل في الشؤم (فقال) صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) أي تلتذذوا بما تزيدون من المدركات الحسنة من المناظر والاصوات وغيرها مما يدرك بالحواس في بلادكم ثلاثة أيام ثم يحل بكم العذاب بعد ذلك ويقال للبلاد دار لأنها تجمع أهلها كما تجمع الدار أهلها ومنه قولهم ديار ربيعة وديار مضر وقيل في داركم يعني دار الدنيا وقيل معنى قوله تمتعوا في داركم عيشوا في بلدكم وعبر عن الحياة بالتمتع لأن الحي يكون متمتعاً بالحواس قالوا لما عقرت الناقة صمد فصيلها الجبل ورغاً ثلاث مرات فقال

صالح لكل رغبة اجل يوم فاصفرت الوانهم اول يوم ثم احمرت في الغد ثم اسودت اليوم الثالث فهو قوله (ذلك وعد غير مكذوب) أي ان ما وعدتكم به من العذاب ونزوله بعد ثلاثة أيام وعد صدق لا كذب فيه وروى جابر بن عبد الله الانصاري أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس وقال يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات فهو لا قوم صالح سألوا نبيهم ان يمض لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون من لبنها مثل الذي كانوا يشربون من مائها يوم فتحها فتوا عن أمر ربهم فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وكان وعداً من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهم إلا رجلاً كان في حرم الله فمنه حرم الله من عذاب الله تعالى يقال له ابورغال قيل له يا رسول الله من ابورغال قال ابو ثقيف (فلا جاء امرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا) مر تفسيره في قصة عاد (ومن خزري يومئذ) قال ابن الانباري هذا معطوف على محذوف تقديره نجيناهم من العذاب ومن خزري يومئذ أي من الخزري الذي لهم ذلك اليوم والخزري السب الذي ظهر فضيخته ويستحي من مثله (ان ربك هو القوي) أي القادر على ما يشاء (العزيز) الذي لا يمنع عليه شيء ولا يمنع عما أراده (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) قيل ان الله سبحانه أمر جبرائيل فصاح بهم صيحة ماتوا عندها ويبوزان يكون الله تعالى خلق تلك الصيحة التي ماتوا عندها (فأصبحوا في ديارهم) أي منازلهم (جاثمين) أي ميتين واقمين على وجوههم ويقال جاثمين أي قاعدين على ركبهم وإنما قال فأصبحوا لأن العذاب أخذهم عند الصباح وقيل أنهم الصيحة ليلاً فأصبحوا على هذه الصفة والعرب تقول عند الأمر العظيم واسوء صباحاه (كان لم يفتونا فيها) أي كان لم يكونوا في منازلهم قط لا تقطع آثارهم بالهلاك إلا ما بقي من اجسادهم الدالة على الخزري الذي نزل بهم (الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعداً لثمود) قد سبق تفسيره

قوله تعالى (٦٩) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيْمَ بِالْبَشْرِى قَالُوْا سَلٰمًا قَالِ سَلٰمٌ فَمَالَتْ اَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَنِيدٍ (٧٠) فَلَمَّا رَاى اَيْدِيَهُمْ لَا نَصْلُ اِلَيْهِ نَكِرْتُمْ وَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوْا لَا تَخَفْ اِنَّا اَرْسَلْنَا اِلَيْ قَوْمِ لُوْطٍ (٧١) وَاَمْرٌ اَنْتَ قَائِمٌ فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِاِسْحَاقَ وَمِنْ وَّرَآءِ اِسْحَاقَ يَعْقُوْبَ (٧٢) قَالَتْ يَا وَايَلَتِي اَللُّدُّ وَاَنَا عِجُوْزٌ وِهَذَا بَعْلِى شَيْخًا اِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيْبٌ (٧٣) قَالُوْا اَنْعَجِبِيْنَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ اِنَّهُ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ (٧٤) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ اِبْرٰهِيْمَ الرُّوْعُ وَاَجَاءَتْهُ الْبَشْرِى يُبٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوْطٍ (٧٥) اِنْ اِبْرٰهِيْمَ لِحٰكِيْمٌ اَوَّاهٌ مُّبِيْبٌ (٧٦) يَا اِبْرٰهِيْمُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا اِنَّهُ قَدْ جَاءَ اَمْرٌ رَبِّكَ وَاِنَّهُمْ لَآتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرٌ مَّرْدُوْدٍ (سبع آيات عند البصريين ثمان عند غيرهم لم يعد البصري في قوم لوط آية)

❖ القراءة ❖

قرأ حمزة والكسائي قال سلم بكسر السين وسكون اللام هنا وفي الذاريات وقرأ الباقون قال سلام وقرأ يعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم وقرأ الباقون يعقوب بالرفع وفي الشواذ قراءة الاعمش وهذا بعلي شيخ بالرفع

* الحجة *

قال ابو علي اخبر ابو اسحاق عن محمد بن يزيد قال السلام اربعة اشياء منها مصدر سلمت والسلام شجر قال "الإسلام وحرمل" والسلام جمع سلامة والسلام اسم من اسماء الله تعالى وقوله دار السلام يحتمل أن يكون مضافة الى الله تعظيماً لها ويحتمل أن يكون دار السلامة من العقاب فمن حصل فيها كان على خلاف من وصف بقوله ويأتي الموت من كل مكان واما انتصاب قوله سلاماً فلأنه لم يحك شيئاً تكلموا به فيحكي كما يحكي الجمل ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل كما ان القائل إذا قال لا آله إلا الله فقلت حقاً او قلت اخلاصاً أعملت القول في المصدرين لأنك ذكرت معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذي هو جملة تحكى فكذلك نصب سلاماً في قوله قالوا سلاماً لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس المقول بعينه فأما قوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً قال سيويه زعم ابو الخطاب ان مثله يريد مثل قولك سبحان الله الذي تفسره براءة الله من سوء وقولك للرجل سلاماً تريد مسلماً منك لا ابتلي بشيء من امرك فعلى هذا المعنى وجه ما في الآية قال وزعم ان قول أمية

سَلَامَكَ رَبَّنَا فِي كُلِّ فَجْرٍ بَرِيئاً مَا يَعْيبُكَ الذَّمُّومُ (٢)

على قوله برئاً من كل سوء واما قوله قال سلام فسلام مرفوع لأنه من جملة الجملة المحكية والتقدير فيه سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله فصبر جميل أي صبر جميل امثل او يكون المعنى أصري سلام وشأنى سلام كما ان قوله فصبر جميل يصلح ان يكون المحذوف منه المبتدأ ومثل ذلك قوله فاصفح عنهم وقل سلام على حذف المبتدأ الذي سلام خبره واكثر ما يستعمل سلام بغير ألف ولام وذلك لأنه في معنى الدعاء فهو مثل قواهم خير بين يديك ولما كان في معنى المنصوب استجيز فيه الابتداء بالنكرة فمن ذلك قوله قال سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم وصلاح على عباده الذين اصطفى وقد جاء بالألف واللام قال سبحانه والسلام على من اتبع الهدى والسلام على يوم ولدت وزعم ابو الحسن ان في العرب من يقول سلام عليكم ومنهم من يقول السلام عليكم فالذين أحقوا الألف واللام حملوه على اليهود والذين لم يلحقوه حملوه على غير اليهود وزعم ان منهم من يقول سلام عليكم فلا يتوّن وحمل ذلك على وجهين * أحدهما * انه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الأصل من نحو قولك لم يك ولا ادر ويوم يأت * والآخر * انه لاكثر استعمال هذه الكلمة وفيه الألف واللام حذفاً منه لكثرة الاستعمال كما حذف من اللهم فقالوا «لأهم إن عاصم الفجور» قد حبس الخليل على يعمور» واما من قال سلم فإن سلماً يحتمل امرين * أحدهما * ان يكون بمعنى سلام فيكون المعنى امرنا سلم او سلم عليكم ويكون سلم في الآية بمعنى سلام كقولهم حل وحلال وحرم وحرام فيكون على هذا قراءة من قرأ سلام وسلم بمعنى واحد وإن اختلف اللفظان * والآخر * أن يكون سلم خلاف العدو والحرب لأنهم لما كانوا عن تناول ما قدمه اليهم فنكرهم وأوجس الخيفة منهم قال انا سلم ولست بحرب ولا عدو فلا تمنعوا من تناول طعامي كما يمنع من تناول طعام العدو ومن قرأ ومن وراء اسحاق يعقوب بالرفع كان رفعه بالابتداء او بالظرف في قول من رفع به ومن فتح فقال يعقوب احتمال ثلاثة اضرب * أحدها * أن يكون يعقوب في موضع جر أي فبشرناها باسحاق ويعقوب قال

(١) هذا جزء من بيت الاخطل وقد مر . (٢) وفي اللسان «تمنتك» مكان «بعبيتك» والذموم : العيوب

(٣) اليمور : العبدى .

ابو الحسن وهذا اقوى لانتها بشرت بها قال وفي اعمالها ضعف لانك فصلت بين الجار والمجرور بالظرف
 * والآخر * ان تحمله على موضع الجار والمجرور كقوله «إِذَا مَا تَلَقَيْنَا مِنْ الْيَوْمِ أَوْ غَدًا» وكقراءة من
 قرأ وهورا عينا بعد يطاق عليهم بكنداومثله «وَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ» * والثالث * ان يحمل على فعل
 مضمركانه قال فبشرناها باسحاق ووهبنا له يعقوب فاما الأول فقد نص سيويه على فتح مثله نحو مرت
 يزيد أول من أمس وأمس عمرو وكذلك قال ابو الحسن لو قلت مرت يزيد اليوم وأمس عمرو لم يحسن
 واما الحمل على الموضع على حد مرت يزيد وعمرو فالفصل فيه ايضا قبيح كما قبح الحمل على الجر وذلك ان
 الفعل يصل بحرف العطف وحرف العطف هو الذي يشرك في الفعل وبه يصل الفعل الى المفعول به كما يصل
 بحرف الجر ولو قال مرت يزيد قائما يحمل الحال من المجرور لم يجز التقديم عند سيويه لأن الجار هو الموصل
 للفعل فكما قبح التقديم عنده لضعف الجار العامل كذلك الحرف العاطف مثل الجار في انه يشرك في الفعل
 كما يوصل الجار الفعل وليس نفس الفعل العامل في الموضعين جميعا وإذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف
 في العطف على الموضع وقبح ايضا الفصل في الرفع والنصب كما قبح في الجر لأن العاطف فيهما مثله في الجار
 وليس العامل في نفس الرفع والنصب كما انه العامل فيما بعد حرف العطف ليس الجار إنما يشركه فيه العاطف
 وقد جاء ذلك في الشعر قال الأعشى

يَوْمًا تَرَاهَا كَشَيْبَةِ أَرْدِيَةِ الْحِمَةِ
 سِوَمَا وَيَوْمًا أَدْبَهَا نَفْلًا (١)

ففصل بالظرف بين المشترك في النصب وما اشركه فيه فإذا قبح الفصل في الحمل على الموضع كما قبح
 الفصل في الحمل على الجار فينبغي أن يحمل قراءة من قرأ يعقوب بالنصب على فعل آخر مضمرك يدل عليه
 بشرنا كما تقدم ولا يحمل على الوجهين الآخرين وأما الرفع في قوله شَيْخٌ فِيهِ وَجْهٌ * أحدها * ان يكون
 بعلي خبر المبتدأ وشيخ بدل من بعلي فيكون كأنه قال هذا شيخ * والآخر * ان يكون شيخ خبر مبتدأ
 محذوف ويكون هذا بعلي كلاما تاما يحسن الوقف عليه و * الثالث * ان يكون بعلي بدلا من هذا وشيخ
 هو الخبر فيكون تقديره بعلي شيخ و * الرابع * ان يكون بعلي وشيخ جميعا خبرا عن هذا كتولك هذا
 حلو حامض اي قد جمع الحلاوة والحموضة فكذلك ههنا تقديره هذا جمع البعولة والشبخوخة قال ابن جني
 وهنأوجه خامس لكنه على قياس مذهب الكسائي وذلك انه يعتقد في خبر المبتدأ أبدا ان فيه ضميرا وإن
 لم يكن مشتقا من الفعل نحو زيد أخوك وهو يريد النسب فإذا كان كذلك قياس مذهبه ان يكون شيخ
 بدلا من الضمير في بعلي لأنه خبر عن هذا

* اللفظة *

المجبل ولد البقرة والمجول لفة فيه وجمعه المجاجيل وسمي بذلك لتمجيد أمره بقرب ميلاده والحنيد
 المشوي وهو المحنوذ فيل بمعنى مفعول يقال حنذه يحنذه حنذا قال المجاج «وَرَهْبًا مِنْ حَنْدِهِ أَنْ تَهْرَجًا»
 يعني الحر الوحشية قال الزجاج الحنيد المشوي بالحجارة وقيل الحنيد المشوي حتى يقطر والعرب تقول احنذ
 هذا الفرس أي اجعل عليه الجبل حتى يقطر عرقا وقيل الحنيد المشوي فقط وقيل هو السبيط ويقال نكرته
 وانكرته بمعنى واحد ونكرته اشد مبالغة وهي لفة هذيل والحجاز وانكرته لفة تميم قال الاعشى وجمع بين اللغتين
 وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتِ
 مِنْ الْخَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَامَا

(١) في اللسان «أردية المصب» والغس والمصب : ضربان من يرود اليمن والنفل : الاديم الفاسد . (٢) وقيل
 «حتى اذا ما المصيف كان امجا» والرهيم من النوق : الضامرة . وهرج البعير : سد من شدة الحر .

وقل ابو ذؤيب

فَنَكَّرْنَهُ فَنَفَرْنَ فَاَمْتَرَسَتْ بِهِ هَوَجًا هَادِيَةً وَهَادٍ جَرُّشَعٌ (١)

والايجاس الاحساس واوجس وتوجس أي أحسن قال ذو الرمة

وَقَدْ تَوَجَّسَ رِكْزًا مَخْفِرٌ نَدْسٌ بِنَبَأَةِ الصَّوْتِ مَا فِي سَمْعِهِ كَذِبٌ (٢)

ويقال اوجس خوفا أي أضروا لبل الزوج وأصله القائم بالأمر يقولون للنخل الذي يستغني بماء السماء عن سقي الأنهار والميون بمل لأنه قائم بالأمر في استغنائه عن تكلف السقي له ومنه قيل للرب والصاحب بمل والمجب يجرى على المصدر وعلى المتعجب منه تقول هذا أمر عجب ولا يجوز العجب من أمر الله تعالى لأنه يجب ان يعلم انه قادر على كل شيء من الأجناس لا يعجزه شيء وما عرف سببه لا يتمجب منه والمجدب الكريم يقال مجد الرجل يمجده مجادة إذا كرم قال الشاعر

رَفَعْتُ مَجْدَ تَيْمٍ يَا هَلَالُ لَهَا رَفَعُ الطَّرَافِ عَلَى الْمَلِيَاءِ بِالْمَعْدِ (٣)

والروع الافزع يقال راعه يروعه إذا افزعه قال عنترة

مَا رَاعَنِي إِلَّا حَمُولَةٌ أَهْلَهَا وَسَطَ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الحِنْخَمِ (٤)

وارتاع ارتياحا إذا خاف والروع بضم الراء النفس يقال القي في روعي أي في نفسي وسببت بذلك لأنها موضع الروع والرد والدفع واحد وتقيضه الأخذ والفرق بين الرد والدفع ان الدفع قد يكون إلى جهة القدام واخلف والرد لا يكون إلا إلى جهة الخلف

- « اعراب » -

فما لبث ان جاء اي ما أقام حتى جاء بمجل وان جاء في موضع نصب بوقوع لبث عليه كأنه قال فما أبطلأ عن مجيئه بمجل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل وقال الفراء ويحتمل أن يكون موضعه رفا بأن نجمل ان جاء فاعل لبث فكأنك قلت فلما لبث مجيئه بمجل والف ياويلتي يحتمل ان يكون الف ندبة ويحتمل أن يكون ياء الإضافة فانقلبت الفاء ومعناه الإيدان بورود الأمر العظيم كما تقول العرب يا للدواهي أي تعالى فإنه من احيائك لحضور ما حضر من اشكالك ويجوز الوقف عليه بنير هاء والاختيار في الكلام ان يوقف عليه بالهاء يا ويلتاه قال الزجاج اما المصحف فلا يخالف ولا يوقف عليه فإن اضطر واقف إلى أن يقف وقف عليه بنير هاء بالاختيار واما الممزتان في قوله ألد ففيه ثلاثة أوجه إن شئت خففت الأولى وحققت الثانية فقلت يا ويلتي ألد وإن شئت حققت الأولى وخففت الثانية وهو الاختيار فقلت يا ويلتي ألد وإن شئت حققتها جميعا فقلت ألد وشيخنا منصوب على الحال قال الزجاج الحال هاهنا نصبها من لطيف النحو وذلك انك إذا قلت هذا زيد قائما فإن كنت تقصد أن تخبر من لا يعرف زيدا انه زيد لم يميز أن تقول هذا زيد قائما لأنه يكون زيدا ما دام قائما فإذا زال عن القيام فليس يزيد وإنما تقول للذي يعرف زيدا هذا زيد قائما فيعمل في الحال التنبيه والمعنى اكتبه لزيد في حال قيامه او اشير لك الى زيد في حال قيامه لأن هذا إشارة الى ما حضر وقال غيره إن شئت جعلت العامل فيه معنى التنبيه وإن شئت جعلت العامل فيه معنى الإشارة وإن شئت عملت فيه مجموعهما وكذا ما جرى مجراه تقول هذا زيد مقبلا ولا يجوز مقبلا هذا زيد لأن العامل ليس بفعل محض فإن قلت ها مقبلا ذا زيد وجعلت العامل معنى الإشارة

(١) امترس به اي احتك به . والهوجاء : الناقة القوية . والهارية : السقمة . والجرجع : الطويل من الابل يصف صائها وان حمر الوحش قربت منه بمنزلة من يحتك بالشيء (٢) الرکز: الصوت الخفى . والمنفر: ولد الوعل وهو تيس الجبل . وندس اي فطن . (٣) الطراف : بيت من ادم ليس له كفاه . (٤) الحنخم : نبات تعلق خبه الابل .

لم يميز وإن جعلت العامل معنى التنبيه جاز. يجادلنا في موضع نصب لانه حكاية حال قد مضت وإلا فالجيد ان تقول لما قام قمت ويضف ان تقول لما قام اقوم وعلى هذا فيكون جواب لما محذوفاً لدلالة الكلام عليه ويكون تقديره قلنا ان ابراهيم حلیم او نادينا يا ابراهيم اعرض عن هذا ويجوز ان يكون تقديره أخذ يجادلنا واقبل يجادلنا ويجوز أن يكون لما كان شرطاً للماضي وقع المستقبل فيه في معنى الماضي كما أن أن لما كان شرطاً للمستقبل وقع الماضي فيه في معنى المستقبل

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم ولوط فقال سبحانه (ولقد جاءت رسلنا) يعني الملائكة وانما دخلت الام لنا كيد الخبر ومعنى قد ههنا ان السامع لقصاص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع فجاءت لتوذن ان السامع في حال توقع واختلاف في عدد الرسل فقبل كانوا ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل عن ابن عباس وقيل كانوا اربعة عن ابي عبد الله «ع» قال والرابع اسمه كروبل وقيل كانوا تسعة عن الضحاك وقيل احد عشر عن السدي وكانوا على صور الفلان اتوا (ابراهيم) الخليل «ع» (بالبشرى) اي بالبشارة باسحاق ونبوته وانه يولد له يعقوب عن الحسن والسدي والجبائي وروي عن ابي جعفر «ع» ان هذه البشارة كانت باسما عيل «ع» من هاجر وقيل البشارة بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) هذه حكاية ما قال رسل الله تعالى لابراهيم «ع» اي سلمنا سلاما بمعنى الدعاء له وقيل معناه اصبحت سلاما اذا اعطاك الله سلاما اي سلامة كما يقال أهلا ومرحبا وكان تحية من الملائكة لابراهيم «ع» (فقال) ابراهيم محبياً لهم (سلام) وقد مر تفسيره (فالث ان جاء بعجل حنيد) اي لم يتوقف حتى جاءهم على عادته في اكرام الاضياف وتقديم الطعام اليهم بعجل مشوي لانه توم انهم اضياف لكونهم على صورة البشر وكان ابراهيم يحب الضيفان فجاءوه على احسن الوجوه اليه وصار لذلك من السنة ان يعجل للضيف الطعام وقيل ان معنى حنيد نضيج بالحجارة المحصاة في خد من الارض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل ان الحنيد ما حفرت له في الارض ثم غمسته وهو فعل أهل البادية عن الفراء وقيل حنيد مشوي يقطر ماؤه عن ابن عطية (فلما رأى) ابراهيم (ايديهم) يعني ايدي الملائكة (لاتصل اليه) اي الى العجل (نكرم) اي انكرمهم (وأوجس منهم خيفة) اي اضمرب منهم خوفاً واختلاف في سبب الخوف فقيل انه لما رآهم شبانا اقرباء وكان ينزل طرفاً من البلد وكانوا يمتنعون من تناول طعامه لم يأمن ان يكون ذلك لبلاء وذلك ان اهل ذلك الزمان اذا أكل بعضهم طعام بعض أمنه صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا اي أثبت الحرمة بيننا بأكله الطعام وقيل انه ظنهم لصوصاً يريدون به سوء أو قيل انه ظن انهم ليسوا من البشر وانهم جاؤا لاصراع عظيم وقيل علم انهم ملائكة فخاف ان يكون قومه المقصودين بالمذاب حتى (قالوا) له (لاتخف) يا ابراهيم (انا ارسلنا الى قوم لوط) بالمذاب والاهلاك لا الى قومك وقيل انهم دعوا الله فأحيا العجل الذي كان ذبحه ابراهيم وشواه فظفر ورعى فلم حينئذ انهم رسل الله (وامراته) سارة بنت هاران بن ياحور بن ساروع بن ارعوى بن فالغ وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابراهيم عن وهب وقيل انها كانت بنت خاله وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس معهم عن مجاهد وقيل كانت قائمة تعطي وكان ابراهيم جالسا وفي قراءة ابن مسعود وامراته قائمة وهو جالس (فضحكت) قيل هو الضحك المعروف

الذي يعترى الانسان الفرح وقد يكون للتعجب فضحكت تعجبا من غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم عن قتادة وقيل تعجبا من امتناعهم عن الأكل وخدمتها إياهم ونفسها ولهذا يقال «وشر الشدايد ما يضحك» وقالت عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكريما لهم وهم لا يتناولون من طعامنا وقيل ضحكت لأنها قالت لابراهيم اضمم لوطا ابن اختك اليك فأني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ماتوهمت عن الزواج وقيل تعجبا وسرورا من البشارة باسحاق لأنها كانت قد هرمت وهي ابنة ثمان وتسعين سنة او تسع وتسعين سنة وكان قد شاخ زوجها وكان ابن تسع وتسعين او مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يرزق لها ولد في حال شبابها وعلى هذا فيكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره فبشرناها باسحاق ويعقوب فضحكت بعد البشارة وروي ذلك عن ابي جعفر «ع» (فبشرناها باسحاق) اي بآبى بن يسمى اسحاق نبيا (ومن وراء اسحاق يعقوب) يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وقيل الورا ولد الولد عن ابن عباس اي فبشرناها ببي بين نبين وهو اسحاق ابوه نبي وابنه نبي وقيل ان ضحكت بمعنى حاضت عن مجاهد وروي عن الصادق «ع» ايضا يقال ضحكت الارنب أي حاضت والضحك بفتح الضاد الحيض وفي لسانه ابي الحرث بن كعب ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع او البسر والضحك الطلع وأنشد بعضهم في الضحك بمعنى الحيض قول الشاعر

وَضَحَكَ الْأَرْنَبُ فَوْقَ الصَّافَا كَيْتَلُ دَمَ الْجَوْفِ يَوْمَ الْقِيَامِ

قال الفراء ولم اسمعه من ثقة والوجه فيه ان يكون على طريق الكناية قال الكمي

فَأَضْحَكَتِ السَّبَاعُ سَيُوفَ سَعْدٍ لِقَتْلِي مَا دَفِنَ وَلَا وُدُنَا (١)

(قالت) سارة (يا ويلى ألد وانا عجوز) أي هذا شيء عجيب ان ألد وقد شخت من زوج شيخ ولم تشك في قدرة الله تعالى ولكن إنما قالت ذلك لكونه خارجا عن العادة كما ولى موسى مديرا حين انقلبت عصاه حية حتى قيل له اقبل ولا تخف وإلا فهي كانت عارفة بأن الله تعالى يقدر على ذلك ولم ترد بقولها يا ويلى الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تجري على افواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبهن منه وقيل انها لم تعجب من قدرة الله ولكنها أرادت أن تعرف هل تتحول شابة أم تلد على تلك الحال وكل ذلك عجيب (وهذا بعلي شيئا) اي هذا الذي تعرفونه بعلي وهو شيخ (إن هذا) الذي بشرت به (لشيء عجيب قالوا) اي قالت الملائكة لها حين تعجبت من أن تلد بعد الكبر (أتعجبين من أمر الله) ومعنى الاستفهام هنا التنبيه والتوقيف أي أتعجبين من ان يفعل الله تعالى ذلك بك ولزوجك (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي ليس هذا موضع تعجب لأن التعجب إنما يكون من الأمر الذي لا يعرف سببه ونعمة الله تعالى وكثرة خيراته النامية الباقية عليكم وهذا يحتمل ان يكمن اخباراً عن نبوت ذلك لهم وتذكيراً بنعمة الله وبركاته عليهم ويحتمل أن يكون دعاءهم بالرحمة والبركة من الملائكة فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم يا أهل البيت كما يقال أتتعجب من كذا بارك الله فيك وبرحمك الله وبمعنى بأهل البيت أهل بيت ابراهيم «ع» وإنما جملت سارة من أهل بيته لأنها كانت ابنة عمه ولا دلالة في الآية على ان زوجة الرجل من أهل بيته على ما قاله الجبائي وروي ان امير المؤمنين «ع» سأ بقوم فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ومغفرته ورضوانه فقال «ع» لهم لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا ابراهيم «ع» رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (انه حميد) أي محمود على افعاله وقيل الحميد الذي يحمده عباده على الطاعات (حميد) اي كريم وهو البندى بالعطية قبل الاستحقاق وقيل معناه واسع القدرة والنعمة عن ابي مسلم وروي ان سارة قالت لجبرئيل «ع» ما آية ذلك فأخذ يده عوداً يابساً فلواه بين اصابعه فاهتز اخضر عن السدي (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) أي الخوف والفرح الذي دخله من الرسل (وجاءته البشرى) بالولد (يجادلنا في قوم لوط) اي يجادل رسلنا ويسألهم في قوم لوط وتلك المجادلة انه

(١) وفي اللسان «واضحكت الضباع . اهـ» وودي القاتل القاتل : اعطى وليه دية . ورد ابن دريد وغيره ان يكون الضحك في هذا الشعر بمعنى الحيض وقالوا انما اراد الشاعر انها تكشر لاكل اللحوم او انها تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل السرور ضحكا كتسميته الغن خيراً .

قال لهم ان كان فيها خمسون من المؤمنين أتهلكونهم قالوا لا قال فأربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بما فيها لتنجينه وأهله عن فتادة وقيل انه جادلهم وقال بأية شيء استحقوا عذاب الاستئصال وهل ذلك واقع لا محالة أم هو تخويف ليرجعوا إلى الطاعة بأي شيء يهلكون وكيف يحيى الله المؤمنين عن الجبائي ولما سألهم سؤال مستقص سمي ذلك السؤال جدالا لأنه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض (إن ابراهيم لحليم أواه) مر معناه في سورة براءة (منيب) راجع إلى الله تعالى في جميع اموره متوكل عليه وفي هذا اشارة إلى أن تلك المجادلة من ابراهيم (ع) لم تكن من باب ما بكره لأنه مدحه بالحلم وبأن ذلك كان في أمر يتعلق بالرحمة ورقة القلب والرافة وذلك لأنه رأى الخلق الكثير في النار فأتاه لهم (يا ابراهيم اعرض عن هذا) هو حكاية ما قالت الملائكة لابراهيم (ع) فإنها نادته بأن قالت يا ابراهيم اعرض عن هذا القول وهذا الجدل في قوم لوط وانصرف عنه بالذكر والفكر (انه قد جاء أمر ربك) بالمعذاب فهو نازل بهم لا محالة (وانهم آتيتهم عذاب غير مردود) يعني غير مدفوع عنهم اي لا يقدر أحد على رده عنهم

قوله تعالى (٧٧) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٨) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَوَلَاءَ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٩) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٨٠) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨١) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُ إِنتَهُ مَعْيِبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ يَبْعِدُ (سبع آيات بلاخلاف وتنام الآية السادسة عند المدني الأخير قوله سجيل وعند الباقرين قوله منضود)

(=) القراءة (=)

في الشواذ قراءة سعيد بن جبير والحسن بخلاف وعيسى الثقفي ومحمد بن مروان هن اطهر لكم بالنصب والقراءة المشهورة اطهر بالرفع وقراءة شيبه أو اوي بالنصب والقراءة العامة بالرفع وقرأ أهل الحجاز فاسر بأهلك وأن أسر موصولة الهمز والباقون فاسر وأن أسر بقطع الهمزة حيث كان وقرأ ابن كثير وابو عمرو وإلا امرأتك بالرفع والباقون بالنصب

(=) الحجة (=)

أما قوله هن اطهر لكم فإن سيويه ضعف هذه القراءة وقال فيها اجتبى ابن مروان في لحنه قال ابن جنبي وإنما صح ذلك عنده لأنه ذهب إلى انه جعل هن فصلا وليست بين احد الجزأين اللذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك نحو ظننت زيدا هو خيرا منك وكان زيد هو العالم ويجوز أن يكون بناتي هن جملة من مبتدأ وخبر في موضع الخبر لهؤلاء كقولك زيد اخوك هو وأن يكون اطهر حالا من هن او من بناتي والعامل فيه معنى الاشارة كقولك

هذا زيد هو قائما ومن قرأ أو آوى بالنصب فيكون تقديره لو أن لي بهم قوة أو أوبا إلى ركن شديد ويكون منتصبا بإضمار أن وعليه بيت الكتاب

فَلَوْلَا رِجَالٌ مِنْ كِرَامٍ أَعَزَّةٍ وَآلٌ سَبِيْعٌ أَوْ أَسْوَأُكَ عَلَقَمَا

والتقدير أو أن أسوأك فكأنه قال أو إياك مسألتي ومن قرأ فأمر بأهلك بإثبات الهمزة في اللفظ أو بغير الهمزة فلان سرى واسرى معناهما سار ليلا قال النابغة

أَسْرَتُ عَلِيٍّ مِنَ الْجَوَازِ سَارِيَةٌ تَزْجِي السَّيَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ (١)

ويروى مرت وقال امرؤ القيس

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِيَّهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يَقْدَنُ بِأَرْسَانِ (٢)

وقال سبحانه سبحانه الذي اسرى بعبدته ومن قرأ إلا امرأتك نصبا فإنه جعل الكلام قبله مستقلا بنفسه فنصب مع النفي كما ينصب مع الإيجاب والوجه الأيسر الرفع على البدل من احدلان معنى ما أتاني احد إلازيد ما أتاني إلا زيد فكما اتفقوا فيما أتاني إلا زيد على الرفع وكان ما أتاني احد إلا زيد بمنزلة وبمعناه اختاروا الرفع مع ذكر احد وما يقوي ذلك انهم في الكلام وأكثر الاستعمال يقولون ما جاءني إلا امرأة فيذكرون حمل على المعنى ولا يكادون يؤثون ذلك إلا في الشعر كما في قول الشاعر «فَأَبْقَيْتُ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجِرَاشِعُ» وقول ذي الرمة «وما بقيت - إلا النخيرة والألواح والعصب» وزعموا أن في حرف عبد الله أو إبي فأسير بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وليس فيه ولا يلتفت منكم احد وهذا يقوي قول من نصب

❖ اللفظة ❖

اصل سيء بهم سوي بهم من السوء فاسكنت الواو وقلت كسرتها إلى السين ويقال سوته فسيء كما يقال شغلته فشغل وممرته فسرت والفرق بين السوء والقيح أن السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه والقيح ما ليس للقادر عليه أن يفعله ويقال ضاق فلان بأمره ذرعا إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصا والعصيب الشديد في الشر خاصة واصله من الشد يقال عصبت الشيء أي شدته وعصبت فخذا الناقة لتدر وناقاة عسوب ويوم عصب وعصيب كأنه التف على الناس بالشر أو يكون التف شره بعضه يعض قال الشاعر

فَأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَبْرُضِ بَكَرَّ بَنٍ وَأَثَلٍ يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِالْعِرَاقِ عَصِيبٌ

وقال عدي بن زيد

وَكَنتَ لِرِازِ خَصْمِكَ لَمْ أَعْرِذْ وَقَدِ سَلَكَوْكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٌ (٤)

وقال الراجز

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الْأَبْطَالَ عَصَبَ الْقَوِيِّ السَّلْمَ الطُّوَالَا

والإمراع الإسراع في المشي قال مهلهل

فَجَاؤُوا يَهْرَعُونَ وَهُمْ أَسَارِي تَقُودُهُمْ عَلَى رَغْمِ الْأَثُوفِ

وقال صاحب العين الإمراع السوق الخبيث قال أبوصلم والقرآن بالسوق أشبه والركن معتمد البناء بعد الأساس وركنا الجبل جانباه قال الراجز

يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكَانِ فِي عَدَدِ طَيْسٍ وَمَجْدِبَانَ (٥)

والشدة تجتمع بصعب معه التفكك وقد تكون الشدة تقبضا بعصر معه التحلل والقطع القطعة العظيمة تقضي من

(١) أجزاء : ساقه سوفا لينا . (٢) وفي الديوان واملأ الشريف «مطوت بهم» ومعناه سرت بهم سيرا سريعا .
تكل : أي تتعب . والمطية : الدابة التي تتركب . والجياد : الخيل وقوله «ما يقدن بأرسان» أي أعبت من شدة الجري .
ذلت وانقادت فلا تحتاج إلى ان تقاد بأرسان . (٣) قائلة ذو الرمة وقوله «طوى النخز والاجرأز مافى غروضها» ←

الملائكة وقيل ومن قبل محبي قوم لوط الى ضيفانه وقيل من قبل مجيئهم الى داره عن الجبائي وقيل إنه من قبل بشة لوط اليهم (كانوا يعملون السيئات) اي يعملون الفواحش مع الذكور (قال) لوط (يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) معناه أن لوطا لما هموا بأضيافه وجاهروا بذلك فالتقوا جلباب الحياء فيه عرض عليهم نكاح بناته وقال هن أحل لكم من الرجال فدعاهم إلى الحلال واختلف في ذلك فقيل أراد بناته لصلبه عن قتادة وقيل أراد النساء من أمته لأنهن كالبنيات له فإن كل نبي أبو أمته وازواجه أمهاتهم عن مجاهد وسعيد بن جبير واختلف أيضا في كيفية عرضهن فقيل بالتزويج وكان يجوز في شرعه تجوز المؤمنة من الكافر وكذا كان يجوز أيضا في مبدأ الإسلام وقد زوج النبي ﷺ بنته من أبي العاص بن الربيع قبل ان يسلم ثم نسخ ذلك وقيل أراد التزويج بشرط الإيمان عن الزجاج وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم وقيل انهم كان لهم سيدان مطاعان فيهم فأراد أن يزوجهما بننيه زعورا وورثياه (فاتقوا الله) اي فاتقوا عقاب الله في مواقة الذكور (ولا تخزون في ضيفي) اي لا تلزموني عارا ولا تلحقوا بي فضيحة ولا تخجلوني بالمهجوم على اضيافي فإن الضيف إذا نزل به مرة لحق عارها للمضيف (اليس منكم رجل رشيد) أي اليس في جملةكم رجل قد أصاب الرشيد فيعمل بالمعروف وينهى عن المنكر ويزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم ويجوز ان يكون رشيد بمعنى مرشد اي يرشدكم الى الحق (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بناته ودعاهم إلى النكاح المباح أي ما لنا في بناتك من حاجة لأن ما لا يكون للانسان فيه حاجة فإنه يرغب عنه كما يرغب عما لا حق له فيه فلذلك قالوا من حق وقيل معناه ما لنا فيهن من حق لأننا لا تزوجهن وكانوا يقرؤون بأن من لم يتزوج بامرأة فإنه لا حق له فيها عن الجبائي وابن اسحاق فالقول الأول محمول على المعنى والقول الثاني على ظاهر اللفظ (وانك لتعلم ما تريد) أي تعلم ميلنا إلى الظلم دون النساء فلما لم يقبلوا الموعظة تأسف لوط على فقد تمكنه من دفاعهم بأن (قال لو ان لي بكم قوة) أي منعة وقدرة وجماعة أتقوى بها عليكم فأدفعكم عن اضيافي (أو آوي إلى ركن شديد) أو أنضم الى عشيرة منيعة تنصرني وشيعة تمنعني لدفعكم ولكن لا يمكنني ان افعل ذلك قال الصادق عليه السلام فقال جبرئيل لو يعلم اي قوة له قال فكأبروه حتى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل ان يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا اهوى جبرئيل باصبعه فحوم فذهبت أعينهم وهو قوله فطمسنا أعينهم قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط إلا في عز من عشيرته ومنعة من قربه وزرعي عن النبي ﷺ قال قال ربه اني لرسول كائن يأتي إلى ركن شديد وهو معونة الله تعالى وما رأت الملائكة ما لقيه لوط من قومه (قالوا يا لوط إنا نرسل ربك) ارسلنا لملاكهم فلا تقم (لن يصلوا اليك) اي لا يبالونك بسوء ابدآ (فاسر بأهلك) اي سر بأهلك ليلا وقال السدي لم يؤمن بلوط إلا ابتاه (بقطع من الليل) اي في ظلمة الليل عن ابن عباس وقيل بعد طائفة من الليل عن قتادة وقيل في نصف من الليل عن الجبائي (ولا يلتفت منكم احد) قيل في معناه وجوه * احدها * لا ينظر احد منكم وراه عن مجاهد كأنهم تبدوا بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة * والثاني * لا يلتفت احد منكم إلى ماله ولا متاعه بالمدينة وليس معنى يلتفت من الرؤية عن الجبائي كأنه أراد في ان النظر اليهم عبرة فلم ينهوا عنها * والثالث * ان معناه ولا يتخلف منكم احد عن ابن عباس * والرابع * انه امرهم أن لا يلتفتوا إذا سمعوا الوجبة والهدية (إلا امرأتك) وقيل انها التفت حين سمعت الوجبة فقالت يا قوماء فأصابها حجر فقتلها وقيل إلا امرأتك معناه لا تسر بها (انه مصيبيها ما أصابهم) أي يصيبها من العذاب ما أصابهم امره ان يتخلفا في المدينة (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) لما اخبر الملائكة لوطا بأنهم يهلكون قوم لوط قال لهم اهلكوهم الساعة لضيق صدورهم وشدة غيظه عليهم فقالوا ان موعد اهلكهم الصبح لم يجعل الصبح طرفا وجعله خبر إن لأن الموعد هو الصبح وإنما قالوا له أليس الصبح بقريب تسلية له وقيل انه انما قال لهم اهلكوهم الساعة فقالوا

ذلك وفي هذا دلالة على ان الله سبحانه وإنما بهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وإن ضاق صدر الغير به ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقات اهلاكهم لأن النفوس فيه اودع والناس فيه اجمع (فلما جاء امرنا) فيه اقوال * احدها * جاء امرنا الملائكة باهلاك قوم لوط * والثاني * جاء العذاب كأنه قيل كن على التعظيم على طريق المجاز كما قال الشاعر

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً
وَحَدْرَتَانِ كَالدَّرِّ لَمَّا يَتَّقِبُ (١)

وعلى هذا فالأمر هو قس العذاب * والثالث * جاء امرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) اي قلبنا القرية اسفلها اعلاها فإن الله تعالى امر جبرائيل «ع» فأدخل جناحه تحت الأرض فرفعا حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الأرض فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة فلي هذا يكون معنى جعلنا جعل بأمرنا وإنما اضافته إلى نفسه لانه امره به (وأمطرنا عليهم حجارة) أي وأمطرنا على القرية أي على الغائبين منها حجارة عن الجبائي وقيل امطرت الحجارة على تلك القرية حين رفعها جبرائيل وقيل وإنما امطرت عليهم الحجارة بعد ان قلبت قربتهم تغليظا للعقوبة وقيل كانت اربع مدائن وهي الموثفكات سدوم وعمورا و دوما وصوامم واعظها سدوم وكان لوط يسكنها قال ابو عبيدة يقال مطر في الرحمة وامطر في العذاب (من سجيل) اي سنك كل عن ابن عباس وسعيد بن جبیر بين بذلك صلابتها ومباينتها للبرد وانها ليست من جنس ما جرت به عادتهم في سقوط البرد من النجوم وقيل ان السجين الطين عن قتادة وعكرمة ويؤيده قوله ليرسل عليهم حجارة من طين وروي عن عكرمة ايضا انه بحر معلق في الهواء بين الأرض والسماء منه انزلت الحجارة وقال الضحاك هو الأجر وقال القراء هو طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الارحاء وقال كان اصل الحجارة طينا فشدت عن الحسن وقيل ان السجيل ساء الدنيا عن ابن زيد فكانت تلك الحجارة منزلة من السماء الدنيا (منضود) هو من صفة سجيل اي تضد بعضها على بعض حتى صار حجراً عن الربيع وقيل مصوف في تتابع أي كان بعضها في جنب بعض عن قتادة وقيل يتبع بعضها بعضا عن ابن عباس (مسومة) هي من صفة الحجارة اي معلمة جعل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب وقيل مطوقة بها نضخ من حمرة عن قتادة وعكرمة وقيل كان مكتوبا على كل حجرة منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها سماء لاتشاكل حجارة الأرض عن ابن جريج وقيل مخطومة عن الحسن والسدي وقيل مشهورة (عند ربك) أي في علم ربك وقيل في خزائن ربك التي لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها احد إلا بأمره (وماهي من الظالمين يعيد) اي وما تلك الحجارة من الظالمين من امتك يا محمد يعيد أراد بذلك ارباب قريش وقال قتادة ما اجار الله منها ظالما بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا منه على حذر وقيل يعني بذلك قوم لوط يريد انها لم تكن تخطنهم وذكر أن حجراً بقي معلقا بين السماء والأرض اربعين يوماً يتوقع به رجلا من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منه فأصابه قال قتادة وكانوا أربعة آلاف ألف

قوله تعالى (٨٤) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِيلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مَّحِيطٍ (٨٥) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٦) بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٧) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ

الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنَا بِمُصَلِّئٌ وَلَا بِمَنْصُورٌ إِيَّاهُ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٩) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٩٠) وَأَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّكُمْ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩١) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّيزٍ (٩٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعْرَضْتُمْ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وِرَاءَ كُمُ ظَهْرِي إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٣) وَبَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُغْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٤) وَمَا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيبًا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ (٩٥) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ (اثنتا عشرة آية)

﴿ القراءه ﴾

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر اصلاتك بغير واو على التوحيد والباقون اصلواتك بالواو على الجمع وفي الشواذ قراءة السلمي بعدت ثمود بضم العين

﴿ الحجة ﴾

أما بعد فيكون في الخير والشر ومصدر البعد وبمعنى الشر خاصة ومصدره البعد ومنه ابعد الله فإنه منقول من بعد لأنه دعاء عليه وقراءة السلمي متفقة الفعل مع مصدره وإنما السؤال عن قراءة الجماعة الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود وطريق ذلك أن يكون البعد بمعنى اللعنة فيكون ابعد الله بمعنى لعنه الله ومنه قوله

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ (١)

اي المبعد فالابعاد للشيء نقص له فقد التقى معنى بئد معنى بعد من هنا

﴿ اللغة ﴾

الوزن تعديل الشيء بغيره في الخفة والثقل بآلة التعديل وإذا قيل شعر موزون فمعناه معدل بالعروض والتوفيق من الصواب إلا انه اختص بهذا الاسم ما اتفق وقوع الصواب عنده وليس ذلك جنساً بعينه وإنما هو بحسب ما يعلم الله تعالى وإنما لم يكن الموفق للطاعة إلا الله تعالى لأن احداً لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواء سبحانه والشقاق والمشاقة المباحة بالمداوة إلى جانب المباينة وشقها والفق فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى وقد صار علماً لضرب من علوم الدين وهو علم ببدلول الدلائل السمعية واصول الدين علم ببدلول الدلائل العقلية والرهط عشيرة الرجل وقومه واصله الشد والترهيط شدة الأكل ومنه الراهطاء جحر البربوع لشدة وتوسيمه لينجحي فيه ولده والرجم الرمي بالحجارة والأعز الأقوى الأمتع والأعز تقيض الأذل والظهوري جعل الشيء وراء الظهر حتى ينسأه ويقال لكل من لا يعبأ بامر قد جعل فلان هذا الأمر بظهر قال

(١) قائله شياخ قال في اللسان أراد مقام الذئب اللعين الطريد كالرجل . ويقال أراد مقام الذي هو كالرجل اللعين وهو السفى ، والرجل اللعين لا يزال منتبهاً عن الناس شبه الذئب به .

تَمِّمَنَّ بِنَ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي يَظْهَرُ فَلَا يَبْعَا عَلَيَّ جَوَابَهَا
* الإعراب *

أو ان فعل موضع ان نصب على معنى أو تأمرك ان ترك أو ان فعل في اموالنا ما نشاء فهو معطوف على ما بعد أبؤنا والتقدير اصلتك تأمرك ان ترك عبادة آبائنا أو فعل ما نشاء في اموالنا ولا يجوز أن يكون قوله ان فعل معطوفاً على قوله ان ترك لأن المعنى بصير فاسداً وأوهنا بمنزلتها في قولك جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله ان يكن غنياً أو فقيراً فأنه أولى بها ولم يقل به وموضع من في قوله من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب له وجهان من الاعراب * أحدهما * أن يكون معلقاً بقوله تعلمون فيكون استفهاماً وتقديره فسوف تعلمون من المخزي ومن الكاذب ويجوز أن يكون من هو كاذب على هذا بمعنى الذي هو كاذب ويكون معطوفاً على الماء من يخزيه أي ويخزي الذي هو كاذب * والثاني * أن يكون من في قوله من يأتيه بمعنى الذي ويكون من هو كاذب عطفاً عليه وادخلوا هو في قوله من هو كاذب لأنهم لا يقولون من قائم ولا من قاعد وإنما يقولون من قام ومن يقوم ومن القائم ومن القاعد وقد ورد ذلك في الشعر قال الشاعر

مَنْ شَارِبٌ مَرْبُوحٌ بِالْكَأْسِ نَادِمَنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا سَوَارٍ (١)

كأن لم يذوق فيها يحتمل أن يكون كأن محققة من الثقيلة على أن يضمر فيها كما يضمر في أن من قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ويجوز أن يكون ان التي تنصب الفعل ويكون مع الفعل بمعنى المصدر

* المعنى *

ثم عطف سبحانه قصة شبيب على ما تقدمها من قصص الأنبياء عليهم السلام فقال (وإلى مدین) أي وارسلنا إلى اهل مدین (أخاهم شعیبا) فحذف اهل واقام مدین مقامه ومدین اسم القبيلة أو المدينة التي كانوا فيها فلذلك لم ينصرف عن الزجاج وقيل مدین بن ابراهيم نسبو اليه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) قد سبق تفسيره (ولا تنقصوا المكيال والميزان) أي ولا تنقصوا حقوق الناس بالتطيف عند الكيل والوزن (إني أراكم بخير) أي برخص السعر والحصب عن ابن عباس والحسن والمعنى انه حذرهم الغلاء وهو زيادة السعر وزوال النعمة وحلول النعمة إن لم يتوبوا وقيل أراد بالخير المال وزينة الدنيا عن قتادة وابن زيد والضحاك والمعنى اني أراكم في كثرة الأموال وسعة الارزاق فلا حاجة بكم إلى نقصان الكيل والوزن (واني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) وصف اليوم بالإحاطة بمعنى انه يحيط بعذابه بجميع الكفار ولا يقلت منه احد منهم و اراد يوم القيامة عن الجبائي وهو من صفة العذاب على الحقيقة لأن اليوم محبط بعذابه بدلا من اعطائه بنعمته وذلك اظهر في الوصف وأهول في النفس (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) أي اوفوا حقوق الناس في المكيالات والموزونات بالمكيال والميزان بالعدل (ولا تبخسوا الناس) أي ولا تنقصوا الناس (اشياءهم) أي اموالهم في معاملاتهم (ولا تسروا في الارض مفسدين) أي ولا تسروا بالفساد ولا تضربوا في الارض (بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين) البقية بمعنى الباقي أي ما أبقى الله تعالى لكم من الحلال بعد اتمام الكيل والوزن خير من البخس والتطيف وشرط الايمان في كونه خيراً لهم لأنهم ان كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة هذا القول عن ابن عباس وقيل معناه ابقاء الله النعيم عليكم خير لكم مما يحصل من النفع بالتطيف من ابن جبير وقيل معناه طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا لأنها يبقى ثوابها أبداً والدنيا تفتنى عن الحسن ومجاهد ويؤيده قوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً الاية وقيل بقية الله رزق الله عن الثوري (وما انا عليكم بحفيظ) أي وما انا بحافظ نعم الله تعالى عليكم ان يزيلها عنكم وإنما يحفظها الله عليكم فاطلبوا بقاؤه بطاعته وقيل معناه وما انا بحافظ لأعمالكم وإنما يحفظها الله فيجازيكم عليها وقيل معناه وما انا بحافظ عليكم كيحكم ووزنكم حتى توفوا

الناس حقوقهم ولا تظلموهم وانما علي ان انهاكم عنه (قالوا يا شعيب اصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آبائنا) انما قالوا ذلك لأن شعيباً (ع) كان كثير الصلاة وكان يقول اذا صلى ان الصلاة رادعة عن الشرناحية عن الفحشاء والمنكر فقالوا اصلاتك التي تزعم انها تأمر بالخير وتنهى عن الشر أمرتك بهذا عن ابن عباس وقيل معناه أدينك يا أمرك بترك دين السلف عن الحسن وعطا وابي مسلم قالوا كنى عن الدين بالصلاة لأنها من أجل أمور الدين وإنما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء (أو أن نعمل في أموالنا ما نشاء) معناه اصلاتك تأمرك بترك عبادة ما يعبد آبائنا اوبترك فعل ما نشاء في أموالنا من البخس والتطيف (إنك لأنت الحليم الرشيد) قيل انهم قالوا ذلك على وجه المزور والنهكهم وأرادوا به ضد ذلك اي السفيه العاوي عن ابن عباس وقيل انهم قالوا ذلك على التحقيق اي انك أنت الحليم في قومك فلا يليق بك ان تخالفهم والحليم الذي لا يعاجل بالمقربة مستحقها والرشيد المرشد (قال شعيب (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) مرّ تفسيره (ورزقني منه رزقا حسنا) قيل ان الرزق الحسن ههنا النبوة وقيل معناه هدايي لدينه ووسّع عليّ رزقه وكان كثير المال عن الحسن وقيل كل نعمة من الله سبحانه فهو رزق حسن وفي الكلام حذف اي أفاضل مع ذلك عما انا عليه من عبادته وإنما حذف لدلالة ما بقاء على ما القاه (وما أريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه) اي لست انهاكم عن شيء وادخل فيه وانما اختار لكم ما اختاره لنفسي ومعنى ما أخالفكم اليه اي ما اقصد به بخلافكم الى ارتكابه عن الزجاج وهذا في معنى قول الشاعر

لَا تَنَّهُ عَن خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وقيل معناه وما أريد اجترار منفعة الى نفسي بما انهاكم عنه اي لا أمرك بترك التطيف في الكيل والوزن لتكون منفعة ما يحصل بالتطيف لي (إن أريد إلا الاصلاح) اي لست اريد بما أمركم به وأنهاكم عنه إلا الاصلاح أموركم في دينكم ودنياكم (ما استطعت) اي ما قدرت عليه وتمكنت منه (وما توفيقي إلا بالله) معناه وليس توفيقي في امثال ما أمركم به والانتها عما انهاكم عنه إلا بالله فلا يوفق غيره اي وليس ما افعله بحولي وقوتي بل بمونة الله ولطفه وتيسيره (عليه توكلت) والتوكل على الله الرضا بتدبيره مع تقويض الأمور اليه والتمسك بطاعته (واليه أنيب) اي واليه ارجع في المعاد عن مجاهد وقيل اليه ارجع بعلمي ونيتي عن الحسن ومعناه اني اعلم اهالي كلها لوجه الله (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي) اي لا يكسبنكم خلافي ومعاداتي (أن يصيبكم) عذاب العاجلة عن الزجاج وقيل معناه لا تحملنكم عداوتي على مخالفة ربكم فيصيبكم من العذاب مثل ما اصاب من قبلكم عن الحسن وكان سبب هذه العداوة دعاؤه لكم إلى مخالفة الآباء والأجداد في عبادة الأوثان وما يثقل عليهم من الايذاء في الكيل والميزان (مثل ما اصاب قوم نوح) من الهلاك بالفرق (او قوم هود) بالريح العقيم (او قوم صالح) بالرجفة (وما قوم لوط منكم بعيد) اي هم قريب منكم في الزمان الذي بينه وبينكم عن قتادة وقيل معناه ان دارهم قريبة من داركم فيجب أن تتعظوا بهم (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) أي اطلبوا المغفرة من الله ثم وصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا للماضي واعزموا في المستقبل وقيل استغفروا ثم دوموا على التوبة وقيل استغفروا في العالانية ثم اضمروا الندامة في القلب عن الماضي (إن ربي رحيم) بعباده فيقبل توبتهم ويغفر عن معاصيهم (ودود) اي محب لهم ومعناه يريد لمنافعهم وقيل معناه متودد الى عباده بكثرة انعامه عليهم وقيل ودود بمعنى الراد أي يودهم إذا أطاعوه وروي عن النبي ﷺ انه قال كان شعيب خطيب الأنبياء (قالوا) اي قال قوم شعيب له حين سمعوا منه الوعظ والتخويف (يا شعيب ما نفقه كثيرا كما تقول) اي ما نفهم عنك معنى كثير من كلامك وقيل معناه لا نقبل كثيرا منه ولا نعمل به وهذا كقولك إذا امرك إنسان بشيء لا تريد ان تفعله لا اعلم ما تقول وانت تعلم ذلك اي لا افعله وإنما قالوا ذلك بعدما ألزمهم الحججة (وإنما لترك فينا ضعيفا) اي ضعيف البدن عن الجبائي وقيل ضعيف البصر عن سفيان وقيل اعشى وكان شعيب اعشى

من قتادة وسعيد بن جبير قال الزجاج وحير تسمى المكفوف ضعيفا وهذا كما قيل ضرير أي قد ضرَّ بذهاب بصره وكذلك قد ضعف بذهاب بصره وكف عن التصرف وهذا القول ليس بسديد لأن قوله فينا يردُّه ألا ترى انه لو قيل إنا لترك فينا اعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى قد يكون اعمى فيهم وفي غيرهم وقيل ضعيفا اي مهينا عن الحسن واختلف في ان النبي ﷺ هل يجوز ان يكون اعمى فقيل لا يجوز لأن ذلك ينفر وقيل يجوز ان لا يكون فيه تنفير ويكون بمنزلة سائر العلل والأمراض (ولولا رهطك لرجمناك) اي لولا حرمة عشيرتك وقومك لقتلناك بالحجارة وقيل معناه لثمنناك وسببناك (وما انت علينا بعزير) أي لم ندع قتلك لعزتك علينا ولكن لأجل قومك قال الحسن وكان شيب في عز من قومه وكان من اشرافهم وما بعث نبي بعد لوط إلا في عز من قومه (قال) شيب (يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله) اي أعشيري وقومي اعظم حرمة عندكم من الله فتتركون أذيي لأجل عشيرتي ولا تذكرن الله الذي بعثني اليكم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) اي اتخذتم الله وراء ظهوركم يعني نسيتموه فالهاء عائدة إلى الله عن ابن عباس والحسن وقيل الهاء عائدة إلى ما جاء به شيب عن مجاهد والمعنى ونبذتم ما ارسلت به اليكم وراء ظهوركم وقيل الهاء عائدة إلى امر الله عن الزجاج أي نبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه (إن ربي بما تعملون محيط) اي محص لأعمالكم لا يفوته شيء منها وقيل معناه خبير بأعمالكم فيجازيكم بها عن الحسن (ويا قوم اعملوا على مكاتبتكم) اي اعملوا على حالتكم هذه والمكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها مسن عمل وهذا تهديد في صورة الأمر وتقديره كأنكم إنما امرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر والظلم وفي هذا نهاية الحزني والهرابي وقيل معناه اعملوا على ما يمكنكم اي اعملوا انتم على ما تقولون واعمل انا على ما اقول وقيل معناه اعملوا على ما انتم عليه من دينكم ونحوه قوله لكم دينكم ولي دين وفي هذا دلالة على انه آيس من قومه (إنني عامل) على ما امرني ربي وقيل اني عامل على ما انا عليه من الانذار (سوف تعلمون) اي انا المخطئ الجاني على نفسه وقيل معناه سوف يتبين لكم وتعلمون في عاقبة الامر (من يأتيه عذاب يخزيه) اي يهينه ويفضحه ويظهر الكاذب من الصادق وتقديره ومن هو كاذب يخزي بعذاب الله فحذف (وارتقبوا اني معكم رقيب) اي انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب إنني معكم منتظر حلول العذاب بكم وقيل معناه انتظروا العذاب واللعنة وانا انتظر الرحمة والثواب والنصرة عن ابن عباس وقيل معناه انتظروا مواعيد الشيطان وانا انتظر مواعيد الرحمن وروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال ما احسن الصبر وانتظار الفرج اما سمعت قول العبد الصالح وارتقبوا اني معكم رقيب (ولما جاء امرنا نجينا شميا والذين آمنوا معه برحمة منا) مضى تفسيره (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبرئيل صيحة فماتوا (فأصبحوا في ديارهم جاهنين كأن لم يكنوا فيها) مضى تفسيره قبل (الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) الا بعدوا من رحمة الله بعدا كما بعدت ثمود وقيل الا هلاكهم كما هلكت ثمود وتقديره الا اهلكهم الله فبعدوا بعدا قال البلخي يجوز ان تكون الصيحة صيحة على الحقيقة كما روي ويجوز ان تكون ضربا من العذاب اهلكهم الله به واصطلمهم تقول العرب صاح الزمان بهم إذا هلكوا وقال امرؤ القيس

فَدَعُ عَنْكَ نَبِيًّا صَبِيحًا فِي حَجْرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثٌ مَا حَدِيثُ الرَّوَّاحِلِ (١)

ومعنى صبح في حجراته اذهب واهلك قالوا وإنما شبه حالهم بحال ثمود خاصة لأنهم اهلكوا بالصيحة كما اهلكت ثمود بمثل ذلك مع الرجعة

قوله تعالى (٩٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٨) بِقَدَمِ قَوْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ

(١) الشعرمذكور في جامع الشواهد وفيه «دع عنك نبيا . اه» .

على ضد هذه الحال لأنه داع إلى الثمر وصاحب عن الخير وفي هذا دلالة على أن لفظة الأمر مشتركة بين القول والفعل والمراد هاهنا وما فعل فرعون برشيد (يقدم قومه يوم القيامة) يعني ان فرعون يمشي بين يدي قومه يوم القيامة على قدميه حتى يهجم بهم على النار كما كان يقدمهم في الدنيا يدعهم إلى طريق النار وإنما قال (فأوردهم) على لفظ الماضي والمراد به المستقبل لأن ما عطفه عليه من قوله يقدم قومه يوم القيامة يدل عليه عن الجائي وقيل انه معطوف على قوله فاتبعوا امر فرعون (وبس الورد المورود) أي بس الماء الذي يردونه مطاشا لحياتهم ونفوسهم (النار) إنما اطلق سبحانه على النار اسم الورد المورود ليطابق ما يرد عليه اهل الجنة من الأنهار والعيون وقيل معناه بس المدخل المدخول فيه النار وقيل بس الشيء الذي يرد النار وقيل بس النصيب المقسوم لهم النار وإنما اطلق لفظ بس وإن كان عدلا حسنا لما فيه من البؤس والشدة (واتبعوا في هذه) يعني الحقوا في الدنيا (لعنة) وهي الفرق (ويوم القيامة) يعني ولعنة يوم القيامة وهي عذاب الآخرة وقيل معناه اتبعهم الله في الدنيا لعنة بإبعادهم من الرحمة واتبعهم الأنبياء والمؤمنون بالدعاء عليهم باللعنة ويتبعهم الله اللعنة في القيامة حتى لا تفارقهم اللعنة حيث كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنهم (بس الورد المرفود) أي بس المطاء المعلى النار واللعنة وإنما سماه رفدا لأنه في مقابلة ما يعطى اهل الجنة من انواع النعيم وقال قتادة ترافدت عليهم لعنتان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وسأل تافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله بس الورد المرفود قال هو اللعنة بسد اللعنة وقال الضحاك اللعنتان اللتان أصابتهم رفدت احدها الأخرى (ذلك) أي ذلك النبأ (من انباء القرى) أي من اخبار البلاد (نقصه عليك) أي تذكره لك ونخبرك به تذكرة وتسلية لك يا محمد (منها قائم وحصيد) أي من تلك الديار معمر وخراب قد أتى عليه الاهلاك ولم يعمر فيما بعد وقيل معناه منها قائم على بنائه لم يذهب اصلا وإن كان خاليا من اهله وحصيد قد خرب وذهب واندرس اثره كالشيء المحصود عن قتادة وأبي مسلم وقيل منها قائم ينظرون اليها وحصيد قد هلك وباد اهله من ابن عباس (وما ظلمناهم) باهلاكم (ولكن ظلموا انفسهم) بأن كفروا وارتكبوا ما استحقوا به الهلاك فكان ذلك ظلمهم لأنفسهم (فما اغنت عنهم آلهتهم) أي أوثانهم (التي يدعون من دون الله من شيء) لما جاء امر ربك (أي عذاب ربك) وقيل امر ربك باهلاكم (وما زادهم غير تتيب) أي غير تخيير من مجاهد وقتادة والمعنى لم يزيدوهم شيئا غير الهلاك والحسار وإنما اضاف الإهلاك إلى الأصنام لأنها السبب في ذلك ولو لم يبدوها لم يهلكوا وإنما قال يدعون من دون الله لأنهم كانوا يسمونها آلهة ويطلبون الحوائج منها كما يطلبها الموحدون من الله (وكذلك اخذ ربك) أي وكما ذكر من اهلاكم الاسم وأخذهم بالعذاب اخذ ربك (إذا اخذ القرى) أي اخذ اهلهما وهو ان ينقلهم إلى العقوبة والهلاك (وهي ظالمة) من صفة القرى وهو في الحقيقة لأهلها وسكانها ونحوه وكما قصصنا من قرية كانت ظالمة وفي الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى يجهل الظالم حتى إذا اخذته لم يفتته ثم قرأ هذه الآية (ان اخذته أليم شديد) معناه ان اخذ الله سبحانه الظالم مؤلما شديد الألم (إن في ذلك لآية) أي أن فينا قصصنا عليك من اهلاكم من ذكرناه على وجه العقوبة لهم على كفرهم لعبادة وتبصرة وعلامة عظيمة (لمن خاف عذاب الآخرة) أي لمن خشى عقوبة الله يوم القيامة وخص الخائف بذلك لأنه هو الذي ينتفع به بالتدبر والتفكير فيه (ذلك يوم مجموع له الناس) أي يجمع فيه الناس كلهم الأولون والآخرون منهم للجزاء والحساب والهاء في له راجعة إلى اليوم (وذلك يوم مشهود) أي يشهده الخلائق كلهم من الجن والإنس وأهل السماء وأهل الأرض أي يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه وفي هذا دلالة على اثبات المعاد وحشر الخلق

قوله تعالى (١٠٤) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٥) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ

إِلَّا بِأُذُنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٦) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ نَادِرًا لَّهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٧)

→ الماء أول ما ينفجر الصبح والنهل: أول الشرب. (٣) جوامع الماء: معظمه. معناه لما بلغن الماء أقمن عليه. وقد نسب الشعر في اللسان في «جم» و«ورد» إلى زهير.

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٨) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ (خمس آيات)

— (القراءه) —

قرأ يعقوب وما يؤخره بالياء والباقون بالنون وقرأ يوم يأتي بضم ياء ابن عامر وأهل الكوفة غير الكسائي والباقون يأتي بإثبات الياء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر سعدوا بضم السين والباقون سعدوا بالفتح

— (الهجته) —

من قرأ يؤخره بالياء فإنه رده إلى قوله اخذ ربك ومن قرأ بالنون فإنه ابتداء والياء في المعنى كالنون وقوله يوم يأتي قال الزجاج الذي يختاره النحويون يوم يأتي وهذيل يحذف هذه الياءات كثيراً وقد حكى سيويه والحليل أن العرب تقول لا ادر فتحذف الياء وتجتزئ بالكسرة إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال قال ابو علي من اثبت الياء في الوصل والوقف فهو القياس البين وأما من حذفها في الوقف إذا قال يوم يأتي فلأنها وان لم تكن في فاصلة امكن ان نشبهها بالفاصلة لأن هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة في الوصل بدلالة انها حذفوها كما حذفوا الحركة فكما ان الحركة تحذف في الوقف فكذلك ما اشبهها من هذه الحروف كان في حكمها فأما من حذفها في الوصل والوقف فلأنه جعلها في الوصل والوقف بمنزلة ما استعمل محذوفاً مما لم يكن ينبغي في القياس ان يحذف نحو لم يك ولا أدر ومثله قول الشاعر

كفأك كف لا تبقي ذرهما جوداً وأخرى تعطى بالسيف الدما

حذف الياء من تعطي وليس هنا ما يوجب حذفها واما قوله سعدوا فقد قال ابو علي حكى سيويه سعد بسعد سعادة فهو سعيد وينبغي ان يكون غير متعد كما ان خلافه الذي هو شقي كذلك واذا كان كذلك كان ضم السين مشكلاً إلا ان يكون سماع فيه لغة خارجة عن القياس او يكون من باب فعل وفعله نحو غاص الماء وغصته وجزن وحزنته ولعلمهم استشهدوا على ذلك بقولهم مسعود وانه يدل على سعد ولا دلالة قاطعة في ذلك لأنه يجوز ان يكون مثل أجنه الله فهو مجنون وأحبه فهو محبوب فالفعل جـا في هذا على انه حذف الزيادة عنه كما حذف من اسم الفاعل في نحو قوله وارملنا الرياح لواقع يعني ملاقيح فجاء على حذف الزيادة فعلى هذا يكون اصله اسعد فحذف الزائد ومن الحذف قول الشاعر « يخرجن من أجواز ليل فاضي » يريد مفض

❖ اللغة ❖

الشقا. والشقاوة والشقوة بمعنى والياء في شقي منقلبة عن واو والسعادة ضد الشقاوة والزفير اول نفاق الحمار والشهيق آخر نفاقه قال روية

حشرج في الجوف صهلاً أو شهق حتى يقال ناهق وما نهق (٧)

والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع وأصل الزفير الشدة من قولهم لاشديد الخلق مزفور والزفر الحمل على الظهر خاصة لشدة والزفر السيدلانه يطبق حمل الشدائد وزفرت النار إذا سمع لها صوت من شدة توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بعد النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق والحلود الكون في الامر ابداً والدوام البقاء ابداً ولهذا يوصف سبحانه بأنه دائم ولا يوصف بأنه خالد والجذ القطع يقال جذه يجذّه وجذ الله دايرهم قال النابغة

(١) قائله روية وبسده « نضوق قدام النابل النواضي » كما كنا ينضخن بالنضخاض» يصف الطليبا بشدة السير والنضخاض : القطران . يريد انها عرفت من شدة السير فاسودت جلودها . والإجواز : الاوساط . وليل غاض اي مظلم .
(٢) حشرجة الحمار : صوته يردده في حلقه . وفي اللسان « صهلاً او شهق » وهو الاقيس فان الصهيل للضليل والفرس .

نَجْدُ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسَجَهُ
ويقال جذها جذَّ البعير الصليانة وهي نبت

✽ الاعراب ✽

يوم يأتي لا يخلو ان يكون فاعل يأتي ضمير اليوم المضاف الى يأتي واليوم المتقدم ذكره فلا يجوز ان يكون فاعله ضمير اليوم الذي اضيف الى يأتي لأنك لا تقول جئتك يوم يسرك سروده إياك ويكون الها. عائدة الى يوم فيصير اليوم مضافا الى الفعل المسند الى ضميره وانما تعرف الفعل فيه بالفاعل فيكون كأنك انما عرفت اليوم بنفسه ونظير ذلك قواك هذا يوم حره ويوم برده والها لليوم وهذا غير جائز وكذلك لا يجوز ان تضيف الظرف الى جملة معرفة بضميره وان كانت من مبتدأ وخبر مثل ان تقول آتيك يوم ضحوته باردة وليلة اولها مطير فان نوتت فقلت آتيك يوماً ضحوته باردة او ليلة اولها مطير جاز لأنه خرج بالتنوين عن حد الإضافة وهنا قول ابي عثمان المازني واذا قد ثبت ذلك فقد ثبت ان في يأتي ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله ذلك يوم مجموع له للناس وذلك يوم مشهود اي يوم يأتي هذا اليوم الذي تقدم ذكره لا تكلم نفس فالיום في قوله يوم يأتي يراد به الحين والبرهة وليس على وضع النهار وقوله لا تكلم نفس الا بالوذنه يجوز ان يكون هذه الحملة حالا من الضعير في يأتي ويجوز ان يكون صفة ليوم المضاف الى يأتي لأن يوم مضاف الى يأتي والفعل نكرة فلا تعرف يوم بالاضافة اليه فجاز ان يوصف بالجملة كما توصف النكرات بالجمع والمعنى لا تكلم فيه نفس فحذف فيه وحذف الحرف وأوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الضعير من الفعل الذي هو صفة كما يحذف من الصلة ومثل ذلك قولهم الناس رجلان رجل اكزمت ورجل اهنت واذا جملة حالا من الضعير في يأت وجب ان تقدر فيه ايضاً ضميراً يعود الى ذي الحال وتقديره غير متكلم فيه هذا كله قول ابي علي واقول ان الأظهر ان قوله يوم يأتي ظرف لقوله لا تكلم نفس إلا بالوذنه ومعمول له وهذا الوجه لا يحتاج فيه الى تقدير محذوف كما في الوجهين اللذين ذكرناهما فيكون اولى وإنما يضاف يوم الى الفعل لأنه اسم زمان والفعل يناسب الزمان من حيث أنه لا يحلومنه وانما يتصرف بتصرفه وان لا يكون حادثاً الا وقتاً كما ان الزمان لا يبقى وقوله لا تكلم اي لا تتكلم فحذف احدى التائين كما في قول الشاعر

وَالْمَيْنُ مَا كِنَّةٌ عَلَى أَطْلَاهَا
عُودًا تَأَجَّلَ بِالْفَضَاءِ بِهَا مَهْمَاهَا (٣)

اي تتأجل وعطا منصوب بما دل الكلام عليه فكانه قال اعطاهم النعيم عطا.

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن اليوم المشهود وهو يوم القيامة فقال (وما تؤخره) اي وما تؤخر هذا اليوم (إلا لأجل معدود) وهو أجل قد عدّه الله تعالى اعلمه ان صلاح الخلق في ادامة التكليف عليهم الى ذلك الوقت وفيه إشارة الى قربته لأن ما يدخل تحت المد فكأن قد نفذ وانما قال لأجل ولم يقل الى أجل لأن اللام يدل على الغرض وان الحكمة اقتضت تأخيره وإلى لا يدل على ذلك (يوم يأت) اي حين يأتي القيامة والجزاء (لا تكلم نفس إلا بالوذنه) اي لا يتكلم أحد فيه الا بالوذنه الله تعالى وامره ومعناه انه لا يتكلم فيه الا بالكلام الحسن المأذون فيه لأن الخلق ملجأون هناك الى ترك القبائح فلا يقع منهم فعل القبيح وأما ما هو غير قبيح فالونه مأذون فيه عن الجبائي والأظهر ان يقال معناه انه لا يتكلم احد في الآخرة بكلام نافع من شفاعة ووسيلة الا بالوذنه فان قيل كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيمتدرون وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان على انه سبحانه قال في موضع آخر وقفروهم إنهم مسؤولون وهل هذا الا ظاهر التناقض فالجواب ان يوم القيامة يشتمل على مواقف قد أذن لهم في الكلام في بعض تلك المواقف ولم يؤذن لهم

(١) السلوقي : الدرع النسوبة الى سلوق - قرية باليمن - والصفاح : الحجر الربيض . ونار الجباب : ما اقتدح

من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . يصف السيوف (٢) مثل يضرب لمن يقدم على اليمين الكاذبة . (٣)

قائله لبيد في المعلقة قوله «المين» اي واسمات المين . والطلا : ولد الوحش . والموذ : الهديثات النتاج . والاجل : ←

في الكلام في بعضها عن الحسن وقيل ان معنى قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون لحجة وإنما يتكلمون بالاقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضا وطرح بعضهم الذنوب على بعض وهذا كما يقول القائل لمن تكلم بكلام كثير فارغ عن الحجة ما تكلمت بشي ولا نطقت بشي فسمي من يتكلم بما لا حجة فيه غير متكلم كما قال سبحانه صم بكم عمي وهم كانوا يسمعون ويتكلمون ويصرون الا انهم في انهم لا يقبلون الحق ولا يتاملون بمنزلة الصم البكم العمي وكلا الوجهين حسن وأما قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فمعناه انهم لا يسألون عن ذنوبهم للتعرف من حيث ان الله سبحانه علم اعمالهم وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وتقريع لا لإيجاب الحجة عليهم كما في قوله وقفوه انهم مسؤولون فأثبت سبحانه سؤال التقريع في آية ونفى سؤال التعرف والاستعلام في أخرى فلا تناقض وقوله (فمنهم شقي وسعيد) إخبار منه سبحانه بانهم قسمان اشقياء وهم المستحقون للعقاب وسعداء وهم المستحقون للثواب والشقاء قوة اسباب البلاء والسعادة قوة اسباب النعمة والشقي بسوء عمله في معصية الله والسعيد من سعد بحسن عمله في طاعة الله والضمير في قوله فمنهم يعود الى الناس في قوله ذلك يوم مجموع له الناس وقيل انه يعود الى نفس في قوله لا تكلم نفس الا بإذنه لأن النفس اسم الجنس (فأما الذين شقوا ففي النار) يعني ان الذين شقوا باستحقاقهم العذاب جزاء على اعمالهم القبيحة داخلون في النار وانما وصفوا بالشقاوة قبل دخولهم النار لأنهم على حال توديعهم الى دخولها وأما ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال الشقي من شقي في بطن أمه فلون المراد بذلك ان المعلوم من حاله انه سيشتقي بارتكاب القبائح التي تؤذيه الى عذاب النار كما يقال لابن الشيخ الهرم انه يتيم بمعنى انه سيتم (لهم فيها زفير وشهيق) قال الزجاج الزفير والشهيق من اصوات المكروبين المحزونين والزفير من شديد الأنين وقبيحه بمنزلة ابتداء صوت العمار والشهيق الأنين الشديد المرتفع جداً بمنزلة آخر صوت الحمار وعن ابن عباس قال يريدندامة ونفسا عاليا وبكاء لا ينقطع (خالدن فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) اختلف العلماء في تأويل هذا في الآيتين وهما من المواضع المشككة في القرآن والاشكال فيه من وجهين **أحدها** تحديد الخلود بسدة دوام السماوات والأرض **والآخر** معنى الاستثناء بقوله إلا ما شاء ربك فالأول فيه اقوال **أحدها** ان المراد ما دامت السماوات والأرض مبتدئين اي ما دامت سماوات الآخرة واراضها وهما لا يفنيان اذا أعيد بعد الافناء عن الضحك والجبائي **وثانيها** ان المراد ما دامت سماوات الجنة والنار واراضها وكل ما علاك فأظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض وهذا مثل الأول او قريب منه **وثالثها** ان المراد ما دامت الآخرة وهي دائمة أبداً كما ان دوام السماء والأرض في الدنيا قدر مدة بنائها عن الحسن **رابعها** انه لا يراد به السماء والأرض بعينها بل المراد التبعية فإن للعرب الفاظاً للتبعية في معنى التأيد يقولون لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والأرض وما نبت النبت وما اطت الأبل وما اختلف الحجر والدرة وما ذرشارق وفي اشياء ذلك كثرة ظناً منهم ان هذه الاشياء لا تتغير ويريدون بذلك التأيد لا التوقيت فخطابهم سبحانه بالمعارف من كلامهم على قدر عقولهم وما يعرفون قال عمرو بن معديكرب

وَكَلَّ أَخٍ مُفَارِقَهُ أَخُوهُ لَمَمَرُ أَيْكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ (٧)

وقال زهير

أَلَا أَرَى عَلَى الْحَوَائِثِ بَاقِيًا وَلَا خَالِدًا إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
وَأِلَّا السَّمَاءَ وَالنَّجُومَ وَرَبَّنَا وَأَيَّامَنَا مَعْدُودَةً وَاللَّيَالِيَا

لأنه توهم ان هذه الاشياء لا تفتنى وتخلد واما الكلام في الاستثناء فقد اختلفت فيه اقوال العلماء على وجوه **أحدها** انه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار والزيادة من النعيم لأهل الجنة والتقدير

→ القطيع من بقر الوحش والبهائم : اولاد الضأن اذا انفردت . يقول والبقر الواسمات العيون قدسكنت على اولادها

ترضعها حال كونها حديثا النتاج واولادها تصير قطعاً قطعاً في الصحراء .

(١) الاطيط : صوت الابل وحنينها او صوت أجوانها من الكظة اذا شربت . والحجرة : بالكسر - : ما يفرجه ←

إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك الف دينار الا الالفين الذين اقرضتكها وقت كذا فالالفان زيادة على الألف بغير شك لأن الكثير لا يستثنى من القليل عن الزجاج والفراء وعلي بن عيسى وجماعة وعلى هذا فيكون الا بمعنى سوى اي سوى ما شاء ربك كما يقال ما كان معنار رجل الا زيد اي سوى زيد **﴿ وثانيها ﴾** ان الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر والحساب لأنهم حينئذ ليسوا في جنة ولا نار ومدة كونهم في البرزخ الذي هو ما بين الموت والحياة لأنه تعالى لو قال خالد بن دينار فيها ابدأ ولم يستثن لظن الظان أنهم يكونون في النار والجنة من لدن نزول الآية او من بعد انقطاع التكليف فحصل للاستثناء فائدة عن المازني وغيره واختاره البلخي فإن قيل كيف يستثنى من الخلود في النار ما قبل الدخول فيها فالجواب ان ذلك جائز اذا كان الاخبار به قبل دخولهم فيها **﴿ وثالثها ﴾** ان الاستثناء الأول يتصل بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقديره إلا ما شاء ربك من اجتناس العذاب الخارجة عن هذين الضريين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود وفي اهل الجنة يتصل بما دل عليه الكلام فكأنه قال لهم فيها نعيم إلا ما شاء ربك من انواع النعيم وانما دل عليه قوله عطاء غير مجدوذ عن الزجاج **﴿ ورابعها ﴾** ان يكون الا بمعنى الواو اي وما شاء ربك من الزيادة عن الفراء واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وَأَرَى لَهَا ذَارًا بِأَعْدِرَةِ السَّيِّ
إِلَّا رِمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ
دَانٍ لَمْ يَدْرَسْ لَهَا رَسْمٌ
عَنْهُ الرِّيحَ خَوَالِدٌ سَحْمٌ (١)

قال والمراد بالواو ههنا وإلا كان الكلام متناقضا وهذا القول قد ضعفه محققو النحويين **﴿ وخامسها ﴾** ان المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل التوحيد الذين ضموا الى ايمانهم وطاعتهم ارتكاب المعاصي فقال سبحانه انهم معاقبون في النار الا ما شاء ربك من اخرجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعتهم اليهم ويجوز ان يريد بالذين شقوا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات منهم بمن استحق الثواب ولا بد أن يوصل اليه وتقديره الا ما شاء ربك ان يخرجهم بتوحيده من النار ويدخله الجنة وقد يكون ما بمعنى من قال سبحانه سبح لله ما في السموات وقالت العرب عند سماع الرعد سبحان ما سبحت له وأما في اهل الجنة فهو استثناء من خلودهم ايضا لما ذكرناه لأن من ينقل الى الجنة من النار ويدخله الجنة وقد يكون عنه بتأييد خلوده ايضا من استثناء ما تقدم فكأنه قال خالد بن دينار فيها إلا ما شاء ربك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قيل أن ينقلهم الى الجنة فما في قوله ما شاء ربك ههنا على بابه والاستثناء من الزمان والاستثناء في الأول من الأعيان والذين شقوا على هذا القول هم الذين سعدوا بأعيانهم وإنما أجرى عليهم كل لفظ في الحال الذي تليق به فاذا ادخلوا النار وعوقبوا فيها فهم من أهل الشقاء وإذا نقلوا منها الى الجنة فهم من أهل السعادة وهذا قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وابي سعيد الخدري وقتادة والسدي والضحاك وجماعة من المفسرين وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعادهم في حال أخرى وقال قتادة الله اعلم بمشيتته ذكر لنا ان ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوبهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته يسمون الجهنميين وهم الذين أُنقذ فيهم الوعيد ثم أخرجوا بالشفاعاة قال وحدثنا انس بن مالك ان رسول الله **ﷺ** قال يخرج قوم من النار قال ولا تقول ما يقوله أهل حروراء وهذا القول هو المختار المعول عليه **﴿ وسادسها ﴾** ان تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبديد للخروج لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به فكأنه تعليق لما لا يكون بما لا يكون لأنه لا يشاء أن يخرجهم منها **﴿ وسابعها ﴾** ما قاله الحسن ان الله سبحانه استثنى ثم عزم بقوله إن ربك فعال لما يريد انه أراد ان يدخلهم وقرب منه ما قاله الزجاج وغيره انه استثناء تستثنيه

بالبعير من بطنه ليضعه ثم يلقه . والدرة : اللين اذا كثروا . واختلافها ان الدرة تسفل الى الرجلين والجرة تملو الى الرأس قاله في اللسان . وذرت الشمس : طلعت . والشارق : الشمس (٢) الشعر مذكور في جامع الشواهد .
(١) قائله المخبل السعدي . واعدرة السيدان : موضع بين البصرة والبحرين . والرماد الهامد : المتلبد بعضه على

العرب وتفعله كما تقول والله لا ضربين زيداً إلا ان أرى غير ذلك وانت عازم على ضربه والمعنى في الاستثناء على هذا اني لو شئت أنت لا اضربه لفعلت ﴿ وثامنها ﴾ قال مجيب بن سلام البصري انه يعني بقوله إلا ماشاء ربك ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم من الفريقين واحتج بقوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً قال ان الزمرة تدخل بعد الزمرة فلا بد ان يقع بينهما تفاوت في الدخول والاستثناء ان على هذا من الزمان ﴿ وتاسعها ﴾ ان المعنى خالدون في النار دائمون فيها مدة كونهم في القبور ما دامت السموات والارض في الدنيا وإذا فنيتا وعدمنا انقطع عقابهم إلى أن يعثهم الله للحساب وقوله إلا ماشاء ربك استثناء وقع على ما يكون في الآخرة اوردته الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وقال ذكره قوم من اصحابنا في التفسير ﴿ وعاشرها ﴾ ان المراد إلا ماشاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثناء لأهل التوحيد عن ابي مجلز قال هي جزاؤهم وإن شاء سبحانه تجاوز عنهم والاستثناء بكون على هذا من الأعيان (واما الذين سعدوا) أي سعدوا بطاعة الله واتمهاهم عن المعاصي (ففي الجنة) يكونون في الجنة (خالدين فيها ما دامت السموات والارض) اي مدة دوام السموات والارض (إلا ماشاء ربك) يتأق في جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار إلا ما مضى ذكره من جواز اخراج بعض الأشقياء من تناول الوعيد لهم وإخراجهم من النار بعد دخولهم فيها فإن ذلك لا يتأق ههنا لإجماع الأمة على ان من استحق الثواب فلا بد أن يدخل الجنة وانه لا يخرج منها بعد دخوله فيها (عطاء غير مجذوذ) اي غير مقطوع

قوله تعالى (١٠٩) فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّهُمْ نَصِيْبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١١٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١١) وَإِنْ كَلَّمْنَا لَوْلِيَيْنَهُمْ رَبِّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١٢) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وان كلاً لما بتشديد النون والميم وقرأ اهل البصرة والكسائي وخلف وان كلاً بتشديد النون لما بتخفيف الميم وقرأ نافع وابن كثير وان كلاً بخفيفة النون لما خفيفة الميم وقرأ ابو بكر عن عاصم وان كلا بخفيفة النون لما مشددة الميم وفي الشواذ قراءة الزهري وسليمان بن ارقم لما بالتنون وقراءة بن مسعود وان كل بالرفع إلا ليو فيهم

(- الحجة -)

قال ابو علي من قرأ وإن كلاً لما بتشديد وتخفيف لما فوجهه بين وهو انه نصب كلا بان وأن يقتضي ان يدخل على خبرها او اسمها لام فدخلت هذه اللام وهي لام الابتداء على الخبر في قوله لما وقد دخلت في الخبر لام الاخرى وهي التي تلقي بها القسم ويختص بالدخول على الفعل ويلزمها في أكثر الأمر احدى التونين فلما اجتمعت اللامان واتفقتا في تلقي القسم واتفقتا في اللفظ فصل بينهما بما كما فصلوا بين إن واللام فدخلت ما لهذا المعنى وإن كانت زائدة لتفصل كما جلبت النون وإن كانت زائدة في نحو واما ترتيب من البشر أحداً وكما صارت عوضاً من الفعل في قولهم إماماً بالامالة وفي قوله

أَبَاخِرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ
فَإِنْ قَوْمِي لَمْ يَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ (١)

— بعض . والخرالد : البواقي عنى بها الاتافى . والسحة : لون يضرب الى السواد والشاهد فى ان «الا» ههنا بمعنى الواو حيث قال ان الاتافى دفعت عنه الرياح فهو داخل فى جملة ما لم يدرس ولم يستثن . (٢) السفع : السواد . (١) قائله عباس بن مرداس والشعر مذ كودى جامم الشواهد .

وبلي هذا الوجه في البيان قول من خفف إن ونصب كلا وخفف لما قال سيوبه حدثنا من ثقب به انه سمع من العرب من يقول ان عمرأ لمنطلق قال وأهل المدينة يقرأون **وَأَنْكَلَا** لما جميع لدينا محضرون يخففون وينصبون كما قالوا «**كَانَ تُدَيِّبُهُ حَقَانٌ**» ووجه النصب بها مع التخفيف من القياس ان ان مشبعة في نصبها بالفعل والفعل يعمل محذوفا كما يعمل غير محذوف وذلك في نحو لم يك زيد منطلقا فلا تك في مربة وكذلك لا ادر فأما من خفف ان ونصب كلا ونقل لما فقراءته مشكلة وذلك ان ان إذا نصب بها وإن كانت مخففة كانت بمنزلة مشقة ولما إذا شددت كانت بمنزلة إلا وكذلك قراءة من شدد لما ونقل ان مشكلة وذلك ان ان إذا نقلت وإذا خففت ونصب بها فهي في معنى الثقيلة فكما لا يحسن تثقيب ان زيدا إلا منطلق كذلك لا يحسن تثقيب ان وتثقيب لما فأما مجيء لما في قولهم نشدتك الله لما فعلت وإلا فعلت فقال الخليل الوجه لتفعلن كما تقول اقسمت عليك لتفعلن وأما دخول إلا ولما فلان المعنى الطلب فكأنه اراد ما أسألك إلا فعل كذا ولم يذكر حرف النفي في اللفظ وإن كان مرادا كما جاء في قولهم شرأ هرأ ذانا ب اي ما هرأ الا مشرو ليس في الآية معنى نفي ولا طلب فإن قال قائل لمن ما فادغم النون في الميم بعد ما قلبها ميا فإن ذلك لا يسوغ ألا ترى أن الحرف المدغم إذا كان قبله ساكن نحو قوم مالك لم بقوا لا ادغام فيه على ان يحرك الساكن الذي قبل الحرف المدغم فإذا لم يميز ذلك فيه وكان التفسير اسهل من الحذف فإن لا يجوز الحذف الذي هو اذهب في باب التغيير من تحريك الساكن اجدر على ان في هذه السورة ميات اجتمعت في الادغام اكثر مما كان يجتمع في لمن ما ولم يحذف منها شيء وذلك قوله على اسم ممن معك فإذا لم يحذف شيء من هذا فان لا يحذف ثم اجدر وقد روى انه قد قرأ وان كلا لما متونا كما قال وتنا كلون التراث اكلا لما فوصف بالمصدر فإن قال ان لما فيمن نقل إنما هو لما هذه وقف عليها بالألف ثم اجري في الوصل مجرى الوقف فذلك ما يجوز في الشعر ووجه الاشكال فيه ابين من هذا الوجه وقد حكى عن الكسائي انه قال لا اعرف وجه التثقيب في لما ولم يبعد فيما قال ولو خفف مخفف ان ورفع كلا بعدها لجاز تثقيب لما مع ذلك على أن يكون المعنى ما كلالا ليوفينهم فيكون ذلك كقوله وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ولكن ذلك ابين من النصب في كل والتثقيب للما وينبغي أن يقدر المضاف اليه كل نكرة ليحسن وصفه بالنكرة ولا يقدر اضافته إلى معرفة فيمتنع أن يكون لما وصفا له ولا يجوز ان يكون حالا لأنه لا شيء في الكلام عاملا في الحال هذا كله كلام ابي علي وقال غيره في معنى لما بالتشديد اربعة اوجه * احدها * قول الفراء انما بمعنى لمن ما فحذفت احدى الميات الثلاث على ما تقدم ذكره وانشد الفراء

وَإِنِّي لَمَّا أَصْدَرُ الْأَمْرَ وَجْهَهُ
إِذَا هُوَ أَعْيَا بِالسَّبِيلِ مَصَادِرُهُ

* والثاني * انها بمعنى إلا كقولم سأنتك لما فعلت بمعنى إلا فعلت عن الزجاج وقال الفراء هذا لا يجوز إلا في اليمين كما قاله ابو علي * والثالث * انها مخففة شددت للتأكيد عن المازني قال الزجاج هذا لا يجوز لأنه إنما يجوز تخفيف المشدد عند الضرورة فأما تشديد المخفف فلا يجوز بحال * والرابع * انما من لمت الشيء إذا جمته إلا انما بنيت على فعل فلم تصرف مثل ترى فكأنه قال وان كلا جميعا ليوفينهم ويدل عليه قراءة الزهري لما بالنون وقال ابن جني تقدير هذا وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم لما اي توفية جامعة لاعمالهم جميعا ومحصلا لاعمالهم تحصيلا فهو كقولك قياما لا قومين وذكر الشيخ علي ابن ابي الطيب رحمة الله عليه فيه وجه آخر فقال هاهنا محذوف وتقديره وان كلا لما عملوا ليوفينهم ربك اعمالهم والحذف في الكلام كثير قال الشاعر

إِذَا قُلْتُ سِرُّوا إِنَّ لَيْلِي لَعَلَّهَا
جَرِي دُونَ لَيْلِي مَائِلُ الْقَرْنِ أَعْصَبُ (٢)

والمراد لعلها تنفاني او تصلني او نحو هذا فهذا وجه خامس فأما إذا خففت ان فاتصاف كلام مع حمل ان على النفي مشكل وقد ذكر فيه أن يكون التقدير وإن هم إلا ليوفينهم كلا او وإن هم اعني كلا إلا ليوفينهم وهذا

(١) لم يعرف قائله وقيله «وصدر مشرق النحر» ويروى بالالف على اجمال كأن في اللفظ ووجه الرواية بالياء ظاهر . (٢) الشعر في جامع الشواهد والرواية فيه «اذاقيل سيروا . اهـ» .

الوجهان مرغوب عنها وعلى الجملة فإن تشديد الميم من لما مع تشديد إن وتخفيفه مشكل عند المحققين إذ لا يتأتى في ما هذه معنى لم ولا معنى الحين ولا معنى إلا ولا يعرف لها معنى سوى هذه ومن قرأ وإن كل الا ليوفينهم فعناه ما كل الا والله ليوفينهم كقولك ما زيد الا لا ضربته أي ما زيد الا مستحق لأن يقال فيه هذا ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والا زائدة كما في قول الشاعر

أرى الدهر المنجنوناً بأهله وما طالب الحاجات إلا معللاً (١)

أي ارى الدهر منجنوناً بأهله وعلى ذلك تأولوا بيت ذي الرمة

حراجيج ما تنفك إلا مناخة على الحسف أويرمي بها بلداً قفراً

أي ما تنفك مناخة والا زائدة

✽ اللغة ✽

المربة بكسر الميم وضمها الشك مع ظهور الدلالة للتهمة وهي مأخوذة من مري ضرع الناقة ليدر بعددوره والنصيب الحظ وهو القسم الم معمول له ومنه انصاء الورثة والاختلاف ذهاب كل واحد الى جهة غير جهة الآخر وهو على وجهين اختلاف التقيضين وهذا لا يجوز أن يصح ما فإن احدهما مبطل لصاحبه والاخر اختلاف الجنسين كاختلاف المجتهدين في جهة القبلة فهذا يجوز أن يصح ما والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة وأن لا يعدل يمينا وشمالا والطغيان تجاوز المقدار في الفساد

— (الاعراب) —

ومن تاب موصول وصلته في موضع رفع بالمطف على الضمير المستكن في استقم ويجوز أن يكون معطوفاً على التاء من امرت ويكون التقدير في الأول استقم انت ومن تاب معك وفي الثاني كما امرت انت ومن تاب معك ويجوز أن يكون من تاب منصوب الموضع بكونه مفعولاً معه

✽ المعنى ✽

(فلا تك في مربة) أي في شك (ما يعبد هؤلاء) من دون الله تعالى انه باطل وانهم بصيرون بعبادتهم الى عذاب النار (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعني ما يعبدون غير الله تعالى الا على جهة التقليد كما كانت آباؤهم كذلك (وانا لموفوهم نصيبهم) أي انا لمعطوهم جزاء أعمالهم وعقاب أعمالهم وافيا (غير منقوص) عن مقدار ما استحقوه آبتهم سبحانه بهذا القول عن العفو وقيل معناه انا نعطيهم ما يستحقونه من العقاب بعد ان نوفيهم ما حكمنا لهم به من الخير في الدنيا عن ابن زيد (ولقد آتينا) أي اعطينا (موسى الكتاب) يعني التوراة (فاختلف فيه) يريد ان قومه اختلفوا فيه أي في صحة الكتاب الذي اتزل عليه وأراد بذلك تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه اياه وجحدهم للقرآن المنزل عليه فيبين ان قوم موسى كذلك فعلوا بموسى فلا تحزن لذلك ولا تغتم له (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي لولا خبر الله السابق بأنه يؤخر الجزاء الى يوم القيامة لما علم في ذلك من المصلحة (لفضي بينهم) اي لعجل الثواب والعقاب لأهله وقيل معناه لفصل الأمر على التام بين المؤمنين والكافرين بنجاة هؤلاء وهلاك أولئك (وإنهم لفي شك منه مريب) يعني إن الكافرين لفي شك من وعد الله ووعيدة مريب والرب اقوى الشك وقيل معناه إن قوم موسى لفي شك من نبوته (وإن كلا) من الجاحدين والمخالفين وقيل إن كلا من الفريقين المصدق والمكذب جميعاً (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) أي يعطيهم ربك جزاء أعمالهم وافيا تماماً إن خيراً فخير وإن شراً فشر (انه بما يعملون خبير) يعني انه عليم بأعمالكم وبما استحققتهم من الجزاء عليها لا يخفي عليه شيء من ذلك (فاستقم) يا محمد (كما امرت) اي استقم على الوعد والانذار والتمسك بالطاعة والأمر بها والدعاء عليها والاستقامة هو اداء الأمور به والاتصاف عن

(١) هذا البيت وكذا البيت الآتي مذكوران في جامع الشواهد .

المنهي عنه كما امرت في القرآن (ومن تاب معك) أي وليستقم من تاب معك من الشرك كما امروا عن ابن عباس وقيل معناه ومن رجع إلى الله وإلى نبيه فليستقم أيضا أي فليستقم المؤمنون وقيل استقم أنت على الأداء وليستقيموا على القبول (ولا تطغوا) أي لا تجاوزوا أمر الله بالزيادة والنقصان فخرجوا عن حد الاستقامة وقيل معناه ولا تطغينكم النعمة فخرجوا عن حد الاستقامة عن الجبائي وقيل معناه لا تعصوا الله ولا تخالفوه (انه بما تعملون بصير) أي علم بأعمالكم لا تخفى عليه منها خافية وروى الواحدي بإسناده عن إبراهيم بن آدم عن مالك بن دينار عن أبي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ لو صليتم حتى تكونوا كالخنايا وصمتتم حتى تكونوا كالأوتاد ثم كان الاثنان احب اليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة وقال ابن عباس ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت اشد عليه ولا اشق من هذه الآية ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له امرع اليك الشيب يا رسول الله شيبتي هود والواقعة

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية الاولى بما قبلها انه لما قص نأ الامم واهلاكهم بكفرهم اخبر عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه وانه يوفيههم جزاء اعمالهم وقيل انه سبحانه بين فيما قبل اختلاف الامم على انبيائهم تكديبا لهم ثم بين في هذه الآية ان خلاف هؤلاء كخلاف اولئك خلاف كفر لا خلاف اجتهاد عن ابي مسلم وكذلك اتصال الآية الثانية فإنه بين فيها ان تكذيب هؤلاء الكفار بالذي آتيناك كتكذيب اولئك بالكتاب الذي آتينا موسى

قوله تعالى (١١٣) وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٤) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلَّذِينَ كَرِهُوا (١١٥) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٦) فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٧) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابو جعفر وزلفا بضم اللام والباقون بفتح اللام

✽ الحجة ✽

من قرأ زلفا بفتح اللام فإنه جمع زلفة وهي المنزلة قال المعجاج

نَاجِ طَوَاهُ الْأَيْنِ جَمًّا وَجَفًّا طَيِّ اللَّيَالِي زَلْفًا فَزَلْفًا (١)

ومن قرأ بضم اللام فإنه واحد مثل الحلم وجائز ان يكون جمعا على زليف من الليل فيكون مثل قرب وقرب قال الزجاج والزلف بالفتح اجود في الجمع وما علمت ان زليفا يستعمل في الليل وهو منصوب على الظرف

✽ اللفظة ✽

الركون إلى الشيء هو السكون اليه بالمحبة له والانصات اليه وتقبضه النور عنه والصبر حبس النفس عن الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق وضده الجرع قال

(١) الناج: البعير السريع. وطواه أي اهزله. الاين: التعب. والوجف: سرعة السير. وبمد هذا البيت قوله «سماوة الهلال حتى احقوقفا» وبه يتم المعنى أي كما يطوى الليالي الهلال.

فَإِنْ تَصَبَّرْ فَالتَّصَبُّرُ خَيْرٌ مَغْبَةً وَإِنْ مَجْزَعًا فَالْأَمْرُ مَا تَرَى بَانَ

وهو مأخوذ من الصبر المراد أنه يجرع مرارة الحق بحسب النفس عن الخروج إلى المشتى وما يعين على الصبر شيان ١ أحدهما ٢ العلم بما يعقب من الخير في كل وجه وعادة النفس له ٣ والثاني ٤ استشعار ما في لزوم الحق من العز والأجر بطاعة الله والبقية ما بقي من الشيء بعد ذهابه وهو الاسم من الإبقاء ويقال في فلان بقية أي فضل مما يمدح به وخير كأنه قيل بقية خير من الخير الماضي وترفوا أي عودوا الترفه بالنعم واللذة وذلك إن الترفه عادة النعمة قال

تَهْدِي رُؤُوسَ الْمُتَرْفِينَ الضُّدَّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّادِ

أي المسؤول وإنما قيل للمتعم مترف لأنه مطلق له لا يتبع من تنعمه

✽ الأعراب ✽

فتمسك منصوب لأنه جواب النهي بالفاء وتقديره لا يكن منكم ركون إلى الظالمين فمس النار إياكم ثم لا تنصرون ارتفع تنصرون على الاستئناف طرفي النهار منصوب على الظرف وزلفاً معطوف عليه . إلا قليلاً استثناء منقطع بمعنى لكن عن الزجاج تقديره لكن قليلاً من أنجيئنا منهم نهوا عن الفساد

✽ المعنى ✽

ثم نهى الله سبحانه عن المداهنة في الدين والميل إلى الظالمين فقال (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) أي ولا تميلوا إلى المشركين في شيء من دينكم عن ابن عباس وقيل لا تداهنوا الظلمة عن السدي وابن زيد وقيل إن الركون إلى الظالمين المنهي عنه هو الدخول معهم في ظلمهم وإظهار الرضا بظلمهم أو إظهار مساواتهم فأما الدخول عليهم أو مخالطتهم ومعاشرتهم دفعا لشركهم فجاز عن القاضي وقريب منه ما روي عنهم «ع» إن الركون المودة والنصيحة والطاعة (فتمسك النار) أي فيصيبكم عذاب النار (وما لكم من دون الله من أولياء) أي ما لكم سوا من انصار يدفعون عنكم عذاب الله وفي هذا بيان أنهم متى خالفوا هذا النهي وسكنوا إلى الظالمين نالهم النار ولم يكن لهم ناصر يدفع عنهم عقوبة لهم على ذلك (ثم لا تنصرون) أي لا تنصرون في الدنيا على أعدائكم لأن نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين (وأقم الصلاة) أي أديها وائت بأعمالها على وجه التام في ركوعها وسجودها وسائر فروضها وقيل - حناء اعلمها على اشتوا - دليل أريم على نطقها (حربي) النهار وزنتا من الليل (قيل أراد بطرفي النهار صلاة الفجر والمغرب ويزلف من الليل صلاة العشاء الآخرة والزلف أول ساعات الليل عن ابن عباس وابن زيد قالوا وترك ذكر الظهر والعصر لأحد أمرين إما لظهورهما في أنها صلاتا النهار فكأنه قال وأقم الصلاة طرفي النهار مع المعروفة من صلاة النهار وأما لأنها مذكورتان على التبع للظرف الأخير لأنها بعد الزوال فهما أقرب إليه وقد قال سبحانه أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ودلوك الشمس زوالها وهذا القول هو المروي عن أبي جعفر «ع» وقيل صلاة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر وصلاة زلف الليل المغرب والعشاء الآخرة عن الزجاج وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرظي والحسن قالوا لأن طرف الشيء من الشيء وصلاة المغرب ليست من النهار قال الحسن قال رسول الله ﷺ المغرب والعشاء زلفتا الليل وقيل أراد بطرفي النهار صلاة الفجر وصلاة العصر (إن الحسنات يذهبن السيئات) قيل في معناه إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب لأنه عرف الحسنات بالألف واللام وقد تقدم ذكر الصلاة عن ابن عباس وأكثر المفسرين وذكر الواحدي باستاده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ غصنا يابساً منها فهزته حتى تحات ورقه ثم قال يا أبا عثمان ألا تسألني لم افعل هذا قلت ولم تفعله قال هكذا فعله رسول الله ﷺ وأنا معه تحت شجرة فأخذ منها غصنا يابساً فهزته حتى تحات ورقه ثم قال

(١) مغبة الامر : عاقبته . (٢) فائله رطوبة . (٣) أي تساقط .

ألا تسألني يا سلمان لم أفعل هذا قلت ولم فعلته قال ان المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياها كما يتحات هذا الورق ثم قرأ هذه الآية وأتم الصلاة إلى آخرها وبإسناده عن أبي امامة قال بينما رسول الله ﷺ في المسجد ونحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله اني اصبحت حذاً فأفعمه علي فقال هل شهدت الصلاة معنا قال نعم يا رسول الله قال فإن الله قد غفر لك حدك او قال ذنبك وبإسناده عن الحرث عن علي ابن ابي طالب «ع» قال كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد ننظر الصلاة فقام رجل فقال يا رسول الله اني اصبحت ذنباً فاعرض عنه فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام الرجل فأعاد القول فقال النبي ﷺ ليس قد صليت معنا هذه الصلاة وأحسن لها الطهور قال بلى قال فإنها كفرارة ذنبك وروى اصحابنا عن ابن محبوب عن ابراهيم الكرخي قال كنت عند ابي عبد الله «ع» إذ دخل عليه رجل من اهل المدينة فقال له من أين جئت ثم قال له تقول جئتك من ههنا وههنا لغير معاش تطلبه ولا لعمل آخرة تكسبه أنظر بماذا تقطع يومك وليلتك واعلم ان معك ملكاً كريماً موكلاً بك يحفظ عليك ما تصنع ويطلع على سرِّك الذي تخفيه من الناس فاستحي لا تستخقرن سيئة فإنها تستؤك يوماً ولا تحقرن حسنة وإن صغرت عندك وقلت في عينك فإنها تستسرك يوماً واعلم انه ليس شيء أضر عاقبة ولا اسرع ندامة من الخطيئة وانه ليس شيء أشد طلباً ولا اسرع دركاً للخطيئة من الحسنه أما انها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند عامله فتجذبه وتسقطه وتذهب به بعد اثباته وذلك قول الله سبحانه ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ورووا عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت احدهما عليها السلام يقول ان علياً عليه السلام اقبل على الناس فقال آية آية في كتاب الله أرجي عندهم فقال بعضهم إن الله لا يقدر أن يشرك به الآية فقال حسنة وليست إياها وقال بعضهم ومن يعمل سوءاً ويظلم نفسه قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم قل يا عبادي الذي اسرفوا لا تقنطوا من رحمة الله قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم والذين إذا فعلوا فاحشة الآية قال حسنة وليست إياها قال ثم احجم الناس فقال ما لكم يا معشر المسلمين فقالوا لا والله ما عندنا شيء قال سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول أرجي آية في كتاب الله وأتم الصلاة طرقي النهار وقرأ الآية كلها قال يا علي والذي بعثني في الخلق بالحق بشيراً ونذيراً ان احدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم يفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه فإن اصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عدت الصلوات الخمس ثم قال يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهن جار على باب احدكم فما يظن احدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي وقيل ان الحسنات يذهبن السيئات معناه ان الدوام على فعل الحسنات يدعو إلى ترك السيئات فكأنها يذهبن بها وقيل ان المراد بالحسنات التوبة فإنها تذهب السيئات بأن تسقط عقابها لأنه لا خلاف في ان العقاب يسقط عند التوبة (ذلك ذكرى للذاكرين) يعني ان ما ذكره من ان الحسنات تذهب السيئات فيه تذكير وموعظة لمن تذكر به وفكر فيه (واصبر) قيل معناه واصبر على الصلاة كما قال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) اي المصلين عن ابن عباس وقيل معناه اصبر يا محمد على أذى قومك وتكذيبهم إياك وعلى القيام بما اقترضه عليك وعلى اداء الواجبات والامتناع عن المقبحات فإن الله لا يهمل جزاء المحسنين على إحسانهم ولا يبطله بل يكافئهم عليه اكل الثواب (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية) اي هلا كان والا كان ومعناه النفي وتقديره لم يكن من القرون من قبلكم قوم باقون (ينهون عن الفساد في الارض) أي كان يجب أن يكون منهم قوم بهذه الصفة مع انعام الله تعالى عليهم بكامل العقل وبثثة الرسل اليهم واقامة الحجج لهم وهذا تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم في الفساد نحو عاد وثمود والقرون التي عدما

القرآن واخبر بهلاكها اي ان العجب منهم كيف لم تكن من جملتهم بقية في الارض يأمرون فيها بالمعروف وينهون عن المنكر وكيف اجتمعوا على الكفر حتى استأصلهم الله بالعذاب وانواع العقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم له وقيل اولو بقية معناه ذوو دين وخير وقيل معناه ذوو بركة وقيل ذوو تمييز وطاعة (إلا قليلا ممن أنجينا منهم) المعنى ان قليلا منهم كانوا ينهون عن الفسادوم الأنياء والصالحون الذين آمنوا مع الرسل فأنجيناهم من العذاب الذي نزل بقومهم وإنما جعلوا هذا الاستثناء منقطعاً لأنه إيجاب لم يتقدم فيه صيغة النفي وإنما تقدم تهجين خرج مخرج السؤال ولو رفع لجاز في الكلام (واتبع الذي ظلموا ما أترفوا فيه) اي واتبع المشركون ما عودوا من النعم والتمتع وإيثار اللذات على أمور الآخرة واشتغلوا بذلك عن الطاعات (وكانوا) اي وكان هؤلاء المنتعمون البطرون (مجرمين) مصرّين على الجرم وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر لأنه سبحانه ذمهم بترك النهي عن الفساد واخبر بأنه أنجى القليل منهم لنهيهم عن ذلك ونه على انه لو نهى الكثير كما نهى القليل لما هلكوا ثم اخبر سبحانه انه لم يهلك إلا بالكفر والفساد فقال (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وذكر في تأويله وجوه * احدها * ان المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم ولكن إنما يهلكهم بظلمهم لأنفسهم كما قال ان الله لا يظلم الناس شيئاً الآية * وثانيها * ان معناه لا يؤاخذهم بظلم واحد مع ان اكثرهم مصلحون ولكن إذا عم الفساد وظلم الاكثرون عذبهم * وثالثها * انه لا يهلكهم بشرتهم وظلمهم لأنفسهم وهم يتعاطون الحق بينهم اي ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة أن يهلكهم الله بالعذاب عن ابن عباس في رواية عطا والواو في قوله وأهلها واو الحال وروي عن النبي ﷺ انه قال وأهلها مصلحون ينصف بعضها بعضهم

* النظم *

وجه اتصال قوله تعالى فلو لا كان من القرون من قبلكم الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر اهلاك الأمم الماضية والقرون الخالية عقب ذلك بأنهم أتوا في اهلاكهم من قبل قوسهم ولو كان فيهم مؤمنون يأمرون بالصلاح وينهون عن الفساد لما استأصلناهم رحمة منا ولكنهم لما عمهم الكفر استحقوا عذاب الاستئصال

قوله تعالى (١١٨) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٩) إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ وَلَئِذَا خَلَقْتَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٢٠) وَكُلًّا نَقَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢١) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢٢) وَأَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ (١٢٣) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (أربع آيات كوفي وبصري ست آيات عند غيرهم والخلاف في لا يزالون مختلفين وأنا عاملون)

* القراءة *

قرأ يرفع الأسماء بضم الياء وفتح الجيم وكسرها نافع وحفص والباقون يرجع بفتح الياء وقرأ عما تعملون بالناء هنا وفي آخر النمل اهل المدينة والشام ويعقوب وحفص والباقون بالياء

* الحجة *

من ضم الياء من يرجع فلقوله ثم ردوا إلى الله مولا من الحق والمعنى رد أمرهم إلى الله ومن فتح الياء فلقوله والأمر يومئذ لله والمعنيان متقاربان وبين قرأ بالتاء في تعملون جعل الخطاب للنبي ﷺ وأمه وهو أعم فائدة ومن قرأ بالياء وجهه إلى من تقدم ذكره من الكفار وفيه ضرب من التهديد.

* اللمة *

القصص الخبير عن الأمور بما يتلو بمضه بعضا لأنه من قصه يقصه إذا تبع أثره لأنه يتبع أثر من يخبر عنه والتبأ الخبير بما فيه عظيم الشأن يقولون لهذا الأمر نبأ والتبئيت تمكين إقامة الشيء من الثبوت يقال ثبته بتسكينه وثبته بتسكينه وثبته بالدلالة على ثبوته وثبته بالخبر عن وجوده والقواد القلب مأخوذ من المفتاد وهو المشوى قال كأنه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد (١)

والمكانة الطريقة التي يتمكن من العمل عليها وله مكانة عند السلطان أي جاء وقدر والانتظار طلب الإدراك لما يأتي من الأمر لأنه من النظر والفرق بين الانتظار والترجي ان الترجي للخير خاصة والانتظار في الخير والشر

* الاعراب *

إلا من رحم ربك قال الزجاج هو استثناء على معنى لكن وتقديره لكن من رحم ربك فإنه غير مختلف وقوله لأملأن جهنم جواب القسم وتقديره بينما لأملأن كما تقول حلفي لأضربك وبدا لي لأضربك وكل فعل كان تأويله كتأويل بلغني أو قيل لي أو انتهى الي فإن اللام وان يصلحان فيه فنقول بدا لي لأضربك وبدا لي ان اضربك ولو قيل وتمت كلمة ربك ان يملأ جهنم كان صوابا وكلا قصص عليك نصب على المصدر وتقديره وكل القصص قصص عليك وقيل انه نصب على الحال فقدم الحال قبل العامل كما تقول كلا ضربت القوم ويمجوز أن يكون نصبا على انه مفعول به وتقديره وكل الذي يحتاج اليه قصص عليك ويكون ما ثبت به فؤادك بدلا منه قاله الزجاج وقوله إنا عاملون إنا منتظرون لو دخلت الفاء فقال إنا لأننا لا فاد ان الثاني لأجل الأول وحيث لم يدخل لم يفد ذلك

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) أي على ملة واحدة ودين واحد فيكونون مسلمين صالحين عن قتادة وذلك بأن يلجئهم إلى الإسلام بأن يخلق في قلوبهم العلم بأنهم لورما وغير ذلك لمنوا منه لكن ذلك ينافي التكليف ويبطل الترض بالنكليف لأن الترض به استحقاق الثواب والإلجاء يمنع من استحقاق الثواب فلذلك لم يشأ الله ذلك ولكنه شاء أن يؤمنوا باختيارهم ليستحقوا الثواب وقيل معناه لو شاء ربك لجعلهم امة واحدة في الجنة على سبيل التفضل لكنه اختار لهم أعلى الدرجتين فكفهم ليستحقوا الثواب عن أبي مسلم وقيل معناه لو شاء لرفع الخلاف فيما بينهم (ولا يزالون مختلفين) في الأديان بين يهودي نصراني ومجوسي وغير ذلك عن مجاهد وقاتدة وعطا والأعشى والحسن في إحدى الروايتين عنه وفي الرواية الأخرى عنه انهم مختلفون في الأرزاق والأحوال والتسخير بعضهم لبعض وقيل معناه يخلب بعضهم بعضا في الكفر تقليداً من غير نظر فإن قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلقوا سواء كما ان قولك قتل بعضهم بعضا وقولك اقتتلوا سواء عن أبي مسلم (إلا من رحم ربك) من المؤمنين فإنهم لا يختلفون ويمتصمون على الحق عن ابن عباس والمعنى لا يزالون مختلفين بالباطل إلا من رحمهم الله بفعل اللطف لهم الذي يؤمنون عنده ويستحقون به الثواب فإن من هذه صورته تاج من الاختلاف بالباطل (ولذلك خلقهم) اختلف في معناه فقيل يريد وللرحمة خلقهم عن ابن عباس ومجاهد وقاتدة والضحاك

(١) قاله النابتة في معلقته . والشرب جمع الشارب . ونسوه أي تركوه قال في اللسان : المفتاد : موضع الوقود ثم انشدها الشعر ثم قال : والتفؤد : التوقد . والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقده .

وهذا هو الصحيح واعترض على ذلك بأن قيل لو أراد الله ذلك لقال ولتلك خلقهم لأن الرحمة موقفة وهذا باطل لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي فإذا ذكر فعلى معنى التفضل والانسام وقد قال سبحانه هذا رحمة من ربي وإن رحمة الله قريب ومثله قول امرئ القيس

بَرَهْرَهَةٌ رُوْدَةٌ رَخَصَةٌ
كَخَرَعُوْبَةٍ الْبَانَةِ الْمَنْفَطِرِ (١)

ولم يقل المنفطرة لأنه ذهب إلى النقص وقال

قَامَتْ بُكْيِهِ عَلَى قَبْرِهِ
مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
تَرَكَتْنِي فِي الدَّارِ ذَاغْرِبَةٍ
قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

ولم يقل ذات غربة لأنه أراد شخصا ذا غربة وقالت الخنساء

فَذَلِكَ يَا هِنْدُ الرَّزِيَّةُ فَأَعْلَمِي
وَنَبْرَانَ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقَوْدُهَا (٢)

أراد الرزء وفي امثال ذلك كثرة على ان قوله إلا من رحم ربك كما يدل على الرحمة بدل ايضا على أن يرحم فلا يمتنع ان يكون المراد لأن يرحموا خلقهم وقيل ان المعنى ولا اختلاف خلقهم واللام للعاقبة يريد أن الله خلقهم وعلم ان عاقبتهم تول إلى الاختلاف المذموم كما قال ولقد ذرأنا لجنهم عن الحسن وعطا ومالك ولا يجوز على هذا أن يكون اللام للفرض لأنه تعالى لا يجوز ان يريد منهم الاختلاف المذموم إذ لو أراد ذلك منهم لكانوا مطيعين له في ذلك الاختلاف لأن الطاعة حقيقتها موافقة الإرادة والأمر ولو كانوا كذلك لما استحقوا عقابا وأما إذا حمل معنى الاختلاف على ما قاله ابو مسلم فيجوز أن تكون اللام للفرض وقيل إن ذلك اشارة إلى اجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة ان الله سبحانه لهذا خلقهم ويؤيد هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وقال المرتضى قدس الله روحه قد قال قوم أن معنى الآية ولو شاء ربك أن يدخل الناس بأجمعهم الجنة فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم امة واحدة لفعل وأجروا هذه الآية مجرى قوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه أراد هديها إلى طريق الجنة فعلى هذا التأويل يمكن أن يكون لفظة ذلك اشارة إلى ادخالهم اجمعين الجنة لأنه تعالى إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها (وتمت كلمة ربك) أي وصل وحيه ووعيده الذي لا خلف فيه بتامه إلى عباده وقيل تمت كلمة ربك صدقا بأن وقع خبرها على ما خبر به عن الجبائي وقيل معناه وجب قول ربك عن ابن عباس وقيل مضى حكم ربك عن الحسن (لأن ملأ جهم من الجنة والناس اجمعين) بكفرهم (وكلاً) أي وكل القصص (نقص عليك من انباء الرسل) أي من اخبارهم (ما ثبت به فؤادك) أي ما تقوي به قلبك ونطيب به نفسك وتزيدك به ثباتاً على ما انت عليه من الإنذار والصبر على اذى قومك الكفار (وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل في هذه الدنيا عن قتادة وقيل في هذه الانبياء عن الجبائي والحق الصدق من الانبياء والوعد والوعيد وقيل معناه وجاءك في ذكر هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع الحق في أن الخلق يجازون بانصابتهم في قوله وإنما لموقوهم نصيبهم وإن كلا لما ليوفينهم وقد جاء في القرآن كله الحق ولكنه ذكرها هنا تو كيداً وليس إذا قيل قد جاءك في هذا الحق وجب أن يكون لم يأتك الحق إلا فيه ولكن بعض الحق أو كد من بعض عن الزجاج (وموعظة) أي وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله وتزجر الناس عن المعاصي (وذكرى للمؤمنين) تذكروهم لآخرة (وقل) يا محمد (للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتبتكم) هذا مثل قوله اعملوا ما شئتم (إنا عاملون) على ما امرنا الله تعالى به وقد مر تفسير هذه الآية فيما مضى (وانظروا) أي توقصوا ما يعدكم ربكم على الكفر من العقاب (إنا منتظرون) ما يعدنا على الإيمان من الثواب وقيل انظروا ما يعدكم الشيطان من الفرور إن لم تنتظروا

(١) البرهمة : المرأة التي لها بريق من صفاتها . وقيل هي الرقيقة الجلد . والرودة . الشابة الحسنة . وخرعوبة : التضييب النض . والبانة : شجر والمنفطر : المنشق (٢) والشاهد في قولها ذلك ولم تقل تلك لانها ارادت الرزء .

ما بعدنا ربنا من النصر والعلو عن ابن جريج (وقه غيب السماوات والأرض) منناه وقه علم ما غاب في السماوات والأرض لا يتقن عليه شيء منه عن الضحاك وقيل منناه والله مالك ما غاب في السماوات والأرض وقيل منناه وقه خزائن السماوات والأرض عن ابن عباس ووجدت بعض المشايخ من يتسم بالعدوان والتشيع قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا الموضوع من تفسيره فقال هذا يدل على أن الله سبحانه يكتص بعلم الغيب خلافا لما تقول المرافضة أن الأئمة يعلمون الغيب ولا شك أنه عني بذلك من يقول بإمامة الاثني عشر ويدعون بأنهم أفضل الأنام بعد النبي ﷺ فإن هذا دأبه وديدته فيهم يشتم في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وينسب الفضائح والقبائح اليهم ولا نعلم احدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق فلمّا يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا يعلم مستفاد وهذه صفة التقديم سبحانه العالم لذاته لا بشر كما فيها احد من المخلوقين ومن اعتقد أن غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملة الإسلام فأما ما نقل عن امير المؤمنين عليه السلام ورواه عنه الخاص والعام من الاخبار بالغايات في خطب الملاحم وغيرها مثل قوله يومئذ به إلى صاحب الزنج كأنني به يا احنق وقد سار بالجيش الذي ليس له غبار ولا لب ولا قمقمة لحم ولا صهيل خيل يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام وقوله يشير إلى مروان اما إن له إمرة كلمقة الكلب اقمه وهو ابو الأكبش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده موتا احمر وما نقل من هذا الفن عن ائمة الهدى عليهم السلام من أولاده مثل ما قاله ابو عبد الله «ع» لعبد الله بن الحسن وقد اجتمع هو وجماعة من الطوية والعباسية ليأبوا ابنه محمدا والله ما هي اليك ولا إلى ابنيك ولكنها لهم وأشار إلى العباسية وان ابنيك لمقتولان ثم نهض وتوكل على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال له أرايت صاحب الرداء الأصفر يعني ابا جعفر المنصور قال نعم فقال انا والله نجده يقتله فكان كما قال ومثل قول الرضا «ع» بورك قبر بطوس وقبران ببغداد فقيل له قد عرفنا واحدا فما الآخر فقال متعرفونه ثم قال قبري وقبر هارون هكذا وضم اصبعيه وقوله في القصة المشهورة لأبي حبيب النباحي وقد ناوله قبضة من التمر لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك وقوله في حديث علي بن احمد الوشاحين قدم مروان الكوفة معك حلة في السفط الفلاني دفعتها اليك ابتك وقالت اشتر لي بثمانها فيروزجا والحديث مشهور إلى غير ذلك مما روي عنهم عليهم السلام فإن جميع ذلك متلقى عن النبي ﷺ مما اطلمه الله عليه فلا معنى لنسبة من روى عنهم هذه الاخبار المشهورة الى انه يمتد كونهم عالمين للغيب وهل هذا الاسبب قبيح وتفضيل لهم بل تكفير لا يرتضيه من هو بالمذاهب خبير والله يحكم بينه وبينهم واليه المصير (واليه يرجع الأمر كله) أي الى حكمه يرجع في الماد كل الأمور لأن في الدنيا قد يملك غيره بعض الأمر والنهي والنفع والضرر (فاعبده وتوكل عليه) يريد أن من له ملك السماوات والأرض واليه يرجع جميع الأمور فحقيق أن يعبد ويشذل له ويتوكل عليه ويوثق به (وما ربك بغافل) أي بساه (عما تعملون) أي عن أعمال عباده بل هو عالم بها ومحاز كلا منهم عليها ما يستحقه من ثواب وعقاب فلا يميزك يا محمد اعراضهم عنك وتركهم القبول منك وروي عن كعب الاحبار انه قال خاتمة التوراة خاتمة هود

سورة يوسف

مكية وقال المحدث عن ابن عباس غير اربع آيات نزلن بالمدينة ثلاث من اولها والرابعة لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين

﴿ عدد آياتها ﴾

مائة واحدى عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابى بن كعب عن النبي ﷺ قال علموا ارقاءكم سورة يوسف فإنه انما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هوّن الله تعالى عليه مككرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما وروى ابو بصير عن ابى عبد الله عليه السلام قال من قرأ سورة يوسف في كل يوم او في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجاله مثل جلال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين وقال فيها انها كانت في التوراة مكتوبة وروى اسماعيل بن ابى زياد عن ابى عبد الله عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ لا تنزلوا نساءكم الترف ولا تملوهن الكتابة ولا تملوهن سورة يوسف وعلوهن الغزل وسورة النور

﴿ تفسيرا ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة هود بذكر قصص انباء الرسل اخضع هذه السورة بأن من تلك القصص قصة يوسف (ع) واخوته وانها من احسن القصص فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) آلَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) فَحَنُ تَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (ثلاث آيات)

﴿ الاعراب ﴾

قرأنا عريافية وجمان ﴿ احدهما ﴾ قرأنا انتصب بأنه بدل من الهاء في أنزلناه فكانه قال انا أنزلناه قرأنا ﴿ والثاني ﴾ انه توطئة للحال لأن عريبا حال وهذا كما تقول مررت بزيد رجلا صالحا فتنصب صالحا على الحال وتجميل رجلا توطئة للحال وقوله بما أوحينا اليك هذا القرآن انتصب وإنه وصف لجهول أوحينا وهو هذا او بدل او عطف بيان قال الزجاج ويجوز الجر والرفع جميعا في الكلام وإن لم يقرأ بها أما الجر فلي البدل مما أوحينا اليك اي بهذا القرآن وأما الرفع فلي ترجمة ما أوحينا اليك كأن قائلا قال ما هو قبل هذا القرآن

﴿ المعنى ﴾

(الر) قد سبق الكلام فيه في أول البقرة وإنما لم يعد آية لأنه على حرفين ولا يشاكل رؤوس الآي وعدّته آية لأنه يشبه رؤوس الآي (تلك آيات الكتاب) قبل في معنى الإشارة بتلك وجوه ﴿ احدهما ﴾ انه اشارة الى ما سيأتي من ذكرها على وجه التوقع لها ﴿ الثاني ﴾ انه اشارة الى السورة اي سورة يوسف آيات الكتاب المبين ﴿ الثالث ﴾ ان معناه هذه الآيات تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة كما قال

الم ذلك الكتاب عن الزجاج و(المبين) المظهر لحلال الله وحرامه والمعاني المرادة فيه عن مجاهد وقناة
والمبين والمبين واحد والبيان هو الدلالة (انا أنزلناه) يعني القرآن أي أنزلنا هذا الكتاب وقيل أنزلنا خبر
يوسف وقصته عن الزجاج قال لأن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من
الشام الى مصر وعن قصة يوسف (ع) فقال انا أنزلناه (قرآنا عربيا) على مجاري كلام العرب في محاوراتهم
وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال أحب العرب لثلاث لأنني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي
(لعلكم تعقلون) أي لتعلموا جميع معانيه وتفهموا ما فيه وقيل معناه لتعلموا أنه من عند الله إذ كان عربيا وعجزتم
عن الإتيان بمثله وفي هذه الآية دلالة على أن كلام الله سبحانه محدث وأنه غير الله لأنه وصفه بالإنزال وبأنه
عربي ولا يوصف بذلك القدم سبجانه (نحن نقص عليك أحسن القصص) أي نبين لك أحسن البيان عن
الزجاج وهذا كقولهم صمت أحسن الصيام وقمت أحسن القيام بما يكون انتصابه على أنه قائم مقام المصدر
فالمعنى نبين لك أحسن تبين وأحسن إيضاح (بما أوحينا إليك) أي بوحينا إليك (هذا القرآن) ودخلت
الباء لتبيين القصص إذ القصص تكون قرآنا وغير قرآن والقصص ههنا بوحى القرآن وقيل إنما سمي القرآن
أحسن القصص لأنه بلغ النهاية في الفصاحة وحسن المعاني وعذوبة الالفاظ مع التلاوم المنافي للتنافر والتشاكل
بين المقاطع والفواصل وقيل لأنه ذكر فيه أخبار الأمم الماضية وأخبار الكائنات الآتية وجميع ما يحتاج إليه
العباد الى يوم القيامة بأعذب لفظ وتهذيب في احسن نظم وترتيب وقيل أراد بأحسن القصص قصة يوسف
وحدها لأنها تتضمن من الفوائد والنكت والفرائد ما لا يتضمن غيرها ولا أنها تمتد امتدادا لا يمتد غيرها
مثلا وقوله احسن القصص يدل على ان الحسن ينفاضل ويتماثل لأن لفظة افضل حقيقتها ذلك وإنما يتماثل
بكثرة استحقاق المدح عليه ويسأل عن هذا فيقال هل يجوز ان يسمى الله سبحانه قاصفا فيقال لا لأنه في
العرف إنما يستعمل فيمن تمسك بطريقة مخصوصة وهذا كما أنه سبحانه لا يسمى مفعلا ولا مفعليا وان وصف
نفسه بأنه علم القرآن وبأنه يفتكم في النساء وقوله (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) معناه وما كنت من
قبل ان أوحينا إليك هذا القرآن او من قبل نزول القرآن عليك إلا من الغافلين عن الحكم التي في القرآن
لا تعلم شيئا منها وقيل من الغافلين عن قصة يوسف وعن الحكم التي فيها

قوله تعالى (٤) إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين (٥) قال يا بني لا نقصن رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن
الشیطان للإنسان عدو مبين (٦) وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم
نعمة عليك وعلى آل يعقوب كما أنما على أبوبك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم
حكيم (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر وابن عامر يا أبت بفتح التاء والباقون بكسرها وابن كثير وقف على الها يا أبه والباقون
بالتاء وروي في الشواذ عن أبي جعفر ونافع وطلحة بن سليمان أحد عشر بسكون العين والقراءة بفتحها وقرأ

الكسائي الا با الحرف وقيية بأماله رويك والرويا في جميع القرآن وروى ابو الحرف عنه فتح رويك واما
الباقى وقيية أمال للرويا تبرون قسط وقرأ خلف في اختباره بأماله ما فيه الضولام والباقون بالتفخيم وخفف
الهمزة في جميع ذلك ابو جعفر وورش وشجاع والترمذي الا ان با جمل يدغم الواو في الياء فيجصلها بباء مشددة

(الحجة) -

قال الزجاج من قرأ يا أبت بكسر التاء فلي الأضافة الى نفسه وحذف الياء لأن ياء الإضافة تحذف
في النداء وأما ادخال تاء التانيث في الأب فأما دخلت في النداء خاصة والمذكر يدعى باسم فيه علامة
التانيث ويوصف بما فيه تاء التانيث فالاسم نحو نفس وعين والصفة نحو غلام يفتة ورجل ربة فلزمت التاء
في الأب عوضا من ياء الإضافة والوقف عليها يا أبة بالهاء وان كانت في المصنف بالتاء وزعم الفراء انك
اذا كسرت وفتت بالتاء لا غير واذا فتحت وفتت بالتاء والهاء ولا فرق بين الكسر والفتح وأما يا أبت بالفتح
فلي أنه ابدل من ياء الإضافة الفأثم حذف الألف كما يحذف ياء الإضافة وقيت الفتحة قال ابو علي من
فتح فله وجان ~~أحدهما~~ ان يكون مثل يا طلحة اقبل ووجه قول من قال يا طلحة ان هذا النحو من
الاسماء التي فيها تاء التانيث أكثر ما يدعى مرخا فلما كان كذلك رد التاء المحذوفة في الترخيم اليه وترك
الأخر بجري على ما كان بجري عليه في الترخيم من الفتح فلم يمتد بالهاء واقصمها والوجه الآخر ان يكون
أراد يا أبا فحذف الألف كما يحذف التاء فتبقى الفتحة دالة على الألف كما ان الكسرة تبقى دالة على الياء
والدليل على قوة هذا الوجه كثرة ما جاءت هذه الكلمة على هذا الوجه كقول الشاعر « وهل جيزع ان قلت
وأبتاهما » وقول الاعشى

وَيَا أَبَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا فَأَنَا نَخَافُ بِأَنْ تَحْتَرِمَ

وقول روية « يا ابتاعلك او عساك » فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم الزموا القلب والحذف على ان اباعثان
قدرأى ذلك مطردا في جميع هذا الباب وأما وقف ابن كثير على الهاء فلا لأن التاء التي للتانيث يبدل منها الهاء
في الوقف فيتميز الحرف بذلك في الوقف كما غير التنوين اذا انفتح ما قبله بأن ابدل منه الألف ومن قرأ أحد
عشر بسكون العين قال ابن جنى سبب ذلك عندي ان الاسمين لما جلا كالاسم الواحد وبنى الأول منها
لأنه كصدر الاسم من عجزه جعل لسكين أول الثاني دليلا على انها قد صارا كالاسم الواحد وكذلك بقية العدد
الى تسعة عشر الاثني عشر واثنى عشر فإنه لا يسكن العين لسكون الألف والياء قبلها قال الزجاج الرويا فيها
أربع لغات روي بالهمزة ورويا بالواو من غير همز ورويا على الادغام ورويا بكسر الراء قال ابو علي الرويا
مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا والشورى الا انه لما صار اسما لهذا التخيل في المنام جرى مجرى الاسماء
كما ان درا لما كثر في كلامهم في قولهم لله درك جرى مجرى الاسماء وخرج من حكم الاعمال فلا يعمل
واحد منها اعمال المصادر وما يقوي خروجه عن احكام المصادر تكسبهم لها روي فصار بمنزلة ظلم والمصادر
في الاكثر لا تكسر والرويا على تحقيق الهمز فان خفت قلبتها في اللفظ واوا ولم تدغم الواو في الياء
وان كانت قد تقدمتها ساكنة كما قلب في نحو طي ولي لأن الواو في تقدير الهمزة فهي لذلك غير لازمة
فلا يقع الاعتداد بها وقد كسروا ولها قوم قللوا روي فهو لا قلبوا الواو قلبا على غير وجه التخفيف ومن ثم
كسروا الفاء كما كسروا من قولهم قرن الوى وقرن لي

— * اللغة * —

الرويا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فإذا تصور الإنسان المعنى توهم انه يراه والكيد طلب الحيلة واللام في يكيدوا لك لام التعديبة كما تقول قدمت لك طعاما وقدمت اليك طعاما وشكرت لك وشكرتك يقال كاده يكيد كيداً وكادله والاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبي وأصله من جبيت الماء في الحوض اذا جمعه

— * الإعراب * —

تقدير العامل في اذ يجوز ان يكون اذ كراهة قال اذ كراهة قال اذ قال يوسف قال الزجاج ويجوز ان يكون على نقص عليك اذ قال وقد غلط في هذا لأن الله تعالى لم يقص على نبيه ﷺ هذا القصة في وقت قول يوسف (ع) وكو كبا منصوب على التمييز وقوله رأيتهم كرر الروية تأكيداً ولأن الكلام قد طال والمعنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر لي ساجدين ولم يقل ساجدات لأنه لما وصف هذه الأشياء بالسجود كما يوصف الآدميون بذلك اجري فعلها مجرى فعل العقلاء وكما قال يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وموضع الكاف من قوله وكذلك نصب والمعنى ومثل ما رأيت يجتبيك ربك ويعلمك

— (المعنى) —

ثم ابتداء سبحانه بقصة يوسف (ع) فقال (إذ قال يوسف لأبيه) يعقوب (ع) وهو إسرائيل الله ومعناه عبد الله الخالص ابن اسحاق نبي الله بن ابراهيم خليل الله وفي الحديث ان النبي ﷺ قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) اي رأيت في منامي قال ابن عباس ان يوسف (ع) رأى في المنام ليلة الجمعة ليلة القدر أحد عشر كوكبا نزلن من السماء فسجدن له ورأى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدا له قال فالشمس والقمر أبواه والكواكب إخوته الأحد عشر وقال السدي الشمس أبوه والقمر خالته وذلك أن أمه راحيل قد ماتت وقال ابن عباس الشمس أمه والقمر أبوه وقال وهب كان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان أحد عشر عصا طولا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال له إياك ان تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن اثني عشرة سنة ان أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدت لها فقصها على أبيه فقال له لا تقصص رؤياك على إخوتك الآية وقيل انه كان بين رؤياه وبين مصير أبيه وإخوته الى مصر اربعون سنة عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثمانون سنة عن الحسن ولما طال الكلام كرر رؤيتهم وأعادته لتأكيد وقيل أراد بالرويا الأولى روية الأعيان والاشخاص وبالروية الثانية روية سجودهم واختلف في معنى هذا السجود فقيل انه السجود المعروف على الحقيقة لتكرمه لا لعبادته وقيل معناه الخضوع له عن الجبائي كما قال الشاعر « ترى الأكم فيه سجداً للعوافر » وهذا ترك الظاهر ويقال ان اخوته لما بلغهم رؤياه قالوا ما رضي أن يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه (قال) يعقوب (يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك) اي لا تخبرهم بذلك (فيكيدوا لك كيدا) اي فيحسدوك او يقابلوك بما فيه هلاكك وذلك ان رؤيا الانبياء وحي وعلم يعقوب ان اخوة يوسف يعرفون تأويلها ويخافون علو يوسف عليهم فيحسدونه ويبغونهم الغوائل (ان الشيطان للإنسان عدومين) اي ظاهر

العداوة فيلحق بينهم العداوة ويحملهم على انزال المكروه بك (و كذلك) اي كما أدرك هذه الروايات تكريماً لك و بين ان اخوتك يخلصون لك او يسجدون لك (يحببتك ربك) اي يصطفيك ربك ويختارك للنبوة عن الحسن وقيل الحسن الخلق والخلق (ويملك من تأويل الأحاديث) قيل معناه ويملك من تصير الروايات لأن فيه أحاديث الناس عن رؤياهم وسماه تأويلاً لأنه يؤول أمره الى ما رأى في المنام عن قتادة وقال ابن زيد كان أعبر الناس الروايات وقيل معناه ويملك عواقب الأمور بالنبوة والوحي اليك فتعلم الاشياء قبل كونها معجزة لك لأنه أضاف التظلم الى الله وذلك لا يكون الا بالوحي عن ابي مسلم وقيل تأويل أحاديث الأنبياء والأهم يعني كتب الله ودلائله على توحيده والمشروع من شرائعه وأمر دينه عن الحسن والجبائي والتأويل في الأصل هو المنتهى الذي يؤول اليه المعنى وتأويل الحديث قومه الذي هو حكمه لأنه اظهر ما يؤول اليه أمره بما يعتمد عليه وفائدته (و يتم نعمته عليك) بالنبوة لأنها منتهى نعيم الدنيا وقيل اتمام النعمة هو ان يحكم بدوامها على تخلصها من شائب بها فهذه النعمة التامة وخصوصاً بما ينقصها ولا يطلب ذلك الا من الله تعالى لأنه لا يقدر عليها سواه وقيل معناه ويتم نعمته عليك بأن يزوج اخوتك اليك حتى تنعم عليهم بعداسادتهم اليك (وعلى آل يعقوب) اي وعلى اخوتك بأن يثبتهم على الإسلام وبشرهم بمكانتك ويحل فيهم النبوة وقيل يتم نعمته عليهم باقتادهم من المحن على يدك (كما اتما على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق) اي كما أتم النعمة على ابراهيم بالخلة والنبوة والنجاة من النار وعلى اسحاق بأن فداه عن الذبح بذبح عظيم عن عكرمة وقال انه الذبيح وقيل باخراج يعقوب واولاده من صلبه عن أكثر المفسرين قالوا وليس هو الذبيح وانما الذبيح اسماعيل (ان ربك عليم) بمن يصلح للرسالة (حكيم) في اختيار الرسل وقيل عليم بأحوال خلقه حكيم في قضاياه

قوله تعالى (٧) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ (٨) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَلْفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩) أَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلِ لَكُمْ وَجْهٌ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (١٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْمُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّهَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (أربع آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير آية السائلين والباقون آيات وقرأ اهل المدينة غيابات الجب والباقون غيبة الجب وفي الشواذ قراءة الاصرح غيابات مشددة وقراءة الحسن غيبة الجب وقرأ اهل المدينة والكسائي مبنً اقولوا بضم التنوين والباقون بالكسر

الحجة

قال ابو علي من قرأ آية على الأفراد جعل شأنه كله آية ويقويه قوله وجعلنا ابن مريم وآمه آية فكل واحد منهما على انفراده يجوز أن يقال فيه آية فأفرد مع ذلك ومن جمع جعل كل حال من احواله آية على ان المفرد المنكر في الإيجاب يقع دالاً على الكثرة كما يقع كذلك في غير الإيجاب قال الشاعر
فَقَتَلًا بِتَقْتِيلٍ وَضَرْبًا بِضَرْبِكُمْ
جَزَاءَ الْعِطَاشِ لَا يَنَامُ مِنَ الشَّأْرِ (١)

(١) النار: النسيم الذي اذا اصابه الطالب دسئ به فنام بعده .

واما الغيبة فكل شيء غيب شيئا عن ابي عبدة وأنشد

فَإِنْ أَنَا يَوْمًا غَيَّبْتَنِي غِيَابَهُ فَسِرُّوا بِسِرِّي فِي الْمَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ

والجب الركية التي لم تطوف من أفرد فالوجه فيه ان الجب لا يخلو من أن يكون له غيبة واحدة أو غيابات وغيابة المفرد يجوز أن يعني به الجمع كما يعني به الواحد ومن جمع فإنه يجوز أن يكون له غيبة واحدة فبجعل كل جزء منها غيبة كقولهم شابت مفارقة وبثر ذو غيابتين ويجوز ان يكون للبشر عدة غيابات فجمع لذلك واما غيابات بالتشديد فيكون اساجاء على فصلة كما جاء التيار للموج والفياد لبوم الذكر والفخار للمخزف وغير ذلك واما غيبة فيجوز ان يكون حدثا على فصلة من غاب فيكون بمعنى الظلمة ويجوز أن يكون موصفا على فصلة واما من ضمّ التنوين فلا أنه التني الساكنان التنوين والتفان في اقتلوا ولزم تحريك الأول منها فحركه بالضم ليتبع الضمة الضم كما قيل سرّ ومدّ ومن كسر التنوين فإنه لم يتبع الضم كما ان من قال مدّ لم يتبع وكسر الساكن على ما يجري عليه أمر تحريك الساكن في الأمر الشائع

❦ اللغة ❦

الآية والعلامة والمبرة نظائر والمصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض ويقع على جماعة من عشرة الى خمس عشر وقيل ما بين العشرة الى الاربعين ولا واحد له من لفظه كاقوم والرهط والنفر والفرق بين المحبة والشهوة ان الانسان يحب ولده ولا يشبهه بأن يبيل طبعه اليه ويرق عليه ويريد له الخير والشهوة منازعة النفس الى ما فيه اللذة وإنما سمي البئر جبا لأنه قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء من غير طي ومنه المجهوب قال الأعشى

وَإِنْ كُنْتَ فِي جَبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرَقَيْتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلْمٍ

وكل ما غيب شيئا عن الحس بكونه فيه فهو غيبة فغيابة البئر شبه لحف او طاق فوق ما البئر والسيارة الجماعة المسافرون لأنهم يسرون في البلاد وقيل مارة الطريق والالتقاط تناول الشيء من الطريق ومنه اللقطة واللقيط ومعناه أن يجده من غير ان يحسبه يقال وردت الماء التقاطا إذا وردته من غير أن تحسبه

❦ الإعراب ❦

العامل في قوله إذ قالوا اذكر وتقديره اذكر إذ قالوا ليوسف ويحتمل أن يكون العامل فيه ما في الآية التي قبله من قوله لقد كان في يوسف واخوته آيات إذ قالوا واللام في قوله ليوسف جواب القسم تقديره والله ليوسف وأخوه أحب الى أينا منا، يظل لكم جواب الأمر وتكونوا جزم لأنه معطوف عليه وروي عن الحسن تلتقطه بعض السيارة بالتاء وهذا كما يقال أذهبت بعض اصابعه وقال الشاعر

طَوَّلَ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي طَوَّيْنِ طَوَّيْنِ طَوَّيْنِ عَرَضِي

قال اسرعت وطويين لتأنيث الليالي ولم يجعله على طول وهو مذكر

❦ المعنى ❦

ثم أنشأ سبحانه في ذكر قصة يوسف فقال (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) ومعناه لقد كان في حديث يوسف واخوته عبر للسائلين عنهم وأعاجيب فنما انهم نالوه بالأذى وودبوا في قتله واجتمعوا على قتله في البئر للحسد مع انهم اولاد الأنبياء فصنع عنهم عليه السلام لما مكّنه الله منهم وأحسن إليهم

ولم يعيهم بما كان منهم وهذا خارج عن المادة وفيه عبرة لمن اعتبر فيها في منافع الدين ومنها الفرج بعد الشدة والمنحة بعد المحنة ومنها الدلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ لأنه «ع» لم يقرأ كتابا فلم انه لم يأت به ذلك إلا من جهة الوحي فهو بصيرة للذين سألوه أن يخبرهم بذلك ومعجزة دالة على صدقه واخوته هم أولاد يعقوب وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا لصلبه وكانوا اولاد علة عن الجبائي وقيل اسماؤهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وربالون ويشجر وأهمهم لبا بنت لبان وهي ابنة خالة يعقوب ثم توفيت لبا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل ابن يامين وولد له من سريتين له اسم احدهما زلفة والاخرى بلهة اربعة بنين دان ونفتالي وحاد وآشر^(١) وكانوا اثني عشر ثم اخبر سبحانه عما قالت أخوة يوسف حين سمعوا منام يوسف وتأويل يعقوب إياه فقال (إذ قالوا) اي قال بعضهم لبعض (ليوسف وأخوه) لأبيه وأمه بنيامين (أحب الى آيينا) يعقوب (منا) وذلك أن يعقوب (ع) كان شديد الحب ليوسف وكان يوسف من أحسن الناس وجها وكان يعقوب يوتره على اولاده فحسدهم ثم رأى الرؤيا فصار جسدهم له أشد وقيل انه «ع» كان يرجمه وأخاه ويقربها لصفرهما فاستثقلوا ذلك وروى ابو حمزة الثمالي عن زين العابدين «ع» ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيصدق به ويأكل هو وعياله منه وان سائلا موثنا صواما اعترى باباه عشية جمعة عند أوان افطاره وكان مجتازا غريبا فتهتف على بابه واستطمعهم وهم يسمعون فلم يصدقوا قوله فلما يشرب أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستمبر وشكا جوعه الى الله تعالى وبات طلوبا واصبح صائماً صابراً حامداً لله وبات يعقوب وآل يعقوب بطائفا واصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم فابنلاه الله سبحانه بيوسف (ع) وأوحى اليه ان استمد لبلائي وارض بقضائي واصبر للمصائب فرأى يوسف الرؤيا في تلك الليلة والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وروى ذلك عن ابن عباس او قريب منه (ونحن عصبه) معناه ونحن جماعة يتعصب بعضهم لبعض ويعين بعضنا بعضا اي قنمن أنفع لأئينا وقيل يعني ونحن عصبه لا يعجزنا الاحتيال عليه (إن أبانا لفي ضلال مبين) اي في ذهاب عن طريق الصواب الذي هو التعديل بيننا في المحبة وقيل معناه انه في خطأ من الرأي في أمور الأولاد والتدبير الدنيوي ونحن اقوم بأمور مواشيه وامواله وسائر اعماله ولم يريندنا به الضلال عن الدين لأنهم لو أرادوا ذلك لكانوا كفاراً وذلك خلاف الاجماع ولأنهم بالاتفاق كانوا على دينه وكانوا يعظمونه غاية التعظيم ولذلك طلبوا محبته وأصل الضلال المدول وكل من ذهب عن شيء وعدل عنه فقد ضل واكثر المفسرين على ان اخوة يوسف كانوا أنبياء. وقال بعضهم لم يكونوا أنبياء. لأن الأنبياء لا يقع منهم القبايح وقال المرتضى قدس الله روحه لم يقم لنا الحجة بأن اخوة يوسف الذين فعلوا ما فعلوه كانوا أنبياء. ولا يتبع ان يكون الاسباط الذين كانوا انبياء غير هؤلاء. الأخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله تعالى عنهم وليس في ظاهر الكتاب ان جميع اخوة يوسف وسائر الاسباط فعلوا بيوسف ما حكاه الله من الكيد وقيل يجوز أن يكون هؤلاء الاخوة في تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم ولا توجه اليهم التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ من الظلمان مثل هذه الأفعال ويعاتب على ذلك ويلام ويضرب وهذا الوجه قول البلخي والجبائي ويدل عليه قوله نزع ونلب وروى ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده عن محمد بن اسمايل بن بزيع عن حنان بن سدير قال قلت لأبي جعفر أكان اولاد يعقوب أنبياء. فقال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولادا لأنبياء ولم يفارقوا الدنيا إلا سعداء تلوا وتذكروا مسا صنموا وقال الحسن كانوا رجالا بالئين ووقفت ذلك منهم صغيرة ثم اخبر سبحانه عنهم انهم قال بعضهم لبعض (اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا) اي اطرحوه في ارض بعيدة عن آيينه فلا يهتدي اليه وقيل معناه في ارض تأكله السباع او يهلك بنير ذلك (يخجل لكم وجه ابيكم) عن يوسف

(١) وقد اختلفت كلمات المفسرين والمؤرخين في ضبط اسما اولاد يعقوب ولا يخلو الكل عن التصحيح .

وتخلص لكم محبته والمعنى انكم متى قتلتموه او طرحتوه في ارض أخرى خلا لكم ابوكم وحن عليكم (وتكونوا من بعده قوما صالحين) اي وتكونوا من بعد قتل يوسف او غيبته قوما تابعين والمعنى انكم إذا فعلتم ذلك وبلغتم اغراضكم تبتم مما فعلتموه وكنتم من جملة الصالحين الذين يعملون الصالحات وهذا يدل على انهم رأوا ذلك ذنباً يصح التوبة منه من جماعة من المفسرين وقيل معناه وتكونوا قوما صالحين في امر دنياكم اي يعود حالكم مع ايكم إلى الصلاح من الحسن ومتى يسأل ههنا على قول من جعلهم غير الباقين فقال أليس يدل هذا القول منهم على بلوغهم لهمم بالوعيد فالجواب ان المراهق قد يجوز أن يعلم ذلك خاصة إذا كان مربى في حجر الأنبياء ومن اولادهم واختلف فيمن قال ذلك من المخوفة فقال ذهب قاله شعون وقال مقاتل قاله روبين ثم اخبر سبحانه عن واحد من جملة القوم بقوله (قال قائل منهم) اي من المخوفة يوسف (لا تقتلوا يوسف وأقره في ضيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) اي القوم في قعر البئر يتناولهم بعض مارة الطرق والمسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى والقاتل لذلك روبين وهو ابن خالة يوسف عن قتادة وابن اسحاق وكان احصاهم رأياً فينته فنهاهم من قتله وقيل هو يهوذا وكان اقدمهم في الرأي والفضل وأسئله عن الاصم والزجاج وقيل هو لاوي وراه علي بن ابراهيم في تفسيره واختلفوا في ذلك الجب فقيل هو بئر بيت المقدس عن قتادة وقيل بارض الاردن حسن وهب وقيل بين مدين ومصر عن كعب وقيل على ثلاث فراسخ من مقل يعقوب عن مقاتل (إن كنتم فاعلين) معناه إن كنتم فاعلين شيئاً مما تقولون في يوسف فليكن هذا فعلكم فإنه دون القتل الصريح وقال ابن عباس يريد إن أضرت ما تريدون وقيل للحسن أجمد المؤمن فقال ما أمسك حديث بني يعقوب

قوله تعالى (١١) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١٢) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (آيات)

(- القراءة -)

قرأ أبو جعفر والحلواني عن قالون لأتأمننا مشددة النون بلاشدة وقرأ الباقر بالإشمام وهو الإشارة إلى النون المدخلة بالضمة وهو اختيار ابي عبيدة وقرأ أبو جعفر ونافع يرتع ويلعب بالياء فيها وكسر العين من يرتع وقرأ ابن كثير زرع وتلب بالنون فيها وكسر العين وقرأ ابو عمرو وابن عامر يرتع وتلب بالنون فيها وجزم العين وقرأ اهل الكوفة ورويس عن يعقوب يرتع ويلعب بالياء فيها وجزم العين وقرأ روح وزيد عن يعقوب يرتع بالنون وجزم العين وتلب بالياء وقد روي ذلك عن ابي عمرو وهو قراءة الأخرج وابراهيم النخعي وفي الشواذ قراءة الملا بن سيابة يرتع بالياء وكسر العين ويلعب رفعا وقراءة ابي رجا يرتع ويلعب

(- الحجة -)

قال الزجاج يجوز في تأمننا أربعة أوجه اشمام النون مع الادغام - الضم وهو الذي حكاه ابن مجاهد عن الفراء والاشمار بالضمة والادغام من غير اشمام لأن الحرفين من جنس واحد وتأمننا بالانفاد ورفع النون الاولى لأن النونين من كلمتين وتشتا بكسر التاء لأن ما ضيه على فعل كما قالوا تعلم ونعلم وهي قراءة يحيى بن وثاب وهذه القراءة مخالفة للمنصف وإن كانت في العربية جائزة وأما قوله يرتع ويلعب فقد قال ابو علي قراءة من قرأ يرتع بالنون وكسر العين ويلعب بالياء حسن لانه جعل الارتقاء والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الصغر واستدال على إلى يوسف لصغره ولا لزم على الضم في اللب والدليل على صغر يوسف قول اخوته وإنا له لحافظون ولو كان كبيراً لم يجتمع إلى حفظهم ويدل على ذلك قول يعقوب وأخاف ان يأكله الذئب وإنا يخاف الذئب على من لا هفاج به من شيخ كبير او من صبي صغير قال

أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا. أَمَلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ قَرَأَ
وَالذُّبَّ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَزَتْ بِهِ وَحَدِي وَأَخْشَى الرِّيحَ وَالْمَطْرَ (١)
وأما الارتقاء فهو ارتفاع من رعيت مثل شويت واشتويت وكل واحد منهما متعد إلى مفعول به قال الأعشى
تَرْتَعِي السَّفْحَ فَالْكَيْبَ فَذَاقَارِ فَرَوْضَ الْقَطَا فَذَاتَ الرِّمَالِ (٢)

وقال آخر

رَعَتْ بَارِضَ الْبُهْمِيِّ جَمِيًّا وَبُسْرَةَ وَصَمَاءَ حَتَّى آفَتْهَا نِصَالُهَا (٣)

وقد يستقيم أن يقال ترتع وإنما ترتع إبلهم فيما قال ابو عبيدة ووجه ذلك انه كان الأصل يرتع ابلنا ثم حذف المضاف واسند الفعل إلى المتكلمين فصار ترتع وكذلك ترتعي على يرتعي ابلنا ثم حذف المضاف فيكون ترتع وقال ابو عبيدة ترتع نلهو وقد يكون هذه الكلمة على غير معنى اللهو ولكن على معنى النيل من الشيء كقولهم في المثل الصيد والرتمة وكان على هذا النيل والتناول ما يحتاج اليه الحيوان وقد قال الأعشى (صدر النهار يراعي نيرة رُتْمًا) وعلى هذا القول قالوا رأيت مرتع ابلك لمرادها الذي فيه فهذا لا يكون على اللهلوانه جمع ثور راتع اورتوع فاما من قرأ ترتع ونلعب بالنون فيكون ترتع على يرتع ابلنا او على اناننال ما يحتاج اليه وينال معنا وامانلعب فحكى ان ابا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب وهم انبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء. فلو صحت هذه الحكاية عنه وصح عنده هذا التاريخ وإلا فقد قال الشاعر

جَدَّتْ جِدَادٌ بِالْأَعْيَبِ وَتَقَشَّعَتْ غَمَرَاتُ قَالَتْ لَيْتَهُ حَيْرَانٌ

فكان اللاعب هاهنا الذي لم يتشمر في اهله فدخله بعض الهوييناهذا اسهل من الوجه الذي قوبل به الحق وقد روي عن النبي ﷺ انه قال لجابر فهلا بكرأ تلاعبها وتلاعبك فهذا كأنه يتشاغل بيباح وتنفس وجمام من الجدد وقد روي عن بعض السلف انه كان إذا اكثر النظر في مسائل الفقه قال احضروا فليس هذا اللعب كاللعب في قوله ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب وأما من قرأ بالياء فيها فإن كان يرتع من اللهو كما فسره ابو عبيدة فلا يبتنع أن يخبر به عن يوسف لصغره كما لا يبتنع أن ينسب اليه اللعب لذلك وان كان يرتع من النيل من الشيء فذلك لا يبتنع عليه ايضاً فوجهها بين وهذا أبين من قول من قال ونلعب بالنون لأنهم سألوا ارساله ليتنفس بلعبه ولم يسألوا ارساله ليلعبوا هم وأما من قرأ ويلعب بالرفع فإنه جعله استئنافاً اي هو ممن يلعب كقولك زرني احسن اليك اي انا ممن يحسن اليك وأما من قرأ ويرتع فمعناه يرتع ابله فعذف المفعول كما قال الخطيب

مُنْعَمَةٌ تَصُونُ إِلَيْكَ مِنْهَا كَصَوْنِكَ مِنْ رِدَائِهِ شَرْعِي

اي تصون الحديث وقال الشنفرى

كَانَ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًّا تَقَّصَهُ عَلَى أُمَّهَا وَإِنْ تَكَلَّمْتَ تَبَلَّتْ (٣)

أي تقطع حديثها خفراً وحياء.

* المعنى *

ثم بين سبحانه انهم عند اتفاق آرائهم فيما تأمروا فيه من امر يوسف كيف سألوا أباهم فقالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف (اي ما لك لا تثق بنا ولا تعتمدنا في امر يوسف (وإنما له لناصرون) أي مخلصون في إرادة الخير به وفي هذا دلالة على انه عليه السلام كان يأبى عليهم ان يرسله معهم (ارسله معنا فداً) اي إلى الصحراء (زرع ونلعب) الجزم على جواب الأمر والمعنى ان ترسله معنا زرع ونلعب اي نذهب ونجني وننشط ونلهو من الكلبي والضحاك وقيل نتحافظ فيحفظ بعضنا بعضنا ونلهو عن مجاهد وقيل نرعى ونتصرف والرتع هو التردد

(١) اي كبرت وضعت . (٢) مواضع . (٣) قائله ذو الرمة والبهمي : نبت . والبارض : اول ما يظهر من ذلك النبت ، وسائر الالفاظ لمراتبه في النماء . (٣) النسي : الشيء المطروح . واللام : الطريق . وفى اللسان «تحدثك - تخاطبك - تبلت» .

بيننا وشالا عن ابن زيد وأرادوا به اللعب المباح مثل الرمي والاستباق بالأقدام وقد روي أن كل لب حرام إلا ثلاثة لب الرجل بقوسه وفرسه وأهله (وإنا له) أي ليوسف (حافظون) أي نحفظه لئلا نردّه اليك وقيل نحفظه في حال لبه وقال مقاتل هاهنا تقديم وتأخير وذلك إن أخوة يوسف قالوا له أرسله فقال أبوهم إنني ليحزني أن تذهبوا به الآية فيحذقوا بأبائنا ما لك لاتأمننا على يوسف وإنا له لناصمون وإذا صح الكلام من غير تقديم وتأخير فلا معنى لحمله عليه قال الحسن جعل يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في البلاء إلى أن وصل إليه أبوه ثمانين سنة ولبث بعد الاجتماع ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل أنه كان ليوسف يوم القي في الجب عشر سنين وقيل كان له اثنتا عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين أو تسع وجمع بينه وبين أبيه وهو ابن اربعين سنة عن ابن عباس وغيره وفي الآيات دلالة على ظهور حسدهم ليوسف لأنه كان يحرسه منهم وينعمه من الخروج معهم ولا يأمنهم عليه

قوله تعالى (١٣) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٤) قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٥) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لِتُذَيِّبَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٦) وَجَاءَهُوْا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٧) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٨) وَجَاءَهُوَ عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (ست آيات)

❖ اللمة ❖

الذئب أصله الهمز وإن خفت جاز وقراءة الكسائي وخلف وأبو جعفر وورش والاعشى واليزيدي بتخفيف الهزة في المواضع الثلاث والباقيون بالهمز وجمع الذئب اذئب وذئاب وذؤبان وتذاهبت الريح أتت من كل جهة وحزنت واحزنت لثتان والحزن ألم القلب بفراق المحبوب والشعور إدراك الشيء بمثل الشعرة في الدقة ومنه المشاعر في البدن والمجني والمصير إلى الشيء واحد وقد يكون المصير بالانقلاب كمصير الطين خزفا وقد يكون بمعنى الانتقال والمشاء آخر النهار ومنه اشتق الاعشى لأنه يستضي بغير ضيف ويقال المشاء أول ظلام الليل ويقال المشى من زوال الشمس إلى الصباح والمشاء من صلاة المغرب إلى العتمة والاستباق افتعال من السبق واستبقا تبادرا حتى يظهر الاقزى ومنه المسابقة وهو على ثلاثة أوجه سباق بالرمي وذلك جائز بالاتفاق وسباق على الحيل والإبل وذلك جائز عندنا وسباق على الأقدام وذلك غير جائز بعرض وبه قال الشافعي وعند أبي حنيفة يجوز بعرض وبلا عرض وبه قال قوم من اصحابنا وكذلك القول في الصراع ودم كذب أي مكذوب فيه وهو مصدر وصف به وقيل ان تقديره بدم ذي كذب قال الفراء يجوز أن يقع المصدر موقع المفعول كما يقع المفعول موقع المصدر في مثل قول الشاعر

حَقِّي إِذَا لَمْ يَتْرَكُوا لِعِظَامِهِ
لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَمْقُولًا

ولم يجزه سيويه وقال المفعول لا يكون مصدرا ويتأول قولهم خذ ميسورة ودع معسورة وقال يعني به خذ ما يسر له ودع ما عسر عليه وكذلك ليس لقواده مفعول أي ما يعقل به وروي من عائشة أنها قرأت بدم كذب بالبدال أي دم طري والتسويل تزيين النفس ما ليس بحسن وقيل هو تقدير معنى في النفس على الطامع في تمامه

* الاعراب *

اللام في قوله لئن هي اللام التي يتلقى بها القسم وانا إذا لحاسرون جواب القسم فلما ذهبوا به جواب لما محذوف وتقديره عظمت فتتهم او كبر ما قصدوا له والكوفيون يقولون الواو في واجمعا مقعمة وتقديره اجمعا ولا يميز البصريون اقحام الواو وقالوا لم يشب ذلك بحجة ولا قياس وبما أنشده الكوفيون في ذلك قول الشاعر

حَتَّى إِذَا قَمِلَتْ بَطُونُكُمْ وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا
وَقَلْبَتُمْ ظَهَرَ الْمَجَنِّ لَنَا إِنَّ اللَّسِيمَ الْعَاجِزُ الْجَبُّ (١)

وقول امرئ القيس

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى بِنَا بَطْنَ خَبْتِ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلٍ (٢)

قالوا أراد انتحى والبصريون يحملون الجميع على حذف الجواب وقوله يكون في موضع نصب على الحال وعشاء منصوب على الظرف وجائز أن يكون وهم لا يشعرون من صلة قوله لتبشئهم وجائز أن يكون من صلة وأوحينا اي نبأناه بالوحي وهم لا يشعرون انه نبي قد اوحى اليه ونستبقي في موضع نصب على الحال وصبر جميل مرفوع على احد وجهين على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فشأنى صبر جميل او فصبري صبر جميل وهو قول قطرب او على انه مبتدأ محذوف الخبر والتقدير فصبر جميل امثل وانشد

شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السَّرَى يَا جَمَلِي لَيْسَ إِلَيَّ الْمَشْتَكِي
صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكِلَانَا مَبْتَلَى (٣)

ويجوز في غير القرآن فصبراً جميلاً وروي ذلك عن ابي ويكون معناه فاصبري يا نفس صبراً جميلاً قال ذو الرمة

أَلَا إِنَّمَا مَيِّ فَصَبْرًا بَلِيَّةً وَقَدْ يَبْتَلِي الْحُرَّ الْكَرِيمَ فَيَصْبِرُ (٤)

وقال الآخر

أَبِي اللَّهِ أَنْ يَبْقَى لِحَيِّ بِشَاشَةً فَصَبْرًا عَلَى مَا شَاءَهُ اللَّهُ لِي صَبْرًا

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه انهم لما اظلموا بالصبح والشفقة على يوسف هم يعقوب ان يبشئ معهم وحثهم على حفظه فقال (اني ليعزني) اي يعزني (ان تذهبوا به) وتقديره عنى وقيل معناه يعزني مفارقتي اياي (واخاف) عليه إذا ذهبتم به إلى الصحراء (ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون) فهدى جملة في موضع الحال وتقديره اخاف ان يأكله الذئب في حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض اشغالكم قالوا وكانت ارضهم مذابة وكانت الذئاب ضاربة في ذلك الوقت وقيل ان يعقوب رأى في منامه كأن يوسف قد شد عليه عشرة اذواب ليقتلوه وإذا ذئب منها يحيى عنه فكان الارض انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة ايام فمن ثم قال هذا فلقتهم العلة وكانوا لا يدرون وروي عن النبي ﷺ انه قال لا تلقنوا الكذب فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الانسان حتى لقتهم ابوهم وهذا يدل على ان الحصم لا ينبغي أن يلقت حجة وقيل انه خاف عليه أن يقتلوه فكنتي عنهم بالذئب مسابرة لهم قال ابن عباس سأمهم ذئاباً (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة) اي جماعة متعاضدون متناصرين نرى الذئب قد قصده ولا نغتمه منه (إنا إذا لحاسرون) أي نكون كالذين ذهب عنه زؤوس اموالهم على رغم منهم وقيل معناه إنا إذا عجزت ضعفة قال الحسن والله لقد كانوا اخوف عليه من الذئب وقيل معناه إنا إذا لمضيعون بلفظ قيس عيلان عن المورج وههنا حذف والتقدير انه ارسله معهم إجابة لما سأوه ليؤدتي ذلك إلى الإيفة والمجبة (فلما ذهبوا به واجمعا) اي عزموا جميعاً (أن يجملوه في غيابة الجب) اي قمر

(١) قملت بطونكم اي كثرت قبائلكم . والمجن : النرس . وقلب مجاه اي اسقط الحياء . والخب : الخداع . والشاهد في زيادة الواو من وقلبتم وهو جواب اذا . (٢) ساحة الدار : فناؤه . وانتحى اي قصده . والخب : لارض السطمنة . والحقف : الرمل الشرف المعوج . والعنقل : المنعقد من الرمل . والشاهد في زيادة الواو في

البشر واتفقت دواعيهم عليه فإن من دعاه داع واحد إلى الشيء لا يقال فيه انه اجمع عليه فكأنه مأخوذ من اجتماع الدواعي ويدل الألف واللام على انه كان بثرا مرفوعة معهودة عندهم تبيئها السيارة وقيل انهم طلبوا بثرا قليلة الماء تسيه ولا تغرقه فجعلوه فيها وقيل بل جعلوه في جانب منها وقيل ان يعقوب ارسله معهم فأخرجوه مكرما فلما وصلوا إلى الصحراء أظهروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بواحد واحد منهم فلا يغيثه وكان يقول يا أبتاه فمؤا بقتله فمنهم يهودا منه وقيل منهم لاري رواء بعض اصحابنا عنهم عليهم السلام فانطلقوا به إلى الجب فجعلوا يدلونه في البئر وهو يتلق بشفير البئر ثم تزعوا قبيصه عنه وهو يقول لا تقفلوا رداوا علي القبيص أتراهي به فيقولون ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا يوتسكنك فدأوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها القوة ارادة ان يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى إلى صخرة فقام عليها وكان يهودا يأتيه بالطعام عن السدي وقيل ان الجب اضاء له وعذب ماؤه حتى أغناه عن الطعام والشراب وقيل كان الماء كدرا فصفا وعذب ووكل الله به ملكا يحرسه ويطعمه عن مقاتل وقيل ان جبرائيل كان يوتسه وقيل ان الله تعالى أمر بصخرة حتى ارتفعت من اسفل البئر فوق يوسف عليها وهو عريان وكان ابراهيم الخليل (ع) حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فأثاه جبرائيل (ع) بقبيص من حريو الجنة فألبسه إياه وكان ذلك عند ابراهيم (ع) فلما مات ورثه اسحاق فلما مات اسحاق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القبيص في تعريذ وعلقه في عنقه فكان لا يفارقه فلما ألقى في البئر عريانا جاءه جبرئيل وكان عليه ذلك التعريذ فأخرج منه القبيص فألبسه إياه وروى ذلك مفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال وهو القبيص الذي وجد يعقوب ريمه ولما فصلت العير من مصر وكان يعقوب بفسطين فقال إني لأجد ريح يوسف وفي كتاب النبوة عن الحسن بن محبوب عن الحسن بن عمار عن مسمع ابي سيار عن الصادق (ع) قال لما القي اخوة يوسف في الجب نزل عليه جبرئيل فقال له يا غلام من طرحك هنا فقال اخوتي لمزلتني من ابي حسدوني ولذلك في الجب طرحوني فقال أنتحب أن تخرج من هذا الجب قال ذلك إلى إله ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال له جبرئيل فإن إله ابراهيم واسحاق ويعقوب يقول لك قل اللهم إني أسألك بأنك الحمد لا إله إلا انت بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام أن تصلي على محمد وآل محمد وان تجعل لي في امري فرجا ومخرجا وترزقي من حيث أحتسب ومن حيث لا احتسب فجعل الله له من الجب يومئذ فرجا ومخرجا ومن كيد المرأة مخرجا وآتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب وروى علي بن ابراهيم ان يوسف (ع) قال في الجب يا إله ابراهيم واسحاق ويعقوب ارحم ضغي وقله حيلتي وصغري وقوله (وأوحينا اليه) يعني إلى يوسف (ع) قال الحسن اعطاه الله النبوة وهو في الجب والبشارة بالنجاة والملك (لتنبئهم بأمرهم هذا) أي لتخبرنهم بقبيص فعلهم بعد هذا الوقت يريد ما ذكره سبحانه في آخر السورة من قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه (وهم لا يشعرون) انك يوسف وكان الوحي اليه كالوحي الى سائر الأنبياء وقال مجاهد وقتادة اوحى الله اليه ونبأه وهو في الجب وكان فيما اوحى اليه ان اكنم حالك واصبر على ما اصابك فإنك ستخبر اخوتك بما فعلوا بك في وقت لا يعرفونك وقيل يريد وهم لا يشعرون بأنه اوحى اليه وقيل ان معنى قوله لتنبئهم لتجازينهم على فعلهم تقول العرب للرجل يتوعده بجازاة سوء فله لا تبتنك ولا عرفنك اي لا جازينك وقيل أراد بذلك انهم لما دخلوا مصر عرفهم يوسف وهم له منكرون فأخذ الصاع ونقره فطن فقال ان هذا الجاه ليخبرني أنه كان لكم أخ من أبيكم القيثمونه في الجب وبتموه بضمن نجس فهذا معنى قوله لتنبئهم بأمرهم هذا عن ابن عباس ثم بين سبحانه حالهم حين رجعوا الى أبيهم فقال (وجاوا اباهم) يعني وانقلب اخوة يوسف الى أبيهم (عشاء) اي ليلا او في آخر النهار ليلسوا على أبيهم وليكونوا اجرأ على الاعتذار (ليكون) وانما أظهر والبكاء ليومروا انهم صادقون وفي هذا دلالة على ان البكاء لا يوجب صدق دعوى الباكي في دعواه قال السدي لما سمع

قوله واشعروا وهو جواب لما (٤) اي صبر جميل امثل . والسرى : سير الليل كلا . (٥) مى : اسم امرأة .

(١) الصاع المكبال . ونقره : ضربه بصوت . وطن : اي صوت .

بكماء هم فرع فقال ما بالكم (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) اي نشد ونعدو على الاقدام لننظر ايننا اعدى
 واسبق لصاحبه عن الجبائي والسدي وقيل . مناه نتصل ونترامى فننظر اي السهام اسبق الى الغرض عن الزجاج
 وفي قراءة عبد الله نتصل (وتركتنا يوسف عندمنا) اي تركناه عند الرجل ليحفظه (فأكله الذئب وما أنت
 بمؤمن لنا) اي ما أنت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) جواب لو محذوف اي وار كنا صادقين ما صدقتنا لاتهامك
 لنا في أمر يوسف ودل الكلام عليه ولم يصفوه بأنه لا يصدق الصادق لأن المعنى لا يصدقهم لاتهامهم لهم وسوء
 ظنه بهم لما ظهر له من امارات حسدهم ليوسف وشدة محبته ليوسف (وجاؤا على قبيصه بدم كذب) معناه ان
 أخوة يوسف جاؤا اباهم وهم قبيص يوسف ملطخا بدم فقالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب وقيل انهم
 ذبحوا سخة وجعلوا دمه على قبيصه عن ابن عباس ومجاهد وقيل طيبا ولم يمزقوا ثوبه ولم يخطريبالهم ان الذئب
 اذا أكل إنسانا فإنه يمزق ثوبه وقيل ان يعقوب قال لهم ادروني القبيص فاروه إياه فقال لهم لما رأى القبيص
 صحيحا يابني والله ما عهدت كالسيوم ذنبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق قبيصه عن الحسن وروي انه القى
 ثوبه على وجهه وقال يا يوسف لقد أكلت ذنبا رجيم أكل لحك ولم يشق قبيصك ومعنى قوله بدم كذب مكذوب
 عليه او فيه كما يقال ماء سكب اي مسكوب وشراب صب اي مصبوب قال الشاعر

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مَقْلَدَةً أَعْتَتَهَا صُفُونًا^(١)

ارادناحمة عليهم وقيل انه كان في قبيص يوسف ثلاث آيات حين قدم من دبر وحين القى على وجه أبيه فارتد
 بصيرا وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه يعقوب على ان الذئب لو أكله لمزق قبيصه عن الشعبي وقيل انه لما قال
 لهم يعقوب ذلك قالوا بل قتله اللصوص فقال (ع) فكيف قتلوه وتركوا قبيصه وهم الى قبيصه أخرج منهم الى
 قتله (قال بل سرت لكم أنفسكم أمراً) اي قال يعقوب لهم اذا اتهمهم في يوسف لم يأكله الذئب ولم يقتله
 اللصوص ولكن زينت لكم أنفسكم أمراً علمتموه عن قتادة وقيل سهل بعضكم لبعض أمراً في يوسف غير
 الذي فلتتموه حتى سهل عليكم فقتلتموه عن ابني مسلم والجبائي وانما رد يعقوب عليهم يوحي من الله عز اسمه
 وقيل كان ذلك حدساً بصائب رايه وصادق ذهنه (فصبر جميل) اي فصبري صبر جميل لاجزع فيه ولا شكوى الى الناس
 وقيل فصبر جميل اخسن وارولى من الجزع الذي لا يبغي شيئاً وقيل انما يكون الصبر جميلاً اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل
 للوجه الذي وجب فلما كان الصبر في هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك ذكره المرتضى قدس الله
 روحه وقيل ان البلاء تول يعقوب على كبره ويوسف على صغره بلا ذنب كان منهما فأكب يعقوب على حزنه وانطلق
 يوسف في رقه وكل ذلك بين الله يرى ويسمع حتى أتى بالخروج وكل ذلك امتحان (والله المستعان على ما تصفون)
 اي بالله استعين على دفع ما تصفون او به استعين على تحمل مرارة الصبر عليه ومكث يوسف في الجب ثلاثة أيام

قوله تعالى (١٩) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ
 وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا
 فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة يا بشرى بالف بغير ياء الا ان حمزة والكسائي وخلف يميلون الراء وعاصم لا يميل والباقون
 يا بشراي بفتح الياء واثبت الالف وفي الشواذ قراءة الجعدي وابن ابي اسحاق والحسن يا بشرى

(١) البيت لعمر بن كلثوم من المعلقة . وروايته فيها دتر كنا الخيل عا كفة عليه . «ه» صفونا جمع صافن ، والصفان
 من الخيل : القائم على ثلاث قوائم وقد اقام الرابعة على طرف الحافر .

❖ الحجة ❖

قال ابو علي من قرأ يا بشراي فأضاف الى الياء التي للمتكلم كان للالف التي هي حرف الاعراب عنده موضعان من وجهين ❖ احدهما ❖ ان الف في موضع نصب من حيث كان نداء مضافا ❖ والآخر ❖ ان يكون في موضع كسر من حيث كان بمنزلة حرف الاعراب الذي في غلامي والدليل على استحقاقها لهذا الموضع قولهم كسرت بي فلولا ان حرف الاعراب الذي ولي ياء الإضافة في موضع كسر ما كسرت الفاء من في فلما كسرت كما كسرت من قولهم بفيك و كما فتحت من قولهم رأيت فاك لما كانت في موضع الفتحة التي في قولك رأيت غلامك وانضمت في قولك هذا فوك لاتباع الضمة المقدرة فيها كالتي في قولك هذا غلامك كذلك كسرت بي قولهم كسرت في وهذا بذلك على انه ليس يعرب من مكانين الا ترى انها تبتع حركة غير الاعراب في قولك كسرت في يا هذا كما تبتع حركة الاعراب في رأيت فاك ومن قال يا بشري احتمل وجهين ❖ احدهما ❖ ان يكون في موضع ضم مثل يا رجل لاختصاصه بالنداء ❖ والآخر ❖ ان يكون في موضع نصب وذلك لانك اشعت النداء ولم تختص به كما فعلت في الوجه الأول فصار كقوله يا حشرة على العباد الا ان التنوين لم يلحق بشري لأنها لا تنصرف فأما من قرأ يا بشري فان تلك لغة هذيل قال ابو ذؤيب

سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَعْنَقُوا لِسَبِيلِهِمْ
فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَهْجَعٌ (١)

وقال آخر

يَطُوفُ بِي عَكْبٌ فِي مَعَايِرِ
فَإِنْ لَمْ تَتَّارِ لِي مِنْ عَكْبٍ
وَيَطْنُ بِالصَّمَلَةِ فِي قَفَايَا
فَلَا رُوَيْتَا أَبَدًا صُدْيَا (٢)

وامثاله كثيرة

❖ اللغة ❖

الوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء ليستقي وتقول ادليت الدلو اذا ارسلتها في البئر لتملأها ودلوها اذا اخرجتها ملاء وبضاعة قطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء اذا قطعته ومنه المبضع لأنه يبضع به العرق والشري البيع قال الشاعر « وَشَرِبْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي * مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كَنْتَ هَامَهُ » والثمن بدل الشيء من العين او الورق ويقال في غيرهما ايضا مجازا والبخس النقص من الحق يقال بخسه في الكيل او الوزن اذا تقصه من حقه فيها

— (الاعراب) —

قال الزجاج معنى النداء في يا بشري وما في معناها مما لا يجب ولا يعقل فإنه على تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة اذا قلت يا عجباه فكأنك قلت اعجبوا يا ايها العجب هذا من حينك وكذلك اذا قلت يا بشري فكأنك قلت ابشروا بأيتها البشري هذا من ابانك وبضاعة منصوب على الحال وتقديره وأسروه جاعليه بضاعة ودرام في موضع جر بأنه بدل من ثمن ومعدودة صفة الدرهم وكانوا فيه من الزاهدين فيه ليست من صلة الزاهدين والمعنى وكانوا من الزاهدين ثم بين في أي شيء زهدوا فقال فيه فكأنه قال زهدوا فيه وهذا في الظروف جائز ولا يجوز ذلك في المفعولات لو قلت كنت زيدا من الضاربين لم يجز لأن زيدا من صلة الضاربين ولا تتقدم الصلة على الموصول

❖ المعنى ❖

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد القائه في الحب فقال (وجاءت سيارة) اي جماعة مارة قالوا وانما جاءت من قبل مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا بهيمون على غير الطريق حتى نزلوا قريبا من الحب

(١) وفي رواية الامالي للشريف المرتضى (قده) والتبيان «مصرع» بدل «مهجع». واعنقوا اي اسرعوا وتغرم القوم النية اي اضمهم واستأصلهم. برئى نبيه لما ماتوا بالبضاعة. (٢) هما للشتغل الهدلى ونسبهما في اللسان الى الشغل الشكري. وعكب اللحمي: صاحب سجن الثمان بن النذر. ومعد: قبيلة. والصملة: الرجل القصير الضخم

وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران وانما هو الرعاة والمجتازة وكان ماؤه ملحا فمذب وقيل كان الجب بظهر الطريق (فأرسلوا واردهم) اي فبعثوا من يطلب لهم الماء يقال بشوا رجلا يقال له مالك بن زعر ليطلب لهم الماء (فأدلى دلوه) اي ارسل دلوه في البئر ليستقي فتعلق يوسف (ع) بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان قال النبي ﷺ اعطى يوسف شطر الحسن والنصف الآخر لسائر الناس وقال كعب الاحبار وكان يوسف حسن الوجه جمعد الشعر ضخم العين مستوى الخلق ابيض اللون غليظ الساقين والمضدين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور في ضواحه واذا تكلم رأيت في كلامه شعاع النور يذهب عن ثنياه ولا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم (ع) يوم خلقه الله عز وجل وصوره وقبح فيه من روحه قبل ان يعيب المعصية ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن فلما رآه المدلي (قال يا بشرى هذا غلام) عن قتادة والسدي وقيل انه نظر في البئر لما ثقل عليه الدلو فرآى يوسف (ع) فقال هذا غلام فأخرجوه عن الجبائي وقيل ان بشرى رجل من اصحابه ناداه عن السدي (وأسرّوه بضاعة) اي وأسرّ يوسف الذين وجدوه من رفقاتهم من التجار مخافة ان يطلبوا منهم الشر كة معهم في يوسف فقالوا هذا بضاعة لأهل الماء دفعوه اليها لئيبعه لهم عن مجاهد والسدي وقيل معناه وأسرّ اخوته يكتمون انه اخوهم فقالوا هو عبد لنا قد ابق واخفى منا في هذا الموضع وقالوا له بالبرانية لئن قلت انا اخوهم قتلناك فتابعهم على ذلك لثلاثا يقتلوه عن ابن عباس (والله عليم بما يعملون) اي بما يعمل اخوة يوسف (وشروه بثمان بخت) اي باعوه بثمان ناقص قليل عن عكرمة والشعبي وقيل حرام لأن ثمن الحر حرام عن الضحاك ومقاتل والسدي وسمي الحرام بخس لأنه لا بركة فيه فهو منقوص البركة (دراهم معدودة) اي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة وقيل انهم كانوا لا يزنون من الدراهم ما دون الاوقية وكانوا يزنون الاوقية وهي الاربعون فما زاد عليها وكانت الدراهم عشرين درهما عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وهو المروي عن علي بن الحسين (ع) قال وكانوا عشرة فاقسموها درهمين درهمين وقيل كانت اثنين وعشرين درهما عن مجاهد وقيل كانت اربعين درهما عن عكرمة وقيل ثمانية عشر درهما عن ابي عبد الله (ع) واختلف فيمن باعه فقيل ان اخوة يوسف باعوه وكان يهودا متبذرا ينظر الى يوسف فلما اخرجوه من البئر اخبر اخوته فأتوا مالك الكاهن وباعوه منه عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقيل باعه الواجدون بمصر عن قتادة وقيل ان الذين اخرجوه من الجب باعوه من السيارة عن الأصم والأصح الأول وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال فلم يزل مالك بن زعر وأصحابه يتعرفون من الله الخبير في سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف ففقدوا ذلك قال وتحرك قلب مالك ليوسف فأتاه فقال اخبرني من انت فاتبه له يوسف ولم يكن مالك يعرفه فقال أنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم فالزمه مالك وبكى وكان مالك رجلا عاقرا لا يولد له فقال ليوسف لو دعوت ربك ان يهب لي ولدا فدعا يوسف ربه ان يجعل له ولدا ويجعلهم ذكورا فولد له اثنا عشر بطنا في كل بطن غلامان (وكانوا فيه من الزاهدين) قيل يعني به ان الذين اشتروه كانوا من الزاهدين في شراثة لأنهم وجدوا علامة الاخوار وأخلاق أهل البر والتبيل فلم يرغبوا فيه مخافة ان يلحقهم تبعة في استعباده وقيل معناه كانوا من الزاهدين في نفس يوسف لم يشروه للفجور وانما اشتروه للربح وقيل المراد به الذين باعوه من اخوته كانوا غير راغبين في يوسف ولا في ثمنه ولكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به وكان قصدهم تبعيده وقيل كانوا من الزاهدين في يوسف لأنهم لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه وكرامته عليه ولاتناني بين هذه الاقوال فيجوز حمل الآية على جميعها وقيل ان الذين باعوه بمصر كانوا من الزاهدين في ثمنه لأنهم علموا انه لقطعة وليست ببضاعة

قوله تعالى (٢١) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا وَهُوَ

تَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن نَّاسٍ وَإِلَى الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ خَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٢) وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (آيات)

(اللفظة)

الثواء الإقامة والثبوت موضع الإقامة والاكرام اعطاء المراد على جهة الاعظام وهو يتماثل مع فعله منزلة ما يستحق بالنبوة وادناه ما يستحق بخصلة من الطاعات وأشد جمع لا واحد له وقيل هو واحد وان كان على وزن الجمع فهو مثل الآتك وهو الرصاص وقيل انه جمع واحده شد كما ان واحدا لا شرس قال الشاعر

هَلْ غَيْرَ أَنْ كَثُرَ الْأَشْرُ وَأَهْلَكَتْ حَرْبُ الْمُلُوكِ أَكْثَرَ الْأَمْوَالِ

(الاعراب)

مصر لا يتصرف لأنه موث معرفة وان يتفمنا في موضع رفع لكونه فاعل عسى وعسى هذه تامة لأنها تامة بفاعله واللام في قوله ولتعلمه محمولة على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه ولتعلمه

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد ان بيع فقال (وقال الذي اشتراه) اي اشترى يوسف (من مصر) اي من أهل مصر (لاسماته اكرمي مثواه) اي مقام يوسف وموضع نزوله اي هبتي له موضعا كرميا شريفا وتقدير الآية فحملوه الى مصر وباعوه وحذف ذلك للدلالة عليه وكان المشتري خازن فرعون مصر وخليفته وصاحب جنوده واسمه قنظير وكان لا يأتي النساء وقيل ان اسمه اخظير وكان يلقب بالعزير ومن كان بمكانه يسمى بالعزير ومن يسمي بالعزير ممن لم يكن بمكانه نزع لسانه فلما عبر يوسف رويًا الملك سمي العزير وجعل مكان العزير وكان باعه مالك بن زعر منه بأربعين ديناراً وزوج نعل وثوبين ايضين عن ابن عباس وقيل انه عرضه على البيع في سوق مصر فتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه ورقا ومسكا وحريراً عن وهب فاشتراه العزير بهذا الثمن وقال لاسماته راعيل ولقبها زليخا اكرمي مثواه (عسى ان يتفمنا) اي عسى ان نبيعه فترجع على ثمنه (او تتخذة ولداً) فإنه لا ولد لنا وإنما قال ذلك لما رأى على يوسف من الجمال والعقل والهداية في الأمور وعلى هذا فالعزير هو خازن الملك وخليفته والملك هو الريان بن الوليد رجل من المالقي وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف بعده حتى فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى ان يقبل وقال ابن عباس العزير ملك مصر وكذلك هو في حديث علي بن الحسين عليه السلام (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) أي كما أنعمنا على يوسف بالسلامة والخروج من الجب مكناه في الأرض بأن عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى صار بذلك متمكنا من الأمر والنهي في الأرض التي كانت يستولي عليها الملك وهي أرض مصر (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) وقد مضى معناه في أول السورة (والله غالب على أمره) أي على أمر يوسف يحفظه ويرزقه حتى يبلغه ما قدر له من الملك والنبوة ولا يحكه إلى غيره وقيل معناه والله غالب على أمر نفسه لا يعجزه شيء من تدبيره وأفعاله فهو الفاعل لما يشاء كيف يشاء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان الله غالب على أمره او أمر يوسف وقيل معناه لا يعلمون ما يصنع الله بيوسف وما يؤول اليه حاله (ولما بلغ) يوسف (اشده) أي منتهى شبابه وقوته وكال عقلة وقيل الأشد من ثمانين سنة إلى ثلاثين سنة عن ابن عباس وقيل ان أقصى الأشد أربعون سنة وقيل ستون سنة وهو قول الأكثرين ويؤيده الحديث من عمره الله ستين سنة فقد اعذر

اليه وقيل ان اجدها الأشد من ثلاث وثلاثين سنة عن مجاهد وكثير من المفسرين وقيل من عشرين سنة عن الضحاك (آتيناه حكاً) أي اعطيناه القول الفصل الذي يدعو إلى الحكمة (وعلماً) وهو يبين الشيء على ما هو به بما يحل في القلب عن علي بن عيسى وقيل الحكم النبوة والعلم الشريعة عن ابن عباس وقيل الحكم الدعاء إلى دين الله والعلم علم الشرع وقيل أراد الحكم بين الناس والعلم بوجوده المصالح فإن الناس كانوا إذا تحاكموا على العزيز أمره بأن يحكم بينهم لما رأى من عقله واصابته في الرأي وقيل هو العلم والعمل به وهو الحكم (وكذلك نجزي المحسنين) أي مثل ما جزينا يوسف بصبره نجزي كل من أحسن أي فعل الأفعال الحسنة من الطاعات وقيل ان المحسنين الصابرون على التوابع عن الضحاك وقيل هم المؤمنون عن ابن عباس وقيل أراد محمداً ﷺ أي كما فعلنا يوسف واعطيناه الملك بعد مقاساته البلاء والشدة كذلك فعل بك يا محمد عن ابن جريج

قوله تعالى (٢٣) وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل المدينة والثام هيت لك بكسر الماء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت لك بفتح الماء وضم التاء وقرأ الباقون هيت لك بفتح الماء والتاء وروى عن علي (ع) وابي رجا وابي وائل ويحيى بن وثاب هيت لك بالهمزة وضم التاء وروى ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس وعن عكرمة ومجاهد وقتادة وروى عن ابن عباس أيضاً هيت لك بفتح الماء وكسر التاء وروى ذلك عن ابي الاسود وابن ابي اسحق وابن محيصن وعيسى الثقفي وروى أيضاً عن ابن عباس هيت لك ايضاً

❖ الهمزة ❖

قال الزجاج في هيت لك لغات أجودها هيت لك بفتح الماء والتاء قال الشاعر
أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتنا
إن العراق وأهله عنق إليك فهيت هيتنا

أي فاقبل وتمال وحكى قطرب انه انشده بعض أهل الحجاز لطرفة

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داع من العشرة هيت
هم يجيئون ذا هلم سراعاً كالأبايل لا تغادروا بيتنا

فهذا شاهد لابن كثير وكلها اساء سمي بها الفعل بمنزلة صه ومه وابه والمركبات في أواخرها الالتقاء الساكنين وأما الفتح فلأن قبل التاء ياء فهو كما قبل ابن وكيف والكسر لأن الأصل في التقاء الساكنين حركة الكسر وأما الضم فلأنها في معنى الغايات كأنها قالت دعائي لك فلما حذفت الاضافة وتضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث ومنذ واما هت بالهمزة وضم التاء ففعل تقول هت أي هيتة أي هيتات وقالوا أفضاهت أهاء كخفت أخاف وأما هيتت لك ففعل صريع كقولك اصلحت لك واللام تتعلق بنفس هيت وهيت وهيت وهت كما يتعلق بنفس هلم في قولك هلم لك

❖ اللفظة ❖

المراددة المطالبة بأمر بالرفق واللين ليحمل به ومنه المرود لأنه يعمل به ولا يقال في المطالبة يدين راوده وأصله من راد يرود إذا طلب المرعى وفي المثل الرائد لا يكذب أهله وهو في الآية كناية عما تريد الساء

(١) قاله رجل من أهل العراق يضاطب علي بن ابيطالب (ع). وجاء القوم عنقاً عنقاً أي طوائف أراد انهم اقبلوا ليك. بجماعتهم. وفي بعض الروايات «سام اليك». مكان «عنق اليك».

من الرجال والتطبيق إطباق الباب بما يمسر فتحه وإنما شدد ذلك لكثير الاخلاق أو للمبالغة في الإطباق

✽ الأعراب ✽

مماذا الله نصب على المصدر على تقدير أعوذ بالله مماذا تقول عدت بالله عودا ومماذا وعياداً ومماذا

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه عن امرأة العزيز وما همت به فقال (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) أي وطالبت يوسف المرأة التي كان يوسف في بيتها عن نفسه وهي زليخا والمعنى طلبت منه ان يواقمها (وغلقت الأبواب) على نفسها وعليه بابا بعد باب قالوا وكانت سبعة ابواب وقيل أراد باب الدار وباب البيت (وقالت هيت لك) أي هلم لك عن ابن عباس والحسن ومعناه أقبل وبادر إلى ما هو مهيأ لك (قال) يوسف (معاذ الله) أي اعتصم بالله واستجبر به مما دعوتني اليه وتقديره عياداً بالله ان أجيب إلى هذا فكان (ع) أظهر الإياء وسأل الله سبحانه ان يعينه ويعصمه من فعل ما دعته اليه (انه ربي أحسن مثواي) الماء عائدة إلى زوجها عند أكثر المفسرين ومعناه ان العزيز زوجك مالكي أحسن تربيتي واكرامي وبسط بدي ورفع منزلتي فلا أخونه وإنما سماه ربا لما كان ثبت له عليه من الرق في الظاهر وقيل ان الماء عائد إلى الله سبحانه والمعنى ان الله ربي رفع من محلي واحسن إلي وجعلني نبيا فلا اعصيه أبداً (انه لا يفلح الظالمون) دل بهذا على انه لو فعل ما دعته اليه لكان ظلما وفي هذه الآية دلالة على ان يوسف لم يهت بالفاحشة ولم يردّها بقبیح لأن من همّ بالقبیح لا يقول مثل ذلك

قوله تعالى (٢٤) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأْيَ بَرِّهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصَّرَفَ عَنْهُ
السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام والباقون بكسر اللام في جميع القرآن

= (الحجة) =

قال ابو علي حجة من كسر اللام قوله اخلصوا دينهم لله ومن فتح اللام فيكون بنى الفعل للمفعول به ويكون معناه ومعنى من كسر اللام واحد فاذا اخلصوا دينهم فهم مخلصون واذا اخلصوا فهم مخلصون

✽ اللفظة ✽

الهم في اللفظة على وجوه منها العزم على الفعل كقوله تعالى اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم أي أرادوا ذلك وعزموا عليه ومنه قول ضابي البرجمي

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي
تَرَكْتُ عَلَى عَثْمَانَ تَبْكِي حَلَالَهُ

وقول حاتم طي

وَلِلَّهِ صَعْلُوكُ يُشَاوِرُ هَمَّهُ
وَيَمِضِي عَلَى الْأَيَّامِ وَالْدَهْرَ مَقْدِمًا

وقول الخنساء

وَفَضَّلَ مِرْدَاسًا عَلَى النَّاسِ جُمْلَةً
وَإِنْ كُلِّ هَمٍّ فَهِيَ فَاعِلُهُ

ومنها خطور الشيء بالبال وان لم يقع العزم عليه كقوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليها يعني ان الفشل خطر يياهم ولو كان الهم ههنا عزمًا لما كان الله وليها لأن العزم على المعصية معصية ولا يجوز ان يكون الله ولي من عزم على الفرار عن نصرته نبيه عليه وآله السلام ويقوي ذلك قول كعب بن زهير

فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ فَارِسٍ مُتَوَسِّمٍ وَمِنْ فَاعِلٍ لِلْخَيْرِ إِنْ هُمْ أَوْ عَزَمَ
 ففرق بين الهم والعزم ومنها ان يكون بمعنى المقاربة قالوا هم فلان ان يفعل كذا اي كاد يفعله قال ذوالرمة
 أَقُولُ لِمَسْعُودٍ يَجْرَعَاءَ مَالِكِ وَقَدْ هَمَّ دَمْعِي أَنْ تَلِجَ أَوَائِلَهُ
 والدمع لا يجوز عليه العزم ومعناه كاد وقارب وقال ابو الاسود الدؤلي
 وَكُنْتُ مَتَى تَهَمُّ بِمَيْتِكَ مَرَّةً لِتَفْعَلَ خَيْرًا تَقْتَضِيهَا شِمَالُكَ

وعلى هذا جاء قوله جداراً يريد ان ينقض اي يكاد وقال الحارثي

يُرِيدُ الرَّمْحَ صَدْرَ أَبِي بَرَاءَ وَيُرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ

ومنها الشهوة ونيل الطباع بقول القائل فيما يشبهه ويميل طبعه اليه هذا أهم الاشياء الي وفي ضده ليس هذا
 من همي واذا كانت معاني الهم في اللغة مختلفة يجب ان ينفي عن نبي الله يوسف (ع) ما لا يليق به وهو العزم على
 القبيح لأن الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز المعاصي والقباح عليهم واجزنا عليهم ما سواه من معاني الهم
 لأن كل واحد من ذلك يليق بمجاليه

✽ المعنى ✽

(ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) اختلف العلماء فيه على قولين ﴿ احدهما ﴾ انه لم
 يوجد من يوسف ذنب كبير ولا صغير ﴿ والآخر ﴾ انه وجد منه العزم على القبيح ثم انصرف عنه فأما الاولون
 فانهم اختلفوا في تأويل الآية على وجوه ﴿ احدهما ﴾ ان الهم في ظاهر الآية قد تعلق بما لا يصح تعلق العزم
 به على الحقيقة لأنه قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بها وفاتاهما لا يجوز ان يراد ويعزم عليهما لأن
 الموجود الباقي لا يصح ان يراد ويعزم عليه فإذا حملنا الهم في الآية على العزم فلا بد من تقدير أمر محذوف يتعلق
 العزم به وقد امكن ان تعلق عزمه (ع) بشير القبيح ونجمته متناولا لضربها اودفها عن نفسه فكأنه قال ولقد همت
 بالفاحشة منه وأرادت ذلك وهم يوسف (ع) بضربها ودفها عن نفسه كما يقال هممت بفلان اي بضربه وابقاع
 مكروه به وعلى هذا فيكون معنى رؤية البرهان ان الله سبحانه اراه برهانا على انه ان أقدم على ما هم به اهلكه أهلها
 او قتلوه او ادعت عليه المرادة على القبيح وقذفته بأنه دعاها اليه وضربها لامتناعها منه فأخبر سبحانه انه صرف
 عنه السوء والفحشاء اللذين هما القتل وظن اقتراف الفاحشة به ويكون التقدير لولا ان رأى برهان ربه
 لفعل ذلك ويكون جواب لولا محذوف كما حذف فيه قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف
 رحيم وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين اي لولا فضل الله ملكتم ولو تعلمون علم اليقين لم يلهمكم التكاثر ومثله
 قول امرئ القيس

وَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفَسًا (١)

يريد فلو انها قس تموت سوية لنقضت وفئت فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه وعلى هذا يكون
 جواب لولا محذوفا يدل عليه قوله وهم بها ولا يجوز ان يكون قوله وهم بها جوابا للولا لأن جواب لولا
 لا يتقدم عليه ﴿ وثانيها ﴾ ان يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون التقدير ولقد همت به لولا ان
 رأى برهان ربه لما رأى برهان ربه لم يهت بها ويجرسي ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني
 تداركك وقد كنت قلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي إياك لقتلت وان كان
 لم يقع هلاك وقتل ومثله قول الشاعر

(١) هدايت من سينته التي قالها عند موته ومعناه - على ما قبل - : تموت بموتى نفوس كثيرة .

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرْبِيهِ
لَئِنْ لَمْ أَعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أَعْجَلْ

وقال آخر

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا بِالْحَرَّةِ
لَئِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا وَيَسْلَمُ عَامِرٌ (١)

وفي القرآن ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها وهذا الوجه اختاره ابو مسلم وهو قريب من الأول
 ﴿ وثالثها ﴾ ان معنى قوله هم بها اشتهاها ومال طبعه الى مادته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة همًا على سبيل
 التوسع والمجاز ولا قبح في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى وانما يتعلق القبح بالمشتهي وقد روي هذا التأويل عن
 الحسن قال أما همها فكان اخبث المم وأما همها فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء وروى الضحاك عن ابن
 عباس انه قال همها القصد وهمته انه تمنها ان تكون زوجة له وعلى هذا الوجه فيجب ان يكون قوله لولا
 ان رأى برهان ربه متعلقًا بحذف ايضا كما انه قال لولا ان رأى برهان ربه لمزم او فعل ﴿ سؤال ﴾ قالوا ان قوله ولقد همت
 به وهم بها خرجا مخرجا واحدا فلم جملتم همها به متعلقا بالقيح وهمته بها متعلقا بغير القبيح وجوابه ان الظاهر
 لا يبدل على ما تعلق به الم فيعما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقيح لشهادة القرآن والآثار به ولا أنها بمن
 يجوز عليه فعل القبيح والشاهد لذلك من الكتاب قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله وقال نوسة
 في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنها في ضلال مبين وقوله حكاية عنها الآن
 حصص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والشاهد من الآثار
 اجماع المفسرين على انها همت بالمعصية والفاحشة وأما يوسف عليه السلام فقد دلت الأدلة العقلية التي لا تطرق
 اليها الاحتمال والمجاز على انه لا يجوز ان يفعل القبيح ولا يعزم عليه فأما الشاهد من القرآن على انه ما هم بالفاحشة
 فقوله سبحانه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وغير ذلك من قوله قلن
 حاش لله ما علمنا عليه من سوء والعزم على الفاحشة من اكبر السوء وأما الفرقة الأخرى فإنهم قالوا فيه ما لا
 يجوز نسبه الى الأنبياء فقال بعضهم انه قعد بين رجلها وحل تكمة سراويله وقال بعضهم حل السراويل حتى بلغ
 الثخن وجلس منها مجلس الرجل من امرأته وقد تزهره الله سبحانه عن ذلك كله بقوله كذلك لنصرف عنه السوء
 والفحشاء وأمثال ذلك مما عدناه فأما البرهان الذي رآه فقد اختلف فيه على وجوه ﴿ احدها ﴾ انه حجة الله
 سبحانه في تحريم الزنا والعلم بالعذاب الذي يستحقه الزاني عن محمد بن كعب والجبائي ﴿ وثانيها ﴾ انه ما
 آتاه الله سبحانه من آداب الأنبياء واخلاق الاصفياء في العفاف وصيانة النفس عن الادناس عن ابي مسلم
 ﴿ وثالثها ﴾ انه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصارفة عن القبائح روي ذلك عن الصادق عليه
 السلام ﴿ ورابعها ﴾ انه كان في البيت صنم فألقت المرأة عليه ثوبا فقال (ع) ان كنت تستحيين من الصنم فأنا
 أحق ان استحي من الواحد القهار عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام (وخامسها) انه اللطف الذي
 لطف الله تعالى به في تلك الحال او قبلها فاختر عنده الامتناع عن المعاصي وهو ما يقتضي كونه معصوما لأن المعصية
 هي اللطف الذي يختار عنده التنزه عن القبائح والامتناع من فعلها ويجوز ان يكون الرؤبة ههنا بمعنى العلم كما
 يجوز ان يكون بمعنى الادراك فأما ما ذكر في البرهان من الأشياء البعيدة بأف قيل انه سمع قائلا يقول يا ابن
 يعقوب لا تكونن كالطير له ريش فإذا زنا ذهب ريشه وقيل انه رأى صورة يعقوب عاضا على أنامله وقيل
 انه رأى كفا بدت فيها ينيها مكتوبا عليها النعي عن ذلك فلم ينته فأرسل الله سبحانه جبريل (ع) وقال ادرك
 عيدي قبل ان يصيب الخطيئة فرآه عاضا على اصبعه فكل هذا سوء نداء على الانبياء مع ان ذلك ينافي التكليف يقتضي
 ان لا يستحق على الامتناع من القبيح مدحا ولا ثوبا وهذا من أقبح القول فيه (ع) (كذلك لنصرف عنه السوء)
 أي كذلك أريناه البرهان لنصرف عنه السوء أي الخيانة (والفحشاء) أي ركوب الفاحشة وقيل السوء الاثم

٢٢٦ (سورة يوسف) قوله تعالى واستبقا الباب وقدت قميصه من دبري قوله انك كنت من الخاطئين ج ٥

والفحشاء الزنا (انه من عبادنا المخلصين) أي المصطفين المختارين للنبوة وبكسر اللام المخلصين في العبادة والتوحيد أي من عبادنا الذين أخلصوا الطاعة لله وخلصوا انفسهم له وهذا يدل على تزييه يوسف وجلالة قدره عن ركوب القبيح والعزم عليه

قوله تعالى (٢٥) وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٦) قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٨) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كِبِدِكُنْ إِنَّ كِبِدَكُنْ عَظِيمٌ (٢٩) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة ابن يعمر وابن ابي اسحق ونوح القاري من قبل ومن دبر ثلاث ضمات من غير تنوين
(الجمعة) -

قال ابن جني ينبغي ان يكونا غاييتين كقوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد كأنه يريد وقدت قميصه من دبره وإن كان قميصه قد من قبله فلما حذفت المضائق اليه أعني الماء وهي مرادة صار المضاف غايية بعد ما كان المضاف اليه غايية له

✽ اللفظة ✽

القد شق الشيء طولاً مثل قد الإديم يقال قدّه يقده قدأ فهو مقدود إذا كان ذاهباً في الطول على استواء وفي الحديث كانت ضربات علي بن ابي طالب عليه السلام ابيكاراً كان إذا اعتلى قدواً إذا عترض قطعاً والقد بكسر القاف السير المقطوع طولاً والالفاء المصادفة قال ذو الرمة

وَمَطْعِمُ الصَّيْدِ هَبَالٌ لِبَيْتِهِ أَلْفَى أَبَاهُ بِذَلِكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ (٢)

أي وجد أباه والكيد طلب الشيء بما يكرهه كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه وبأباه والخطيئة المدول عما تدعو اليه الحكمة إلى ما تزجر عنه ويقال لصاحبه خطأ بخطأ فهو خاطئ إذا وقع ذلك منه عن قصد فإذا وقع من غير قصد قيل أخطأ المقصد فهو محتط فاصل الخطأ المدول عن الغرض الحكمي بقصد أو غير قصد قال امية

عِبَادُكَ يَخْطَئُونَ وَأَنْتَ رَبُّ بِكَفِّكَ الْمُنَايَا وَالْحُتُومِ

(الإعراب)

إنما عطف قوله عذاب اليم على الفعل لأن تقديره إلا السجن أو عذاب ومن في قوله قد من دبر ومن قبل لا ابتداء الغاية لأن اجراء القدر كانت منها وبين في قوله من الكاذبين للتبويض لأنه بعض الكاذبين ولم يقل وشهد شاهد انه ان كان لأنه ذهب منذهب القول في الحكاية كما ان قوله يوصيكم الله في أولادكم كذلك والتقدير يوصيكم الله ان المال للذكر مثل حظ الأنثيين وقوله ان كان قميصه قال ابو العباس المراد معناه ان يكن وجاز ذلك في كان لأنها ام الباب كما جاز في التعجب ما كان احسن زيدا ولم يميز ما اصبح احسنه وقال أبو بكر السراج ان يكن بمعنى ان يصبح قد قميصه من دبر وقوله فلما رأى الرؤية هنا محتمل أمرين أحدهما

(١) بالبناء على الضم والقطع عن الاضافة. (٢) الهبال : الكاسب المحتال .

ان تكون بمعنى رؤبة العين فلا تكون رؤبة العين رؤبة للقد ويكون قوله قد من دير في موضع الحال وإنما يكون رؤبة للقميص ﴿والآخر﴾ ان يكون بمعنى العلم وتكون رؤبة للقد وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث

المعنى

(واستبقا الباب) يعني تبادرا الباب أي طلب كل واحد من يوسف وامرأة العزيز سبق إلى الباب أما يوسف فانه كان يقصد ان يهرب منها ومن ركوب الفاحشة وأما هي فإنما كانت تطلب يوسف لتقضي حاجتها منه وتقصد أن تغلق الباب وتمتعه من الخروج وتراوده ثانية عن نفسه (وقلت قيصه من دير) أي لحقت يوسف فحبذبت قيصه وشقته طولاً من خلفه لأن يوسف كان هارباً وهي تعدو من خلفه وقيل ان يوسف رأى الأبواب قد اقتحمت فلم ابن الصواب هو الخروج فخرج هارباً وقيل بل اخذ بفتح الأبواب وادركته فتعلقت بقمصه من خلفه فشقته (والتيا سبدها لدى الباب) أي غملاً خرجا وجدا زوجها عند الباب وسماه سيدها لأنه مالك أمرها (قالت ماجزاء من اراد بأهلك سوءاً إلا ان يسجن او عذاب اليم) يعني ان المرأة سبقت بالكلام لثورك الذنب على يوسف فقالت لزوجها ليس جزاء من اراد بأهلك خيانة إلا أن يسجن أو ان يضرب بالسياط ضرباً وجيعاً عن ابن عباس قالوا ولو صدق حبها لم تقل ذلك ولا أثرته على نفسها ولكن حبها إياه كان شهوة (قلل هي راودتني عن قسي) لما ذكرت المرأة ذلك لم يجد يوسف بداً من تنزيهه عنه بالصدق ولو كفت عن التكذب عليه فكف عليه السلام عن الصدق عليها فقال هي التي طالبتني بالسوء الذي نسبتني اليه (وشهد شاهد من أهلها) قال ابن عباس وسعيد ابن جبير انه صبي في المهدي وقيل كان الصبي ابن اخت زليخا وهو ابن ثلاثة أشهر وروي عن ابن عباس أيضاً في رواية أخرى وعن الحسن وقتادة وعكرمة انه شهد رجل حكيم من أهلها بتبرئة يوسف واختاره الجبائي قال لو كان طفلاً لكان قوله معجزاً لا يحتاج معه إلى البيان وقيل كان الرجل ابن عم زليخا وكان جالساً مع زوجها عند الباب عن السدي (ان كان قيصه قد) أي شق (من قبل فصدقت) المرأة (وهو من الكاذبين) فيها قال يعني يوسف لأنه كان هو القاصد وهي الدافعة (وإن كان قيصه قد من دير) أي من خلف (فكذبت) المرأة (وهو) أي يوسف (من الصادقين) لأنه الهارب وهي الطالبة وهذا امر ظاهر واستدلال صحيح (فلما رأى قيصه قد من دير) أي فلما رأى زوجها قيصه يوسف شق من خلف عرف خيانة المرأة (فقال انه من كيد كن ان كيد كن عظيم) وقيل هو من قول الشاهد وإنما وصف كيدهم بالنظم لأنها حين فاجأت زوجها عند الباب لم يدخلها دهش ولم تتعير في امرها ووركت الذنب على يوسف (ع) ولأن قليل حيل للنساء اسبق إلى قلوب الرجال من كثير حيل الرجال (يوسف اعرض عن هذا) يعني ان الشاهد قال ليوسف يا يوسف امسك عن هذا الحديث اي عن ذكرها حتى لا يفسو في البلد عن ابن عباس وقيل إنما قاله زوجها وقيل معناه لا تلتفت يا يوسف إلى هذا الحديث ولا تذكره على سبيل البراءة فقد ظهرت براءتك عن ابي مسلم والجبائي ثم اقبل على زليخا فقال (واستقرني لذنبك) اي سلي زوجك ان لا يماقبك على ذنبك (انك كنت من الخاطئين) اي من المذنبين وقيل انه لم يكن غيوراً سلبه الله الغيرة لطفاً منه بيوسف حتى كفي شره ولذلك قال ليوسف اعرض عن هذا واقصر على هذا القدر وقيل معناه استقرني الله من ذنبك وتوحي اليه فإن الذنب كان منك لان يوسف فلانهم كانوا يعبدون الله تعالى مع عبادتهم الأصنام

قوله تعالى (٣٠) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُباً إِنَّا نَنظُرُهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣١) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَنًا

وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣٢) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمَرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٣) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٤) فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَآيَاتٍ لِّيَسْجُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (ست آيات)

﴿ القراءة ﴾

روي عن علي (ع) وعن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجمعة بن محمد عليهم السلام وعن الحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف ومجاهد بخلاف وابن محيصن قد شغفها بالمين وروي عن أبي جعفر متكفاً بغير همز مشددة التاء والباقون متكفاً بالهمز والتشديد وروي في الشواذ قراءة مجاهد متكفاً خفيفة ساكنة التاء وروي ذلك عن ابن عباس وقرأ أبو عمر وحاشي الله والباقون حاش الله وروي عن ابن مسعود وأبي بن كعب حاش الله وعن الحسن حاش الأله وفي رواية أخرى عنه حاش الله بسكون الشين وقرأ يعقوب وحده السجّن احب إلي بفتح السين والباقون بكسرهما

✽ الحجة ✽

قال الزجاج معنى شغفها بالمين ذهب بها كل مذهب مشتق من شغفات الجبال أي رؤوس الجبال يقال فلان مشغوف بكذا أي قد ذهب به الحب أقصى المذاهب وقال ابن جنى معناه وصل حبه إلى قلبها فكاد يحرقه لحدته وأصله من البعير يهنا بالقطران فتصل حرارة ذلك إلى قلبه قال امرؤ القيس

لِتَقْتَلَنِي وَقَدْ شَغَفْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَغَفَ الْمَهْمُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي (١)

وأما القراءة المشهورة شغفها بالعين فمعناه انه خرق شغاف قلبها وهو غلافه فوصل إلى قلبها وأما المتكفاً فهو ما يتكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث وأصله موتكاً مفتعل من وكات مثل مؤتزن من الوزن وأما من قرأ متكفاً فيجوز ان يكون مفتعلاً من قوله

إِذَا شَرِبَ الْمَرْضَةَ قَالَ أَوْكِي عَلِي مَا فِي سِقَالِكَ قَدَرُوبِنَا (٢)

يقال أو كبت السقا إذا شددته وأما منكاً فإنهم قالوا المتك الاترج واحدته منكفة وقيل هو الزماورد وأما حجة أبي عمرو في قوله حاشي الله فقول الشاعر

حَاشِي أَبِي ثَوْبَانَ إِنَّ بِهِ ضَنَا عَنِ الْمَلْحَاوِ وَالشَّمِّ (٣)

وقال أبو علي لا يخلو قولهم حاش الله من ان يكون الحرف الجار في الاستثناء كما ذكرناه في البيت أو فاعلاً من قولهم حاش بعاشي ولا يجوز ان يكون حرف الجر لأن حرف الجر لا يدخل على مثله ولأن الحرف لا يعذف إذا لم يكن فيها تضييف فإذا بطل ذلك ثبت انها فاعل مأخوذ من الحشاء الذي هو الناحية والمعنى انه صار في حشاء أي في ناحية مما قذف به وفاعله يوسف والمعنى بعد عن هذا الذي رمي به . لله أي خوفه من الله ومراقبته أمره ومن حذف الألف فكما حذف من لم يك ولا أدر وإذا أريد به حرف الجر يقال حاشا وحاش وحشا ثلاث لغات قال الشاعر

(١) يقول : حرقت فوادها بجبي كما احرق الطالبي البعير بالهنا اي القطران لانها تجعد للهنا لذة مع حرقة .
(٢) قاله ابن الاحمر بنده رجلا ويصفه بالبعل . والمرضعة : اللبن قبل ان يدرك او اللبن العارض الشديد الحموضة .
(٣) طعام من البيض واللحم . (٤) الملحاة : الدم .

حَاشَا رَبِّهِ النَّبِيِّ فَإِنَّ فِيهِمْ
بُحُورًا لَا تَقَطِّعُهَا الْإِدْلَاءُ

وأما من قرأ حاشا لله فعلى أصل اللغة يكون حرف جر كما جاء في البيت «حاشى ابي ثوبان» وأما حاش الآله
فمحذوف من حاشا تخفيفاً وهو كقولك حاش المعبود ومنه قول الشاعر

لَعَنَ الْإِلَٰهَ وَزَوْجَهَا مَعَهَا
هِنْدُ الْهِنُودِ طَوِيلَةَ الثَّلَعِ (١)

وأما حاش الله فضعيف لالتقاء الساكنين فيه ولا يسكن الثين بعد حذف الألف ولا موجب لذلك وأما من
فتح السين من السجن فجعله مصدرًا ومعناه ان اسجن احب إلي ومن كسر فعلى اسم المكان والمعنى تزول
السجن احب إلي

✽ اللغة ✽

العزيز المنيع بقدرته عن ان يضام في امره وسمي بذلك لأنه كان ملكاً ممتنعاً بملكه واتساع مقدرته
وقال ابو داود

دَرَّةٌ غَاصٌ عَلَيْهَا تُاجِرٌ
جُلِبَتْ عِنْدَ عَزِيزٍ يَوْمَ طَلِّ

والنقى الغلام الشاب والمرأة فتاة قال ابو مسلم والزجاج وتسمي العرب العبدقى والمكر النسل بالحيلة إلى
ما يراد من الطلبة وجارية بمكورة السابقين أبيه مفتولة السابقين وأعدت مأخوذة من العتاد ومثله أعدت والمنكأ
الوسادة وهو التمرق الذي يتكأ عليه وقيل هو الاترج وانكر ذلك ابو عبيدة قال ولا يمنع أن يقال قد
كان في ذلك المجلس فواكه واترج فاما ان يعرف ذلك من هذا القول فلا والا كبار الاعظام والاجلال وقال
قوم معنى اكبرنه انهن حضن حين رأينه وأنشدوا قول الشاعر

يَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا
يَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا اكْبَرْنَ إِكْبَارًا

وأنكر ذلك ابو عبيدة وقال لا تعرف ذلك في اللغة ولكنه يجوز ان يكن قد حضن من شدة اعظامهن
إياه والبيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر والسجن المنع عن التصرف بالحس سجن يسجن سجننا والاعتصام
الامتناع عن طلب المعصية والاعتصام طلب العصمة من الله تعالى والصاغرين من الصغار صغر يصغر صغارا وهو
الذل والهوان والصبا رقة القلب يقال صبا يصبو صبا فهو صاب قال

إِلَى هِنْدٍ صَبًا قَلْبِي
وَهِنْدٌ مِثْلَهَا بُصْبِي

وقال

صَبًا صَبُوءَةٌ بَلَّ لَجٌّ وَهُوَ لَجُوجُ
وَزَالَتْ لَهُ بِالْأَنْعَمِينَ حَدُوجُ (٢)

✽ الاعراب ✽

وقال نسوة انما حذف فيه حرف التانيث لأنه تانيث جمع وتانيث الجمع تانيث لفظ بيطل تانيث المعنى لانه
لا يجتمع في اسم واحد تانيثان وكذلك يبطل تذكير المعنى في رجال وإذا صار كذلك جاز فيه الحمل على
اللفظ والحمل على المعنى فيؤنث ويذكر وقوله ما هذا بشراً نصب بشراً على مذهب اهل الحجاز في اعمال ما عمل
ليس في رفع الاسم ونصب الخبر فاما بنو تميم فلا يعملونها قال

لَشَّتَانِ مَا أَنْوِي وَيَنْوِي بَنُو أَبِي
جَمَعًا فَمَا هَذَا مِنْ مَسْتَوِيَاتِ
تَمَنَّا لِي الْمَوْتَ الَّذِي يَشْعَبُ الْفَتَى
وَكُلُّ فِتَى وَالْمَوْتُ يَلْتَقِيَانِ

وروي عن الحسن انه قرأ ما هذا بشراي أي ليس هو بمملوك وهو شاذ وذلكن كن للخطاب للضمير فلا

(١) الثعل : التدى (٢) الانعمين : اسم موضع . والحدوج جمع الحدج - بالكسر - : من مراكب النساء

موضع له من الاحراب والاسم ذا وهو في موضع رفع على الابتداء والذي لمتني فيه موصول وصلته في موضع خبره وليكونن من الصاغرين هذه النون الخفيفة التي بتلقى بها القسم وإذا وقت عليها وقت بالالف تقول وليكونا وهي بمنزلة التوين الذي يوقف عليه بالالف في نحو قولك رأيت رجلاً قال الاعشى

وَصَلَّ عَلَى حِينِ الْمَشِيَّاتِ وَالْفُضْحَى
وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا

اي فاعبدن فأبدل في الوقف من النون الفاء ثم بدا لهم فاعله مصدر مضمرة على تقدير بدا لهم بداء وقد

أظهره الشاعر في قوله

لَعَلَّكَ وَالْمَوْعُودُ حَقٌّ لِقَاؤُهُ
بَدَا لَكَ مِنْ تِلْكَ الْقُلُوصِ بَدَاءٌ

ولا يجوز ان يكون ليسجنته في موضع الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلاً

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبعانه شياع هذه القصة فقال (وقال نسوة في المدينة) اي جماعة من النساء في المصر الذي كان فيه الملك وزوجه ويوسف (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) اي امرأة العزيز تدعو مملوكها إلى نفسها ليفجر بها (قد شققها حباً) أي أحبته حباً دخل شفاف قلبها (انا لئراها في ضلال مبين) أي في خطأ بين إذ هاب عن طريق الرشيد بدعائها مملوكها إلى الفجور بها قال الكلبي هن اربع نسوة امرأة ساقى الملك وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وقال مقاتل كن خمسا وزاد امرأة الحاجب (فلما سمعت بمكرهن) اي لما سمعت المرأة بتبويرهن إياها وقصدن اشاعة امرها وسأه مكرراً لأن قصدن من هذا القول كان ان تزيهن يوسف لما وصف لمن من حسنه فخالف ظاهر الكلام باطنه فسمي ذلك مكرراً وقيل لأنها اظهرت لهن حبها إياه واستكتمتهن ذلك فأظهرته فسمي ذلك مكرراً (ارسلت اليهن) فاستضافتهن قال وهب اتخذت مأدبة ودعت اربعين امرأة منهن (واعتدت لهن منكأً) اي واعدت لهن وسائد يتكبن عليها عن ابن عباس والاتكاء الميل إلى اخذ الثقبين وقيل اراد بقوله متكأ الطعام من قول العرب اتكأنا عند فلان اي اطعمنا عنده واصله ان من دعي إلى طعام يعد له المتكأ فيسمى الطعام متكأ على الاستمارة وقال الضحاك كان ذلك الطعام الزمابورد وقال عكرمة هو كل ما يجرز بالسكين لانه يؤكل في الثالب على متكأ وقال سعيد بن جبير انه كل طعام وشراب على عمومه وبه قال الحسن واما المتك فقد قيل فيه انه الاترج على ما تقدم يانه وقال السدي بل هو المجلس وكل شيء يجرز بالسكين يقال له متك (وآتت كل واحدة منهن مكينا) اي واعطت كل واحدة من تلك النسوة مكينا لتقطع به الفواكه والاترج على ما هو العادة بين الناس (وقالت اخراج عليهن) اي وقالت امرأة الملك ليوسف (ع) وكانت قد اجلسته غير مجلسهن فأمرته بالخروج عليهن في هيأته اما للخدمة واما للسلام او ليرينه ولم يكن يتهاى له ان لا يخرج لانه بمنزلة العبد لما عن الزجاج (فلما رأته اكبرنه) اي اعظمته وتحميرن في جماله إذ كان كالقمر ليلة البدر (وقطنن ايديهن) بتلك السكاكين على جهة الخطأ بدل قطع الفواكه فما احسن إلا بالدم ولم يجعلن الم القطع لاشغال قلوبهن يوسف (ع) عن مجاهد والمعنى جرحن ايديهن وهذا مستعمل في الكلام تقول للرجل قد قطعت يدي تريد قد خدشتها وقيل انهن ابن ايديهن حتى القيتها عن قتادة (وقلن حاش لله) وحاشي لله اي صار يوسف في حشا اي ناحية مما قذف به اي لم يلبسه والمعنى بعد يوسف عن هذا الذي رمي به الله اي غوفه وسأقته امر الله هذا قول اكثر المفسرين قالوا هذا تنزيه ليوسف عما رمته به امرأة العزيز وقال آخرون هذا تنزيه له من شبه البشر لفرط جماله وبدل على هذا سياق الآية (ما هذا بشراً ان هذا إلا ملك كريم) أي رفع الله منزلته عن منزلة البشر فتموذ بالله ان تقول انه بشر ومعناه انه منزه ان يكون بشراً وليس صورته صورة البشر ولا خلقته مخلقة البشر ولكنه ملك كريم لحسنه ولطافته وروي عن ابي سعيد الخدري قال

سمعت رسول الله ﷺ وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثانية رأيت رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر قلت يا جبريل من هذا قال هذا اخوك يوسف وقيل معناه ليس هذا إلا ملك كريم في عفته قال الجبائي وهذا يدل على ان الملك افضل من بني آدم لأنهم ذكروا من هو في نهاية الفضل ولم ينكر الله تعالى ذلك عليهن وهذا من ركيك الاستدلال لأنه سبحانه اتما حكي عن النساء اعظامهن ليوسف حين رأين جماله وبعده عن سوء فبشئنه بالملك ولم يقصدن كثرة الثواب الذي هو حقيقة الفضل وانما لم ينكره سبحانه عليهن لأنه علم انهن لم يقصدن في كلامهن ماحمله عليه الجبائي على ان الظاهر يقتضي انهن تقين ان يكون يوسف من البشر وقطن على انه ملك وهذا كذب ولم ينكره الله سبحانه عليهن لما علم من انهن يقصدن بذلك تشبيه حاله بحال الملائكة (قالت) امرأة العزيز للنسوة التي عدلنها على محبتها ليوسف (فذلكن الذي لمتني فيه) اي هذا هو ذلك الذي لمتني في امره وفي حبه وشعفي به جعلت اعظامهن اياه عذراً لها والمعنى هذا الذي اصابكن في رؤيته مرة واحدة ما اصابكن من ذهاب العقل فكيف عدلنتني في حبي اياه وأنا أنظر اليه آناه ليبي ونهاري ثم اعترفت براءة يوسف وأقرت على نفسها فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع عنه وقيل معناه امتنع بالله وسأله المعصية من فعل التبيح وفي هذا دلالة على ان يوسف لم يقع منه قبيح ثم توعدته بايقاع المكروه به ان لم يطعها فيما تدعوه اليه فقالت (ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) أي وان لم يجتبي إلى ما ادعوه اليه ليسجنن في السجن وليكون من الأذلاء فلما رأى يوسف اصرارها على ذلك وتهديدها له اختار السجن على المعصية (فقال رب السجن احب إلي مما يدعونني اليه) معناه يا رب ان السجن احب إلي واسهل علي مما يدعونني اليه من الفاحشة وفي هذا دلالة على ان النسوة دعونهن إلى مثل ما دعته اليه امرأة العزيز وفي حديث ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام ان النسوة لما خرجن من عندها ارسلت كل واحدة منهن إلى يوسف مرآة من صاحبته تسأله الزيارة وقيل انهن قلن له اطع مولاتك واقض حاجتها فإنها المظلومة وانت ظالم وقيل انهن لما رأين يوسف استأذن امرأة العزيز بأن تخلو كل واحدة منهن به وتدعوه إلى ما ارادته منه إلى طاعتها فلما خلون به دعت كل واحدة منهن إلى نفسها فلذلك قال مما يدعونني اليه ويسأل فيقال كيف قال يوسف السجن احب إلي مما يدعونني اليه ولا يجوز ان يراد السجن الذي هو المكان وان عني به السجن الذي هو المصدر فإن السجن معصية كما ان مادعونه اليه معصية فلا يجوز ان يريد فالجواب انه لم يرد المحبة التي هي الارادة وانما اراد ان ذلك اخف علي واسهل ووجه آخر ان المعنى لو كان مما اریده لكان ارادتي له اشد وقيل ان معناه توطيئي النفس على السجن احب إلي من توطيئي النفس على الزنا عن ابي علي الجبائي (وإلا تصرف عني كيدهن) بألطفك لأن كيدهن قد وقع وحصل (اصب اليهن) امل اليهن او إلى قولهن بهواي والصبوة لطافة الهوى (واكن من الجاهلين) اي المستحقين لصفة الذم بالجهل وقيل معناه اكن بمنزلة الجاهلين في فعلي (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) اي فأجاب له ربه فيما دعاه فعصمه من مكروهن فإن قيل ما معنى سؤال يوسف اللطف من الله وهو عالم بأن الله يفعل لا محالة فالجواب انه يجوز ان تتعلق المصلحة باللطف عند الدعاء المجدد ومتى قيل كيف علم انه لولا اللطف لركب الفاحشة وإذا وجد اللطف امتنع قلنا لما وجد في نفسه من الشهوة وعلم انه لولا لطف الله لارتكب التبيح وعلم ان الله سبحانه يعصم انبياءه باللطف وان من لا يكون له لطف لا يبعثه الله نبياً قال الجبائي في الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم الله تعالى انه يكون لأن يوسف كان عالماً بأنه ان كان له لطف فلا بد ان يكون الله يفعل ذلك به ومع هذا سأله ذلك ولا تدل الآية على ما قاله لما قلناه من انه يجوز ان يكون سأل لتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء ولو لم يدع لم يكن ذلك لطفًا فما سأل إلا ما يجوز ان لا يكون لو لم يدع (انه هو السميع العليم) اي السميع لدعاء الداعي العليم بإخلاصه في دعائه وبما يصلحه من الإجابة او يقصده (ثم بدا لهم) اي ظهر لهم (من

بعد ما رأوا الآيات) وإنما لم يقل لمن مع تقدم ذكر النسوة لأنه أراد به الملك وقيل أراد به زليخا وواعوانها فطلب المذكور وأراد بالآيات العلامات الدالة على براءة يوسف وهي قد القميص من دبره وجز الأيدي عن قتادة وغيره وقيل يريد بالآيات العلامات الدالة على الأيأس منه وقوله بدا فاعله مضمر وتقديره ثم بدا لم بداءه (ليسجنته حتى حين) ودل ليسجنته عليه فان السجن هو الذي بدا لم قال السدي وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد قد فضحني في الناس من حيث انه يخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيق ان اعتذر بعذري فإيما ان تأذن لي فأخرج واعتذر وإيما ان تجسه كما حبستني فحجسه بعد علمه ببراءته وقيل ان الغرض من الحبس ان يظهر للناس ان الذنب كان له لأنه انما يحبس المجرم وقيل كان الحبس قريبا منها فأرادت ان يكون بقرها حتى إذا اشرفت عليه رآته وقوله حتى حين قيل إلى سبع سنين عن عكرمة وقيل إلى خمس سنين عن الكلبى وقيل إلى وقت ينسى حديث المرأة معه وينقطع فيه عن الناس خبره عن الجبائي

قوله تعالى (٣٦) وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) قَالَ لَا يَا تُبَيِّكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبِئْتُكُمَا تَأْوِيلَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ قَوْمٌ كَافِرُونَ (٣٨) وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (ثلاث آيات)

❁ اللقنة ❁

قال الزجاج كانوا يسمون المملوك في فجانز أن يكون الفتيان حديثين أو شيخين وقال غيره يقال للعبد في اللقنة فتاة وفي الحديث ! يترنن احدكم عبدي وامتي ولكن فتاوي وفتاوي والتأويل الخبر عما حضر بما يؤول اليه امره فيا غاب ولذلك قال قبل ان يأتى كذا تأويل القرآن ما يؤول اليه من المعنى اي يرجع اليه التعليم تفهيم الدلالة المؤدية إلى العلم بالمعنى وقد يكون الاعلام بالمعنى في القلب والاتباع اقتفاء الاثر وهو طلب اللحاق بالأول

❁ الاعراب ❁

م الثانية دخلت للتوكيد لأنه لما دخل بينها قوله بالآخره صارت الأولى كاللقنة وصار الاعتماد على الثانية كما قال وم بالآخره م يوقنون وكما قال ابعدهم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون

❁ المعنى ❁

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف (ع) في الحبس فقال (ودخل معه السجن فتيان) والتقدير فسجن يوسف ودخل معه السجن فتيان أي شابان حدثان وقيل انهما مملوك كان لملك مصر الأكبر واسمه وليد بن ريان وكان احدهما صاحب شرابه والاخر صاحب طعامه فتعى اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه وظن ان الآخر ساعده على ذلك ومالاه عليه عن قتادة والسدي (قال احدهما اني اراي اعصر خمرا) هو من رؤيا المنام كان يوسف (ع) لما دخل السجن قال لأهله اني اعبر الرؤيا فقال احد العبدین لصاحبه هلم فلنجره فسألاه من غير ان يكون رأيا شيئا عن ابن مسعود وقيل بل رؤياها على صحة وحقيقة ولكنها كذبا في الإنكار عن مجاهد والجبائي وقيل ان

المصلوب منها كان كاذبا والآخر صادقا عن أبي مجلز ورواه علي بن ابراهيم أيضا في تفسيره عنهم (ع) والمعنى قال احدهما وهو الساقى رأيت اصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فبجنتها وعصرتها سيفا كأس الملك وسقيته اياها وتقديره اعصر عنب خمر اي العنب الذي يكون عصيره خمرأ فحذف المضاف قال الزجاج وابن الانباري العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول اليه إذا وضع المعنى ولم يلبس بقولون فلان بطبخ الأجر ويطبخ الدبس وانما يطبخ اللبن والمصير وقال قوم ان بعض العرب يسمون العنب خمرأ حكى الاصمعي عن المعتز بن سليمان انه لقي لي اعرابيا معه عنب فقال له ما معك قال خمر وهو قول الضحاك فيكون معناه اني اعصر عنبا وروي في قراءة عبد الله واني جيتا اني رأيتني اعصر عنبا (وقال الآخر اني أراني اعمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه) معناه وقال صاحب الطعام اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الحبز وأوران الأظعمة وسباع الطير تنهش منه (نبشنا بتأويله) أي أخبرنا بتصويره وما يؤول اليه امره (انا نراك من المحسنين) أي تؤثر الاحسان والافعال الجميلة قال الضحاك كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع له وان احتاج جمع له وان مرض قام عليه وهو المروي من ابي عبد الله (ع) وقال الزجاج جاء في التفسير انه كان يعين المظلوم وينصر الضيف ويعود العليل قال وقيل من المحسنين أي ممن يؤويل الرويا قال وهذا دليل على ان امر الرويا صحيح وانها لم تزل في الأمم السالفة وفي الحديث ان الرويا جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة وتأويله ان الأنبياء يخبرون بما سيكون والروياتدل على ما سيكون فيكون المعنى في الآية انا نعلمك او نظنك ممن يعرف تعبير الرويا ومن ذلك قول امير المؤمنين (ع) قيمة كل امرئ ما يحسنه وقال ابو مسلم نراك من المحسنين اليانا ان فترت لنا الرويا وهو قول ابن ابي اسحاق ثم ذكر لها يوسف (ع) ما يدل على انه عالم بتفسير الرويا (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) في منامكما (إلا نباتكما بتأويله) في اليقظة (قبل ان يأتيكما) التأويل وذلك انه كره ان يخبرها بالتأويل لما على احدهما فيه من البلاء فأعرض عن سؤالهما واخذ في غيره عن السدي وابن اسحق وقيل انه لما قدم هذا ليما ما خصه الله تعالى به من النبوة وليقبلا عنه فقال لا يأتيكما طعام من مثلكما إلا أخبرتكما بصفة ذلك الطعام وكيفيته قبل ان يأتيكما كما قال عيسى بن مريم (ع) وانبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم عن الحسن والحسيني (ذلكما مسا علمني ربي) كأنهما قالاه كيف عرفت تأويل الرويا ولست بكاهن ولا عراف فأخبرهما انه رسول الله وانه تعالى علمه ذلك وتعليمه تعالى قديكون بأن يفعل العلم في قلبه وقد يكون بالوحي وقد يكون بنصب الادلة التي يدرك بها العلم (اني تركت بلة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) معناه انه لا يستحق هذه الرتبة الخطيرة إلا المؤمنون المخلصون واني تركت طريقة قوم لا يؤمنون فلذلك خصني الله بهذه الكرامة (واتبعت ملة آبائي) اي شريعة آبائي (ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء) اي لا ينبغي لنا ونحن معدن النبوة واهل بيت الرسالة ان ندين بغير التوحيد (ذلك) أي التمسك بالتوحيد والبراءة من الشرك وقيل النبوة والعلم (من فضل الله علينا) بأن خصنا بها وعلى الناس ايضا برسالتنا اليهم واتباعهم ايانا واهتدائهم بنا (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) نعم الله تعالى وقد كان يوسف (ع) فيما بينهم زهانا ولم يحك الله سبحانه انه دعا إلى الدين وكانوا يمدون الأصنام لأنه لم يطمع منهم في الاستماع والقبول فلما رأهم عارفين بالوحسانه مقبلين عليه رجا منهم القبول منه فدعاهم إلى التوحيد على ما امر الله سبحانه له في قوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقد روي ان صاحبي السجن قال له لقد احببتك حين رأيتك فقال لا تجباني فراهه ما احببني احد الا دخل علي من حبه بلاء احببني عمتي فنسبت إلى السرقة واحببني ابي فالقيت في الحب واحببني امرأة العزيز فالقيت في السجن

قوله تعالى (٣٩) يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤٠)

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ
لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤١)
بِأَصْحَابِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ مَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَنَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ
فُضِي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤٢) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهَا أُذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ
فِيَأْتِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلْيُحْسِبِ فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ (أربع آيات)

✽ اللفظة ✽

الصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص وهو خلاف ملازمة الاتصال ومنه اصحاب الشافعي واصحاب ابي حنيفة واصحاب النبي ﷺ للازمتهم له وكونهم معه في حروبه وصاحب السجن هما الملازمان له بالكون فيه والقيم المستقيم واصله من قام يقوم والاستفتاء طلب الفتيا والبضع القطعة من الدهر واصله من القطع والبضعة القطعة من اللحم ومنه الحديث فاطمة بضعة مني يوذني من آذاها

(المعنى) -

(يا صاحب السجن) هذا حكاية نداء يوسف للمستفتين له عن تأويل رؤياها اي ياملزمي السجن (أرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار) اي أملاك متباينون من حجر وخشب لا تنفع خير لمن عبدها ام الله الواحد القهار الذي اليه الخير والشر والنفع والضر وهذا ظاهره الاستفهام والمراد به التقرير والزمام الحجة والقاهر هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان (ابتدأ بخطاب اثنين ثم خاطب بلفظ الجمع لأنه قصد جميع من هو في مثل حالها وقيل انه خطاب لجميع من في الحبس ومنه ان هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله وسميتوها بأسماء يعني الارباب والالهة هي اسماء فارغة عن المعاني لا حقيقة لها ما انزل الله من حجة بعبادتها (ان الحكم الا لله) اي ما الحكم والامر الا لله فلا يجوز العبادة والخضوع والتذلل الا لله (أمر أن لا تعبدوا الا اياه) اي وقد أمركم ان لا تعبدوا غيره (ذلك) اي ذلك الذي بيئت لكم من توحيده وعبادته وترك عبادة غيره (الدين القيم) اي الدين المستقيم الذي لا عوج فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) قال ابن عباس ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب وقيل لا يعلمون صحة ما أقوله لدو لهم عن النظر والاستدلال ثم عبر (ع) رؤياها فقال (يا صاحب السجن أما احد كما فيسقي ربه خمرًا) بدأ بما هو الأهم وهو الدعاء الى توحيد الله وعبادته واطهار معجزته ثم بتعبير رؤيا الساقى فروي انه قال أما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك اليوم الرابع وتعود الى ما كنت عليه واجرى على مالكه صفة الرب لأنه عبده فأضافه اليه كما يقال رب الدار ورب الضيعة (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) يريد بالآخر صاحب الطعام روي انه قال بش ما رأيت أما السلال الثلاث فإنها ثلاثة أيام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك فتأكل الطير من رأسك فقال عند ذلك ما رأيت شيئًا وكنت العب فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) اي فرغ من الأمر الذي تسالان وتطلبان معرفته وما قلته لكما فإنه نازل بكما وهو كائن لا محالة وفي هذا دلالة على انه كان يقول ذلك على جهة الاخبار عن النبي تاويحى اليه لا كما يعبر احدنا الرويا على جهة التأويل (وقال) يوسف (للذي ظن أنه ناج منها) معناه للذي علم من طريق الوحي انه ناج اي متخلص كما في قوله تعالى إني ظننت اني ملق حياييه هذا قول الأكثرين واختيار الجبائي وقال قتادة للذي ظنه ناجيا لأنه لم يحكم بصدقه فيما قصه من الرؤيا والأول اصح (اذكرني عند ربك) اي اذكرني عند سيدك بأني

محبوس ظلما (فأنساه الشيطان ذكر ربه) يعني انسى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى في تلك الحال حتى استغاث بمخلوق فالتمس من الناجي منهما ان يذكره عند سيده وكان من حقه ان يتوكل في ذلك على الله سبحانه (فلبث في السجن بضع سنين) اي سبع سنين عن ابن عباس وروي ذلك عن علي بن الحسين (ع) وابي عبد الله (ع) وقيل معناه فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث في السجن عن الحسن ومحمد بن اسحاق والجبائي وابي مسلم وعلى هذا فتقديره فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه وقدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال عجبت من اخي يوسف (ع) كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق وروي انه (ع) قال لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال انا اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وروي عن ابي عبد الله (ع) قال جاء جبرائيل (ع) فقال يا يوسف من جعلك احسن الناس قال ربي قال فمن حييتك الى ابيك دون اخواتك قال ربي قال فمن ساق اليك السيارة قال ربي قال فمن صرف عنك الحجارة قال ربي قال فمن انقذك من الجب قال ربي قال فمن صرف عنك كيد النسوة قال ربي قال فمن ربك يقول ما دعاك الى ان تنزل حاجتك بمخلوق دوني البت في السجن بما قلت بضع سنين وعنه في رواية اخرى قال فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى لبيكاته الحيطان فتأذى بيكاته اهل السجن فصالحهم على ان يكيي يوما ويسكت يوما فكان في اليوم الذي يسكت اسوء حالا والقول في ذلك ان الاستعانة بالعباد في دفع المضار والتخلص من المكاره جائز غير منكر ولا قبيح بل ربما يجب ذلك وكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين والانصار وغيرهم ولو كان قبيحا لم يفعله فلو صحت هذه الروايات فانما عوتب يوسف عليه السلام في ترك عاداته الجميلة في الصبر والتوكل على الله سبحانه في كل اموره دون غيره وقتا ما ابتلاء وتشديدا وانما كان يكون قبيحا لو ترك التوكل على الله سبحانه واقتصر على غيره وفي هذا ترغيب في الاعتصام بالله تعالى والاستعانة به دون غيره عند نزول الشدائد وان جاز ايضا ان يستعان بغيره واختلف في البضع فقال بعضهم البضع ما بين الثلاث الى الخمس عن ابي عبيدة وقيل الى السبع عن قطرب وقيل الى التسع عن الاصمعي ذكره الزجاج وقول قطرب مروى عن مجاهد وقول الاصمعي مروى عن قتادة وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في الآية سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمسة التي كانت قبل ذلك وروي عن ابي عبد الله (ع) قال لم جبرائيل (ع) يوسف في حبسه فقال قل في دبر كل صلاة فريضة اللهم اجعل لي فرجا ومخرجا وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وروى شبيب العرقوفي عنه (ع) قال لما انقضت المدة واذن له في دعاء الفرج وضع يده على الارض ثم قال اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فانني اتوجه اليك بوجه ابائي الصالحين ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب فترج الله عنه قال فقلت له جعلت فداك اندهو نحن بهذا الدعاء فقال ادعوا بثلثه اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت عندك وجهي فلنني اتوجه اليك بوجه نبيك نبي الرحمة وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام

قوله تعالى (٤٣) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُنَّ مِنْ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَأْسَافُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا يَا تَعْبُرُونَ (٤٤) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٥) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٦) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُنَّ مِنْ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَأْسَافُ بَلِّغْ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٧) قَالَ نَزَّرْنَا عَلَى سَبْعِ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرُّهُ فِي سَنِيهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ

(٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْمِلُونَّ (٤٩) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (سبع آيات)

(القراءه) -

قرأ حفص دأباً بفتح الهزلة والباقون بسكونها وقرأ تصرون بالياء. اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء. وفي الشواذ قرلة ابن عباس وابن عمر بخلاف والضحاك وقتادة وزيد بن علي (ع) وادكر بعدامه بالهاء وقراءة الاشهب العقيلي بعد إامة بكسر الهزلة وقرأ جعفر بن محمد عليهما السلام وسبع سنابل وقرأ ايضاً ما قربتم وقرأ هو والاعرج وعيسى بن عمر وفيه يعصرون بياء مضمومة وصاد مفتوحة

(الحجة) -

قال ابو علي انتصب دأباً بادل عليه ترعون وفيه علاج ودووب فكانه قال تدميون فانتصب دأباً به لا بالضمير ولعل الفتح لغة فيه فيكون كشتم وشتم ونهر ونهر ويعصرون يمتل امرين احدهما ان يكون من العصر الذي يراد به الضبط الذي يلحق ما فيه دهن او ماء نحو الزيتون والسمسم والصب ليخرج ذلك منه وهذا يمكن ان يكون تأويل الآية عليه لأن من التأولين من يحكى انهم لم يعصروا اربع عشر سنة زيتا ولا عنبافكون المعنى تصرون لاخصب الذي اتاكم كما كنتم تصرون ايام الحصب من قبل الجذب الذي دفعتم اليه ويكون يعصرون من العصر الذي هو الالتجاء الى ما يقدر به من النجاة قال ابن مقبل

وَصَاحِبِي صَهْوَةٌ مُسْتَوْهَلٌ زَعَلٌ (١) يَجُولُ بَيْنَ جَهَارِ الْوَحْشِ وَالْمَعْرِ

اي يحول بينه وبين الملجأ الذي يقدر به النجاة وقال ابو زيد الطائي
صَادِيًا يَسْتَخِفُّ غَيْرَ مُعَاتٍ وَلَقَدْ كَانَ عَصْرَةَ الْمَنْجُودِ (٢)

قال ابو عبيدة يعصرون ينجون وانشد للبيد

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمَ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَانَ وَقَافًا بِدَارِ مَعْرِ

فأما من قال يعصرون بالياء فانه جعل الفاعلين الناس لأن ذكرهم قد تقدم ومن قرأ بالياء. وجه الخطاب الى المستفتين الذين قالوا افتنا ويجوز ان يريدهم وغيرهم الا انه غلب الخطاب على النية كما ينبغ التذكير على التانيث واما الامة فهو النسيان يقال أمة يامة اذا نسي انشد ابو عبيدة

أَمَّهَتْ وَكَانَتْ لَا أَنْسَى حَدِيثًا كَذَلِكَ الدَّهْرُ يُوْذِي بِالْمَقُولِ

والامة النعمة فيكون المراد بعد ان انعم عليه بالنجاة واما يعصرون بضم الياء فيجوز ان يكون من العصرة والعصر للنجاة ويجوز ان يكون من عصرت السحابة ماها عليهم وفي كتاب علي بن ابراهيم عن ابي عبد الله (ع) قال قرأ رجل على امير المؤمنين علي (ع) هذه الآية فقال يعصرون بالياء وكسر الصاد فقال ويحك واي شيء يعصرون ايعصرون الحمر فقال الرجل يا امير المؤمنين فكيف اقرأها قال عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون مضمومة الياء مفتوحة الصاد اي يطرون بعد سني المجاعة ويدل عليه قوله وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا

اللغة

الملك القادر الواسع المقدور الذي اليه السياسة والتدبير والرويا ما يراه النائم ويرجم الى الاعتقاد ثم يكون علي وجوه منها ما يكون من الله تعالى وملائكته وهو الذي له تسمير وتأويل ومنها ما يكون من الشيطان ولا تأويل له ومنها ما يكون من جهة النائم واعتقاداته او يكون بقية اعتقاد كان اعتقده والتعجب ذهاب السمن

(١) اي فرس فرغ نسيط . (٢) اي كان ملجأ الكروب . والصادى : العطشان .

والذكر اعجب والانثى عجاء وجمها عجاف ولا يجمع افعل على فعال الا هذا والمبر والتعبير تفسير الرويا وهو من مبرد النهر ونحوه والاضغاث الاحلام المتبسة والاضغاث الحزمة من كل شيء وقال الترمذي الضغث مل اليد من الحشيش ومنه وخذ بيدك ضغثاً اي قبضة والفعل منه اضغث وقيل الضغث خلط قش المد وهو غير متشاكل ولا متلائم فشبهوا به تخليط المنام والاحلام جمع حلم وهو الرويا في النوم ويقال حلم يحلم حلما واحتم فهو حلم والحلم بكسر الحاء ضد الطيش وهو الاناة وكان اصل حلم النوم مسن هذا لانه حال اناة وسكون وتأويل الرويا تفسير ما يؤول اليه معناه وتأويل كل شيء تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام والادكار اقتعال من الذكر واصله اذتكار لكن التاء ابدل منها الدال وادغمت الذال في الدال ويجوز اذكار بالذال ايضا الا ان الاجود الدال وهو طلب الذكر ونظيره الاستذكار والتذكر والامة الجماعة تؤم امرا والامة المدة وهي الجملة من الحين والصديق الكثير التصديق للحق وقيل هو الكثير الصدق وفيل بناء المبالغة والكثرة والتتيا الجواب عن حكم المعنى وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يكون قنيا والزرع القاء البذر في الارض للنبات ومنه المزارعة بالثاء او الربيع وتسمى المظارة ايضا وهي مأخوذة من فعل اهل خيبر والدأب العادة يقال دأب يدأب دأبا ويقال دأب في عمله يدأب دأبا ودأب اجتهد وادأبته انا ادأبا وذر ودع بمعنى لم يجي منها لفظة الماضي استغني عن ذلك بقرك والشدة والصلابة والصعوبة نظائر وقيل الشدة تكون في سبعة اصناف في القدر والمد والزمان والغضب والالم والشراب والبدن والاحصان مثل الاحراز احصنه احصانا جمله في حرز والثوث هو نفع يأتي على شدة حاجة ينفي المضرة ومنه الثيث المطر الذي يأتي في وقت الحاجة قال الازهري غاث الله البلاد يغيثها وقد غيثت الارض فهي مغيثة ومغيثة والثيث الكلا ينبت من ماء السماء وجمه فيوث والغيث اصله الواو ومنه الثوث وغوث تغويثا اذا قال واغوثاه من يغيثي ويناث يمثل ان يكون من الواو ويحتمل ان يكون من الياء.

❁ الاعراب ❁

ان كنتم للرويا تعبرون هذه اللام دخلت للتبيين المعنى ان كنتم تعبرون ثم بين باللام فقال للرويا عن الزجاج وهذه اللام تزداد في المفعول به اذا تقدم على الفعل تقول عبرت الرويا وللرويا عبرت وقد جاء مثله في قوله الذين هم لربهم يرهبون وقد جاء فيما ليس بمقدم من المفعول نحو قوله ردف لكم وآخر لا ينصرف لانه صرف عن جهة صواحبا التي جاءت بالالف واللام وهذه جاءت خاصة بغير الف ولا فكأنها عدلت عن وجهها تقول هذه النسوة الوسط والكبير ولا تقول وسط وكبر وتقول نسوة اخر فلما خالفت اخواتها ترك صرفها وموضعها في الآية الرابعة جرت تقديره وفي آخر اضغاث احلام تقديره هي اضغاث احلام ويوسف المراد به يابوسف ويجوز حذف حرف النداء في المنادى المفرد العلم تقول يازيد اقبل وزيد اقبل قال
 مُحَمَّدٌ تَفَدَّى نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ
 إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرِ وَبِالْأُ
 وبروى تبالاً أراد يا محمد

❁ المعنى ❁

ثم اخبر سبحانه عن سبب نجاته يوسف من السجن وهو انه لما قرب الفرج رأى الملك رويا هائلا واشكل تعبيرا على قومه حتى عبرها يوسف فقال سبحانه (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان) يعني وقال ملك مصر وهو الوليد بن ريان والعزيز وزيره فيما رواه الاكثرون اني ارى في منامي سبع بقرات سمان (ياكلهن سبع) اي سبع بقرات اخر (عجاف) اي مهازيل فدخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم ار منهن شيئا

(وسبع سنبلات خضر) اي وادى في منامي سبع سنبلات قد انتقد حبها (واخر) أي وسبعاً اخر (يابسات) قد احتصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها (يا ايها الملأ) اي جمع الاشراف وقيل جمع السحرة والكهنة وقصّ روياه عليهم وقال يا ايها الاشراف او الجماعة (افتوني في رويائي) اي عبروا مارأيت في منامي ويبنوا لي الفتوى فيه وهو حكم الحادثة (ان كنتم للرويا تمبرون) معناه ان كنتم عابرين للرويا وقيل ان اللام تفيد معنى الى اي ان كنتم توجهون العبارة الى الرويا (قالوا اضفنا احلام) اي هذه اباطيل احلام عن الكلبي وقيل تخاليط احلام عن قتادة والمعنى هذه منامات كاذبة لا يصح تأويلها (وما نحن بتأويل الاحلام) التي هذه صفتها (بالمين) وانا نعلم تأويل ما يصح وكان جهل الملأ بتأويل رويا الملك سبب نجاته يوسف لأن الساقى تذكر حديث يوسف فجثا بين يديه وقال يا ايها الملك اني قصصت انا وصاحب الطعام على رجل في السجن منامين فخبّر بتأويلها وصدق في جميع ما وصف فإن اذنت مضيت اليه واتيتك من قبله بتفسير هذه الرويا فذلك قوله (وقال الذي نجا منها وادكر بعد أمة انا انبشكم بتأويله فأرسلون) عن الكلبي وقوله واذكر بعد أمة معناه تذكر شأن يوسف وما وصّاه به بعد حين من الدهر وزمان طويل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وههنا حذف بدل الكلام عليه وهو فأرسلون الى يوسف فأرسل فاتى يوسف في السجن وقال له (يوسف) اي يا يوسف (ايها الصديق) اية الكثير الصدق فيما تخبر به (اخنا في سبع بقرات سماان) الى قوله (يابسات) فإن الملك رأى هذه الرويا واشتبه تأويلها (لعلي ارجع الى الناس) يعني الملك واصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير روياه (لعلهم يعلمون) فضلك وعلمك فيخرجوك من السجن وقيل لعلهم يعرفون تأويل رويا الملك (قال) يوسف في جوابه معبراً ومعلماً اما البقرات السبع المعجاف والسنابل السبع اليابسات فالسنون الجدبة واما السبع السماان والسنابل السبع الخضر فإنهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة وانتم تزرعون فيها فذلك قوله (تزرعون سبع سنين دأباً) اي فازرعوا سبع سنين متواليه عن ابن عباس اي زراعة متواليه في هذه السنين على عادتكم في الزراعة سائر السنين وقيل دأباً اية يجتهد واجتهاد في الزراعة ويميز ان يكون حالاً فيكون مصناه تزرعون دائبين (فما حصدم) من الزرع (فدروه) اتركوه (في سنبله) لا ندره ولا ندوسه (الا قليلاً مما تأكلون) وانا امرهم بذلك ليكون ابقى وابد من الفساد يعني ان ما اردتم اكله فدوسوه واطركو الباقي في السنبل وقيل انما امرهم بذلك لأن السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وان بقي مدة من الزمان واذا صفي اسرع اليه الهلاك (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) اي سبع سنين مجدبات صعاب تشد على الناس (بأكلن ما قدمتمهن) معناه تأكلن فيها ما قدمتم في السنين المخصبة لتلك السنين وانما اضاف الاكل الى السنين لأنه يقع فيها كما قال الشاعر

نَهَارُكَ يَا مَفْرُورٌ سَهْوٌ وَعَقْلَةٌ وَيَلِّكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لِأَرْمٍ
وَسَمْعِيكَ فَمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غَيْبٌ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَمِشُ الْبَهَائِمُ

وقيل اراد بالاكل الافناء والاهلاك كما يقال اكل السير لحم الناقة اي ذهب به قال زيد بن اسلم كان يوسف يصنع طعام اثنين فيقره الى رجل فيأكل نصفه حتى كان ذات يوم قره اليه فأكله كله فقال هذا اول يوم من السبع الشداد (الا قليلاً مما تحصنون) معناه الا شيئاً قليلاً مما تحوزون وتدخرون (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس) معناه ثم يأتي من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يطر الناس من الغيث وقيل

يناثون من النوث والفيث اية يتقدون وينجون من القحط (وفيه يمعرون) الثار التي تمصر في الخصب كالغيب والزيت والسوسم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه ينجون من الجذب من المصرة والمصر والاعتصار الالتجاء قال عدي بن زيد

لَوْ بَغِيْرَ الْمَاءِ حَلَقِي شَرْقِي كُنْتُ كَالْفَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي^(١)

وهذا القول من يوسف اخبار بآلم يسألوه منه ولم يكن في روياء الملك بل هو مما اطلعه الله تعالى عليه من علم الغيب ليكشف من آيات نبوته (ع) قال الباخي وهذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول ان الرويا على ما عبرت اولا لأنهم كانوا قالوا هي اضغاث احلام فلو كان ما قالوه صحيحا لكان يوسف لا يتأولها

قوله تعالى (٥٠) وَقَالَ الْمَلِكُ ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاستئذنا ما بال النسوة التي قطعن ايديهن إن ربي يكيدهن عليهن (٥١) قال ما خطبكن إذ راودن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز اثن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين (٥٢) ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين (٥٣) وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم (أربع آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ ما بال النسوة بضم النون الاعشى والبرجي عن ابي بكر عن عاصم والباقون بكسر النون وهما الفتان وقد تقدم ذكر قراءة ابي عمر وحاشا لله بالألف ومربانه

❖ اللفظة ❖

الخطب الأمر الذي يعظم شأنه فيخطب الانسان فيه صاحبه يقال هذا خطب جليل قال الزجاج حصص الحق اشتقاقه من الحصاة اي بانة حصاة الحق وجهته من حصاة الباطل وقال غيره هو مكر من قولهم حص شعره اذا استأصل قطعه وازاله عن الرأس فيكون معناه انتطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ومثله كباو وككبوا وكف الدمع وكفكفه فهو زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق قال

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ يَوْمًا غَيْرَ تَهْجُلِعِ^(٢)

وحصص البعير بفتناته في الارض اذا حرك حتى تستبين آثارها فيه قال حميد

وَحَصَّصَ فِي صَمِّ الْحَصَا ثَفَنَاتِهِ وَرَامَ الْقِيَامَ سَاعَةً ثُمَّ صَمًّا

والكبد الاحتيال سرّاً لا يصال الضرر الى العير

❖ الإعراب ❖

ذلك مرفوع بالابتداء وان شئت على خير الابتداء كأنه قال امرئ ذلك وموضع ما رحم ربي نصب

على الاستثناء

(١) الشرق : دخول الماء الحلق حتى ينص به . (٢) قائله قيس بن الاسلت وفي رواية اللسان «اطعم يوماً غير

هجع» والتهجاع : النوم الخفيف .

= المعنى =

ثم اخبر سبحانه عن اخراج يوسف من السجن قتل (وقال الملك ائتوني به) وفي الكلام حذف يدل ظاهره عليه وهو فلما رجع صاحب الشراب وهو رسول الملك الى الملك بجواب يوسف وتبيره روياه قال الملك ائتوني به اي بيوسف الذي عبر روياي (فلما جاءه الرسول) اي لما جاء يوسف رسول الملك فقال له اجب الملك. ابى يوسف ان يخرج مع الرسول حتى تبين براءته بما قذف به (وقال) للرسول (ارجع الى ربك) اي سيدك وهو الملك (فسئله ما بال النسوة) اي ما حالهن وما شأنهن والمعنى فاسأل الملك ان يتعرف حال النسوة (اللاتي قطعن ايديهن) ليعلم صحة براءتي ولم يفرد امرأة العزيز بالذكر حسن عشرة منه ورعاية ادب لكونها زوجة الملك او زوجة خليفته الملك فخلطها بالنسوة وقيل انه ارادهن دونها لانهن الشاهدات له عليها الا ترى انها قالت الآن حصحص الحق وهذا يدل على ان النسوة كن ادعين عليه نحو ما ادعته امرأة العزيز قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك بشأته مازالت في نفس العزيز منه حالة يقول هذا الذي راود امرأتي وقبل اشفق يوسف من ان يراه الملك بعين مشكوك في امره متهم بفاحشة فأحب ان يراه بعد ان يزول عن قلبه ما كان فيه وروي عن النبي ﷺ انه قال لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات المعجاف والسان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني من السجن ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لا سرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر انه كان حلما ذا اناة (ان ربي بكيدهن عليم) اي ان الله عالم بكيدهن قادر على اظهار براءتي وقال ان سيدي الذي هو العزيز عليم بكيدهن استشهده فيما علم من حاله عن ابي مسلم والاول هو الوجه (قال ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه) معناه ان الرسول رجع الى الملك واخبره بما قاله يوسف (ع) فارسل الى النسوة ودعاهن وقال لهن ما شأنكن وما امركن اذا طلبتن يوسف عن نفسه ودعوتنه الى انفسكن (قلن عاش لله ما علمنا عليه من سوء) هذه كلمة تنزيه اي نزهة يوسف مما اتهم به فقلن معاذ الله وعياداً بالله من هذا الأمر وما علمنا عليه من سوء وخيانة وما فعل شيئاً مما نسب اليه واعترفن ببراءته وبأنه حبس مظلوماً (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) اي ظهر وتبين وحصل على امكن وجوهه عن ابن عباس ومجاهد وقتاده وكان معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي اعترفت بالكذب على نفسها فيما اتهم يوسف به وانما حملها على الصدق انقطاع طمها منه فجمع الله ليوسف في اظهار براءته ونزاهته عما قذف به بين الشهادة والاقرار حتى لا يبقى موضع شك (ذلك ليعلم) هذا من كلام يوسف اي ذلك الذي فعلت من ردّي رسول الملك اليه في شأن النسوة ليعلم الملك او العزيز (اني لم اخنه بالغيب) في زوجته اي في حال غيبته عني عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وابي مسلم واتصل كلام يوسف بكلام امرأة العزيز لظهور الدلالة على المعنى ونظيره قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهو من كلام الملا ثم قال فاذا تأمرون وهو حكاية عن قول فرعون قال الفراء وهذا من اغمض ما يأتي في الكلام ان يحكي عن واحد ثم يبدل الى شيء آخر من قول آخر لم يجر له ذكر وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك

الاقرار ليعلم يوسف اني لم اخنه في غيبته بتوربك الذنب عليه وان خنته بمحضته وعند مشاهدته عن الجبائي (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) اي لا يهديهم في كيدهم ومكرهم (وما ابرى نفسي) هذا من كلام يوسف عند اكثر المفسرين وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز عن الجبائي اي ما ابرى نفسي عن سوء والحياة في امر يوسف (ان النفس لا مارة بالسوء) اي كثيرة الامر بالسوء والشهوة قد تدعو الانسان الى المعصية والالف واللام للجنس فيكون المعنى ان كل النفوس كذلك ويجوز ان يكون للمعد فيكون المعنى ان نفسي بهذه الصفة (الا مارحم ربي) اي الا من رحمه الله تعالى فعصمه بأن لطف له فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لكم ويجوز ان يكون معناه الامدة ما عصم ربي ومن قال انه من كلام يوسف قال انه اراد الدعاء والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية اي لا ابرى نفسي مما لا تعرى منه طباع البشر وانما امتنعت عن الفاحشة بحول الله ولطفه وهدايته لا بنفسي قال الحسن انما قال وما ابرى نفسي لانه كره ان يكون قد زكى نفسه (ان ربي غفور) بعباده (رحيم) بهم

قوله تعالى (٥٤) وَقَالَ الْمَلِكُ اُتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ اَمِينٌ (٥٥) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْاَرْضِ اِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ (٥٦) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْاَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٧) وَلَا جُرْ الْاٰخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اٰمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (اربع آيات)

﴿ القراة ﴾

قرأ ابن كثير حيث نشاء بالنون والباقون بالياء

(=) (اللمجة) (=)

قال ابو علي من قرأ بالياء فيشاء مسند الى الغائب كما ان يذوب كذلك ويقوي ذلك قوله واورثنا الجنة تنبوا منها حيث نشاء فكما ان قوله نشاء وفق لفعل المنبوئين كذلك قوله حيث يشاء وفق لقوله يتبوا ومن قرأ بالنون فإنه على احد وجهين اما ان يكون اسند المشيئة اليه وهو ليوسف في المعنى لأن مشيئته لما كانت بقوته واقداره عليها جاز ان ينسب الى الله وان كانت ليوسف في المعنى كما قال سبحانه وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاضيف الرمي الى الله لما كان بقوته وان كان الرمي للنبي صلى الله عليه وسلم والآخر ان يكون الموضع المتبوا موضع نساك وقرب فالكت فيه قرابة الى الله تعالى فهو يشاؤه ويريد فاما اللام في قوله مكننا ليوسف وقوله انا مكننا له في الارض فيجوز ان يكون على حد التي في قوله ردف لكم وللرويا تعبرون يدل على ذلك قوله ولقد مكنناهم فيما ان مكنناكم فيه وقوله يتبوا في موضع نصب على الحال تقديره مكنناهم متبوا حيث يشاء واما قوله حيث يشاء فيجوز ان يكون في موضع نصب على الحال تقديره بأنه ظرف والآخر ان يكون في موضع نصب بأنه مفعول به ويدل على جواز هذا الوجه قول الشاخب

وَحَلَّاهَا عَن ذِي الْاَرَكَكَةِ عَامِرٌ
اَخُو الْحَضِرِ يَرْضَى حَيْثُ تَكْبُو النَّوَاجِرُ

(=) (اللمة) (=)

الاستخلاص طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك كأنه يريد ان يكون خالصا له وفي حديث

(١) حلا الابل عن الماء : طردها أو حبسها عن الورد . والكبوة : السقطة للوجه . والنعاذ : داء يأخذ الدواب

والابل في دماغها فتسل سعلا شديدا .

سلطان الفارسي (رض) أنه كاتبه أهله علي أربعين اوقية خلاص اي ما اخلصته النار من الذهب وكذلك الخلاصة والمكين من المكائنة واصله التمكن في الامر يقال مكن مكانة فهو مكين اذا كان له قدر وجاه يتمكن بهما يروم والتبوء اتخاذ منزل يرجع اليه واصله من باء يوء اذا رجع

✽ المعنى ✽

(وقال الملك اتوني به) معناه ان الملك لما تبين له امانة يوسف وبراءته من سوء وعله أمر باحضاره فقال اتوني به (استخلصه لنفسه) اي اجمله خالصا لنفسه ارجع اليه في تدبير مملكتي واعمل علي اشارته في مهات أموري (فلما كلمه) ههنا حذف معناه فلما جاء الرسول يوسف ودعاه خرج من السجن ودخل علي الملك وكلمه وعرف فضله وامانته وعقله لأنه استدل بكلامه علي عقله وبمفنه علي امانته (قال انك اليوم لدينا مكين أمين) اي انك عندنا ذو مكانة متمكن في المنزلة والقدر نافذ القول والامر ظاهر الامانة مأمون ثقة قال ابن عباس يريد مكتتك من ملكي وجعلت سلطانك فيه كسلطاني وأتممتك فيه قال الكلبي ان رسول الملك جاءه فقال له قم فإن الملك يدعوك والى ثياب السجن عنك والبس ثيابا جدداً فأقبل يوسف وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه وأتى الملك وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك شابا حدث السن قال يا غلام هذا تأويل روياي ولم يعلمه السحرة ولا الكهنة قال نعم فأقدمه قدامه وقص عليه روياه وروي ان يوسف لما خرج من السجن دعا لاهله وقال اللهم اعطف عليهم بقلوب الاخيار ولا تعمد عليهم الاخبار فذلك يكون أصحاب السجن اعرف الناس بالاخبار في كل بلدة وكتب علي باب السجن هذا قبور الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشاة الاعداء قال وهب ولما وقف بياب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ولما دخل علي الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ولما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان آبائي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أحابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى منه فقال له اني أحب ان اسمع روياي منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن حليبك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فيناتنظر اليهن وبمجبك حسنهن اذ نضب النيل ففار ماؤه وبدأ يبسه فخرج من حمله سبع بقرات عجاف شعث غير مقلصات البطون ليس هن ضرور ولا اخلاف واهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسهان فاقتربتن افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخن فيناتنظر وتنجب اذا سيع سنابل خضر واخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فيناتنظر تقول في نفسك اني هذا وهو لاء خضر مشمرات وهو لاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذ هبت ربيع فذرت الارفات من اليابسات السود علي الثمرات انخضر فاشتعلت فيهن النار واحرقتهن وصرن سوداً منفيرات فهذا آخر ما رأيت من الرويا ثم انتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ماشأن هذه الرويا وان كانت عجبا بعجب مما سمعته منك فما ترى في روياي ايها الصديق فقال يوسف اري ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبني الازهار والخزائن فتجمع الطعام فيها بقصبه

(١) الازهار جمع الهري - بالضم - : بيت كبير يجمع فيه القمح ونحوه .

وسنبله ليكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس فيرفضون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي فيبتارون منك بحكمك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجمع لاحد ذلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه فمعد ذلك (قال) يوسف (اجعلني على خزائن الأرض) الالف واللام في الأرض للمهد دون الجنس يعني اجعلني على خزائن أرضك حافظا وواليا واجل تدبيرها الي (فإني حفيظ) اي حافظ لما استودعني لحفظه عن ان تجري فيه خيانة (عليم) من يستحق منها شيئا ومن لا يستحق فأضعها مواضعها عن قنادة وابن اسحاق والجبائي وقيل حفيظ عليم اي كاتب حاسب عن وهب وقيل حفيظ للتقدير في هذه السنين الجذبة عليم بوقت الجوع حين يقع عن الكلبي وقيل حفيظ للحساب عالم بالالسن وذلك ان الناس يفدون من كل ناحية ويتكلمون بلغات مختلفة عن السدي وفي هذا دلالة على انه يجوز للانسان ان يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه فإنه عرف الملك حاله ليقمه في الامور التي في ابلتهاصلاح العباد والبلاد ولم يدخل بذلك تحت قوله سبحانه فلا تزكوا انفسكم قالوا فقال الملك ومن احق به منك فولاه ذلك وقيل ان الملك الاكبر فوض اليه امر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه وقيل ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء ولما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما كنت تريدن وولدت له افرائيم وميشا واستوثق ليوسف ملك مصر وقيل انه لم يتزوجها يوسف وانها لما رآته في موكبه بكت وقالت الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيدا والمبيد بالطاعة ملوكا فضمها اليه وكانت من عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم قال لما مات العزيز وذلك في السنين الجذبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت الناس فقالوا لها ما يضرك لو قدمت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك كان لهم سموه بهذا الاسم فقالت استحي منه فلم يزالوا بها حتى قدمت له فأقبل يوسف في موكبه فقامت اليه زليخا وقالت سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيدا والمبيد بالطاعة ملوكا فقال لها يوسف أنت تبيك قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك في قالت دعني بعد ما يشئت أتتهأ بي قال لا قالت نعم قال فأمر بها فحولت الى منزله وكانت هرمة فقال لها يوسف الست فعلت بي كذا وكذا قالت يا نبي الله لا تلمني فإني بليت في بلاء لم يبل به احد قال وما هو قالت بليت بحبك ولم يخلق الله لك نظيرا في الدنيا وبليت بأنه لم تكن بمصر امرأة اجمل مني ولا اكثر مالا مني وبليت بزواج عينين فقال لها يوسف فما حاجتك قالت تسأل الله ان يرد علي شبابي فسأل الله فرد عليها فتزوجها وهي بكر وروي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ انه قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لولاه من ضاعته ولكنه أخر ذلك سنة قال ابن عباس فأقام في بيت الملك سنة فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الأمير فتوجه ورداه بسيفه وأمر بأن يوضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كاة من استبرق ثم أمره ان يخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كاتمير يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فعدل بين الناس فأحبه الرجال والنساء وذلك قوله عز اسمه (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه اقدرنا يوسف على ما يريد في الأرض يعني أرض مصر (يتبوا منها حيث يشاء) اي

يتصرف فيها حيث يشاء وينزل منها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نشاء) اي يخص بنعم الدين والدنيا من نشاء (ولا نضيع اجر المحسنين) اي المطيعين وقيل الصابرين عن ابن عباس وقيل انه دعا الملك الى الاسلام فأسلم عن مجاهد وغيره قالوا واسلم ايضاً كثير من الناس فهذا في الدنيا (ولاجر الآخرة) اي ثواب الآخرة (خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) خلوصه عن الشوائب والاقذار وفي هذه اشارة الى انه سبحانه يوتي يوسف في الآخرة من الثواب والدرجات ما هو خير مما آتاه الله في الدنيا من الملك والنعمة

سؤال * قالوا كيف جاز ليوسف ان يطلب الولاية من قبل الكفرة الظلمة وجوابه لانه علم انه يتمكن بذلك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ووضع الحقوق مواضعها وقد جعل الله سبحانه جميع ذلك له من جهة كونه نبيا اماما وكان يفعل ذلك من قبل الله تعالى وانما سأل الولاية ليتمكن من الامور التي له ان يفعلها وايضاً فإنه علم انه سبب يتوصل به الى الدعاء الى الخير والى روية والديه واخوته وفي الآية دلالة على ان ذلك التمكين والملك والتدبير كان بلطف الله سبحانه وفضله وفيها دلالة ايضاً على جواز تولي القضاء من جهة الباغي والظالم اذا يتمكن بذلك من إقامة احكام الدين وفي قوله يتبوأ منها حيث يشاء دلالة على ان تصرفه كان باختياره من غير رجوع الى الملك وانه صار بحيث لا أمر عليه وفي كتاب النبوة بالاسناد عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن بنت الياس قال سمعت الرضا (ع) يقول وأقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصصة فكبسه في الخزائن فلما مضت تلك السنون وأقبلت المجدبة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم الا صار في مملكة يوسف وباعهم في السنة الثانية بالجلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جوهر الا صار في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية الا صارت في مملكته وباعهم في السنة الرابعة بالبيد والاماء حتى لم يبق بمصر عبد ولا أمة الا صار في مملكته وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار الا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والانهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة الا صار في مملكته وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر الا صار عبد يوسف فملك احرارهم وعبيدهم وأمواهم وقال الناس ما رأينا ولا سمعنا بملك اعطاه الله من الملك ما اعطى هذا الملك حكماً وعلماً وتديراً ثم قال يوسف للملك أيها الملك ما ترى فيما خولني ربي من ملك مصر وأهلها أشرف علينا برأيك فأرني لم اصلحهم لأفسدهم ولم انجحهم من البلاء لأكون بلاء عليهم ولكن الله تعالى انجاهم على يدي قال له الملك الرأي رأيك قال يوسف اني اشهد الله واشهدك أيها الملك اني قد اعتقت أهل مصر كلهم ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم ورددت عليك أيها الملك خاتمتك وسريرتك وتاجك على ان لا تسير الا بسيرتي ولا تحكم الا بحكمي قال له الملك ان ذلك لزييني وفخري ان لا أسير الا بسيرتك ولا احكمم الا بحكمك ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له ولقد جعلت سلطاناً عزيزاً لا يرام وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنتك رسوله فأقم على ما وليتك فإزك لدينا مكين أمين وقيل ان يوسف (ع) كان لا يتلي شيعاً من الطعام في تلك الأيام المجدبة فقيل له تجوع ويبيدك خزائن الأرض فقال (ع) أخاف ان أشبع فأنسى الجوع

قوله تعالى (٥٨) وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٩) وَمَا جَهَزْتُمْ بِمِجَاهِزِهِمْ قَالِ اتُّوتِنِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ

الْمُنْزِلِينَ (٦٠) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦١) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦٢) وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ أَجْمَلُوا بِضَاعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر لفتيانه والباقرن لفتيته

— (الجمعة) —

قال أبو علي الفتية جمع فتى في العدد القليل والفتيان في الكثير ومثل فتية إخوة وولدة في جمع أخ وولد ونيرة وقيمة في جمع نار وقاع ومثل فتيان بركان وخربان في جمع برق وخرب وجيران وتيجان في جمع جار وتاج وقد يقوم البناء الذي للقليل مقام الذي للكثير وكذلك يقوم الكثير مقام القليل حيث لا قلب ولا اعلال وذلك نحو ارجل واقدام وارسان وفي الكثير قولهم ثلاثة شروح فلماذا فعل ذلك فيما لا اعلال فيه فإن يرفض فيما يؤدي إلى الإعلال والقلب أولى

﴿ اللفظة ﴾

جهاز البيت متاعه وجهزت فلانا هيأت جهاز سفره ومنه جهاز المرأة والرجال أراد به الإوعية ولحدها رحل وجمعها القليل ارحل قال ابن الأنباري يقال للوعاء رحل وللسكن رحل وأصله الشهي القمد للرحيل من وهاء المتاع ومركب البعير وحلس ورسن

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه أنه لما تمكن يوسف بمصر وأصاب الناس ما أصابهم من القحط وقصدوا مصر نزل باليعقوب منازل بالناس فجمع يعقوب بنيه وقال لهم بلغني أنه يباع الطعام بمصر وإن صاحبه رجل صالح فاذهبوا إليه فإنه سيحسن إليكم إن شاء الله فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف فذلك قوله (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فرفرهم وهم له منكرون) أي جاؤا ليستأروا من مصر كما امتار غيرهم ودخلوا عليه وهم عشرة وامسك ابن يامين أخا يوسف لأنه فرفرهم يوسف وانكروه قال ابن عباس وكان بين أن قذفه في الجب وبين أن دخلوا عليه أربعين سنة فلذلك انكروه ولأنهم رأوه ملكا جالسا على السرير عليه ثياب الملوك ولم يكن يحظر بباليهم أنه يصير إلى تلك الحالة وكان يوسف ينتظر قدومه عليه فكان أثبت لهم فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالبرانية قال لهم من أنتم وما أمركم فأنني انكرت أنكم وفي تفسير علي بن إبراهيم فلما جهزهم واعطاهم واحسن إليهم في الكيل قال لهم من أنتم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة اصابتنا الجهد فجتنا فنتار فقال لعلكم ميون جئتم تنظرون عودة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس ولما نحن إخوة بنو أب واحد وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن ولو تعلم بائينا لكرمنا عليك فإنه نبي الله وابن انبيائه وأنه لمحزون قال وما الذي احزنه فلعل حزنه انما كان من قبل سفوكم وجهلكم قالوا يا أيها الملك لستنا بسفهاء ولا جهال ولا أتاه الحزن من قبلنا ولكنك كان له ابن كان اصغرنا سنا وأنه خرج يوما معنا إلى الصيد فأكله الذئب فلم يزل يمدد حزيننا باكيها فقال لهم يوسف كلكم من أب وأم قالوا أبونا واحد وأمهاتنا شتى قال فما حمل أبكم على أن سرحكم كلكم إلا حبس واحدا منكم يستأنس به قالوا قد فعل حبس منا واحدا وهو اصغرنا سنا لأنه آخر الذي هلك من أمه فلينا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولونه حق قالوا يا أيها الملك إنا ببلاد

لا يعرفنا احد فقال يوسف فاثبتني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين وأنا أرضى بذلك قالوا إن أبانا
يخزن على فراقه وسنراوده منه قال فدعوا عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصاب القرعة
شعرون وقيل ان يوسف اختار شعرون لأنه كان احسنهم رأيا فيه فخلفوه عنده فذلك قوله (ولما جهزهم بجهازهم)
يعني حمل لكل رجل منهم بغير ابدتهم (قال اثبتني بأخ لكم من أبيكم) يعني ابن يامين (الا ترون إني
أوف الكيل) اي لا انجس الناس شيئا وأنتم لهم كيلهم (وانا خير المنزلين) اي المضيفين ما أخذ من التزل وهو
الطعام وقيل خير المنزلين للأموال منازلها فتدخل فيه الضيافة وغيرها ما أخذ من المنزل وهو الدار (فان لم تأتوني
به فلا كيل لكم عندي) اي ليس لكم عندي طعام اكيله عليكم والمراد بالكيل المكيل (ولا تقرين)
اي ولا تقرين داري وبلادي خلط عليه السلام الوعد بالوعيد (قالوا سنراود عنه أباه) اي نطلبه ونسأله ان يرسله
معنا قال ابن عباس معناه نستخذه عنه حتى يخرج منه معنا (وإنا لفاعلون) ما أمرتنا به قال وكان يوسف أمر ترجاننا
يعرف العبرانية ان يكلمهم وكان لا يكلمهم بنفسه ليشبه عليهم فانهم لو عرفوه ربما كانوا يهيمون في الارض
حيا من أبيهم فيتركون خدمته وكان في معرفتهم إياه مفسدة (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) اي قال
يوسف لصيده وغلته الذين يكيلون الطعام عن قتادة وغيره وقيل لامرأته اجعلوا ثمن طعامهم وما كانوا جاؤا به
في اوعيتهم وقيل كانت بضاعتهم الثمال والأدم وقيل كانت الرق من قتادة (لهم يعرفونها إذا انقلبوا الى أهلهم)
اي لهم يعرفون متاعهم اذا رجعوا الى أهلهم (لهم يرجعون) بعد ذلك اطلب الميرة مرة أخرى وانما فعل ذلك
ليعرفوا ان يوسف اتى فعل ذلك إكراما لهم ليرجعوا اليه وقيل انه خاف ان لا يكون عندهم من الرق ما
يرجعون به مرة أخرى عن الكباي وقيل انه رأى لو ما أخذ من الطعام من ابيه وإخوته مع حاجتهم اليه فردّه عليهم
من حيث لا يعلمون تفضلا وكرما وقيل فعل ذلك لأنه علم ان دبانته وأمانته تحملهم على ردّ بضاعتهم إذا
وجدوها في رحالهم ولا يعرفون ان الملك أمر بذلك فيرجعون ليردوا ذلك عليه ومتى قيل كيف لم يعرفهم يوسف
نفسه مع علمه بشدة حزن أبيه وقلقه واحترابه على ألم فراقه فالجواب انه لم يؤذن له في التعريف استتماما للمحنة
عليه وعلى يعقوب ولما علم الله تعالى من الحكمة والصلاح في تشديد البلية تعريضا للمنزلة السنية وقيل انما لم
يعرفهم بنفسه لأنهم لو عرفوه ربما لم يرجعوا اليه ولم يحملوا أخاه اليه والأول هو الوجه الصحيح

قوله تعالى (٦٣) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا
نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٤) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ قَالَ اللَّهُ
خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٥) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا
يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ
بَيْسِيرٍ (٦٦) قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا
آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (أربع آيات)

القراءة

قرأ يكتل بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقر بنون وقرأ خير حافظا بالألف اهل الكوفة غير ابي بكر
والباقر بنون حفظا بغير الف وفي الشواذ قراءة علقمة وبجى ردت الينا بكسر الراء

الحجة

قال ابو علي يدل على النون في نكتل قوله وغير اهلنا ونحفظ اخانا وتزداد كيل بعير الا ترى انهم انما يعرفون

اهلهم بما يكتبون فيكون نكتل مثل نمير وايضا فاذا قالوا نكتل جاز ان يكون اخوهم داخلا معهم واذا كان باليا. لم يدخلوهم فيه وزعموا ان في قراءة عبد الله نكتل بالنون وكان النون لقولهم منع منا الكيل لعيبة اخينا فارسله نكتل ما منعناه لعيبة ووجه اليا. انه يكتبل جملة كما نكتال نحن احمانا ووجه من قرأ خير حفظا انه قد ثبت من قوله ونحفظ اخانا وقوله وانا له حافظون انهم قد اضافوا الى انفسهم حفظا فالمعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تقريظ في حفظهم ليوسف كما ان قوله ابن شركاثة لم يثبت لله شريكا وانا المعنى على الشركاء الذين نسبتوهم الي فكذلك المعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تقريظ فيه فاذا كان كذلك كان المعنى فانه خير حفظا من حفظكم الذي نسبتوه الى انفسكم وان كان منكم فيه تقريظ وازافة خير الى حفظ محال واكن تقول حفظ الله خير من حفظكم ومن قرأ حافظا فيكون حافظا منتصبا على التمييز دون الحال كما كان حفظا كذلك ولا يستحيل الاضافة في فانه خير حافظ وخير الحافظين كما يستحيل في خير حفظا فان قلت فهل كان ثم حافظ كما ثبت انه كان حفظ لما قدمته فاقول انه قد ثبت انه كان ثم حافظ لقوله وانا له حافظون ولقوله يحفظونه من امر الله فتقول حافظ الله خير من حافظكم كما كان حفظ الله خير من حفظكم لأن الله سبحانه حافظه كما ان له حفظا فحافظه خير من حافظكم كما كان حفظه خيرا من حفظكم وتقول هو احفظ حافظ كما تقول هو ارحم راحم لأنه سبحانه من الحافظين كما كان من الراحمين واما قوله ردت فان قيل من المضاعف والمعتل المين يجي. على ثلاثة اوجه عندهم لغة فاشية واخرى تليها وثالثة قليلة فاقرى اللغات في المضاعف ضم اوله كشد وعد ورد ثم يليه الاشمام وهو بين ضم الأول وكسره ثم قواهم رشداً ورداً باخلاص الكسرة وهو الاقل واقرى اللغات في المعتل المين كسر اوله نحو قيل وبيع ثم يليه الاشمام بين الضمة والكسرة والثالثة اخلاص الضمة نحو قول يروع وانشد لذي الرمة

دَنَا الْبَيْنُ مِنْ مَيِّ فَرِدَّتْ جِمَالَهَا وَهَاجَ الْهَوَى تَقْوِيضُهَا وَاجْتَالُهَا (١)

✽ اللغة ✽

يقال كملت فلانا اي اعطيته الشيء كيلا واكتلت عليه اخذت منه والامن اطمننان القلب الى سلامة الامر يقال آمنه يا آمنه امانة والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الى بلد ويقال مرتهم اميرهم ميرا اذا اتيتهم بالميرة ومثله امقرتهم امتيارا قال

بَعَثْتُكَ مَائِرًا فَمَكَثْتَ حَوْلًا مَتَى مَيَّاتِي غِيَاثُكَ مَنْ يُعِيثُ (٢)

✽ الاعراب ✽

قال الزجاج حفظا منصوب على التمييز وحافظا على الحال ويجوز ان يكون حافظا على التمييز وما في قوله ما نبغي استفهام موضعه نصب والمعنى اي شيء تريد ويكون المراد به الجحد ويجوز ان يكون ما ايضا تقييا كما أنهم قالوا ما نبغ شيئا وموضع ان يحاط بكم نصب والمعنى الا الاحاطة بكم اي لا تمنعوا من الاتيان به الا لهذا وهذا يسمى مفعولا له قال الزجاج والا هذه بمعنى تحقيق الجزاء تقول ما تأتينا الا لا أخذ الدرهم والا ان تأخذ الدرهم

✽ المعنى ✽

(فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل) قيل انهم لما دخلوا على يعقوب وسلموا عليه سلاما ضعيفا فقال لهم يا بني مالكم تسلمون سلاما ضعيفا ومالي لا اسمع فيكم صوت شمعون فقالوا يا ابانا انا جنبناك من عند اعظم الناس ملكا ولم ير الناس مثله حكما وعلما وخشوعا وسكينة ووقارا ولئن كان لك شبيه فانه يشبهك ولكننا اهل بيت خلقنا للبلاء انه اتممنا وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا باين يابن برسالة منك اليه ليخبره من حزنك وما الذي احزنك وعن سرعة الشيب اليك وذهاب بصرك وقوله منع منا الكيل معناه تمننا فيما يستقبل ان لم نأته

(١) تقويض الخيام : قلمها . (٢) وفي اللسان «غوانك من ينيث» .

بأخينا لقوله فلا كيل لكم عندي (فأرسل معنا اخانا) ابن يامين (نكتل) اي نأخذ الطعام بالكيل ان ارسلته
 اكلنا والا فنعنا الكيل ومن قرأ بكتل بالياء فالعنى يأخذ اخونا ابن يامين وقر بعير بكتال له (وإنا له
 لحافظون) من ان يصيبه سوء ومكروه (قال) يعقوب (هل آمنكم عليه إلا كما امتنكم على أخيه من قبل)
 اي لا آمنكم على ابن يامين في الذهاب به الا كما مني على يوسف نعمتم لي حفظه ثم ضيعتموه او اهلكتموه او
 غيبتموه عني وانما قرعهم بمحدث يوسف والا فقد كان يعلم انهم في هذه الحال لا يفعلون ما لا يجوز (فاقه خير
 حافظا) اي حفظ الله خير من حفظكم (وهو أرحم الراحمين) يرحم ضعفي وكبر سني ويرده علي وورد في
 الخبر ان الله سبحانه قال فيعزني لأردنّها اليك من بعد ما توكلت علي (ولما فتحوا متاعهم) يعني اوعية الطعام
 (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي) اي ما نطلب في منع أخينا عنه وقيل معناه ما نطلب بما
 اخبرناك عن ملك مصر الكذب وقيل معناه أي شيء نطلب وراء هذا أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن عن قتادة
 وأراد ان تطيب نفس يعقوب فيبعث ابنه معهم وتم الكلام ثم قالوا ابتداء (هذه بضاعتنا ردت الينا) اي فلا ينبغي
 ان نخاف على أخينا من قد احسن الينا هذا الاحسان وقيل المراد ما تريد منك دراهم تمطينها نرجع بها اليه
 بل تكفيننا في الرجوع اليه بضاعتنا هذه فإن الملك إذا فعلنا ما أمرنا به في أخينا بغي بما وعدنا وأرسله معنا
 (وغير أهلنا) اي نجلب اليهم الطعام (ونحفظ أخانا) في السفر حتى نرده اليك (وزداد كيل بعير) لأجله لأنه
 كان يكال لكل رجل وقر بعير (ذلك كيل يسير) اي ذلك كيل سهل اسير سهل على الذي يمضي اليه عن
 الزجاج والمعنى انه حين على الملك لا يصب عليه ولا يظهر في ماله وقيل معناه ان الذي جثاك به كيل قليل
 لا يقنعنا فنحتاج ان نضيف اليه كيل بعير أخينا عن الجبائي وقيل يسير على من بكتاله لا مؤنة فيه ولا مشقة عن
 الحسن وهذا كله تنبيه منهم على وجه الصواب في إرساله معهم فلما رأى يعقوب (ع) رده البضاعة وتحقق عنه
 اكرام الملك وإيام وعزم على ارسال ابن يامين معهم (قال لن أرسله معكم حتى توثقون موثقامن الله) اي تمطونني
 ما يوثق به من يمين او عهد من الله (لتأتني به) اي لتردنه الي قال ابن عباس يعني حتى تحلفوا لي بحق محمد خاتم
 النبيين ﷺ وسيد المرسلين اي لا تغدروا بأخيكم ولتأتني به اللام فيه لجواب القسم (الا ان يحاط بكم)
 اي الا ان تهلكوا جميعا عن مجاهد وقيل الا ان تغلبوا حتى لا تطبقوا ذلك عن قتادة والمعنى الا ان يحال بينكم
 وبينه حتى لا تقدروا على الاتيان به سن الربيع (فلما أتوا موثقيهم) اي شاهده حافظ ان اختلفتم اتصف لي
 ومنزله من ربه عن ابن عباس (قال) يعقوب (الله على ما نقول وكيل) اي شاهد حافظ ان اختلفتم اتصف لي
 منكم وفي هذا دلالة على وجوب التوكل على الله سبحانه في جميع المهمات والتفويض اليه في كل الأمور وفيها
 دلالة ايضا على ان يعقوب (ع) انما ارسل ابن يامين معهم لأنه علم انهم لما كبروا ندموا على ما كان فرط منهم في
 أمر يوسف ولم يصرّوا على ذلك ولهذا وثق بهم وانما عبرهم بمحدث يوسف حثا لهم على حفظ أخيه

قوله تعالى (٦٧) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا
 أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحِمَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
 (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ
 يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُوْعِيلِمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (آيات)

منه غنى بغني غناه والفتاح والمد الكفاية وغني عن كذا فهو غان وغني القوم في دارهم أقاموا والمعاني المنازل لأنهم اكتفوا بها والغانية المرأة لأنها تكفي بزوجها عن غيره أو بجملها عن التزين

المعنى

(و) لما تجهزوا للمسير (قال) يعقوب (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحدوا دخلوا من ابواب متفرقة) خاف عليهم المين لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة وكال وهم أخوة اولاد رجل واحد عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي مسلم وقيل خاف عليهم حسد الناس إياهم وإن يبلغ الملك قوتهم وبطشهم فيحبسهم أو يقتلهم خوفا على ملكه عن الجبائي وانكر المين وذكر أنه لم يثبت بحجة وجوزة كثير من المحققين ورووا فيه الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن المين حق والمين تستنزل الخالق والخالق المكان المرتفع من الجبل وغيره فجعل (ع) المين كأنها تحط ذروة الجبل من قوة أخذها وشدة بطشها وورد في الخبر أنه عليه وآله السلام كان يعود الحسن والحسين عليهما السلام بأن يقول أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وروي أن ابراهيم (ع) عوذ ابنيه وانت موسى عوذ ابني هارون بهذه العوذة وروي أن بني جعفر بن أبي طالب كانوا غلامانا أيضا فقالت أسماء بنت عميس يا رسول الله ان المين اليهم سريرة فاستترقي لهم من المين فقال صلى الله عليه وآله وسلم نعم وروي أن جبرائيل (ع) رقى رسول الله وعلمه الرقية وهي بسم الله أرقيك من كل عين حاسد الله بشفيك وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لو كان شيء يسبق القدر لسبقته المين ثم اختلفوا في وجه الإصابة بالمين فروي عن عمرو بن بحر الجاحظ أنه قال لا ينكر أن ينفصل من المين الصائبة إلى الشيء المستحسن أجزاء لطيفة فتصل به وتؤثر فيه فيكون هذا المعنى خاصة في بعض الاعين كالحواص في الاشياء وقد اعترض على ذلك بأنه لو كان كذلك لما اقتص ذلك ببعض الاشياء دون بعض ولأن الاجزاء تكون جواهر والجواهر متألثة ولا يؤثر بعضها في بعض وقال ابو هاشم انه فعل الله بالمادة لضرب من المصلحة وهو قول القاضي ورأيت في شرح هذا للشريف الأجل الرضي الموسوي قدس الله روحه كلاما احببت ايراده في هذا الموضوع قال ان الله تعالى يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك الافعال التي يفعلها فتغير ممنوع ان يكون تغييره نعمة زيد بمصاحبة لعمرو واذا كان يعلم من حال عمرو انه لو لم يسلب زيدا نعمته اقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن الآخرة ببطفه واذا سلب نعمة زيد للعملة التي ذكرناها عوضه فيها واعطاء بدلا منها عاجلا أو آجلا فيمكن ان يتأول قوله (ع) المين حق على هذا الوجه على انه قد روي عنه (ع) ما يدل على ان الشيء اذا عظم في صدور العباد وضع الله قدره وصغر أمره واذا كان الأمر على هذا فلا يتكرر تغيير حال بعض الاشياء عند نظر بعض الناظرين اليه واستحسانه له وعظمه في صدره وفخامته في عينه كما روي انه قال لما سبقت ناقته العنقاء وكانت اذا سوبق بها لم تسبق ما رفع العباد من شيء الا وضع الله منه ويجوز ان يكون ما أمر به المستحسن للشيء عند رؤيته من تعويذه بالله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما في المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن فلا يغير عند ذلك لأن الرائي لذلك قد اظهر الرجوع إلى الله تعالى والاعاذه به فكأنه غير راكن إلى الدنيا ولا مقتر بها انتهى كلامه رضي الله عنه (وما أغني عنكم من الله من شيء) اسي وما ادفع من قضاء الله من شيء ان كان قد قضى عليكم الإصابة بالمين او غير ذلك (ان الحكم الا لله عليه توكلت) فهو القادر على ان يحفظكم من المين او من الحسد ويردكم على سالمين (وعليه فليشوكل المتوكلون) اي وليفوضوا أمورهم اليه وليثقوا به (ولما دخلوا) مصر (من حيث أمرهم أبوه) اي من ابواب متفرقة كما أمرهم يعقوب وقيل كان لمصر اربعة ابواب فدخلوها من ابوابها الاربعة متفرقين (ما كان بغني عنهم من الله من شيء) الاحاجة في نفس يعقوب قضاها (اي لم يكن دخولهم مصر كذلك بغني عنهم او بدفع عنهم شيئا اراد الله تعالى إبقاعه بهم من حسد او إصابة عين وهو (ع) كان عالما

انه لا ينفخ حذر من قدر ولكن كان ما قاله لبيبه حاجة في قلبه ففضي يعقوب تلك الحاجة اي ازال به اضطراب قلبه لان
لا يحال على العين مكروه يضييهم وقيل معناه ان العين لو قدر ان تصيبهم لاصابتهم وهم متفرون كما تصيبهم
مجتهمين عن الزجاج قال وحاجة استثناء ليس من الاول بمعنى لكن حاجة (وانه لذو علم) اي ذو يقين
ومعرفة بالله (لما علمناه) اي لأجل تعليمنا اياه عن مجاهد مدحه الله سبحانه بالعلم والمعنى انه حصل له العلم
بتعليمنا اياه وقيل وانه لذو علم لما علمناه اي يعلم ما علمناه فيعمل به لان من علم شيئاً ولا يعمل به كان كمن
لا يعلم فعلى هذا يكون اللام في قوله لما علمناه كاللام في قوله للرويا تعبرون (ولكن اكثر الناس لا يعلمون)
مرتبة يعقوب في العلم عن الجبائي وقيل لا يعلم المشركون ما لهم الله اوليائه عن ابن عباس

قوله تعالى (٦٩) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧٠) فَلَمَّا جَهَّزْتُمُ بِمِجَاهِزِهِمْ جَمَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعَيْرُ
إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧١) قَالُوا أَوْ آقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ (٧٢) قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَنْ
جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٣) قَالُوا تَأَلَّوْا لَعْنَةَ اللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا
سَارِقِينَ (٧٤) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٥) قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وُجْدِي فِي رَحْلِهِ فَهُوَ
جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ
أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ
دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (ثماني آيات)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة أبي رجاء صواع الملك بفتح الصاد وقراءة أبي عبد الله بن عوف صوع بضم الصاد بغير الف وقراءة
يحيى بن يعمر صوغ بفتح الصاد والغين معجمة وقراءة أبي هريرة ومجاهد بخلاف صاع الملك والقراءة المشهورة
صواع الملك وقراءة الحسن من وعاء اخيه بضم الواو وقراءة سعيد بن جبيرة وعاء اخيه بالهمزة وقرأ يعقوب وسهل
يرفع وبشاء بالياء والباقون بالتون وقرأ اهل الكوفة درجات بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة ابن
مسعود فوق كل ذي عالم عليم

﴿ الهمزة ﴾

الصَّوَاعُ والصَّاعُ والصَّوْعُ والصُّوْعُ واحد وهو مكبيل واما الصَّوْعُ فصدر وضع موضع اسم المفعول اي المصوع
وهو مثل الخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد ومن قرأ أَعَاَ فاصله وعاء ابدلت الواو المكسورة همزة كما قالوا في وسادة
اسادة وفي وجاح للستر اجاح ومن قرأ وِعَاءَ بالضم فإنه يكون لغة والهمزة فيه ايس كما قالوا اعدقي وعدواجوه
في وجوه ومن قرأ درجات بالتنوين فإن من يكون في موضع نصب على معنى نرفع من نشاء درجات ومن قرأها بغير
تنوين فإن من يكون في موضع جر بالاضافة وقال ابن جني ان قراءة من قرأ وفوق كل ذي عالم عليم يحتمل
ثلاثة اوجه احدها ان يكون من باب اضافة المسمى الى الاسم اي وفوق كل شخص يسمى عالماً او يقال له عالم
عليم مثل قول الكبي

إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعَتْ
نَوَازِعٌ مِنْ قَلْبِي ظِلْمًا وَالْبَبُ (١)

(١) الظماء جمع ظمان . والبب جمع اللب بمعنى العقل . وفي اللسان في «لبب» «اليكم بنى آل النبي . اهـ» .

اي اليكم يا آل النبي اي يا اصحاب هذا الاسم الذي هو آل النبي وعليه قول الاعشى
فَكَذَّبُوها بِما قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ
ذُو آلِ حَسَّانٍ يَزْحَمِي الْمَوْتَ وَالسَّرا (١)

اي صبَّحهم الجيش الذي يقال له آل حسان والوجه الثاني ان يكون عالم مصدراً كالباطل وغيره والثالث ان يكون على مذهب من اعتقد زيادة ذي فكأنه قال وفوق كل عالم عليهم

(- اللغة -)

يقال آوى الى منزله يأوي واوي اذا صار اليه واويته انا ايواء والابتناس الاختنام واجتلاب البؤس والحزن والسقاية الايواء التي يسقى منها وهو من السقي وقيل السقاية والصواع واحد والاذان والتأذين واحد وهو النداء يسمع بالاذن ويقال اذنته بالشئ اي اعلمته واذنته اكرت اعلامه والعير القافلة من الحمير وقيل هو القافلة التي فيها الاجمال والأصل للحمير ثم كثر فسمي كل قافلة عيراً وقيل العير الايول السائرة المركوبة والجمع عبران والحمل بالكسر لما انفصل وبالفصح لما اتصل وجمعه اجمال وحمول والزعيم والكفيل والضمين نظائر والزعيم ايضاً القائم بأمر القوم وهو الرئيس قالت ليلي الاخيلية

حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوْءُ رَأَيْتَهُ
تَحْتَ اللَّوْءِ عَلَى الْحَمِيسِ زَعِيماً

(- الاعراب -)

تألفه معناه والله الا ان التاء تختص باسم الله لا يجوز تالرحمن وتربي وهو بدل من الواو كما ابدل من الواو في تراث وتجاه وتخمة قالوا جزاؤه من وجد في رحله ذكر في اعرابه وجهان ﴿احدهما﴾ ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله الخبر ويكون المعنى جزاء السرقة الانسان الموجود في رحله السرقة ويكون قوله فهو جزاؤه جملة اخرى ذكرت زيادة في الايوانة كما يقال جزاء السارق القطع فهو جزاؤه وفهنا جزاؤه زيادة في البيان وعلى هذا تكون من موصولة ويكون تقديره استرقاق الذي وجد في رحله السرقة فحذف المضاف ﴿والاخر﴾ ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله فهو جزاؤه جملة شرطية في موضع الخبر والعائد على المبتدأ الأول من الجملة الأولى جزاؤه من قوله فهو جزاؤه فكأنه قال فهو هواي فهو الجزاء والاظهار ههنا حسن لثلاث يقع في الكلام لبس قال الزجاج ان العرب اذا فضخت أمر الشئ جعلت العائدة اليه اعادة اللفظ بعينه وانشد

لَأُرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئاً
نَقَصَ الْمَوْتَ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

وعلى هذا فيكون المعنى قالوا جزاء السرقة ان وجد في رحل رجل منا فالموجود في رحله السرقة جزاؤه استرقاق وقال صاحب الكشف تقديره جزاء المسروق من وجد في رحله اي انسان وجد الصاع في رحله فمن نكرة وهو مبتدأ ثان وقوله وجد في رحله صفة لمن وقوله فهو جزاؤه خبر لمن والجملة خبر قوله جزاؤه والتقدير جزاؤه انسان وجد في رحله الصاع فهو الا انه وضع الظاهر موضع المضمرة قال وليس في التنزيل من نكرة الا في هذا الموضع وموضع الكاف من كذلك كدنا نصب بانها صفة مصدر محذوف وموضع ان يشاء الله نصب لما سقطت الباء افضى الفعل اليها فنصب والتقدير الا بمشيئة الله

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن دخولهم عليه فقال (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) اي لما دخل اولاد يعقوب على يوسف ضم اليه أخاه من آويه وأمه ابن يامين واتزله ممة عن الحسن وتحاده وقيل انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا أخونا الذي امرتنا ان نأتيك به فقال أحستهم ثم أنزلهم واكرمهم ثم أضافهم وقال ليجلسن كل بني أم على مائدة فجلسوا فبقي ابن يامين قائماً فردا فقال له يوسف مالك لا تجلس قال انك قلت ليجلس كل بني أم على مائدة

(١) أزجى الشئى : ساقه . وفى بعض النسخ «يرجى» بالهملة . والشرع جمع الشرعة : التورمادام مشدود أعلى القوس . وحبالة من العقب تجعل شركا يصادبه القطا .

وليس لي فيهم ابن أم فقال يوسف انما كان لك ابن أم قال بلى قال يوسف فمافعل قال زعم هو لاء ان الذئب أكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي احد عشر ابنا كلهم اشتقت له اسما من اسمه فقال له يوسف أراك قد عاقت النساء وشحمت الولد من بطنه قال ابن يامين ان لي أبا صالحا وقد قال لي تزوج لعل الله يخرج منك ذرية تثقل الأرض بالنسيح فقال له يوسف تعال فاجلس معي على مائدتي فقال اخوة يوسف لقد فضل الله يوسف وأخاه حتى ان الملك قد اجلسه معه على مائدته روي ذلك عن الصادق (ع) (قال اني انا أخوك) اي اطلمه على انه أخوه وقيل انه قال انا أخوك مكان أخيك المالك ولم يعترف له بالنسبة ولم يطلمه على انه أخوه ولكنه أراد ان يطيب قلبه (فلا تبئس بما كانوا يعملون) اي فلا تسكن ولا تحزن لشيء سلف من اخوتك اليك عن وهب والشعبي (فلما جهزهم بجهازهم) اي فلما اعطاهم ما جاؤا لطلبه من الميرة وكال لهم الطعام الذي جاؤا لأجله وجعل لكل منهم حمل بعير ويسمى حمل التاجر جهازا (جبل السقاية في رحل أخيه) معناه أسر حتى جعل الصاع في متاع أخيه وانما أضاف الله تعالى ذلك اليه لوقوعه بأسره وقيل إن السقاية هي المشربة التي كان يشرب منها الملك ثم جعل صاعا في السنين الشداد القحاط بكال به الطعام وقيل كان من ذهب عن ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل كان من فضة وذهب عن ابن عباس والحسن وقيل كان من فضة مرصعة بالجواهر عن عكرمة ثم ارتحلوا وانطلقوا (ثم أذن مؤذنا) اي نادى مناد مسمعا معلما (أيتها العير) اي القافلة والتقدير يا أهل العير وقيل كانت القافلة من الحمير عن مجاهد (انكم لسارقون) قيل انما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من غير اسره ولم يعلم بما أسره يوسف من جعل الصاع في رحالهم عن الجبائي وقيل ان يوسف أمر المنادي بأن ينادي به ولم يرد به مرقعة الصاع وانما عنى به انكم سرقتم يوسف عن أبيه والقيتموه في البئب عن ابي مسلم وقيل ان الكلام يجوز ان يكون خارجا يخرج الاستفهام كأنه قال أنتم لسارقون فأسقطهمزة الاستفهام كما في قول الشاعر

كذبتك عينك أم رأيت بواسط
غلس الظلام من الرباب خيالاً (١)

ويؤيده ماروي هشام بن الحكم عن ابي عبد الله (ع) انه قال ما سرقوا ولا كذب ومتى قيل كيف جاز ليوسف (ع) ان يحزن والده وأخوته بهذا الصنيع ويجعلهم متهمين بالسرقة فالجواب ان الغرض فيه التسبب الى احتباس أخيه عنده ويجوز ان يكون ذلك بأمر الله تعالى وروي انه اعلم اخاه بذلك ليحمله طريقا الى التمسك به واذا كان ادخال هذا الحزن سببا مؤديا الى إزالة غموم كثيرة عن الجميع ولا شك انه يتصلق به المصلحة فقد ثبت جوازه فأما التعريض للتهمة بالسرقة فغير صحيح لأن وجود السقاية في رحله يحتمل أموراً كثيرة غير السرقة فعلى هذا من حمله على السرقة مع علمه بأنهم اولاد الانبياء توجهت اللائمة عليه (قالوا) اي قال اصحاب العير (وأقبلوا عليهم) اي على اصحاب يوسف (ماذا تفقدون) اي ما الذي فقدتموه من متاعكم (قالوا فقد صواع الملك) اي صاعه وسقايته (ولن جاء به حمل بعير) اي وقال المنادي من جاء بالصاع فله حمل بعير من الطعام (وانا به زعيم) اي كفيل ضامن (قالوا) اي قال اخوة يوسف (تالله لقد علمتم) أيها القوم (ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) قطعاً وانما أضافوا العلم اليهم بذلك مع انهم لم يعلموه لأن معنى هذا القول انكم قد ظهر لكم من حسن سيرتنا ومعاملتنا معكم مرة بعد أخرى ما تعلمون به انه ليس من شأننا السرقة وقيل انهم قالوا ذلك لأنهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم مخافة ان يكون قد وضع ذلك بغير إذن يوسف اي فإذا كنا نخرجنا عن هذا فقد علمتم اننا لا نسرق لأن من رد ما وجد لا يكون سارقاً عن الكلبي وقيل انهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد شدوا أفواه دوابهم كي لا تتناول الحرث والزرع وفي هذا دلالة على ان ما فعله أخوة يوسف به انما كان في حال الصغر وعدم كمال العقل لنفيهم عن اقسهم الفساد الذي هو ضد الصلاح (قالوا فما جزأوه)

(١) قائله الاخطل والواسط : بلد بالمراق . والغلس : ظلمة آخر الليل . والرباب كسحاب اسم امرأة .

اي قال الذين نادوهم فما جزاء السرق (ان كنتم كاذبين) في قولكم اننا لم نسرق وظهرت السرقة وقيل معناه فما جزاء من سرق (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) اي قال اخوة يوسف جزاء السرق السارق وهو الإنسان الذي وجد المسروق في رحله وقد بينا تقديره فيما قبل ومعناه ان السنة في بني اسرائيل وعند الملك كان استرقاق السارق عن الحسن والسدي وابن اسحاق والجبائي وكان يسرق سنة وقيل كان حكم السارق في آل يعقوب ان يستخدم ويسترق على قدر سرقة وفي دين الملك الضرب والضمان عن الضحاك وقيل ان يوسف سألهم ما جزاء السارق عندكم فقالوا ان يؤخذ بسرقة (كذلك نجزي الظالمين) اي مثل ما ذكرنا من الجزاء نجزي السارقين يعني اذا سرق استرق وقيل ان ذلك جواب يوسف (ع) لقول اخوته ان جزاء السارق استرقاقه (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) اي بدأ يوسف في التفتيش بأوعيتهم لإزالة التهمة (ثم استخرجها) يعني السقاية (من وعاء أخيه) وانما بدأ بأوعيتهم لأنه لو بدأ بوعاء أخيه لعلموا انه هو الذي جعلها فيه وانما قال استخرجها لأنه أراد به السقاية وحيث قال ولمن جاء به اراد به الصاع وقيل ان الصاع يذكر ويؤنث قالوا فاقبلوا على ابن يامين وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا متى أخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدرهم في رحالكم (كذلك كدنا ليوسف) اي مثل ذلك الكيد أمرنا يوسف ليكيد بما يتهيأ له ان يجس أخاه ليكون ذلك سببا لوصول خبره الى أبيه اي الهنا يوسف هذا الكيد والحيلة فجازيناهم على كيدهم يوسف اي كلفوا في الابداء فعلننا بهم وقيل ان معنى كدنا صنعنا ليوسف عن ابن عباس وقيل الهنا عن الريب وقيل ديرنا ليوسف بدلالة قوله وفوق كل ذي علم عليم على انه سبحانه علم من صلاح هذا التدبير ما لم يعلمه غيره عن القتيبي (ما كان يأخذ أخاه في دين الملك الا ان يشاء الله) اي ما كان يمكنه ان يأخذ أخاه في حكم الملك وقضائه وان يجسه اذ لم يكن ذلك من حكم ملك مصر وأهله عن قتادة وقيل في دين الملك في سلطانه عن ابن عباس وقيل في عادته في جزاء من سرق ان يستعبد وقيل انه كان عادلا ولولا هذه الحيلة لما كان يمكنه من أخذ أخيه الا ان يشاء الله ان يجعل ليوسف عذرا فيما فعل وقيل الا ان يشاء الله ان يأمره بذلك لأنه كان لا يمكنه ان يقول هذا أخي وكان لا يمكنه حبه من غير حيلة لأنه كان يكون فعله ظلما وكان من سنة آل يعقوب ان يسرق وفي حكم الملك وأهل مصر ان يضرب ويغرم وحبه يوسف على حرمهم والتميز حكمهم الذي جرى على لسانهم مبالغة في نفي السرقة عن اقصاهم وكان ذلك مراده وقد شاء الله لأنه بأمره عن الحسن وانما سماه كيدا لأنه لولا هذا السبب لم يتهيأ له أخذه والكيد ما يفعله فاعله ليوصل به الى غيره ضررا من حيث لا يعلمه اولينال منه شيئا من غير ان يعلمه (ترفع درجات من نشأ) بالعلم والنبوة كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وقيل بالتقوى والتوفيق والعصمة والالطاف الجميلة (وفوق كل ذي علم عليم) يعني ان كل عالم فان فوقه عالما اعلم منه حتى ينتهي الى الله تعالى العالم بجميع المعلومات لذاته فيقف عليه ولا يتعداه وفي هذا دلالة على بطلان قول من يقول ان الله سبحانه عالم يعلم قديم لأنه لو كان كذلك لكان فوقه عليم على ما يقتضيه الظاهر

قوله تعالى (٧٧) قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبديها لهم قال انتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (٧٨) قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذنا مكانه إنا نراك من المحسنين (٧٩) قال معاذ الله اننا نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون (٨٠) فلما استبشروا منه خلصوا نجيها قال كبيرهم ألم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن

(من قبل) فليست سرقة بأمر بديع فإنه اقتدى بأخيه يوسف واختلف فيما وصفوه به من السرقة على اقوال فقيل ان عمه يوسف كانت تحضنه بعد وفاة امه وتحبه حبا شديداً فلما ترعرع اراد بمقوب ان يسترده منها وكانت اكبر ولد اسحاق وكانت عندها منطقة اسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسبط يوسف وادعت انه سرقتها وكان من سنتم استرقاق السارق فحبسته بذلك السبب عندها عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقد روي ذلك عن أئمتنا عليهم السلام وقيل إنه سرق صنما لجدته من قبل امه فكرهه والقاه على الطريق عن سعيد بن جبير وقتادة وابن زيد وقيل إنه سرق دجاجة كانت في بيت بمقوب او بيضة فأعطاهما سائلا فميروه بها عن سفيان بن عيينة ومجاهد (فأسرها يوسف في نفسه) أي فأخفى يوسف تلك الكلمة التي قالوها (ولم يدها لهم) أي لم يظهرها (قال انتم شر مكره) في السرقة لأنكم سرقتهم احكام من ابيكم (والله أعلم بما تصفون) أي والله أعلم اسرق اخ له ام لا عن الزجاج ويكون المعنى انتم اسوء حالا من يوسف فإنه لم يكن له صنيع في المنطقة وكان يتصدق باذن ابيه ولم تكونوا براء مما علمتموه به وقيل معناه انتم شر صنيعا بما اقدمتم عليه من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم فانتم شر مكره مكانا عند الله منه أي اسر هذه المقالة في نفسه ثم جهر بقوله والله أعلم بما تصفون قال الحسن لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت وانما اعطوا النبوة بعد ذلك والصحيح عندنا انهم لم يكونوا انبياء لأن النبي عندنا لا يجوز ان يقع منه فعل القبيح اصلا وقال البلخي انهم كذبوا في هذا القول ولم يصح انهم كانوا انبياء وجوز أن يكون الاسباط غيرهم وأن يكونوا من اولادهم (قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه) أي بدلا عنه انما قالوا هذا لما علموا انه استحقه فسألوه ان يأخذ عنه بدلا شفقة على والدم وورقوا في القول على وجه الاسترحام ومعناه كبيرا في السن وقيل كبيرا في القدر لا يجبس ابن مثله (انازك من المحسنين) إلى الناس وقيل من المحسنين اليئا في الكيل ورد البضاعة وفي الضيافة ونحن نأمل هذا منك لإحسانك اليئا وقيل ان فعلت هذا فقد احسنت اليئا فأجابهم يوسف بأن (قال معاذ الله ان تأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) أي اعوذ بالله ان آخذ البري بجرم السقيم وقال من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزاً من الكذب (انا إذا لظالمون) أي لو فعلنا ذلك لكننا ظالمين وفي هذا دلالة على ان اخذ البري بالمجرم ظلم ومن فعله كان ظلما والله يتعالى ويهمل عن ذلك علوا كبيرا (فلا استياسوا منه) أي فلا يشس اخوة يوسف من يوسف ان يجيبهم إلى ما سألوه من تخلية سبيل ابن يامين معهم (خلصوا نجيا) أي انقروا عن الناس من غير أن يكون معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعملون في ذهابهم إلى ابيهم من غير اخيهم ويتديرون في أنهم يرجعون ام يقيمون وتلخيصه اعترضوا عن الناس متناجين وهذا من الفاظ القرآن التي هي في الغاية القصوى من الفصاحة والابجاز في اللفظ مع كثرة المعنى (قال كبيرهم) وهو روبين وكان أسنم وهو ابن خالة يوسف وهو الذي نهى اخوته عن قتله عن قتادة والسدي والضحاك وكعب وقيل شمعون وهو كبيرهم في العقل والعلم لا في السن وكان رئيسهم عن مجاهد وقيل يهوذا وكان اعقلهم عن وهب والكافي وقيل لاوي عن محمد بن اسحاق وعن علي بن ابراهيم بن هاشم (ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) اراد به الوثيقة التي طلبها منهم بمقوب حين قال لن ارسل معكم حتى تؤتونا موثقا من الله لتأتني به فذكرم ذلك (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) أي قصرتم في أمره وكنتم قد عاهدتم اباكم ان تردوه اليه سالما فنقضتم العهد (فلن ابرح الأرض) أي لا ازال بهذه الأرض ولا ازول عنها وهي ارض مصر (حتى يأذن لي ابي) في البراح والرجوع اليه (او يحكم الله لي) بالخروج وترك اخي هاهنا وقيل بالموثوق وقيل بما يكون عذرا لنا عند ابينا عن ابي مسلم وقيل بالسيف حتى احارب من حبس اخي عن الجبائي (وهو خير الحاكمين) لا يحكم إلا بالحق قالوا انه قال لم انا اكون هاهنا واحملوا انتم الطعام اليهم فأخبروهم بالواقعة قوله تعالى (٨١) ارجعوا إلى ابيكم فقولوا يا اباانا ان ابناك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا

وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨٢) وَسئِلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٣) قَالَ بَلْ سَوَّاتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٤) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَيُّضًا عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٥) قَالُوا تَأَلَّوْنَا لِلَّهِ تَفْتُوًا نَذْكَرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٦) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٧) يَا بَنِي إِدْرِسَ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسَبُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُبْئِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (سبع آيات)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن عباس سرق بضم السين وتشديد الراء وكسرهما وقراءة الحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز من روح الله بضم الراء

-(الحجة)-

معنى سرق بضم السين نسب إلى السرقة فيكون من باب فسقه وفجره وشجعه إذا نسب إلى هذه الخلال وأما روح الله فيمكن أن يكون من الروح الذي هو من عند الله وبلطفه وهدايته ونصته

﴿ اللفظة ﴾

القرية الارض الجامعة لمساكن كثيرة وأصله من القرى وهو الجمع يقال قربت الماء في الحوض ونظيره البلدة والمدينة والعيير قد مضى ذكر معناه والكظم اجتراح الحزن وهو أن يمسه في قلبه ولا يبئس إلى غيره ويقال ما زلت أعمل كذا وما فئتُ أفعله أفتاً فتأ قال اوس بن حجر يصف حرباً

فَمَا فَتَأْتُ حَيْلَ تَتَوَّبُ وَتَدَّعِي وَيَلْحَقُ مِنْهَا لِأِحْقٍ وَتَقَطَّعُ (١)

والحرض المشرف على الهلاك يقال رجل حرض وحارض أي فاسد في جسمه وعقله ومنه حرضته على كذا أمرته به لأنه إذا خالف الأمر فكأنه هلك واحرضه أي افسده قال العرجي

إِنِّي أَمْرٌ لَجَّ لِي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي حَتَّى بَلَيْتُ وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ (٢)

والحرض لا يبئس ولا يجمع لأنه مصدر والشكوى صفة ما عنده من البلوى يقال شكوته إلى فلان شكوى وشكابة وشكواء فأشكاني أي اعتبني من شكواي وأشكاني ايضا اخرجني إلى الشكوى والبث الهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانته فيبئس أي يفرقه وكل شيء فرقه فقد بثته ومنه قوله وبث فيها من كل دابة والتجسس طلب الشيء بالحاسة والتجسس نظيره وفي الحديث لا تجسسوا ولا تجسسوا وقيل إن معناه واحد ونسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين كقول الشاعر « متى أدن منه بدأ عني ويبعد » وقيل التجسس بالتجسس البحث عن عورات الناس وبالحاء الاستماع لحديث قوم وسئل ابن عباس عن الفرق بينها قال لا يبعد أحدهما عن الآخر التجسس في الخير والتجسس في الشر والروح الراحة والروح الرحمة وأصل الباب من الريح التي تأتي بالرحمة

-(الأعراب)-

أسأل القرية أي أهل القرية وأهل العير فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه يا أسفى معناه يا حمرقى والأصل يا أسفى إلا أن باء الإضافة يجوز أن يبدل الفاء خلفه الألف والفتحة ويجوز أن يكون الف التبدية

(١) تاب توبا : رجع بعد ذهابه . وتاب الناس : اجتمعوا . (٢) لج به الهم ونهوه الح عليه . وبلت من البلى وشفه المرض أو الهم : أوهته .

ويكون معناه لبيان ان الحال - حال حزن فكأنه قال يا اسف هذا من اوانك وقوله على يوسف من صلة المصدر
تتأ معناه لا تتأ حذف حرف النفي لعل السامع به كما في قول امرئ القيس
فَقَلَّتْ يَمِينُ اللَّهِ اَبْرَحَ قَاعِدًا وَلَوْ ضَرَبُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي (١)
وإنما جاز ذلك لأنه لا يجوز في القسم تأله تفعل حتى تقول تأله لتفعلن او تقول لا تفعل

المعنى *

ثم اخبر سبحانه انه قال لهم كبيرهم في السن او في العلم (ارجعوا الى آيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق)
في الظاهر (وما شهدنا) عندك بهذا (إلا بما علمنا) أي بما شهدنا من ان الصاع استخرج من رحله في الظاهر
ويبين بهذا انهم لم يكونوا قاطمين على انه سرق وقيل معناه ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق إلا بما علمنا
ان الحكم ذلك ولم نعلم ان ابنك سرق أم لا إلا انه وجد الصاع عنده فحكم بأنه السارق في الظاهر وإنما
قالوا ذلك حين قال يعقوب «ع» لهم ما بدري الرجل ان السارق يؤخذ بسرقة ويسترق وإنما علم ذلك بقولكم
(وما كنا للغيب حافظين) أي انا لم نعلم الغيب حين سألتك أن تبث ابن يامين معنا ولم ندر ان امره يؤل
إلى هذا وإنما قصدنا به الخير ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به عن مجاهد وقتادة والحسن وقال علي بن عيسى علم الغيب
هو علم من لو شاهد الشيء لشاهده بنفسه لا بأمر يستفيده والعالم بهذا المعنى هو الله وحده جل اسمه وقيل معناه
ما كنا لسر هذا الأمر حافظين وبه عالمين فلا ندري انه سرق أم كذبوا عليه وإنما اخبرناك بما شاهدنا عن
عكرمة وقيل معناه ما كنا لغيب ابنك حافظين أي انا كنا نحفظه في محضره وإذا غاب عنا ذهب عن حفظنا
يعنون انه سرق ليلا وهم نيام والغيب هو الليل بلغة حمير عن ابن عباس قال أي انا لم نعلم ما كان يصنع في
ليله ونهاره ومجيئه وذهابه (واسئل القرية) أي أهل القرية (التي كنا فيها) والقرية مصر عن ابن عباس والحسن
وقتادة ومعناه سل من شئت من أهل مصر عن هذا الأمر فإن هذا أمر شائع فيهم يخبرك به من سأله وإنما
قالوا ذلك لأن بعض أهلها كانوا قد صاروا إلى الناحية التي كان فيها أبوهم والعرب تسمي الامصار والمدائن قرى
(والعير التي اقبلنا فيها) أي وسل أهل القافلة التي قدمنا فيها وكانوا من ارض كنعان من جيران يعقوب وإنما
حذف المضاف للايجاز ولأن المعنى مفهوم وقيل انه ليس في الكلام حذف لأن يعقوب «ع» نبي صائب
مميز يجوز أن تكلمه القرية والعير على وجه خرق العادة وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا أهل تهمة عند يعقوب
(وإننا لصادقون) فيما اخبرناك به (قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً) ههنا حذف كثير يدل الحال عليه تقديره
فلما رجعوا إلى آيهم وقصوا عليه القصة بطولها قال لم ما عندي ان الأمر على ما تقولونه بل سولت لكم أنفسكم
أمراً فيما أظن (فصبر جميل) أي فأمرني صبر جميل لا جزع معه (عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً) أي عسى الله
أن يأتيني يوسف وابن يامين ورويل او شمون او لاوي او يهوذا (انه هو العليم) بعباده (الحكيم) في تدبير
الخلق (وتولى عنهم) أي انصرف واعرز عنهم بشدة الحزن لما بلغه خبر حبس ابن يامين وهاج ذلك وجدده
يوسف لأنه كان يشلى به (وقال يا أسنى على يوسف) أسى ياطول حزني على يوسف عن ابن عباس وروي
عن سعيد بن جبیر انه قال لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط لأنياء قبلهم إنا لله وإنا اليه راجعون
ولو اعطيها الأنياء لأعطيها يعقوب إذ يقول يا أسنى على يوسف (وايضت عيناه من الحزن) والبكاء ولما كان
البكاء من أجل الحزن أضاف يفاض البصر اليه وسئل الصادق «ع» ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف قال
حزن سبعين حري تكلي قيل كيف وقد اخبر انه يرد عليه فقال أنسي ذلك وقيل انه عمي ست سنين عن مقاتل
وقيل انه اشرف على العمى فكان لا يرى إلا شيئاً يسيراً (فهو كظيم) والكظيم ههنا بمعنى الكاظم وهو المملوء
من الهم والحزن المسك للغيظ لا بشكوه لأهل زمانه ولا يظهره بلسانه ولذلك لقب موسى بن جعفر عليها السلام

(١) يمين الله يجوز فيه ازرع والنصب اما الرفع فعلى انه مبتدأ حذف خبره وجوباً اي يمين الله قسمي أو
يمين الله واما النصب فعلى احد وجهين : الاول : ان الاصل يمين الله فعند حذف حرف القسم . والثاني انه منصوب
بالمفعولية المطلقة نحو سبحانه الله . والشاهد في ابرح فان معناه لا ابرح .

الكافظم لكثرة ما كان يتجرع من الغيظ والغم طول ايام خلافته لأبيه في ذات الله تعالى وقال ابن عباس هو المغموم المكروب (قالوا) اي قال ولد يعقوب لأبيهم (تالله تفتؤ نذكر يوسف) اي لا تزال تذكر يوسف (حتى تكون حرضا) اي دنفا فاسد العقل عن ابن عباس وابن اسحاق وقيل قريبا من الموت عن مجاهد وقيل هرما باليا عن قتادة والضحاك (او تكون من الهالكين) أي الميتين وإنما قالوا ذلك اشفاقا عليه وتعطفيا ورحمة له وقيل انهم قالوا ذلك تبرما بيكابه إذ تنفص عيشهم بذلك (قال) يعقوب في جوابهم (إنما اشكو بشي) أي همي عن ابن عباس وقيل حاجتي عن الحسن (وحزني إلى الله) المعنى إنما اشكو حزني وحاجتي واختلال حالي بانتشارها إلى الله في ظلم الليالي واوقات خلواتي لا اليكم وقيل البث ما أبداه والحزن ما أخفاه وروي عن النبي ﷺ ان جبرائيل أتاه فقال يا يعقوب ان الله يقرأ عليك السلم ويقول ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك اصنع طعاما للمساكين فإن أحب عبادي إلى المساكين او تدري لم أذهب بصرك وقوتك ظهرك لأنكم ذبحتم شاة وانا كم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئا فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغذاء امر مناديا ينادي ألا من اراد الغذاء من المساكين فليتخذ مع يعقوب وإذا كان صائما امر مناديا فننادي ألا من كان صائما فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم ابو عبد الله الحافظ في صحيحه (واعلم من الله ما لا تعلمون) اي واعلم صدق رؤيا يوسف واعلم انه حي وانكم تستجدون له كما اقتضاه رؤياه عن ابن عباس وقيل واعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون عن عطاء وفي كتاب النبوة بالاسناد عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر الباقر «ع» قال ان يعقوب دعا الله سبحانه في ان يهبط عليه ملك الموت فأجابه فقال ما حاجتك قال اخبرني هل مر بك روح يوسف في الأرواح فقال لا أعلم انه حي فقال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) ابن يامين وقيل انهم لما اخبروه بسيرة الملك قال لعله يوسف عن السدي فلذلك قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ابن يامين اي استخبروا من شأنها واطلبوا خبرهما وانظروا ان ملك مصر ما اسمه وعلى أي دين هو فإنه التي في روعي ان الذي حبس ابن يامين هو يوسف وإنما طلبه منكم وجعل الصاع في رحله احتيالا في حبس اخيه عند قسه (ولا تياسوا من روح الله) اي لا تقنطوا من رحمته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل من الفرج من قبل الله عن ابن زيد والمعنى لا تياسوا من الروح الذي يأتي به الله (انه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون) قال ابن عباس يريد ان المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد والبلاء وبشكره ويحمده في الرخاء والكافر ليس كذلك وفي هذا دلالة على ان الفاسق الملى لا يأس عليه من رحمة الله بخلاف ما يقوله اهل الوعيد

سؤال * كيف خفي اخبار يوسف على يعقوب سيف المدة الطويلة مع قرب المسافة وكيف لم يعلمه يوسف بخبره لتسكن نفسه ويزول وجده

الجواب * قال الجبائي العلة في ذلك انه حمل إلى مصر فبيع من عزيز فألزمه داره ثم لبث في السجن بضع سنين فانقطعت اخبار الناس عنه فلما تمكن احتال في إيصال خبره بأبيه على الوجه الذي امكنه وكان لا يأمن لو بث رسولا اليه ان لا يمكنه اخوته من الوصول اليه وقال المرتضى قدس الله روحه يجوز ان يكون ذلك له ممكنا وكان عليه قادر لكن الله سبحانه أوحى اليه بأن يمدل عن اطلاعه على خبره تشديدا للمحنة عليه والله سبحانه ان يصعب التكليف وان يسهله

قوله تعالى (٨٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوسُفُ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٩٠) قَالُوا أَمْ نَكُ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ

مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩١) قَالُوا نَزَّلَهُ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩٢) قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٣) إِذْ هَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاثْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَآتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (ست آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر وابن كثير انك لأنت يوسف بكسر الهمزة وقرأ نافع وبعقوب غير زيد وسهل أنك بفتح الهمزة غير ممدود وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب أنك بالمد وقرأ الباقون أنك بهزتين وفي الشواذ قراءة أبي انك أو انت يوسف وقرأ ابن كثير وحده من يتقي ياء في الوصل والوقف والباقيون بغير ياء فيها = (الحجة) =

بدل على الاستفهام قوله أنا يوسف وإنما أجابهم عما استفهموا عنه قال أبو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي انه على الاستفهام كأنه قال أو تلك نعمة فيجوز أن يكون من قرأ أنك على هذا فيكون القراءة تان متفتحين وقلما يحذف حرف الاستفهام فأما في القراءات فإنه يجري على مذهبهم في اجتماع الهمزتين وقد تقدم القول في ذلك وأما قراءة أبي فيكون على حذف خبر ان كأنه قال أنك لغير يوسف أو انت يوسف قال ابن جني فكأنه قال بل انت يوسف فلما خرج مخرج التوقف قال أنا يوسف وقد جاء عنهم حذف خبر ان قال الاعشى

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مَرَّحَلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًّا (١)

أراد ان لنا محلا وان لنا مر محلا قال أبو علي قوله من يتقي لا يحمل على نحو قول الشاعر «ألم يأتيك والآباء تنسى» لأن هذا ونحوه إنما يجيء في الشعر ولكن تجمل من موصولة فيكون بمنزلة الذي يتقي ويحمل المعطوف على المعنى لأن من يتقي إذا كان من منزلة الذي بمنزلة الجزء الجازم بدلالة ان كل واحد منها يصلح دخول الفاء في جوابه فإذا اجتمعا في ذلك جاز أن يعطف عليه كما يعطف على الشرط المجزوم لكونه بمنزلة فيما ذكرناه ومثل ذلك قوله فأصدق واكن حملت واكن على موضع الفاء ومثله قول من قرأ ويدزهم في طغيانهم جزماء ويجوز أن تقدر الضمة في قوله ويصبر وتحذفها للاستخفاف كما يخفف نحو عضد وسبع وجاز هذا في حركة الاعراب كجوازه في حركة البناء وزعم أبو الحسن انه سمع رسلنا لديهم يكتبون بأسكان اللام من رسلنا ويقوي ذلك قراءة من قرأ وبتقه ألا ترى انه جعل تقه بمنزلة كتف وعلم فاسكن فكذلك يسكن على هذا ويصبر

﴿ اللفظ ﴾

الاجزاء في اللفظ السوق والدفع قليلا قليلا ومنه قوله يزجي سحابا قال النابغة

وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ ذِي أَرْلٍ تَزْجِي مَعَ اللَّيْلِ مِنْ صُرَادِهَا صِرْمًا (٢)

وفلان يزجي العيش أي يدفع بالقليل ويكتفي به قال الاعشى

الْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْمِجَانِ وَعَبْدُهَا عَوْدًا يَزْجِي حَلْفَهَا أَطْفَالًا (٣)

أي يدفع وقال آخر «وحاجة غير مزجاة من الحاج» وإنما قيل يضاغة مزجاة لأنها بسيرة ناقصة وإنما يجوز ذلك على دفع من أخذها والمن النعمة وأصله القطع لأنها تقطع المنعم عليه من حال بؤسه والإيثار تفضيل احد الشئيين على الآخر ونظيره الاختيار والاجتباء وتقيضه الإيثار عليه وأصله من الأثر فإنه يؤثر من له أثر جميل والأثر الاخبار يقال أثر يأنثر والمأثرة المكرمه لأنها تؤثر واخطأ ضد الثواب يقال خطأ الرجل يخطأ

(١) المهمل : التاني و عدم العجلة اي وانفي الذين ماتوا قبلنا امهالانا . (٢) قائله قيس بن زهير وبعده «بإلاقت

لبون بنى زياد» . (٣) وفي رواية معجم البلدان «تزجي مع الصبح» . والسراد جمع الصارد : سحاب بارد ندى ليس فيه ماء . وصرم جمع الصرمة : القطعة من السحاب . (٤) البيت في جامع الشواهد .

خطأ وخطا فهو خاطئ واخطى يخطئ اخطاه فهو مخطئ قال امرؤ القيس
يألف هندی إذ خطين كاهلاً القائلين الملك الحلا حلاً (١)

التثريب التويخ يقال ثرب وأثرب وثرّب عن ابن الأعرابي وقيل التثريب اللوم والافساد والتقرير بالذنب
قال ابو عبيدة وأصله الافساد وأشد

ففعوت عنهم غفوة غير مثرّب وتركتهم ليقاب يوم سمرّد

وقال ثعلب ثرب وأثرب فلان على فلان أي عدّد عليه ذنوبه وقال ابو مسلم هو مأخوذ من الثرب وهو شحم
الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والبلوغ بذلك إلى اقصى غايته

✽ الاعراب ✽

هل علمتم استقمام والمراد به التقرير ما فعلتم بيوسف تقديره أي شيء فعلتم بيوسف فكأن ما في موضع
نصب والجملة معلقة بعلمتم وقوله فإن الله لا يضيع أجر المحسنين في موضع الجزم بأنه جواب الشرط وذكر المحسنين
تاب عن الضمير العائد إلى من لأن الاتقاء والصبر في معنى الإحسان فكأنه قال لا يضيع جزاءه، لأن يوسف
هذه لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبره ان ويجوز ان يكون انت فصلاً كما علمت فيما تقدم
وقوله لا تثريب عليكم نكرة مفردة مبنية مسع لا على الفتح ولا يجوز أن يتعلق عليكم به إذ لو كان
كذلك لكان مشتبهاً بالمضاف من حيث يكون عاملاً فيما بعده ويكون عليكم من تمامه وكان يجب أن يكون
منصوباً منونا كما تقول لا مرورا يزيد عندك وإذا عرفت هذا فإن عليكم ههنا فيه وجهان أحدهما ان
يكون في موضع الخبر على تقدير لا تثريب بثبت عليكم او ثابت عليكم ثم حذف ذلك وانتقل الضمير منه إلى
عليكم حيث سد مسده والآخر ان يتعلق بمضمر ذلك المضمر وصف للتثريب وعلى هذا فيجوز فيه
وجهان أحدهما ان يكون في محل رفع تقديره لا تثريب ثابت عليكم كما تقول لا رجل ظريف
والآخر ان يكون في محل نصب تقديره لا تثريب ثابتاً عليكم كما تقول لا رجل ظريفاً ثم حذف
الصفة وقام الظرف مقامه ويكون اليوم على هذا الوجه خبر لا وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون خبراً بعد خبر
ويجوز أن يكون متعلقاً بالضمير الذي في الخبر ويجوز ان يكون قد تم الكلام عند قوله عليكم وتعلق اليوم
بما بعده فيكون تقديره اليوم بقر الله لكم وهذا اختيار الأخفش وهكذا الكلام في قوله لا ريب فيه

(المعنى) -

ولما قال يعقوب لبيه اذهبوا فتحسنوا من يوسف واخيه خرجوا إلى مصر (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف
(قالوا يا ايها العزيز منا واهلنا الضر) أي اصابنا ومن يختص بنا الجوع والحاجة والشدة من السنين الشدادات القحط
وقيل انهم شكوا ما نالهم من هلاك مواشيهم والبلاء الذي اصابهم (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي ندافع بها
الأيام ونقوتها وليست ما يتسع به وقيل رديئة لا تؤخذ إلا بؤكس عن ابن عباس والجائني وقيل قليلة عن الحسن
ومجاهد وقتادة وابن زيد والي مسلم واختلف في تلك البضاعة فقيل كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق في ثمن
الطعام عن عكرمة عن ابن عباس وقيل كانت خلق الفرارة والحبل ورث المتاع عن ابن ابي مليكة عنه وقيل
كانت متاع الاعراب الصوف والسنن عن عبد الله بن الحرث وقيل الصنوبر والحبة الخضراء عن الكلبي ومقاتل
وقيل دراهم فسول عن سعيد بن جبير وقيل كانت أقطاً عن الحسن وقيل النعال والأدم عن الضحاك وعنه ايضاً
انها سويق المقل (فأوف لنا الكيل) كما كنت توفى في السنين الماضية ولا تنظر إلى قلة بضاعتنا في هذه السنة
(وتصدق علينا) أي ساحتنا بما بين النقيدين وسعر لنا بالردى كاتسعر بالجيد وقيل معناه تصدق علينا برد اخينا
عن ابن جرييم والضحاك (إن الله يجزي المتصدقين) أي يشيهم على صدقاتهم بأفضل منها وفي كتاب النبوة

(١) فاعل خطن ضمير يرجع الى الخيل . وكاهل : بطن من بني اسدشركوا في دم ابيه . والعلاجل : السيد
المعظم يريد به اباة وقبل هذا البيت « والله لا ينهب شيخي باطلا حتى ابرمالكا وكاهلا » (٢) الوكس : النقص .
(٣) الفصل : كل مسترذل ردى .

بالاستناد عن الحسن بن محبوب عن ابي اساميل القراء عن طربال عن ابي عبد الله (ع) في خبر طويل أن يعقوب كتب إلى يوسف بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر ومظهر المدل وموفي الكيل من يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صاحب نمروذ الذي جمع له النار ليعرقه بها فبصلها الله عليه بردا وسلاما وانجاه منها اخبرك ايها العزيز انا اهل بيت لم يزل البلاء الينا سريبا من الله ليلونا عند السراء والضراء. وأن المصائب تابعت علي عشرين سنة اولها انه كان لي ابن سميت يوسف وكان سروري من بين ولدي وقررة عيني وثمرة فوادتي وأن اخوته من غير امه سألوني أن ابشيه معهم يرتع ويلب فبعثته معهم بكرة فجاؤني عشاء يسكون وجاءوا على قبضه بدم كذب وزعموا أن الذئب اكله فاشتد لفقدته حزني وكثر من فراقه بكائي حتى ابيضت عياني من الحزن وانه كان له اخ وكنت به معجبا وكان لي انيسا وكنت إذا ذكرت يوسف ضمته إلى صدري فسكن بعض ما اجد في صدري وأن اخوته ذكروا لي انك سألتهم عنه وأمرتهم ان يأتوك به فإن لم يأتوك به منتهم الميرة فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحا فرجعوا اليّ وليس هو معهم وذكروا انه سرق مكيبال الملك ونحن اهل بيت لا نسرق وقد حبسته عني وفجعتني به وقد اشتد لفراقه حزني حتى تقوسّ لذلك ظهري وعظمت به مصيبي مع مصائب تابعت علي فمن علي بتخليه سييله واطلاقه من حبسك وطيب لنا القمح واسمع لنا في السمير وارف لنا الكيل وعجل سراح آل ابراهيم قال فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضيق إلى آخر الآية وتصدق علينا بأخيئنا ابن يامين وهذا كتاب ايئنا يعقوب اليك في امره يسألك تخليه سييله فمن به علينا فأخذ يوسف كتاب يعقوب وقبله ووضع على عينيه وبكى وانتحب حتى بلت دموعه القميص الذي عليه ثم اقبل عليهم وقال قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخييه (ومعناه انه قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف من اذلاله وابعاده عن ابيه والقائه في البثر والاجتماع على قتله وبيعه بشمن وكس وما فعلتم بأخييه من افراذه عن يوسف والتفريق بينها حتى صار ذليلا فيا بينكم لا يكلمكمم إلا كما يكلم الذليل العزيز وإننا لم يذكر اياه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من النعم لفراقه تعظيما له ورفقا من قدره وعلما ان ذلك كان بلاء له ليزداد به علو الدرجة ورفعة المنزلة عند الله تعالى قال ابن الانباري هذا استفهام يعني به تعظيم القصة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم وما اقبح ما اتيتم من قطيعة الرحم وتضييع حقه كما يقول الرجل هل تدري من عصيت وفي هذه الآية مصداق قوله لتبنتنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله (إذ انتم جاهلون) اي صبيان عن ابن عباس وقيل شبان عن الحسن ومعناه فعلتم ذلك حين كنتم جاهلين جاهلية الصبي في عفوان الشباب حين يغلب على الانسان الجهل ولم ينسبهم إلى الجهل في حال الخطاب لانهم كانوا تائبين نادمين في تلك الحال وكان هذا تلقينا لهم لما يمتدرون به اليه وهذا هو النايبة في الكرم إذ صفع عنهم ولقنهم وجه المذر وقالوا أأنك لأنت يوسف قيل ان يوسف لما قال لهم هل علمتم الآية تبسم فلما ابصروا ثناباه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف (قالوا) له (أأنك لأنت يوسف) من ابن عباس وقيل رفع التاج عن رأسه فمرفوه (قال أنا يوسف) اظهر الاسم ولم يقل انا هو تعظيما لما وقع به من ظلم اخوته فكأنه قال انا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه الممانى عن ابن الانباري قال ولهذا قال (وهذا اخي) لأن قصده وهذا المظلوم كظلمي (قد من الله علينا) بالاجتماع بعد طول الفرقة وقيل من الله علينا بكل خير في الدنيا والآخرة (انه من يتق) اي يتق الله (ويصبر) على المصائب وعن الماصي (فإن الله لا يضيع اجر المحسنين) اي اجر من كان هذا حاله والضياع ذهاب الشيء من غير عوض (قالوا تالله) اي اقسموا بالله سبحانه (لقد آتوك الله علينا) اي فضلك واختارك الله علينا بالحلم والملم والمقل والحسن والملك (وإن كنا لحاططين) اي ما كنا إلا مخطئين آتئين فيا فعلنا وهذا يدل على انهم ندموا على ما فعلوا ولم يصبروا عليه (قال) يوسف (لا تترب عليكم اليوم) اي لا تمييز ولا توبيخ ولا تعريض عليكم الآن فيا فعلتم (يفر الله لكم) ذنوبكم فإنني استغفر الله لكم (وهو ارحم الراحمين) في غفوه

منكم ما تقدم من ذنبكم وقيل في صنيعه بي حتى جعلني ملكا وقيل اراد باليوم الزمان فتدخل فيه الاوقات كلها كما قال الشاعر

فَالْيَوْمَ يَرْحَمُنَا مَنْ كَانَ يَغِيظُنَا
وَالْيَوْمَ نَتَّبِعُ مَنْ كَانُوا لَنَا قَبَا

وقيل ان الكلام قد تم عند قوله لا تثرىب عليكم ثم ابتداء بقوله اليوم يفر الله لكم وهو دعاء لهم (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه ابى يأت بصيراً) قيل انه «ع» لما عرفهم نفسه سألمهم عن ابيه فقال ما فعل ابى بعدي قالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا واطرحوه على وجهه يعد بصيراً كما كان من قبل قال ابن عباس يأت بصيراً يرتد بصيراً ويذهب البياض الذي على عينيه (وأترني بأهلكم أجمعين) إذا عاد بصيراً وهذا كان معجزاً منه إذ لا يعرف انه يعود بصيراً بل لقاء القميص على وجهه إلا بالرحي وقيل ان يوسف قال إنما يذهب بقميصي من ذهب به اولاً فقال يهوذا انا ذهبت به وهو ملطخ بالدم فأخبرته انه أكله الذئب قال فاذهب بهذا ايضا واخبره انه حي وافرحة كما حزنته فحمل القميص وخرج حافياً حاسراً حتى اتاه وكان معه سبعة ارغفة وكانت مسافة بينهما ثمانين فرسخاً فلم يستوف الأربعة في الطريق وقد ذكرنا شأن القميص من قبل وروى ايضا الواحدى باسناده يرفعه الى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال ان نمرود الجبار لما التقى ابراهيم في النار نزل اليه جبرائيل بقميص من الجنة وطفنفة من الجنة فألبسه القميص واقمده على الطنفة وقدم معه يحدته فكسا ابراهيم ذلك القميص اسحاق وكساه اسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبه من فضة وعلقها في عنقه فألقى في الجب والقميص في عنقه فذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا وقال ابن عباس اخرج لهم قصبه من فضة كانت في عنقه لم يعلم بها اخوته فيها قميص وهو الذي نزل به جبرائيل على ابراهيم وذكر القصة وقال مجاهد امره جبرائيل ان ارسل اليه قميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا صح وعوفي

قوله تعالى (٩٤) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٥)
قَالُوا نَأْتِيهِ اللَّهُ إِنْكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٦) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا
قَالَ أَمْ أَقُلُّ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٧) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٨) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (خمس آيات)

❖ اللفظة ❖

الفصل أصله القطع ومنه قيل للحاكم فيصل لأنه يقطع الأمور والتفنيذ تضعيف الرأي قال
يَا صَاحِبِي دَعَا لَوْمِي وَتَفْنِيدِي
فَلَيْسَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرِ بِمَرْدُودٍ
والفند ضم الرأي وقيل ان أصله الفساد قال النابغة
إِلَّا سَلِيَانٌ إِذْ قَالَ الْمَلِكُ لَهُ
قَمِّ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنْدِ (٢)
أي امنعها عن الفساد

❖ المعنى ❖

(ولما فصلت المير) أي لما خرجت القافلة وانفصلت من مصر متوجهة نحو الشام (قال ابوهم) يعقوب لأولاد أولاده الذين كانوا عنده (إني لأجد ريح يوسف) روي عن ابى عبد الله (ع) قال وجد يعقوب ريح قميص يوسف حين فصلت المير من مصر وهو بفلسطين من مسيرة عشر ليال وقيل من مسيرة ثمانين ليال عن ابن عباس وقيل من ثمانين فرسخاً عن الحسن وقيل مسيرة شهر عن الأصم قال ابن عباس هاجت ريح فحملت بريح قميص يوسف (١) الطنفة: البساط (٢) هذا البيت من قصيدة له يعتبرها بعض العلماء إحدى المعلقات يندح فيها النعمان بن المنذر وقيل «ولا ارى فاعلاً في الناس يشبهه في ولا حاشى من الاقوام من احد»

إلى يعقوب وذكر في القصة ان الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقيص
فأذن لها فأتته بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا وقد أكثر الشعراء من ذكرها فمن ذلك قوله

فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا نَفَسَمَتْ
عَلَى نَفْسٍ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومَهَا

وقول ابي الصخر الهذلي

إِذَا قَلَّتْ هَذَا حِينَ اسْلُو يَهْجِنِي
نَسِيمِ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطَّلِعُ الْفَجْرُ

وقوله (لولا أن تفندون) معناه لولا أن تسفهوني عن ابن عباس ومجاهد وقيل لولا أن تضعفوني في الرأي
عن ابن اسحاق وقيل لولا أن تكذبوني والفند الكذب عن سعيد بن جبير والسدي والضحاك وروى ذلك أيضا
عن ابن عباس وقيل لولا أن تهرموني عن الحسن وقتادة أي تقولون انه شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله وتقديره
اني اقطع انها ريح يوسف لولا أن تفندون (قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم) اي قالوا له اشفاقا عليه وترحما
انك لفي ذهابك القديم عن الصواب في حب يوسف (ع) وانه كان عندهم ان يوسف قد مات منذ سنين ولم يريدوا
بذلك الضلال عن الدين وانما ارادوا به المبالغة في حب يوسف والأمانى الفاسدة فيما كان يرجو من عوده بعد موته
عن قتادة والحسن وقيل معناه انك لفي شقائك القديم عن مقاتل وفي هذا دلالة على ان لفظ القديم قد يطلق في
اللغة على المتقدم في الوجود (فلما ان جاء البشير) وهو يهوذا عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انه مالك بن
ذعر (القاه على وجهه فارتد بصيرا) اي القى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فعاد بصيرا قال الضحاك عاد
اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال للبشير ما أدري ما أتيتك به
هو الله عليك سكرات الموت (قال) يعقوب لهم (ألم أقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون) اي اني
كنت اعلم ان الله يصدق رؤيا يوسف ويكشف الشدائد عن أنبيائه بالصبر وكنتم لا تعلمون ذلك قال الحسن
كان الله سبحانه أعلمه بجياته ولم يعلمه بكائه (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) فيا فعلنا (قال)
يعقوب (سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) إنما لم يستغفر لهم في الحال لأنه أخرهم إلى سحر
ليلة الجمعة عن ابن عباس وطاوس وروى ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل أخرهم إلى وقت السحر لأنه اقرب
إلى إجابة الدعاء عن ابن مسعود وابراهيم التيمي وابن جريج وروى أيضا عن ابي عبد الله (ع) وقيل انه كان
يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة عن وهب وقيل انه كان يقوم ويصلي اولاده خلفه عشرين سنة يدعو
ويؤمنون على دعائه واستغفاره لهم حتى نزل قبول توبتهم وروى ان جبرائيل (ع) علم يعقوب هذا الدعاء يارجاه
المؤمنين لا تخيب رجائي ويا غوث المؤمنين أغثني ويا عون المؤمنين اعني ويا حبيب التوايين تب علي واستجب لهم

قوله تعالى (٩٩) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ

آمِينَ (١٠٠) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ
قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ
نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠١) رَبِّ قَدْ
آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ نُوَفِّئُ مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ (١٠٢) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ
لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (أربع آيات)

* الإعراب *

دخول من في قوله من الملك ومن تأويل الأحاديث جائز أن يكون للتبويض فيكون المراد آتيتني بعض الملك وعلمتني بعض تأويل الأحاديث وجائز أن يكون تبين هذا الجنس من سائر الاجناس فيكون المعنى آتيتني الملك وعلمتني التأويل عن الزجاج قال وقوله توّتي الملك من تشاء وتزع الملك من تشاء يدل على ان من هاهنا لتبين الجنس ومثله قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان اي الرجس الذي هو وثن فاطر السماوات والأرض منصوب على وجهين ﴿ احدها ﴾ ان يكون على الصفة لقوله رب لأن المعنى ياربي فهو نداء مضاف في موضع نصب فيكون فاطر السماوات صفة له وجائز أن ينتصب على انه نداء ثان على تقدير يافطر السماوات وذلك في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره من انباء الغيب ويكون نوحيه اليك خبراً ثانياً وإن شئت جعلت نوحيه هو الخبر وجعلت ذلك في معنى الذي وقوله من انباء الغيب صلته

— المعنى —

(فلما دخلوا على يوسف) هاهنا حذف تقديره فلما خرج يعقوب وأهله من ارضهم واتوا مصر دخلوا على يوسف وفي حديث ابن محبوب باسناده عن ابي جعفر (ع) أن يعقوب قال لولده تحملوا إلى يوسف من يومكم هذا بأهلكم اجمعين فساروا اليه ويعقوب معهم وخالة يوسف ام يامين فحشوا السير فرحا وسرورا تسعة أيام إلى مصر فلما دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق اياه وقبله وبكى ورفعه ورفع خاله على سرير الملك ثم دخل منزله واكتحل وادهن ولبس ثياب العز والملك فلما رآوه سجدوا جميعا اعظاما له وشكراً لله عند ذلك ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهن ولا يكتحل ولا يتطيب حتى جمع الله بينه وبين ابيه واخوته وقيل ان يوسف بعث مع البشير مائتي راحلة مع ما يحتاج اليه في السفر وسألهم أن يأتوه بأهلهم اجمعين فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف في الجند وأهل مصر فقال يعقوب يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك ثم تلاقيا قال الكبي على يوم من مصر فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام قال "سلام عليك يا مذهب الأحرار وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال "أتيت يعقوب إلى مصر فخرج يوسف ليستقبله فلما رآه يوسف همّ بأن يترجل نه ثم نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرائيل فقال له يا يوسف إن الله جل جلاله يقول منعك ان تنزل إلى عدي الضالع ما انت فيه ابسط يدك فبسطها فخرج من بين اصابه نور فقال ما هذا يا جبرائيل قال هذا انه لا يخرج من صلبك نبي ابداً عقوبة بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل اليه وقوله (آوى اليه ابويه) اي ضمها اليه وأنزلها عنده وقال اكثر المفسرين انه يعني بأبويه اباه وخاله فسمى الخالة أمماً كما سعى العم ابا في قوله وإله آبائك ابراهيم واسماعيل وذلك ان أمه كانت قد ماتت في نفاسها بابن يامين فتزوجها ابوه وقيل يريد اباه وأمه وكانا حين عن ابن اسحاق والجباثي وقيل ان راحيل أمه نشرت من قبرها حتى سجدت له تحقيقاً للرواية عن الحسن (وقال) لهم قبل دخولهم مصر (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) والاستثناء يعود الى الأمن وإنما قال آمنين لأنهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بجوازهم قال وهب انهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وسبعون إنساناً وخرجوا مع موسى وهم ستائة الف وخمس مائة وبضع وسبعون رجلاً (ورفع ابويه على العرش) أي رفعها على سرير ملكه اعظاماً لها والعرش السرير الرفيع عن ابن عباس والحسن وقناة (وخرروا له سجداً)

اي انحطوا على وجوههم وكان تحية الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود والانحناء والتكفير عن قتادة ولم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة عجلها لهم قال اعشى بن ثعلبة

فَلَمَّا أَنَا بَعِيدَ الْكَرَى سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا الْعَارَا (١)

وكان من سنة التعظيم يومئذ ان يسجد للمعظم عن الزجاج وقيل كان سجودهم كهيئة الركوع كما يفعل الأعجم عن الكلبي وقيل ان السجود كان لله تعالى شكراً كما يفعله الصالحون عند تجدد النعم والهاء في قوله له عائدة الى الله تعالى اي سجدوا لله تعالى على هذه النعمة وتوجهوا في السجود اليه كما يقال صلى للقبلة ويراد به استقبالها عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قال علي بن ابراهيم وحدثني محمد بن عيسى بن عبيد ابن يقطين ان يحيى بن اكثم سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل فعرضها على ابي الحسن علي بن محمد (ع) فكان احداها ان قال اخبرني اسجد يعقوب وولده ليوسف وهم انبياء فأجاب ابو الحسن عليه السلام اما سجود يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف وانما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف كما ان السجود من الملائكة لادم كان منهم طاعة لله وتحية لادم فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله تعالى لاجتماع شملهم لم تر انه يقول في شكره في ذلك الوقت رب قد آتيتني من الملك الآية الخبر بتمامه (وقال) يوسف (يا أبت هذا تأويل رويي) اي هذا تفسير رويي وتصديق رويي التي رأيتها (من قبل قد جمعها ربي حقاً) اي صدقا في اليقظة وقيل كان بين الرويا وتأويلها ثمانون سنة عن الحسن وقيل سبعون سنة عن عبد الله بن شوذب وقيل اربعون سنة عن سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد وقيل اثنتان وعشرون سنة عن الكلبي وقيل ثمانين سنة عن ابن اسحق قال ابن اسحق وولد ليوسف من امرأة العزيز ابراهيم وميشا ورحمة امرأة ايوب وكان بين يوسف وبين موسى اربعمائة سنة (وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن) اي وقد احسن ربي الي حيث اخرجني من السجن وانعم علي به (وجاء بكم من البدو) اي من البادية فانهم كانوا يسكنون البادية ويرعون اغنامهم فيها فكانت مواشهم قد هلكت في تلك السنين بالقطع فأغنامهم الله تعالى بتصيرهم الي يوسف وانا بدأ (ع) بالسجن في تعداد نعم الله دون اخراجهم من الجب كرمنا لئلا يبدأ بصنيع اخوته به وقيل لأن نعم الله تعالى في اخراجهم من السجن كانت اكثر ولأن السجن طالت مدته وكثرت محنته (من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) اي من بعد ان افسد الشيطان بيني وبين اخوتي وحرش بيني وبينهم وقال ابن عباس معناه دخل بيننا بالحسد (ان ربي لطيف لما يشاء) اي لطيف في تدبير عبادته يدبر امرهم على ما يشاء ويسهل لهم العسير ويلطفه حصص هذه النعم علينا من الاجتماع وغيره قال الازهري اللطيف من اسماؤه سبحانه مغناه الرفيق بعباده يقال لطف فلان بفلان لطفاً اذا رفق وقال غيره اللطيف الذي يوصل اليك اربك في رفق وقيل اللطيف العالم بدقائق الأمور انه هو العليم بجميع الاشياء (الحكيم) في كل التدابير وفي كتاب النبوة بالاستناد عن ابي عبد الله (ع) قال قال يعقوب ليوسف يا بني حدثني كيف صنع بك اخوتك قال يا ابيه دعني فقال اقسمت عليك الا اخبرتني فقال له اخذوني واقعدوني على رأس الجب ثم قالوا لي اترع قميصك فقلت لهم إني اسألكم بوجه ابي يعقوب ان لاتنزعوا قميصي ولا تبدوا عورتني فرفع فلان السكين علي وقال انزع فصاح يعقوب فسقط مشياً عليه ثم افاق فقال له يا بني كيف صنعوا بك فقال يوسف إني اسألك بالله ابراهيم واسماعيل واسحق الا اغشيتني قال فتذكره وروي ايضا ان يوسف قال ليعقوب (ع) يا ابيه لا تسأني عن صنيع اخوتي بي وسل عن صنع الله بي قال ابو حمزة بلغنا ان يعقوب عاش مائة وسبعا واربعين سنة ودخل مصر على يوسف وهو ابن مائة وثلاثين سنة وكان عند يوسف

(١) العمار: كل شيء على الرأس من عمامة او قلنسوة او تاج او غير ذلك. يعني وضناه من رؤسنا عظاماً له.

بمصر سبع عشرة سنة وقال ابن اسحق أقام يعقوب بمصر اربعا وعشرين سنة ثم توفي ودفن بالشام وقال سعيد بن جبير نقل يعقوب إلى بيت المقدس في تابوت من ساج ووافق ذلك يرم مات عيصو فدفنا في قبر واحد فمن ثم ينقل اليهود موتاهم إلى بيت المقدس وولد يعقوب وعيصو في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا واربعين سنة ثم رجع يوسف إلى مصر بعد ان دفن ابيه في بيت المقدس عن وصية منه إليه وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة وكان اول رسول في بني اسرائيل ثم مات واوصى ان يدفن عند قبور آباءه وقيل دفن بمصر ثم اخرج موسى عظامه فحمله حتى دفنه عند أبيه وقيل افضت النبوة بعده إلى روبيل ثم إلى يهوذا وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال قلت له كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر قال عاش حواين قلت فمن كان الحجة لله في الأرض يعقوب أم يوسف قال كان يعقوب الحجة وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشام فدفنه في بيت المقدس فكان يوسف بعد يعقوب الحجة قلت وكان يوسف رسولا نبيا قال نعم اما تسمع قوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وبالاسناد عن ابي خالد عن ابي عبد الله (ع) قال دخل يوسف السجن وهو ابن اثني عشرة سنة ومكث فيها ثلثي عشرة سنة وبقى بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة سنة وعشر سنين قالوا ولما جمع الله سبحانه ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له رؤياه ووسم عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم ان ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله سبحانه نعيما لا يفنى وتاقت نفسه إلى الجنة فتبني الموت ودعا به ولم يتم ذلك نبي قبله ولا بعده حتى أحد فقال (رب قد آتيتني من الملك) اي اعطيتني ملك النبوة وملك مصر (وعلمتني من تأويل الأحاديث) اي تأويل الرؤيا (فاطر السماوات والأرض) اي خالق السماوات والأرض ومنشئها لا على مثال سبق (أنت وليي) اي ناصرني ومدبري وحافظي (في الدنيا والآخرة) تتولى فيها اصلاح معاشي ومعادي (توفني مسلما) قال ابن عباس ما تمتي نبي تعجيل الممات الا يوسف لما انتظمت اسباب مملكته اشتاق إلى ربه وقيل معناه تبنتني على الإيمان إلى وقت الممات وأمتني مسلما (والحقني بالصالحين) اي بأهل الجنة من الانبياء والاولياء والصديقين وقيل لما جمع الله سبحانه بينه وبين ابيه واخوته احب ان يجتمع مع آباءه في الجنة فدعا بهذا الدعاء والمعنى العقبني بهم في ثوابهم ودرجاتهم قيل فتوفاه الله تعالى بمصر وهو نبي فدفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل من يحب ان يدفن في محلته لما كانوا يرجون من بركته فأروا ان يدفنوه في النيل فيمرا الماء عليه ثم يصل إلى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركاء وفي بركته شرعا سواء فكان قبره في النيل إلى ان حمله موسى (ع) حين خرج من مصر ثم عاد سبحانه بعد تمام القصة إلى خطاب النبي ﷺ فقال (ذلك) اي الذي قصصت عليك من قصة يوسف يا محمد (من انباء الغيب) اي من جملة اخبار الغيب (نوحيه اليك) على السنة الملائكة لتخبر به قومك ويكون دلالة على اثبات نبوتك ومعجزة دالة على صدقك (وما كنت لديهم) اي وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب (اذ أجمعوا امرهم) اذ عزموا على القائه في البئر واجتمعت آراؤهم عليه (وهم يكفرون) اي يمتسلون في أمر يوسف حتى القوه في البئر عن الجاني وقيل يكفرون بيوسف عن ابن عباس والحسن وقتادة

قوله تعالى (١٠٣) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَمَا تَسْلُمُ عَلَيْهِ مِنْ
 آجِرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
 عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٦) وَمَا يَبُوءُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٧) أَفَأَمِنُوا أَنْ نَأْتِيَهُمْ
 غَاشِيَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (خمس آيات)

* القراءة *

في الشواذ قراءة عكرمة وعمرو بن فائد والأرض يرون عليها بالرفع وقراءة السدي والأرض نصباً والقراءة المشهورة بالجر

— (الحجة) —

من رفع أو نصب وقف على السوات ثم ابتدأ والأرض فالرفع على الابتداء. والجملة بعدها خبره والعائد إلى المبتدأ المأمور عليها والضمير في عنها عائد إلى الآية وأما النصب فبفعل مضمر تقديره يطأون الأرض ويريد ذلك قراءة ابن مسعود يمشون عليها فلما ضم الفعل الناصب فشره بقوله يمشون عليها ومن جر الأرض على قراءة القراء. فإن شاء وقف على الأرض وإن شاء وقف آخر الآية

* اللفظة *

الحرص طلب الشيء بجاهد في إصابته والعالم الجماعة من الحيوان التي من شأنها ان تعلم مأخوذ من العلم وقيل لما حواه الفلك عالم على سبيل التبع للحيوان الذي ينتفع به وهو مخلوق لأجله والناشئة المجللة للشيء بانبساطها عليه وغشيه يفساه اذا غطاه والنعشاء الغطاء والبقعة الفجأة وهو مجيب الشيء من غير توقع

* الاعراب *

وكان في معنى كم واصلها اي دخلت عليها الكاف وبتنة مصدر وضع موضع الحال تقول لقيته بتنة وفجأة

* المعنى *

لما تقدم ذكر الآيات والمعجزات التي لو تفكروا فيها عرفوا الحق من جهتها فلم يتفكروا بين عقبيها ان التقصير من جهتهم حيث رضوا بالجهل وليس من جهته سبحانه لأنه نصب الأدلة والبيانات ولا من جهتك لأنك دعوتهم فقال (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) اي وليس اكثر الناس بمصدقين ولو حرصت على ايمانهم وتصديقهم واجتهدت في دعواتهم اليه وارشادهم اليه لأن حرص الداعي لا يضيئ شيئاً اذا كان المدعو لا يجيب (وما تسألهم عليه من أجر) اي ولا تسألهم على تبليغ الرسالة وبيان الشريعة اجرا فيصدقهم ذلك عن القبول وبينهم من الإيمان ويثقل عليهم ما يلزمهم من الفرامة فأعذارهم منقطعة (ان هو الا ذكر للعالمين) اي ما القرآن الا موعظة وعبرة وتذكير للخلق اجمعين فلست بنذير لهؤلاء خاصة (وكان من آية) اي كم من حجة ودلالة (في السماوات والأرض) تدل على وحدانية الله تعالى من الشمس والقمر والنجوم في السماء ومن الجبال والشجر والوان النبات واحوال المتقدمين واثار الأمم السالفة في الأرض (يمشون عليها) ويصرونها ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) اي هم عن التفكير فيها والاعتبار بها معرضون لا يتفكرون فيها يعني الكفار (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) اختلف في معناه على أقوال * احدها * انهم مشركو قريش كانوا يقولون بالله خالقا ومحيا ومميتا ويعبدون الاصنام ويدعونها آلهة مع انهم كانوا يقولون الله ربنا وإلهنا يرزقنا فكانوا مشركين بذلك عن ابن عباس والجبائي * وثانيها * انها نزلت في مشركي العرب اذ سألوهم من خلق السماوات والأرض وينزل المطر قالوا الله ثم هم يشركون وكانوا يقولون في تلبيتهم ليبيك لا شريك لك الا شريكا هولاك تملكه وما ملك عن الضحاك * وثالثها * انهم اهل الكتاب آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والانجيل ثم اشركوا بانكار القرآن وانكار نبوة نبينا محمد ^{صلى الله عليه وسلم} عن الحسن وهذا القول مع ما تقدمه رواه دارم بن قبيصة عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده عن ابي عبد الله (ع) * ورابعها * انهم المنافقون يظهرون الإيمان ويشركون في السر عن البلخي * وخامسها * انهم المشبهة آمنوا في الجملة واشركوا في التفصيل وروي ذلك عن ابن عباس * وسادسها *

ان المراد بالاشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها مماوجب الله عليها النار فأشركوا بالله في طاعته ولم يشركوا بالله شرك عبادة فيعبدون معه غيره عن ابي جعفر (ع) وروي عن ابي عبد الله انه قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لضاع عيالي جعل الله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه فقيل له لو قال لولا أن من الله علي بفلان لهلكت فقال لا بأس بهذا وفي رواية زرارة ومحمد بن مسلم وجران عنها (ع) انه شرك النعم وروي محمد بن الفضيل عن ابي الحسن الرضا (ع) قال انه شرك لا يبلغ به الكفر (أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) اي أفأمن هؤلاء الكفار ان يأتيهم عذاب من الله سبحانه يعمهم ويحيط بهم وهي من غاشية السرج لأنها تغممه بالسر وانما تأتي بانفضة التأنيث على تقدير العقوبة اي عقوبة مجاللة لحييتهم عن ابن عباس وقيل هو عذاب الاستئصال عن مجاهد وابي مسلم وقيل هي الصواعق والقوارع عن الضحاك (او تأتيهم الساعة) يعني القيامة (بنفة) اي فجأة على غفلة منهم (وهم لا يشعرون) بقيامها قال ابن عباس تهجم الصيحة بالناس وهم في اسواقهم

قوله تعالى (١٠٨) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٩) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ حفص عن عاصم إلا رجلا نوحى اليهم بالنون حيث كان وقرأ الباقون يوحى بالياء وفتح الحاء افلا تعقلون ذكرنا الخلاف فيه في سورة الأنعام

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الوجه في النون قوله إنا اوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح والوجه في الياء قوله وأوحى إلى نوح وقل اوحى إلى

— (اللثة) —

السبيل الطريق وهو المكان المهيأ للسلوك ودين الإسلام طريق بوّدي إلى الجنة والسبيل يذكر ويؤنث قال
فَلَا تَبْعُدْ فَكُلُّ بَنِي آدَمَ
سَيَصْبَحُ سَالِكًا تِلْكَ السَّبِيلَا
والبصيرة ما يبصر به الشيء أي يعرف والسير المرور الممتد في جهة ومنه السير واحد السور لامتداده في جهة

✽ المعنى ✽

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ ان يبين للمشركين ما يدعو اليه فقال (قل) يا محمد لهم (هذه سبيلي) اي طريقى وسنتي ومنهاجى عن ابن زيد وقيل معناه هذه الدعوة التي ادعو اليها ديني وطريقى عن مقاتل والجبائي ثم فسّر ذلك بقوله (ادعو إلى الله على بصيرة) أي ادعو إلى توحيد الله وعدله ودينه على يقين ومعرفة وحجة قاطمة لا على وجه التقليد (انا ومن اتبعني) اي ادعوكم انا وبدعوكم ايضا اليه من آمن بي ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصي الله قال ابن الانباري ويمجوز أن يتم الكلام عند قوله ادعو إلى الله ثم ابتداء وقال على بصيرة انا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس انه يعني اصحاب محمد كانوا على احسن طريقة (وسبحان الله) معناه تنزيها

لله عما اشر كوا وتقديره قل هذه سبيلي وقل سبحان الله وقيل انه اعتراض بين الكلامين والواو فيه مثل قولك قال الله وهو منزه عن الشركاء سبحان الله (وما انا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله نداً وكنفوا وولدا وفي هذه الآية دلالة على فضل الدعاء الى الله سبحانه وإلى توحيدہ وعدله وبعض ذلك الحديث عنه عليه السلام انه قال العلماء امتناء الرسل على عبادته وفيها دلالة ايضاً على انه (ع) كان يدعو إلى الله في كل اوقاته وإن كان بين الشرائع في اوقات ما وفيها دلالة ايضاً على أن الواجب في الداعي أن يكون على ثقة وبصيرة ودلالة قاطعة وذلك بوجوب فساد التقليد (وما ارسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى اليهم من اهل القرى) بين سبحانه انه إنما ارسل الرسل من اهل الأمصار لأنهم ارجح عقلاً وعلماً من اهل البوادي لبعدهم عن العلم والاهل عن فتادة وقال الحسن لم يبعث الله نبياً قط من اهل البادية ولا من الجن ولا من النساء وذلك أن اهل البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء وأهل الأمصار أحد فطناً (افل يسيروا في الأرض) اي افلم يسر هؤلاء المشركون المنكرون لنبوتك يا محمد في الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم المكذبين لرسولهم وكيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال فيعتبروا بهم ويحذروا مثل ما اصابهم (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يقول هذا صنيعنا بأهل الايمان والطاعة في دار الدنيا اذ اهلكنا عدوهم ونجيتناهم من شرهم ودار الآخرة خير لهم من دار الدنيا ونعيمها وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله سبحانه في غير هذا الموضع والدار الآخرة . فالآخرة نعت للدار لأن لجميع الخلق دارين الدار التي خلقوا فيها وهي الدنيا والدار الآخرة هي التي يعادون فيها خلقاً جديداً فإذا قال دار الآخرة فكأنه قال دار الخال الآخرة لأن للناس حالين حال الدنيا وحال الآخرة ومثل هذا في الكلام الصلاة الاولى وصلاة الاولى فمن قال الصلاة الاولى جعل الاولى نعتاً للصلاة ومن قال صلاة الاولى أراد صلاة الفريضة الاولى والساعة الاولى (أفلا تعلمون) اي أفلا يفهمون ما قبل لهم فيعلمون

قوله تعالى (١١٠) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١١) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (آيات)

(- القراءة -)

قرأ اهل الكوفة وابو جعفر كذبوا بالتخفيف وهي قراءة عليّ وزين العابدين ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد وزيد بن عليّ وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبیر وعكرمة والضحاك والأعمش وغيرهم وقرأ الباقر كذبوا بالتشديد وهي قراءة عائشة والحسن وعطاء والزهرى وقتادة وروى عن ابن عباس بخلاف ومجاهد بخلاف كذبوا بالتخفيف وفتح الذال والكاف وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل فنجي من نشأ بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء وقرأ الباقر فنجي من نشأ بنون وتخفيف الجيم وسكون الياء وفي الشواذ عن ابن عيص فنجا بفتح النون والجيم والتخفيف وعن عيسى الثقفي ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة برفع الاحرف الثلاثة والقراءة بتصبها

(- الحجة -)

قال ابو علي الضمير في ظنوا في قول من شدد كذبوا للرسل تقديره ظن الرسل اي تيقنوا او ظنوا الظن

الذي هو حبان ومعنى كذبوا تلقوا بالكذب كقولهم جنبته خطأته وتكذيبهم ايامم يكون بأن يلقوا بذلك كقولهم له وان نظنك لمن الكاذبين او بما يدل عليه وان خالفه في اللفظ ومن حجة التثقيب قوله فقد كذبت رسل من قبلك وقوله كذبوا رسلي وقوله الا كذب الرسل واما من خفف فقال كذبوا فهو من قولهم كذبتك الحديث ابي لم اصدقك وفي التنزيل وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وقياسه إذا اعتبر بالخلاف ان يتعدى الى مفعولين كما تعدى صدق في قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الأعمش (فَصَدَّقْتُهُ وَكَذَّبْتُهُ * وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ) قال سيويه كذب يكذب كذبا وقالوا كذبا فجاءوا به على فعال وقد خففه الأعمش وقال ذو الرمة

وَقَدْ حَلَفَتْ بِاللَّهِ مِثَّةً مَا الَّذِي
أَقُولُ لَهَا إِلَّا الَّذِي أَنَا كَاذِبُهُ (١)

والضمير الذي في قوله وظنوا انهم كذبوا للمرسل اليهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم يؤمنوا انزل بهم العذاب وإنما ظنوا ذلك لما شاهدوه من امهال الله اياهم واملائته لهم فإن قلت كيف يجوز أن يحمل الضمير في ظنوا على انه للمرسل اليهم الرسل والذين قد تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم قيل إن ذلك لا يمتنع لأن ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم لمقاربة احدي الاسمين الآخر ولما في لفظ الرسل من الدلالة على المرسل اليهم وقد قال الشاعر

أَمْنِكَ الْبَرِّقَ أَرْقَبُهُ فَهَاجَا
فَبِتُّ أَخَالَهُ دَهْمًا خِلَاجَا

اي بت اخال الرعد صوت دم فاضمر الرعد ولم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه لمقاربة لفظ كل واحد منها للآخر وفي التنزيل سراويل تقيكم الحر واستغنى عن ذكر البرد لدلالة الحر عليه وإن شئت قلت أن ذكرهم قد جرى في قوله أفلم ينسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبي رسل الله فإن ذهب ذاهب إلى ان المعنى ظن الرسل أن الذي وعد الله سبحانه اعمهم على لسانهم قد كذبوا به فقد اتى عظيما لا يجوز أن ينسب مثله إلى الانبياء ولا إلى صالحى عباد الله تعالى وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب إلى أن الرسل قد ضعفوا فظنوا انهم قد اخفوا لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد حدثنا احمد بن محمد قال حدثنا المؤمل قال حدثنا اسماعيل بن علية عن ابي المعلى عن سعيد بن جبير في قوله حتى إذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قال ان الرسل يشسوا من قومهم ان يؤمنوا وأن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما قالوا لم اتاهم نصر الله عند ذلك وأما قوله فنجي من نشاء فإن نجى حكاية للحال لأن القصة مما قد مضى وإنما حكى فعل الحال كما كانت عليه كما ان قوله وان ربك ليحكم بينهم حكاية للحال الكائنة وكما أن قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين جاء على الحكاية للحال الكائنة ومن ذلك قوله وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد فلولا حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل لانه إذا مضى اختص وصار معهودا فخرج بذلك من شبه الفعل الأترى أن الفعل لا يكون معهودا فكما أن اسم الفاعل إذا وصف أو حقر لم يعمل عمل الفعل لزوال شبه الفعل عنه بالاختصاص الذي يحدته فيه التحقير والوصف كذلك إذا كان ما ضيا واما النون الثانية من نجى فهي مخفاة مع الجيم وكذلك النون مع سائر حروف الفم لا تكون إلا مخفاة قال ابو عثمان تبيينها معها لحن وللنون مع الحروف ثلاث احوال الادغام والاختفاء والبيان وإنما تدغم إذا كانت مع مقاربتها كما يدغم سائر المقاربة فيما يقاربه والاختفاء فيها مع حروف الفم التي لا تقاربه والبيان فيها مع حروف الخلق فأما حذف النون الثانية من الخط فيشبه أن يكون لكراهة اجتماع المثليين فيه ألا ترى انهم كتبوا مثل العليا والسدينا ويحيا ونحو ذلك بالألف فلولا اجتماعها مع الياء لكتبت بالياء كما كتبت حبل ويخشى وما لم يكن فيه ياء من هذا النحو بالياء فكأنهم لما كرهوا اجتماع المثليين في الخط حذفوا النون وقوى ذلك انه لا يجوز فيها إلا الاختفاء ولا يجوز فيها البيان

(١) مية : اسم امرأة و«ما» نافية اي ليس الذي اقول الا كذبا .

فأشبه بذلك الإدغام لأن الإخفاء لا يبين فيه الحرف المخفي كما أن الإدغام لا يبين فيه الحرف المدغم بانه في غير الإدغام فلما وافق التون المدغم في هذا الوجه استجيز حذفه من الخط ومن ذهب إلى أن التون الثانية مدغمة في الجيم فقد غلط لأنها ليست مثل الجيم ولا مقاربة لها وإذا خلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم فيما اجتمع معه ومن قرأ فنجي فإنه أتى على لفظ الماهي لأن القصة ماضية ويقوي ذلك أنه عطف عليه فعل مسند إلى المفعول به وهو قوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ولو كان نجي مسندا إلى الفاعل كقول من خالته لكان لا يرد بأسنا أشبه ليكون مثل المعطوف عليه ومن قرأ تصديق الذي بين يديه وما بعده بالرفع فيكون التقدير لكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء فحذف المبتدأ وبقي الخبر

(- اللغة -)

استيأس بمعنى يش كأنه طلب اليأس لعلمه بامتناع الأمر والبأس الشدة وهو شدة الأمر على النفس ومنه البؤس الفقر ومنه لا بأس عليك والقصص الخبر يتلو بضمه بعضاً من اخبار من تقدم والعبارة الدلالة التي تعبر إلى البنية والالباب العقول واحدها لب وإنما سمي بذلك لأنه أقس شيء في الإنسان ولب كل شيء خياره

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن حال الرسل مع أهمهم تسلياً للنبي ﷺ فقال (حتى إذا استيأس الرسل) وهاتنا حذف بدل الكلام عليه وتقديره إنا أخرنا العقاب عن الأمم السالفة المكذبة لرسنا كما أخرناه عن أمثك يا محمد حتى إذا بلغوا إلى حالة يأس الرسل عن إيمانهم وتحقق بأسهم بأخبار الله تعالى إياهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) أي تيقن الرسل أن قومهم كذبوهم تكذيباً عاماً حتى أنه لا يصلح واحد منهم عن عائشة والحسن وقاتدة وإبي علي الجبائي ومن خفف فعناه ظن الأمم أن الرسل كذبوهم فيما أخبروهم من نصر الله إياهم واهلاك أعدائهم عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وأبي مسلم وقيل يجوز أن يكون الضمير في ظنوا راجعاً إلى الرسل أيضاً ويكون معناه وعلم الرسل أن الذين وعدوهم الإيمان من قومهم اخلفوهم أو كذبوا فيما أظهروه من الإيمان وروي أن سعيد بن جبير والضحاك اجتماعاً في دعوة فئس سعيد بن جبير في هذه الآية كيف بقرأها فقال وظنوا أنهم قد كذبوا بالتخفيف بمعنى وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوهم فقال الضحاك ما رأيت كاليوم قط لو رحلت في هذه إلى اليمن لكان قليلاً وروي ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال كانوا بشراً فضعفوا وبشوا وظنوا أنهم قد اخلفوا ثم تلا قوله تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه مني نصر الله الآية وهذا بعيد وقد يتأ ما فيه (جاءهم) أي جاء الرسل (نصرنا) حين بأسوا بأرسال العذاب على الكفار (فنجي من نشاء) أي نخلص من نشاء من العذاب عند نزوله وهم المؤمنون (ولا يرد بأسنا) أي عذابنا (عن القوم المجرمين) أي المشركين (لقد كان في قصصهم) أي في قصص يوسف وأخوته (عبارة) أي فكرة وبصيرة من الجهل وموعظة وهو ما أصابه (ع) من ملك مصر والجمع بينه وبين أبويه وأخوته بعد القائه في الجب ويصعب وجسه وقيل في قصصهم عبارة لأن نبينا ﷺ لم يقرأ كتاباً ولا سمع حديثاً ولا خالط أهله ثم حدثهم به في حسن معانيه وبراعة الفاظه ومبانيه بحيث لم يرد عليه أحد من ذلك شيئاً فهذا من أدل الدلائل على صدقه وصحة نبوته (لاولي الالباب) أي لذوي العقول (ما كان حديثاً يفتري) أي ما كان ما آداه محمد أو أنزل عليه حديثاً يختلق كذباً (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن كان تصديق الكتب الذي بين يديه لأنه جاء كما بشر به في الكتب عن الحسن وقاتدة (وتفصيل كل شيء) أي ويبان كل شيء يحتاج إليه من الحلال والحرام وشرائع الإسلام (وهدي) أي ودلالة (ورحمة) أي ونعمة ينتفع بها المؤمنون علماً وعملاً (لقوم يؤمنون) وإنما خصهم بذلك لأنهم المنتفعون به دون غيرهم وبالله التوفيق والمصمة وهو حسبتنا ونعم الوكيل

تمّ الجزء الخامس من كتاب

مجمع البيان في علوم القرآن

وقد تصدق لتصنيفه والتعليق عليه العبد المذنب الفاني السيد هاشم الرسول المحلّاق في عوفه ومن واليه

بمحمّد وآله الطاهرين

﴿ الجزء السادس ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (سورة الرعد)

مكية كلها عن ابن عباس وعطاء وقال الكلبى ومقاتل مكية إلا آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام وقال سعيد بن جبير كيف تكون هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام والسورة كلها مكية وقال الحسن وعكرمة وفتادة أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بعدها

﴿ عدد آياتها ﴾

اربعون وسبع آيات شامي وخمس بصري اربع حجازي ثلاث كوفي

﴿ اختلافها ﴾

خمس آيات لفي خلق جديد الظلمات والنور غير الكوفي الأعمى والبصير وسوء الحساب شامي من كل باب

عراقي شامي

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحب مضى وكل سحب يكون إلى يوم القيامة وكان يوم القيامة من المؤمنين بمهد الله تعالى وقال ابو عبد الله (ع) من أكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقة ابدا وإن كان مؤمنا أدخل الجنة بغير حساب وشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته واخوانه

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة يوسف بذكر قصص الأنبياء افتتح هذه السورة بأن جميع ذلك آيات الكتاب وأن الذي أنزله هو الحق تعالى فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْمُرْتَلِكِ آيَاتِ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٢) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ بِفَصْلِ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوْقِنُونَ (آيات)

ولم يعد أحد المرآة وعد الكوفيون طه وحم آية لأن طه مشاكلة لرؤس الآي التي بعدها بالالف مع انه لا يشبه الاسم المفرد كما اشبه صلوقاف ونون لأنها بمنزلة باب ونوح

﴿ اللفظة ﴾

العمد والعمد جميعا بمعنى واحد وهما جمع عمود وعماد إلا ان عمدا جمع عمود وعماد وعمدا اسم للجمع ومثله ادم وادم واهاب واهب وافيق وافق

* الاعراب *

الذي أنزل بجوز أن يكون موضعه رفعا على الابتداء ويجوز أن يكون موضعه بالمطف على آيات الكتاب ويكون الحق مرفوعا على اضرار هو ويجوز أن يكون في موضع جر بالمطف على الكتاب وتقديره تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل اليك من ربك ويكون الحق مرفوعا على الاضرار ويجوز أن يكون الحق مجرورا صفة للذي إذا جعلته عطفا على الكتاب ولكنه لم يقرأ به أحد من القراء

* المعنى *

(المر) قد فسّرناه في اول البقرة وبيّنا ما قيل فيه وروي ان معناه انا الله اعلم وأرى (تلك آيات الكتاب) أي هذه السورة هي آيات الكتاب التي تقدّم الوعد بها ليست بمفتريات ولا بسحر والكتاب القرآن عن ابن عباس والحسن وقيل ان الكتاب عبارة عن التوراة والانجيل والكتب المتقدمة والآيات الدلالات العجيبة المؤدية إلى المعرفة بالله سبحانه وانه لا يشبه الأشياء ولا تشبهه (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق فاعتصم بالله واعمل بما فيه وعلى القول الأول فإنه وصف القرآن بصفتين احدهما بأنه كتاب والأخرى بأنه منزل (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بأنه منزل وانه حق مع وضوحه (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها) لما ذكر الله سبحانه انهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق ويريد بالعمد السواري والدعائم وقيل فيه قولان * احدهما * ان المراد رفع السماوات بغير عمد وانتم ترونها كذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة والجبائي وابي مسلم وهو الأصح قال ابن عباس يعني ليس من دونها دعامة بدعما ولا فوقها علاقة تمسكها قال الزجاج وفي ذلك من القدرة والدلالة ما لا شيء أوضح منه لأن السماء محيطة بالارض مثبته منها بغير عمد * والأخر * ان يكون ترونها من نعت العمد فيكون المعنى بغير عمد مرئية فعلى هذا تعمدها قدرة الله عز وجل وروي ذلك عن ابن عباس وبجاهد (ثم استوى على العرش) قد مضى تفسيره وإذا حملنا الاستواء على معنى الملك والانتدار فالوجه في ادخال ثم فيه ولم يزل سبحانه كذلك ان المراد القداره على تصرفه وتقليبه وإذا كان كذلك فلا يكاد القديم سبحانه يوصف به إلا وقد وجد نفس العرش (وسخر الشمس والقمر) أي ذلعا لمنافع خلقه ومصالح عباده (كل يجري لأجل مسمى) أي كل واحد منهما يجري إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي تكور عندها الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم عن الحسن وقال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وللشمس مائة وثمانون منزلا تنزل كل يوم منزلا حتى تنتهي إلى آخر المنازل فلا تجاوزه وترجع إلى اول المنازل وينزل القمر كل ليلة منزلا حتى ينتهي إلى آخر منازلها (بدير الأمر) أي يدبر الله كل أمر من أمور السماوات والارض وأمور الخلق على وجه توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة (يفصل الآيات) أي يأتي بآية في أثر آية فصلا مميّزا بعضها عن بعض ليكون أمكن للاعتبار والتفكير وقيل معناه يبيّن الدلائل بما يحدّثه في السماوات والارض (لعلكم بقاء ربكم توقنون) أي لكي توقنوا بالبعث والنشور وتعلموا أن القادر على هذه الأشياء قادر على البعث بعد الموت وفي هذا دلالة على وجوب النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى وعلى بطلان التقليد ولولا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى

قوله تعالى (٣) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِينَ وَأَنْتَيْنِ بُغْسِي اللَّيْلِ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ (٤) وَفِي الْأَرْضِ

قَطَعُ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (آيات)

✽ القراءة ✽

قد ذكرنا الاختلاف في قوله بغشي الليل النهار في سورة الاعراف وقرأ ابن كثير وابو عمر وبعقوب وحفص
وزرع ونخيل صنوان أو غير صنوان جميعها بالرفع والباقون بالجر في الجميع وقرأ حفص صنوان بضم الصاد كذلك
رواية الحلواني عن القواس وقرأ الباقر بكسر الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن وقتادة صنوان وقرأ بسقي بالياء
ابن عامر وزيد ورويس عن بعقوب وقرأ الباقر تسقى بالتاء وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وروح عن بعقوب
وبفضل بالياء والباقر بالتون

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من رفع قوله وزرع فتقديره وفي الارض زرع ونخيل صنوان فجعله محمولا على قوله وفي الارض
قطع ولم يجعله محمولا على ما في الجنات من الأعناب والجنة على هذا تقع على الارض التي فيها الأعناب دون
غيرها كما تقع على الارض التي فيها الأعناب والنخيل دون غيرها ويقوي ذلك قول زهير

كَانَ عَيْنِي فِي غَرْبِي مُقْتَلَةً
مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقَى جَنَّةً سَخَّحًا (١)

فالمنى تسقى نخيل الجنة فأما من قرأ بالجر فإنه حمل النخيل والزرع على الأعناب فكأنه قال جنات من
اعتاب من زرع ونخيل والدليل على ان الارض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة قوله جعلنا لأحدهما
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا فكما سميت الارض ذات العنب والنخل والزرع جنة كذلك
يكون النخيل والزرع محمولين على الأعناب فتكون الجنة من هذه الأشياء ويقوي ذلك قوله

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
يَجْرِي حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغْلَةِ (٢)

والغلة إنما هي ما يكال بالقفيز في أكثر الأسماء قال والصنوان فيما يذهب اليه ابو عبيدة صفة للنخيل والمعنى أن
يكون من أصل واحد ثم يتشعب من الرؤوس فيصير نخلا ونخلين قال وقال بسقي بماء واحد لأنها تشرب من
أصل واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل وهي التمر وأجاز غيره أن يكون الصنوان من صفة الجنات وكأنه يكون
يراد به في المعنى ما في الجنات وإن جرى على لفظ الجنات وعلى هذا يجوز أن ترفع وإن جررت النخيل لأن الجنات
مرفوعة ولم يحك هذا في قراءة السبعة وأما الكسرة التي في صنوان فليست التي كانت في صنوكا ان الكسرة التي
في قنوا التي في قنوا لأن تلك قد حذفت في التكسير وعاقبتها الكسرة التي يجتلبها التكسير وكذلك
الكسرة التي في هجان وانت تريد الجمع ليست الكسرة التي كانت في الواحد ولكنه مثل الكسرة التي
في ظراف إذا جمعت عليه ظرفا وأما من ضم الصاد من صنوان فإنه جمعه مثل ذئب وذؤبان وربما تعاقب فعلان
وفعلان على البناء الواحد نحو حش وحشان وحشان وأما صنوان فنح الصاد فليست من أمثلة الجمع المكسر فإن
صح ذلك فإنه يكون اسما للجمع لا مثالا له من أمثلة التكسير فيكون بمنزلة الجامل والسامر ومثله قولهم السعدان
والضمران في الجمع ومن قرأ تسقى بالتاء فالمراد تسقى هذه الأشياء ومن قرأ بالياء حمله على الزرع وحده

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه وتعالى في الآية من نعمائه وآلائه على عباده في رفع السماوات وتسخير الشمس والقمر ودل
بذلك على وحدانيته عقبه بذكر الارض وما فيها من الآيات فقال (وهو الذي مد الأرض) أي بسطها طولا

(١) الغرب : الدلو العظيمة . والنواضح : الناقة التي تسقى الباء . والمقتلة : المذلة لعمل من الاعمال . والسحو
جميع السحوق : النخلة الطويلة . (٢) قائله الراجز وفي اللسان : يريد : بقصد قصدها .

وعرضا ليتمكن الحيوانات من الثبات فيها والاستقرار عليها (وجعل فيها رواسي) اي جبالا ثوابت لتمسك الارض ولو أراد أن يمسكها من غير جبال لفعل إلا انه أمسكها بالرواسي لأن ذلك اقرب إلى افهام الناس وادعى لهم إلى الاستدلال والنظر (وانهارا) اي وشق فيهما انهارا تجري فيها المياه ولولا الانهار لضاع اكثر المياه ولما امكن الشرب والسقي (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) اي وجعل في الارض من كل الثمرات لما كوتهم ومطعمهم صنفين اسود وأبيض وحلوا وحامضا وصيفيا وشتويا ورطبيا ويابسا عن ابن عباس وقيل الزوج قد يكون واحداً وقد يكون اثنين يقال زوج نمل وزوج نملين عن ابي عبيدة وإنما قال اثنين للتأكد والزوج في الحيوانات عبارة عن الذكر والانثى وفي الثمار عبارة عن لونين وقال الماوردي واحد الزوجين ذكر وأنثى كتحول النخل وانثائها وكذلك كل جنس من النبات وإن خفي الزوج الآخر حلو وحامض او عذب ومالح أو أبيض واسود او احمر واصفر فإن كل جنس من النبات ذو نوعين فصارت كل ثمرة زوجين هما اربعة انواع (يغشي الليل النهار) اي بليس ظلمة الليل ضياء النهار عن الحسن وقيل يدخل الليل في النهار والنهار في الليل عن ابن عباس وقيل معناه يأتي بالليل ليذهب بضياء النهار ويستتره ليسكن الحيوانات فيه ويأتي بضياء النهار ليمحو ظلام الليل وينصرف الناس فيه لمعايشهم (إن في ذلك) اي فيما سبق ذكره (لايات) اي لدلالات واضحات على وحدانية الله تعالى (لقوم يتفكرون) فيها فيستدلون منها على ان لهم صانعا (وفي الارض قطع متجاورات) أي ابعاض متقاربات مختلفات في التفاضل منها جبل صلب لا ينبت شيئا ومنها سهل حر ينبت منها سبخة لا تنبت عن ابن عباس ومجاهد والضحاك بين الله سبحانه باختلاف هذه الارضين مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض في الهيئة والنظر انه قادر على كل شيء من الأصناف المختلفة والموتلفة «وقيل» انها متجاورات بعضها عامر وبعضها غير عامر عن الزجاج (وجنات) اي بساتين (من اعناب وزرع ونخيل صنوان) اي نخلات من أصل واحد (وغير صنوان) اي نخلات من أصول شتى عن ابن عباس ومجاهد وقاتادة والصنو الأصل يقال هذا صنوه أي أصله عن ابن الأثير وقيل ان الصنوان النخلة تكون حولها النخلات وغير صنوان النخل المتفرق عن البراء بن عازب وسعيد بن جبير وقيل الصنو المثل والصنوان الامثال ومنها قوله ^{صنوان} عم الرجل صنو أبيه عن الجبائي (يسقى بماء واحد) اي يسقى ما ذكرناه من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المختلفة بماء النهار او بماء السماء (ويفضل بعضها على بعض في الأكل) اي ويفضل الله ومن قرأ بالنون فالمعنى تقبل نحن بعضها على بعض في الطعم واللون والطبع مع أن البئر واحدة والشرب واحد والجنس واحد حتى يكون بعضها حامضا وبعضها حلوا وبعضها مسرا فلو كانت بالطبع لما اختلف الوانها وطعمها مع كون الارض والماء والهواء واحدا وفي هذا أوضح دلالة على ان لهذه الأشياء صانعا قادرا أحدثها وأبدعها وديروها على ما تقتضيه حكمته والأكل الثمر الذي يؤكل (إن في ذلك) اي في اختلاف الوانها وطعمها عن ابن عباس وقيل ان فيما تقدم ذكره (لايات) اي حججا ودلالات (لقوم يعقلون) دلائل الله تعالى ويتفكرون فيها ويستدلون بها وروي عن جابر قال سمعت النبي ^{صلى الله عليه وسلم} يقول لعلي (ع) الناس من شجر شقي وان اوانت من شجرة واحدة ثم قرأ في الأرض قطع متجاورات وكنات من اعناب الآية قوله تعالى (٥) وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَقْنَا فَمَنْ يَخْلُقْ جَدِيدًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّبِئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ثلاث آيات عند الكوفي اربع آيات عند غيرهم

عدوا لني خلق جديد آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر إذا كنا بغير استفهام إنا بهمزة واحدة مطولة وكذلك بفعل بكل استفهامين يجتمعان في القرآن يستفهم بالثاني ولا يستفهم بالأول إلا في سورة الصافات والواقعة وأما نافع ويعقوب وسهل فأولهم يستفهمون بالأول بهمزة واحدة غير مطولة ولا يستفهمون بالثاني إلا في سورة النمل والعنكبوت إلا ان قالون عن نافع وزيدا عن يعقوب بمدان الهزمة مثل ابي جعفر، والكسائي ايضا يستفهم بالأول ولا يستفهم بالثاني إلا في سورة النمل غير انه يهزم بهزتين وابن عامر مثل ابي جعفر لا يستفهم في إذا كل القرآن إلا في سورة الواقعة فإنه يستفهم في أنذا وأنا جميعا بهزتين همزتين بينهما مد إنا يهزم ثم يمد ثم يهزم على وزن عاعنا ولا يجمع بين استفهامين إلا هاهنا وفي سورة النمل يستفهم إذا بهزتين أننا بنونين والكسائي مثله في هذا الموضع وأبو عمرو يستفهم فيها جميعا وفي جميع اشباهها بهزمة واحدة مطولة وابن كثير يستفهم فيها جميعا بهزمة واحدة غير مطولة وعاصم وحزمة وخلف يستفهمون فيها بهزتين همزتين كل القرآن وخالف ابن كثير وحفص عن عاصم في حرف واحد في السكبيوت وسندكره هناك إن شاء الله

— (الحجة) —

قال ابو علي من استفهم في الجملتين فوضع إذا نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله أنا لني خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نبث ونحشر فكأنه قال انبث إذا كنا ترابا ومن لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع إذا ايضا نصبا بما دل عليه قوله أنا لني خلق جديد فكأنه قال انبث إذا كنا ترابا وما بعد أن في انه لا يجوز أن يعمل فيما قبله بمنزلة الاستفهام فكما قدرت هذا الناصب لإذ مع الاستفهام لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله كذلك تقدره في ان لأن ما بعدها ايضا لا يعمل فيما قبلها ومن قرأ إذا كنا من غير استفهام أننا ينبغي ان يكون على مضمر كما حمل من تقدم على ذلك لأن ما بعد الاستفهام منقطع ما قبله

— (اللفظة) —

العجب والتعجب هجوم ما لا يعرف سببه على النفس والفعل طوق تشد به اليد الى العنق والاستعجال طلب التعجيل بالأمر والتعجيل تقديم الأمر قبل وقته والسيئة خصلة تسوء النفس وتقيضها الحسنة وهي خصلة تسر النفس والمثلات المعقوبات واحدها مثلة بفتح الميم وضم الناء ومن قال في الواحد مثلة بضم الميم وسكون الناء قال في الجمع مثلات بضم الميم نحو غرقة وغرقات وقيل في جمعها مثلات ومثلات ايضا قال الشاعر

وَمَا رَأَوْنَا بِأَدْيَا رُكْبَاتِنَا
عَلَى مَوْطِنٍ لَا يَخْلَطُ الْجِدُّ بِالْهَزْلِ

رووه بفتح الكاف في ركبات

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الأدلة على انه سبحانه قادر على الانشاء والاعادة عقبه بالتعجب من تكذيبهم بالبعث والنشور فقال (وان تعجب) يا محمد من قول هؤلاء الكفار في انكارهم البعث مع اقرارهم بايجاد خلق فقد وضعت التعجب موضعه لأن هذا قول عجب ومعناه عجب للمخلوقين لأن معنى العجب في صفات الله لا يجوز لأن العجب ان يشبه عليه سر امره فيستطرفه (فعجب قولهم) اي فقولهم عجب (إذا) كنا ترابا أننا لني خلق جديد (أي انبث ونماد بعد ما صرنا ترابا هذا مما لا يمكن وهذا منهم نهاية في الاعجوبة فإن الماء إذا حصل في الرحم استحال علقه ثم مضغه ثم لحما فإذا مات ودفن استحال ترابا فإذا جاز أن يتعلق الإشاء بالاستحالة الاولى فلم لا يجوز تعلقه بالاستحالة الثانية وسمى الله تعالى الاعادة خلقا جديدا واختلف المتكلمون فيما يصح

عليه الاعادة فقال بعضهم كما يكون مقدوراً للقديم سبحانه خاصة وبصح عليه البقاء بصح عليه الاعادة ولا يصح الاعادة على ما لا يقدر على جنسه غيره تعالى وهذا قول ابي علي الجبائي وقال آخرون كما كان مقدوراً له وهو مما يبقى يصح عليه الاعادة وهو قول ابي هاشم ومن تابعه فعلى هذا يصح اعادة اجزاء الحياة ثم اختلفوا فيما يجب اعادته من الحي فقال ابو القسم البلخي يعاد جميع اجزاء الشخص وقال ابو هاشم يعاد الاجزاء التي بها يتميز الحي من غيره ويعاد التأليف ثم رجع عن ذلك وقال تعاد الحياة مع البنية وقال القاضي ابو الحسن تعاد البنية وما عدا ذلك يجوز فيه التبديل وهذا هو الاصح (او كلك) المنكرون للبعث (الذين كفروا بربهم) اي جحدوا قدرة الله تعالى على البعث (واوئك الاغلال في اعناقهم) في الآخرة وقيل اراد به اغلال الكفر اي كفرهم اغلال في اعناقهم (واوئك اصحاب النار م فيها خالدون) مضى تفسيره (وبستمجلونك) اي يستمجلك يا محمد هؤلاء المشركون (بالسيئة قبل الحسنة) آية بالعذاب قبل الرحمة عن ابن عباس ومجاهد أي بالعقاب الذي توعدوا به على التكذيب قبل الثواب الذي وعدوا به على الايمان وذلك حين قالوا فأمطر علينا حجارة من السماء وقيل يستمجلونك بالعذاب الذي توعدهم به قبل الاحسان بالانظار فلان انظار من وجب عليه العقاب احسان اليه كانذار من وجب عليه الدين ومماها سيئة لانها جزاء السيئة (وقد خلت من قبلهم) اي مضت من قبلهم (المثلاث) اي العقوبات التي يقع بها الاعتبار وهو ما حل بهم من المسخ والحسف والفرق وقد سلك هؤلاء طريقهم فكيف يتجاسرون على استمجالها وقيل هي العقوبة الفاضحة التي تسير بها الامثال وتقديره وقد خلت المثلاث باقوام او خلا اصحاب المثلاث فحذف المضاف (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال المرتضى (ره) في هذه الآية دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من اهل القبلة لانه سبحانه دلنا على انه يغفر لهم مع كونهم ظالمين لأن قوله على ظلمهم اشارة إلى الحال التي يكونون عليها ظالمين ويجري ذلك مجرى قول القائل أنا اود فلانا على غدرة وأصله على هجره (وان ربك لشديد العقاب) لمن استحقه وروي عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احداً العيش ولولا وعيد الله وعقابه لانكل كل واحد وتلا مطرف يوماً هذه الآية فقال لو يعلم الناس قدر رحمة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت اعينهم ولو يعلم الناس قدر عذاب الله وبأس الله ونكال الله وتقمة الله ما رقأ لهم دمع ولا قرّت اعينهم بشيء (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) مثل الناقة والعصا عن ابن عباس وقال الزجاج طلبوا غير الآيات التي اتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى فاعلم الله أن لكل قوم هاد والمعنى انه سبحانه بين سوء طريقتهم في اقتراح الآيات كما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً وكما قالوا اجعل الصفا لنا ذهباً حتى نأخذ منه ما نشاء وإنما لم يظهر الله تعالى تلك الآيات لأنه لو اجاب أوئك لا قرح قوم آخرون آية اخرى و كذلك كل كافر فكان يؤدي إلى غير نهاية (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فيه أقوال **أحدها** ان معناه إنما أنت منذر اي مخوف وهاهنا لكل قوم وليس إليك انزال الآيات عن الحسن وابي الضحى وعكرمة والجبائي وعلى هذا فيكون انت مبتدأ ومنذر خبره وهاهنا عطف على منذر وفصل بين الواو والمعطوف بالظرف **والثاني** ان المنذر هو محمد والهادي هو الله تعالى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد **والثالث** ان معناه إنما أنت منذر يا محمد ولكل قوم هاد نبي يهديهم وداع يرشدهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة والزجاج وابن زيد **والرابع** ان المراد بالهادي كل داع الى الحق وفي رواية اخرى عن ابن عباس قال لما نزلت الآية قال رسول الله انا المنذر وعلي الهادي من بعدي يا علي بك يهتدي المهتدون وروي الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بالاستناد عن ابراهيم بن الحكم بن ظهير عن ابيه عن حكم بن جبير عن ابي بردة الأسلمي قال دعا رسول الله ﷺ بالظهور وعنده علي بن ابي طالب فأخذ رسول الله بيد علي بعد ما تطهر فألزمها بصدره ثم قال إنما أنت منذر ثم ردها الى صدر علي ثم قال ولكل قوم هاد ثم قال انك منارة

الانام وغاية الهدى وامير القرى واشهد على ذلك انك كذلك وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون هاد مبتدأ ولكل قوم خبره على قول سيبويه ويكون مرتفعاً بالظرف على قول الأخفش

قوله تعالى (٨) اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٩) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (١٠) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ لَئِيْلًا وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١١) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ يَسْبَدِ وَيَدُهُ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (اربع آيات)

(= القراءة) =

في الشواذ قراءة ابي البرهم (١) له معاقب من بين يديه ورقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله وروي عن ابي عبد الله (ع) له معقبات من خلفه ورفيق من بين يديه يحفظونه بأمر الله وروى عن علي (ع) وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي يحفظونه بأمر الله

(= الحجة) =

يجب أن يكون معاقب تكسير معقبة غير انه لما حذف احد القافين عوض منها الياء وقوله يحفظونه بأمر الله فمعناه يحفظونه مما يحاذره بأمر الله والمفعول سا محذوف قال ابن جني وأما قراءة الجماعة يحفظونه من امر الله فتقديره له معقبات من امر الله يحفظونه مما يخافه فمن على هذا مرفوعة الموضع لأنها صفة للمرفوع الذي هو معقبات وليس هذا على معنى يحفظونه من امر الله ان ينزل به لأنه لو كان كذلك لكانت منصوبة الموضع كقولك حفظت زيداً من الأسد والذي ذكرته رأي ابي الحسن فإن قلت فهلا كان تقديره على يحفظونه من امر الله بأمر الله ويستدل على ارادة الياء هنا بقراءة علي (ع) يحفظونه بأمر الله وجاز أن يكون يحفظونه بأمر الله لأن هذه المصائب كلها في علم الله وبإقداره فاعليها عليها فيكون هذا كقولك هربت من قضاء الله بقضاء الله قيل تأويل ابي الحسن اذهب في الاعتداد عليهم وذلك لأنه سبحانه وكل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر ومخاوفه التي لا يمتد عليهم بتسليطها عليهم فهذا اسهل طريقاً وارسخ في الاعتداد بالنعمة عليهم عرفاً

❀ اللغة ❀

الغيض ذهاب المائع في جهة العمق وغاضت المياه تقصت وغيضته تقصته قال

غَيْضٌ مِنْ عِبْرَاتِهِمْ وَقَلْنِي لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَىٰ وَلَقِينَا

المتعالي والمتعالي واحد وتعالى اي جل عن كل ثناء وقيل المتعالي المتدر على وجه يستحيل ان يساويه غيره والسارب الساري الجاري بسرعة والسرب بفتح السين والراء الماء السائل من الزيادة قال ذو الرمة

مَا بِالْأَعْيُنِ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرَبٌ (٢)

وقيل السارب الذاهب في الأرض ومنه قول قيس بن الحطييم (اني سربت وكنت غير سروب) ويقال خل سربه اي طريقه والمعقبات المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه ويكون بدلامنه وأصل التعقيب أن يكون الشيء تعقيب آخر والمعقب الطالب دينه مرة بعد مرة قال الشاعر

حَتَّىٰ تَهْجَرَ فِي الرِّوَا حِ وَهَاجَهَا طَلَبَ الْمَعْقِبِ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ (٣)

(١) أبي البرهم كسفرجل عنوان بن عثمان الزبيدي الشامي صاحب القراءات الشاذة كما عن القاموس

(٢) كلية الاداة : الرقعة التي تخط عروتها وجمعها الكلى . والمفرقة : المنشقة . (٣) هذا بيت من قصيدة للبيد بن ربيعة في وصف حمار وحش واتانه شبه به ناقته . وتهجر اي سار في الهاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحر . و الرواح : من ذوال الشمس الى الليل . وهاجها اي اتاها وأزعجها . يعني هذا الحمار يسوق اتانه امامه سوقاً غنياً وهو ملازم لها من خلفها كطالب دين مظلوم . والمظلوم نعت للمعقب ومرفوع باعتبار محله الذي هو الرفع بالفاعلية .

ومنه العقاب لأنه يستحق عقيب الجرم والعقاب لأنها تعقب الصيد تطلبه مرة بعد مرة وقيل إن واحد المعقبات معقب والجمع معقبة ومعقبات جمع الجمع كما قالوا رجالات عن القراء

— الأعراب —

ما في قوله ما تحمل وما تفيض وما تزداد استفهامية وموضعها نصب بالفعل الذي بعدها معناه أي شيء تحمل والجملة معلقة يعلم قال الزجاج سواء منكم من أمر القول ومن جهر به موضع من رفع سواء وكذلك من الثانية يرتفعان جميعاً سواء لأن سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد وعمرو في معنى ذو سواء لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يرتفع ما بعده إلا على الحذف تقول عدل زيد وعمرو والمضى ذو عدل زيد وعمرو لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين وإنما ترفع الأسماء أو صانها فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء

ترتفع ما رتعت حتى إذا دكرت فإمما هي إقبال وإدباراً

أي ذات إقبال وإدبار وكذلك زيد إقبال وإدبار وهذا ما كثر استعماله أعني سواء فجرى مجرى أسماء الفاعلين ويجوز أن يرتفع على أن يكون في موضع مستوى إلا أن سيئوبه يستقبح ذلك لا يجيز مستو زيد وعمرو لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبدأ بها لضغفها عن الفعل فلا يبدأ بها ويجر بها مجرى الفعل

✽ المعنى ✽

(الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي يعلم ما في بطن كل حامل من ذكر أو أنثى تام أو غير تام ويعلم لونه وصفاته (وما تفيض الأرحام) أي يعلم الوقت الذي تنقصه الأرحام من المدة التي هي تسعة أشهر (وما تزداد) على ذلك عن أكثر المفسرين وقال الضحاك الفيض النقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك أن النساء لا يلدن لأجل واحد وقيل يعني بقوله ما تفيض الأرحام الولد الذي تأتي به المرأة لأقل من ستة أشهر وما تزداد الولد الذي تأتي به المرأة لأقصى مدة الحمل عن الحسن وقيل معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاع الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف وابن زيد (وكل شيء) أي وكل شيء من الرزق أو الأجل أو ما سبق ذكره من أن (عنده بمقدار) أي بقدر واحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه على ما توجيه الحكمة (عالم الغيب والشهادة) أي عالم الغيب وقيل عالم السر والعلانية عن الحسن والأولى أن يحمل على الصوم ويدخل في هاتين الكلمتين كل معلوم نبه سبحانه بذلك على أنه عالم بجميع المعلومات الموجودات منها والمعدومات منها (الكبير) وهو السيد الملك القادر على جميع الأشياء وقيل هو الذي كل شيء دونه لكامل صفاته ولكونه عالماً لذاته قادراً لذاته حياً لذاته وقيل هو الذي كبر عن شبه المخلوقين (المتعالم) وهو الذي علا كل شيء بقدرته فلا يساويه قادر وقيل هو المنزه عما لا يجوز عليه في ذاته وفعله وعما يقوله المشركون (سواء منكم من أمر القول ومن جهر به) معناه سواء عند الله وفي علمه من أمر القول في نفسه وأخفاه ومن أعلنه وأبداه ولم يهضمه في نفسه (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) أي ومن هو مستتر منوار بالليل ومن هو سالك في سره أي في مذهبه ماض في حوائجه بالنهار معناه أنه يرى ما أخفته ظلمة الليل كما يرى ما أظهره ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل أحوال أهلهم وقال الحسن معناه ومن هو مستتر بالليل ومن هو مستتر بالنهار وضحح الزجاج هذا القول لأن العرب تقول انسرب الوحش إذا دخل في كئاسه (له معقبات) اختلف في الضمير الذي في له على وجوه ✽ أحدها ✽ أنه يعود إلى من في قوله من أمر القول ومن جهر به ✽ والآخر ✽ أنه يعود إلى اسم الله تعالى وهو عالم الغيب والشهادة ✽ وثالثها ✽ أنه يعود إلى النبي ﷺ في قوله إنما أنت منذر عن ابن زيد واختلف في المعقبات على أقوال ✽ أحدها ✽ أنها الملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار

ملائكة الليل وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والجبائي وقال الحسن ثم اربعة املاك يجتمعون عند صلاة الفجر وهو معنى قوله إن قرآن الفجر كان مشهودا وقد روي ذلك عن أمثنا «ع» ايضا * والثاني * انهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى يتنهبوا به إلى المقادير فيحيلون بينه وبين المقادير عن علي «ع» وابن عباس وقيل ثم عشرة املاك على كل آدمي يحفظونه * والثالث * انهم الأمراء والملوك في الدنيا الذين ينعون الناس عن المظالم وتكون لهم الاحراس والشرط والمواكب يحفظونه عن عكرمة والضحاك وروي ايضا عن ابن عباس وتقديره ومن هو سارب بالتهار له احراس وأعوان قدر انهم يحرسونه ولم يتجه احراسه من الله (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله) اي يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظة وقيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه عن الحسن وقيل يحفظونه من وجوه المهالك والمعاطب ومن الجن والانس والحوام وقال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فإذا جاء المقدربطل الحفظ وقيل من امر الله أي بأمر الله عن الحسن ومجاهد والجبائي وروي ذلك عن ابن عباس وهذا كما يقال هذا الامر بتدبير فلان ومن تدبير فلان وقيل معناه يحفظونه عن خلق الله فتكون من بمعنى عن كما في قوله وآمنهم من خوف أي عن خوف قال كعب: لولا ان الله وكل بكم ملائكة بذنوب عنكم في مطعمكم ومشرابكم وعوراتكم لخطفكم الجن (إن الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والحال الجميلة (حتى يغيروا ما بأقسامهم) من الطاعة فيعصون ربهم وبظلم بعضهم بعضا قال ابن عباس إذا انعم الله على قوم فشكروها زادهم وإذا كفرها سلبهم اباها وإلى هذا المعنى اشار امير المؤمنين (ع) بقوله إذا قبلت عليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر (وإذا أراد الله بقوم سوء) أي عذابا وإنما سماه سوءا لأنه يسوء (فلا مرد له) أي لا مدفع له وقيل معناه إذا أراد الله بقوم بلاء من مرض وسقم فلا مرد لبلائه (وما لهم من دونه من وال) يلي امرهم ويمنع العذاب عنهم

* النظم *

اتصلت الآية الاولى بقوله وإن تعجب الآية فإنه احتجاج للبعث والمعنى أن من كان بهذه الصفة في القدرة والعلم فإنه يقدر على البعث وقيل انها اتصلت بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقوله لولا انزل عليه آية من ربه يعني ان من يعلم غوامض الامور فهو اعلم بالمصالح ولو علم الصالح في انزال العذاب أو الآية لفعل عن البلخي وأبي مسلم وقوله له معقبات يتصل بقوله وسارب بالتهار عن الجبائي وقيل يتصل بقوله عالم الغيب والشهادة ويعلم ما تحمل كل انى أي كما يعلمهم جعل عليهم حفظة يحفظونهم وقيل يتصل بقوله إنما انت منذر يعني انه (ع) محفوظ بالملائكة واتصل قوله إن الله لا يغير ما بقوم إلى آخره بقوله ويستعجلونك بالعذاب يعني انه لا ينزل العذاب إلا بمن يعلم من جهنم التنفير حتى لو علم أن فيهم من يؤمن في المستقبل او يعقب مؤمنا لا ينزل العذاب وقيل بل اتصلت بالسارب يعني انه إذا اتى بالمعصية بطل به حفظه وحق به عقابه وقيل بل هو على الاطلاق والمعموم قوله تعالى (١٢) هو الذي يرىكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال (١٣) ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب به من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال (١٤) له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاه الكافرين إلا في ضلال (١٥) والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال (اربع آيات)

* القراءة *

في الشواذ قراءة الأعرج شديد المحال بفتح الميم وقراءة أبي مجلز بالفتحة والايصال

* الحجة *

قال ابن جني المحال مفعول من الحيلة قال ابو زيد يقال ما له حيلة ولا محالة فيكون تقديره شديد الحيلة وتفسيره قوله سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقوله ومكروا ومكر الله والايصال مصدر اصلنا أي دخلنا في وقت الأصيل ونحن موصلون

* اللفظة *

يقال اراه يريه اراءة وهو أن يجعله على صفة الرؤية باظهار المرئي له او يجعله على صفة يرى والسحاب جمع سحابة ولذلك قال الثقال ولو قيل الثقل لجاز والصواعق جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء والرعد والبرق ذكرنا معناها في اول البقرة والمحال الأخذ بالعقاب هاهنا فقال ماحله ماحلة ومحالا إذا قاواه حتى يتبين أيهما أشد ومحلت به محلا قال الاعشي

فَرَعَ نَبَعٌ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ غَزِيرِ النَّدى شَدِيدِ الْمِحَالِ (١)

والاستجابة والإجابة بمعنى غير ان في الاستجابة معنى الطلب قال «فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مَجِيبٌ» (٢) والظلال جمع الظل وهو ستر الشخص ما بازائه والظل الظليل وهو ستر الشمس اللازم واما التي فهو الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه ومنه الظلة لسترها والآصال جمع أصل وأصل جمع اصيل فهو جمع الجمع مأخوذ من الأصل فكأنه اصل الليل الذي ينشأ منه وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس وقد يقال في جمعه اصائل قال ابو ذؤيب

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمَ أَهْلِهِ وَأَقْعَدُ فِيهِ أَفْنَاءَهُ بِالْأَصَائِلِ

= (الاعراب) =

خوفاً وطمعاً لا ينتصبان على الفرض لأن ما ينتصب لذلك يجب أن يكون فاعله وفاعل الفعل الأول واحداً وهاهنا الخائف والطامع ليسا بالذي يري البرق وهما في قوله بدعوت ربهم خوفاً وطمعاً ينتصبان على الفرض لأن الخائف والطامع هناك هو الداعي فاعلمه فإنه جيد مفيد والمعنى هاهنا يخوفكم بما يريكم خوفاً ويطمئئكم طمعاً فالمصدر وقع موقع الحال وهم يجادلون في الله جاز أن تكون هذه الواو واللام أي يصيب بها من يشاء في حال جدالهم في الله لأنه جاء في التفسير أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فجادله فقال يا محمد من ربك أمن نحاس ام من حديد ام من لؤلؤ ام من باقوت ام من ذهب ام من فضة فأرسل الله عليه صاعقة ذهبت بقرنيه وهو قول انس بن مالك ومجاهد ويجوز أن يكون لما تمم الله اوصاف ما يدل على توحيده وقدرته قال بعد ذلك وهم يجادلون والكاف من قوله كباسط كفيه يتعلق بصفة مصدر تقديره إلا استجابة كائنة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء هذا إذا كان الكاف حرفاً وإذا كان اسماً محضاً فالتقدير إلا استجابة مثل استجابة باسط كفيه إلى الماء فلا يكون في الكاف ضمير أي كما يستجيب الماء باسط كفيه إليه واللام في قوله ليبلغ فاه يتعلق باسط كفيه وما هو ببالفه أي ما الماء يبالغ فاه وقيل ما فوه يبالغ الماء وقيل ما باسط كفيه إلى الماء يبالغ الماء وطوعاً وكرهاً مصدران وضما موضع الحال

= المعنى =

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً) أي تخويفاً واطمعاً فأقام الخوف والطمع مقام التخويف والاطماع وذكر فيه وجوه ▶ احدها ▶ أن المعنى خوفاً من الصواعق التي يكون معها وطمعاً في الفيث الذي يزيل القحط عن الحسن واني مسلم ▶ والثاني ▶ خوفاً للمسافر من

(١) النبم شجر تتخذ من أعصانه القسي والسهام . (٢) قائله كمسب بن سعد الفزوي يرثي خاه أبي الغوار . وقوله «وداع دعا يامن يجيب الى الندى» . (٣) القحف - بالكسر - : ما انفلق من الجمجمة .

ان يضل الطريق فلا يمكنه المسير وطعما للمقيم في نمو الزرع والخير الكثير عن قتادة والضحاك والجبائي
 الثالث ﴿ خوف لمن يخاف ضرَّ المطر لانه ليس كل بلد ينتفع فيه بالمطر وطعما لمن يرجو الانتفاع به
 عن الزجاج (وينشئ السحاب الثقال) أي ويخلق السحاب الثقال بالماء يرفعها من الأرض فيجرها في الجو
 (ويسبح الرعد بحمده) تسبيح الرعد دلالة على تنزيه الله تعالى ووجوب حمده فكأنه هو المسبح وقيل إن الرعد
 هو الملك الذي يسوق السحاب ويزجره بصوته وهو يسبح الله تعالى ويحمده وروي عن النبي ﷺ انه قال إن
 رزقكم سبحانه يقول لو أن عبادي اطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت
 الرعد وكان ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وكان ابن عباس يقول
 سبحان الذي سبحت له وروى سالم بن عبدالله عن ابيه قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق
 قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال
 سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي ديبته
 (والملائكة من خيفته) أي ويسبح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته قال ابن عباس إنهم خائفون من الله
 تعالى ليس كخوف ابن آدم لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب
 ولا شيء (و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) ويصرفها عن من يشاء إلا انه حذف وروي عن ابي جعفر الباقر
 عليه السلام أن الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب ذا كرا (وهم يجادلون في الله) يعني ان هؤلاء
 الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون اهل التوحيد ويجادلون قتلهم عن مذاهبهم يجادلهم لأن معنى
 الجدل قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه عنى بذلك أربدين
 قيس اخا لبيد بن ربيعة العامري لأبيه وعمار بن طفيل وذلك انهما اتيا النبي ﷺ يجادلانه ويريدان الفتك
 به وكان عامر اوصى إلى أربد إذا رأيتي اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول
 الله ﷺ ويراجعه الكلام فدار أربد خلف رسول الله ﷺ ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حسبه الله
 عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربدا وما يصنع بسيفه فقال اللهم
 اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صاح صائف فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت
 ربك فقتل أربدا والله لا ملأها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا ولا رطن بكل نخلة فرسا فقال ﷺ الله يمنعك
 من ذلك فنزل بيت امرأة من سلول وخرج على ركبته في الوقت غدة عظيمة فكان يقول غدة كغدة البعير
 وموت في بيت سلولة حتى قتله وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة يرثي اخاه أربدا

أَخْشِي عَلَى أَرْبِدِ الْخُتُوفَ وَلَا
 أَرْهَبُ نَوْءَ السَّيَاكِ وَالْأَسَدِ
 فَجَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْ
 فَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ النَّجْدِ (٢)

(وهو شديد المحال) أي شديد الأخذ عن علي (ع) وقيل شديد القوة عن قتادة ومجاهد وقيل شديد
 النعمة عن الحسن وقيل شديد القدرة والعذاب عن الزجاج وقيل شديد الكيد للكفار عن الجبائي (له دعوة
 الحق) أي لله سبحانه دعوة الحق واختلف في معنى دعوة الحق على أقوال ﴿ احدها ﴾ انها كلمة الإخلاص
 شهادة أن لا إله إلا الله عن ابن عباس وقاتدة وابن زيد ﴿ والثاني ﴾ أن الله تعالى هو الحق فدعاؤه دعوة الحق
 ومن دعاه دعا الحق عن الحسن ﴿ والثالث ﴾ انها الدعوة التي يدهم بها الله على الاخلاص التوحيد عن
 الجبائي والمعنى أن من دعاه على جهة الاخلاص فهو يجيبه فله سبحانه من خلقه دعوة الحق (والذين يدعون من
 دونه) أي والذين يدعومهم المشركون من دون الله لحاجاتهم من الاوثان وغيرها (لا يستجيبون لهم بشيء إلا
 كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله) هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله ودعاه رجاء أن ينقذه

(١) اي صرفهم . (٢) النوء : النجم والسماك : كوكب . والاسد : برج معروف . ورجل نجد : شجاع ماض في

يقول ان مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناول به ويسكن به غلته وذلك الماء لا يبلغ فاه بعد المسافة بينهما فكذلك ما كان يعبد المشركون من الاصنام لا يصل نفعها إليهم ولا يستجيب دعاءهم عن ابن عباس وقيل كباسط كفيه إلى الماء أي كالذي يدعو الماء بلسانه ويشير اليه بيده فلا يأتيه الماء من مجاهد وقيل كالذي يبسط كفيه إلى الماء ليتبلغ فहत قبل أن يبلغ الماء فاه عن الحسن وقيل انه تمثيل العرب لمن يسمى فيما لا يدركه فيقول هو كالتابض على الماء عن ابي عبيدة والبخفي وابي مسلم قال الشاعر

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ الْوَدِّ مِثْلَ الْقَابِضِ الْمَاءَ بِالْيَدِ

وقال الآخر

فَأَيُّ وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسَعَهُ أَفَامِلُهُ

(ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) أي ليس دعاءهم الاصنام من دون الله إلا في ذهاب عن الحق والصاب وقيل في ضلال من طريق الإجابة والنفع ثم بين سبحانه كمال قدرته وسعة مملكته فقال (وقه يسجد من في السموات والأرض) يعني الملائكة وسائر المكلفين (طوعا وكرها) اختلف في معناه على قولين ﴿احدهما﴾ ان معناه انه يجب السجود لله تعالى إلا ان المؤمن يسجد له طوعا والكافر يسجد له كرها بالسيف عن الحسن وقتادة وابن زيد ﴿والثاني﴾ ان المعنى وقه يخضع من في السموات والأرض إلا ان المؤمن يخضع له طوعا والكافر يخضع له كرها لأنه لا يمكنه ان يمتنع من الخضوع لله لما يجعل به من الآلام والاسقام عن الجبائي (وظلالهم) أي ويسجد ظلالمهم لله (بالعدو والآصال) أي المشيات قيل ان المراد بالظل الشخص فان من يسجد يسجد ظله معه قال الحسن يسجد ظل الكافر ولا يسجد الكافر ومعناه عند اهل التحقيق انه يسجد شخصه دون قلبه لأنه لا يريد بسجوده عبادة ربه من حيث انه يسجد للخوف وقيل إن الضلال على ظاهرها والمعنى في سجودها تأييدها من جانب الى جانب وانقيادها بالتسخير بالطول والقصر

قوله تعالى (١٦) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (آية في الكوفي آيتان مدني وبصري ثلاث آيات شامي لم يعد الكوفي الظلمات والنور وعد الشامي وحده الأعمى والبصير)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص أم هل يستوي الظلمات بالياء والباقون بالياء.

= (الوجه) =

من قرأ بالياء فإنه مسند إلى موثث لم يفصل بينه وبين فاعله بشي كقوله وقالت اليهود وقالت الاعراب وقد جاء في مثل ذلك التذكير كقوله وقال نسوة ومن قرأ بالياء فإنه موثث غير حقيقي

= (المعنى) =

لما بين سبحانه في الآية الأولى انه المستحق للعبادة وان له من في السموات والارض عقبه بما يجري مجرى اللمجة على ذلك فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (من رب السموات والارض) أي من مدبرهم ومصرفهم على

ما فيها من البدائع فإذا استمعهم عليهم الجواب ولا يمكنهم أن يقولوا الأصنام (قل) أنت لهم رب السماوات والأرض وما بينها من أنواع الحيوان والنباتات والجماد (الله) فإذا أقرؤا بذلك (قل) لهم على وجه التبييت والتوبيخ لفعلهم (أفأخذتم من دونه أولياء) توجهون عبادتكم إليهم فالصورة صورة الاستفهام والمراد به التقرير ثم بين أن هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه أولياء (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) ومن لا يملك لنفسه ذلك فالأولى والأحرى أن لا يملك غيره ومن كان كذلك فكيف يستحق العبادة وإذا قيل كيف يكون هو السائل والمجيب والملزوم بقوله قل أفأخذتم من دونه أولياء فالجواب أنه إذا كان القصد بالحجاج ما يبيته من بعد من بعد لم يمنع ذلك فكانه قال الله الخالق فلماذا اتخذتم من دون الله أولياء لأن الأمر الظاهر الذي لا يجيب الحضم إلا به لا يمنع أن يبادر السائل إلى ذكره ثم يورد الكلام عليه تقاديا من التطويل ويكون تقدير الكلام أليس الله رب السماوات والأرض فلم اتخذتم من دونه أولياء ثم ضرب لهم سبحانه مثلا بعد الزام الحجية فقال (قل هل يستوي الأعمى والبصير) أي كما لا يستوي الأعمى والبصير كذلك لا يستوي المؤمن والكافر لأن المؤمن يعمل على بصيرة ويعبد الله الذي يملك النفع والضرر والكافر يعمل على عمى ويعبد من لا يملك النفع والضرر ثم زاد في الإيضاح فقال (أم هل تستوي الظلمات والنور) أي هل يستوي الكفر والإيمان أو الضلالة والهدى أو الجهل والعلم (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه) أي هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء في العبادة خلقوا أفعالا مثل خلق الله تعالى من الأجسام والألوان والطعوم والأرواح والقدرة والحياة وغير ذلك من الأفعال التي يختص سبحانه بالقدرة عليها (فتشابه الخلق عليهم) أي فاشتبه لذلك عليهم ما الذي خلق الله وما الذي خلق الأوثان فظنوا أن الأوثان تستحق العبادة لأن أفعالها مثل أفعال الله فإذا لم يكن ذلك مشتبا إذ كان ذلك كله لله تعالى لم يبق شبهة أنه الإله لا يستحق العبادة سواء (قل) لهم (الله خالق كل شيء) يستحق به العبادة من أصول النعم وفروعها (وهو الواحد) ومعناه أنه يستحق من الصفات ما لا يستحقه غيره فهو قديم لذاته قادر لذاته عالم لذاته حي لذاته غني لا مثل له ولا شبه وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يتبعض وقيل هو الواحد في الإلهية لا ثاني له في القدم (القهار) الذي يقهر كل قادر سواء ولا يتنوع عليه شيء واستدلت المجبرة بقوله الله تعالى خالق كل شيء على أن أفعال العباد مخلوقة لله لأن ظاهر العموم يقتضي دخول أفعال العباد فيه ويقولون أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه قالوا لأنه أنكر أن يكون خالق خلق كخلقه وأجيب عن ذلك بأن الآية وردت حجة على الكفار إذ لو كان المراد ما قالوا لكان فيها حجة لهم على الله لأنه إذا كان الخالق إبادتهم الأصنام هو الله فلا يتوجه التوبيخ إلى الكفار ولا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم أن يقولوا انك خلقت فينا ذاك فلم توجننا على فعل فعلته فينا فيبطل حينئذ فائدة الآية وأيضا فإن أكثر أصحابنا لا يطلقون على غيره سبحانه أنه يخلق أصلا فضلا عن أن يقولوا أنه يخلق كخلق الله ولكن يقولون أن العباد يفعلون ويحدثون ومعنى الخلق عندهم الاختراع ولا يقدر العباد عليه ومن جوز منهم إطلاق لفظ الخلق في أفعال العباد فإنه يقول أنه سبحانه إنما نفى أن يكون أحد يخلق مثل خلقه ونحن لا نقول ذلك لأن خلق الله اختراع وابداع وأفعال غيره مفعولة في محل القدرة عليها مباشرة أو متولدا في الغير بسبب حال في محل القدرة ولا يقدر على اختراع الأفعال في الغير على وجه من الوجوه إلا الله سبحانه الذي ابداع السماوات والأرض وما فيها وينشئ الأجناس من الأعراس التي لا يقدر عليها غيره فكيف يشبه الخلق مع هذا التمييز الظاهر على أن عندهم كل حركة هي كسب للعبد وفعل لله تعالى ولا يتميز فقد حصل التشابه هنا ونحن نقول أن أحدنا يفعل بقدرة محدثة يفعلها الله تعالى فيه والله يفعل لكونه قادرا لذاته فالفرق والتمييز ظاهر فعلنا أن المراد بقوله خالق كل شيء ما قدمناه من أنه خالق كل شيء يستحق لخلقه العبادة

قوله تعالى (١٧) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا

وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ
فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
(١٨) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر يوقدون بالياء والباقون بالتاء.

✽ الحجة ✽

قال أبو علي من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب وهو قوله قل أفأنتخذتم ويجوز أن يكون خطاباً عاماً يراد به الكفاة كأن المعنى ومما توقدون عليه أيها الموقدون زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل ومن قرأ بالياء فلأن ذكر النية قد تقدم في قوله أم جعلوا لله شركاء. ويجوز أن يراد به جميع الناس ويقوي ذلك قوله وأما ما ينفع الناس فكما أن الناس يعم المؤمن والكافر كذلك الضمير في يوقدون وقال ومما يوقدون عليه في النار فجعل الظرف متعلقاً بوقدون لأنه قد يوقد على ما ليس في النار كقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فهذا ايقادي قال على ما ليس في النار وإن كان يلحقه وهجها ولهبها

✽ اللغة ✽

الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر ومنه اشتقاق الدية لأنه جمع المال العظيم الذي يؤدى عن القتل والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان والوزن يزيد وينقص فإذا كان مساوياً فهو القدر وقرأ الحسن بقدرها بسكون الدال وهما لثتان يقال أعطى قدر شبر وقدر شبر والمصدر بالتخفيف لا غير وهم يمتصرون في القدر مما بالسكون والحركة قال

أَلَا يَا لِقَوْمٍ لِلنَّوَابِ وَالْقَدْرِ
وَلِلْأَمْرِ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له ويقال علا صوته على فلان فاحتمله ولم يفضه والزبد وضر الغليان وهو خبث الغليان ومنه زبد القدر وزبد السيل والجفاء ممدود مثل الغشاء وأصله الممز يقال جفا الوادي جفاً قال أبو زيد يقال جفأت الرجل إذا صرعته واجفأت القدر بزبدها إذا القيت زبدها عنها قال الفراء كل شيء ينضم بعضه إلى بعض فإنه يجي على فعال مثل الحطام والقماش والنشاء والجفاء والإيقاد القاء الحطب في النار واستوقدت النار واتقدت وتوقدت والمتاع ما تتمتع به والمكث الكون في المكان على مرور الزمان يقال مكث ومكثت النار وتمكث أي تلبث

✽ الإعراب ✽

قال جامع العلوم البصير قوله في النار متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله عليه أي ومما توقدون عليه ثابتاً في النار ابتغاء حلية أي مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في يوقدون ولا يجوز أن يكون قوله في النار من صلة يوقدون لأن المعنى ليس على ذلك فالمعنى أنهم يوقدون على الذهب في حال كونه في النار فافهمه من كلام أبي علي ولم يهتد إليه غيره وقوله زبد مبتدأ ومثله نعت له والظرف الذي هو قوله مما توقدون خبره على قول سيبويه وهو مرتفع بالظرف على قول الاخفش وموضع جفاء نصب على الحال أي يذهب على هذه الحالة قال الشاعر

إِذَا أَكَلْتَ سَمَكًا وَقَرَضًا ذَهَبْتَ طَوَّلًا وَذَهَبْتَ عَرَضًا

أي ذهب على هذه الحالة والقرض نوع من السم

« المعنى »

ثم ضرب سبحانه مثلين للحق والباطل ﴿ احدهما ﴾ الماء وما يعلوه من الزبد ﴿ والآخر ﴾ ما توقد عليه النار من الذهب والفضة وغيرها وما يعلوه من الزبد على ما رتبته فقال (أنزل من السماء ماء) أي مطراً (فسالت أودية بقدرها) يعني فاحتمل الأنهار الماء كل نهر بقدره الصغير على قدر صغره والكبير على قدر كبره فسالت كل نهر بقدره عن الحسن وقتادة والجبائي وقيل بقدرها بما قدر لها من مائها عن الزجاج (فاحتمل السيل زبدا رابيا) أي طافيا عاليا فوق الماء شبه سبحانه الحق والإسلام بالماء الصافي النافع للعالم والباطل بالزبد الذاهب باطلا وقيل انه مثل القرآن النازل من السماء ثم تحمل القلوب حظها من اليقين والشك على قدرها فالما مثل اليقين والزبد مثل الشك عن ابن عباس ثم ذكر المثل الآخر فقال (وما يوقدون عليه في النار) وهو الذهب والفضة والرصاص وغيره ما يذاب (ابتغاء حلية) أي طلب زينة يتخذ منه كالذهب والفضة (أو متاع) معناه أو ابتغاء متاع ينتفع به وهو مثل جواهر الأرض يتخذ منها الأواني وغيرها (زبدا مثله) أي مثل زبد الماء فإن هذه الأشياء التي تستخرج من المعادن وتوقد عليها النار لتمييز الخالص من الخبيث لها أيضا زبد وهو خبيثها (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل وضرب المثل تسييره في البلاد حتى يتمثل به في الناس (فأما الزبد فيذهب جفاء) أي باطلا متفرقا بحيث لا ينتفع به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والعيان التي ينتفع بها (فيمسك في الأرض) فينتفع به الناس فمثل المؤمن واعتقاده كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الأرض وحياة كل شيء به وكمثل نفع الذهب والفضة وسائر الأعيان المنتفع بها ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء وكمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الذهب والفضة الذي لا ينتفع به (كذلك يضرب الله الأمثال للناس في أمر دينهم قال قتادة هذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد شبه نزول القرآن بالماء الذي ينزل من السماء وشبه القلوب بالأودية والأنهار فمن استقصى في تدبره وتفكر في معانيه أخذ حظا عظيما منه كأنه كانهن الكبير الذي يأخذ الماء الكثير ومن رضي بها آذاه إلى التصديق بالحق على الجملة كان أقل خطأ منه كأنه الصغير فهذا مثل ثم شبه الخطرات ووسوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء وذلك من خبث التربة لا عين الماء كذلك ما يقع في النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفوة الماء كذلك يذهب مخايل الشك هباء باطلا ويبقى الحق فهذا مثل ثان والمثل الثالث قوله وما توقدون عليه في النار إلى آخره فالكفر مثل هذا الخبث الذي لا ينتفع به والإيمان مثل الماء الصافي الذي ينتفع به وتم الكلام عند قوله يضرب الله الأمثال ثم استأنف بقوله (للذين استجابوا لربهم الحسنى) عن الحسن والبلخي وقيل بل يتصل بما قبله لأن معناه ان الذي يبقى مثل الذين استجابوا لربهم والذي يذهب جفاء مثل الذي لا يستجيب والمراد به للذين استجابوا دعوة الله وآمنوا به وأطاعوه الحسنى وهي الجنة عن الحسن والجبائي وقيل معناه الخصلة الحسنى والحالة الحسنى وهي صفة الثواب والجنة أيضا عن أبي مسام (والذين لم يستجيبوا له) أي لله فلم يؤمنوا به (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) أي جعلوا ذلك فدية أنفسهم من العذاب لم يقبل ذلك منهم (أو لتكلمهم سوء الحساب) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان سوء الحساب أخذهم بذنوبهم كلها من دون ان يضر لهم شيء منها عن ابراهيم النخعي ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث ومن نوقش الحساب عذب فيكون سوء الحساب المناقشة ﴿ والثاني ﴾ هو ان يحاسبوا للتقريب والتوبيخ فإن الكافر يحاسب على هذا الوجه والمؤمن يحاسب ليسر بما أعد الله تعالى له عن الجبائي ﴿ والثالث ﴾ هو ان لا يقبل لهم حسنة ولا يضر لهم سيئة عن الزجاج

وروي ذلك عن ابي عبدالله (ع) ﴿ والرابع ﴾ ان سوء الحساب هو سوء الجزاء فسي الجزاء حسابا لأن فيه اعطاء المستحق حقه (وما وأهم جهنم) اي مصيرهم الى جهنم (وبئس المهاد) اي وبئس ما مولدوا لأنفسهم والمهاد الفراش الذي يوطأ لصاحبه وتسمى النار مهادا لأنها موضع المهاد لهم

قوله تعالى (١٩) أفمن يعلم أن أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر
أولوا الألباب (٢٠) الذين يوفون بعهدي الله ولا ينفقون الميثاق (٢١) والذين يصلون ما أمر
الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب (٢٢) والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم
وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويذكرون بالחסنة السيئة أولئك لهم
عقبى الدار (٢٣) جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب (٢٤) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (ست آيات)

— (اللفظة) —

الالباب المقول لب الشيء اجل ما فيه واخلفه واجوده وب الانسان عقله لأنه اجل ما فيه وب النخلة قلبها
والميثاق العهد الواقع على احكام والوصل ضم الثاني الى الأول من غير فاصلة والخوف والخشية والفرع نظائر وهو
انزعاج النفس بما لا يأمن منه من الضرر والسوء ورود ما يشق على النفس والحساب احصاء ما على العامل ولسه
وهو هاهنا احصاء ما على المجازى وله السر هو اخفاء المعنى في النفس ومنه السرور لأنه لذة تحصل للنفس
ومنه السرير لأنه مجلس سرور والدرء الدفع والمدن الإقامة الطويلة وعدن بالمكان يعبدن عدنا ومنه المدن
والصلاح استقامة الحال والمصلح من فعل الصلاح الذي يدعى اليه العقل والشرع والصالح المستقيم الحال في نفسه
والمقبى فعلى من العاقبة وهو الانتهاء الذي يؤدي اليه الابتداء من خيراً وشر

✽ الإعراب ✽

موضع الذين يوفون رفع لأنه صفة لقوله أولوا الألباب وقيل انه صفة لمن يعلم وابتداء نصب لأنه مفعول
له وجنات عدن بدل من عقبى ومن صلح موضعه رفع عطفاً على الراوي في قوله يدخلونها وجائز ان يكون نصاباً أنه
مفعول منه كما تقول قد دخلوا وزينا اي مع زيد والباء في قوله بما صبرتم يتعلق بمعنى سلام لأنه دل على السلامة
لكم بما صبرتم ويحتمل ان يتعلق بمحذوف على تقدير هذه الكرامة لكم بما صبرتم وما في قوله بما صبرتم
مصدرية تقديره بصبركم وقيل انه بمعنى الذي كأنه قال بالذي صبرتم على فعل طاعته وتجنب معاصيه

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه الفرق بين المؤمن والكافر فقال (أفمن يعلم أن أنزل إليك) يا محمد (من ربك الحق
كمن هو أعمى) عنه اخرج الكلام مخرج الاستفهام والمراد به الانكار اي لا يكونان مستويين فإن الفرق
بينهما هو الفرق بين الأعمى والبصير لأن المؤمن يبصر ما فيه ريشه فيتبعه والكافر يتحامي عن الحق فيتبع ما فيه
هلاكه (إنما يتذكر أولوا الألباب) اي انما يتفكر فيه ويستدل به ذوو العقول والمعرفة قال علي بن عيسى وفي
هذا حث على طلب العلم والزام له لأنه اذا كانت حال الجاهل كحال الأعمى وحال العالم كحال البصير وأمکن
هذا الأعمى ان يستفيد بصراً فما الذي يقمده عن طلب العلم الذي يخرجه عن حال العمى بالجهل الى حال البصير
(الذين يوفون بعهدي الله ولا ينفقون الميثاق) اي يؤدون ما عهد الله اليهم والزمهم اياه عقلاً وسموا فالله العلي
ما جملة في عقولهم من اقتضاء صحة أمور وفساد أمور آخر كاقترضاء الفعل للفعل وان الصنائع لا بد ان ترجع

الى ممانع غير مصنوع والا ادنى الى ما لا يتناهى وان للعالم مدبراً لا يشبهه والهدى الشرعي ما أخذه النبي ﷺ
على المؤمنين من الميثاق المؤكد باليمين ان يطعموه ولا يعصوه ولا يرجعوا عما التزموه من اوامر شرعية ونواهيها وانما
كبر ذكر الميثاق وان دخل جميع الاوامر والنواهي في لفظ التهدى لا يظن ظان أن ذلك خاص فيما بين البدور به
فأخبر ان ما بينه وبين العباد من المواثيق كذلك في الوجوب والالتزام وقيل انه كرره تأكيداً (والذين يصلون
ما أمر الله به ان يوصل) قيل المراد به الايمان بجميع الرسل والكتب كما في قوله لا تفرق بين أحد من رسله
وقيل هو صلة محمد وموازرتة ومعاونته والجهاد منه عن الحسن وقيل هو صلة الرحم عن ابن عباس وروى اصحابنا
ان ابا عبد الله (ع) لما حضرته الوفاة قال اعطوا الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين وهو الافطس سبعين ديناراً
فقال له أم ولد له انعطني رجلاً حمل عليك بالشفرة فقال لها ويحك أما تقرين قوله تعالى والذين يصلون ما أمر الله
به ان يوصل الآية وقيل هو ما يلزم من صلة المؤمنين بأن يتولاهم وينصروهم ويذوقونهم ويدخل فيه صلة الرحم
وغير ذلك عن الجبائي وابي مسلم وروى جابر عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ يا والدين صلة
الرحم يهونان الحساب ثم تلا هذه الآية روى محمد بن الفضيل عن موسى بن جعفر الكاظم (ع) في هذه الآية
قال صلة آل محمد ﷺ معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعتني وهي تجري في كل رحم
وروى الوليد بن ابان عن ابي الحسن الرضا (ع) قال قلت له هل على الرجل في مساله سوى الزكاة قال نعم ان
ما قال الله والذين يصلون الآية (ويخشون ربهم) اي ويخافون عقاب ربهم في قطعها (ويخافون سوء الحساب)
قد بينا ما قيل فيه وروى هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال سوء الحساب ان يحسب عليهم السيئات ولا يحسب
لهم الحسنات وهو الاستعصاء وروى حماد بن عثمان عن ابي عبد الله (ع) انه قال لرجل يا فلان مالك ولا خيك قلت
جعلت فداك لي عليه شي فاستقصيت حقي عنه قال ابو عبد الله (ع) اخبرني عن قول الله سبحانه ويخافون سوء الحساب
أترأهم خافوا ان يجور عليهم او يظلمهم لا والله ولكن خافوا الاستعصاء والمدافعة (والذين صبروا ابتغاء وجهه
ربهم) اي الذين صبروا على القيام بما اوجبه الله عليهم وعلى بلاء الله من الامراض والعقوبة وغير ذلك وعن معاصي
الله سبحانه لطلب ثواب الله تعالى لأن ابتغاء وجه الله هو ابتغاء الله وابتغاء الله يكون ابتغاء ثوابه تقول العرب
في تعظيم الشيء هذا وجه الرأي وهذا نفس الرأي للرأي المعظم فكذلك وجه ربهم هو نفسه المعظم فلا شيء اعظم
منه ولا شيء يساويه في العظم وقيل ان ذكر الوجه هنا عبارة عن الاخلاص وترك الرياء (وأقاموا الصلاة) اي أدوها بحدودها
وقيل داموا على فعلها (وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) اي ظاهراً وباطناً (ويدرون بالحسنة السيئة) اي
يدفرون بفضل الطاعة المعصية قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح السبي من العمل كما روي عن النبي ﷺ
انه قال لما ذنب جيل اذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة تحمها وقيل معناه يدفعون اساءة من أساء اليهم بالاحسان
والغفر ولا يكافئون كقوله سبحانه ادفع بالتي هي احسن السيئة عن قتادة وابن زيد والقتبي قال الحسن اذا
حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وقيل معناه يدفعون بالتوبة مرة الذنب من ابن كيسان
(أو لئلا يكافئوا) يعني ان هؤلاء الذين هذه صفاتهم (لهم عقي الدار) اي ثواب الجنة فالدار الجنة وثوابها عقابها التي
هي الماقبة المحرودة عن ابن عباس والحسن ثم وصف الدار فقال (جنات عدن) اي بساتين إقامة تدوم ولا تقنى
وقيل هي الدرجة العليا وسكانها الشهداء والصديقون عن ابن عباس وقيل هي مدينة في الجنة فيها الانبياء والائمة
والشهداء عن الضحاك وقيل قصر من ذهب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد او حاكم عدل عن الحسن وعبد الله
ابن عمر ثم بين سبحانه ما يتكامل به سرورهم من اجتماع قومهم معهم فقال (يدخلونها ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم) اي اولادهم يعني من آمن منهم وصدق بما صدقوا به وذلك ان الله سبحانه جعل من ثواب
المطيع سروره بما يراه في أهل من اطاعهم به في الجنة كرامة له كما قال الحقنا بهم ذريتهم عن ابن عباس ومجاهد

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب الجنة الثانية وقيل من كل باب من ابواب البر كما لصلاة والزكاة والصوم وقيل من ابواب قصودهم وبساتينهم بالتحية من الله سبحانه والتحف والهدايا من ابن عباس ويقولون (سلام عليكم بما صبرتم) والقول محذوف لدلالة الكلام عليه والسلام والتحية والشارة منهم بالسلامة والكرامة وانتفاء كل لمر تشويه مضره اى سلمكم الله من الاهوال والمكاره بصبركم على شدائد الدنيا ومحنها في طاعة الله تعالى (فتم عقي الدار) اى نعم عاقبة الدار ما انتم فيه من الكرامة

قوله تعالى (٢٥) وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٦) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى (خمس آيات)

✽ اللغة ✽

الانابة الرجوع الى الحق بالتوبة انتاب فلان القوم اتاهم مرة بعد مرة ويقال تاب ينوب توبة اذا رجع مرة بعد مرة وطوبى فعل من الطيب وهو تأنيث الاطيب ولم يغيروا طوبى بأن يقولوا طيبى كما قالوا ضيزى قلبوا الواو ياء والضة كسرة لان طوبى اسم وضيزى صفة فرقوا بين الاسم والصفة

✽ الاعراب ✽

الذين آمنوا في موضع نصب ردا على من المعنى يهدي اليه الذين آمنوا والاحرف تنبيه وابتداء وحسن مآب عطف على طوبى لان طوبى في موضع رفع

(المعنى)

لما ذكر سبحانه الذين يوفون بعهد الله ووصفهم بالصفات التي يستحقون بها الجنة عقبه بذكر من هو على خلاف حالهم فقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل) قد ذكرنا معنى عهد الله وميثاقه وصلة ما أمر الله به ان يوصل (ويفسدون في الأرض) بالدماء الى غير الله من ابن عباس بقتال النبي ﷺ والمؤمنين من الحسن وقيل بالعمل فيها بما صهي الله والظلم لعباده وخراب بلاده وهذا المعنى (أولئك لهم اللعنة) وهي الابعاد من رحمة الله والتبديد من جنته (ولهم سوء الدار) اى عذاب النار والحلوق فيها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اى يوسع الرزق على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من المصلحة ويضيقه على آخرين إذا كانت المصلحة في التضييق (وفرحوا بالحياة الدنيا) اى فرحوا بما أوتوا من حطام الدنيا فرح البطر ونسوا فناءه وبقاء امر الآخرة وتقديره وفرح الذين بسط لهم في الرزق في الحياة الدنيا (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) اى ليست هذه الحياة الدنيا بالاضافة الى الحياة الآخرة الا قليل ذاهب لأن هذه فانية وتلك دائمة باقية عن مجاهد وقيل انه مذكور على وجه التعميم اى عجباً لهم ان فرحوا بالدنيا الفانية وتركوا النعيم الدائم والدنيا في جنب الآخرة متاع لا خطر له ولا بقاء له مثل القدح والقصة والقدر يتمتع به زماناً ثم ينكسر عن ابن عباس (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) اى هلا انزل على محمد معجزة من ربه يقترحها ويجوز انهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا انه لم ينزل عليه آية ولم يشكوا بتلك الآيات فقالوا هذا

القول جهلا منهم بها (قل) يا محمد (ان الله يضل من يشاء) عن طريق الجنة بسوء افعاله وعظم معاصيه وقدمضى القول في وجوه الاضلال والهدى فلا معنى لاعدته (ويهدي اليه من انا) أي رجع اليه بالطاعة (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس اليه والذكر حصول المعنى للنفس وقد يسمى العلم ذكره والقول الذي فيه المعنى الحاضر للنفس ايضا يسمى ذكراً وقد وصف الله المؤمن ههنا بأنه بطمئن قلبه الى ذكر الله ووصفه في موضع آخر بأنه اذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالأول انه يذكر ثوابه وانعامه وآلاءه التي لا تحصى واياديه التي لا تجازى فيسكن اليه وبالثاني انه يذكر عقابه واتقاه فيخافه ويوجل قلبه (الا بذكر الله تطمئن القلوب) وهذا حث للعباد على تسكين القلب الى ما وعد الله به من النعيم والثواب والطمأنينة اليه فإن وعده سبحانه صادق ولا شيء تطمئن النفس اليه ابلغ من الوعد الصادق وهو اعتراض وقع بين الكلامين اذا كان قوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله في موضع رفع بالابتداء ويكون قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدلا منه وقوله طوبى لهم وحسن مآب جملة في موضع الرفع بانه خبر المبتدأ واذا كان الذين آمنوا الاول في موضع نصب على ما تقدم ذكره فيكون الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ مستأنفا وطوبى لهم خبره ومعناه ان الذين يؤمنون بالله ويعملون ما يجب عليهم من الطاعات (طوبى لهم) وفيه اقوال **➤** احدها **➤** ان معناه فرح لهم وقررة عين عن ابن عباس **➤** والثاني **➤** غبطة لهم عن الضحاك **➤** والثالث **➤** خير لهم وكرامة عن ابراهيم النخعي **➤** والرابع **➤** الجنة لهم عن مجاهد **➤** والخامس **➤** معناه العيش المطيب لهم عن الزجاج والحال المستطابة لهم عن ابن الانباري لأنه فعلى من الطيب وقيل اطيب الاشياء لهم وهو الجنة عن الجبائي **➤** والسادس **➤** هنيئا بطيب العيش لهم **➤** السابع **➤** حسنى لهم عن قتادة **➤** الثامن **➤** نعم ما لهم عن عكرمة **➤** التاسع **➤** طوبى لهم دوام الخير لهم **➤** العاشر **➤** ان طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار النبي **ﷺ** وفي دار كل مؤمن منها غصن عن عبيد بن عمير ووهب وابي هريرة وشهر بن حوشب ورواه عن ابي سعيد الخدري مرفوعا وهو المروي عن ابي جعفر (ع) قال لو ان راكبا مجدا سار في ظلها مائة عام ما خرج منها ولو ان غرابا طار من أصلها ما بلغ اعلاها حتى يبيض حرما الآ في هذا فارغبوا ان المؤمن نفسه منه في شغل والناس منه في راحة إذا جن عليه الليل فرش وجهه وسجد لله يتاجي الذي خلقه في فكلك رقبته الآ فهكذا فكونوا وروى علي بن ابراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رثاب عن ابي عبيدة الخذاء عن ابي عبد الله (ع) كان رسول الله **ﷺ** يكتر تقبيل فاطمة (ع) فأنكرت عليه بعض نساء ذلك فقال **ﷺ** إنه لما اسرى بي الى السماء دخلت الجنة وأداني جبرائيل (ع) من شجرة طوبى وناولني منها فتأقحة فأكلتها فحول الله ذلك في ظهري ماء فهبطت الى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فكلما اشتقت الى الجنة قبلتها وما قبلتها الا وجدت رائحة شجرة طوبى فهي حوراء انسية وروى الثعلبي باسناده عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال طوبى شجرة اصلها في دار علي (ع) في الجنة وفي دار كل مؤمن منها غصن ورواه ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه عن آبائه (ع) قال سئل رسول الله **ﷺ** عن طوبى قال شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة ثم سئل عنها مرة أخرى فقال في دار علي (ع) فقيل في ذلك فقال ان داري ودار علي في الجنة بمكان واحد (وحسن مآب) أي ولهم حسن مآب أي مرجع

✽ النظم ✽

وجه اتصال قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر الآية بما قبله انه بين ان تقضهم للعهد انما كان لحب الرئاسة

ولثقافة في الدنيا وزهدهم في المناصاة وأخبر بأنه يبسط الرزق لمن يرى صلاحه فيه ويرزق مقدار الكفاية من علم ان صلاحه فيه ثم لا ذكر سبحانه سوء عاقبة الكفار عقب ذلك بذكر ما اقترحوه من الآيات وترك تفكيرهم فيما أتزل من الآيات الخارقة للعادات فقال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ولما استمعوا للذاب بين سبحانه أنه يضل من يشاء أي بهلك من يشاء معجلا وبوخر عذاب من يشاء عن أبي مسلم قال والمراد بقوله آية آيات العذاب وقيل أنهم لما اقترحوه الآيات بين أنهم انما لم يجابوا الى ذلك لأن في المعلوم أنهم لا يؤمنون وأنه يهلكهم

قوله تعالى (٣٠) كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ (٣١) وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتَى بَلَّ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسْ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا نُصَيْبُهُمْ مَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيثَاقَ (آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ علي وابن عباس وعلي بن الحسين (ع) وزيد بن علي وجعفر بن محمد وابن ابي مليكة وعكرمة والجدري وابو يزيد المزني أفلم يتبين والقراءة المشهورة ييأس

(الجمعة) =

قال ابن جني هذه القراءة فيها تفسير قوله أفلم ييأس الذين آمنوا وروى عن علي بن عياش انها لغة فنحن من التضع قال

ألم ييأس الأقبام أني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيبة نائيا

وقال سحيم بن وثيل

أقول لأهل الشعب إذ ييسروني ألم ييأسوا أني ابن فارس زهدم (٧)

وروي اذ ييسروني أي بقسموني أي ألم يعلموا قال وبشبه عندي ان يكون هذا أيضا راجعا الى معنى اليأس وذلك ان المتأمل للشيء المنتظر لملحه ذاهب بفكره في جهات تعرفه إياه فإذا ثبت قسه على شيء اعتقده واضرب عما سواه فلم ينصرف اليه كما ينصرف اليأس عن الشيء عنه ولا يلتفت اليه هذا طريق الصنعة فيها

❖ اللفظة ❖

المتاب التوبة تاب بنوب توبا ومتابا والتوبة الفعلة الواحدة والتسيير تصيير الشيء بحيث يسير يقال سار يسير سيرا وسيره غيره والتقطيع تكثير القطع والقطع تفصيل المتصل والحلول حصول الشيء في الشيء كحصول العرض في الجوهر وحصول الجوهر في الوعاء والأصل الأول والثاني شبه به والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ومنه سميت القيامة قارعة واصله من القرع وهو الضرب ومقارعة الابطال ضرب بعضهم بعضا وقوارع القرآن الآيات التي من قرأها آمن من الشيطان كأنها تضرب الشياطين اذا قرئت

❖ النزول ❖

نزلت الآية الأولى في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي (ع) اكتب

(١) وحكى عن ابي عباس انه قال : كتبها الكاتب «أفلم ييأس الذين آمنوا» وهو ناعس (٢) زهدم اسم فرس وقيل اسم فرس سحيم وقائل البيت ولده جابر بن سحيم وروى «أني ابن قاتل زهدم» وزهدم رجل من عس فملبه صح ان يكون الشعر لسحيم . وفي رواية اخرى «أني ابن فارس لازم» .

بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشر كون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون ثم قال رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركوا فريش لئن كنت رسول الله ثم فانتناك وصددناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله فقال اصحاب رسول الله ﷺ دعنا فانتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون فأنزل الله عز وجل كذلك أرسلناك في أمة الآية عن قتادة ومقاتل وابن جريج وقيل نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن عن الضحاك عن ابن عباس ونزلت الآية الأخرى في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي أمية المخزومي جلسوا خلف النكبة ثم ارسلوا الى النبي ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله بن أمية إن شرك ان تبك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبنا عنا حتى نفضخ فإنها ارض خيفة واجعل لنا فيها عيوننا وانهارا حتى نفرس ونزرع فقلت كما زعمت اهون على ربك من داود (ع) حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح فتركها الى الشام فنفضي عليها سيرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح فكما زعمت لنا فقلت اهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصيا او من شئت من موتانا لنسأله أحق ما تقول أم باطل فإن عيسى (ع) كان يجيب الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله سبحانه ولو ان قرآنا الآية

المعنى

لما ذكر سبحانه النعمة على من تقدم ذكره بالثواب وحسن المآب عقبه بذكر النعمة على من أرسل اليه النبي ﷺ فقال (كذلك أرسلناك) اي كما أرسلناك في الأمم قبلك أرسلناك (في أمة قد خلت من قبلها أمة) اي سيف جماعة قد مضت من قبلها قرون وجماعات (لنتلوا عليهم الذي اوحينا اليك) بين الترض في رساله وهو ان يقرأ عليهم القرآن ليشدروا وآياته ويستمطوا بها (وم يكفرون بالرحمن) اي وفريش يكفرون بالرحمن اي ويقولون قد عرفنا الله ولا ندرى ما الرحمن كما اخبر عنهم بأنهم قالوا وما الرحمن انسجدا كما أمرنا عن الحسن وقتادة وقيل معناه انهم يمجدون بالوحدانية (قل) يا محمد (هو ربي) اي الرحمن الذي انكرتموه ربي اي خالقي ومديري (لا إله الا هو عليه توكلت) اي اليه فوضت امري متمسكا بطاعته راضيا بحكمته (واليه متاب) اي مرجعي وقيل معناه الى الرحمن توبي (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) اي تجعل به الجبال ساورة فأذيت من مواضعها وقلعت من أمانتها (او قطعت به الأرض) اي شقت فبعلت انهارا وعيوننا (او كلم به الموتى) اي احيي به الموتى حتى يعيشوا ويتكلموا وحذف جواب لولأن في الكلام دليلا عليه والتقدير لكان هذا القرآن لمظم محله وعلو امره وجلالة قدره قال الزجاج والذي اترم وقد قاله بعضهم المعنى لو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الأرض او كلم به الموتى لما آمنوا ودليله قوله ولو انزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وحذف جواب لو بكثير في الكلام قال امرؤ القيس

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقِطُ أَنْفَسًا (١)

وهو آخر القصيدة وقال

وَجِدِّكَ لَوْ شِئِي أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْكَ مَدْفَعًا (٢)

(بل لله الأمر جميعا) معناه ان جميع ما ذكر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض واحياء الموتى وكل تدبير يجري هذا المنجى لله لأنه لا يملكه سواه ولا يقدر عليه غيره ولكنه لا يفعل لأن فيها أنزل من الآيات مقننا وكفاية للمتصفين والأمر ما يصح ان يؤثر به وينهى عنه وهو عام وأصله الأمر قبيض النهي (أفلم ييأس الذين

(١) من البيت معناه في صفحة ٢٢٤ فراجع . (٢) اي ليس بعده بيت يكون فيه جواب لو ، بل هذا آخر القصيدة .

(٣) اي لو اتانا غيرك لدفعنا .

آمنوا) أي أفلم يعلموا ويتبينوا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبيرة وابن مسعود وقيل معناه أفلم يعلم الذين آمنوا علما يئأسوا معه من أن يكون غير ما علموه عن الفراء وقيل معناه أفلم يئأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يؤمنون عن الزجاج قال (إن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أي إن الله لو أراد أن يهدي الخلق كلهم إلى جنته لهداهم لكنه كفهم لينالوا الثواب بطاعتهم على وجه الاستحسان وقيل أراد به مشيئة الجلاء أي لو أراد أن يلجئهم إلى الإعتداء لقدرة على ذلك لكنه يتنافى التكليف ويبطل الغرض به (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وأعمالهم الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تفرعهم ومصيبة شديدة من الحرب والجذب والقتل والأسر عليهم على جهة العقوبة للتنبيه والزجر وقيل أراد بالقارعة سرايا النبي ﷺ كانت يبعثها إليهم وقيل أراد بذلك ما مر ذكره من حديث أريد وعامر (أو تحل قريبا من دارهم) وقيل إن التاء في تحل للتأنيث والمعنى أو تحل تلك القارعة قريبا من دارهم فتجاورهم حتى يحصل لهم المخافة منه عن الحسن وقتادة وابن مسعود والجبائي وقيل إن التاء للخطاب والمعنى أو تحل أنت يا محمد بنفسك قريبا من دارهم (حتى يأتي وعد الله) أي ما وعد الله من فتح مكة عن ابن عباس قال وهذه الآية مدنية وقيل حتى يأتي يوم القيامة عن الحسن (إن الله لا يخلف الميعاد) ظاهر المعنى

✽ النظم ✽

اتصلت الآية الأخيرة بقوله ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه والتقدير إن مثل هذا القرآن أنزل عليهم وهم يطلبون آيات أخرى عن الجبائي وقيل اتصلت بقوله كذلك أرسلناك الآية لأن المفهوم من قوله لتتلو عليهم أنه قرأ عليهم القرآن وانهم كفروا به

قوله تعالى (٣٢) وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِكَ مِنْ قَبْلِكَ فَاْمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٣) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَيِّظَاهُمْ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٤) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (ثلاث آيات)

(القراءة)

قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصدوا بضم الصاد وكذلك في حم المؤمن والباقون وصدوا بفتح الصاد

— الحجة —

قال أبو الحسن صد وصدده مثل رجوع ورجعته قال

صَدَّتْ كَمَا صَدَّ عَمَلًا يَجِلُّ لَهُ سَاقِي نَصَارَى قَبِيلِ الْفِصْحِ صُومًا (١)

قال عمرو بن كلثوم

صَدَّتِ الْكَأْسُ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا (٢)

وحجة من اسناد الفعل إلى الفاعل قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفي موضع آخر ويصدون عن سبيل الله وصدوكم عن المسجد الحرام فلما اسند الفعل إلى الفاعل في هذه الآية فكذلك في هذه الآية أي صدوا الناس عن النبي ﷺ ومن بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصد غواتهم والعتاة منهم في كفرهم وقد يكون على نحو ما يقال صد

(١) الفصح - بالكسر - : فطر النصارى وهو عيد لهم - (٢) أي أنا في اليمين عليك أن تسقيني أولا

فلان عن الخير وصد عنه بمعنى انه لم يفعل خيراً ولا يراد به ان مانعاً منه

✽ اللغة ✽

الاستهزاء طلب المزو والمزؤ اظهار خلاف الاضرار للاستصغار والاملاء التأخير وهو من الملاوة والمليون الليل والنهار قال ابن مقبل

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ أَلَجَّ عَلَيْهَا بِاللَّيْلِ الْمَلَوَانِ

وقال في التهئة البس جديداً وتغل حبيباً أي لتطل أيامك معه والواقى المانع فاعل من الوقاية وهو الحجر بما يدفع الأذى والمكروه

✽ المعنى ✽

ثم عزى سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (ولقد استهزى يرسل من قبلك) كما استهزأ هؤلاء بك (فأملت للذين كفروا) أي فأهلتهم وأطلت مدتهم ليتوبوا ولتتم عليهم الحجة (ثم أخذتهم) أي أهلكتهم وأنزلت عليهم عذابي (فكيف كان عقاب) أي فكيف حل عقابي بهم وهو إشارة إلى تفخيم ذلك العقاب وتمظيمه ثم عاد سبحانه إلى الحجاج مع الكفار (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) معناه أفمن هو قائم بالتدبير على كل قس وحافظ على كل قس اعمالها بجازيها وقيل أفمن هو قائم عليها يرزقها وحفظها والدفع عنها كمن ليس بهذه الصفات من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر وبدل على هذا المحذوف قوله (وجعلوا لله شركاء) يعني ان هؤلاء الكفار جعلوا لله شركاء في العبادة من الأصنام التي لا تقدر على شيء مما ذكرنا (قل) يا محمد (سموم) أي سموم بما يستحقون من الصفات واطافة الأفعال اليهم ان كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق والرازق والمحيي والمميت ويعود المعنى إلى ان الصنم لو كان إلهاً لتصور منه ان يخلق الرزق فيحسن حينئذ ان يسمى بالخالق والرازق وقيل سموم بالأسماء التي هي صفاتهم ثم انظروا هل تدل صفاتهم على جواز عبادتهم واتخاذهم آلهة وقيل معناه انه ليس لهم اسم له مدخل في استحقاق الإلهية وذلك استحقاق لم وقيل سموم ماذا خلقوا وهل ضرروا أو قعموا وهو مثل قوله أروني ماذا خلقوا من الأرض عن الحسن (أم تبثونه بما لا يعلم في الأرض) هذا استفهام منقطع مما قبله أي بل أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه على معنى انه ليس ولو كان لهم (أم بظاهر من القول) أي أم تقولون مجازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له عن مجاهد وقناة والضحاك وعلى هذا فالمعنى انه كلام ظاهر ليس له في الحقيقة باطن ومعنى فهو كلام فقط وقيل ام بظاهر كتاب اتزل الله تعالى سميت الأصنام آلهة فبين انه ليس هاهنا دليل عقلي ولا سمعي بوجوب استحقاق الأصنام الإلهية عن الجبائي ثم بين سبحانه بطلان قولهم فقال (بل زين للذين كفروا مكرهم) أي دع ذكر ما كنا فيه زين الشيطان لم الكفر لأن مكرهم بالرسول كفر منهم عن ابن عباس وقيل بل زين لهم الرؤساء والقواة كذبهم وزورهم (وصدوا عن السبيل) أي وصدوا الناس عن الحق أو صدوا بأنفسهم عن الحق وعن دين الله (ومن يضل الله فما له من هاد) سبق معناه في مواضع (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والسبي والأمر وقيل بالمصائب والأمراض (وللعذاب الآخرة أشق) أي أغلظ وأبلغ في الشدة على النفس لدوامه وخلوصه وكثرته (وما لهم من الله من واق) أي ما لهم من دافع يدفع عنهم عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٣٥) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا نَارٌ لَمْ تَكُنْ نَارًا وَظُلُمَاتُهَا نَارٌ لَمْ تَكُنْ نَارًا (٣٦) وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ

إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابُ (٣٧) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا حِكْمًا عَرَبِيًّا وَلَتُنِيبَنَّ أَهْرَآءُهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وِيٍّ وَلَا وَاقٍ (ثلاث آيات)

- اللغة -

الأنهار جمع نهر ونهر كفرد وافراد وجمل واجمال والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء على وجه الأرض
واصله الاتساع ومنه النهار لاتساع الضياء فيه وانهرت الدماء وسعت مجراها وقال « مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ نَفْسَهَا »
أي وَسَعَتْهُ وَالْأَكْلُ بضم الهمزة المأْكُولُ والأحزاب جمع الحزب وهم الجماعة التي تقوم بالثأب يقال تحزب القوم
إذا صاروا حزبا وحزبهم الا مر يمز بهم أي نالهم بمكروه

❖ الاعراب ❖

مثل الجنة التي . فيه اقوال ❖ أحدها ❖ انه بمعنى الشبه وخبره محذوف وتقديره مثل الجنة التي هي كذا أجل
مثل ❖ والثاني ❖ ان تقديره فيما نقص عليكم مثل الجنة أو مثل الجنة فيما نقص عليكم فهو مرفوع أيضا على الابتداء
وخبره محذوف وهو قول سيبويه واختاره ابو علي الفارسي ❖ والثالث ❖ ان معناه صفة الجنة التي وعد المتقون
تجري من تحتها الأنهار فتجري من تحتها الأنهار مع ما بعده خبر المبتدأ الذي هو مثل الجنة قالوا وقوله سبحانه
وقه المثل الأعلى معناه الصفة العليا ولم يرتض ابو علي هذا القول

❖ المعنى ❖

لما تقدم ذكر ما أعد الله للكافرين عقبه سبحانه بذكر ما أعد للمؤمنين فقال (مثل الجنة التي وعد المتقون)
أي شبهها عن مقاتل وقيل صفتها وصورتها عن الحسن قال ابن قتيبة المثل الشبه في أصل اللغة ثم قد بصير بمعنى
صورة الشيء وصفته يقال مثلت لك كذا أي صورته ووصفته وقيل ان مثل مقحم والتقدير الجنة التي وعد
المتقون (تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم) يعني ان ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا وظلها لا يزول ولا تنسخه
الشمس عن الحسن وقيل معناه نعيمها لا ينقطع بموت ولا آفة عن ابن عباس وقيل لذتها في الأفواه باقية عن
ابراهيم التيمي (وظلها) ايضا دائم لا يكون مرة شمسا ومرة ظلا كما يكون في الدنيا (تلك عقبى الذين
اتقوا) أي تلك الجنة عاقبة المتقين فالطريق اليها التقوى (وعقبى الكافرين النار) أي وعاقبة أمر الكفار
النار ولما تقدم ذكر الوعد والوعيد اخبر سبحانه عن المتقين والكافرين فقال (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون
بما أنزل اليك) يريد اصحاب النبي ﷺ الذين آمنوا به وصدقوه اعطوا القرآن وفرحوا بانزاله (ومن الأحزاب
من ينكر بعضه) يعني اليهود والنصارى والمجوس انكروا بعض معانيه وما يخالف احكامهم عن الحسن وقناة
ومجاهد وقيل الذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه فرحوا بالقرآن
لانهم يصدقون به والاحزاب بقية اهل الكتاب وسائر المشركين عن ابن عباس قال لان عبد الله بن سلام
واصحابه اساءم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فانزل الله قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ففرحوا بذلك وكفر المشركون بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن البهامة ويريد بالأحزاب الذين
تحزبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة ومن ينكر بعضه يعني ذكر الرحمن وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن
(قل) يا محمد (إنما أمرت ان اعبد الله ولا اشرك به) أي أمرت ان اوجه عبادتي إلى الله ولا اشرك به في عبادته
احداً (اليه ادعو) يعني إلى الله أو إلى الاقرار بتوحيده وصفاته وتوجيه العبادة اليه وحده ادعو (واليه يآب)
أي اليه مرجعي ومصيري أي أرجع واصير إلى حيث لا يملك الضر والنفع إلا هو وحده فإنه لا يملك يوم القيامة
الأمر احداً من عباده كما ملكهم في الدنيا (وكذلك أنزلنا حكماً عربياً) أي كما أنزلنا الكتب إلى من تقدم

(١) قاله قيس بن العظميم يصف طعنة وبعده « يرى قائم من دونها ما ورائها » .

من الأنبياء بلسانهم انزلنا اليك حكمة عربية اي جارية على مذاهب العرب في كلامهم يعني القرآن فالحكم هاهنا بمعنى الحكمة كما في قوله وآتيناه الحكم والنبوة وقيل إنما سماه حكماً لما فيه من الأحكام في بيان الحلال والحرام وسماه عربياً لأنه أتى به نبي عربي (ولئن اثبت اهواءهم) خطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة اي لئن وافقت وطلبت اهواء الذين كفروا والاهواء جمع الهوى وهو ميل الطباع إلى شيء بالشهوة (بعد ما جاءك من العلم) بالله تعالى لأن ما آتيناك من الدلالات والمعجزات موجب للعلم الذي يزول منه الشبهات (مالك من الله من ولي) أي ناصر بعينك عليه ويمتلك من عذابه (ولا وافي) بيقين منه ومن ولي في موضع رفع ومن مزبذة

قوله تعالى (٣٨) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٩) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٤٠) وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّنَكَ فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل البصرة وابن كثير وعاصم بثبت بالتخفيف وقرأ الباقون بثبت بالشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي المنسي يحو ما يشاء ويثبت فاستغني بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني ومثل ذلك والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وزعم سيويه أن العرب من يعمل الأول من الفعلين ولا يسئل الثاني في شيء من كلامهم كقولهم متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً قال الكهيت

بأي كتاب أم بآية سنة ترى جهم غاراً علياً وتحسب

فلم يعمل الثاني وهذا والله اعلم فيما يمتثل النسخ والتبدل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الاوقات فأما غير ذلك فلا يبغي ولا يبدل وحجة من قال بثبت قوله واشد تثبتاً وحجة من قرأ بثبت ما روي عن عائشة كان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة اثبتها وقوله ثابت لأن ثبت مطاوع اثبت

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس عيروا رسول الله ﷺ بكثرة تزويج النساء وقالوا لو كان نبياً لشكته النبوة عن تزويج النساء فنزلت الآية ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك

﴿ المعنى ﴾

(ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) يا محمد (وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) أي نساء وأولاداً أكثر من نساءك وأولادك وكان لسليمان (ع) ثلاث مائة امرأة مهيرة وسبعائة سرية ولداود (ع) مائة امرأة عن ابن عباس أي فلا ينبغي أي يستكر منك ان تزوج وبولدك وروي ان ابا عبد الله (ع) قرأ هذه الآية ثم اوصى إلى صدره فقال نحن والله ذرية رسول الله ﷺ (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) أي لم يكن لرسول يرسله الله ان يبعث بآية ودلالة إلا بعد ان يأذن الله في ذلك ويطلق له فيه (لكل أجل كتاب) ذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه لكل اجل مقدر كتاب اثبت فيه ولا تكون آية إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب على وجه ما يوجه التدبير فالآية التي اقترحوها لها وقت اجله الله لا على شهواتهم واقتراحتهم عن البلخي ﴿ والثاني ﴾ لكل أمر قضاه الله كتاب كتبه فيه فهو عنده كأجل الحياة والموت وغير ذلك عن ابي علي الجبائي ﴿ والثالث ﴾

انه من المقلوب والمعنى لكل كتاب ينزل من السماء أجل ينزل فيه عن ابن عباس والضحاك ومعناه لكل كتاب وقت يعمل به فالتوراة وقت وللانجيل وقت وكذلك القرآن (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) قيل في المحو والاثبات أقوال **الاول** احدها **الثاني** ان ذلك في الاحكام من التاسخ والمنسوخ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج وهو اختيار ابي علي الفارسي **الثاني** انه محو من كتاب الحفظة المباحات وما لا يزال فيه ويثبت ما فيه الجزاء من الطاعات والمعاصي عن الحسن والكلبسي والضحاك عن ابن عباس والجبائي **الثالث** انه محو ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلا فيسقط عقابها ويثبت ذنوب من يريد عقابه عدلا عن سعيد بن جبير **الرابع** انه عام في كل شيء فيمحو من الرزق ويزيد فيه ومن الاجل ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابي وائل وقتادة وأم الكتاب أصل الكتاب الذي اثبت فيه الحادثات والكائنات وروى ابو قلابة عن ابن مسعود انه كان يقول اللهم ان كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الأشقياء واثبتني في السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروى مثل ذلك عن أئمتنا (ع) في دعواتهم المأثورة وروى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب لا يغير منه شيء ورواه عمران بن حصين عن النبي **الخامس** وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر قال سألته عن ليلة القدر فقال ينزل الله فيها الملائكة والكتب الى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنة وما يصيب العباد وأمر ما عنده موقوف له فيه المشيئة فيقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب وروى الفضيل قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول العلم علمان علم علمه ملائكته ورسله وانبياءه وعلم عنده مخزونه لم يطلع عليه أحد يحدث فيه ما يشاء وروى زرارة عن حمران عن ابي عبد الله (ع) قال مما امران موقوف ومحتوم فما كان من محتوم امضاء وما كان من موقوف فله فيه المشيئة يقضي فيه ما يشاء **السادس** انه في مثل تقدير الارزاق والمحن والمصائب يشبهه في أم الكتاب ثم يزيله بالدعاء والصدقة وفيه حث على الاقطاع اليه سبحانه **السابع** انه يمحو بالثوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات يبيته قوله إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات عن عكرمة **الثامن** انه يمحو ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها كقوله ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين وقوله كم أهلكنا قبلهم من القرون وروى ذلك عن علي (ع) **الثامن** انه يمحو ما يشاء بعني القمر ويثبت بعني الشمس ويانه فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة عن السدي وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل لأن الكتب المنزلة انتسخت منه فالمحو والاثبات إنما يقع في الكتب المنسوخة لا في أصل الكتاب عن أكثر المفسرين وقيل ان ابن عباس سأل كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا فكان كتابا وقيل اما سمي أم الكتاب لأنه الأصل الذي كتب فيه أولا سيكون كذا وكذا لكل ما يكون فإذا وقع كتب انه قد كان ما قيل انه سيكون والوجه في ذلك ما فيه من المصلحة والاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدونه اذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه وعلموا ان ما يحدث على كثرته قد احصاه الله تعالى وعلمه قبل ان يكون مع ان ذلك اهل في الصدور وأعظم في النفوس حتى كان من تصوره وفكر فيه شاهدا له (واما نريك) يا محمد (بعض الذي نعدم) اي ندمه هو لاه الكفار من نصر المؤمنين عليهم بشمكتك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال (أوتوفيتك) أي وتقضت لنا قبل ان نريك ذلك وبين بهذا انه يكون بعض ذلك في حياته وبضه بعد وفاته اي فلا تنتظر ان يكون جميع ذلك في أيام حياتك وان يكون مما لا بد ان تراه (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) اي عليك ان تبلغهم ما ارسلناك به اليهم وتقول بما أمرناك بالقيام وعلينا حسابهم ومجازاتهم والانتقام منهم إما عاجلا وإما آجلا وفي هذه دلالة على ان الاسلام سيظهر على سائر

الاديان ويطلب الشرك في أيامه وبعد وفاته وقد وقع المخبر به صى وفق الخبر

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الأولى بما تقدمها من قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه فيبين سبحانه أنه بشر كما أن الرسل الذين كانوا قبله كانوا بشرا والبشر لا يقدر على الآيات بل إنما يأتي الله سبحانه بها إذا اقتضت المصلحة ذلك عن أبي مسلم وقيل أنه لما تقدم ذكر إرساله بين سبحانه أنه أرسل قبله بشرا كما أرسله فعاله مثل حالهم عن القاضي وإنما اتصلت الآية الثانية بقوله لكل أجل كتاب لأن الظاهر اقتضى أن يكون كل مكتوب لا يجوز محوه فيبين سبحانه أنه محو ما يشاء ويثبت لئلا يتوهم أن المعصية مثبتة مع التوبة كما أنها كذلك قبل التوبة عن علي ابن عيسى وقيل لما نزلت وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله قالت قريش ما نراك يا محمد تملك شيئا فلقد فرغ من الأمر فانزل هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم أن لو شئنا احدثنا من امرنا ما شئنا ونحوه وثبت في ليلة القدر ما نشاء من ارزاق الناس ومصائبهم عن مجاهد وإنما اتصل قوله وأما نرينك الآية بما قبله من وعيد الله بالمذاب فيبين سبحانه أنه يفعل ذلك لا محالة أما في حياته أو بعد وفاته بشاره له وقيل أنه لما تقدم أن لكل أجل كتابا بين أن لعذابهم وقتا سيقطعه فيه لا محالة أما في حياته أو بعد وفاته

قوله تعالى (٤١) أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكمكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب (٤٢) وقد مكّر الذين من قبلهم فليلهم المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار (٤٣) ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب (ثلاث آيات) (القرارة) -

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ الواحد والباقون الكفار على الجمع وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي اسحاق والضحاك والحكم بن عتيبة ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وقراءة علي والحسن وابن السميع ومن عنده علم الكتاب

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي العلم في قوله وسيعلم الكافر هو المتمدي إلى مفعولين بدلالة تعليقه ووقوع الاستفهام بعده تقول علمت لمن الغلام فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غيره في نحو نسوف تعلمون من تكون له هاقبة الدار وموضع الجار مع المجرور نصب من حيث سد الكلام الذي هو فيه مسد المفعولين لا من حيث حكمت في نحو مررت يزيد بأن موضعه نصب ولكن اللام الجارة كانت متعلقة في الأصل فعل فكان مثل علمت بمن تمر في أن الجار يتعلق بالمرور والجملة التي هي منها في موضع نصب وقد علق الفعل عنها فأما من قرأ الكافر فإنه جعل الكافر اسما شائما كالإنسان في قوله أن الإنسان لفي خسر وزعموا أن لا الف فيه وهذا الحذف إنما يقع في كل فاعل نحو خالد وصالح ولا يكاد الحذف في فعال وزعموا أن في بعض الحروف وسيعلم الذين كفروا فهذا بقوي الجمع وقد جاء فاعل يراد به اسم الجنس انشد أبو زيد

إن تبخلي يا جمل أو تعلي وتصحى في الظاعن الموي

فهذا إنما يكون في الكسرة وليس المراد على كل كافر واحد والجمع الذي هو الكفار المراد في الآية لا اشكال فيه فأما من قرأ ومن عنده علم الكتاب فمعناه ومن فضله ولطفه. أم الكتاب ومن قرأ من عنده علم الكتاب

فالمنى مثل ذلك الا ان الجار ههنا بتملق بعلم وفي الاول بمحذوف وعلم الكتاب مبتدأ ومرفوع بالظرف على ما تقدم ذكره في قوله ومنهم اميون

اللغة

النقص اخذ الشيء من الجملة ثم يستعمل في نقصان المنزلة والظرف انتهى الشيء وهو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه واطراف الارض نواحيها والتقيب رد الشيء بعد فصله ومنه عقب العقاب على صيده اذا رد الكرور عليه بعد فصله عنه ومنه قول لبيد «طلب المعقب حقه المظلوم» والمكر الفتل عن البغية بطريق الحيلة والشهيد والشاهد واحد الا ان في شهيد مبالغة والشهادة اليقينة على صحة المعنى من طريق المشاهدة

الاعراب

نقصنا من اطرافها جملة منصوبة الموضع على الحال وكذلك قوله لا عقب لحكمه والباء في قوله كفى بالله زائدة قال علي بن عيسى دخلت لتحقيق الاضافة من وجهين جهة الفاعل وجهة حرف الاضافة وذلك ان الفعل لما جاز ان يضاف الى غير فاعله بمعنى انه امر به ازيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد ونظيره في تأكيد الاضافة قوله لما خلقت بيدي

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما يكون للكفار كاليقينة على الاعتبار فقال (اولم يروا انا نأتي الارض نقصنا) اي تقصدها (من اطرافها) واختلف في معناه على اقوال * احدها * اولم ير هو لاء الكفار انا نقص اطراف الارض بايمامة اهلها ومجازة نقص اهلها من اطرافها كقوله واسأل القرية اي افلا يخافون ان تقبل مثل ذلك بهم عن ابن عباس وقتادة وعكرمة * وثانيها * نقصنا بنهاب علمائها وتقهاثها وخيار اهلها عن عطاء ومجاهد والبخاري وروي نحو ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعن النبي عبد الله (ع) قال عبد الله بن مسعود موت العالم نلعة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار * وثالثها * ان المراد تقصد الارض نقصنا من اطرافها بالفتوح على المسلمين معناه فتنقص من اهل الكفر وزيد في المسلمين يعني ما دخل في الاسلام من بلاد الشرك عن الحسن والضحاك ومقاتل قال الضحاك اولم ير اهل مكة انا نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم ما حولها من الترمي وقال الزجاج علم الله تعالى ان يبان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر اي افلا يخافون ان تقصص لمحمد ارضهم كما فتحنا له غيرها وقد روي ذلك ايضا عن ابن عباس قال القاضي وهذا القول اصح لانه يتصل بما وعده من اظهار دينه ونصرته * ورابعها * ان معناه اولم يروا ما يحدث في الدنيا من اغتراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والنقصان بعد الزيادة عن الجبائي (والله يحكم) اي بفصل الامر (لا عقب لحكمه) ولا راد لقضائه عن ابن عباس ومعناه لا يعقب احد حكمه بالرد والنقض (وهو سريع الحساب) اي سريع المجازاة على افعال العباد على الطاعات والثواب وعلى المعاصي بالعقاب ثم بين سبحانه ان مكروهم بضمحل عند نزول العذاب بهم فقال (وقد مكر الذين من قبلهم) يريد ان الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالمؤمنين واحتملوا في كفرهم وديروا سعة تكذيب الرسل بما في وسعهم فابطل الله مكروهم كذلك يبطل مكر هؤلاء (فله المكر جميعا) اي له الامر والتدبير جميعا فيرد عليهم مكروهم بنصب الحجج لعباده وقيل معناه فاقه يملك الجزاء على المكر عن النبي سلم وقيل يريد بالمكر ما يفعل الله تعالى بهم من المكروه عن الجبائي (يعلم ما تكسب كل نفس) فلا يخفي عليه ما يكسبه الانسان من خير وشر لانه عالم بجميع المعلومات وقيل يعلم ما يمكرونه في امر الرسول فيبطل امرهم ويظهر امره ودينه (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) هذا تهديد لهم بانهم سوف يعلمون من تكون له عاقبة الجنة حين يدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار وقيل معناه وسيعلمون لمن العاقبة المحمودة لكم ام لهم

إذا اظهر الله ديبه (ويقول الذين كفروا) لك يا محمد (لست مرسلًا) من جهة الله تعالى إلينا (قل) لهم (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) أي كفى بالله شاهداً بيني وبينكم بما اظهر من الآيات وإبان من الدلالات على نبوتي (ومن عنده علم الكتاب) قيل فيه القوال ﴿أحدهما﴾ أن من عنده علم الكتاب هو الله عن الحسن والضحاك وسعيد بن جبير وإشعاره الزجاج قال ويدل عليه قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب ﴿والثاني﴾ أن المراد به مؤمنوا أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وإبراهيم الخليلي وانكر الأولون هذا القول بأن قالوا السورة مكية وهو لاء أسلموا بعد الهجرة ﴿والثالث﴾ أن المراد به علي بن أبي طالب وأئمة الهدى (ع) عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وروى عن يزيد بن معاوية عن أبي عبد الله أنه قال إيانا عني وعليّ أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي ﷺ وروى عنه عبد الله بن كثير أنه وضع يده على صدره ثم قال عندنا والله علم الكتاب كمالاً وبؤيد ذلك ما روى عن الشعبي أنه قال ما أحد أعلم بكتاب الله بعد النبي من علي بن أبي طالب (ع) ومن الصالحين من أولاده وروى عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن السلمي قال ما رأيت أحداً قرأ من علي بن أبي طالب (ع) للقرآن وروى أبو عبد الرحمن أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال لو كنت أعلم أن أحدًا أعلم بكتاب الله مني لأتيته قال فقلت له فليقل أو لم آتته

(سورة ابراهيم)

قال ابن عباس وقتادة والحسن هي مكية إلا آياتنا في قلى بدر من المشركين ألم ترالى الذين بدلوا نصمة الله كفوياً إلى قوله فبئس القرار

﴿ عدد آياتها ﴾

خمسة وخمسون آية شامي أربع حجازي آيتان كوفي في آية بصري
﴿ اختلافها ﴾ سبع آيات إلى النور في الموضعين حجازي شامي وعاد وثمود حجازي بصري وخلق جديد كوفي شامي والمدني الأول وفرعها في الساء غير المدني الأول والليل والنهار غير البصري عما يعمل الظالمون شامي

﴿ فضلها ﴾

أبي ابن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة ابراهيم (ع) والحجر اعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وبعدد من لم يبدها وروى عيينة بن مصعب عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة ابراهيم والحجر في ركعتين جميعاً في كل جمعة لم يصبه فقر ولا جنون ولا بلوى

﴿ تفسيرها ﴾

لا يختم الله سورة الرعد بآيات الرسالة وانزال الكتاب انسخ هذه السورة ببيان الغرض في الرسالة والكتاب فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (١) التو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد (٢) الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد (٣) الذين يستحيون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً أو لك في ضلال بعيد (ثلاث آيات عراقية وارب آيات حجازية شامية)

القراءة

الله الذي بالرفع مدني شامي والباقون بالجر

الحجة

قال ابو علي من قرأ بالجر جعله بدلان الحميد ولم يكن صفة لأن الاسم وان كان مصدر في الأصل والمصدر يوصف بها كما يوصف باسماء القاعلين فكذلك كان هذا الاسم في الأصل الإله ومعناه ذو العبادة أي العبادة تجب له قال ابو زيد التأله التنسك وانشد لروبة « سَبَّحَنَ وَاسْتَرْجَمَنَ عَن تَأْلَمِي » فهذا في انه في الأصل مصدر قد وصف به مثل السلام والمدل الا ان هذا الاسم غلب حتى صار في الغلبة لكثرة استعمال هذا الاسم كالعلم وقد يقلب ما اصله الصفة فيصير بمنزلة العلم قال

وَنَابِغَةُ الْجَعْدِيِّ بِالرَّمْلِ يَتُّهُ عَلَيْهِ صَفِيحٌ مِنْ تَرَابٍ وَجَنْدَلٍ

والأصل النابغة ولما غلب نزع منه الألف واللام كما ينزع من الاعلام نحو زيد وجعفر وربما استعمل في هذا

النحو الوجهان قال

تَقَعِدُهُمْ أَعْرَاقُ حِذِيمٍ بَعْدَمَا رَجَا الْهَتَمُ إِذْ رَأَى الْعَلَى وَالْمَكَارِمَ (٢)

وقال « وجلت عن وجوه الأهائم » ومن قرأ بالرفع قطعه من الأول وجعل الذي الخبر أو جملة صفة واضمر الخبر ومثل ذلك في القطع قل لي وربني لتأتينكم عالم الغيب من قطع ورفع جعل قوله لا يعزب عنه خبراً لقوله عالم الغيب والشهادة ومن جرّ أجرى عالم الغيب صفة على الأول وعلى هذا يجوز من يشنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن أي ان شئت جعلت هذا صفة لقوله من مرقدنا واضمرت خبراً لقوله ما وعد الرحمن وان شئت جعلت قوله هذا ابتداء وما وعد الرحمن خبراً

(اللفظة)

المزبور القادر على الاشياء المحتنع بقدرته من ان يضام والحميد المحمود على كل حال والاستحباب طلب محبة الشيء بالتمرض لها والمحبة ارادة منافع المحبوب وقد يستعمل بمعنى ميل الطباع والشهوة والبغية والابتغاء الطلب

(المعنى)

(أكر) قد ذكرنا معاني الحروف المقطعة في اوائل السور وذكرنا اختلاف الاقوال فيه في اول البقرة (كتاب انزلناه اليك) يعني القرآن نزل به جبرئيل (ع) من عند الله تعالى أي هذا كتاب منزل اليك يا محمد ^{والتو} ليس بسحر ولا بشر (لتخرج الناس) أي جميع الخلق (من الظلمات إلى النور) أي من الضلالة إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان (بإذن ربهم) أي باطلاق الله ذلك وامره به وفي هذا دلالة على انه سبحانه

(١) وقيل « الله ذو القانبات المدهم » . (٢) يعني بمنه قبيلة هتم عن ادراك الكلام نسبتهم إلى حذيم وهو اسم رجل
(٣) شطر من بيت الفرزدق وقدمه .

يريد الايمان من جميع المكلفين لأن اللام لام الغرض ولا يجوز ان يكون لام العاقبة لأنه لو كان ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين والمعلوم خلافه ثم بين سبحانه ما النور فقال (الى صراط العزيز الحميد) اي يخرجه من ظلمات الكفر الى طريق الله المؤدي الى معرفته المتبع في سلطانه المحمود في فعله ونسبه التي انعم بها على عباده (الله الذي له ما في السموات وما في الارض) اي له التصرف فيهما على وجه لا اعتراض عليه (وويل للكافرين من عذاب شديد) اخبر ان الويل للكافرين الذين يجهلون نعم الله ولا يترفون بوحدايته من عذاب تنضاعب الأمة ثم وصف الكافرين بقوله (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) اي يختارون المقام في هذه الدنيا العاجلة على الكون في الآخرة وإنما دخلت على لهذا المعنى وذمهم سبحانه بذلك لأن الدنيا دار انتقال وفناء والآخرة دار مقام وبقاء (ويصدون عن سبيل الله) اي يمنون غيرهم من اتباع الطريق المؤدي الى معرفة الله ويجوز ان يريد انهم يعرضون بنفوسهم عن اتباعها (ويخونها عوجا) اي يطلبون للطريق عوجا اي عدولا عن الاستقامة والسبيل يذكر ويؤث وقيل معناه يلمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تستمد الا بطاعته دون معصيته (اولئك في ضلال بعيد) اي في عدول عن الحق بعيد عن الاستقامة والصواب

قوله تعالى (٤) وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم (٥) ولقد أرسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور (٦) واذا قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويسنحون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (ثلاث آيات عراقية واربع في غيرهم)

❖ اللفظة ❖

التذكير التعريض للذكر الذي هو خلاف السهو والصبأ كثير الصبر

❖ الاعراب ❖

ان اخرج يحتمل ان تكون ان بمعنى اي على وجه التفسير ويصلح ان تكون ان التي توصل بالافعال الا انها وصلت ههنا بالأمر والتأويل الخبر كما تقول انت الذي فعلت والمعنى انت الذي فعل يسومونكم سوء العذاب جملة في موضع الحال

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه انه إنما يرسل الرسل الى قومهم بلغتهم ليكون اقرب الى الفهم واقطع العذر فقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) اي لم يرسل فيما مضى من الازمان رسولا الا بلغة قومه حتى اذا بين لهم فهموا عنه ولا يحتاجون الى من يترجمه عنه وقد ارسل الله تعالى نبينا محمداً ^{صلى الله عليه وسلم} الى الخلق كافة بلسان قومه وهم العرب بدلالة قوله وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً قال الحسن امتن الله على نبيه محمد ^{صلى الله عليه وسلم} انه لم يبعث رسولا الا الى قومه وبعثه خاصة الى جميع الخلق وبه قال مجاهد وقيل ان معناه انا كما أرسلناك الى العرب بلغتهم لتبين لهم الدين ثم انهم يبينونه للناس كذلك أرسلنا كل رسول بلغة قومه ليظهر لهم الدين ثم استأنف فقال (فيضل الله من يشاء) عن طريق الجنة اذا كانوا مستحقين للعقاب (ويهدي من يشاء) الى طريق الجنة وقيل يلفظ لمن يشاء ممن له لطف وبضل عن ذلك من لا لطف فمن تفكر وتدبر احتدى وثبت

الله ومن عرض عنه خذله الله (وهو العزيز الحكيم) ظاهر للمضى ثم ذكر سبحانه ارساله موسى فقليل (ولقد
 ارسلنا موسى (ع) فقال (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) اي بالمعجزات والدلالات (ان اخرج قومك) اي بأن
 اخرج قومك (من الظلمات الى النور) مرهنتاه اي امرناه بذلك وانما اضاف الاخراج اليه لانهم بسبب دعائه
 خرجوا من الكفر الى الايمان (وذكّرهم بايام الله) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه وامرناه بأن
 يذكروا قومه وقائع الله في الأمم الخالية واهلاك من اهلك منهم ليعتدروا ذلك عن ابن زيد والبلخي وبعضه
 قول عمرو بن كلثوم

وَأَيَّامٌ لَنَا غَيْرَ طَوَالٍ
 عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا نَدِينَا (١)

فيكون المعنى الايام التي انتقم الله فيها من القرون الاولى ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى ذكّرهم بضم الله
 سبحانه في سائر ايامه عن ابن عباس والبي بن كعب والحسن ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)
 ﴿ الثالث ﴾ انه يريد بايام الله سنته وافعاله في عبادته من انعام وانتقام وكنى بالأيام عنهما لأنها ظرف
 لهما جامعة لكل منهما عن ابي مسلم وهذا جمع بين القولين المتقدمين (ان في ذلك) التذكير (لآيات لكل
 صبار شكور) اي دلالات لكل من كان عادته الصبر على بلاء الله والشكر على نعمائه وانما جمع بينهما لأن
 حال المؤمن لا يخلو من نعمة يجب شكرها او محنة يجب الصبر عليها فالشكر والصبر من خصال المؤمنين
 فكأنه قال لكل مؤمن ولأن التكليف لا يخلو من الصبر والشكر (واذا قال موسى لقومه) والتقدير واذا ذكر
 يا محمد اذا قال موسى لهم (اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيتكم) اي في الوقت الذي انجيتكم (من آل فرعون
 يسومونكم) اي يذيقونكم (سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويشحون نساءكم) اي يشحون نساءكم (اي يشحون نساءكم) اي يشحون نساءكم
 (وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) والآية مفسرة في سورة البقرة قال الفراء وانما دخلت الواو هنا للمطف لأنهم
 كانوا يعذبون انواعاً من العذاب سوى الذبح فجاز المطف فاذا حذف الواو كان يذبحون تفسيراً للعذاب

قوله تعالى (٧) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
 عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٨) وَقَالَ مُوسَى إِنَّ نَكَفَرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنَفِي حَمِيدٌ
 (٩) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ
 إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ
 بِهِ وَإِنَّا لَنَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (١٠) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
 بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ بِآبَائِنَا فَاتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (اربع آيات في
 الكوفي خمس آيات في غيرهم لم يعد الكوفي ثمود آية)

﴿ التثنية ﴾

التأذن الاعلام يقال أذن وتأذن ومثله اوعد وقعد قال الخوارزمي حنزة

أَذَّنَتْهَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ نَاوِيٍّ مِثْلُ مِنْهُ الشَّوَاءُ (٣)

والنبا الخبر عما يعظم شأنه يقال لهذا الأمر نبا عظيم اي شأن نبا الله محمداً وتنبأ مسليمة الكذاب ادعى

(١) هذا بيت من مملته يريد ايام الوقائع التي نصر وانها على اعدائهم ويذكر قصة تعاقبهم الى الملك عمرو بن
 المنذر وقوله «ان نديننا» اي كرامة ان ندين اولئك الذين ضلوا (٢) راجع الجزء الاول صفحة ١٠٥ - ١٠٦ (٣)
 هذا اول بيت من مملته الشهيرة يعني اعلمتنا اسماء جزمها على فراقها ابانا ولم نزل من معاشرتها ولم تكن غيرها
 كذلك بل لب مقيم بمن اقامته .

النبوة والرب أخبث الشك والمريب المتهم وهو الذي يأتي بما فيه التهمة يقال أراب يريب إذا أتى بما يوجب الريبة

— (الاعراب) —

قوم نوح وما يعده مجرور بأنه بدل من قوله الذين من قبلكم وفاطر مجرور بأنه صفة لله في قوله أفي الله شك ومن في قوله من ذنوبكم للتبويض وقيل ان من زائدة عن ابي عبيدة وانكر سيويه زيادتها في الإيجاب

— « المعنى » —

لما تقدم ذكر النعمة اتبعه سبحانه بذكر ما يلزم عليها من الشكر فقال (واذا تأذن ربكم) التقديروا واذكر إذ أعلم ربكم عن الحسن والبليخي وقيل معناه واذا قال لكم ربكم عن ابن عباس وقيل اخبر ربكم عن الجبائي (لئن شكرتم لأزيدنكم) أي لئن شكرتم لي على نعمي لأزيدنكم في النعم (ولئن كفرتم) أي جحدتم نعمتي (ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي وقال ابو عبد الله (ع) في هذه الآية ايما عبد انعمت عليه نعمة فأقر بها قلبه وحمد الله عليها بلسانه لم ينفذ كلامه حتى يأمر الله له بالزيادة (وقال موسى ان تكفروا) أي تجحدوا نعم الله سبحانه (انتم ومن في الأرض جميعاً) من الخلق لم تصفوا الله شيئاً وإنما بضركم ذلك بان تستحقوا عليه العقاب (فإن الله) سبحانه (لنفي) عن شكركم (حميد) في افعاله وقد يكون كفر النعمة بأن يشبه الله بخلقه أو يجور في حكمه أو يرد على نبي من انبيائه فإن الله سبحانه قد انعم على خلقه في جميع ذلك بأن أقام الحجج الواضحة والبراهين الساطعة على صحته وعرضه بالنظر فيها للثواب الجزيل (ألم يأتكم) قيل ان هذا الخطاب متوجه إلى أمة نينا وآل بيته فذكرت باخبار من تقدمها من الأمم وقيل انه من قول موسى «ع» لأنه متصل به في الآية المتقدمة والمعنى ألم يحشركم (بأ الذين من قبلكم) أي اخبار من تقدمكم (قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) أي لا يعلم تفاصيل أحوالهم وعددهم وما فعلوه وفعل بهم من العقوبات إلا الله قال ابن الانباري ان الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها فاقطعت اخبارهم وغفت آثارهم فليس يعرفهم احد إلا الله وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسايون وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله كان لا يجاوز في انتسابه معدن عدنان فعلى هذا يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله مبتدأ وخبراً (جاءتهم رسولهم بالبينات) أي بالأدلة والحجج والأحكام والحلال والحرام (فردوا أيديهم في أفواههم) اختلفوا في معناه على أقوال **أحدها** ان معناه عضواً على اصابهم من شدة التئيط لأنه ثقل عليهم مكان الرسل عن ابن مسعود وابن عباس والجبائي **وثانيها** ان معناه جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيباً لهم ورداً لما جاؤوا به فالضمير في أيديهم للكفار وفي أفواههم للأنبياء فكانهم لاسمعوا وعظاً لأنبياء وكلامهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تكبيراً لهم عن الحسن ومقاتل **وثالثها** ان معناه وضوا أيديهم على أفواههم مومنين بذلك إلى الرسل ان اسكتوا عما تدعوننا اليه كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكيتة عن الكلبي فيكون على هذا القول الضميران للكفار **ورابعها** ان كلا الضميرين للرسل أي أخذوا أيدي الرسل فوضعوها على أفواههم ليسكتوهم ويقطروا كلامهم فيسكتوا عنهم لما يسؤوا منهم هذا كله إذا حمل معنى الأيدي والأفواه على الحقيقة ومن حملها على التوسع والمجاز اختلفوا في معناه فقيل المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج والمعنى فردوا حججهم من حيث جاءت لأن الحجج تخرج من الأفواه عن ابي مسلم وقيل ان المعنى ردوا ما جاءت به الرسل وكذبوهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه تركوا ما امروا به وكفوا عن قبول الحق عن ابي مبيدة والأخفش قال التتبي ولم يسمع احد ان العرب تقول رد يده في فيه بمعنى ترك ما امر به وانما المعنى انهم عضوا على الأيدي حنقا وغيظا كقول الشاعر « يردون في فيه شر الحسود » يعني انهم يسيطون الحسود حتى

بعض على اصابه الشر وقال آخر
قَدْ أَفْنَىٰ أَنَا مِلهُ أَزْمَهُ فَأَضْحَىٰ يَمَعُ عَلَى الْوَضِيفَا (١)

وقيل المعنى ردوا بأفواههم نعم الرسل أي وعظهم وبيانهم فوقع في موقع الباء عن مجاهد قال الفراء
انشدني بعضهم

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ (٢)

قال أراد ارغب بها يعني بتأله يقول ارغب بها من لقيط وقبيلته (وقالوا إنا كفرنا) أي جمعنا (بما أرسلتم به) أي برسالاتكم (وانا فني شك ما تدعوننا اليه) من الدين (مريب) متهم أي يوقنا في الريب بكم انكم تطلبون الرئاسة وتفترون الكذب (قالت رسلهم) حيثذ لهم (أفي الله شك) مع قيام الأدلة على وحدانيته وصفاته (فاطر السموات والأرض) أي خالقها ومنشئها لا يقدر على ذلك غيره فوجب ان يعبد وحده ولا يشرك به من لا يقدر على اختراع الأجسام (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أي يدعوكم إلى الإيمان به ليغفر لكم لا يضركم وقال من ذنوبكم بمعنى ليغفر لكم بعض ذنوبكم لأنه يغفر ما دون الشرك ولا يغفر الشرك وقال الجائي دخلت من التبعيض ووضع البعض موضع الجميع توسعا (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي يؤخركم إلى الوقت الذي ضربه الله لكم أن يميتكم فيه ولا يؤخذكم بماجل العقاب (قالوا) أي قال لهم قومهم (ان انتم) أي ما انتم (إلا بشر مثلنا) أي خلق مثلنا (تريدون أن تصدونا) أي تمنعنا عما كان يعبد آباؤنا) من الأصنام والاولئان (فأتونا بسلطان مبين) أي بحجة واضحة على صحة ما تدعون وبطلان ما نحن فيه ولما قالوا ذلك لأنهم اعتقدوا ان جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمعجزة ولا دلالة وقيل انهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهرت فيايبينهم وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يريد الكفر والشرك وانا يريد الخير والإيمان وانه انما يمش الرسل إلى الكفار رحمة وفضلا وانعاما عليهم ليؤمنوا فإنه قال يدعوكم ليغفر لكم قوله تعالى (١١) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢) وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (آيات)

(المعنى) -

ثم حكى سبحانه جواب الرسل للكفار فقال (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) في الصورة والهيئة ولنا ملائكة (ولكن الله يمين على من يشاء من عباده) أي ينعم عليهم بالنبوة وينبئهم بالمعجزة فلقد من الله علينا واصطفانا وبشنا أنبياء (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان) أي بحجة على صحة دعواتنا (إلا باذن الله) أي بأمره واطلاقه لنا في ذلك (وعلى الله فليترك كل المؤمنون) المصدقون به وبأنبيائه (وما لنا الا نتوكل على الله) معناه وأي شيء لنا إذا لم نتوكل على الله ولم نفوض أمورنا اليه وعلى هذا تكون ما للاستفهام وقيل ان معناه ولا وجه لنا ولا عند لنا في ان لا نتوكل على الله ولا نشي به فتكون ما للنفي وإذا كانت للاستفهام فمعناه النفي أيضا (وقد هدانا سبلنا) أي عرفنا طريق التوكل وقيل معناه هدانا إلى سبيل الإيمان ودلنا على معرفته ووقفنا لتوجيه العبادة اليه وان لا نشرك به شيئا وضمن لنا على ذلك جزيل الثواب والمراد انا إذا كنا مهتدين فلا ينبغي لنا ان لا نتوكل على الله (ولنصيرن على ما آذيتونا) فانه تعالى يكفيننا امركم وينصرنا عليكم (وعلى الله

(١) : الآم شدة المعنى بالفم كله وأزمه في البيت كأنه فاعل أفنى . وفي بعض النسخ «أزمة» والوظيف : مستنوز اللداع والساق . (٢) سنيس - كزبرج - : قبيلة من طي .

فليتوكل المتوكلون) وأنا قصر هذا وأمثاله في القرآن على نبينا ليقتدي بمن كان قبله من المرسلين في تحمل اذى المشركين والصبر على ذلك والتوكل وروى الواقدي باسناده عن ابي سريح عن ابي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ إذا اذاك البرانيث فخذ قدحا من الماء فاقرأ عليه سبع مرات وما لنا ألا نتوكل على الله الآية وقيل فإن كنتم آمنتم بالله فكفروا شركم وأذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فلذلك تبيت تلك الهيلة آمنا من شرها

قوله تعالى (١٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٤) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٥) وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٦) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٧) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيفُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٨) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن عباس ومجاهد وابن عيصن واستفتحوا وقراءة ابن ابي اسحاق في يوم عاصف بالاضافة

﴿ الحجة ﴾

قوله واستفتحوا مطوف على ما سبق من قوله فلاحى اليهم ربهم أي وقال لهم استفتحوا أي استنصروا الله عليهم واستقضوه بينكم وفي الحديث كان (ص) يستفتح بصالحك المهاجرين أي يستنصر بهم وقيل معناه انه يقدمهم ويبدأ امره بهم وكانهم انما سموا القاضي فتاحا لأنه يفتح باب الحق الذي هو منسند فيعمل عليه واما قوله في يوم عاصف فمعناه في يوم ربيع عاصف فحذف الموصوف واقبقت الصفة مقامه وكذلك في قراءة الجماعة في يوم عاصف العاصف هو الريح لا اليوم

(الفة)

الاستفتاح طلب الفتح بالنصر والحية اخلاف ما قدر به المنفعة وضده النجاح وهو ادراك الطلبة والجبرية طلب علو المنزلة بما ليس له غاية في الوصف وإذا وصف المبدأ به جبار كان ذما وإذا وصف الله سبحانه به كان مدحا لأن له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة والمنيد مبالغة العائد والناد الامتناع من الحق مع الطر به كبروكوبغا قال

إِذَا نَزَلْتُ فَأَجْمَلَانِي وَسَطًّا

وَالرَّوَاءُ وَالْحَلْفُ وَاحِدٌ هُوَ الْجَهْمُ الْمَقَابِلَةُ لَجْمَةُ الْقَدَامِ وَقَدْ يَكُونُ رَوَاءُ بِمَعْنَى قَدَامٍ قَالَ

أَبْرَجُوا بَنُو مَجْمٍ وَأَنْ سَمِعِي وَطَاعَتِي

وَقَوْمِي تَمِّمُ وَالْفَلَاةُ وَرَأْيَا

قال الزجاج الرواء ما يوارى عنك وليس من الاضداد قال النابغة

حَلَفْتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي رِيَّةً

وَلَيْسَ رَوَاءُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ

والصديد القبيح يسيل من الجرح أخذ من انه يصد عنه تكرها له والقبيح دم مختلط بدمه وقوله صديديان للياه الذي يسقون فلذلك امره بامراره والتعرج تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار والاسافة اجراء الشراب

في الخلق يقال ساغ الشيء واسقته انا والاشتداد الاسراع بالحركة على عظم القوة يقال اشتد به الوجع من هذا
لأنه اسرع اليه على قوة ألمه ويوم عاصف شديد الريح والعصف شدة الريح وانما جعل العصف صفة لليوم لأنه
يقع فيه كما يقال ليل نائم ويوم مطر ويجوز ان يكون المراد يوم عاصف ريحه ومثله جعر ضب خرب
أي خرب جعره

﴿ الاعراب ﴾

أو في قوله أو لتعودن بمعنى إلا ان كما يقال لا اكلمك أو تدعوني وقال الفراء لا يكاد يستعمل فيما يقع
وفيا لا يقع فما يقع مثل قوله ولا يكاد يسيغه وما لم يقع مثل قوله لم يكدرها لأن المعنى لم يرها . مثل الذين
كفروا تقديره فيا يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم فيكون رفعا بالابتداء ويجوز أن يكون مثل مقعا
كأنك قلت الذين كفروا بربهم فيكون رفعا بالابتداء واعمالهم رفع على البدل وهو بدل الاشتغال وكرماد الخبر

﴿ المعنى ﴾

(وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجكم من ارضنا) أي من بلادنا (فلو تعودن في ملتنا) أي الا ان ترجعوا
إلى ادياننا ومذاهبنا التي نحن عليها (فأوحى اليهم ربهم لنهلك الظالمين) أي فأوحى الله إلى رسوله لما ضاقت
صدورهم بما لقوا من قومهم انا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أي
نسكننكم ارضهم من بعدهم يريد اصبوا فاني اهلك عدوكم واورثكم ارضهم وفي معناه ما جاء في الحديث
من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك لمن خاف مقامي) أي ذلك الفوز لمن خاف وقوفه للحساب والجزاء بين يدي
في الموضع الذي اقيم فيه واطاف المقام إلى نفسه لأنهم يقومون بأمره (وخاف وعيد) أي عقابي وانما قالوا أو
لتعودن في ملتنا وهم لم يكبروا على ملتهم قط اما لأنهم توهبوا على غير حقيقة انهم كانوا على ملتهم واما لانهم
ظنوا بالنشوء انهم كانوا عليها (واستفتحوا) أي طلبت الرسل الفتح والنصر من قبل الله تعالى على الكفار عن
مجاهد وقتادة وقيل هو سؤالهم ان يحكم الله بينهم وبين امسهم لأن الفتح الحكم والفتح الحاكم عن الجبائي
(وخاب كل جبار عنيد) أي خسر كل متكبر معاند مجانب للحق دافع له وقيل معناه واستفتح الكفار العذاب
الذي توعدهم به الانبياء على جهة التكذيب لهم (من ورائه جهنم) أي جهنم بين يدي هذا الجبار عن الزجاج
أي له مع الحية نار جهنم بين يديه وقيل معناه من خلفه وانما جاز في الزمان ان يسمى الأمام وراء وان لم يجر في
غيره لأن الزمان المستقبل كأنه خلفهم لأنه يأتي فيلحقهم كما يلحق الإنسان من خلفه (ويسقى من ماء صديد)
أي ويسقى ما يسيل من الدم والقيح من فروج الزواني في النار عن ابي عبد الله (ع) واكثر المفسرين أولونه
لون الماء وطعمه طعم الصديد وروى ابو امامة عن النبي ﷺ في قوله ويسقى من ماء صديد قال يقرب اليه
فيكرهه فإذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شرب قطع أمعاء حتى يخرج من دبره يقول الله
مز وجل وسقوا ماء حميا قطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهسل يشوي الوجوه وقال رسول الله
ﷺ من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين يوما فإن مات وفي بطنه شيء من ذلك كان حقا على الله ان
يسقيه من طينة خال وهو صديد اهل النار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدور جهنم فيشربه أهل
النار فيصهر به ما في بطونهم والجلود رواه شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق (ع) عن أبيه (ع) عنه
ﷺ (يتجرعه) أي يشرب ذلك الصديد جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقارب أن يشربه تكرها
له وهو يشربه والمعنى ان نفسه لا تقبل لحرارته ورتته ولكن يكره عليه (ويأتيه الموت من كل مكان) أي
تأتيه شدائد الموت وسكراته من كل موضع من جسده ظاهره وباطنه حتى تأتيه من اطراف شعره عن ابراهيم
التيمي وابن جريج وقيل يحضره الموت من كل موضع وبأخذه من كل جانب من فوقه ومن تحته وعن يمينه

(١) الفروة : جلدة الرأس (٢) الغيبال : عصاة اهل النار ذكره في النهاية . وفي اللسان وطينة الغيبال : ماسال
من جلود اهل النار

وشاله ومن قدمه وخلفه عن ابن عباس والجبائي (وما هو ميت) أي ومع اتیان أسباب الموت والشدائد التي يكون معها الموت من كل جهة وانواع العذاب التي كان يموت بدونها في الدنيا لا يموت فيستريح وهذا كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا (ومن ورائه) أي وراء هذا الكافر (عذاب غليظ) وهو الخلود في النار وقيل معناه ومن بعد هذا العذاب الذي سبق ذكره عذاب أشد وأوجع مما تقدم عن الكلبي ثم أخبر سبحانه عما ينال الكفار من الحسرة فيا تكلفوه من الاعمال فقال (مثل الذين كفروا بربهم) وقيل ان معناه مثل اعمال الذين كفروا بربهم فعذف المضاف اعتادا على ذكره بعد المضاف اليه عن الفراء وقيل معناه ما نقص عليك مثل الذين كفروا عن سيئوه (أعمالهم) في قلة انتفاعهم بها (كرماد اشتدت به الريح) أي ذرته ونفته (في يوم عاصف) أي شديد الريح فكما لا يقدر احد على جمع ذلك الرماد المتفرق والانتفاع به فكذلك هؤلاء الكفار لا يقدرون بما كسبوا على شيء) أي لا يقدرون على الانتفاع بأعمالهم ومثل قوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ان عملهم ذلك هو الذهاب البعيد عن النعم وقيل الخطأ البعيد عن الصواب عن ابن عباس وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة لأنه أضاف العمل اليهم ولو كان مخلوقا له سبحانه لما صح اضافته اليهم

قوله تعالى (١٩) **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (٢٠) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢١) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا لَكُمْ مَعْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِرٍ (ثلاث آيات في الكوفي والمدني الاول آيتان عند غيرهم)**

❖ القراءة ❖

قرأ خالق السموات وهما وفي النون اهل الكوفة غير عاصم والباقر خلق

❖ الحجة ❖

قال ابو علي من قرأ خلق فلان ذلك فعل ماض فأخبر عنه بلفظ الماضي ومن قرأ خالق على اسم الفاعل جعله مثل فاطر السموات لان فاطر بمعنى خالق

❖ اللفظ ❖

البروز خروج الشيء عما كان ملتصبا به إلى حيث يقع عليه الحس يقال برز للقتال إذا ظهر له . الضفاء جمع ضيف والضعف نقصان القوة يقال اضفه ضعف والاستكبار والتكبر والتجبر واحد وهو رفع النفس فوق مقدارها في الوصف والتبع جمع تابع كالتيب جمع غائب قال الزجاج ويجوز ان يكون مصدرا وصف به فيكون بمعنى ذوي تبع واغنى منه أي دفع عنه فأضاه أي نفى الطاعة منه بما فيه كفايته وحاص يجيئ حيا وحيو صامتل حاد والحيد الزوال عن المكروه والجزع انزعاج النفس يورود ما ينعم وتقيضه الصبر قال

فَإِنْ تَصَبَّرْ فَالْصَبْرُ خَيْرٌ مَغَبَّةٌ (١) وَإِنْ تَجَزَّعَا فَالْأَمْرُ مَا تَرَيَانِ

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه انه إنما خلق الخلق ليعبده وليؤمنوا به لا يكفروا فقال (ألم تر) أي ألم تعلم لأن الروية تمد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الادراك للبصر وهما لا يمكن ان يكون بمعنى الروية بالبصر والخطاب

للنبي ﷺ والمراد به الأمة (ان الله خلق السموات والارض) على ما تقتضيه الحكمة والخلق فعل الشئ على تقدير وترتيب (بالحق) أي بقوله الحق وقيل اراد للحق اي للفرض الصحيح والامر الحق وهو الدين والعبادة أي ليمدوه فيستحقوا به الثواب عن ابن عباس والجباثي (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي ان يشأ يهلككم ويفنكم ويخلق قوما آخرين مكانكم لأن من قد على بناء الشئ كان على هدمه اقدر إذالم يخرج عن كونه قادرا (وما ذلك على الله بعزيز) أي وما اهلاككم والاتيان بخلق جديد بمتنع ولا متعذر على الله تعالى (وبرزوا لله جميعا) أخبر سبحانه ان الخلق يبرزون يوم القيامة لله أي يظهرون من قبورهم ويخرجون منها لحكم الله فاللفظ للماضي والمراد به الاستقبال للتحقيق وصحة الوقوع وقيل معناه سيرزون لله جميعا القادة والأتباع عن ابن عباس وهو يتصل بقوله ولا يكاد يسينه . لما تقدم ذلك الوعيد بين صفة ذلك اليوم وما يجري بين الأتباع والمتبعين من المجادلة وقال (فقال الضعفاء للذين استكبروا) أي تكبروا عن الإيمان فلم يؤمنوا وهم القادة في الدنيا الذين هم الأكابر والرؤساء والقادة في الدين الذين هم علماء السوء (انا كنا لكم تبعا) في الكفر على وجه التقليد (فهل انتم ممنون عنامن عذاب الله من شئ) أي هل انتم دافعون عنا شيئا من عذاب الله الذي قد نزل بنا ان لم تقدرنا على دفع الكل ومن للتبويض (قالوا لو هدينا الله لهديناكم) أي قال المتبعون للاتباع لو هدانا الله الى طريق الخلاص من العقاب والوصول الى النعيم والثواب لهديناكم الى ذلك والمعنى لو خلصنا لخلصناكم ايضا لكن لا مطمع فيه لنا ولكم عن الجباثي وابي مسلم وقيل معناه لو هدانا الله الى الرجعة الى الدنيا فنصلح ما افسدناه لهديناكم وقيل لو هدانا الله بلجابتنا الى الطلب لهديناكم بالمأله سبحانه ذكر هذين الوجهين القاضي عبد الجبار في تفسيره (سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص) يعني ان الصبر والجزع سيان مثلان ليس لنا محيص ولا مهرب من عذاب الله اي انقطعت حيلتنا ويثنا من للنجاة . حث الله سبحانه في هذه الآية على النظر وحذر من التقليد والى هذا اشار امير المؤمنين علي (ع) في قوله لا تحرث الهمداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله

قوله تعالى (٢٢) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده بمصرخي بكسر اليا. والباقون بفتحها

(الحجة)

قال ابو علي قال الفراء في كتابه في التصريف هو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب قال وزعم القاسم بن معن انه صواب قال وكان ثقة بصيرا وزعم قطرب انه لثة من بني يربوع يزيدون على يا. الاضافة يا. وانشد
ماضي إذا ما هم بالمضي قال لها هل لك يا ناقي قالت له ما أنت بالمرضي
وانشد الفراء ذلك ايضا ووجه ذلك من القياس ان اليا. ليست تظلو من ان تكون في موضع النصب او الجر فالياء في النصب والجر كالياء. فيها وكالكاف في اكرمك وهذا لك فكما ان اليا. قد لحقها الزيادة في هذا كهم ولحق ايضا الكاف الزيادة في قول من قال اعطيتكاه واعطيتكاه فيما حكاها سيويه وهما اختالياء

كذلك الحقوا الياء الزيادة في المد فقالوا فيمي^{٢٣} ثم حذفت الياء الزائدة على الياء. كما حذفت الزيادة من الهاء في قول من قال له ارقان^{٢٤} وزعم ابو الحسن انها لغة فكما حذفت الزيادة من الكاف في قول من قال اعطيتك^{٢٥} واعطيتك كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء وبالجملة حذفت الزيادة من الياء. كما حذفت من اختيها واقرت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليها من الكسرة وكما حذفت الكاف والهاء والياء الزيادة كذلك حذفت الياء المحذوفة نحو «رميته فاصبته وما اخطأت الرمية» فاذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللفظة وإن كان غير ما افشى منها وعضده من القياس ما ذكرناه لم يميز لقائل ان يقول ان القراءة بذلك لمن لاستفاضة ذلك في السماع والقياس قال البصير كسر الياء. ليكون طبقا لكسرة همزة قوله اني كفرت لانه اراد الرصل دون الوقف والابتداء بانني كفرت لأن الابتداء بانني كفرت محال فلما اراد هذا المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها

✽ اللفظة ✽

الاصراخ الاغاثة باجابة الصارخ ويقال استصرخني فلان فاصرخته أي استغاث بي فأغثته

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم وعيد الكافر وصفة يوم الحشر وما يجري فيه من الجدال بين الاتباع والمتبعين عقب ذلك سبحانه بكلام الشيطان في ذلك اليوم فقال (وقال الشيطان) وهو ابليس باتفاق المفسرين يقول لأوليائه الذين اتبعوه (لما قضي الأمر) أي فرغ من الحكم بين الخلائق ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار عن ابن عباس والحسن وقال انه لم يخاطبهم بذلك قال الحسن وهو احقر واذل من ان يخاطب لولا ان الله اذن فيه توبيخا لأهل النار وقيل انه يوضع له منبر في النار فيرقاه ويجمع الكفار عليه باللائمة عن مقاتل (ان الله وعدكم وعد الحق) من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب (ووعدتكم) ان لا يموت ولا ينشور ولا الجنة ولا نار وقيل ووعدتكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصي (فأخلفتكم) أي كذبتكم وقيل لم اوف لكم بما وعدتكم (وما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم) اي وما كان لي عليكم سلطان بالاكراه والاجبار على الكفر والمعاصي ولما كان لي سبيل الوسوسة والدمرة (فاستجبت لي) بسوء اختياركم وقيل معناه ما اظهرت لكم حجة احتج بها عليكم إلا ان دعوتكم فيكون هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه لكن دعوتكم إلى الضلال واغويتكم فصدتموني واجتتموني وقبلتم مقاتلي بسوء اختياركم لأنفسكم (فلا تلوموني) على ما حل بكم من العقاب بسوء اختياركم (ولوموا أنفسكم) حيث عدتكم عن امر الله إلى اتباعي من غير دليل وبرهان (ما انا بصرخكم وما انتم بصرخي) اي ما انا بغيثكم ولا معينكم وما انتم بغيثي ولا معيني (اني كفرت بما اشر كتمون من قبل) أي كفرت الآن بما كان من اشر اكتم اياي مع الله في الطاعة اي جحدت ان اكون شريكا لله تعالى فيا اشر كتموني فيه من قبل هذا اليوم وقال الفراء وجماعة تقديره اني كفرت بما اشر كتموني به اي بالله وبمعي بقوله من قبل في وقت آدم (ع) حين امر بالسجود فأبى واستكبر (ان الظالمين لهم عذاب اليم) قيل انه من تمام قول الشيطان لأهل النار وقيل انه ابتداء وعيد من الله تعالى لهم وهو الأظهر وفي هذه الآية دلالة على ان الشيطان لا يقدر على اكثر من الدماء والاغواء وان ليس عليه إلا عقاب الدمرة فحسب

قوله تعالى (٢٣) وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٤) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٥) ثَوْتِي أَكَلَهَا كُلُّ حِينٍ بِإِذْنِ

رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٦) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (اربع آيات في الكهف في والبصري وثلاث آيات عند الباقرين ونمام الثانية في السماء

(- القراءة -)

في الشواذ قراءة الحسن وادخل الذين آمنوا يرفع اللام

(- الحجة -)

قال ابن جنى هذه القراءة على ان ادخل من كلام الله كأنه قطع الكلام واستوتف فقال الله وأنا ادخل المؤمنون جنات وعلى هذا قوله باذن ربهم أي باذني إلا انه اعاد ذكر الرب ليضيفه اليهم فيكون اذهب في الاكرام والتقريب منه لهم

(- اللفظة -)

التحية التلقي بالكرامة في المخاطبة واما قوله التحيات لله فإن في ذلك ثلاثة أقوال ﴿ اولها ﴾ المعنى ان الملك لله يقال حيائك الله أي ملكك ﴿ وثانيها ﴾ البقاء. فـه يقال حيائك الله أي ابقاك الله فيكون بمعنى احيائك الله كما يقال وصى ووصى ومهل وامهل ﴿ وثالثها ﴾ ان ذلك بمعنى السلام قال القتيبي وانا جمع لأنه كان في الارض ملوك يمرون بتحيات مختلفة فيقال لبعضهم آبيت الامن وبعضهم اسلم وانعم وبعضهم عش الف سنة فقيل لنا قولوا التحيات لله أي كل الالفاظ التي يجي بها الملوك هي لله والاجتثاث اقتلاع الشيء من اصله يقال جث واجثته والجنة اخذت منه

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم وميد الكافرين عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال (وادخل الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (وعملوا الصالحات) أي الطاعات (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها) قد سبق معناه (باذن ربهم) أي بأمر ربهم واطلاقه (تحيتهم فيها سلام) مر تفسيره في سورة يونس ثم ضرب الله سبحانه مثلاً يقرب من افهام السامعين ترغيباً للخلق في اتباع الحق فقال (ثم تر) أي ثم تسم يا سمعون كيف شرب يشا (أي ينيب) الله سبحانه ثم فسّر ذلك المثل فقال (كلمة طيبة) وهي كلمة التوحيد شهادة ان لا إله إلا الله من ابن عباس وقيل هي كل كلام امر الله تعالى به من الطاعات عن ابي علي قال وانا سهاها طيبة لأنها زاكية نامية لصاحبها بالحيرات والبركات (كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء) أي شجرة زاكية نامية واسعة اصلها في الأرض عالية أغصانها وغارها في السماء واراد به المبالغة في الرفة والاصل سافل والفرع عال الا انه يتوصل من الاصل إلى الفرع وروى انس عن النبي ﷺ ان هذه الشجرة الطيبة هي النخلة وقيل انها شجرة في الجنة عن ابن عباس وروى ابن مقدة عن ابي جعفر (ع) ان الشجرة رسول الله ﷺ وفرعها علي (ع) وعصر الشجرة فاطمة ومقرتها اولادها واغصانها واوراقها شيعتنا ثم قال (ع) ان الرجل من شيعتنا لموت فيسقط من الشجرة ورقة وان الموتود من شيعتنا لمولد فيورق مكان تلك الورقة ورقة وروي عن ابن عباس قال قال جبريل (ع) للنبي ﷺ انت الشجرة وعلي غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين غارها وقيل اراد بتلك شجرة هذه صفتها وان لم يكن لها وجود في الدنيا لكن الصفة معلومة وقيل ان المراد بالكلمة الطيبة الايمان والشجرة الطيبة المؤمن (تؤتي اكلها) أي تخرج هذه الشجرة ما يؤكل منها (كل حين) أي في كل سنة اشهر عن ابن عباس وابي جعفر (ع) وقال الحسن وسعيد بن جبيرة أراد بذلك انه يؤكل ثمرها في الصيف وظلمها في الشتاء وما بين صرام النخلة إلى حملها

سنة اشهر وقال مجاهد وعكرمة كل حين اي كل سنة لأنها تحمل في كل سنة مرة وقال سعيد بن المسيب في كل شهرين لأن من وقت ما يطعم النخل إلى صراجه يكون شهرين وقيل لأن من وقت ان يصرم النخل إلى حين يطعم يكون شهرين وقال الربيع بن انس كل حين اي كل غدوة وعشية وروي ذلك عن ابن عباس ايضاً وقيل معناه في جميع الأوقات لأن تمر النخل يكون اولاً طلعاً ثم يصير بلعاً ثم يسرا ثم رطباً ثم تمر فيكون ثمرة موجودة في كل الاوقات ويدل على ان الحين بمنزلة الوقت قول النابغة في صفة الحية والمددوغ

تَنَادَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا تَطَلَّقَهُ حِينًا وَحِينًا تَرَاجَعُ (١)

يعني ابن السم يخف ألمه وقتاً ويسود وقتاً وقيل انه سبحانه شبه الايمان بالنخلة لثبات الايمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في منبتها وشبه ارتفاع علمه إلى السماء بارتفاع فروع النخلة وشبه ما يكسبه المؤمنون من بركة الايمان وثوابه في كل وقت وحين بما ينال من ثمرة النخلة في اوقات السنة كلها من الرطب والتبر وقيل ان معنى قوله توتني اكلها كل حين (باذن ربها) ما يقضي به الأئمة من آل محمد عليهم السلام وشيعتهم في الحلال والحرام (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) أي لكي يتدبروا فيعرفوا الغرض بالمثل (ومثل كلمة خبيثة) وهي كلمة الكفر والشرك عن ابن عباس وغيره وقيل هو كل كلام في معصية الله تعالى عن ابي علي (كشجرة خبيثة) غير زاكية وهي شجرة الحنظل عن ابن عباس وانس ومجاهد وقيل انها شجرة هذه صفتها وهو انه لا قرار لها في الارض من الحسن وقيل انها الكشوث (٢) عن الضحاك وروي ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) ان هذا مثل بني امية (اجتث من فوق الارض) اي اقتطعت واستوصلت واقتطعت جثته من الارض (ما لها من قرار) اي مالتلك الشجرة من ثبات فان الريح تنسفها وتذهب بها فكما ان هذه الشجرة لا تبات لها ولا بقاء ولا ينتفع بها احد فكذلك الكلمة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها ولا يثبت له منها نفع ولا ثواب وروي عن ابن عباس ايضاً انها شجرة لم يخلقها الله بعد وانما هو مثل ضربه بهذا وهذا القول حسن لأن الحنظل وغيره قد ينتفع بذلك في الأدوية

قوله تعالى (٢٧) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ (٢٩) جَهَنَّمَ بَصُلُونَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٣٠) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَتَّمَعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (أربع آيات)

﴿ اللغة ﴾

الاخلال وضع الشيء في محل اما بمجاورة ان كان من قبيل الاجسام او بمداخلة ان كان من قبيل الاعراض والبوار الملاك يقال بار الشيء يبور بوراً اذا هلك ورجل بور أي هالك وقوم بور ايضاً قال ابن الزبير

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بَوْرٌ

والانداد الامثال المتأدون قال

تُهْدَى رُؤُوسُ الْمُتَرَفِّينَ الْآنِدَادِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّادِ (٣)

﴿ الاعراب ﴾

جهنم انتصب على البدل من قوله دار البوار وبصلونها في موضع نصب على الحال من قومهم وان شئت كان حالاً من جهنم وان شئت فمعناها كقوله تحمله بعد قوله فأتت به قومها

(١) تناذرها اي اندد بعضهم بعضاً . وراقون جمع الراقي : من صنع الرقبة وهي العوذة . وفي الديوان وشرح الاشموني «تطلقه طوراً وطوراً تراجع» . ويروي ايضاً «من سوء سمها» . (٢) الكشوث : نبات يلتف على الشوك والشجر لاصل له في الارض ولا ورق . (٣) مر البيت في صفحة ٢٠٠ .

* المعنى *

لما قدم سبحانه ذكر الكلمة الطيبة عقبه بذكر ما يحصل لصاحبها من المثوبة والكرامة فقال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي يثبتهم في كرامته وثوابه بالقول الثابت الذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان لأنه ثابت بالحجج والأدلة وقيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الحق ويثبتهم بها حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الجنة وقيل معناه يثبتهم بالتمسك في الأرض والنصرة والفتح في الدنيا وبإسكانهم الجنة في الآخرة عن أبي مسلم وقال أكثر المفسرين إن المراد بقوله في الآخرة في القبر والآية وردت في سؤال القبر وهو قول ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن أئمتنا (ع) وروى محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي بإسناده عن سويد بن غنلة عن أمير المؤمنين علي (ع) قال إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مثل له ماله وولده وعمله فيلتمت إلى ماله فيقول والله أني كنت عليك لحرباً شحيحاً فإني عندك فيقول خذمني كفنك فيلتمت إلى ولده فيقول والله أني كنت لكم محباً وعليكم لمحامياً فإذا لي عندكم فيقولون نوديك إلى خرتك نواربك فيها قال فيلتمت إلى عمله فيقول والله أني كنت فيك لزهاداً وإن كنت علي لتقيلاً فإذا لي عندك فيقول أنا قربك في قبرك ويوم نشرك حتى اعرض أنا وأنت على ربك قال فإن كان لله ولياً اتاه أطيّب الناس ريحاً وأحسنهم منظرأً وأحسنهم ريشاً فقال أشير بروح وريحان الجنة نعم ومقدم خير مقدم فيقول له من أنت فيقول أنا عمك الصالح أرتحل من الدنيا إلى الجنة وانه ليعرف غاسله ويناشد حامله إن بعجله فإذا ادخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الأرض بأنيابها أصواتهما كالرعد القاصف وإبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي ودينني الإسلام ونبي محمد ﷺ فيقولان ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قوله سبحانه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم يسبحان له في قبره مدبره ثم يفتحان له باباً إلى الجنة ثم يقولان له نعم قور العين نوم الشاب الناعم فإن الله يقول أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً قال وإذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقبح خلق الله زياً وأنته ريحاً فيقول أشير بنزل من حميم وتصلية جحيم وانه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحتسبه فإذا ادخل القبر أتاه ملكا القبر فألقيا أكفانه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لادري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضربان يافوخه بمرزبة معها ضربة ما خلق الله من دابة إلا تذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له نعم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القناة من الزج حتى إن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبسه الله من قبره وانه ليتمنى قيام الساعة ما هو فيه من الشر نموذ بالله من عذاب القبر (ويضل الله الظالمين) أي ويضلهم عن هذا التثبيت في الدنيا وفي الآخرة (ويقل الله ما يشاء) من الإمهال والانتقام وضغطة القبر ومساءلة منكر ونكير لا اعتراض عليه في ذلك ولا قدرة لأحد على منعه وهذا من تمام الترغيب والترهيب ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) يحتمل أن يكون المراد ألم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمة الله بمحمد ﷺ أي عرفوا محمداً ثم كفروا به فبدلوا مكان الشكر كفرأوروي عن الصادق (ع) انه قال نحن والله نعمة الله التي انعمها أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره ويحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على لنعموم بدلوا أقبح التبديل إذ جملوا مكان شكرها الكفر بها واختلف في المعنى بالآية فروي عن أمير المؤمنين علي (ع) وابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد أنهم كفار قريش كذبوا نبيهم ونصبوا له الحرب والعداوة وسأل رجل أمير المؤمنين علياً (ع) عن هذه الآية فقال هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فأما بنو أمية فتعمومهم إلى حين وأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر وقيل أنهم جيلة بن الإبهيم ومن اتبعوه من

العرب تنصروا ولحقوا بالروم (واحلوا قومهم دار البوار) أي أتزلوا قومهم دار الملاك بأن اخرجوهم إلى بدر وقيل معناه أتزلوم دار الملاك وهي النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالنبي واغوائهم إياهم (جهنم يصلونها وبئس القرار) وهذا تفسير لدار البوار يعني ان تلك الدار هي جهنم يدخلونها وبئس القرار قرار من قراره النار (وجعلوا الله أنداداً) أي وجعل هؤلاء الكفار الذين بدلوا نعمة الله كفرة الله نظراء وامثالاً في العبادة زيادة على كفرهم وجحدهم (ليضلوا عن سبيله) أي ليكون عاقبة أمرهم إلى الضلال الذي هو الهلاك وليست هذه اللام لام الغرض لأنهم لم يعبدوا الأوثان من دون الله وغرضهم ان يهلكوا ومن قرأ ليضلوا بضم الياء فمعناه ليضل الناس عن سبيل الله ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم (تمتعوا) واتنعموا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا والمراد به التهديد وان كان بصورة الامر (فإن مصيركم) أي مرجعكم ومآلكم (إلى النار) والكون فيها وكان قد يكون

قوله تعالى (٣١) قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالَ (٣٢) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٣) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِمِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٤) وَأَنَا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ نَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (أربع آيات في الكوفي والمدني ثلاث في غيرهم)

﴿ القراءة ﴾

قرأ زيد عن يعقوب من كل ما سألتموه بالتبوين وهو قراءة ابن عباس والحسن ومحمد بن علي الباقر (ع) وجعفر ابن محمد الصادق (ع) والضحاك وعمرو بن قائد وقرأ سائر القراء من كل ما سألتموه بالإضافة
(- الحجة -)

اما القراءة بالتبوين فإن المفعول فيها مفعول به أي واتاكم ما سألتموه من كل شيء سألتموه أن بوئيتكم منه وقال الضحاك ان ما لتني معناه واتاكم من كل شيء لم تسألوه إياه أما القراءة على الإضافة فالمفعول فيها محذوف أي واتاكم سؤلكم من كل شيء سألتموه

﴿ اللفظة ﴾

الخلال مصدر خالته مخالة وخاللا أي صادقته قال امرؤ القيس

صَرَفَتْ الْهَوَى عَنْهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى وَكَسَتْ بِمَقْلِي الْخِلَالَ وَلَا قَالَ (١)

وقد يكون الخلال جمع خلة ويكون مثل قلة وقلال والدؤوب سرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه يقال دأب بدأب دأبا ودؤوبا فهو دأب

﴿ الاعراب ﴾

يقيموا جزم من ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ انه جواب الأمر الذي هو قل لأن المعنى في قل ان تقل لهم يقيموا الصلاة ﴿ والثاني ﴾ انه جواب امر محذوف وتقديره قل لعبادي أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة ﴿ والثالث ﴾ انه على حذف لام الأمر كأنه قال قل لعبادي ليقموا الصلاة وإنما جاز حذف اللام هنا لأن في الكلام دليلاً

على المحذوف ألا ترى ان لفظ الأمر بقل قد دل على الغائب تقول قل لزيد ليضرب عمرو وان شئت قلت قل لزيد بضرِب عمرو ولا يجوز ان تقول بضرِب زيد عمرواً بالجزم حتى تقول ليضرب لأن لام الغائب ليس هنا عوض منها إذا حذفها وقوله لا يبيع فيه ولا خلال ان شئت رفعت البيع والغلال جميعاً وان شئت فتحتهما وان شئت فتحت احدهما ورفعت الآخر وقد شرحنا ذلك فيما مضى

✽ المعنى ✽

(قل) يا محمد (لعبادي الذين آمنوا) اي اعترفوا بتوحيد الله وعدله عنى به أصحاب النبي ﷺ عن ابن عباس وقيل اراد به جميع المؤمنين عن الجبائي. (يقيموا الصلاة) أي يؤدوا الصلوات الخمس لمواقيتها فإن الصلاة لا تصير قائمة إلا باقامتهم (وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) أي وقل لم ينفقوا من أموالهم في وجوه البر من الفرائض والنوافل ينفقون في النوافل سراً اي انفقوا عن أنفسهم تهمة الرياء وفي الفرائض علانية ليدفعوا تهمة المنع (من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه) يعني يوم القيامة والمراد بالبيع اعطاء البدل ليتخلص به من النار لا ان هناك مباحة (ولا خلال) أي ولا مصادقة وهذا مثل قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ثم بين سبحانه انه المستحق للالهية فقال (الله الذي خلق السموات والأرض) أي انشأهما من غير شيء وبدأ بهما ليعظم شأنها في القدرة والنعمة (وأنزل من السماء ماء) أي غيثاً ومطراً (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات رزقاً لكم) يعني ان الغرض في ذلك ان يؤتيكم أرزاقكم (وسخر لكم الفلك) أي السفن والمراكب (لتجري في البحر بأمره) أي بأمر الله لأنها تسير بالرياح والله هو المنشئ للرياح (وسخر لكم الأنهار) التي تجري بالمياه التي ينزلها من السماء ويجريها في الأودية وينصب منها في الأنهار (وسخر لكم الشمس والقمر) أي ذلك لمنافعكم الشمس والقمر في سيرهما لتنتفعوا بضوء الشمس نهاراً وبضوء القمر ليلاً وليبلغ بها الثمار والنبات في النضج الحد الذي عليه تتم النعمة فيهما (دائبين) أي دائمين لا يفتران في صلاح الخلق والنباتات ومنافعهم (وسخر لكم الليل والنهار) أي ذللاً لكم ومهدماً لمنافعكم لتسكنوا في الليل وتبتغوا في النهار من فضله (وآتاكم من كل ما سألتموه) معناه ان الإنسان قد يسأل الله العافية فيعطى ويسأله النجاة فيعطى ويسأله الغني فيعطى ويسأله الولد والعز فيعطى ويسأله تيسير الأمور وشرح الصدور فيعطى فهذا في الجملة حاصل في الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسدة في الدين أو على غيره فأين يذهب به مع هذه النعم التي لا تحصى كثرة عن الله الذي هو في كل حال محتاج اليه وهو مظاهره بالنعم عليه ودخلت من التبيين لأنه لو قال وآتاكم كل ما سألتموه لا تقتضي ان جميع ما يسأله العبد يعطيه الله تعالى والامر بخلافه لأن ما فيه مفسدة لا يعطيه الله اياه وتقديره وآتاكم من كل ما سألتم شيئاً وقيل معناه وآتاكم من كل ما بكم اليه حاجة فما من شيء يحتاج اليه العباد الا وهو موجود فيما بينهم وهو كقوله خلق لكم في الارض جميعاً ولم يخص كل واحد من الخلق بإيتاء كل ما سألوه وقيل معناه وآتاكم من كل شيء سألتموه ولم تسألوه فما هنا نكرة موصوفة والجملة صفة له وحذف الجملة المعطوفة وهي لم تسألوه كقوله سراويل تقيكم الحر والمعنى وتقيكم البرد وان فيما أبقى دليلاً على ما التقى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي لا تقدرها على احصائها لكثرتها والنعمة هنا اسم اقيم مقام المصدر ولذلك لم يجمع فيبين سبحانه انه هو المنعم على الحقيقة وانه المستحق للعبادة ويروى عن طليق بن حبيب انه قال ان حق الله تعالى اثقل من ان يقوم به العباد فإن نعم الله أكثر من ان تحصى العباد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين (ان الانسان لظلوم) أي كثير الظلم لنفسه (كفار) أي كثير الكفران لنعم ربه وقيل معناه ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ولم يرد بالإنسان هاهنا العموم بل هو مثل ما في قوله والمصر ان الانسان لثي خسر

✽ النظم ✽

اتصل قوله سبحانه قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة بما تقدم من قوله قل تمتعوا فإن مضيركم إلى

(الجزء الثالث عشر) قوله تعالى وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلداً آمناً إلى قوله يوم يقوم الحساب ٣١٧ ج ٤

النار فإنه عقب ذلك بالأمر للمؤمنين بما يوجب النعيم المقيم ومرافقة الأبرار ليكون قد عقب الوعيد بالوعد والعقاب بالثواب واتصلت الآية الثانية بقوله وجعلوا لله أنداداً فإنه سبحانه لما ذكر ما هم عليه من اتخاذ الأنداد لله سبحانه بين بعده أن واجب الوجود المستحق للإلهية الذي يعنى له العبادة هو الله الذي خلق السموات والأرض الآية

قوله تعالى (٣٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ
(٣٦) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
(٣٧) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
الصلوة فأجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرونا (٣٨)
رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا نَخْفِي وَمَا نَعْلَمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٩)
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٤٠) رَبِّ
اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤١) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (سبع آيات)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الجحدري والثقفى والى الجحجاج واجنبى بقطع الممزة وقرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع»
وابوجعفر الباقر (ع) وجعفر بن محمد «ع» ومجاهد تهوى إليهم بفتح الواو وقرأ ابن كثير وابوعمر وحمزة وهبيرة عن
حفص وتقبل دعائي ربنا بأبواب الباء في الوصل وفي رواية البرقي عن ابن كثير أنه يصل ويهف بياء وقال قيل
أنه بضم الباء في الوصل ولا يثبتها ويقف عليها بالألف والباقون دعاء بغير ياء وقرأ الحسن بن علي «ع» وابوجعفر
محمد بن علي «ع» والزهرى وإبراهيم النخعي ولولدي وقرأ يحيى بن يعمر ولولدي وقرأ سعيد بن جبيرة ولولدي
= (اللمحة) =

يقال جنبت الشيء جنبه جنوباً ومن العرب من يقول جنبته جنبه أي تجنبت عن الشيء وكان معنى قوله
اجنبى وبني أن تعبد الأصنام أصرفني وإياهم عن عبادة الأصنام ومعنى اجنبى اجعلني كالجنب عن ذلك وأما قوله
تهوى إليهم بفتح الواو فهو من هويت الشيء أهواه إذا احببته وإنما جاز تعديته إلى لأن معنى هويت الشيء ملت
إليه فكأنه قال تميل إليهم فهو محمول على المعنى ومثله قوله سبحانه أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم
فمدى الرفث إلى واث لا تقول رفثت إلى فلانة وإنما تقول رفثت بها أو معها ولكنه لما كان معنى الرفث هنا معنى
الإفشاء هذه إلى فكأنه قال أحل لكم الإفشاء إلى نسائكم قال ابن جنبي المعنى في قراءة الجماعة تهوى إليهم
تميل إليهم أي تحبهم فهذا في المعنى كقولهم هو بنحط في هواك أي يخلد إليه ويقم عليه وذلك أن الإنسان إذا
أحب الشيء أكثر من ذكره وأقام عليه وإذا كرهه خف إلى سواء وقولم هويت فلانا من لفظ هوى إلى الشيء
يهوى إلا أنهم خالفوا بين المثاليين لاختلاف ظاهر الأمرين وإن كانا على معنى واحد مثلاً قين وأما من وصل
دعائي بياء فهو القياس من شم الباء في الوصل ولا يثبتها فلذالة الكسرة على الباء قال أبو علي حذف الباء في
الوقف التيس من حذفها في الوصل لأن الوقف موضع تغيير يغير فيه الحرف الموقوف عليه كثيراً قال الأعشى
فَهَلْ يَمْنَعُنِي إِزْتِيَادِي الْبِلَادِ
مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنَّ

وقال

وَمِنْ شَأْنِي كَأْسِفٍ وَجْهَهُ إِذَا مَا أَنْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنَ

ومن قرأ لولدي فإنه يعني اساعيل واسحاق ومن قرأ لولدي فإن الولد قد يكون واحداً وجمعاً تقول العرب ولدك من دمي عقيقك ومعناه ولدك من ولدته فال دمك على عتيك عند ولادته لا من اتخذته ولداً وإذا كان جمعاً فيجوز ان يكون جمع ولد فهو كأسد وأسد ويجوز ان يكون جمع ولد أيضاً فيكون مثل الفلك سفي انه جمع الفلك

❖ اللفظة ❖

الوادي سفح الجبل العظيم ومنها قيل للأشجار العظام أودية لأن حافاتهما كالجبال لها ومنه الدبة لأنه مال عظيم يحتمل في امر عظيم

❖ المعنى ❖

(وإذ قال ابراهيم) معناه واذا ذكر يا محمد إذ قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمناً) يعني مكة وما حولها من الحرم وقيل ان ابراهيم (ع) لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة وإنما قال هناك بلداً آمناً وقال هنا هذا البلد آمناً معرفاً لأن النكرة إذا تكررت وأعيدت صارت معرفة ومثله في التنزيل فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه كأنها كوكب فاستجاب الله دعاء ابراهيم (ع) حتى كان الإنسان يرى قاتل أبيه فيها فلا يتعرض له وبدنو الوحش فيها من الناس فإمن منهم (واجتنبني وبني ان نعبد الأصنام) أي والطف لي ولبني لطفاً تتجنب به عن عبادة الأصنام ودعاء الأنبياء لا يكون إلا مستجاباً فعلى هذا يكون سؤاله ذلك مخصوصاً بمن علم الله من حاله ان يكون مؤمناً لا يعبد إلا الله ويكون الله سبحانه قد أذن له في الدعاء لم واستجاب دعاءه فيهم (رب انهن أضللن كثيراً من الناس) معناه ضل بسببهن وعبادتهن كثير من الناس كما يقال فتنتني فلانة يعني افتنتت بمحبها لا لأنها عملت شيئاً وكما في قول الشاعر

هَبُونِي امراً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمَّامَ كَبِيرٌ

وإنما اراد اضل بعيره لأن أحدلاً بضل بعيره قاصداً الى اضلاله (فمن تبعني فإنه يتي) يريد فن تبعني من ذريتي الذين اسكنتهم هذا البلد على ديني في عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فإنه من جملتي وحاله كحالي (ومن عصاني فإنه غفور رحيم) أي ساتر على العباد معاصيهم رحيم بهم في جميع احوالهم منعم عليهم ثم حكى سبحانه تمام دعاء ابراهيم (ع) وانه قال (ربنا اني اسكنت من ذريتي) أي اسكنت بعض اولادي ولاخلاف انه يريد اساعيل (ع) مع امه هاجر وهو اكبر ولده وروي عن الباقر (ع) انه قال نحن بقية تلك العترة وقال كانت دعوة ابراهيم (ع) لنا خاصة (بواد غير ذي زرع) يريد وادي مكة وهو الابطح وإنما قال غير ذي زرع لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا زرع ولا ضرع ولم يذ كر مفعول اسكنت لأن من يفيد بعض القوم كما يقال قتلنا من بني فلان واكلنا من الطعام وكما قال سبحانه افيضوا علينا من الماء أو ما رزقكم الله وتقديره اسكنت من ذريتي انما أو ولداً عن البلخي (عند بيتك المحرم) انما اضاف البيت اليه سبحانه لأنه ملكه لا يملكه احد سواه وما عداه من البيوت قد ملكه غيره من العباد ويسأل فيقال كيف ساء بيتاً ولم يبنه ابراهيم (ع) بمد والجواب من وجهين ❖ احدهما ❖ انه لما كان من المعلوم انه يبنيه سماء بيتاً والمراد عند بيتك الذي مضى في سابق علمك كونه ❖ والثاني ❖ ان البيت قد كان قبل ذلك وانما خربه طسم وجدبس وقيل انه رفعه الله إلى السماء أيام الطوفان وإنما سماه المحرم لأنه لا يستطيع أحد الوصول اليه إلا بالاحرام وقيل لأنه حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت من الجماع والملابسة بشي من الاقدار والدماء وقيل معناه العظيم الحرمه (ربنا

(١) راجع الجزء الاول صفحة ٢٠٥ . (٢) طسم وجد بس : قبيلتان من العرب سكان مكة فانقرضوا وقيل : حبان

ليقيموا الصلاة) أي اسكتهم هذا الوادي ليدوموا على الصلاة ويقيموا بشرائطها واللام تتعلق بقوله اسكت
وفصل بينه وبين ما تعلق بقوله ربنا لأن الفصل بالنداء مستحب في هذا وإذا جاء نحو قوله

عَلَىٰ حِينِ أَهْلِ النَّاسِ جُلُّ أُمُورِهِمْ
فَنَدَلًا زَرِيْقُ الْمَالِ نَدَلُ الثَّعَالِبِ (١)

أي اندل المال يا زريق فصل بالنداء بين المصدر وما تعلق به كان هذا أولى (فاجعل أفئدة من الناس
تهوي اليهم) هذا سؤال من ابراهيم «ع» ان يجعل الله قلوب الخلق تمن إلى ذلك الموضع ليكون في ذلك انس
لذريته من يرد عليهم من الوفود وليدر أرزاقهم على مرور الأوقات ولولا لطفه سبحانه بامالة قلوب الناس اليه
اما للدين كالحج والعمرة واما للتجارة لما صح ان يعيش ساكنوه قال سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لحجت
اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال من الناس فهم المسلمون وروى مجاهد أنه قال ان ابراهيم «ع» لو قال
أفئدة الناس لازدحت عليه فارس والروم وروى الفضل بن يسار وغيره عن الباقر «ع» انه قال إنما امر الناس
ان يطوفوا بهذه الاحجار ثم بنفروا اليها فيعلمونا ولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم ثم قرأ هذه الآية وقيل ان معنى
تهوي اليهم ينزع اليهم ويميل عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه وينزل ويهبط اليهم لأن مكة في غور عن ابي
مسلم (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) أي لكي يشكروا لك ويمبدوك (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلم)
هذا اعتراف من ابراهيم «ع» لله سبحانه بأنه يعلم ما يبطن الخلق وما يظهره وانه لا يخفى عليه شيء مما في الارض
والسما وقيل ان قوله (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) إنما هو اخبار منه سبحانه بذلك
وابتداء كلام من جهته لا على سبيل الحكاية عن ابراهيم «ع» بل هو اعتراض عن الجبائي قال ثم عاد إلى الحكاية
كلام ابراهيم «ع» فقال (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق) وهذا اعتراف منه بنعم الله
سبحانه وحمده له على احسانه بأن وهب له على الكبر كبر سنه ولدين قال ابن عباس ولد له اسماعيل وهو ابن
تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثني عشرة سنة وقال سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم «ع»
إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة (ان ربي لسميع الدعاء) اي قابله وحببته عن ابن عباس وبو يده قوله سمع الله
لمن حمده (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) تقديره واجعل من ذريتي مقيم الصلاة فحذف الفعل لأن
ما قبله بدل عليه وهذا سؤال من ابراهيم «ع» من الله تعالى بأن يُلطف له اللطف الذي عنده بيقم الصلاة
ويتمسك بالدين وان يفعل مثل ذلك بمجاعة من ذريته وهم الذين اسلموا منهم فسأل لهم مثل ما سأل لنفسه (ربنا
وتقبل دعاء) اي وأجب دعائي فإن قبول الدعاء إنما هو الاجابة وقبول الطاعة الاثابة (ربنا اغفر لي ولوالدي)
واستدل اصحابنا بهذا على ما ذهبوا اليه من ان ابوي ابراهيم «ع» لم يكونا كافرين لأنه إنما يسأل المغفرة لهما يوم
القيامة فلو كانا كافرين لما سأل ذلك لأنه قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فصحح ان أباه الذي كان كافرا
انما هو جده لأنه او عمه على الخلاف فيه ومن قال انما دعا لأبيه لأنه كان وعده ان يسلم فلما مات على الكفر
تبرأ منه على ما روى الحسن فقوله فاسد لأن ابراهيم «ع» انما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر وبعد ان وهب له
اسماعيل واسحاق وقد تبين له في هذا الوقت عداوة أبيه الكافر لله فلا يجوز ان يقصده بدعائه (وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب) اي واغفر للمؤمنين ايضا يوم يقوم الخلق للحساب وقيل معناه يوم يظهر وقت الحساب
كما يقال قامت السوق

﴿ النظم ﴾

انصلت الآيات بما قبلها لأن النهي عن عبادة الأصنام والأمر بعبادة الله سبحانه قد تقدم فبين الله
سبحانه عقب ذلك ما كان عليه ابراهيم «ع» من التشدد في انكار عبادة الأصنام والدعاء بما دعا به وقيل
إنه معطوف على ما تقدم من قوله ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وقيل إنه لما قال وآتاكم من كل ما سألتموه بين

(١) قيل ان قائل البيت هو امشى همدان يهجو به لوصفا . ونذلا هو هنا الاخذ باليدن او هو الغطف . والثلب
يضرب به المثل في الاخذ لانه يدخر لنفسه ويأتي على ما يمد عليه من الحيوان وفي المثل «هو اكسب من ثلب»
وزريق اسم قبيلة .

عقبيه ما دعا به ابراهيم (ع) وسأله اياه واجابته لدعائه وسؤاله
 قوله تعالى (٤٢) وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ
 فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٣) مَهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاتٍ (٤٤)
 وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا بُرْهَانَ الْعَذَابِ يَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ
 دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ (٤٥) وَمَسَكْتُمْ
 فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ
 (أربع آيات)

❖ اللفظة ❖

الاهطاع الاسراع قال
 فِي مَهْطِعٍ سَرَعٍ كَأَنَّ زِمَامَهُ فِي رَأْسٍ جَذَعٍ مِّنْ أَرَاكِ مُشَدَّبٍ (١)
 وقال آخر

يَدَجَلَةٌ أَهْلُهَا وَلَقَدْ أَرَاهُمْ يَدَجَلَةٌ مَّهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ
 اي مسرعين وقيل ان الاهطاع مد المنق والمهطع طول المنق قال احمد بن يحيى المهطع الذي
 ينظر في ذل وخشوع لا يقلع بصره والاقناع رفع الرأس وقال الزجاج المنقع الرفع والمنقع المرتفع قال الشاعر
 يَا كَرْنَ الْعِضَاءَ بِمَقْتَمَاتٍ فَوَاجِدُهُنَّ كَالْحَدِيدِ الْوَقِيعِ (٢)
 اي كالقووس المحدبة يصف ابلا ترعى الشجر والطرف مصدر طرفت عين فلان اذا نظرت وهو ان
 ينظر ثم يغمض والطرف العين ايضا وأفئدتهم هوا اي متجوقة لا تمي شيئا للخوف والفرع شبهها بهوا الجو
 قال حسان

الْأَبْلَغُ أَبَا ضَفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مَجُوفٌ شَبَّ هَوَاؤُ (٣)
 وقال زهير

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَمَلٍ مِنَ الظُّلْمَانِ جُوجُوهٌ هَوَاؤُ (٤)
 والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد

❖ الإعراب ❖

يوم يأتيهم نصب على انه مفعول به والعامل فيه أنذرهم ولا يكون على الظرف لانه لم يؤمر بالانذار
 في ذلك اليوم . فيقول عطف على يأتيهم وليس جواب الأمر لانه لو كان جوابا له لجاز فيه النصب والرفع
 فالنصب مثل قول الشاعر

يَا نَاقَ سَهْرِي عَنَقًا فَسَاحًا إِلَى سَلِيمَانَ فَفَسَّرَ بِجَاهِ (٥)
 والرفع على الاستئناف وتبين لكم كيف فعلنا بهم فاعل تبين محذوف اي تبين لكم فعلنا بهم ولا يكون الفاعل
 كيف لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولأن كيف لا يخبر عنه وانما يخبر به وكيف هنا منصوب بقوله فعلنا

(١) جذع مشذب اي مقشر اذا قشرت ما عليه من الشوك . (٢) العضاء: كل شجر يظلم وله شوك . والقنع: الفم الذي يكون
 عطف أسنانه الى داخل الفم وذلك القوى الذي يظلمه كل شيء . والعضاء جمع العنأة : الفأس ذات الراسين . وسكين
 وقبع اي حديد . (٣) رجل نصب اي جبان . (٤) الظلمان جمع الظليم : الذكر من النعامة . والصمل : الدقيق الرأس
 والمنق من النعام . وجوؤ عظام صدر الطائر . (٥) المنق : ضرب من سيرا لابل .

* المعنى *

لما ذكر سبحانه يوم الحساب وصفه وبين انه لا يجهل الظالمين عن غفلة لكن لتأكيد الحجية قال (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) وفي هذا وعيد للظالم وتمزية للمظلوم ومعناه ولا تظنن الله ساهياً عن مجازاة الظالمين على اعمالهم وقيل ان تقديره ولا تحسبن الله لا يعاقب الظالمين على افعالهم ولا يتصف المظلومين منهم (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) ومعناه انما يؤخر عقابهم ومجازاتهم الى يوم القيامة وهو اليوم الذي تكون فيه الابصار شاخصة عن مواضعها لا تغمض لول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف عن الجبائي وقيل تشخص ابصارهم الى اجابة الداعي حين يدعوه من الحسن وقيل تبقى ابصارهم مفتوحة لا تنطبق للتخير والرعب (مهطمين) اي مسرعين عن الحسن وسعيد بن جبير وقادة وقيل يريد دائمي النظر الى ما يرون لا يطرفون عن ابن عباس ومجاهد (مقني رؤوسهم) اي راضي رؤوسهم الى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس وذلك من هول يوم القيامة وقال مؤرج معناه ناكسي رؤوسهم بلغة قريش (لا يرتد اليهم طرفهم) اي لا ترجع اليهم اعينهم ولا يطبقونها ولا يعضونها وانما هو نظر دائم (وأفئدتهم هواء) اي قلوبهم خالية من كل شيء فزعاً وخوفاً عن ابن عباس وقيل خالية من كل سرور وطمع في الخير لشدة ما يرون من الاحوال كالهواء الذي بين السماء والارض وقيل معناه وأفئدتهم زائلة عن مواضعها قد ارتفعت الى حلقهم لا تخرج ولا تعود الى اما لكنها بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة المتردد في الهواء عن سعيد بن جبير وقادة وقيل معناه خالية عن عقولهم عن الأخفش (وانذر الناس) معناه ودم يا محمد على انذارك الناس وهو عام في كل مكلف عن الجبائي وابي مسلم وقيل معناه وخوف أهل مكة بالقرآن عن ابن عباس والحسن (يوم يأتيهم العذاب) وهو يوم القيامة أو يأتيهم العذاب عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل هو يوم المعاناة عند الموت والأول اظهر (فيقول الذين ظلموا) نفوسهم بارتكاب المعاصي (ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك) اي ردنا الى الدنيا واجعل ذلك مدة قريبة نجب دعوتك فيها (وتبع الرسل) اي تتبع رسلك فيما يدعوننا اليه فيقول الله تعالى مخاطباً لهم او يقول الملائكة بأمره (او لم تكونوا اقستم) اي حلفتم (من قبل) في دار الدنيا (ما لكم من زوال) اي ليس لكم من انتقال من الدنيا الى الآخرة عن مجاهد وقيل معناه من زوال من الراحة الى العذاب عن الحسن وفي هذه دلالة على ان أهل الآخرة غير مكلفين خلافاً لما يقول النجار وجماعة لانهم لو كانوا مكلفين لما كان لقولهم اخرنا الى اجل قريب وجه ولكان ينبغي لهم أن يؤمنوا فيتخلصوا من العقاب اذا كانوا مكلفين (وسكتتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) هذا زيادة توبيخ لهم وتمنيى اي وسكتتم ديار من كذب الرسل قبلكم فاهلكم الله وعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب المعجل عن ابن عباس والحسن ومساكنهم دورهم وقراهم وقيل أنهم عاد وثمود وقيل هم المقتولون بيد (موضربنا لكم الامثال) وبيننا لكم الاشياء واخبرناكم باحوال الماضين قبلكم لتعتبروا بها فلم تعتبروا ولم تتظاوا قبل الامثال ما ذكر في القرآن مما يدل على انه تعالى قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء والابتداء وقيل هي الامثال المنبهة على الطاعة الزاجرة عن المعصية عن الجبائي وفي هذه الآيات دلالة على ان الايمان من فعل العبد اذ لو كان من فعل الله تعالى لم يكن لتبني العود الى الدنيا معنى

قوله تعالى (٤٦) وَقَدْ مَكَرُوا وَمَكَرْهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٧) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٨) يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٩) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٥٠) سَبَّ أَيْلَهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَتَنَشَى وَجُوهُهُمْ نَارُ (٥١) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥٢) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (سبع آيات)

❁ القراءة ❁

قرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية والباقون لتزول بكسر اللام الاولى ونصب الثانية وفي الشواذ عن علي (ع) وعمرو بن مسعود وابي بن كعب وان كاد مكروهم لتزول وقرأ زيد عن يعقوب من قطر ان على كلمتين منوتين وهو قراءة ابي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير والكلبي وقناة وعيسى الهمداني والربيع وقرأ سائر القراء قطران

— (الجمعة) —

قال ابو علي من قرأ لتزول بالنصب فإن ان هي الزافية فيكون مثل قوله وما كان الله ليطلمكم على الغيب فمعناه وما كان مكروهم لتزول من الجبال والجبال كأنه أمر النبي ﷺ واعلامه ودلائله اي ما كان مكروهم لتزول منه ما هو مثل الجبال في امتناعه ممن أراد ازالته ومن قرأ لتزول كانت ان هي المخففة من الثقلة على تعظيم امر مكروهم بخلاف القراءة الاولى فيكون كقوله ومكروا مكراً كبارا اي قد كان مكروهم لعظمه وكبره يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في الامتناع على من أراد ازلتها وثباتها ومثل هذا في التعظيم للأمر قول الشاعر

ألم تر صدعاً في السماء مبيئاً على ابن لبيبي الحارث بن هشام

وقال

بكي الحارث الجولان من موت ربه وحوذان منه خاشع متضائل (١)

وقال اوس

ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم والقمر الواجب (٢)

ويدل على ان الجبال يعني بها أمر النبي ﷺ قوله بعد فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي فقد وعد الظهور عليهم والغلبة لهم في قوله ليظهره على الدين كله وقوله للذين كفروا ستغلبون وقد استعمل لفظ الجبال في غير هذا الموضع في تعظيم الشيء وتفخيمه قال ابن مقبل

إذا مت عن ذكر القوافي فإن ترى لها شاعراً مثلي أطب وأشعراً

وأكثر بيتاً شاعراً ضربت به بطون جبال الشعر حتى قيسراً

ومن قرأ وايت كاد مكروهم لتزول فهي مخففة من الثقلة اي تقديره وانه كاد مكروهم لتزول منه الجبال قال ابن جني القطر الصفر والنحاس وهو اي الفلز رويناه عن قطرب وهو اي الصاد ومنه قدور

(١) الجولان والحوذان : موضعان بالشام . ومتضائل اي حقير . وفي رواية العموي «من فقد به» . (٢) الواجب

الصاد أي قدور الصفر. والآتي الذي قد أنى وأدرك أنى الشيء يأتي أنياً وأنا مقصور ومنه قوله عز سبحانه
غير ناظرين إنا أي بلوغه وأدراكه قال أبو علي ومنه الإناء لأنه الظرف الذي قد بلغ غايته المرادة منه من
حرز وصياغة ونحو ذلك قال أمية

وَسَلِيمَانَ إِذْ يَسِيلُ لَهُ الْقِطُّ رُ عَلَىٰ مُلْكِهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ

وأما القطران ففيه ثلاث لغات قطران على فعلان وقطران بفتح القاف واسكان الطاء وقطران بكسر
القاف واسكان الطاء والأصل فيها قطران فاسكنا على ما يقال في كلمة كلمة وكلمة لفظة تميمية قال أبو النجم
جَوْنَ كَانَ الْعَرَقَ الْمُنْتَوِحَا أَلْبَسَهُ الْقَطْرَانَ وَالْمَسُوحَا (١)

وقال

كَانَ قَطْرَانًا إِذَا تَلَاهَا تَرَمِي بِهِ الرِّيحُ إِلَىٰ مَجْرَاهَا

✽ اللفظة ✽

البروز الظهور والأصفاد جمع الصفد وهو الفل الذي يقرب به اليد إلى العنق ويجوز أن يكون السلسلة
التي يقع بها التقريب والتقريب جمع الشيء إلى نظيره والقران الجبل يقرب به شيئان يقال صفدته بالحديد
واصفدته وصفدته قال عمرو بن كلثوم

فَأَبَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مَصْفَدِينَا

ومنه اصفدته اصفادا إذا أعطيته مالا والصفد المطية وهو من الأول لأن المطية تصفد المودة وتقيدها
والى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله «ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا» والاختيار في الحديد صفدته وفي المطية
اصفدته قال الأعشى

تَضَيَّفْتَهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي وَأَصْفَدَنِي عَلَىٰ الزَّمَانَةِ قَائِدًا

ومناه واعطاني قايذا وقال النابغة في الصفد الذي هو المطية

هَذَا الشَّأْنُ فَإِنْ تَسَمَّعَ لِقَائِلِهِ فَمَا عَرَضَتْ آيَتَ اللَّعْنِ لِلصَّفَدِ

والسريال القميص قال امرؤ القيس

وَمِثْلِكَ بَيْضَاءُ الْعَوَارِضِ طِفْلَةٌ لَعُوبٌ نُنَسِّبُنِي إِذَا قُتِّ سِرْبَالِي (٢)

والبلاغ الكفاية ومنه البلاغة وهو البيان الكافي والبلوغ هو الذي يبلغ بلسانه كنه ما في ضميره

✽ الإعراب ✽

مخلف وعده رسله إضافة مخلف إلى وعده إضافة غير محضة لأنها في تقدير الانفصال ووعده وإن كان
مجروراً في اللفظ فإنه منصوب في المعنى لأنه مفعول في المعنى فإن الإخلاف يقتضي مفعولين يقال أخلفت
زيدا وعده فلي هذا يكون تقديره مخلفاً وعده رسله وقيل إنه قرأ في الشواذ مخلف وعده بالنصب رسله
بالجر وهي رديئة للفصل بين المضاف والمضاف إليه وأنشدوا في ذلك «فَرَجَّجْتُهَا بِمِرْجَجَةٍ • رَجَّجَ الْقَلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ» (٣)
ومعناه فرججتها زج أبي مزادة القلوص والعامل في قوله يوم تبدل الأرض وعده أو انتقام أي
يتتقم ذلك اليوم أو يكون محذوفاً على تقدير واذا كر يوم تبدل الأرض وإن شئت جعلته نعتاً لقوله يوم يقوم

(١) الجون : الاسود الشرب حيرة والمنتوح : الجادى من العرق . (٢) الطفلة : الرخصة الناعمة . (٣) زججتها
أي طمعتها بالزج - بضم الزاي - : وهي الحديدية التي تركب في أسفل الرمح . والمزجة : الرمح القصير . والقلوص :
الناقة الشابة . وأبي مزادة : كنية رجل .

الحساب والارض مرفوعة على ما لم يسم فاعله وغير منصوب على انه مفعول ما لم يسم فاعله تقول بدل الخاتم خاتماً آخر إذا كسر وصيغ صيغة أخرى وقد تقول بدل زيد إذا تغير حاله

✽ المعنى ✽

ثم ابان سبحانه عن مكر الكفار ودفعه ذلك عن رساله «ع» تسلياً لنبينا ﷺ فقال (وقد مكروا مكروهم) أي وقد مكروا بالانبياء قبلك ما أمكنهم من المكر كما مكروا بك فعصمهم الله من مكروهم كما عصمك وقيل عنى به كفار قريش الذين دبروا في أمر النبي ﷺ واحتالوا عليه ومكروا بالمؤمنين وخذعواهم (وعند الله مكروهم) أي جزاء مكروهم فحذف المضاف كما حذف من قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم أي جزاؤه يريد وقد عرف الله مكروهم فهو يجازيهم عليه (وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) أي ولم يكن مكروهم ليطل حجج القرآن وما مكن من دلائل النبوات فإن ذلك ثابت بالدليل والبرهان والمعنى لا تزول منه الجبال فكيف يزول منه الدين الذي هو أثبت من الجبال وعلى القراءة الأخرى فالمعنى ان مكروهم وإن بلغ كل مبلغ فلا يزيل دين الله تعالى على ما تقدم بيانه ولا يضر ذلك أنبياءه ولا يزيل امرهم ولا سيما امر محمد ﷺ فإنه أثبت من الجبال وقد قيل ان المراد به غرود بن كوش بن كنعان حين أخذ التابوت وأخذ أربعة من النسور فأجاعها أياماً وعلق فوقها لحماً وربط التابوت اليها وطارت النسور بالتابوت وهو ووزيره فيه إلى أن بلغت حيث شاء الله تعالى وظن أنه بلغ السماء ففتح باب التابوت من اعلاه فرأى بعد السماء منه كعبدها حين كان في الارض وفتح باباً من اسفل التابوت فرأى الارض قد غابت عنه فهاله الأمر فصوب النسور وسقط التابوت وكانت له وجبة عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رساله) أي فلا تظنن الله عز اسمه مخلفاً رساله ما وعدهم به من النصر والظفر بالكفار والظهور عليهم (إن الله عزيز) أي ممتنع بقدرته من ان ينال بهتضام وهو من الكفار (ذواتنقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) قيل فيه قولان ✽ احدهما ✽ ان المعنى تبدل صورة الارض وهيئتها عن ابن عباس فقد روي عنه انه قال تبدل آكامها وآجامها وجبالها واشجارها والارض على حالتها وتبقى ارضاً بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة وتبدل السماوات فيذهب شمسها وقمرها ونجومها وكان ينشد

فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ
وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتُ أَعْرِفُ

وبعضه ما رواه ابو هريرة عن النبي ﷺ قال يبذل الله الارض غير الارض والسماوات فيبسطها ويمدها مد الاديم المكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا اماناً ثم يزجر الله الخلق زجراً فإذا هم في هذه المبدلة مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها كان في بطنها وما كان على ظهرها كان على ظهرها ✽ والآخر ✽ أن المعنى تبدل الارض وتنشأ ارض غيرها والسماوات كذلك تبدل بغيرها وتفنى هذه عن الجبائي وجماعة من المفسرين وفي تفسير أهل البيت «ع» بالاسناد عن زرارة ومحمد بن مسلم وحران بن أعين عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السلام قال تبدل الارض خبزة نقيه يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الله تعالى وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وهو قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وروى سهل بن سعد الساعدي عن النبي ﷺ انه قال يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد

وروي عن ابن مسعود انه قال تبدل الارض بنار فتصير الارض كلها يوم القيامة ناراً والجنة من ورائها يرى كواعبها واكوابها ويلجم الناس العرق ولم يبلغ الحساب بعد وقال كعب تصير السماوات جناتاً وبصير مكان البحر النار وتبدل الارض غيرها وروي عن ابي ايوب الانصاري قال أتى النبي ﷺ خبر من اليهود فقال رأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات فأين الخلق عند ذلك فقال اضياف الله فلن يعجزهم ما لديه وقيل تبدل الارض لقوم بأرض الجنة ولقوم بأرض النار وقال الحسن يحشرون على الارض الساهرة وهي ارض غير هذه وهي ارض الآخرة وفيها تكون جهنم وتقدير الكلام وتبدل السماوات غير السماوات إلا انه حذف لدلالة الظاهر عليه (وبرزوا لله) اي يظهر من ارض قبورهم للمحاسبة لا يستترهم شيء وجعل ذلك بروزاً لله لأن حسابهم معه وإن كانت الأشياء كلها بارزة له لا يستترها عنه شيء (الواحد) الذي لا شبه له ولا نظير (القهار) المالك الذي لا يضام يقهر عباده بالموت الزوأم (وثرى المجرمين) يعني الكفار عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر لأنه تقدم ذكرهم (يومئذ) أي يوم القيامة (مقرنين في الأصفاد) اي مجتمعين في الاغلال قرنت ايديهم بها الى اعناقهم وقيل يقرن بعضهم الى بعض عن الجبائي وقيل مشدودين في قرن اي جبل من الأصفاد والقيود عن ابي مسلم وقيل يقرن كل كافر مع شيطان كان يضله في غل من حديد عن ابن عباس والحسن ويئنه قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم اي قرناءهم من الشياطين بقوله وإذا النفوس زوجت (سرايلهم) اي قبهصهم (من قطران) وهو ما يطلى به الابل شيء اسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقنبيص عليهم ثم يرسل النار فيهم لتكون اسرع اليهم وابلغ في الاشتعال وأشد في العذاب عن الحسن والزجاج وقيل نحاس او صفر مذاب قد انتهى حره عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وجوز الجبائي على القراءتين ان يسربلوا سرايلين احدهما من القطران والآخر من القطر الآتي (ونفسي وجوهم النار) اي وتصيب وجوهم النار لا قطران عليها (ليجزى الله كل نفس بما كسبت) اللام تعلقت بما تقدم اخبر سبحانه انه إنما فعل ذلك بهم لتجزى كل نفس بما كسبت ان كسبت خيراً بأن آمنت وأطاعت أثابها الله بالنعيم المقيم وان كسبت شراً بأن كفرت وجحدت عاقبها بالعذاب الأليم في نار الجحيم (إن الله سريع الحساب) اي سريع المجازاة وقد سبق بيانه (هذا بلاغ للناس) هو اشارة الى القرآن عن ابن عباس والحسن وابن زيد وغيرهم أي هذا القرآن عظة للناس بالغة كافية وقيل هو اشارة الى ما تقدم ذكره اي هذا الوعيد كفاية لمن تدبره من الناس والاول هو الصحيح (ولينذروا به) اي أنزل ليلتقوا وينذروا به وليخوفوا بما فيه من الوعيد (وليعلموا انما هو إله واحد) لا شريك له بالنظر في أدلة التوحيد التي بينها الله في القرآن (ولهدى أولوا الأبواب) اي وليتعظ به أهل العقول وذووا النهي وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن كاف في جميع ما يحتاج الناس اليه في أمور الدين لأن جميع أمور الدين جملها وتفصيلها يعلم بالقرآن اما بنفسه واما بواسطة فيجب على المؤمن المجتهد المهتم بأمور الدين أن يشمر عن ساق الجد في طلب أمور القرآن ويصدق عنايته بمعرفة ما فيه من بدائع الحكمة ومواضع البيان مكتفياً به عما سواه لينال السعادة في دنياه وعقباه وفي قوله ولعلموا انما هو إله واحد دلالة على انه سبحانه أزد من الناس علم التوحيد خلافاً لأهل الجبر في قولهم انه سبحانه أراد من النصارى اثبات التثليث ومن الزنادقة القول بالتثنية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وفي قوله ليدكر دلالة على انه اراد من

الجميع التدبر والتذكر وعلى ان العقل حجة لأن غير ذوي العقول لا يمكنهم الفكر والاعتبار

✽ النظر ✽

اتصلت الآية الثانية بقوله وعند الله مكرهم اي فلا تحسبوا ان الله يخلف وعده بل يجازيهم وينصر رسله وقيل اتصلت بقوله إنما يؤخرهم اي فلا تحسبوه مخلف وعده في العقوبة للكفار بل ان شاء أخر وإن شاء عجل واتصل قوله يوم تبدل الارض غير الارض بقوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي لا يخلفهم وعده لا في الدنيا ولا في الآخرة عن ابي مسلم وقيل المراد به انه ذو انتقام من الكفار ذلك اليوم واتصل قوله ليجزي الله كل نفس بما كسبت بقوله يوم تبدل الارض

(سورة الحجر)

مكية في قول قتادة ومجاهد وقال الحسن إلا قوله ولقد آتيناك شعبا من المثاني والقرآن العظيم وقوله كما أنزلنا على المتسمين الذين جعلوا القرآن عظيما وهي تسع وتسعون آية بالاجماع

✽ فضلها ✽

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سبحانه سورة ابراهيم «ع» بذكر القرآن وانه بلاغ وكفاية لأهل الإسلام افتتح هذه السورة بذكر القرآن وانه مبين للأحكام فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ مُبِينًا (٢) رَبِّمَا يَؤُدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٣) ذَرْهُمْ يَا كَلْبُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِيمِ الْأَمْلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ (٤) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قُرْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٥) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وعاصم ربما يود خفيفة الباء والباقون بالتشديد وروى محمد بن حبيب الشموني عن الاعشى عن ابي بكر ربما بالتاء

✽ الحجة ✽

قال ابو علي انشد ابو زيد
 ماويي بَلْ رَبِّمَا غَارَةٌ شَمَوَا كَاللَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ (١)
 وأنشد ايضا

(١) غارة شموا: فاشية متفرقة. والميسم: اسم لالة التي يوسم بها. وفي اللسان و تفسير التبيان « ماوي ياربتما. اهـ »

لما لأنها لما كانت كالأسماء المبهمة في إبهامها وصفت بأسماء الأجناس كأنه قال رب شيء فقي لم يكن كذا فهذه الأوجه كلها ممكنة ويجوز في الآية أن يكون ما بمنزلة شيء ويود صفة له لأن ما لصومها يقع على كل شيء فيجوز أن يعنى بها الرد كأنه قال رب ودوده الذين كفروا ويكون يود في هذا الوجه أيضاً حكاية حال الأثرى انه لم يكن بعد وهذه الآية في المعنى كقوله ارجعنا نعمل صالحا وكقوله حتى إذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون وكنتمهم الرد في قوله يا ليتنا زد ولا نكذب واما قول من قال ربما بالتخفيف فلأنه حرف مضاعف والحروف المضاعفة قد تحذف وإن لم يحذف غير المضاعف فمن المضاعف الذي حذف أن وإن ولكن وليس كل المضاعف يحذف لم اعلم الحذف في ثم واما دخول التاء في ربنا فإن من الحروف ما يدخل عليه حرف التانيث نحو ثم وثم ولا ولات قال

ثُمَّ لَا يَجْزُونَنِي عِنْدَ ذَاكُمْ وَلَكِنْ سَيَجْزِينِي الْمَلِكُ فَيَعْقِبَا

فكذلك أُلحقت التاء في قولهم ربنا وأنشد الزجاج في تخفيف رب قول الخاددة

أَسْمِي مَا يَدْرِيكَ أَنَّ رَبَّ فِتِيَةٍ بِأَكْرَبَ لَدَتْنَهُمْ بِأَدَكْنَ مَتْرَعٍ (٧)

قال وقد يسكنون في التخفيف يقولون رب رجل جاءني وأنشدوا بيت المهذلي

أَزْهَيْرُ إِنْ يَشِبَّ الْقَدَالُ فَأَنْتِي رَبَّ هَيَّضِلْ مَرْسٍ لَفَقْتُ بِهِ يَضِلُّ (٨)

ويقولون رَبَّتْ رَجُلٌ وَرَبَّتْ رَجُلٌ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَرَبَّ رَجُلٌ وَرَبَّ رَجُلٌ جَاءَنِي وَرَبَّتَا رَجُلٌ فَيَقْتَحُونَ حِكْمِي ذَلِكَ قَطْرَبُ

= (الاعراب) =

قرآن عطف على الكتاب وإنما عطفه عليه وإن كان الكتاب هو القرآن لاختلاف اللفظين وما فيها من الفائدةين وإن كانا لموصوف واحد لأن وصفه بالكتاب يفيدانه مما يكتب ويدون ووصفه بالقرآن يفيدانه مما يؤلف ويجمع بعض حروفه إلى بعض كما قال الشاعر

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرَمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَذِي الرَّأْيِ حِينَ تَبَّ الْأُمُورُ
وَلَيْتَ الْكُتَيْبَةَ فِي الْمَزْدَحَمِ بِذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللَّجَمِ

ويقال لم جاز ربنا يود الذين كفروا وابتلى ربنا من الذين كفروا حتى ذهبوا فبئس ما عملوا. ابنع في التمهيد كما تقول ربما ندمت على هذا وانت تعلم انه يندم ندما طويلا أي بكيفك قليل الندم فكيف كثيره والثاني انه يشغلهم العذاب عن تمني ذلك إلا في اوقات قليلة

= (المعنى) =

(آر) قد تقدم الكلام في هذه الحروف واقوال العلماء فيها (تلك آيات الكتاب وقرآن مبین) أي هذه آيات الكتاب وآيات قرآن يميز بين الحق والباطل وقيل المبين البين الواضح عن ابي مسلم وقيل هو المبين للحلال والحرام والأمر والنواهي والأدلة وغير ذلك وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل عن مجاهد وقيل المراد به الكتب المتزلة قبل القرآن عن قتادة (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أي ربما يتمنى الكفار الإسلام في الآخرة إذا صار المسلمون إلى الجنة والكفار إلى النار ويجوز أن يتمنوا ذلك وقت اليأس وروى مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويرحم ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الصادق (ع) ينادي مناد يوم القيامة بسمع الخلائق انه لا يدخل الجنة إلا مسلم فتم يود سائر الخلائق انهم كانوا مسلمين وروى مرفوعا عن النبي ﷺ قال إذا اجتمع أهل النار في النار

في الناس الاملكا والشمر مذكور في جامع الشواهد . (٦) تمام الست : صدرت فأطول الصدود وقلبا في وصال .اه وهو من شواهد كتاب سيبويه (١) وفي التبيان «لاني لا اعلم الحذف في ثم» وسمي مرخم سمية : اسم امرأة . والدكنة : السواد . (٣) القدال جماع مؤخر الرأس من الانسان . والبيضل : جماعة متسلحة امرهم في الحرب واحد . ويقال ه على مرس واحد أي استوت اخلاقهم . ورجل مرس : مجرب في الحرب .

ومعهم من يشاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فأمر من كان في النار من أهل الإسلام فأخرجوا منها فعيثذ يقول الكفار يا ليتنا كنا مسلمين (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) معناه دعهم يأكلوا في دنياهم أكل الأنعام ويتمتعوا فيها بما يريدون والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالا بعد حال (ويلهم الأمل) أي وتشغلهم آمالهم الكاذبة عن اتباع النبي ﷺ والقرآن يقال الماه الشيء أي شغله وانسائه (فسوف يعلمون) وبال ذلك فيما بعد حين يحل بهم العذاب يوم القيامة وصاروا إلى ما يجحدون به وفي هذه الآية إشارة إلى ان الانسان يجب أن يكون مقصور الهمة على أمور الآخرة مستعداً للموت مسارعاً إلى التوبة ولا يأمل الآمال المؤدية إلى الصد عنها وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) انه قال ان اخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل فإن اتباع الهوى يصد من الحق وطول الأمل ينسي الآخرة (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) معناه ولم نهلك أهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة إلا وكان لهم أجل مكتوب لا بد ان سيبلغونه يريد فلا يغرن هؤلاء الكفار امهالي إياهم إنما ينزل العذاب بهم في الوقت المكتوب المقدر لذلك (ما تسبق من أمة أجلها وما يتأخرون) أي لم تكن أمة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك ولا تتأخر عن أجلها الذي قدر لها بل إذا استوفت أجلها اهلكها الله

قوله تعالى (٦) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٧) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٨) مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ (٩) إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٠) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ (١١) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٢) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٣) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٤) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٥) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٦) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٧) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٨) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (ثلاث عشرة آية)

(- القراءة -)

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ما تنزل بنونين الملائكة بالنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم ما تنزل بضم التاء الملائكة بالرفع وقرأ الباقون ما تنزل بفتح التاء. والزاوي الملائكة بالرفع وقرأ ابن كثير سُكَّرَتْ بالتخفيف والباقون بالتشديد وفي الشواذ قراءة الزهري سَكَّرَتْ

(- الحجة -)

قال أبو علي حجة من قرأ تنزل قوله تنزل الملائكة والروح فيها وحجة من قرأ تنزل قوله وتنزل الملائكة تنزيلا وحجة من قرأ تنزل قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة ووجه التثنية في سكرت ان الفعل مسند إلى جماعة فهو مثل مفتحة لهم الأبواب ووجه التخفيف ان هذا النحر من الفعل المسند إلى جماعة قد يخفف قال «ما زلت افتح ابوابا غلقها»^(١)

(١) منسوب إلى الفرزدق وبمده «حتى أتيت أبا عمرو بن عباد»

- (الفة) -

الشيعة الفرقة عن الزجاج وكل فرقة شيعة واصله من المشايعة وهي المتابعة يقال شايح فلان فلانا على امره اي تابعه عليه ومنه شيعة علي (ع) وهم الذين تابعوه على امره ودانوا بولامته وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة وسلك واسلك بمعنى المصدر السلك والسلك قال عدي بن زيد

وَكَنتَ لِزَاوَا خَصْمِكَ لَمْ اَعْرِذْ وَقَدْ سَلَكَوْكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ (١)

وقال آخر

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ سَلًا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا (٢)

والعروج الصمود في الدرج والمضارع يعرج ويعرج ابو عبيدة سكرت ابصارنا غشيت قال ابو علي فكان معناه لا ينفذ نورها ولا يدرك الأشياء على حقيقتها ومعنى الكلمة انقطاع الشيء عن سننه الجاري فمن ذلك سكر الماء وهو رده عن سننه في الجري وقالوا التسكر في الرأي قبل ان يعزم على الشيء وإذا عزم على امر ذهب التسكر ومنه السكر في الشراب إنما هو ان ينقطع عما هو عليه من المصافي حال الصحو فلا ينفذ رأيه ونظره على حد نفاذه في صحوه وقالوا سكران لا يثبت فعبروا عن هذا المعنى فيه قال الزجاج فسروا سُكِرَتْ أَغْشِيَتْ وَسُكِرَتْ تَحِيْرَتْ وسكنت عن ان تنظر والعرب تقول سكرت الريح سكرت وكذلك سكر الحر قال الشاعر

جَاءَ الشِّتَاءُ وَاجْتَالَ القُبْرُ وَجَعَلَتْ عَيْنَ الحُرُورِ تَسْكُرُ (٣)

والبرج اصله الظهور ومنه البرج من يروج السماء وبرج الحصن ويقال تدرجت المرأة إذا اظهرت زينتها والرجيم المرجوم والرجم الرمي بالشيء بالاعتقاد من غير آلة مهيأة للاصابة فإن القوس يرمى عنها ولا يرمم بها ورجمت شتمته والشهاب القطعة من النار قال الزجاج والشهب المنقضة من آيات النبي ﷺ والدليل على انها كانت بعد مولد النبي ﷺ ان شعراء العرب الذين كانوا يثلون في السرعة بالبرق والسيل وبالأشياء المرسعة لم يوجد في اشعارهم بيت واحد فيه ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بدمولد النبي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها قال ذوالرمة

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيَّةٍ مَسُومٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٍ (٤)

* الاعراب *

لو ما دعا. إلى الفعل وتحريض عليه وهو بمعنى لولا وهلا وقد جاءت لو ما في معنى لولا التي لها جواب قال ابن مقبل

لَوْ مَا الحَيَاءُ وَلَوْ لَا الدِّينَ عِبْتِكُمْ بِيَمْعُضِ مَا فَيَكْمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوْرِي

الا من استرق السمع استثناء منقطع والمعنى لكن من استرق السمع يتبعه شهاب وقال الفراء هو استثناء صحيح لأن الله تعالى لم يحفظ السماء من يصعد اليها ليسترق السمع لكن إذا سمعه واداه إلى الكهنة اتبعه شهاب

* المعنى *

(وقالوا) أي قال المشركون للنبي ﷺ (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن في زعمه ودعواه (إنك لاجنون) في دعواك انه نزل عليك وفي توهمك انا نتبعك ونؤمن بك (لوما تأتينا بالملائكة) يشهدون لك على صدق قولك (إن كنت من الصادقين) فيما تدعيه عن ابن عباس والحسن ثم أجابهم سبحانه بالجواب المنع فقال (ما ننزل الملائكة إلا بالحق) أي لا ننزل الملائكة إلا بالحق الذي هو الموت لا يقع فيه تقديم وتأخير فيقبض أرواحهم عن ابن عباس وقيل لا ينزلون إلا بعدذاب الاستئصال ان لم يؤمنوا عن الحسن ومجاهد والجبائي وقيل ما ينزلون في الدنيا إلا بالرسالة عن مجاهد (وما كانوا إذا) أي حين ننزل الملائكة (منظرين) مؤخرين مهلين أي لا يجهلون ساعة ثم زاد سبحانه في البيان فقال (إننا نحن نزلنا الذكر) أي القرآن (وإننا له حافظون)

(١) مضى البيت في صفحة ١٨٢. (٢) قائله عبدمناف الهذلي وقائمة: عبة معروفة. والشرد بضمين جهمشارد من شرد البعير: نفر. قال ابن منظور ويروى الشردا - بفتحين - مثل خادم وخدم. وجواب اذا معذوقه دل عليه قوله شلاكانه قال شلوهوم شلا (٣) قائله المشي الطهوي. واجتال: اجتمع وتقضب: والعرور: الريح العارة. (٤) يصف نوراً وحشياً. وعفريّة: خبيث منكر. وقوله منقضباى منقض من مكانه.

من الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير عن قتادة وابن عباس ومثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقيل معناه متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتقله الأمة وتحفظه عصرا بعد عصر إلى يوم القيامة لقيام الحجّة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ عن الحسن وقيل يحفظه من كيد المشركين ولا يمكنهم ابطاله ولا يندرس ولا ينسى عن الجبائي وقال الغراء يجوز ان يكون الها في له كناية عن النبي ﷺ فكانه قال إنا نزلنا القرآن وإنا لمحمد ﷺ حافظون وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث اذ المنزل والمحموظ لا يكون إلا محدثا ولقد أرسلنا من قبلك يا محمد رسلا عن ابن عباس فحذف المفعول لدلالة الإرسال عليه (في شيخ الأولين) أي في فرق الأولين عن الحسن والكلبي وقيل في الأمم الأولى عن عطا عن ابن عباس (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن) وهذا تسلية للنبي ﷺ إذا خبره ان كل رسول كان مبتلى بقومه واستهزؤهم بالرسول انما حملهم على ذلك استبعادهم ما دعواهم اليه واستيحاشهم منه واستنكارهم له حتى توهموا انه مما لا يكون ولا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه اسلافهم (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) فيه قولان ﴿ احدها ﴾ ان معناه إنا نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار باخطاره عليها والقائه فيها وبأن نفهمه إياه وانهم مع ذلك (لا يؤمنون به) ماضين على سنة من تقدمهم في تكذيب الرسل كما سلكتنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم عن البلخي والجبائي والمراد ان اعراضهم عن القرآن لا يمننا من ان ندخله في قلوبهم تأكيذا للحجة عليهم ﴿ والآخر ﴾ ان المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم والأول هو الصحيح وقد رووا عن جماعة من المفسرين ان المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار وذلك لا يصح لأنه لم يجز للشرك ذكر وقد جرى ذكر الذكر وهو القرآن ولأنه قال لا يؤمنون به ولو عاد الضمير في قوله به إلى الشرك لكان الكفار محمدين إذا كانوا لا يؤمنون بالشرك ولا خلاف ان الآية وردت على سبيل الذم لهم ولو كان الله سبحانه قد سلك الكفر في قلوبهم لسقط عنهم الذم ولما جاز ان يقول لهم كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله لقد جئتم شيئا اذًا تكاد السوات يتفطرون منه وكيف ينكر عليهم هذا الانكار وهو الواضح لذلك في قلوبهم وكيف يأمرهم باخراجه من حيث وضعه فيه تعالى وتقدس عن ذلك (وقد خلت سنة الأولين) أي مضت طريقة الأمم المتقدمة بأن كانت رسلاهم تدعوهم إلى كتب الله المنزلة ثم لا يؤمنون وقيل مضت سنة الأولين بأن عوجلوا بعذاب الاستتصال عند الاتيان بالآيات المقترحة مع اصرارهم على الكفر عن ابي مسلم وقيل مضت سنتهم في التكذيب كما ان قومك كذبوك عن ابن عباس ثم قال بعد ما تقدم ذكر اقتراحهم للآيات (ولو فتحنا عليهم) أي على هؤلاء المشركين (بابا من السماء) ينظرون اليه (فظلوا فيه يمرجون) أي فظلت الملائكة تصعد وتنزل في ذلك الباب عن ابن عباس وقاتدة وقيل فظل هؤلاء المشركون يمرجون إلى السماء من ذلك الباب وشاهدوا ملكوت السموات من الحسن والجبائي وابي مسلم (لقالوا انما سكرت ابصارنا) أي سدت وغطيت عن مجاهد وقيل اغشيت وعييت عن ابن عباس والكلبي وابي عمرو والكسائي وقيل تحيرت وسكنت من ان تنظر (بل نحن قوم مسحورون) مسحورنا محمد ﷺ فلا ننظر ببصر وبخيال الاشياء البناء على خلاف حقيقتها ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال سبحانه (ولقد جعلنا) أي خلقنا وهيانا (في السماء) بروجاً (أي منازل الشمس والقمر) (وزيناها للنظرين) بالكواكب النيرة عن ابي عبد الله (ع) وهي اثنا عشر بروجاً وقيل البروج النجوم عن ابن عباس والحسن وقاتدة (وحفظناها) أي وحفظنا السماء (من كل شيطان رجيم) أي مرجوم مرمي بالشهب عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وقيل رجيم ملعون مشرؤم عن ابن عباس وحفظ الشيء جعله على ما ينبغي عنه الضياع فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه حتى لا ينسى وحفظ المال باحرازه حتى لا يضيع وحفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها ولا يبلغ إلى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما اعد له من الشهاب (الا من استرق السمع) والسرقة عند العرب ان يأتي الإنسان إلى حرز خفية فيأخذ ما ليس له والمراد بالسمع هنا المسروع والمعنى

ألا من حاول أخذ السموم من السماء في خفية (فأنتبه) أي لحقه (شهاب مبین) أي شملة نار ظاهر لأهل الأرض بين لمن رآه ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم والشهاب عمود من نور يضيء ضياء النار لشدة ضيائه وروي عن ابن عباس انه قال كان في الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل ويرى به الكاهن فيفشي الكاهن الى الناس فلما بعث الله عيسى (ع) منعوا من ثلاث سموات ولما بعث محمد ﷺ منعوا من السموات كلها وحرست السماء بالنجوم فالشهاب من معجزات نبينا محمد ﷺ لأنه لم ير قبل زمانه وقيل ان الشهاب يحرق الشياطين ويقتلهم عن الحمن وقيل انه يجبل ويجرق ولا يقتل عن ابن عباس

قوله تعالى (١٩) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (٢٠) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢١) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَعْلُومٍ (٢٢) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُومَهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٣) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ السَّوَّارِثُونَ (٢٤) وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٥) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِمَحْشُرِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (سبع آيات)

﴿ القراة ﴾

قرا حمزة وحده الريح لواقح والباقون الرياح لواقح

(الحمزة)

قال ابو عبدة لا اعرف لذلك وجها إلا ان يريد ان الريح تأتي مختلففة من كل وجه فكانت بمنزلة الرياح وحكى الكسائي ارض اغفال وارض سباب قال المبرد يجوز ذلك على أن يجعل الريح جنسا وليس يجيد لان الرياح ينفصل بعضها عن بعض ومعروفة كل واحدة منها والارض ليست كذلك لأنها بساط واحد

﴿ اللفة ﴾

الرواسي الثوابت واحدها راسية والمراسي ما يثبت به والوزن وضع احد الشئين بازاء الآخر على ما يظهر به مساواته في المقدار وزيادته والمعيش جمع معيشة وهي طلب اسباب الرزق مدة الحياة وقد يطلبها الانسان لنفسه بالتصرف والتكسب وقد يطلب له فان آتاه اسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهني واللاقح الرياح التي تلقح السحاب حتى يحمل الماء أي يلقي اليه ما يحمل به الماء يقال لقحت الناقة إذا حملت والقحها الفحل فاللاقح في معنى الملقحات وقيل في علة ذلك قولان ﴿ احدهما ﴾ انه في معنى ذات لقاح ومثله هم ناصب أي ذو نصب قال النابغة

كَلْبِي لِهَمِّ يَا أُمِّمَةَ نَاصِبٍ وَبَلِيلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ (١)

أي منصب وقال نهشل بن جري

لَيْبِكَ بَرِيدُ ضَارِعٍ لِحُصُومَةٍ وَخَبْطِطُ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ (٢)

أي الطوايح ﴿ والآخر ﴾ ان الرياح لاقحة بجملها الماء ملقحة باللقاح إياه إلى السحاب ويقال سقته فبها يشربه بشفته واسقته بالألف فبها تشربه ارضه قال علي بن عيسى وقد يجي احدهما بمعنى الآخر كقوله نسقكم مما في بطونه وقال ذو الرمة

وَقَفَّتْ عَلَى رُبْعِ لَبِيَّةٍ نَاقَتِي^(١) فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبَتْهُ تَكَلَّمَنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَأِيَهُ

اي ادعو له بالسقيا

✽ الإعراب ✽

والارض منصوب بفعل مضمر تقديره ومددنا الارض مددناها كقوله والقمر قدرناه اي وقدرنا القمر قدرناه ومن لستم له برازقين من في موضع نصب عطفا على معايش والمراد به العبيد والاماء والانعام والدواب عن مجاهد وقال الفراء العرب لا تكاد تجمل من إلا في الناس خاصة فإن كان مع الدواب العبيد حسن حينئذ قال وقد يجوز ان يكون من في موضع جر عطفا على الكاف والميم في لكم وقال المبرد والظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر المخفوض نحو مررت بك وزيد إلا أن يضطر شاعر وأنشد الفراء

نَمَلِقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي مَسُوقَنَا
فرد الكعب على الهاء في بينها وقال

هَلَا سَأَلْتُ بِذِي الْجَمَاجِمِ عَنْهُمْ
وَأَبِي نَعِيمٍ ذِي اللِّوَاءِ الْمُحْرِقِ^(٢)

فرد أبا نعيم على هم في عنهم قال ويجوز أن يكون من في موضع رفع لأن الكلام قد تم ويكون التقدير على قوله ولكم فيها من لستم له برازقين قال الزجاج والأجود من الاقوال الاول وجاز أن يكون عطفا على تأويل لكم لأن معنى قوله ولكم فيها معايش اعشائهم ومن لستم له برازقين اي رزقناكم ومن لستم له برازقين وان من شيء من مزيدة وشي مبتدأ وعندنا خبر له وخزائنه مرفوع بالظرف لأن الظرف جرى مجرا خبرا على المبتدأ. لاختلاف في هذا بين سيويه والاختلاف

« المعنى »

لما تقدم ذكر السماء وما فيها من الأدلة والنعم اتبعه بذكر الارض فقال (والارض مددناها) اي بسطناها وجعلناها طولا وعرضا (والقيتنا فيها رواسي) اي طرحنا فيها جيالا ثابتة (وأنبتنا فيها) اي في الارض (من كل شيء موزون) اي مقدر معلوم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل من كل شيء يوزن في العادة كالذهب والفضة والصخر والنحاس ونحوها عن الحسن وقيل يعني بذلك كل ما تخرجه الارض عن ابي مسلم قال وإنما خص الموزون بالذكر دون المكيل لوجهين ﴿ احدهما ﴾ ان غاية المكيل تنتهي إلى الوزن لأن جميع المكيلات إذا صار طعاما دخل في الوزن فالوزن أهم ﴿ والآخر ﴾ ان في الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب المساواة وهذا المعنى ثابت في الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل ورد عليه السيد الاجل المرتضى قدس الله روحه فقال ظاهر لفظ الآية يشهد بتغير ما قاله فإن المراد بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضررة داخلية في باب العبث ونظير ذلك قولهم كلام فلان موزون واقطاله موزونة والمراد ما ذكرناه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على احد التأويلين وانها التمديل والمساواة بين الثواب والمعاقب^(٣) وجعلنا لكم فيها معايش) اي خلقنا لكم في الارض معايش من زرع او نبات عن ابن عباس والحسن وقيل معايش اي مطاعم ومشارب تعيشون بهما وقيل هي التصرف في اسباب الرزق مدة الحياة (ومن لستم له برازقين) يعني العبيد والدواب يرزقهم الله ولا ترزقونهم ومعناه يدور على ما تقدم ذكره في الاعراب وأتى بلفظة من دون لفظة ما لأنه غلب العقلاء على غيرهم (وان من شيء) اي وليس من شيء ينزل من السماء وينبت من الارض (إلا عندنا خزائنه) معناه إلا ونحن مالكوه والقادرون عليه

(١) الربيع : الدار . (٢) البيت منسوب الى مسكين الدارمي يصف نفسه وقومه بالطول والسو والعظم والشجاعة . السواري جمع السارية وعنى بها اعنان الرجال . والكعب : كل مفصل للعظام . والنوط : الارض المطبقة . والنفاق : جمع نفث : البواء بين الشيبين . يقول ان الرجل منهم لظوله ووضغامة كالساربه واذا وضع السيف بحامله على عاتقه فكانا علقه على سارية وبين السيف وكعب الرجل مكان بيده . (٣) ذى الجماجم : موضع . وأبو نعيم هو النعمان بن المنذر

وخزائن الله سبحانه مقدوراته لأنه تعالى يقدر أن يوجد ما شاء من جميع الأجناس ويقدر من كل جنس على ما لا نهاية له وقيل المراد به الماء الذي منه النبات وهو مخزون عنده إلى أن ينزله ونبات الأرض وثمارها إما تنبت بماء السماء وقال الحسن المطر خزائن كل شيء (وما ننزله) اي وما ننزل المطر (إلا بقدر معلوم) تقتضيه الحكمة وقيل انه سبحانه استعار الخزائن للقدرة على إيجاد الأشياء وعبر عن الإيجاد بالانزال لأن الانزال في معنى الاعطاء والرزق والمعنى ان الخير كله من عند الله لا يوجد ولا يعطى إلا بحسب المصلحة والحاجة ثم بين سبحانه كيفية الانزال فقال (وارسلنا الريح لواقح) اي اجرينا الريح لواقح اي ملقحة للسحاب محملة بالمطر (فأنزلنا من السماء ماء) اي مطراً (فأسقيناه) اي فأسقيناهم ذلك الماء ومكناهم منه (وما انتم له بحازنين) اي وما انتم ايها الناس له بحافظين ولا محزين بل الله يحفظه ثم يرسله من السماء ثم يحفظه في الأرض ثم يخرج من العيون بقدر الحاجة ولا يقدر احد على احراز ما يحتاج اليه من الماء في موضع (وانا لنحن نحيي ونميت) اخبر سبحانه انه يحيي الخلق إذا شاء ويميتهم إذا أراد (ونحن الوارثون) الأرض ومن عليها اخبر انه يرث الأرض لأنه إذا أفنى الخلق ولم يبق احد كانت الاشياء كلها راجعة اليه يتفرد بالتصرف فيها (واقد علمنا المتقدمين منكم) واقد علمنا المتقدمين (ولقد علمنا المتأخرين) قيل فيه اقوال **➤** احدها **➤** ان معناه واقد علمنا الماضين منكم واقد علمنا الباقين عن مجاهد والضحاك وقادة **➤** وثانيها **➤** علمنا الأولين منكم والآخريين عن الشعبي **➤** وثالثها **➤** علمنا المتقدمين في صفوف الحرب والمتأخرين عنها عن سعيد بن المسيب **➤** ورابعها **➤** علمنا المتقدمين في الخير والمبطلين عنه عن الحسن **➤** وخامسها **➤** علمنا المتقدمين إلى الصف الأول في الصلاة والمتأخرين عنه فإنه كان يتقدم بعضهم إلى الصف الأول ليدر كوا فضيلته وكان يتأخر بعضهم لينظروا إلى اعجاز النساء فنزلت الآية فيهم عن ابن عباس **➤** وسادسها **➤** ان النبي ﷺ حث الناس على الصف الأول في الصلاة وقال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها وقال **➤** ان الله وملائكته يصلون على الصف المتقدم فازدحم الناس وكانت دور بني عذرة بعيدة عن المسجد فقالوا لنبيين دورنا ولنشترين دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية عن الربيع بن أنس فعلى هذا يكون المعنى انا نجازي الناس على نياتهم (وان ربك هو يحشرهم) معناه ان ربك يا محمد او ايها السامع هو الذي يجمعهم يوم القيامة ويمشهم بعد إمامتهم للمجازاة والمحاسبة (انه حكيم) في افعاله (عليم) بما استحق كل منهم

✽ النظم ✽

إنما اتصل قوله وانا لنحن نحيي ونميت وما بعده بما ذكره فيا قبل من انواع النعم فين سبحانه انه يرثهم كل ما خولهم من ذلك ترهيدا في الدنيا وترغيبا في الآخرة عن ابي مسلم وقيل انه لما بين انواع نعمه مرثهم بعد انه لم يخلق ذلك للبقاء وإنما أنعم به عليهم ليكون طريقا إلى نعم الآخرة عن القاضي وقيل انه لما ذكرهم نعم الدنيا نبه بالاحياء والامامة وعلمه بجميع الاشياء وحشر الخلق على وجوب الانقطاع اليه والعبادة والطاعة له

قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٧) وَالْجَبَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّجُومِ (٢٨) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٩) فَإِذْ أَسْوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٣٠) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣١) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٣) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ

هو سوسى بالهرق - كعحدث - لانه كان يحرقه العرب في ديارهم واسكن الراه في الشعر للضرورة . (٤) وقال بعض علماء اهل المصر ان من الاسرار التي كشف عنها الوحي الالهى مافى هذه الآية حيث انها دلت على ان كل ما ينبت في الارض له وزن خاص وقد ثبت اخيراً ان كل نوع من انواع النبات مركب من اجزاء خاصة على وزن مخصوص بحيث لو زيد في بعض اجزائه او نقص كان ذلك مركباً آخر وان نسبة بعض الاجزاء الي بعض من الدقة بحيث لا يمكن ضبطها

مِنْ صَلَّالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ (٣٤) قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٥) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (عشر آيات)

✽ اللعنة ✽

الصلال الطين اليابس اخذ من الصلصة وهي القعقة ويقال لصوت الحديد ولصوت الرعد صلصلة وهي صوت شديد متردد في الهواء وصل يصل اذا صوت قال

رَجَعْتُ إِلَى صَوْتِ كَجَرَّةِ حَنْتَمِ إِذَا قُرِعَتْ صِفْرًا مِنَ الْمَاءِ صَلَّتْ (١)

ويقال الصلال المنتن اخذ من صل اللحم واصل اذا انتن والحما جمع حماة وهو الطين المتغير الى السواد يقال حنت البشر وحماها انا والمسنون المصبوب من سنتت الماء على وجهه اي صببته ويقال سنتت بالين غير معجمة ارسلت الماء وسنتت بالشين معجمة صببت وقيل انه المتغير من قولهم سنتت الحديد على المسن اذا غيرتها بالتحديد واصلها الاستمرار في جهة من قولهم هو على سنن واحد والسنة الطريقة وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة

رَبِّكَ سُنَّةٌ وَجْهِهِ غَيْرَ مَقْرَفَةٍ مَلَسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ (٢)

قال سيوييه جمع الجان جنان فهو مثل حائظ وحيطان وراع ورعيان والسموم الريح الحارة اخذ من دخولها بلطفها في مسام البدن ومنه السم القاتل يقال سم يومنايسم اذا هبت فيه ريح السموم
« الاعراب »

من جعل الجان جمعا قال ولم يقل خلقناها كما قال مما في بطونه ومما في بطونها وقوله مالك ان لا تكون مع الساجدين ما مبتدأ ولك خبره والتقدير اي شي ثابت لك والا تكون تقديره في ان لا تكون فحذف في وهي متعلقة بالخبر ايضا فلما حذف في انتصب موضع ان لا تكون على قول سيوييه وبقي على الجر على قول الخليل واو الحسن حمل ان على الزيادة ولا تكون في موضع الحال قال وتقديره مالك خارجا عن الساجدين

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه الاحياء والامامة والنشأة الثانية عقبه بيان النشأة الأولى فقال (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم (من صلصال) اي من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة اي صوت عن ابن عباس والحسن وقتادة واكثر المفسرين وقيل طين صلب يخاطله الكثيب عن الضحاك وقيل منتن عن مجاهد واختاره الكسائي (من حمأ) اي من طين متغير (مسنون) اي مصبوب كانه افروغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة وقيل انه الرطب عن ابن عباس وقيل مسنون مصور عن سيوييه قال اخذ من سنة الوجه (والجان) وهو ابليس عن الحسن وقتادة وقيل هو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر عن ابن عباس وقيل هم الجن نسل ابليس وهو منصوب بفعل مضمرة معناه وخلقنا الجان (خلقناه من قبل) اي من قبل خلق آدم (من نار السموم) اي من نارها ربيع حارة تقتل وقيل هي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من نار من نار وقيل السموم النار الملتببة عن ابي مسلم وفي هذا اشارة الى أن الانسان لا يفضل باصله وانما يفضل بدبته وعلمه وصالح عمله واصل آدم (ع) كان من تراب وذلك قوله خلقه من تراب ثم جعل التراب طينا وذلك قوله وخلقته من طين ثم ترك ذلك الطين حتى تغير واسترخى وذلك قوله من حمأ مسنون ثم ترك حتى جف وذلك قوله من صلصال فهذه الاقوال لا تناقض فيها اذ هي اخبار عن حالاته المختلفة (واذا قال ربك للملائكة) تقديره واذا ذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة (اني خالق) اي سأخلق (بشرا) اي آدم وسعي

تحقيقا بأدق الموازين المعروفة للبشر .

(١) وربما يقال ان الرياح لاتحمل السحاب وانما تدفنه من مكان الى مكان آخر ولو سلم فليس في التنبيه على هذا المعنى كبير اهتمام بل النظرة الصحيحة في معنى الآية بعد ملاحظة ما اكتشفه علماء النبات تفيدنا سراً دقيقاً لم تدركه أفكار السابقين وهو الاشارة الى حاجة انتاج الشجر والنبات الى اللقاح وان اللقاح قد يكون بسبب الرياح وهذا

بشراً لأنه ظاهر الجلد لا يواريه شعر ولا صوف (من صلصال من حمأ مسنون) مرّ معناه (فإذا سويته) بإتمام خلقته وإكمال خلقه وقيل معناه عدلت صورته (وتخست فيه من روحي) والنفخ اجراء الريح في الشيء باعتدال فلما جرى الله سبحانه الروح في آدم على هذه الصفة كان قد تنفخ الروح فيه وإنما اضاف روح آدم الى نفسه تكريماً له وتشريفياً وهي اضافة الملك (فقموا له ساجدين) اي اسجدوا له قال الكلبي اية فخرؤا له ساجدين (فسجد الملائكة أجمعون) هذا توكيد بعد توكيد عند سيوبه وقال المبرد وبدل قوله اجمعون على اجتماعهم في السجود اي فسجدوا كلهم في حالة واحدة قال الزجاج وقول سيوبه اجود لأن اجمعون معرفة فلا يكون حالاً (إلا ابليس الى ان يكون مع الساجدين) اي امتنع ان يكون معهم فلم يسجد معهم وقد سبق القول في ان ابليس هل كان من الملائكة او لم يكن واختلاف العلماء فيه وما لكل واحد من الفريقين من الحجج وذكرنا ما يتعلق بذلك من الكلام في سورة البقرة فلا معنى للاعادة وان يكون في محل نصب اي انما يكون مع الساجدين (قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين) قال الزجاج معناه اي شيء يقع لك في ان لا تكون مع الساجدين فموضع ان نصب باسقاط في وافضاء الناصب الى ان وهذا خطاب من الله سبحانه لابليس ومعناه لم لا تكون مع الساجدين فتسجد كما سجدوا وانما قال سبحانه بنفسه على جهة الاهانة له كما يقول لأهل النار اخأوا فيها ولا تكلمون وقال الجبائي انما قال سبحانه ذلك على لسان بعض رسله لأنه لا يصح ان يكلمه الله بلا واسطة في زمان التكليف (قال) اي قال ابليس مجيباً لهذا الكلام (لم اكن لأسجد) اي ما كنت لاسجد وقيل معناه ما كان ينبغي ان اسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) لأنني اشرف اصلاً منه ولم يعلم ان النفاضل بالدين والاعمال لا بالأصل (قال فاخرج منها) اي من الجنة (فإنك رجيم) اي مشؤوم مطرود ملعون وقيل معناه اخرج من السماء عن ابي مسلم وقيل من الارض فألقه بالبحار لا يدخل الارض إلا كالسارق وقيل رجيم مرجوم أي إن رجعت إلى السماء رجعت بمنزل الشهب التي يرمجم به الشياطين عن الجبائي (وان عليك اللعنة) وان عليك مع ذلك اللعنة أي الابدان من رحمة الله ولذلك لا يجوز أن يلعن بهيمة (إلى يوم الدين) أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والمراد ان الله سبحانه قد لعنك وأهل السماء والارض يلعنونك لعنة لازمة لك إلى يوم القيامة ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بعدد النار وفيه بيان انه لا يؤمن قط وقال بعض المحققين انما قال سبحانه هنا وان عليك اللعنة بالألف واللام وقال في سورة ص لعنتي بالاضافة لأن هناك يقول لما خلقت بيدي مضافاً فقال وان عليك لعنتي على المطابقة وقال هنا مالك ألا تكون مع الساجدين وساق الآية على اللام في قوله ولقد خلقنا الانسان وقوله والجان فأتى باللام ايضاً في قوله وان عليك اللعنة

قوله تعالى (٣٦) قَالَ رَبِّ قَانظُرِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ (٣٧) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٨) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٩) قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَعُودِبْتَنِي لِأَزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ (٤١) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤٢) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٣) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٤) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (تسع آيات)

❀ القراءة ❀

قرأ يعقوب صراطاً علي بالرفع وهي قراءة ابي رجاء وابن سيرين وقنادة والضحاك ومجاهد وقيس بن عباد وعمر بن ميمون وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) والباقيون من القراء قرأوا علي

كما في الشمس والصنوبر والرمان والقطن و نباتات العيوب فاذا نضجت حبوب الطلع انتفخت الاكياس وانتشرت خارجها
محصولة على اجنحة الرياح فتسقط على مياسم الازهار الاخرى عفواً .
المحبوب: جراد خضر . تضرب الى العمرة . والصفربعنى الفخالى . (٢) وجه مقرف : غير حسن . والندب . اثر الجرح

* الحجة *

قال ابن جنى عليّ هنا كقولهم كريم شريف وليس المراد به علو الشخص والنسبة وقال ابو الحسن في قراءة الجماعة هذا صراط عليّ مستقيم هو كقولك الدلالة اليوم عليّ أي هذا صراط في ذمّي وتحت ضاني كقولك صحة هذا المال عليّ وتوفية عدته عليّ وليس معناه عنده مستقيم عليّ كقولنا قد استقام على الطريق واستقرّ على كذا وما أحسن ما ذهب اليه ابو الحسن فيه

* اللفظة *

الإغواء الدعاء إلى الفنى والاغواء خلاف الارشاد وهذا أصله وقد يكون بمعنى الحكم بالفنى على وجه الذم والتزيين جعل الشئ متقبلاً في النفس من جهة الطبع او العقل بحق او باطل واغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما سأله إبليس عند إياسه من الآخرة فقال عز اسمه (قال رب فانظرنى) أي فامهلني وأخرني (إلى يوم يبعثون) أي يحشرون للجزاء استنظره إبليس إلى يوم القيامة لثلاث موت إذ يوم القيامة لا يموت فيه احد فلم يجبه الله تعالى الى ذلك بل (قال) له (فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) الذي هو آخر ايام التكليف وهو النفخة الأولى حين يموت الخلائق عن ابن عباس وقيل الوقت المعلوم يوم القيامة إنظره الله سبحانه في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة عن الحسن والجبايى وابي مسلم وقيل هو الوقت الذي قدر الله أجله فيه وهو معلوم لله سبحانه غير معلوم لإبليس فأبهم ولم يبين لأن في بيانه اغراء بالمعصية عن البلخي واختلف في تجويز إجابة دعاء الكافر وقال الجبايى لا يجوز لأن في إجابة الدعاء تعظيماً له وقال ابن الاخشيد يجوز ذلك لأن الإجابة كالنعمة في احتمالها ان يكون ثواباً وتعظيماً وان يكون استصلاحاً ولطفاً (قال) إبليس (رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين) قيل فيه اقوال * احدها * ان الاغواء الأول والثاني بمعنى الاضلال أي كما أضللتني لأضلنهم وهذا لا يجوز لأن الله سبحانه لا يضل عن الدين إلا ان يحمل على أن إبليس كان معتقداً للخير * وثانيها * ان الاغواء الاول والثاني بمعنى التخيب أي بما خيبتني من رحمتك لأخيبتهم بالدعاء إلى معصيتك عن الجبايى * وثالثها * ان معناه بما أضللتني عن طريق جنتك لأضلنهم بالدعاء إلى معصيتك * ورابعها * بما كلفني السجود لآدم الذي غويت عنده فسمي ذلك غواية كما قال فزادتهم رجساً إلى رجسهم لما ازدادوا عندها عن البلخي والباء في قوله بما أغويتني قيل ان معناها القسم هنا عن ابي عبيدة وقيل هي بمعنى السبب أي يكونني غاوياً لأزينن كما يقال بطاعته لندخلن الجنة وبمعصيته لندخلن النار ومفعول التزيين محذوف وتقديره لأزينن الباطل لهم أي لأولاد آدم حتى يقموا فيه ثم استثنى من جملتهم فقال (إلا عبداً منهم المخلصين) وهم الذين أخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا عن عبادة الشيطان واتهوا عما نهاهم الله عنه ومن قرأ المخلصين بفتح اللام فهم الذين أخلصهم الله بأن وفقهم لذلك ولطف لهم فيه ليس للشيطان عليهم سبيل (قال) الله سبحانه (هذا صراط عليّ مستقيم) قيل فيه وجوه * احدها * أنه على وجه التهديد له كما تقول لغيرك افعل ما شئت وطريقك عليّ أي لا تفوتني عن معاهد وفتادة ومثله قوله إن ربك بالمرصاد * وثانيها * معناه ان ما نذكركه من امر المخلصين والفاوين طريق ممره عليّ أي ممر من مسلكه عليّ مستقيم لا عدول فيه عني وأجازييه كلاً من الفريقين بما عمل * وثالثها * ان معناه هذا دين مستقيم عليّ يئانه والمداية اليه (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) هذا اخبار منه تعالى بأن عباده الذين بطيعونه وبتنهون إلى أوامره لا سلطان للشيطان عليهم ولا قدرة له على ان يكرهم على المعصية ويحملهم عليها ولكن من يتبعه فإنما ينهه باختياره قال الجبايى وذلك يدل على ان

الجن لا يقدر على الاضرار يفي آدم لأنه على عمومه ثم استثنى سبحانه من جملة العباد من يتبع إبليس على اغوائه وينقاد له ويقبل منه فقال (إلا من اتبعك من الغاوين) لأنه إذا قبل منه صار له عليه سلطان بعدوله عن الهدى إلى ما يدعو إليه من اتباع الهوى وقيل ان الاستثناء منقطع والمراد لكن من اتبعك من الغاوين جعل لك على نفسه سلطانا (وان جهنم لو عدتهم اجمعين) أي موعده إبليس ومن تبعه (لها سبعة ابواب) فيه قولان * أحدها * ما روي عن امير المؤمنين «ع» ان جهنم لها سبعة ابواب اطباق بعضها فوق بعض ووضع احدى يديه على الأخرى فقال هكذا وان الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السمير وفوقها الهاوية وفي رواية الكبي أسفلها الهاوية وأعلىها جهنم وعن ابن عباس ان الباب الأول جهنم والثاني سمير والثالث سقر والرابع جحيم والخامس لظى والسادس الحطمة والسابع الهاوية اختلفت الروايات في ذلك كما ترى وهو قول مجاهد وعكرمة والجباثي قالوا ان ابواب النيران كما طباق اليد على اليد * والأخر * ما روي عن الضحاك قال للنار سبعة ابواب وهي سبعة ادراك بعضها فوق بعض فأعلىها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر اعمالهم واعمارهم في الدنيا ثم يخرجون والثاني فيه اليهود والثالث فيه النصارى والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون وذلك قوله ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو قول الحسن وابي مسلم والقولان متقاربان (لكل باب منهم) أي من الغاوين (جزء مقسوم) أي نصيب مفروض عن ابن عباس

قوله تعالى (٤٥) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْونِ (٤٦) أُدْخِلُوها بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٧)
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٨) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَصَبًا وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٩) نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٠) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ
(ست آيات)

* اللغة *

الغل الحقد الذي يتغل في القلب ومنه الغل الذي يجعل في العنق والغلول الخيانة التي يطوق عارها صاحبها والسرير المجلس الرفيع موطأ للسرور وجمعه الأمرة والسرور وال نصب التعب والوهن الذي يلحق من العمل مشتق من الانتصاب لأن صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن الذي يلحقه

* المعنى *

لما ذكر سبحانه عبادة المخلصين عقبه بذكر حلمهم في الآخرة فقال (ان المتقين) الذين يتقون عقاب الله باجتناص معاصيه (في جنات) أي في بساطين خلقت لهم (وعيون) من ماء وخمر وعسل ينفور من الفوارة ثم يجري في مجاريها (ادخلوها بسلام) أي يقال لهم ادخلوا الجنات بسلامة من الآفات وبراءة من المكروه والمضرات (آمنين) من الاخراج منها ساكني النفس إلى اتقاء الضرر فيها (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي وأزلنا عن صدور أهل الجنة ما فيها من اسباب العداوة من الغل أي الحقد والحسد والتنافس والتباغض (اخوانا) منصوب على الحال أي وهم يكونون اخوانا متوادين يريد مثل الاخوان فيصفو لذلك عيشهم (على سرر) أي كائنين على مجالس السرور (متقابلين) متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض قال مجاهد لا يرى الرجل في الجنة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لأن الأسرة تدور بهم كيف ما شاءوا حتى يكونوا متقابلين في عموم احوالهم وقيل متقابلين في الزيارة إذا تزاورا واستوت مجالسهم ومنازلهم وإذا افرقوا كانت منازل بعضهم ارفع من بعض (لا يسمعون فيها) أي في الجنة (نصب) أي عناء وتعب لأنهم لا يحتاجون إلى إعتاب أنفسهم لتحصيل مقاصدهم

اذ جميع النعم حاصله لهم (وما هم منها بمخرجين) أي يقولون فيها مؤبدين ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يخبر عباده بكثرة غنوه ومقرته ورحمته لأوليائه وشدة عذابه لأعدائه فقال (نبي) يا محمد (عبادي أي انا القور) أي كثير الستر لذنوب المؤمنين (الرحيم) كثير الرحمة لهم (وان عذابي هو العذاب الأليم) فلا تعولوا على محض غفرائي ورحمتي وخافوا عقابي وتقمي

قوله تعالى (٥١) وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ اِبْرَاهِيمَ (٥٢) اِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ اِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ (٥٣) قَالُوا لَا تَوْجَلْ اِنَّا نَبِّئُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٤) قَالَ اُبَشِّرْ مُؤْمِنِي عَلَى اَنْ مَسْنِي الْكَبِيرُ فِيمَ نَبِّشُرُونَ (٥٥) قَالُوا بَشْرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٦) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ اِلَّا الضَّالُّونَ (٥٧) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ اَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٨) قَالُوا اِنَّا اُرْسِلْنَا اِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٩) اِلَّا آلَ لُوطٍ اِنَّا لَمُنْجُوهُمْ اَجْمَعِينَ (٦٠) اِلَّا اَمْرًا تَهُ قَدَرْنَا اِنهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (عشر آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ نافع وحده فم تبشرون خفيفة النون مكسورة وقرأ ابن كثير وحده فم تبشرون مشددة النون مكسورة وقرأ الباقون تبشرون مفتوحة النون خفيفة وروى ابو علي الضرير عن روح وغيره عن يعقوب فم تبشروني بإثبات الياء وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط ويقنطوا بكسر النون حيث كان والباقون بفتح النون وقرأ لمنجؤهم خفيفة اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب والباقون بالتشديد وقرأ قدرنا بالتخفيف ابو بكر عن عاصم وكذلك في النمل والباقون بالتشديد

❖ الحجة ❖

قال ابو علي الوجه في قراءة نافع انه أراد تبشروني إلا انه حذف النون الثانية استثقالاً لأن التكرير بها وقع ولم يحذف النون الأولى التي هي علامة الرفع وقد حذفوا هذه النون في كلامهم لأنها زائدة ولأن علامة الضمير الياء من دونها قال

أَبَلْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ اِي
مَلَأَقِي لَا أَبَاكَ تَخَوَّفِي

وقال

تَرَاهُ كَالْتَنَامِ يَعْلُ مِسْكَاً
يَسُوُّ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَئِي (١)

والوجه في تشديد ابن كثير النون انه أدغم النون الأولى التي هي علامة الرفع في الثانية المتصلة بالياء التي هي المضمر المنصوب المتكلم ومن فتح النون فلا نه لم بعد الفعل إلى المفعول به كما عدى غيره وحذف المفعول به كثير والنون علامة الرفع وقنط يقنط وقنط يقنط لغتان وكان قنط يقنط اعلى وبدل على ذلك اجماعهم في قوله قنطوا وحكى ان يقنط لغة وهذا بدل على ان يقنط اكثر لأن مضارع فعل يجيء على يفعل ويفعل وحجة من قرأ لمنجؤهم قوله ونجينا الذين آمنوا وحجة من قرأ بالتخفيف قوله فأناجاء الله من النار وقدردت بالتخفيف لغة في قدرت بدل على ذلك قول العذلي

وَمَقْرَهَةٍ عَنَسٍ قَدَرْتُ لِسَاقِهَا
فَخَرَّتْ كَمَا تَتَابِعُ الرِّيحُ بِالْقَفْلِ (٢)

والمعنى قدرت ضربتي لساقها فضربتها فحذف لدلالة الكلام عليه فمن قرأ قدرنا محضاً كان في معنى التشديد

(١) البيت في جامع الشواهد . (٢) العنس : الناقة القوية ومقرهه : التي تلد الفرهة يقال دابة فارهة اي نشيه حادة قوية . و اتابعت الريح بورق الشجر اذا ذهبته وواصله تتابعت به . والقفل مايس من الشجر

* اللغة *

الضيف هو المنصوب إلى غيره لطلب القرى وهو يقع على الواحد والاثنين والجمع لأنه في الأصل مصدر وصف به وقد يجمع بالاضياء والضيوف والضيفان والوجل الخوف يقال وجل يوجل ويوجل ويبيجل ويبيجل إذا خاف والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة والخطبة والمجرم المنقطع عن الحق إلى الباطل وهو القاطع لنفسه عن المحاسن إلى القبائح والغاير الباقي فيمن يهلك قال الشاعر

فَمَا وَفَى مُحَمَّدٌ مَذَانٌ غَفَرَ لَهُ الْإِلَهَ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ

= (الاعراب) =

سلاماً منصوب على المصدر كأنهم قالوا سلمنا إلا آل لوط قال الزجاج هو استثناء ليس من الأول وقوله إلا امرأته استثناء من الهاء والميم في قوله إنا لمنجوعهم وقوله قدرنا إنا لمن الغابرين في معنى علمنا أنها لمن الغابرين قال ابو عبيدة في الآية معنى فقهي كان ابو يوسف يتأوله فيها وهو ان الله استثنى آل لوط من المجرمين ثم استثنى امرأة لوط من آل لوط فرجعت امرأته في التأويل إلى القوم المجرمين وكذلك كل استثناء في الكلام إذا جاء بعد استثناء آخر دعا المعنى إلى اول الكلام كقول الرجل لفلان علي عشرة دراهم إلا اربعة إلا درهما فإنه يكون اقرارا بسبعة وكذلك لو قال له علي خمسة إلا درهما إلا ثلثاً كان اقرارا باربعة وثلاث

* المعنى *

لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد عقبه بذكر قصة ابراهيم (ع) وقوم لوط مصداقاً لما ذكره وارشاداً إلى الدلالة بالاجل على الآجل فقال (ونبتهم عن ضيف ابراهيم) اي وأخبرهم عن اضياف ابراهيم (إذ دخلوا عليه) يعني الملائكة وإنما سألهم ضيفاً لأنهم جاءوه في صورة الاضياف (فقالوا سلاماً) اي سلموا عليه سلاماً على وجه الدعاء والتحية وبشروه بالولد وباهلاك قوم لوط (قال) ابراهيم (إنا منكم وجلون) أي خائفون (قالوا لا توجل) أي لا تخف (إنا نبشرك) اي نخبرك بما يسرك (بقلام عليم) اي بولد يكون غلاماً إذا ولد وبكون علياً إذا بلغ (قال) ابراهيم (ابشروني) بالمولود (على أن مسني الكبير) أي في حال الكبير الذي يوجب اليأس عن الولد (فبم تبشرون) بأمر الله تعالى فأنتق به ام من جهة انفسكم ومعنى مسني الكبير غيرني الكبير عن حال الشباب الذي يطمح في الولد إلى حال الهرم وقيل معناه عن رأس الكبير (قالوا بشركناك بالحق) أي قالت الملائكة لابراهيم إنا بشركناك بذلك على وجه الحقيقة بأمر الله (فلا تكن من القانطين) اي اليائسين فأجابهم ابراهيم (ع) بأن (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) أي ومن الذي ييأس من رحمة الله وحسن انعامه إلا العادلون عن الحق الضالون عن طريق الهدى الجاهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ الكبير وهذا القول من ابراهيم (ع) يدل على انه لم يكن قانطاً ولكنه استبعد ذلك فظنت الملائكة قنوطاً فنفي ذلك عن نفسه (قال) ابراهيم (ع) بعد ذلك للملائكة (فما خطبكم ايها المرسلون) أي ما الأمر الجليل الذي بعثتم له وما شأنكم وسألهم مرسلين لما علم انهم ملائكة (قالوا إنا ارسلنا إلى قوم مجرمين) أي مذنبين وقيل كافرين اخبروه بهلاكهم واقتصروا على هذا لأن من المعلوم ان الملائكة إنما يرسلون إلى المجرمين للهلاك (إلا آل لوط) استثنى منهم آل لوط وهم خاصته وعشيرته وإنما استثناهم منهم وإن لم يكونوا مجرمين من حيث كانوا من قوم لوط ومن بعث اليهم وقيل إن معناه لكن آل لوط (إنا لمنجوعهم اجمعين) أي نخلصهم اجمعين من العذاب (إلا امرأته) استثنى امرأة لوط من آل لوط لأنها كانت كافرة (قدرنا إنا لمن الغابرين) اي من الباقين في المدينة مع المهلكين اي قضيتا انها تهلك كما يهلكون

قوله تعالى (٦١) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦٢) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٣) قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ يَمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٤) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٥) فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أذْيَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٦) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٧) وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٨) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٩) وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تَمْخُزُونِ (٧٠) قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧١) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧٢) لَعْنَةُ اللَّهِ لَأَمْرِكُ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ بِعَمَهُونَ (اثنتا عشرة آية)

* اللفظة *

الاسراء سير الليل يقال مري يسري مري وأمري اسراء لفتان قال امرؤ القيس
سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيئَهُمْ
وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يَقْدَنَ بِأَرْسَانِ (١)
والقطع كأنه جمع قطعة مثل يسرة وبسر وتمر وتمر والاتباع اقتفاء الأثر والاتباع في المذهب والاعتداء
بمعنى وخلافه الابتداء والادبار جمع دبر وهو جهة الخلف والقبل جهة القدام وقد بكنى بهما عن الفرج والدابر
الاصل وقيل ان الدابر الآخر وعقب الرجل دابره والعمر والعمر واحد غير انه لا يجوز في القسم إلا بالفتح
لأن الفتح اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمرى ولعمرك فلزموا الأخف

* الاعراب *

ان دابر هؤلاء مقطوع موضع ان نصب بأنه بدل من ذلك الأمر لأنه تفسيره ويجوز أن يكون نصبا على
حذف الجار فكأنه قال وقضينا اليه بأن دابرهم مقطوع وقوله مصبحين نصب على الحال ويستبشرون ايضا في
موضع نصب على الحال . لعمرك مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والتقدير لعمرك قسي او لعمرك ما قسم به
ولا يستعمل اظهار هذا الخبر قال الزجاج إن باب القسم يحذف معه الفعل تقول والله لأفعلن وبالله لأفعلن
والمعنى احلف بالله فحذف الفعل للعلم به فكذلك حذف خبر الابتداء لدلالة الكلام عليه

- المعنى -

ثم اخبر سبحانه ان الملائكة لما خرجوا من عند ابراهيم «ع» اتوا لوطا «ع» يبشرونه بهلاك قومه فقال
(فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون) وإنما قال لم لوط ذلك لأنهم جاءوه على صفة الرد على
هيئة وجمال لم ير مثلهم قط فأنكر شأنهم وحياتهم وقيل انه اراد اني انكركم فعرفوني انفسكم ليطمئن قلبي (قالوا
بل جنتك بما كانوا فيه يمترون) أي بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه إذا خوفتهم به (وأتيناك بالحق) أي
بالعذاب المستيقن به (وإنا لصادقون) فيما اخبرناك به وقيل معناه وأتيناك بأمر الله تعالى ولا شك ان امره سبحانه
حق (فأمر بأهلك بقطع من الليل) ومعناه سر بأهلك بعد ما يمضي اكثر الليل ويبقى قطعة منه (واتبع ادبارهم)
أي اقتف أثرهم وكن وراءهم لتكون عيننا عليهم فلا يتخلف احد منهم (ولا يلتفت منكم احد) أي
لا يلتفت احد منكم إلى ما خلف وراءه في المدينة وهذا كما يقول القائل امض لشأنك ولا تخرج على شيء وقيل
لا ينظر احد منكم وراءه لئلا يروا العذاب فيفزعوا ولا يحتمل قلبهم ذلك عن الحسن وابي مسلم (وامضوا حيث
تؤمرون) أي اذهبوا إلى الموضع الذي امركم الله بالذهاب اليه وهو الشام عن السدي (وقضينا اليه ذلك الامر)

اي أعلمنا لوطا وأخبرناه واوحينا اليه ما تنزل به من العذاب (ان دابر هؤلاء مقطوع) يعني أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح وهو قوله مصبحين أي داخلين في وقت الصبح والمراد انهم مستأصلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لا يبقى منهم اثر ولا نسل ولا عقب (وجاء اهل المدينة يستبشرون) يبشرون بعضهم بعضاً بنزول من هو في صورة الاضياف بلوط وإنما فرحوا طمعا في ان ينالوا الفجور منهم (قال) لوط لهم (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) فيهم والفضيحة الزام العار والشتار بالانسان ومعناه لا تلموني فيهم عاراً بقصدكم اياهم بالسوء (واتقوا الله) باجتناب معاصيه (ولا تخزون) في ضيفي والخزي الانتقاع بالغيب الذي يستحسى منه (قالوا) اولم تنهك عن العالمين) معناه اولم تنهك ان تحبب احداً او تضيف احداً قال الجبائي وهذا القول إنما كان من لوط لقومه قبل أن يعلم انهم ملائكة بشوا لاهلاك قومه وإنما ذكر مؤخراً وهو في المعنى مقدم كما ذكر في غير هذه السورة (قال) لوط لم وأشار إلى بناته لصلبه (هؤلاء بناتي) فتزوجهن إن كان لكم رغبة في التزويج عن ابن عباس والحسن وقتادة وقوله (إن كنتم فاعلين) كناية عن النكاح إن كنتم متزوجين قيل وإنما قال ذلك للروساء الذين يكفون الاتباع وقد كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ وقد كان ذلك ايضا جائزا في صدر شريعتنا ثم حرم عن الحسن والجبائي وقيل انهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالتزويج والاستغناء بهن عن الذكران والاول اوضح (لعمرك) أي وحياتك يا محمد ومدة بقائك حيا وقال المبرد هو دعاء ومعناه اسأل الله عمرك قال ابن عباس ما خلق الله عز وجل ولا ذرا ولا برا نفسا اكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله اقسم ب حياة احد الا بحياته فقال لعمرك (إنهم لفي سكرتهم يعمهون) ومعناه انهم لفي غفلتهم يتحبرون ويترددون فلا يبصرون طريق الرشد

قوله تعالى (٧٣) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٤) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٦) وَإِنَّا لَلْسَبِيلِ مُقِيمٌ (٧٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ (٧٩) فَأَنْقَضْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّمَا لِيَا مَامٍ مِّمِينَ (٨٠) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ (٨١) وَأَتَيْنَاهُم آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨٢) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْتًا آمِنِينَ (٨٣) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ (٨٤) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (اثنتا عشرة آية)

(=) (القرأة) (=)

قرأ جميع القراء الأيكة هاهنا لأنها مكتوبة بالألف الا ورشا عن نافع فإنه يترك الهمزة ويرد حركتها إلى اللام

✽ الحجة ✽

إذا خفت الهمزة في الأيكة وقد ألحقتها الألف واللام حذفها وأقيت حركتها على اللام وبجوز فيه إذا استأنف لغتان فمن قال الحمر قال الأيكة ومن قال الحمر قال ليكة

(=) (اللفة) (=)

الايكة الشجر الملتف وجمعها ايك مثل شجرة وشجر قال امية

كَبَا الحَمَامِ عَلَى فَرُو
عِ الْأَيْكِ فِي الطَّيْرِ الْجَوَانِحِ (٧)

وقيل الأيكة الفيضة والمتوسم الناظر في السمة الدالقهوى العلامة ويقال وسمت الشيء وسما إذا أثرت فيه بسمة

(١) في قولهم الاحمر جاءني . (٢) من قصيدة قالها في رثاء من اصاب من قريش يوم بدر وقبل هذا البيت وه

اول القصيدة «الايكيت على الكرام ✽ بنى الكرام اولى السادح» والجوانح : الموائل يقال : جنح لزامال .

ومنه الوسمي اول المطر لأنه يسم الارض بالنبات وتوسم الرجل طلب كلاً الوسمي قال
 وَأَصْبَحَنَ كَالدَّوْمِ النَّوَاعِمِ غُدْوَةً عَلَى وَجْهَةٍ مِنْ طَائِعِنِ مُتَوَسِّمٍ (١)
 وتوسم فيه الخير إذا عرف سمة ذلك فيه والأمام الطريق والإمام المبين اللوح المحفوظ والإمام في اللغة هو
 المتقدم الذي يتبعه من بعده . الحجر اخذ من الحجر الذي هو المنع ومنه سمي العقل حجراً لأنه يمنع من القبائح

✽ الاعراب ✽

انتصب قوله مشرقين ومصباحين على الحال يقال اشرقوا وهم مشرقون اذا صادفوا شروق الشمس وهو
 طلوعها كما يقال اصبحوا اذا صادفوا الصبح فمعنى مشرقين مصادفين لطلوع الشمس وإن في قوله وان كان
 اصحاب الايكة مخففة من الثقيلة آمنين منصوب على الحال

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط فقال (فأخذتهم الصيحة مشرقين) اسية اخذهم الصوت
 المائل في حال شروق الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) مضى تفسيره في سورة
 هود (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) معناه ان فيما سبق ذكره من اهلاك قوم لوط لدلالات للمتفكرين
 المتبرين عن قتادة وابن زيد وقيل للمتفرسين عن مجاهد وقد صح عن النبي ﷺ انه قال اتقوا فراسة
 المؤمن فإنه ينظر بنور الله وقال إن لله عبادة يعرفون الناس بالتوسم ثم قرأ هذه الآية وروي عن ابي عبد الله (ع)
 انه قال نحن المتوسمون والسبيل فينا مقيم والسبيل طريق الجنة ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره (وانها
 لسبيل مقيم) معناه ان مدينة لوط لطريق مسلك يسلكها الناس في حوائجهم فينظرون إلى آثارها ويعتبرون بها
 لأن الآثار التي يستدل بها مقيمة ثابتة بها وهي مدينة سدوم وقال قتادة ان قرى قوم لوط بين المدينة والشام
 (إن في ذلك لآيات) أي عبرة ودلالة (للمؤمنين) وخص المؤمنين لأنهم هم الذين اتفقوا بها (وإن كان
 اصحاب الايكة لظالمين) واصحاب الايكة هم اهل الشجر الذين ارسل اليهم شعيب (ع) وارسل الى أهل
 مدين فأهلكوا بالصيحة واما اصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة التي احترقوا بناها عن قتادة وجماعة من المفسرين
 ومعنى الآية انه كان اصحاب الايكة لظالمين في تكذيب رسولهم وكانوا اصحاب غياض فعاقبهم الله تعالى
 بالحر سبعة ايام ثم أنشأ سبحانه سحابة فاستظلوا بها يلتمسون الروح فيها فلما اجتمعوا تحتمها ارسل منها صاعقة
 فأحرقتهم جميعاً (فانتقمنا منهم) أي من قوم شعيب ومن قوم لوط أي عذبناهم بما انتقمناهم منهم والانتقام هو
 المجازاة على جنابة سابقة وفرق علي بن عيسى بين الانتقام والعقاب بأن الانتقام هو تقيض الانعام والعقاب هو
 تقيض الثواب (وانها لبوام مبين) معناه وان مدينتي قوم لوط واصحاب الايكة بطريق يوم وجمع وبهتدي به
 عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقاتادة وسمي الطريق إماماً لأن الإنسان يومه وقيل معناه وان حديث مدينتيها
 لمكتوب مذكور في اللوح المحفوظ او حديث لوط وحديث شعيب عن الجبائي فيكون نظير قوله وكل شيء
 أحصيناه في إمام مبين والمبين الظاهر ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم صالح فقال (ولقد كذب اصحاب الحجر
 المرسلين) والحجر اسم البلد الذي كان فيه ثمود وإنما سمو اصحاب الحجر لأنهم كانوا سكانه كما يسمى الاعراب
 الذين يسكنون البوادي اصحاب الصحارى لأنهم كانوا يسكنونها وقيل ان الحجر اسم لواد كان يسكنها هؤلاء
 عن قتادة وإنما قال تعالى المرسلين لأن في تكذيب صالح تكذيب المرسلين لأنه كان يدعوهم الى ما دعا اليه
 المرسلون والى الإيمان بالرسولين فكان في تكذيب احدهم تكذيب الجميع وقيل بعث الله اليهم رسلاً منهم صالح
 عن الجبائي (وآياتناهم آياتنا) اي آتينا اصحاب الحجر الحجج والمعجزات والدلالات الدالة على صدق الأنبياء
 وقيل آتينا الرسل الآيات عن الحسن (فكانوا عنها) اي عن الآيات (معرضين) اعرضوا عن التفكير فيها

(١) الدوم : شجر يشبه النخل . وشجرة ناعمة الورد ودرقها كورق السلق ولا تنبت الاعلى ماء ولا تمر لها وهي
 نضراء غليظة الساق .

والاستدلال بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) اي وكان قسوم صالح في القوة بحيث ينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها وكانوا آمنين من خرابها وسقوطها عليهم وقيل كانوا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الموت لطول اعمارهم (فأخذتهم الصيحة مصبحين) اي فأهلكوا بالصيحة في وقت دخولهم في الصباح (فما اغنى عنهم) اي فما دفع عنهم العذاب ولم يغنهم (ما كانوا يكسبون) اي بجمعون من المال والاولاد وانواع الملاذ قوله تعالى (٨٥) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٧) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٨) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٩) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٩٠) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩١) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (سبع آيات)

✽ اللفظة ✽

عضين جمع عضة واصله عضوة فنقصت الواو ولذلك جمعت عضين بالنون كما قال عزة وعزون والأصل عزوة والعضية التفرقة مأخوذ من الاعضاء يقال عضيت الشيء أي فرقته وبعضته قال روية « وليس دين الله بالمضي » وقال آخر

تلك ديار تازم المأزما
وعضوات تقطع اللهازما (١)

وقيل أصل عضة عضة فحذفت الماء كما حذفت من شفة وشاة وأصلها شفهة وشاشة بدلالة ان الجمع شفاء وشياه بالماء والتصغير شفهة وشوبهة

✽ المعنى ✽

(وما خلقنا السوات والارض وما بينهما إلا بالحق) معناه وما خلقناها عبثا بل لما اقتضته الحكمة وهي انا قد تعبدنا اهلها ثم فجازهم بما عملوا (وإن الساعة) وهي يوم القيامة (لآتية) اي جائية بلا شك بعذابهم وقيل بجازاة الخلائق كلهم وقيل هو تفسير قوله الا بالحق (فاصفح الصفيح الجميل) اي فاعرض ما محمد عن مجازاة المشركين وعن مجاوبتهم واعف عنهم عفوا جميلا واختلف في الآية فقيل انها منسوخة بآية القتال عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك وقيل لا نسخ فيه بل هو فيما بين النبي ﷺ وبينهم لا فيما أمر به من جهة جهادهم . أمره الصفيح عنهم في موضع الصفيح لقوله فاعرض عنهم وعظهم عن الحسن قال القاضي والصفيح ممدوح في سائر الحالات وهو كاللحم والتواضع وقد يلزمنا الصفيح الجميل مع لزوم التشدد في أمر الجهاد وحكي عن علي بن ابي طالب (ع) إن الصفيح الجميل هو العفو من غير عتاب وقيل هو العفو بغير تعنيف وتوبيخ (ان ربك هو الخلاق) للاشياء (العليم) بتدبير خلقه فلا يمتق عليه ما يجري ينكم ويجوز ان يريد ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفيح اصلح الآن إلى أن يؤمر بالسيف ثم ذكر سبحانه ما خص به نبيه ﷺ من العم فقال (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) وقد تقدم الكلام فيه وإن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب وهو قول علي (ع) وابن عباس والحسن وابي العالية وسعيد بن جبير وابراهيم ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) فيها جعفر عليها السلام وقيل هي السبع الطوال وهي السور السبع من أول القرآن وانما سميت مثاني لأنه يشي فيها الاخبار والعبر عن ابن عباس في رواية أخرى وابن مسعود وابن عمر والضحاك وقيل المثاني القرآن كله لقوله كتابا متشابها مثاني عن ابي مالك وطاوس وروي نحو ذلك عن عباس ومجاهد ومن قال هي فاتحة الكتاب

(١) الأزم جمع الأزم : المضيق . وعضوات جمع عضة : كل شجر له شوك واللهازم : اصول العنكين وإحداثها لهزمة - بالكسر - وفي اللسان « هذا طريق بأزم . اهـ » وقال ابن منظور وروى « عصوات » جمع عصا .

اختلفوا في سبب تسميتها مثاني فقيل لأنها تثنى قراءتها في الصلاة عن الحسن وإبي عبد الله (ع) وقيل لأنها تثنى بها مع ما يقرأ من القرآن عن الزجاج وقيل لأن فيها التثنية مرتين وهو الرحمن الرحيم وقيل لأنها مقسومة بين الله وعبدته على ما روي في الخبر وقيل لأن نصفها ثناء ونصفها دعاء وقيل لأنها نزلت مرتين تعظيماً وتثريفاً لها وقيل لأن حروفها كلها مثناة نحو الرحمن الرحيم إياك وإياك والصراط وصرط وقيل لأنها تثنى أهل الفسق عن الفسق ومن قال المراد بالثاني القرآن كله فإن من في قوله من الثاني يكون للتبويض ومن قال أنها الحمد كان من للتبيين وقال الراجز

نَشَدْتِكُمْ بِمَنْزِلِ الْقُرْآنِ أَمِ الْكِتَابِ السَّبْعِ مِنْ مَثَانِي
ثَلَاثِينَ مِنْ آيٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسَّبْعِ سَبْعَ الطُّوْلِ الدَّوَانِي

(والقرآن العظيم) تقديره وأتيناك القرآن العظيم وصفه بالعظيم لأنه يتضمن جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين بأوجز لفظ وأحسن نظم وأتم معنى (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أي لا ترفعن عينيك من هؤلاء الكفار إلى ما متعناهم وانعمنا عليهم به أمثالا في النعم من الأموال والأولاد وغير ذلك من زهرات الدنيا فإنها في معرض الزوال والفناء مع ما يتبعها من الحساب والجزاء وعلى هذا فيكون أزواجا منصوبا على الحال والمراد به الأشباه والأمثال وقيل إن معناه لا تنظرن إلى ما في أيديهم من النعم التي هي أشباه يشبه بعضها بعضا فإن ما انعمنا عليك وعلى من اتبعك من أنواع النعم وهي النبوة والقرآن والإسلام والفتوح وغيرها أكثر وأوفر مما آتيناهم وقيل إن معناه ولا تنظرن ولا تعظمن في عيبك ولا تمدما إلى ما متعنا به اصنافا من المشركين والأزواج الاصناف ويكون على هذا مفعولا به نهي الله رسوله عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه إليها وكان رسول الله لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا (ولا تحزن عليهم) أي على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب عن الكلي وقيل لا تحزن عليهم بما يصيرون إليه من عذاب النار بكفرهم عن الحسن وقيل لا تحزنن لما أنعمت عليهم دونك عن الجبائي (واخفض جناحك للمؤمنين) أي ألن لهم جانبك وارفق بهم عن ابن عباس والعرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان قورا حليبا وأصله إن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم خفضه فالمعنى تواضع للمؤمنين لكي يتبعك الناس في دينك (وقل اني أنا النذير المبين) معناه وقل اني أنا المعلم بموضع المخافة ليتقى المبين لكم ما محتاجون إليه وما أرسلت به إليكم (كما أنزلنا على المقتسمين) قيل فيه قولان ﴿أحدهما﴾ ان معناه أنزلنا القرآن عليك كما أنزلنا على المقتسمين وهم اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن عضين) أي فرقوه وجعلوه اعضاء كأعضاء الجزور فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه عن قتادة قال آمنوا بما وافق دينهم وكفروا بما خالف دينهم وقيل ساهم مقتسمين لأنهم اقتسموا كتب الله تعالى فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها عن ابن عباس ﴿والآخر﴾ ان معناه اني انذركم عذابا كما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون عن رسول الله ﷺ والإيمان به قال مقاتل وكانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فأنزل الله بهم عذابا فماتوا شريمة ثم وصفهم فقال الذين جعلوا القرآن عضين أي جزأوه اجزاء فقالوا سحر وقالوا اساطير الأولين وقالوا مفترى عن ابن عباس

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآبة الأولى بما قبلها هو ان الأمم لما خالفوا الحق أهلكوا لأن الله تعالى ما خلق السماوات والارض إلا بالحق وان الساعة آتية للجزاء وان جميع ما خلق الله يرجع إلى عالم بديته واتصل قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني بقوله فاضح الصبح الجميل فإنه سبحانه لما أمره بالضح عن أذاهم بين ما خصه الله به من النعم وما له من الحجة عليهم واتصل قوله كما أنزلنا على القول الأول بهذا أي كما أنزلنا عليهم أنزلنا إليك القرآن وعلى

القول الثاني بتصل بقوله انا النذير

قوله تعالى (٩٢) فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْتَنَّهُمُ ^{اجمعين} (٩٣) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٤) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٦) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّكَ بَضِيقُ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٨) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٩) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (ثماني آيات)

❖ اللغة ❖

الصدع والفرق والفصل نظائر وصدع بالحق إذا تكلم به جهارا قال ابو ذؤيب
وكانن ربابة وكانه يسريفض على القداح ويصدع (١)
والصديع الصبح قال « كان يياض غرته الصديق » (٢)

❖ الإعراب ❖

فاصدع بما تؤمر ان جعلت ما بمعنى الذي كان العائد من الصلة إلى الموصول محذوفا ويكون تقديره على استعمال الصيغة فيه فاصدع بما تؤمر بالصدع به ثم تحذف الباء التي سبقت به فيصير بالصدعه ولا يجوز الاضافة مع لام المعرفة فتحذف لام المعرفة توصلا بمحذوفه إلى الاضافة فيصير بما تؤمر بصدعه ثم يحذف المضاف وبقي المضاف اليه مقامه فيبقى بما تؤمر به ثم يحذف حرف الجر على حد قولك امرتك الخير في امرتك بالخير فيصير بما تؤمره ثم يحذف العائد المنصوب من الصلة على ما قد تكرر بيانه في مواضع فيصير بما تؤمر وهذا من لطائف اسرار النحو وإن جعلت ما مصدرية كان على تقدير فاصدع بالأمر كما تقول عجبتم مما فعلت والتقدير عجبتم من فعلك ولا يحتاج هنا إلى عائد يعود إلى ما لأنه حرف وحكى يونس النحوي عن رؤبة انه قال في هذه اللفظة افصح ما في القرآن

❖ المعنى ❖

لما بين سبحانه كفرهم بالقرآن وتعصيتهم له بين عقيب ذلك لبيبه ^{صلى الله عليه وآله وسلم} انه يسألهم عما فعلوه وبجازيهم عليه فقال (فوردك) يا محمد (لنستلنهم اجمعين) اقسام بنفسه و اضاف نفسه إلى نبيه ^{صلى الله عليه وآله وسلم} تشريفا له وتنبها للخلق على عظيم منزلته عنده لتسألن هؤلاء الكفار سوأل تويخ وتقريع بأن تقول لهم لم عصيتم وما حجتكم في ذلك فيظهر عند ذلك خزيتهم وفضيحتهم عند تعذر الجواب (عما كانوا يعملون) معناه عما عملوا فيما عملوا عن سفيان بن عيينة وقيل عن لا إله إلا الله والإيمان برسله عن الكبي وقيل عما كانوا يعبدون وبماذا أجاوبوا المرسلين عن ابي العالية (فاصدع بما تؤمر) أي اظهر واعلن وصرح بما أمرت به غير خائف عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد وابن زيد وقيل معناه فافرق بين الحق والباطل بما أمرت به عن الجبائي والأخفش وقيل ابن ماتوؤمر به وأظهره عن الزجاج قال وتاويل الصدع في الزجاج وفي الخائطان تبين بعض الشيء عن بعض (واعرض عن المشركين) أي لا تخصمهم إلى أن تؤمر بقتلهم وقيل معناه لا تلتفت اليهم ولا تخف عنهم عن ابي مسلم وقيل واعرض عن مجاوبتهم إذا أدوك عن الجبائي (إنا كفيناك المستهزين) أي كفيناك شر المستهزين واستهزاءهم بأن اهلكناهم وكانوا خمسة قر من قريش العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وابو زمعة وهو الاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل كانوا ستة رهط عن محمد بن نور وسادسهم الحارث بن الطلائة وأمه عيطلة قالوا وأتى جبرائيل النبي ^{صلى الله عليه وآله وسلم} والمستهزون بطوفون بالبيت فقام جبرائيل ورسول الله إلى

(١) الربابة جمعة يجعل فيها القداح . والبسر بمعنى الياسر : اللاعب بالقداح وافاض القداح : ضرب بها يصف الحصارواته . (٢) قائله عمرو بن معديكرب وقيلة « ترى السرحان مقترشا يديه » والسرحان : الاسد .

جنبه فمر به الوليد بن المغيرة المخزومي فأومى بيده إلى ساقه فمر الوليد على قين لخزاعة وهو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فمتمعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعهما وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضاً حتى مات ومر به العاص بن وائل السهمي فأشار جبرائيل إلى رجله فوطى العاص على شوكة فدخلت في اخص رجله فقال لدغت فلم يزل يحكها حتى مات ومر به الاسود بن المطلب بن عبد مناف فأشار إلى عينه فعمي وقيل رماء بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى فمات وقيل اصابه السموم فصار اسود فأتى اهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول قتلتني رب محمد ومر به الحارث بن السلاطلة فأومى إلى رأسه فامتخط فيحاً فمات وقيل ان الحرث بن قيس أكل حوتا ملخاً فأصابه العطش فما زال يشرب حتى اتقد بطنه فمات ثم وصفهم سبحانه بالشرك فقال (الذين يعملون مع الله إلهاً آخر) أي اتخذوا معه إلهاً يعبدونه (فسوف يعلمون) هذا وعيد لهم وتهديد (ولقد نعلم انك) يا محمد (يضيق صدرك) أي قلبك (بما يقولون) من تكذيبك والاستهزاء بك وهذا تمزية من الله تعالى لنبيه وتطيب لقلبه (فسبح بحمد ربك) أي قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) أي المصلين عن الضحاك وابن عباس قال وكان رسول الله ﷺ إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة وقيل معناه احمد ربك على نعمه اليك وكن من الذين يسجدون لله ويوجهون بعبادتهم اليه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي إلى أن يأتيك الموت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل حتى يأتيك اليقين من الخير والشر عند الموت عن قتادة وسمي الموت يقيناً لأنه موقن به ويحتمل أن يكون أراد حتى يأتيك العلم الضروري بالموت والخروج من الدنيا الذي يزول معه التكليف قال الزجاج المعنى اعبد ربك ابد الآبدين ولو قال اعبد ربك بغير توقيت لجاز أن يكون الانسان مطيعاً إذا عبد الله مرة فإذا قال حتى يأتيك اليقين فقد أمر بالإقامة على العبادة ابدًا ما دام حياً

(سورة النحل)

اربعون آية من أولها مكية والباقي من قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لثبوتهم إلى آخر السورة مدنية عن الحسن وقتادة وقيل مكية كلها غير ثلاث آيات نزلت في انصراف النبي ﷺ من أحد وإن عاقبتهم فعاقبوا إلى آخر السورة نزلت بين مكة والمدينة عن ابن عباس وعطا والشعبي وفي إحدى الروايات عن ابن عباس بعضها مكِّي وبعضها مدني فالمكي من أولها إلى قوله ولكم عذاب عظيم والمدني قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إلى قوله بأحسن ما كانوا يعملون

✽ عدد آياتها ✽

مائة وثمان وعشرون آية ليس فيها اختلاف

✽ فضلها ✽

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها لم يحاسبه الله تعالى بالنعم التي أنعمها عليه في دار الدنيا . أعطى من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية وإن مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر «ع» قال من قرأ سورة النحل في كل شهر كفي المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من انواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص وكان مسكنه في جنة عدن وهي وسط الجنان

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سبحانه سورة الحجر بوعيد الكفار كان افتتاح هذه السورة بوعيدهم ايضا فقال
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ
 (٢) يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
 فَاتَّقُوا (آياتان)

✽ القراءة ✽

تشركون بالتاء كوفي غير عاصم والباقون بالياء تنزل الملائكة ففتح التاء والزاي والتشديد ورفع الملائكة
 روح وزيد عن يعقوب وسهل وهي قراءة الحسن والباقون ينزل بالياء بكسر الزاي ونصب الملائكة وابن كثير
 وابو عمرو يخففان ينزل على أصلها وكذلك رويس عن يعقوب والباقون بشددون

✽ اللفظة ✽

قيل ان التسبيح بالتشديد في اللفظة على اربعة اقسام ✽ الاول ✽ التنزيه كقوله سبحانه الذي أمرى ✽ والثاني ✽
 بمعنى الاستثناء كقوله لولا تسبحون أي تستثنون بقولكم إن شاء الله ✽ والثالث ✽ بمعنى الصلاة كقوله
 فلولا انه كان من المسبحين ✽ والرابع ✽ بمعنى التور كما جاء في الحديث فلولا سبحات وجهه أي نوره والروح
 يأتي على عشرة اقسام الروح حياة النفوس بالارشاد والروح الرحمة كما ورد في القراءة فروح وربحان والروح
 النبوة كقوله ياتي الروح من أمره على من يشاء من عباده والروح عيسى روح الله لأنه خلق من غير بشر وقيل
 من غير فعل وقيل لكونه رحمة على عباده بما بدعوه إلى الله والروح جبرائيل (ع) والروح النفخ يقال أحييت
 النار بروحي أي بنفخي قال ذو الرمة بصف الزند والزنده

فَلَمَّا بَدَتْ كَفَّنَهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ
 وَقَلْتُ لَهُ أَرْفَعُهَا إِلَيْكَ وَأَحْيِيهَا
 بِطَلْسَاءٍ لَمْ تَكْمَلْ ذِرَاعًا وَلَا شِبْرًا
 بِرُوحِكَ وَأَقْتَنَهُ لَهَا قَيْتَةً قَدْرًا (١)

والروح الوحي في قوله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا وقيل انه جبرائيل والروح ملك في السماء من
 اعظم من خلق الله فإذا كان يوم القيامة وقف صفاً والملائكة كلهم صفا والروح روح الانسان وقال ابن عباس
 في الانسان روح ونفس فالنفس هي التي يكون فيها التمييز والكلام والروح هو الذي يكون به النطق والنفس
 فإذا نام العبد خرجت نفسه وبقي روحه وإذا مات خرجت نفسه وروحه معا

✽ المعنى ✽

(أتى أمر الله) فيه اقوال ✽ احدها ✽ ان معناه قرب أمر الله تعالى بعقاب هؤلاء المشركين
 المقيمين على الكفر والتكذيب عن الحسن وابن جريج قال الحسن ان المشركين قالوا للنبي ﷺ ائتنا بعذاب الله
 فقال سبحانه ان أمر الله آت وكل ما هو آت قريب دان ✽ وثانيها ✽ ان امر الله احكامه وفرائضه عن
 الضحاك ✽ وثالثها ✽ ان امر الله هو يوم القيامة عن الجبائي وروي نحوه عن ابن عباس وعلى هذا الوجه
 فيكون أتى بمعنى يأتي وجاء وقوع الماضي وهنا لصدق المخبر بما اخبر به فصار بمنزلة ما قد مضى ولأن سبحانه قريب
 أمر الساعة فجعله اقرب من لمح البصر وقال اقتربت الساعة (فلا تستعجلوه) خطاب للمشركين المكذبين بيوم
 القيامة ولعذاب الله المستهزئين به وكانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم فأمطر علينا حجارة من
 السماء وتقديره قل لهؤلاء الكفار لا تستعجلوا القيامة والعذاب فإن الله سيأتي بكل واحد منها في وقته وحينه

(١) الزند: العود الذي يقتدح به النار والزنده: العود الإسفل الذي فيه الفرصة. ويقال للنار ساعة تقدح: طفلة
 :الطلساء: الخرقه الوسخة ضمنها النار حين اقتدح. وبأمره بقوله «واقته لها» بالرفق والنفخ القليل.

كما تقتضيه حكته (سبحانه وتعالى عما يشركون) هذه كلمة تنزيه لله تعالى عما لا يليق به وبصفاته وتنزيه له من أن يكون له شريك في عبادته أي جل وتقدس وتنزه من أن يكون له شريك تعالى وتعظم وارتفع من جميع صفات النقص (ينزل الملائكة) أي ينزل الله الملائكة او تنزل الملائكة (بالروح من أمره) أي بالوحي عن ابن عباس وقيل بالقرآن عن ابن زيد ومما واحد وسمي روحا لأنه حياة القلوب والنفوس بالارشاد إلى الدين وقيل بالنبوة عن الحسن وقوله من أمره أي بأمره ونظيره قوله يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله لأن أحدا لا يحفظه عن أمره (على من يشاء من عباده) ممن يصلح للنبوة والسفارة بينه وبين خلقه (ان اندرؤا انه لا إله الا انا فاتقون) هذا تفسير للروح المنزل وبديل منه فإن المعنى تنزل الملائكة بأن اندرؤوا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله الا انا أي مروه بتوحيدي وبأن لا يشركوا بي شيئا ومعنى فاتقون فاتقوا مخالفتي وفي هذا دلالة على ان الغرض من بثة الأنبياء الانذار والدعاء إلى الدين

✽ النظم ✽

وجه اتصال قوله سبحانه وتعالى بما تقدم ان الكفار كانوا يستعجلون العذاب على وجه التكذيب به ويكذبون البعث والقيامة فيبين سبحانه انه منزه عما يصفون به فإن الحكيم إذا كلف وجب أن يجازي المكلف قترك المجازاة قبيح وقيل انهم كانوا ينكرون قدرة الله تعالى سبحانه على إعادة الخلق فنزهه عنه عن قولهم واتصل قوله ينزل الملائكة بما تقدم فإنه سبحانه لما أوعدهم بالعذاب بين انه ينزل الملائكة للتخويف وانه لا يأخذ أحداً من المشركين حتى يحتاج عليه بالندى وقيل انه سبحانه بين ان الحال حال التكليف لا حال نزول العذاب وان الصلاح الآن انزال الملائكة الى النبي ﷺ بالوحي والكتاب للانذار ويان الأدلة ولذلك اتبعه بذكر الأدلة

قوله تعالى (٣) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٥) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٦) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَمُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ (٧) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِاللَّيْلِ إِلَّا يَشِقِي الْإِنْسَانَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤوفٌ رَحِيمٌ (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابو جعفر بشق الأتقس بفتح الشين والباقون بكسرها

✽ الحجة ✽

الشق والشق بكسر الشين وفتحها بمعنى وكلامها المشقة قال عمرو بن ملقط وهو جاهلي « وأخيل قد تجشم أربابها » الشق وقد تعشيف الراوية والرواية بفتح الشين

(اللفه) -

الانعام جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم سميت بذلك لنعمتها مشيها بخلاف الحافر الذي يصلب مشيها والدف ما استدفأت به ودفوف يومنا دفا فهو دفي والاراحة رد الماشية بالعشي من مراعيها إلى مباركها والمكان الذي يراح فيه مراح والسروح خروج الماشية الى المرعى بالغداة يقال مرحت الماشية مراحا ومروحا ومرحها أهلها قال

كَأَنَّ بَقَايَا الْإِثْمِ فَوْقَ مَتُونِهِ مَدَّبَ الدُّبَا فَوْقَ النَّقَا وَهُوَ سَارِحٌ (٧)

والانقال جمع الثقل وهو المتاع الذي يشقل حملة

✽ الاعراب ✽

والانعام منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده والتقدير وخلق الانعام خلقها وقوله لكم فيها دفء جملة منصوبة
الموضع على الحال من الانعام والتقدير كائنة بهذه الصفة

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر بعث الملائكة للانذار وبيان التوحيد وشرائع الاسلام اتبعه سبحانه بالاحتجاج على الخلق
بالخلق وتعداد صنوف الانعام فقال (خلق السماوات والارض بالحق) ومعناه انه خلقهما يستدل بهما على معرفته ويتوصل
بالنظر فيهما الى العلم بكمال قدرته وحكمته وقيل خلقهما لينتفع بهما في الدين والدنيا وليعمل بالحق (تعالى ما يرش كون) اي تقديس
عن ان يكون له شريك ثم بين سبحانه دلالة اخرى فقال (خلق الانسان من نطفة) والنطفة الماء القليل غير انه بالعارف صار
اسماء الفحل (فالذاهو خصم مبين) اختصرها هنا ذكر قلب احوال الانسان لذكره ذلك في امكنة كثيرة من القرآن
فالمعنى انه خلق الانسان من نطفة سيالة ضعيفة مهينة دبورها وصورها بعد ان قلبها حالا بعد حال حتى صارت
انسانا يخاصم عن نفسه ويبين عما في ضميره فيبين سبحانه انقص احوال الانسان واكلها منها على كمال قدرته وعلمه
وقيل يخاصم مجادل بالباطل مبين ظاهر الخصومة عن ابن عباس والحسن فعلى هذا يكون المعنى انه خلقه ومكنه
فأخذ يخاصم في نفسه وفيه تعريض لفاحش ما ارتكبه الانسان من تضييع حق نعمة الله عليه ثم بين سبحانه نعمته
في خالق الانعام فقال (والانعام خلقها) معناه وخلق الانعام من الماء كما خلقكم منه يدل عليه قوله والله خلق كل
دابة من ماء. وأكثر ما يتناول الانعام الابل ويتناول البقر والغنم ايضا وفي اللغة هي ذوات الاخفاف والأظلاف
دون ذوات الحوافر (لكم فيها دفء) اي لباس عن ابن عباس ومجاهد وقيل ما يستدفأ به مما يعمل من صوفها
ووبرها وشعرها عن الحسن فيدخل فيه الاكسية واللحف والملبوسات وغيرها قال الزجاج اخبر سبحانه أن في
الانعام ما يدفئنا ولم يقل ولكم فيها ما يكتنكم من البرد لأن ما ستر من الحر ستر من البرد وقال في موضع
آخر سراويل تقيكم الحر فعلم انها تقي البرد ايضا فكذلك هاهنا وقيل ان معناه وخلق الانعام لكم اي لمنافعكم
ثم ابتداء وأخبر وقال فيها دفء عن الحسن وجماعة (ومنافع) معناه ولكم فيها منافع اخر من الحمل والركوب
وإثارة الارض والزرع والنسل (ومنها تأكلون) اي ومن لحومها تأكلون (ولكم فيها جمال) اي حسن منظر
وزينة (حين تريحون) اي حين تردونها إلى مرايحها وهي حيث تأوى اليه ليلا (وحين تسرحون) اي حين ترسلونها
بالفداة إلى مرايحها واحسن ما يكون النعم إذا راحت عظاما ضروعها ممثلة بطونها منتصبه اسنمتها وكذلك
إذا سرحت إلى المراعي رافعة رؤوسها فيقول الناس هذه جمال فلان ومواشيه فيكون له فيها جمال (وتحمل
انقالكم) اي امتعتكم (إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس) أي وتحمل الابل وبعض البقر احوالكم
الثقيلة إلى بلد بعيدة لا يمكنكم أن تلبفوه من دون الأجمال إلا بكلفة ومشقة تلحق انفسكم فكيف تلبفونه
مع الاحمال لولا أن الله تعالى سخر هذه الانعام لكم حتى حملت انقالكم إلى اين شئتم وقيل إن الشق معناه
الشطرن والنصف فيكون المراد الابان يذهب شطر قوتكم أي نصف قوة الأنفس وقيل معناه تحمل انقالكم
إلى مكة لأنها من بلاد الفلوات عن ابن عباس وعكرمة (إن ربكم لروؤف) أي ذو رافة (رحيم) أي ذو
رحمة ولذلك انعم عليكم بخلق هذه الانعام ابتداء منه بهذه الانعام

قوله تعالى (٨) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا يَعْلَمُونَ (٩)

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٠) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١١) بُنِيَتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ

وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّرَاةِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٣) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (مستآيات)

❁ القراءة ❁

قرأ حماد ويحيى عن ابي بكر عن عاصم نبت بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع وقرأ حفص عن عاصم والشمس والقمر بالنصب والنجوم مسخرات بالرفع وقرأ الباكون كل ذلك بالنصب

(- الحجة -)

من قرأ ينبت بالياء فلما تقدم من قوله هو الذي اتزل قاليا اشكل بما تقدم من الافراد والنون لا يمتنع ايضا ويقال نبت البقل وانبت الله قال ابو علي والنصب في قوله والشمس والقمر احسن ليكون معطوفا على ما قبله وداخلا في اعرابه ألا ترى أن ما في التنزيل من نحو قوله وكلا ضربنا له الامثال والظالمين اعدناهم عذابا اليما يختار فيه النصب ليكون مثل ما يعطف عليه ومشاكلا له فكذلك هنا إذا حمل ذلك على التسخير كان اشبه فان قلت فقد جاء مسخرات بعد هذه الاشياء المنصوبة المحمودة على سخر فان ذلك لا يمتنع لان الحال تكون مؤكدة ومجيبى الحال مؤكدة في التنزيل وغيره كثير كقوله وهو الحق مصدقا وانا ابن دارة معروف « وكفى بالنأي من اسماء كاف» ويقوي النصب قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين فكما حمل هنا على التسخير كذلك في الاخرى وكذلك النجوم قد حملت على التسخير في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهدتوا بها في ظلمات البر والبحر وكان ابن عامر قطعه عن سخر لثلا يجعل الحال مؤكدة فابتدأ الشمس والقمر والنجوم وجعل مسخرات خبرا عنها ويدل على جواز ذلك انه إذا جاء سخر لكم الشمس والقمر والنجوم علم من هذا انها مسخرات فجاز الاخبار بالتسخير عنها لذلك وأما حفص فانما رفع والنجوم مسخرات لانه لا يصح أن يقال وسخر النجوم مسخرات فقطعها بما قبلها فعلى هذا يكون حجة من نصب أن يقدر فعلا آخر وتقديره وجعل النجوم مسخرات

❁ اللفظة ❁

القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا قصد إلى ما يريد والجاثر المائل عن الحق والشجر ما ينبت من الأرض وقام على ساق وله ورق وجمعه اشجار ومنه المشاجرة لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل ورق الشجر وقال الازهري الشجر ما ينبت من الأرض قام على ساق أو لم يقيم تسميون من الاسامة يقال اسمت الإبل إذا رعيتها واطلقتها فترعى متصرفة حيث شاءت وسامت هي إذارت وهي تسوم وإبل سائمة ويقال سمها إذا قصرتها على مرعى بيمينه وسمتها الحسف إذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل سيم فلان حسفا إذا ذل واهتمضم قال الكمي في الاسامة

رَاعِيًا كَانَ مَسْجِيًّا فَفَقَدْنَاهُ وَفَقَدُ الْمُسِيمِ هَلَكُ السَّوَامِ

وقال آخر

وَأَسْكُنْ مَا سَكَنْتَ بِبَطْنِ وَادٍ وَأَظْمَنْ إِنْ ظَلَعْتَ فَلَا أَسِيمِ

وذهب قوم إلى أن السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة عن اوتقصانه إلى ما يهواه كما تذهب السائمة حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فعلمه قوم على أن

المواشي لا تسام قبل طلوع الشمس ثلاثين وحمله آخرون على أن البيع في ذلك الوقت مكروه لأن البيع لا تنكسر عيوبه فيدخل في بيع النور المنهي عنه والذرا اظهار الشيء بأوجده يقال ذرأه يذراه وذرأه ونظره وانشأه نظائر وملح ذرأني ظاهر الياض

❖ الاعراب ❖

نصب الخيل والبغال والحمير على انها مفعول في المعنى أي وخلق الخيل والبغال والحمير ونصب زينة لأنها مفعولها المعنى وخلقها زينة وما ذرأها بمعنى الذي وموضه نصب على تقدير وخلق ما ذرأ لكم وقيل هو في موضع الجر بالطف على ذلك أي أن في ذلك وفي ما ذرأ لكم مختلفا نصب على الحال والواو فاعله

❖ المعنى ❖

عطف سبحانه على ما عدده من صنوف انعامه فقال (والخيل) اي وخلق لكم الخيل (والبغال والحمير لتركبوها) في حوائجكم وتصرفاتكم (وزينة) أي ولتزينوا بها من الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم من الحيوان ما يركبونه ويتجملون به وليس في هذا ما يدل على تحريم اكل لحومها وقدروى البخاري في الصحيح مرفوعا إلى اسماء بنت ابي بكر قالت اكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ﷺ (ويخلق ما لا تعلمون) من انواع الحيوان والنبات والجماد لمنافعكم (وعلى الله قصد السبيل) اي بيان قصد السبيل عن ابن عباس ومعناه واجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم وهو بيان الهدى من الضلالة والحلال من الحرام لاتباع الهدى والحلال ويجتنب الضلالة والحرام وهذا مثل قوله إن علينا للهدى (ومنها جائر) معناه من السبيل ما هو جائر أي عادل عن الحق (ولوشاء لهداكم اجمعين) إلى قصد السبيل بالإيجاب والقهر فإنه قادر على ذلك وقيل معناه لهداكم إلى الجنة والثواب تفضلا عن الجاني وأبي مسلم وقيل إن معنى الآية وعلى الله المراد ومن الطريق التي المر فيها على الله جائر وكلاهما على الله لا يخرج احدا عن قبضته وحكمه كقوله إن ربك لبالمرصاد وقيل على الله مر ذى السبيل القصد والسبيل الجائر واليه مرجع كل واحد منها لا يخرج واحد عن سلطانه ولو أراد ان يعمل الجميع على الحق لفعل ومن عدل عن الطريق المستقيم فليس ذلك لعجز من الله تعالى ثم عد سبحانه نعمة اخرى دالة على وحدانيته فقال (هو الذي انزل من السماء ماء) اي مطرا (لكم منه شراب) اي لكم من ذلك الماء شراب تشربونه (ومنه شجر) فيه وجهان ❖ احدهما ❖ ان يكون المراد ومنه شرب شجر أوسطي شجر فحذف المضاف (والآخر) ان يكون المراد ومن جهة الماء شجرو من سقيه وانباته شجر فحذف المضاف الى الماء في منه كما قال زهير

بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْتَشَامِ (١)

أَمِنْ أَمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ

أي امن ناحية ام اوفى وقال ابو ذؤيب

أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقَبُهُ فَهَاجَا

أي امن جهتك وقال الجعدي

بَقِيَّتْ عَلَى جِجَعِ خَلَوْنَ طِوَالِ

لَمَنِ الدِّيَارُ عَفَوْنَ بِالتَّهَالِ

أي على مر خجج والمعنى وبنبت منه شجر ونبات (فيه تسميون) أي ترعون انعامكم من غير كلفة والتزام مونة لملفها (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) أي ينبت الله لكم بذلك المطر هذه الأشياء التي عددها لتتفموا بها (ان في ذلك لآية) اي دلالة وحجة واضحة (لقوم

(١) الدمنة : ما سود من آثار الدار بالبحر والرماد وغيرهما . و حومانة الدراج و التثام : موضمان بالعاليه و قوله لم تكلم . نعت للمنه . والبيت من الملقه (٢) الخلاج جمع الخلوج : الناقة التي جذب عنها ولدها بذيح او موت فحنت اليه . وقل لذلك لبنها . ودهيا اي ابلا سوداً . شبه صوت الرعد بصوات هذه الخلاج لاننا تعان لقد اولادها

يتفكرون) فيه فيمرفون الله تعالى به وخص المتفكرين فيه لأنهم المتفعمون به (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر) قد مضى بيانه والتسخير في الحقيقة للشمس والقمر لأن النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر الى وقت غروب الشمس والليل حركات الشمس تحت الأرض من وقت غروب الشمس الى وقت طلوع الفجر الا انه سبحانه اجري التسخير على الليل والنهار على سبيل التجوز والاتساع (والنجوم مسخرات بأمره) مضى بيانه (إن في ذلك) التسخير (آيات) أي دلالات (لقوم يعقلون) عن الله وينبئون ان المسخر لذلك على هذا تقدير الذي لا يختلف لأجل منافع خلقه ومصالحهم والمدير لذلك قادر عالم حكيم (وما ذره لكم في الأرض) أي سخر لكم ما خلقه لكم في الأرض أي لقوام ابدانكم من الملابس والمطاعم والمناكح من انواع الحيوان والنبات والمعادن وسائر النعم (مختلفا الوانه) لا يشبه بعضها بعضا (ان في ذلك آية) أي دلالة (لقوم يذكرون) أي يتفكرون في الادلة فينظرون فيها ويتعظون ويعتبرون بها

قوله تعالى (١٤) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَا كَلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَنَسَخَّرِ جُودًا مِنْهُ دَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرًا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٥) وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٦) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٧) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٨) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة الحسن وبالنجم بضم النون

✽ الحجة ✽

هو جمع نجم مثل سقف وسقف ورهن ورهن

✽ اللفظة ✽

المخرشق الماء من عن يمين وشمال مخرت السفينة الماء تمخر مخرا فهي ماخرة والمخر ايضا صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها ومخر الأرض شقها للزراعة ومخرها بالماء اذا ارسل عليها الماء لتطيب والمهد الميل يمينا وشمالا وهو الاضطراب ماد يميد ميذا والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقد تكون وضمية وقد تكون برهانية

✽ الاعراب ✽

قوله أن تميد بكم في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة ان تميد بكم وانتصب قوله وانهارا وسبلا بحذف تقديره وجعل لكم انهارا لدلالة قوله التي عليه لأنه لا يجوز ان يكون عطف على التي ومثله قوله «علقتها تَبَيَّنًا وَمَا بَارِدًا» وقول الآخر

تَسْمَعُ فِي أَجْوَاهِيْنَ صَرَدَا وَفِي الْيَدَيْنِ جُسَاءَ وَبَدَدَا (٢)

أي وترى في اليدين ييسا وتفرقا وعلامات منصوب عطف على قوله وانهارا وسبلا وقيل وخلق لكم علامات

(١) هذا الصراع يجعله بعض العلماء صندا عجزه «حتى شئت همالة عيناه» كما في جامع الشواهد ويجعله بعضهم هجوا ويجعل صدره «لما حطت الرجل عنها واردا» كما في شرح الاشموني . والشاهد في قوله وماء فان معناه وسقيتها ماء . (٢) وفي رواية التبيان في سورة الانفال «تسمع للاحشاء منه لفظا»

﴿ المعنى ﴾

ثم عدد سبحانه نوعا آخر من انواع نعمه فقال (وهو الذي سخر البحر) اي ذلله لكم وسهل لكم الطريق الى ركوبه واستخراج ما فيه من المنافع (لتأكلوا منه لحما) اي تصطادوا منه انواع السمك وتأكلوا لحمه (طريا) ولا يجوز ان يهزم طريا لأنه من الطراوة (وتستخرجوا منه حلية) يعني اللآلئ التي تخرج من البحر بالعوص (تلبسونها) وتزينون بها وتلبسونها نساءكم ولولا تسخيرها سبحانه ذلك لكم لما قدرتم على الدنو منه والعوص فيه (وترى الفلك مواخر فيه) اي وترى أيها الإنسان السفن شواق في البحر وقواطع لمانه عن عكرمة وقيل جواري عن ابن عباس (وتبتغوا من فضله) اي واتركبوه للتجارة وتطلبوا من فضل الله تعالى (ولعلكم تشكرون) اي ولكي تشكروا الله على نعمه ليزيدكم منها ويثيبكم والواو انما دخلت في ذلك للدلالة على ان الله سبحانه أراد جميع ما ذكره إنعاما منه على عباده (والقي في الأرض رواسي) اي جبالا عالية ثابتة واحدها راسية (ان تמיד بكم) الأرض اي كراهة ان تמיד بكم أولئلا تמיד بكم اي تتحرك وتضطرب (وانهارا) اي وجعل فيها انهارا (وسبلا) اي طرقا لكي تجروا الماء في الانهار إلى بسايتنكم وحيث تريدون وتهتدوا بالطرق إلى حيث شئتم من البلاد وقيل اراد بالانهار النيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وأمثالها (لعلكم تهتدون) قد ذكرنا معناه وقيل لتهتدوا بها الى توحيد الله (وعلامات) وجعل لكم علامات اي معالم تعلم بها الطرق وقيل العلامات الجبال يهتدى بها نهارا (وبالنجم هم يهتدون) ليلا عن ابن عباس والمراد بالنجم الجنس اي جميع النجوم الثابتة وقيل تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتداء بالنجم هم يهتدون وقيل ان العلامات هي النجوم ايضا لأن من النجوم ما يهتدى بها ومنها ما يكون علامات لا يهتدى بها عن قتادة ومجاهد وقيل أراد به الاهتداء في القلة قال ابن عباس سألت رسول الله ﷺ عنه فقال الجدي علامة قبلكم وبه تهتدون في يومكم وبجرمكم وقال ابو عبد الله (ع) نحن العلامات والنجم رسول الله ﷺ وقال ان الله جعل النجوم أمانا لأهل السماء وجعل أهل بيتي أمانا لأهل الأرض (أفمن يخلق كمن لا يخلق) معناه أفمن يخلق هذه الأشياء في استحقاق العبادة والإلهية كالاصنام التي لا تخلق شيئا حتى يسوى بينها في العبادة وبين خالق جميع ذلك (أفلا تتذكرون) اي أفلا تتذكرون أيها المشركون فتعتبرون وتعرفون ان ذلك من الخطأ الفاحش وجعل من في الآيات لما اتصل بذكر الخلق ثم عطف سبحانه على ذلك تذكرا كثيرة نعمه فقال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) معناه وإن أزدتم تعداد نعم الله سبحانه عليكم ومعرفة تفاصيلها لم يمكنكم احصاؤها ولا تعديدها وإنما يمكنكم ان تعرفوا جملها بين سبحانه ان من وراء النعم التي ذكرها نعمة لا تحصى (ان الله لغفور) لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه (رحيم) بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم في شكرها

قوله تعالى (١٩) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢١) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَهَانٌ يُعْشُونَ (٢٢) إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَأَلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٣) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُغِيبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

والذين يدعون بالياء عاصم غير الاعشى والبرجمي عن ابي بكر ويعقوب وسهل والباقون بالتاء.

(الحجة)

من قرأ بالتاء فلأن ما بعده وما قبله خطاب ومن قرأ بالياء وجه الخطاب الى النبي ﷺ ويكون الخبر عن المشركين

المعنى

لما قدم سبحانه الدعاء إلى عبادته بذكر نعمه وكال قدرته عقبه ببيان علمه بسيرة كل أحد وعلى نيته ثم ذكر بطلان الإشراك في عبادته فقال (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) أخبر سبحانه انه يعلم ما يسرونه وما يظهرونه فيجازيهم على افعالهم إذ لا يخفى عليه الجلي والخبى من أحوالهم (والذين يدعون من دون الله) إلهها (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) يعني الاصنام لا يمكنها خلق شيء بل هي مخلوقة مريوبة منحوتة من الحجر والخشب ونحوهما مما هو مخلوق لله تعالى ثم قال (اموات) أي هي اموات (غير احياء) أكد كونها امواتا بقوله غير احياء. لغني الحياة عنها على الاطلاق فإن من الاموات من سبقت له حالة في الحياة وله حالة منتظرة في الحياة بخلاف الاصنام فإنه ليس لها حياة سابقة ولا منتظرة وقال اموات ولم يقل موات وان كان الاموات جمع الميت الذي كان فيه حياة فزال لأنهم صور والاصنام على صور العقلاء. وهيئاتهم وعاملوها معاملة العقلاء. تسمية واعتقادا ولذلك قال لا يخلقون شيئا وهم يخلقون (وما يشعرون أيا نبيعشون) معناه وما تشعرون هذه الاصنام متى تبعث عن الفراء وقيل في الآية ان معناه هم اموات يعني ان الكفار في حكم الاموات لذهابهم عن الحق والدين ولا يدرون متى يبعثون وقيل ان المعنى ولا تدري الاصنام متى يبعث الخلق عن الجبائي وأيان في موضع نصب يبعثون وقرئ في الشواذ ايان بكسر الهززة والفتح افصح واصح ثم خاطب سبحانه عباده فقال (إلهكم إله واحد) لا يقدر على ما يستحق به العبادة من خلق أصول النعم سواء فآبثوا على عبادته (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) أي جاحدة للحق تستبعد ما يرد عليها من المواعظ (وهم متكبرون) عن الانقياد للحق ذاهبون عنه دافعون له من غير حجة والاستكبار طلب الترفع بترك الإذعان للحق ثم قال سبحانه (لا جرم) أي حقا وهو بتزلة اليمين قال الخليل وهو كلمة تحقيق ولا يكون إلا جوابا لقول فعلوا كذا فيقول السامع لا جرم يندمون وقال الزجاج معناه حق ان الله ووجب ان الله ولا رد فعلهم قال الشاعر

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عَيْيَنَةَ طَعْنَةً
جَرَمْتُ فَرَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَفْضُبُوا

المعنى احقت فزارة بالفضب وقال ابو مسلم أصله من الكسب فكانه قال لا يحتاج في معرفة هذا الامر الى اكتساب علم بل هو معلوم (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) وهذا تهديد لهم بأنه عالم بجميع احوالهم فيجازيهم على اقوالهم وافعالهم (انه لا يجب المتكبرين) أي المتعظين الذين يأفون ان يكونوا اتباعا للانبياء أي لا يريد ثوابهم وتعظيمهم

قوله تعالى (٢٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣٦) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَنَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٧) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٨) الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَتَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ عَلَى إِنْ أَنْتَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَشْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ

(ست آيات)

— (القراءة) —

قرأ نافع وحده تشاقرون بكسر النون والباقون بفتحها وقرأ حمزة وخلف في الموضفين يتوفاهم بالياء والباقون بالياء. وفي الشواذ قراءة مجاهد عليهم السقف بضم السين وروي عن أهل البيت (ع) فأتى بنتيهم من القواعد
— (الحجة) —

قد تقدم الوجه في قراءة نافع في سورة الحجر عند قوله فبهم تبشرون فأما قراءة حمزة يتوفاهم بالياء فلأن الفعل مقدم والامالة حسنة في هذا النحو من الفعل ومن قرأ بالياء فلأن الجماعة مؤنثة كما جاء. وإذا قالت الملائكة

✽ اللغة ✽

قد مضى معنى الأساطير والاوزار في سورة الانعام والقواعد الاساس والوحدة القاعدة وقواعد المودج خشبات اربع معترضات في اسفله والشقاق الخلاف في المعنى وتشاقرون تكونون في جانب والمسلمون في جانب ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الامام وعن جماعة المسلمين شق عصا المسلمين اي صار في جانب عنهم فلم يكن مجتمعاً معهم في كلمتهم وهو مأخوذ من الشق الذي هو النصف كأنه صار في شق غير شقهم

— « الاعراب » —

ما أنزل ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي أنزل ربكم وأساطير مرفوعة على الجواب كأنهم قالوا الذي أنزل اساطير الأولين وتقديره واذا قيل لهم هذا القول فأنزل ما الذي قام مقام فاعل قيل هو المصدر لا الجملة لأن الجملة نكرة والفاعل يجوز اضارته والمضمر لا يكون قط نكرة بل هو أعرف المعارف وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم من زيادة على قول الاخفش اي واوزار الذين يضلونهم وعلى قول سيبويه هو صفة مصدر محذوف وتقديره واوزار من اوزار الذين يضلونهم وما يزررون في موضع رفع كما يرفع بعد بنس ونعم وتقديره وبس الشئ وزرهم فا حرف موصول ويزرون صلته وظالمى انفسهم نصب على الخال اي في حال ظلمهم انفسهم

— « المعنى » —

ثم ابان سبحانه عن احوال المشركين واقوالهم فقال (واذا قيل لهم) اي لمشركي قريش (ماذا انزل ربكم) على محمد ﷺ (قالوا اساطير الأولين) اي اجابوا فقالوا هذا المتزل في زعمكم هو عندنا لحديث الأولين الكاذبة عن ابن عباس وغيره ويروى انها نزلت في المقتسمين وهم ستة عشر رجلاً خرجوا إلى عقاب مكة ايام الحج على طريق الناس على كل عقبة اربعة منهم ليصدوا الناس عن النبي ﷺ وإذا سأهم الناس عما انزل على رسول الله ﷺ قالوا احاديث الأولين وابطيلهم عن الكافي وغيره (ليجملوا اوزارهم كملبة يوم القيامة) اللام للعاقبة والمعنى كان عاقبة امرهم حين فعلوا ذلك ان حملوا اوزار كفرهم تامة يوم القيامة (ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم) أي ويحملون مع اوزارهم بعض اوزار الذين أضلوه عن سبيل الله واغروهم عن اتباع الحق وهو زور الاضلال والاغواء ولم يحملوا وزر غوايتهم وضلالهم وقوله بغير علم معناه من غير علم منهم بذلك بل جاهلين به وعلى هذا ما روي عن النبي ﷺ انه قال ايما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل اجرهم من غير ان ينقص من اجرهم شيئاً وايما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليه فان عليه مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من اوزارهم شيئاً (ألا ساء ما يزررون) أي بنس الحمل حملهم وهو ما يحملونه من الآثام لأنه إذا تحمل آثامه ودخل النار كان سبباً فكيف إذا تحمل به بسبب فعل غيره (قد مكر الذين من قبلهم) أي من قبل هؤلاء المشركين بانبيائهم من جهة التكذيب وغيره وهذا على سبيل التسلية لنبيته ﷺ والوعيد لقومه (فأتى الله بنيانهم من القواعد) أي أتى امر الله بنيانهم التي بنوها من جوانب قواعدها فهدمها عن ابن عباس قال يعني نمرود بن كنعان بنى صرحاً طويلاً ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل اهلها بزعمه فأرسل الله ريحاً فالقت رأس

الصرح في البحر وخر عليهم الباقي وقال الزجاج من القواعد يريد من اساطين البناء التي تعده وقيل هو مجت نصر وقيل ان هذا مثل ضربه الله سبحانه لاستنصاهم ولا قاعدة هناك ولا سقف والمضى فأتى الله مكرهم من أصله أي عاد ضرر المكر عليهم وبهم عن الزجاج وابن الانباري وهذا الوجه أليق بكلام العرب كما قالوا أتني فلان من مأمته أي أتاه الهلاك من جهة مأمته وإنما أسند سبحانه الإتيان إلى نفسه من حيث كان تحريب قواعدهم من جهته (فخر عليهم السقف من فوقهم) إنما قال من فوقهم مع حصول العلم بان السقف لا يكون إلا من فوق لأحد وجوه منها () انه للتوكيد كما تقول لمن خاطبته قلت أنت كذا وكذا وكما يقال مشيت برجلي وتكلمت بلساني ومنها () انما قال ذلك ليدل على انهم كانوا تحته فإن الإنسان قد يقول بيبي قد تهدم علي وان لم يكن هو تحته ومنها () ان يكون على في قوله فخر عليهم بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم أي خرف عن كفرهم وجحدهم بالله وآياته والمراد من اجل كفرهم كما يقال اشتكى فلان من دواء شربه وعلى دواء شربه أي من اجل الدواء قال الشاعر « ارمى عليها وهي فرع اجسم » أراد ارمى عنها ولو قال على هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم لجاز ان يتوهم مترهم ان السقف خرو ليس هم تحته والعرب لا تستعمل لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكره (واثام العذاب من حيث لا يشعرون) أي جاءهم عذاب الاستئصال من حيث لا يعلمون لأنهم ظنوا انهم على حق فكانوا لا يتوقعون العذاب وهذا مثل قوله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا (ثم يوم القيامة يخزيهم) معناه ثم انه تعالى مع ذلك بذلهم ويفضحهم يوم القيامة على رؤوس الخلائق ويهينهم بالعذاب أي لا يقتصر بهم على عذاب الدنيا (ويقول) على سبيل التوبيخ لهم والتهجين (أين شركائي) الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة على زعمكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أي تعادون المؤمنين على قراءة فتح النون وعلى الكسر تعادوني فيهم (قال الذين أوتوا العلم) بالله تعالى وبدينه وشرائعه من المؤمنين وقيل هم الملائكة عن ابن عباس (ان الحزبي اليوم والسوء على الكافرين) أي ان الهوان اليوم والعذاب الذي يسوء على الجاحدين لنعم الله المنكرين لتوحيده وصدق رسله (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الذين في موضع جر بأنه بدل من الكافرين أو صفة لهم ومعناه الذين يقبض ملك الموت واعوانه ارواحهم فارقوا الدنيا وهم ظالمون لأنفسهم بإصرارهم على الكفر (فألقوا السلم) أي استسلموا للحق وانقادوا حين لا يفقههم الانقياد والإذعان (ما كنا نعمل من سوء) أي يقولون ما كنا نعمل عند انفسنا من سوء أي من معصية فكذبهم الله تعالى وقال بلي قد فعلتم (ان الله عليهم بما كنتم تعملون) في الدنيا من المعاصي وغيرها وقيل انه يقول لهم ذلك المؤمنون الذين أوتوا العلم والملائكة (فادخلوا أبواب جهنم) أي طبقات جهنم ودرجاتها (خالدين فيها فلبس مثوى المتكبرين) أي بشر منزل المتعظمين عن قبول الحق واللام للتوكيد

قوله تعالى (٣٠) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣١) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣٢) الَّذِينَ نَسُوا قَوَامَ الْمَلَائِكَةِ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٣) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٤) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

(خمس آيات)

(١) قوس فرع أي غير مشقوق وقيل : التي علت من رأس القضيبي وطره . وهذا صدر بيت وبعده «دهي ثلاث

اذرع واصبع» .

* الإعراب *

ماذا أنزل ربكم ما وذا هنا كالشيء الواحد وتقديره أي شيء أنزل ربكم وخيرا منصوب على انه جواب ماذا أي انزل خيرا وقوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يجوز ان يكون تفسيرا لقوله خيرا ويجوز ان يكون ابتداء كلام ولنعم دار المتقين المخصوص بالمدح محذوف المعنى ولنعم دار المتقين دار الآخرة والمبين لقوله دار المتقين جنات عدن وتقديره هي جنات عدن فيكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون جنات عدن مرتفعة بالابتداء وتكون المخصوصة بالمدح والتقدير جنات عدن نعم دار المتقين

(المعنى) -

لما قدم سبحانه ذكر أقوال الكافرين فيما أنزله على نبيه ﷺ عقبه بذكر أقوال المؤمنين في ذلك فقال (وقيل للذين اتقوا) الشرك والمعاصي وهم المؤمنون (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي أنزل الله خيرا لأن القرآن كله هدى وشفاء وخير (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) ويجوز ان يكون هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه للمحسنين في هذه الدنيا حسنة مكافأة لهم وهي الثناء والمدح على أسنة المؤمنين والهدى والتوفيق للإحسان (ولدار الآخرة خير) أي وما يصل اليهم من الثواب في الآخرة خيرا مما يصل اليهم في الدنيا ويجوز ان يكون الجمع من كلام المتقين واجاز الحسن والزجاج كلا الوجهين وقوله (ولنعم دار المتقين) أي والآخرة نعم دار المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقيل معناه ولنعم دار المتقين الدنيا لأنهم نالوا بالعمل فيها الثواب والجزاء عن الحسن وقيل معناه ولنعم دار المتقين (جنات عدن يدخلونها) كما يقال نعم الدار دار يزلها (تجري من تحتها الأنهار) سبق معناه (لهم فيها ما يشاؤون) أي يشتهون من النعم (كذلك يجزي الله المتقين) أي كذلك يجازي الله الذين اتقوا معاصيه (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) أي طيبين لأعمال طاهري القلوب من دنس الشرك وقيل معناه طيبة نفوسهم بالمصير اليه لعلمهم بما لهم عنده من الثواب وقيل طيبين أي صالحين بأعمالهم الجميلة وقيل بطيب وفاتهم فلا يكون صعوبة فيها (يقولون سلام عليكم) أي تقول الملائكة سلام عليكم أي سلامة لكم من كل سوء (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) قيل انهم لما بشروهم بالسلامة صارت الجنة كأنها دارهم وهم فيها فقولهم ادخلوا الجنة بمعنى حصلت لكم الجنة وقيل انما يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم (هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك) قد مضى تفسيره في سورتي البقرة والانعام (كذلك فعل الذين من قبلهم) أخبر سبحانه ان الذين مضوا من الكفار فعلوا مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل وجحد التوحيد فأهلكهم الله فإل الذي يؤمن هؤلاء من ان يهلكهم الله (وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالمعاصي التي استحقوا بها الهلاك (فأصابهم سيئات ما عملوا) أي عقاب سيئاتهم فسمى العقاب سيئة كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) أي وحل بهم جزاء (ما كانوا يستهزؤن)

قوله تعالى (٣٥) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلِمَتْ أَلْسِنَةُ الْغَايِبِينَ (٣٦) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَحِينَئِذٍ مِنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ (٣٧) إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَايْكُمْ فَأِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة لا يهدي بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الدال ولم يختلفوا في يضل أنها مضومة الياء مكسورة الضاد
= (الحجة) =

قال أبو علي الراجع على اسم ان هو الذكر الذي في قوله يضل في قراءة من قرأ يهدي ومن قرأ يهدي فمن جعل يهدي من هديته جاز ان يعود الذكر الفاعل الذي فيه إلى اسم ان ومن جعل يهدي في معنى يهتدي وجعل مسن يضل مرتفعاً به فالراجع إلى اسم ان الذكر الذي في يضل كما كان كذلك في قول من قال يهدي والراجع إلى الموصول الذي هو من الهاء المحذوفة من الصلة تقديره يضل والمغنى ان من حكمه باضلاله لكفره وتكذيبه فلا يهدي ومثل هذا المعنى قوله فمن يهديه من بعد الله تقديره من بعد اضلال الله إياه والمفعول محذوف أي من بعد حكمه باضلاله ومن قرأ لا يهدي فهو في المعنى كقوله من يضل الله فلا هادي له وهذا كقوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقوله وما يضل به إلا الفاسقين فموضع من نصب بيدي وقد قيل ان يهدي في معنى يهتدي بدلالة قوله لا يهدي الا ان يهدي فموضع من على هذا رفع كما انه لو قال يهتدي كان كذلك وقوله لا يضل من قولك ضل الرجل واضل الله أي حكمه باضلاله كقولك كفر زيد وكفره الناس أي نسبوه إلى الكفر فقالوا انه كافر كما ان اسقيته قلت له سقاك الله قال ذو الرمة

وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبَتْهُ
تَكَلَّمَنِي أَحْبَابُهُ وَمَلَاعِبُهُ (١)

= (اللغة) =

البلاغ والابلاغ ايصال المعنى إلى الغير والحرص والحرص طلب الشيء بجد واجتهاد يقال حرص يحرص حرصاً وحرص يحرص بحرص بكسر الراء في الماضي وفتحها في المستقبل لغة وقد روي في الشواذ عن الحسن وبرايم ان تحرص بفتح الراء والأول لغة أهل الحجاز والأصل من السحابة الحارصة وهي التي تقشر وجه الأرض وشجعة حارصة التي تقشر جلدة الرأس وكذلك الحرص كان صاحبه ينال من نفسه لشدة اهتمامه بما هو حريص فيه

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى حكاية قول المشركين فقال (وقال الذين أشركوا) مع الله إلهها آخر (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) أي لو أراد الله ما عبدنا من دونه شيئاً من الأصنام والأوثان (نحن ولا آباؤنا) الذين اقتدينا بهم (ولا حرمتنا من دونه من شيء) من البحيرة والسائبة وغيرهما بل شاء ذلك منا وأراد بذلك فعلنا فأنكر الله سبحانه هذا القول عليهم وقال (كذلك) أي مثل ذلك (فعل الذين من قبلهم) من الكفار والضلال كذبوا رسل الله وجحدوا آياته قالوا مثل قولهم وفعلوا مثل فعلهم (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليس عليهم إلا إبلاغ الرسالة وقد سبق بيان مثل هذه الآية في سورة الانعام (ولقد بعثنا في كل أمة) أي في كل جماعة وقرن (رسولا) كما بعثناك يا محمد رسولا إلى امتك (ان اعبدوا الله) أي ليقول لهم اعبدوا الله (واجتنبوا الطاغوت) أي عبادة الطاغوت وأن هذه هي المفسرة ويعني بالطاغوت الشيطان وكل داع يدعو إلى الضلالة (فمنهم من هدى الله) معناه فمنهم من هداه الله بأن لطف له بما علم انه يؤمن عنده فآمن فسمى ذلك اللطف هداية ويجوز ان يريد فمنهم من هداه الله إلى الجنة بإيمانه ولا يجوز ان يريد بالهداية هنا نصب الأدلة كما في قوله فأما ثمود فهديناهم لأنه سبحانه سوى في ذلك بين المؤمن والكافر (ومنهم من حقت عليه الضلالة) معناه ومنهم من اعرض عما دعاه اليه الرسول فخذله الله فثبتت عليه الضلالة ولزمته فلا يؤمن قط وقيل معناه وجبت عليه الضلالة وهي العذاب والهلاك وقيل معناه ومنهم من حقت عليه عقوبة الضلالة عن الحسن وقد سمي الله سبحانه العقاب ضلالاً بقوله ان المجرمين في ضلال وسع (فسيروا في الأرض) أي ارض المكذبين الذين

(١) هذا من كلمة لذى الرمة بامية ومطلعها «وقفت على ربيع لمة ناقتي بما زلت ابكى عنده واخاطبه» والربيع الدار وابنه أي اظهر له بشي أي حزني وملاعب جمع ملعب مكان اللعب

عاقبهم الله ان لم تصدقوني (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) آية فانظروا كيف حقت عليهم العقوبة وحلت بهم فلا تسلكوا طريقهم فينزل بكم مثل ما نزل بهم (ان تحرص على هدام) أي على ان يؤمنوا بك (فان الله لا يهدي من يضل) هذا تسلية للنبي ﷺ في دعائه لمن لا يفلح بالإجابة لأنها في الكفر وإشارة الى ان ذلك ليس لتقصير وقع من جهته ﷺ وإعلام له انهم لا يؤمنون أبداً واذا كانوا هكذا فإن الله لا يهديهم بل يضلهم على المعنى الذي فسرناه قبل (وما لهم من ناصرين) أي ليس لهم من ناصر ينصرهم ويخلصهم من العقاب وفي هذا بيان ان الاضلال في الآية ليس المراد به ما ذكره اهل الجبر

قوله تعالى (٣٨) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَلَىٰ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٤٠) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب وفي بس مثله والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

من نصب فإنه يجعله على ان قال الزجاج الرفع على فهو يكون على معنى ان ما أراد الله فهو يكون فالنصب على ضربين ✽ احدهما ✽ ان يكون عطفاً على ان تقول ~~والآخر~~ ان يكون نصبا على جواب كن قال ابو علي اعلم ان الذي أجاز من النصب على ان يكون جواب كن لم يميزه أحد من اصحابنا غيره لأن كن وان كان على لفظ الأمر فليس القصد به هنا الأمر انما هو والله اعلم الاخبار عن كون الشيء وحدونه

✽ الاعراب ✽

جهد ايمانهم مصدر وضع موضع الحال والتقدير يجتهدون اجتهادا في ايمانهم وهذا مثل قولهم طلبته جهداً أي تجهد جهداً وعداً منصوب لتوكل. انمعى فإن المعنى بلى يعيشهم الله وعد الله ذلك وعدا وقوله ليبين اللام فيه يتعلق بالبعث ايضا اي يعيشهم ليبين لهم ما يعلمون الذين كذبوا الله كاذرا كاذبين ويبرز أن يمشى بتوكيد ولقد بعثنا في كل أمة رسولا اي ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ليبين لهم اختلافهم وقولنا مرفوع بالابتداء وخبره ان تقول والمعنى انما قولنا لكل مراد قولنا له كن

﴿ النزول ﴾

قالوا كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه فوقع في كلامه والذي ارجوه بعد الموت انه لكذا فقال المشرك وانك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله لا يبعث الله من يموت فأنزل الله الآية عن ابي العالية

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عن المشركين نوعاً آخر من كفرهم فقال (واقسموا بالله جهد ايمانهم) أي حلفوا بالله مجتهدين في ايمانهم والمعنى انهم قد بلغوا في القسم كل مبلغ (لا يبعث الله من يموت) أي لا يبعث الله أحداً يوم القيامة ولا يحيي من يموت بعد موته ثم كذبهم الله تعالى في ذلك فقال (بلى) يحشرهم الله ويبعثهم (وعدا) وعدهم به (عليه) المجازة وتحقيقه من حيث الحكمة (حقاً) ذلك الوعد ليس له خلف اذ لولا البعث لما حسن التكليف لأن التكليف انما يحسن لإثابة من عوض به (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) صحة ذلك لكفرهم بالله وجحدهم نبوة أنبيائه وقيل لا يعلمون وجه الحكمة في البعث فلا يؤمنون به (ليبين لهم الذي يخلفون فيه) هذا بيان من الله تعالى انه انما يحشر الخلائق يوم القيامة ليبين لهم الحق فيما كانوا فيه يخلفون فيه في دار الدنيا

لأنه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيامة الذي يزول معه التكليف (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) في الدنيا في قولهم ان الله لا يبعث احدا بعد موته واذا تعلق اللام بقوله ولقد بعثنا فالمنى بعثنا الى كل أمة رسولا ليعلم لهم ذلك الرسول ما يختلفون فيه ويهدبهم إلى طريق الحق وبنبهم عليه (انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) قد ذكرنا تفسيره في سورة البقرة والمراد به هاجرتا بيان انه قادر على البعث لا يتعذر عليه ذلك فإنه اذا أراد شيئا كونه

قوله تعالى (٤١) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤٢) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٤) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص نوحى بالنون وقد تقدم ذكره في سورة يوسف وروى عن علي (ع) لثوبينهم بالثناء والقراءة لنبوءهم بالباء

= (الحجعة) =

قال ابن جني نصب حسنة ههنا اي فحسن اليهم احسانا ووضع حسنة موضع الاحسان كأنه واحد من الحسن دال عليه ودل قوله لثوبينهم على ذلك الفعل لأنه اذا اقرهم على الفعل باطالة مدتهم فقد احسن اليهم كما قال ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وذلك ضد ما يعمل بالمعاصين الذين يظلمهم بذنوبهم وجرائم أفعالهم

﴿ النزول ﴾

الآية الأولى نزلت في المعدين بمكة مثل صهيب وعمار وبلال وخباب وغيرهم مكنتهم الله بالمدينة وذكر ان صهيبا قال لأهل مكة انا رجل كبير ان كنت معكم لم ينفعكم وان كنت عليكم لم يضركم فخذوا مالي ودعوني فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر ربيع البيع يا صهيب ويروى ان عمر بن الخطاب كان إذا اعطى احداً من المهاجرين عطاء قال له خذ هذا ما وعدك الله في الدنيا وما أخره لك أفضل ثم تلا هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) معناه والذين فارقوا أوطانهم وديارهم واهليهم فراراً بدينهم واتباعاً لنبينهم في الله أي في سبيله لا ابتغاء مرضاته من بعد ما ظلمهم المشركون وعذبوهم بمكة وبجحومهم حقوقهم (لنبوئهم في الدنيا حسنة) أي بلدة حسنة بدل أوطانهم وهي المدينة عن ابن عباس وقيل لنعطينهم حالة حسنة وهي النصر والفتح وقيل هي ما استولوا عليه من البلاد وفتح لهم من الولايات (ولا أجر الآخرة اكبر) مما اعطيتهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي لو كان الكفار يعلمون ذلك وقيل معناه لو علم المؤمنون تفاصيل ما أعد الله لهم في الجنة لازدادوا سروراً وحرصاً على التمسك بالدين (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) هذا وصف لهؤلاء المهاجرين أي صبروا في طاعة الله على اذى المشركين وفوضوا امورهم إلى الله تعالى ثقة به ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (وما أرسلنا من قبلك) إلى الأمم الماضية (إلا رجالا) من البشر (نوحى اليهم) أي

أوحينا إليهم كما أوحينا إليك وأرسلناهم إلى أجمع كما أرسلناك إلى أمتهك وذلك ان مشركي مكة كانوا ينكرون أن يرسل إليهم بشر مثلهم فبين سبحانه انه لا يصلح ان يكون الرسل إلى الناس إلا من يشاهدونه ويخاطبونه ويفهمون عنه وانه لا وجه لاقتراحهم ارسال الملك (فاسألوا أهل الذكر) فيه أقوال * أحدها * ان المعنى بذلك أهل العلم باخبار من مضى من الأمم سواء كانوا مؤمنين أو كفاراً وسمي العلم ذكراً لأن الذكر منعقد بالعلم فإن الذكر هو ضد السهو فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم في ذكر الدليل فحسن ان يقع موقعه وبنبي عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق عن الرماني والزجاج والأزهري * وثانيها * ان المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس ومجاهد أي فاسألوا أهل التوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) يخاطب مشركي مكة وذلك انهم كانوا يصدقون اليهود والنصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم لأنهم كانوا يكذبون النبي ﷺ لشدة عداوتهم له * وثالثها * ان المراد بهم أهل القرآن لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد ويقرب منه ما رواه جابر وعمر بن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) انه قال: نحن أهل الذكر وقد سمي الله رسوله ذكراً في قوله ذكراً رسولاً على أحد الوجهين وقوله (باليينات والزبور) العامل فيه قوله أرسلنا والتقدير وما أرسلنا بالينات والزبور أي بالبراهين والكتب الا رجالا نوحى إليهم وقيل ان في الكلام اضراراً وحذفاً والتقدير أرسلنا بالينات كما قال الأعشى

وَلَيْسَ بِحَيْرًا إِنْ أَتَى الْحَيَّ خَائِفٌ وَلَا قَائِلًا إِلَّا هُوَ الْمُتَعَبِّاُ

اي اعني المتعبيا ونظير الأول قول الشاعر
نَبَاتُهُمْ عَذْبُوا بِالنَّارِ جَارَتُهُمْ وَهَلْ يَعْذِبُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّارِ

(وانزلنا اليك الذكر) يعني القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) فيه من الاحكام والشرائع والدلائل على توحيد الله (ولعلمهم بتفكرون) في ذلك فيعلموا انه حق وفي هذا دلالة على ان الله تعالى أراد من جميعهم التفكير والنظر المؤدي الى المعرفة بخلاف ما يقوله أهل الجبر

﴿ النظم ﴾

قيل في اتصال الآية الأولى بما قبلها وجوه * أحدها * انها اتصلت بقوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه فيكون المعنى ليبين لهم وليعلم الكافرين كونهم كاذبين وليجزى المؤمنين المهاجرين على ما فعلوه من الهجرة وقيل لما تقدم ذكر الكفار وما أعد لهم من الدمار ودخول النار عقبه بذكر المؤمنين المهاجرين والانصار تحريفاً لتبريمهم في الاقتداء بهم فاتصل به اتصال التقيض بالنقض وقيل انه لما تقدم ذكر البعث بين يديه حكم يوم البعث وانه يتتصف فيه للمظلوم من الظالم

قوله تعالى (٤٥) أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٧) أَوْ
يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٤٨) أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
يَتَّبِعُوا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٩) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٥٠) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (مت آيات)

- (القراءة) -

قرأ أولم تروا بالتاء أهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وكذلك في العكבות وقرأ أهل البصرة تنفيوا بالتاء والباقون بالياء

* الحجة *

حجة الياء ان ما قبله غيبة وهو قوله ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم اوبأخذهم اولم يروا ومن قرأ بالتاء أراد جميع الناس والتأنيث والتذكير في قوله يتقيون ظلالة حسان وقد تقدم ذكر ذلك في عدة مواضع

* اللمة *

التخوف التنقص وهو ان يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد وتلك حالة يخاف معها الفناء ويتخوف الهلاك يقال تخوفه الدهر قال الشاعر

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَأْمِكًا قَرْدًا
كَمَا تَخَوَّفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ (١)

أي ينقص السير سنامها بعد تموكه وقال آخر
تَخَوَّفَ عَدُوَّهُمْ مَالِي وَأَهْدَى

قال الفراء تخوفته وتخوفته بالحاء والحاء اذا تنقصت من حافاته قال المبرد لا يقال تخوفته وإنما يقال تخيفته بالياء والتخوف التفضل من النسي يقال فاء النبي يفتي اذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه ومنه في المسلمين لما يعود عليهم وقتا بعد وقت من الخراج والغنائم ويعنى فاء بزيادة الممزة نحو افاء وبالتضعيف نحو فاء الظل وفيه الله تنفياً والنبي ما نسخه ضوء الشمس والظل ما كان قائماً لم تنسخه الشمس قال الشاعر

فَلَا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضَّحَى تَسْتَطِيعُهُ
وَلَا النَّبِيَّ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ (٢)

فجعل الظل وقت الضحى لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت وجمع النبي افياء وفيه قال
أَرَى أَمَالَ أَفْيَاءِ الظَّلَالِ فَتَارَةٌ
يُؤُوبُ وَأُخْرَى يُجِبِلُ المَالَ حَابِلُهُ (٣)

وقال النابغة الجعدي

فَسَلَامُ الإِلَهِ يَقْدُو عَلَيْهِمْ
وَفِيؤُ الفِرْدَوْسِ ذَاتُ الظَّلَالِ (٤)

وانما قال عن اليمين على التوحيد والشائل على الجمع لأنه أراد باليمين الايمان كما قال الشاعر

بِئْسَ الثَّامِتِينَ الصَّخْرَانِ كَانَ هَدْيِي
رَزِيَّةُ شَيْبَلِي مُخْدِرِي فِي الصَّرَاغِمِ

والمعنى بأفواه وقال آخر

الْوَارِدُونَ وَتِيمٌ فِي ذُرَى سَبَأٍ
قَدَعَضَ اعْنَاقَهُمْ حِلْدُ الجَوَامِيسِ (٥)

والداخر الخاضع الصاغر قال

فَلَمْ يَبْقَ إِلا دَاخِرٌ فِي مُخْبَسٍ
وَمَنْجَحِرٌ فِي غَيْرِ أَرْضِكَ فِي جَحْرٍ (٦)

* المعنى *

ثم اوعد سبحانه المشركين فقال (أفامن الذين مكروا السيئات) فاللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الانكار ومعناه اي شيء آمن هو لاه القوم الذين دبروا التدابير السيئة في توهين امر النبي ﷺ واطفاء نور الدين وابداء المؤمنين من (ان يخسف الله بهم الارض) من تحتهم عقوبة لهم كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) قال ابن عباس يعني يوم بدر وذلك انهم اهلكوا يوم بدر وما كانوا يقدرون ذلك ولا يتوقعونه

(١) قائله ابن مقبل والسفن : الحديدية التي تبرد بها القسي ، اي تنقص كما تاكل هذه الحديدية خشب القسي .
(٢) قائله حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة . (٣) جبل الشيب : شدة بالحبل . (٤) يصف حال اهل العنة . (٥) كناية عن الاسارة . (٦) نسبة في التبيان الى دى الرمة وفي اللسان الى الفرزدق والنخيس : السجن

(او يأخذهم في تقلبهم) يعني او ان يأخذهم العذاب في تصرفهم في أسفارهم وتجاراتهم وقيل يريد في تقلبهم في كل الاحوال ليلا ونهارا فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش بيننا وشمالا عن مقاتل (فما هم بمجزيين) اي فليسوا بفائتين وما يريد الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه (او يأخذهم على تخوف) قال اكثر المفسرين معناه على تنقص اما بقتل او بموت اي ينقص من اطرافهم ونواحيهم فيأخذ منهم الاول فالأول حتى يأتي على جميعهم وقيل معناه في حال تخوفهم من العذاب اي يعذب اهل قرية ويخوف به اهل قرية اخرى فيتخوفون ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بالاولى عن الحسن وقيل معناه على تنقص من الاموال والاقس بالبلايا والاسقام ان لم يعذبهم بعذاب الاستئصال لينبئ غيرهم ويزجرهم عن الجبائي (فان ربكم لرووف رحيم) بكم ومن رأفته ورحمته بكم انه امهلكم لتتوبوا وترجعوا ولم يعاجلكم بالمقوبة ثم بين سبحانه دلائل قدرته فقال (اولم يروا الى ما خلق الله من شيء) معناه ألم ينظروا هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانية الله تعالى وكذبوا نبيه ^{صلى الله عليه وسلم} الى ما خلق الله من شيء له ظل من شجر وجبل وبناء وجسم قائم (يتفيو ظلالة عن اليمين والشمال سجدا لله) اي يتميل ظلالة عن جانب اليمين وجانب الشمال واذف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال لأن الذي يعود اليه الضمير واحد يدل على الكثرة وهو قوله ما خلق الله ومعنى تفيو الظلال يمتنا وشمالا ان الشمس اذا طلعت وانت متوجه الى القبلة كان الظلال قدامك واذا ارتفعت كان عن يمينك فاذا كان بعد ذلك كان خلفك فاذا كان قبل ان تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيو عن اليمين والشمال عن الكلي ومعنى سجود الظل لله دورانه من جانب الى جانب لأنه مستسلم متقاد مطيع للتسخير وهذه الآية كقوله وظلالهم بالغدو والآصال وقد مر تفسيره وقيل ان المراد بالظل هو الشخص بعينه ويدل على ذلك قول علقمة

لَمَّا نَزَلْنَا رَفَعْنَا ظِلًّا أَخِيَّةٍ
وَفَارَ لِلْقَوْمِ بِاللَّحْمِ الْمَرَاجِيلُ (١)

الآنرى انهم لا ينصبون الظل وانما ينصبون الاخبية ويقوي ذلك قول عماره

كَأَنَّهُمْ الْفَتِيَاتُ اللَّعْسُ
كَأَنَّ فِي أَظْلَالِهِنَّ الشَّمْسُ (٢)

اي في اشخاصهن وقول الآخر

يَتَّبِعُ أَفْيَاءَ الظَّلَالِ عَيْشِيَّةٌ
عَلَى طُرُقِ كَأَنَّهُنَّ سَيُوفُ (٣)

اي افياء الشخصوس فعلى هذا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الاجسام التي عنها الظلال (وهم داخرون) اي اذلة صاغرون قد نبه الله بهذا على ان جميع الاشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة الى واضعها ومدبرها بما لولاه لبطلت ولم يكن لها قوام طرفه عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذله ثم قال سبحانه (والله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة) اي يسجد لله جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ومعنى من في قوله من دابة تبيين الصفة اي الذي هو دابة تدب على وجه الأرض (والملائكة) اي وتسجد له الملائكة وتخضع له بالعبادة وانما خص الملائكة بالذكر تشريفا لهم ولأن اسم الدابة يقع على ما يدب ويمشي وهم اولو الأجنحة فصفة الطيران اغلب عليهم (وهم لا يستكبرون) عن عبادة الله تعالى وهذا من صفة الملائكة لأنه قال (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) وإنما قال من فوقهم لوجهين [﴿] احدهما [﴾] ان المراد يخافون عقاب ربهم واكثر ما يأتي العقاب المهلك إنما يأتي من فوق (والآخر) ان الله سبحانه لما كان موصوفا بأنه عال متعال بمعنى انه قادر على الكمال حسن ان يقال من فوقهم ليدل على انه في اعلى مراتب القادرين وعلى هذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال ذاك مخافة الاجلال واختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف معظمين مجلبين ومثله في المعنى قوله وهو القاهر فوق عباده وقوله اخبارا عن فرعون وانا فوقهم قاهرون وذهب بعضهم الى ان قوله من فوقهم من صفة الملائكة والمعنى ان الملائكة من فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من

(١) المراجيل جمع الرجل : القدر . (٢) جارية لساء : كان في لونها ادنى سواد فيه شربة حمرة . (٣) و

في بعض النسخ «سبوب» بدل «سبوف»

دابة يخافون الله مع علو رتبتهم فلا يخافه من دونهم اولى وقد صح عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى ملائكة في السماء السابعة سجدوا منذ خلقهم الى يوم القيامة ترعد فرائضهم من مخافة الله تعالى لا تقطر من دموعهم قطرة الا صارت ملكاً فاذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا ما عبدناك حق عبادتك اوردته الكلبي في تفسيره

قوله تعالى (٥١) رَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِذَا هُرِّبُوا رَبُّونَ (٥٢) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٣) وَمَا يَكُفُّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ فِيمَنْ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْرُؤُونَ (٥٤) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ يَرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (خمس آيات)

✽ اللغة ✽

وصب الشيء وصبوا إذا دام ووصب الدين وجب وقال ابو الاسود

لَا تَبْتَغِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بَقَاؤُهُ
يَوْمًا بِذِمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَاصِبًا

والوصب الألم الذي يكون عن الاعياء بدوام العمل مدة قال

لَا يَغْمِزُ السَّاقِ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ وَصَبٍ
وَلَا يَعْضُ عَلَى شَرِّ سَوْفِهِ الصَّفَرُ (١)

والجوار الاستغاثة برفع الصوت ويقال جأر الثور يجأر جواراً إذا رفع صوته من جوع أو غيره قال الاعشى

وَمَا أَيْبَلِي عَلَى هَيْكَلٍ
بَنَاهُ وَصَلَبَ فِيهِ وَصَارَ (٢)

بِرَاوِحٍ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِكِ
طَوْرًا سَجُودًا وَطَوْرًا جُورًا

وبناء الأصوات على فعال وقيل نحو الصراخ والبكاء والعيول والصفير والفعال أكثر

✽ الاعراب ✽

ذكر اثنين تو كيداً لقوله إلهين كما ذكر الواحد في قوله إله واحد واصباً نصب على الحال وما بكم موصول وصلة في موضع الرفع بالابتداء ودخلت الفاء في خبره وهو قوله فمن الله تقديره فهو من الله ولا فعل هاهنا لأن قوله بكم قد تضمن معنى الفعل فإنه بمعنى وما حل بكم من نعمة

« المعنى »

لما بين سبحانه دلائل قدرته وإلهيته عقبه بالتنبية على وحدانيته فقال (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين) أي لا تعبدوا مع الله إلهاً آخر فتشركوا بينها في العبادة لأنه لا يستحق العبادة سواه وذكر اثنين كما يقال فعلت ذلك لأمرين اثنين وقيل ان تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يريد به نفسه وغيره (إنما هو إله واحد) وإنما لإثبات المذكور وتفي ما عدها فكانه قال هو إله واحد لا إله غيره (فإبأي فارهبون) أي ارهبوا عقابي وسطواتي ولا تحشوا غيري وورد عن بعض الحكماء انه قال هناك ربك أن تتخذ إلهين فاتخذت آلهة عبدت نفسك وهواك ودينياك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق فأني تكون موحداً (وله ما في السموات والأرض) ملكاً وملكاً وخلقاً (وله الدين واصباً) أي وله الطاعة دائمة واجبة على الدوام عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومعناه انه سبحانه الذي يعبد دائماً وغيره إنما يعبد في وقت دون وقت وقيل معناه وله الدين خالصاً عن الفراء أي يجب على العبد ان يطعمه مخلصاً وقيل معناه وله الملك دائماً لا يزول (أفغير الله تتقون) أي أفغير الله تحشون

(١) الشرسوف : راس الضلع ما يلي البطن . واصبر : دابة تعفن الصدوع والشراسيف وفي اللسان في «صفر» قال اعشى باهلة برئى اخاه : «لا يتأذى لساقى القدر برقبه» ولا يعرض عن شرسوفه الصفر» (٢) الايبلى : الراهب وصلب الراهب : اتخذ في بيئته صليباً . وصاراي صودر

وهو استفهام فيه معنى التوبيخ أي فكيف تعبدون غيره ولا تتقونه (وما بكم من نعمة فمن الله) معناه ان جميع ما بكم وما لكم من النعم مثل الصحة في الجسم والسعة في الرزق ونحوهما فكل ذلك من عند الله ومن جهته (ثم إذا مسكم الضر) مثل المرض والشدة والبلاء وسوء الحال (فإليه تجترون) أي فإليه تتضرعون في كشفه وإليه ترفعون اصواتكم بالدعاء والاستغاثة لصرفه (ثم إذا كشف الضر عنكم) معناه ثم إذا دفع ما حل بكم من الضر ودفع ما مسكم من المرض والفقر (إذا فربق منكم بربهم بشر كون) أي دعا طائفة منكم إلى الشرك بربهم في العبادة جهلاً منهم بربهم ومقابلة لنعمه بالكفران والعصيان وهذا عجب من فعل العاقل المميز (ليكفروا بما آتيناكم) معنى اللام هاهنا هو اليات عن العلة التي لأجلها وقع الفعل والمعنى انهم بمنزلة من اشرك في عبادة ربه ليكفر بما آتاه من النعمة كأنه كان لا غرض له في شركه إلا هذا والمعنى لأن يكفروا بانعامنا عليهم ورزقنا إياهم وقيل ان اللام للأمر على وجه التهديد أي ليفعلوا ما شاؤوا فانه ينزل الله بهم عاقبة كفرهم ويوافق هذا القول ما رواه مكحول عن ابي رافع قال حفظت عن رسول الله ﷺ فيمتعوا فسوف يعلمون بالياء فيها فإن يمتعوا يكون معطوفاً مجزوماً ويجوز ايضاً ان يكون معطوفاً منصوباً والمعنى لأن يكفروا فيمتعوا فقوله (فتمتعوا فسوف تعلمون) يكون ابتداء خطاب لهم على التهديد والوعيد يقول فتمتعوا ايها الكفار في الدنيا قليلاً

فسوف تعلمون ما يحل بكم في العاقبة من العقاب واليم العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى (٥٦) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأَلَّفُ لَلتَّسْوَلِينَ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٧) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٨) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٩) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٦٠) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (خمس آيات)

✽ اللفظة ✽

يقال ظل يفعل كذا إذا فعله في صدر النهار ويقال ظلت اظل ظلولا ومثله اضحى غير انه كثير حتى صار بمنزلة أخذ يفعل والكظيم المغموم الذي يطبق فاه لا يتكلم للغم الذي به مأخوذ من الكظامة وهي اسم لما يشد به فم القربة والكظامة ايضاً القرب على رؤوس القذذ والكظامة ايضاً البثر ومنه الحديث ان النبي ﷺ اثنى كظامة فتوضأ ومسح على قدميه وجمعها كظائم والهون الهوان والمشقة وهي لفة قريش قال الحطيئة
فَلَمَّا خَشِبَتِ الْهُونَ وَالْعَيْنُ مَمْسِكُ
عَلَى رَغْمِهِ مَا أَثْبَتَ الْحَيْلُ حَافِرُهُ
ودست الشيء في التراب أدسه دسا إذا أخفيته والدساسة حية صاه تدرس تحت التراب

✽ الإعراب ✽

ولههم ما يشتهون ان شئت جعلت ما في موضع نصب بمعنى يجعلون لهم البنين الذين يشتهون م ويكون قوله سبحانه اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وان شئت جعلته في موضع رفع على الاستثنا فيكون مرفوعاً على الابتداء ولههم خبره أو مرفوعاً على ان الظرف عمل فيه على ما ذكرنا من الاختلاف فيه فيما مضى والهاء في يمسه يعود إلى قوله ما بشر به فلذلك ذكر وقيل معناه ويجعلون للأصنام الذين لا يعلمون ولا يجعلون نصيباً من الانعام والزرع فكأن عن لفظة ما في قوله لما لا يعلمون بالواو لأنهم جعلوا الأصنام هنا بمنزلة العقلاء من ابي علي القاسمي وقال ايضاً يجوز ان يكون تقديره ويجعلون لما لا يعلمونه إلهاماً نصيباً ويكون الضمير ان

في يجعلون ويعلمون للمشركين وحذف المفعولان

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه فعلا آخر من افعال المشركين دالا على جهلهم فقال (ويجعلون لما لا يعلمون) والواو في يعلمون تعود إلى المشركين أي لما لا يعلمون انه بضر وينفع (نصيبا مما رزقناهم) يتقربون بذلك اليه كما يجب ان يتقرب إلى الله تعالى وهو ما حكى الله عنهم في سورة الأنعام من الحرث وغير ذلك وقولهم هذا لله يزعمهم وهذا لشركائنا عن مجاهد وقتادة وابن زيد ثم أقسم تعالى فقال (تالله لتسألن) في الآخرة (عما كنتم تكفرون) أي تكذبون به في دار الدنيا لتلزموا به الحجة وتماقبوا بعد اعترافكم على انفسكم ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من جهالاتهم فقال (ويجعلون لله البنات) أي ويشتهون لله البنات ويضيفون اليه البنات وهو قولهم الملائكة بنات الله كما قال سبحانه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ثم نزه سبحانه عنه عما قالوا فقال (سبحانه) أي تنزيها له عن اتخاذ البنات (ولهم ما يشتهون) أي ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ويحبونه من البنين دون البنات وعلى الوجه الآخر ولهم ما يحبونه يعني البنين (واذا بشر أحدهم بالانثى) أي واذا بشر واحد منهم بأنه ولد له بنت (ظل وجهه مسودا) أي صار لون وجهه متغيرا إلى السواد لما يظهر فيه من اثر الحزن والكراهة فقد جعلوا لله ما يكرهونه لأنفسهم وهذا غاية الجهل (وهو كظيم) أي متمسك غيظا وحزنا (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعني ان هذا الذي بشر بالبنات يستخفي من القوم الذين يستخبرونه عما ولد له استكفافا منه وخجلا وحياء من سوء ما بشر به من الانثى وقبحه عنده (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) يعني يميل عنه ويدير في امر البنت المولودة له أيمسكه على ذل وحوان أم يخفيه في التراب ويدفنه حيا وهو الواو الذي كان من عادة العرب وهو ان احدهم كان يحفر حفرة صغيرة وإذا ولد له انثى جعلها فيها وحشا عليها التراب حتى تموت تحتها وكانوا يفعلون ذلك مخافة الفقر عليهن فيطمع غير الاكفاء فيهن (ألا ساء ما يحكون) أي بشس الحكم ما يحكونه وهو ان يجعلوا لنفوسهم ما يشتهون والله ما يكرهون وقيل معناه ساء ما يحكونه في قتل البنات مع مساواتهن للبنين في حرمة الولادة ولعل الجارية خير من الغلام وروي عن ابن عباس انه قال لو أطلع الله الناس في الناس لما كان الناس لأنه ليس احد الا ويحب ان يولد ذكر ولو كان الجميع ذكورا لما كان لهم اولاد فيفتي الناس ثم قال سبحانه (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى) أي لهؤلاء الكفار الذين وصف الله بالولد صفة السوء أي الصفة القبيحة التي هي سواد الوجه والحزن والله الصفة العليا من السلطان والقدرة وقيل له صفات النقص من الجهل والكفر والضلال والعمى وصفة الحدوث والضعف والعجز والحاجة إلى الاباء وقتل البنات خوف الفقر والله صفات الآلمية والاستغناء عن الصاحبة والولد والربوبية واخلاص التوحيد ويسأل فيقال كيف يمكن الجمع بين قوله سبحانه وتعالى والله المثل الاعلى وقوله فلا تضربوا الله الامثال والجواب ان المراد بالامثال هناك الاشياء أي لا تشبهوا الله بشيء والمراد بالمثل الاعلى هنا الوصف الاعلى الذي هو كونه قديما قادرا عالما حيا ليس كمثل شيء وقيل ان المراد بقوله المثل الاعلى المثل المضروب بالحسنى وقوله فلا تضربوا الله الامثال الامثال المضروبة بالباطل (وهو العزيز) أي القادر الذي لا يمتنع عليه شيء (الحكيم) الذي يضع الاشياء مواضعها على ما هو حكمته وصواب وفي الآية دلالة على انه لا يضاف لله تعالى الا دون فان الله سبحانه قد عاب المشركين باضافتهم اليه ما لا يرضونه لأنفسهم فاذا كره الانسان اضافة القبيح الى نفسه للنقص الذي فيه فكيف يجوز ان يضيفه الى الله تعالى

قوله تعالى (٦١) وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦٢) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ

مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَسِنَّتَهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لِأَجْرِمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ
(٦٣) تَأْتِيهِمْ لَقْدَأُرْسِلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٤) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٥) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (خمس آيات)

✽ القراوة ✽

قرأ نافع وقتيبة عن الكسائي مفرطون سا كنة الفاء مكسورة الراء خفيفة وقرأ ابو جعفر «ع» مفرطون
مفتوحة الفاء مكسورة الراء مشددة والباقون مفرطون سا كنة الفاء مفتوحة الراء خفيفة وروي عن الأعرج
بفتح الراء وتشديده

= (الحجة) =

قال الزجاج اما تفسير مفرطون فجاء عن ابن عباس متروكون وقيل معجلون ومعنى الفرط في اللغة
التقدم وقد فرط يفرط أي تقدم فعنى مفرطون مقدمون إلى النار وكذلك مفرطون بالتشديد ومن فسر متروكون
فهو كذلك أي قد جعلوا مقدمين في العذاب أبدأ متروكين فيه ومن قرأ مفرطون فالمعنى انه وصفهم الله بأنهم
فرطوا في الدنيا ولم يعملوا فيها للآخرة وتصديقه قوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ومن قرأ مفرطون
فالمراد انهم أفرطوا في معصية الله كما تقول افرط فلان في مكروهه وتأويله انه أفر العجز وقدمه قال ابو
علي وكانه من افرط أي صار ذا فرط مثل أقطف وأجرب فهو مقطف ومجرب فمعناه انهم ذوو فرط إلى
النار وسبق اليها

✽ الاعراب ✽

الكذب مفعول تصف وان لم الحسنى بدل من الكذب وتقديره وتصف أسنتهم ان لم الحسنى أي تصفون
ان لم مع هذا الفعل القبيح الجزاء الحسن وان لهم النار في موضع نصب مجرم والمعنى جرم فعلهم هذا أي كسبان
لم النار وقيل ان ان في موضع رفع عن قطرب قال معناه انه وجب ان لهم النار وانهم مفرطون فيها لتبين لهم أي
لان تبين لهم الجار والمجرور في محل النصب بأنه مفعول له وكذلك قوله وهدى ورحمة وكلاهما معطوف على
ما قبله بأنه مفعول له ايضاً أي أنزلنا عليك الكتاب بياناً وهدى ورحمة قال الزجاج ويجوز في هذا الموضع وهدى
ورحمة بالرفع فيكون المعنى وما أنزلنا عليك الكتاب إلا للبيان وهو مع ذلك هدى ورحمة

✽ المعنى ✽

(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة) أخبر سبحانه انه لو كان ممن يؤاخذ الكفار والعصاة
بذنوبهم ويماجلهم بالعقوبة لما ترك على وجه الأرض أحداً ممن يستحق ذلك من الظالمين وإنما قال عليها ولم يجز
ذكر للأرض في الظاهر لأن الكلام يدل عليه فإن العلم حاصل بأن الناس يكتنون على ظهر الأرض ومثله
كثير في محاورات العرب يقولون ما بين لايتها مثل فلان يعنون المدينة واصبحت باردة بر يدون الغداة إذ اللابتان
بالمدينة والاصباح لا يكون إلا غدوة وقوله (وانكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أي يمهلمهم إلى وقت معلوم مسمى
وهو يوم القيامة وقيل إلى وقت يعلمه الله تعالى انه لا يكون في بقائهم فيه مصلحة لأنهم لا يؤمنون ولا يخرج
من نسلهم مؤمن وإنما يؤخرهم تفضلاً منه سبحانه ليراجعوا التوبة أو لما في ذلك من المصلحة واختلاف أهل العدل

في من المعلوم من حاله انه لا يؤمن فيما بعد هل يجوز اختراجه فقال بعضهم يجوز لأن التكليف تفضل فلا تجب التيقية وهو قول ابي هاشم واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وقال آخرون لا يجوز اختراجه ويجب تيقيته وهو قول البلخي وابي علي الجبائي وان اختلفا في علته فقال الجبائي لأنه مفسدة وقال البلخي لأنه الأصلح واليه ذهب الشيخ المفيد ابو عبد الله وقيل ان معنى الآية لو يؤخذهم بذنوبهم لحبس المطر عنهم حتى تهلك كل دابة عن السدي وعكرمة «سؤال» متى قيل ان المكلف الظالم يستحق العقوبة بظلمه فما بال الحيوانات تؤخذ بغير جرم «فجوابه» ان العذاب للظالم عقوبة ولغير الظالم عبرة ومحنة فيكون كالأمرض النازلة بالأولياء وغير المكلفين فيعوضون عنها وقيل معناه لو هلك الآباء بكفرهم لم يوجد الأبناء وقيل انه إذا هلك الظلمة ولم يبق مكلف لا يبقى غيرهم من الحيوانات لأنها انما خلقت للمكلفين فلا فائدة في بقائها بعدهم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قد سبق معناه فيما مضى ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال (ويجعلون لله ما بكرهون) يعني البنات أي يحكمون لله بما بكرهونه لأنفسهم (وتصف السنتهم الكذب) أي وتحبر ألسنتهم بالكذب وهو ما يقولون (ان لهم الحسنى) وهي البنون عن مجاهد وقيل معناه تصفون ان لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن والثوبة الحسنى وهي الجنة عن الزجاج وغيره فإن المشركين كانوا يقولون ان كان ما يقوله محمد من امر البعث والآخرة حقاً فنحن من أهل الجنة وروي عن معاذ انه قرأ وتصف السنتهم الكذب بضم الذال والياء فعلى هذا يكون الكذب وصفاً للألسنة جمع كاذب او كذوب ثم رد سبحانه قولهم فقال (لا جرم ان لهم النار) أي ليس الأمر على ما وصفوا جرم فعلهم وقولهم اي كسب ان لهم النار والمفسرون يقولون معناه حقاً ان لهم النار او لا بد أن لهم النار (وانهم مفرطون) اي مقدمون أي معجلون إلى النار ثم اقسم سبحانه فقال (تالله لقد أرسلنا إلى امم من قبلك) يا محمد (فزين لهم الشيطان اعمالهم) اي كفرهم وضلالهم وتكذيبهم الرسل (فهو وليهم اليوم) معناه ان الشيطان وليهم اليوم في الدنيا يتولونه ويتبعون اغواءه فأما يوم القيامة فيتبرأ بعضهم من بعض عن ابي مسلم وقيل معناه فهو وليهم يوم القيامة اي يكلمهم الله تعالى إلى الشيطان اياها لهم من رحمته (ولهم عذاب اليم) أي وللتابع والمتبوع عذاب مؤلم وجميع ثم بين سبحانه انه قد أقام الحجة وازاح العلة ووضح المحجة فقال (وما انزلنا عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن (إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) معناه إلا وقد اردنا منك ان تكشف لهم ما اختلفوا فيه من دلالة التوحيد والعدل وتبين لهم الحلال والحرام (وهدى) أي وانزلناه دلالة على الحق (ورحمه لقوم يؤمنون) ثم اخبر سبحانه عن نعمته على خلقه فقال (والله انزل من السماء ماء) أي غيثاً ومطراً (فأحيا به) أي بذلك الماء (الأرض بعد موتها) أحياها بالنبات بعد جدوبها وقحطها (ان في ذلك لآية) أي حجة ودلالة (لقوم يسمعون) اي يستصفون ادلة الله ويتفكرون فيها ويعتبرون بها

قوله تعالى (٦٦) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٧) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٨) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٩) ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٧٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وسهل نسقكم بفتح النون هائنا وفي المؤمنين والباقون نسقكم بضمها في الموضعين وقرأ ابو جعفر في المؤمنين نسقكم بالناء

﴿ الحجة ﴾

قيل بين سقيت واسقيت فرق وهو ان سقيته معناه ناولته ليشرب واسقيته معناه جعلت له ماء يشربه وقيل سقيته ماء واسقيته سألت الله ان يسقيه وعليه بيت ذي الرمة

وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ رِيماً أَبْتُهُ
تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَأَجِبُهُ (١)

وقيل إذا سقاء مرة يقول سقيته وإذا سقاء دائماً يقال أسقيته عن ابي عبيدة وقيل ما بمعنى واحد واستدل

بيت لبيد

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقِي
تُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هَلَالٍ

فانه اتى باللغتين

﴿ اللغة ﴾

العبرة والعظة من النظائر وهو ما يعتبر به والقرث الثفل الذي ينزل إلى الكرش وساغ الطعام في الحلق وسوغته واستغته . السكر في اللغة على اربعة اوجه ﴿ الاول ﴾ ما اسكر من الشراب ﴿ والثاني ﴾ ما طعم من الطعام قال الشاعر « جَعَلَتْ عَيْبَ الْأَكْرَمِينَ سَكْرًا » أي جعلت ذمهم طعاماً لك ﴿ والثالث ﴾ السكون ومنه ليلة ساكرة أي ساكنة قال الشاعر « وَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلَا سَاكِرَةٍ » ويقال سكرت الريح سكت قال « وَجَعَلَتْ عَيْنَ الْحُرُورِ تَسْكُرُ » ﴿ والرابع ﴾ المصدر من قولك سكر سكرًا ومنه التسكر التخيير في قوله سكرت ابصارنا والذلل جمع الذلول يقال دابة ذلول بين الذل ورجل ذلول بين الذل والذلة والردل الدون الردي وكذلك الرذال يقال رذل الشيء يرذل رذالة وارذلتها

﴿ الإعراب ﴾

الهاء في بطونه إلى ماذا يعود اختلف فيه فقيل ان الأتنام جمع والجمع يذكروا ويؤنث فجاء هائنا على لغة من يذكروا وجاء في سورة المؤمنين على لغة من يؤنث وقيل انه رد على واحد الانعام وانشد للواجز « وَطَابَ الْبَابُ الْقَاحِ قَبْرًا رُدَّةً إِلَى اللَّبَنِ عَنِ الْفَرَاءِ » وقيل ان الانعام والنعم سواء فحمل على المعنى كما قال الصلتان العبيدي

إِنَّ السَّهَابَ وَالْمَرْوَةَ ضَعِنَا
قَبْرًا يَمْرُوعًا عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

فكأنه قال شيطان ضعننا وقال الاعشى

فَإِنْ تَعَهَّدِينِي وَلِي لِمَّةٌ
فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أَوْدَى بِهَا (٢)

حملة على الحدثان ويجوز ان يكون التقدير نسقكم مما في بطون المذكور وقيل ان من يدل على التبعض فكأنه قال نسقكم مما في بطون بعض الانعام لأنه ليس لجميها لبن وقوله تتخذون منه الضمير في منه إلى ماذا يعود فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ انه يعود إلى المذكور ﴿ والثاني ﴾ انه يعود إلى معنى الثمرات لأن الثمرات والثمر سواء وكذا الهاء في قوله فيه شفاء للناس قيل يعود إلى الشراب وهو العسل وقيل يعود إلى القرآن فإذا عاد الضمير إلى الشراب ارتفع شفاء بالظرف على المذهبين وتقديره شراب ثابت فيه شفاء وإذا عاد الضمير إلى القرآن ففي رفع شفاء خلاف فإن الظرف لم يجر على مذكور قبله فكيف يعلم بعد علم شيئاً ان نصبت شيئاً يعلم وهو مذهب سيبويه كنت قد عملت الثاني واضمرت المفعول في يعلم على شريطة التفسير وان عملت يعلم وهو مذهب الفراء

(١) مر البيت في صفحة ٣٣٣ و ٣٥٩ . (٢) ورواية اللسان هكذا « جعلت اعراض الكرام سكرًا » (٣) قاله اوس وقيله « تزداد ليالي في طولها » . (٤) مر البيت بتمامه في صفحة - ٣٣٠ . (٥) وقيله « بال سهيل في الفصيخ ففسد » . والقاح : اسم ماء الفحل . (٦) اللمة : الشعر الجعد خلف الاذن . واودى بها اي اهلكها . ورواية اللسان « فاما تربني ولي لمة اه » . (٧) اي كان عليه ان يقول « اودت بها » فذكر على ارادة الحدثان .

اضمرت لعلم مفعولا وفصلت بين المعمول والعامل فجمعت بين مجازين بخلاف مذهب سيويه

المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد وعجائب الصنعة وبدائع الحكمة بقوله (وان لكم في الأنعام) يعني الابل والبقر والغنم (لعبرة) اي لعظة واعتبار أو دلالة على قدرة الله تعالى (نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً) وروى الكلبي عن ابن عباس قال إذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثاً واعلاه دماً ووسطه لبناً فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك قوله من بين فرث ودم لبناً خالصاً لا يشوبه الدم ولا الفرث (سائغاً للشاربين) أي جائزاً في حلوقهم والكبد مسلطة على هذه الأصناف فيقسمها على الوجه الذي اقتضاه التدبير الإلهي يبين سبحانه لمن ينكر البعث ان من قدر على إخراج لبن أبيض سائغ من بين الفرث والدم من غير ان يختلط بها قادر على اخراج الموتي من الأرض من غير ان يختلط شيء من ابدانهم بأبدان غيرهم ثم قال (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً) قيل معناه ولكم عبرة فيما اخرج الله لكم من ثمرات النخيل والاعناب عن الحسن وقيل معناه من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكراً والعرب تضرع ما الموصولة كثيراً قال سبحانه وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً أي ما ثم وقيل ان تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب شيء تتخذون منه سكراً (ورزقاً حسناً) فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه والاعناب عطف على الثمرات أي ومن الاعناب شيء تتخذون سكراً وهو كل ما يسكر من الشراب كالخمر . والرزق الحسن ما أحل منها كاخلل والزبيب والرب والرطب والتمر عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وروى الحاكم في صحيحه بالاسناد عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل من ثمرها قال قتادة نزلت الآية قبل تحريم الخمر ونزل تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة قال ابو مسلم ولا حاجة إلى ذلك سواء كان الخمر حراماً أم لم يكن لأنه تعالى خاطب المشركين وعدد انعامه عليهم بهذه الثمرات والخمر من أشربتهم فكانت نعمة عليهم وقيل ان المراد بالسكر ما يشرب من أنواع الأشربة مما يحل والرزق الحسن ما يؤكل والحسن اللذيذ عن الشعبي والجبائي فالمعنى تتخذون منه اصنافاً من الأشربة والأطعمة وقد أخطأ من تعلق بهذه الآية في تحليل النبيذ لأنه سبحانه إنما أخبر عن فعل كانوا يتعاطونه فأبى رخصة في هذا اللفظ والوجه فيه انه سبحانه أخبر انه خلق هذه الثمار لينتفعوا بها فاتخذوا منها ما هو محرم عليهم ولا فرق بين قوله هذا وبين قوله تتخذون أي انكم دخلت بينكم (إن في ذلك لآية) اي دلالة ظاهرة (لقوم يعقلون) عن الله تعالى ذلك ويتفكرون فيه يبين الله سبحانه بذلك انكم تستخرجون من الثمرات عصيراً يخرج من قشر قد اختلط به فكذلك الله يستخلص ما تبدد من الميت مما هو مختلط به من التراب (وأوحى ربك إلى النحل) أي ألهما إلهاماً عن الحسن وابن عباس ومجاهد وقيل جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله عن غيرها عن الحسن قال ابو عبيدة الوحي في كلام العرب على وجوه منها وحي النبوة ومنها الإلهام ومنها الإشارة ومنها الكتاب ومنها الاسرار فوحي النبوة في قوله أو يرسل رسولا فيوحي باذنه والإلهام في قوله وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى ام موسى والإشارة في قوله فأوحى إليهم أن سبحوا قال مجاهد معناه أشار إليهم وقال الضحاك كتب لهم والاسرار في قوله بوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وأصل الوحي عند العرب ان يلقى الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار والاختفاء وأما ما روي عن ابن عباس انه قال لا وحي إلا القرآن فإن المراد به ان القرآن هو الوحي الذي نزل به جبرائيل على محمد ^{صلى الله عليه وسلم} دون ان يكون أنكر ما قلناه ويقال أوحى له وأوحى إليه قال المعجاج «أوحى لها القرآن فاستقرت» والمعنى ان الله تعالى ألهم النحل اتخاذ المنازل والمسكن والاوكار والبيوت في الجبال والشجر وغير ذلك وتقديره (أن اتخذي من الجبال بيوتا) للعسل ولا يقدر على مثلها أحد (ومن الشجر وما يعرشون) أي ومن الكرم لأنه

الذي يعرش ويتخذ منه العريش وفيه لقتان يعرشون ويعرشون بضم الراء وكسرها وقد قرئ بها وقيل معنى يعرشون يبنون والعرش سقف البيت عن الكلبي والمعنى ما يبني الناس لها من خلاياها التي تعمل فيها ولولا إلهام الله إياها ما كانت تأتي إلى ما يبني لها من بيوتها وإنما أتى بلفظ الأمر وإن كانت النحل لاتعقل الأمر ولا تكون مأمورة لأنه لما أتى بلفظ الوحي أجرى عليه لفظ الأمر اتساعاً (ثم كلي من كل الثمرات) أي من أنواع الثمرات من أي ثمرة شئت (فاسلكي سبل ربك) أي فادخلي سبل ربك التي جعلها الله لك (ذللاً) أي مذلة موطأة للسلوك واسعة يمكن سلوكها فيكون قوله ذللاً صفة للسبل وهي منصوبة على الحال وهو قول مجاهد وقيل ذللاً أي مطيعة لله منقادة مسخرة وبكون من صفة النحل عن قتادة (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) وهو العسل فإن ألوانه مختلفة لأن منه ما هو شديد البياض ومنه ما هو أصفر ومنه ما يضرب إلى الحمرة وذلك ان النحل تتناول ألوانا مختلفة من النبات والزهر فيجعلها الله تعالى عسلا على ألوان مختلفة يخرج من بطونها إلا انها تلقيه من افواهها كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم وإنما قال سبحانه من بطونها ولم يقل من فيها لثلاث بظن انها تلقيه من فيها ولم يخرج من بطنها (فيه شفاء للناس) من الادواء عن قتادة وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال عليكم بالشفاء بين القرآن والعسل وقيل معناه فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه عن السدي والحسن وروي عن مجاهد ان الهاء في فيه راجعة إلى القرآن أي القرآن فيه شفاء للناس يعني ما فيه من الحلال والحرام والفتيا والاحكام والأول قول أكثر المفسرين وهو الأقوى إذ لم يسبق للقرآن ذكر وفي النحل والعسل وجوه من الاعتبار منها اختصاصه بمخروج العسل من فيه ومنها جعل الشفاء من موضع السم فإن النحل يلسع ومنها ما ركب الله من البدائع والعجائب فيه وفي طباعه ومن اعجبها ان جعل سبحانه لكل فئة بعسوبا هو أميرها يقدمها ويحمي عنها وبدبر أمرها ويسوسها وهي تتبعه وتقتني اثره ومتى فقدته انحل نظامها وزال قوامها وتفرقت شذر مذر وإلى هذا المعنى فيما قال اشار امير المؤمنين (ع) في قوله أنا بعسوب المؤمنين (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) معناه ان فيما ذكرناه من بدائع صنع الله تعالى دلالة بينة لمن تفكر فيه ثم بين نعمته علينا في خلقنا واخراجنا من العدم إلى الوجود فقال (والله خلقكم) أي اوجدكم وانعم عليكم بضرور النعم الدينية والدنيوية (ثم يتوفاكم) ويقبضكم أي يمتكم (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أي أدون العمر وأوضعه أي يقيه حتى يصير إلى حال الهرم والخرف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله ورووا عن علي (ع) ان ارذل العمر خمس وسبعون سنة وروى مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن قتادة تسعون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيئاً) أي ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكأنه لا يعلم شيئاً مما كان علمه وقيل ليقبل علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه (إن الله علم) بمصالح عباده (قدیر) على ما يشاء من تدبيرهم وتقدير احوالهم

قوله تعالى (٧١) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِيهِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧٢) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٣) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٤) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر عن عاصم يتحدثون بالتاء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

الوجه في القراءة بالياء انه يراد به غير المسلمين لأنه لا يخاطب المسلم بجحود نعم الله والوجه في القراءة بالتاء قل لهم أفبئعتم الله التي تقدم اختصاصها يتحدثون ويقوي الياء قوله وبئعتم الله هم يكفرون

— (اللغة) —

الحفدة جمع حافد واصل الحفد الاسراع في العمل ومنه ما جاء في الدعاء واليك نسعى ونحفد ومرّ البعير يحفد حفداً (١)، إذا مرّ يسرع في سيره قال الراعي

كَلَّمْتُ مَجْهُولَهَا نَوْقًا يَمَانِيَةً إِذِ الْحَدَاةَ عَلَى أَكْسَائِهَا حَفَدُوا (٢)

ومنه قيل للاعوان حفدة لاسراعهم في الطاعة قال جميل

حَفَدَ الْوَلَاءُ دُحُولَهَا وَأَسْتَسَلَّمَتْ يَا كَيْفِيْنَ أَرِمَةَ الْأَجْمَالِ (٣)

— (الاعراب) —

فهم فيه سواء جملة اسمية وقعت موقع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء والتقدير فيستروا شيئاً انتصب على احد وجهين اما ان يكون بدلاً من رزقاً بمعنى انه لا يملك لهم رزقاً قليلاً ولا كثيراً وهو قول الاخفش واما ان يكون مفعولاً لقوله رزقاً فكأنه قال ما لا يملك لهم ان يرزق شيئاً وهو مما اعلم من المصادر المنونة

﴿ المعنى ﴾

ثم عدّد سبحانه نعمة منه أخرى فقال (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فوسع على واحد وقتر على آخر على ما توجبه الحكمة (فما الذين فضلوا يرادي رزقهم على ما ملكت أيانهم فهم فيه سواء) اختلف في معناه على قولين ﴿ احدهما ﴾ انهم لا بشر كون عبيد في اموالهم وأزواجهم حتى يكونوا فيه سواء ويرون ذلك نقصاً فلا يرضون لأنفسهم به وهم بشر كون عبيدي في ملكي وسلطاني ويوجهون العبادة والقرب اليهم كما يوجهونها إلى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قال ابن عباس بقول إذا لم ترضوا ان تجعلوا عبيدكم شر كاهكم فكيف جعلتم عيسى آلها معه وهو عبده ونزلت في نصارى نجران ﴿ والثاني ﴾ ان معناه هؤلاء الذين فضلهم الله في الرزق من الأحرار لا يرزقون بماليتهم بل الله تعالى رازق الملاك والماليك فإن الذي ينفقه المولى على مملوكه إنما ينفقه مما رزقه الله تعالى فإله رازقهم جميعاً فهم سواء في ذلك (أفبئعتم الله يبيحون) أي أفبئعتم الله التي عددتها واقتصصتها يبيحون هؤلاء الكفار ثم عدّد سبحانه نعمة أخرى فقال (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي جعل لكم من جنسكم ومن الذين تلدونهم نساء جعلهن أزواجا لكم لتسكنوا اليهن وتأنسوا بهن (وجعل لكم من أزواجكم) يعني من هؤلاء الأزواج (بنين) تسرون بهم وتزيتون بهم (وحفدة) اختلف في معناه فقيل هم الخدم والأعوان عن ابن عباس والحسن وعكرمة وفي رواية الوالي هم اختان الرجل على بناته وهو المروي عن ابي عبد الله وعن ابن مسعود وابراهيم وسعيد بن جبير وقيل هم البنون وبنو البنين عن ابن عباس في رواية أخرى ونصه عنه ايضاً انهم بنو امرأة الرجل من غيره في رواية الضحاك وقيل البنون الصغار من الاولاد والحفدة الكبار منهم يسعون معه عن مقاتل (ورزقكم من الطيبات) أي الأشباه التي تستطيبونها قدأباحها لكم وانما دخلت من لأنه ليس كل ما يستطيه الإنسان رزقاً له وإنما يكون رزقه ماله التصرف فيه وليس لأحد منعه

(١) [وحداناً] (٢) الحدادة : جمع الحادى . واكساء جمع كسى : مؤخر الشيء .

(٣) لولاءه : الشواب من الجوارى .

منه (أفبالباطل يؤمنون) يريد بالباطل الأوثان والأصنام وما حرم عليهم وزينه الشيطان من البحائر وغيرها أي أفبذلك يصدقون (وبنعمة الله) التي عددها (هم يكفرون) أي يجحدون ويريد بنعمة الله التوحيد والقرآن ورسول الله ﷺ عن ابن عباس (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً) أي لا يملك ان يرزقهم (من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون) شيئاً مما ذكرناه وقيل ان رزق السماء الغيث الذي يأتي من جهتها ورزق الأرض النبات والثار وغير ذلك من انواع النعم التي تخرج من الأرض (فلا تضربوا الله الأمثال) أي لا تجعلوا لله الأمثال والأشياء والأمثال في العبادة فإنه لا شبه له ولا مثل ولا أحد يستحق العبادة سواء وإنما قال ذلك في اتخاذهم الأصنام آلهة عن ابن عباس وقتادة (ان الله يعلم) ان من كان إلهاً فإنه منزّه عن الشركاء (وانتم لا تعلمون) ذلك بل تجهلونه ولو تفكرتم لعلمتم وقيل معناه والله يعلم ما عليكم من المضرة في عبادة غيره وانتم لا تعلمون ولو علمتم لتركتم عبادتها

قوله تعالى (٧٥) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٦) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا بُوجِهَهُ لَأَيُّاتٍ يُخَيِّرُ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٧) وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة ابن مسعود وعلقمة والحسن ومجاهد ابناً بوجه وروي عن علقمة بوجه بفتح الجيم

(= الحجة =)

قال ابن جني اما بوجه بكسر الجيم فعلى حذف المفعول أي ابناً بوجه وجهه فحذف للعلم به وأقول ان نظيره ما جاء في المثل «أبنا اوجه الق سعداً» ومعناه أبنا اوجه وجوه ركابي وسعد قبيلته أي كل الناس مثل قبيلتي في التجاسد وأما بوجه بفتح الجيم فمعناه ابنا يرسل أو يبعث لا بأب بخير

✽ اللفظة ✽

الابكم الذي يولد اخرس لا يفهم ولا يفهم وقيل الابكم الذي لا يمكنه ان يتكلم والكل الثقل يقال كل عن الأمر بكل كلا إذا ثقل عليه فلا ينبعث فيه وكت السكين كلولا إذا غلظت شفرتها وكل لسانه إذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حده فالاصل فيه الغلظ المانع من النفوذ والتوجيه الارسال في وجه من الطريق يقال وجهته إلى موضع كذا فتوجه اليه

✽ الاعراب ✽

ومن رزقناه منا رزقاً حسناً رزقاً مفعول ثانٍ لرزقناه وفي هذا دليل على ان رزق يتعدى إلى مفعولين الا ترى ان قوله رزقاً حسناً لو كان مصدرراً لما جاز ان يقول فهو ينفق منه لأن الاتفاق وإنما يكون من المال لا من الحدث الذي هو المصدر

* المعنى *

ثم بين سبحانه للمشركين أمر ضلالتهم فقال (ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) أي بين الله مثلا فيه بيان المقصود تقريبا للخطاب إلى أفهامهم ثم ذكر ذلك المثل فقال عبداً مملوكاً لا يقدر من أمره على شيء (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) يريد وحراً رزقناه وملكناه مالا ونعمة (فهو ينفق منه سرا وجهرا) لا يخاف من احد (هل يستون) ولم يقل يستويان لأنه أراد بقوله ومن رزقناه وقوله عبداً مملوكاً كالشروع في الجنس لا التخصيص يريد ان الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان احدهما مالكا قادرا على الانفاق والآخر عاجزا عن الانفاق لا يستويان فكيف يستوي بين العبادة التي لا تعقل ولا تتحرك وبين الله عز اسمه القادر على كل شيء الخالق الرازق لجميع خلقه وهذا معنى قول المجاهد والحسن وقيل ان هذا المثل للكافر والمؤمن فلان الكافر لا خير عنده والمؤمن يكسب الخير عن ابن عباس وقتادة نبه الله سبحانه بذلك على اختلاف حالها ودعا إلى حال المؤمن وصرف عن حال الكافر (الحمد لله) أي الشكر لله على نعمه وفيه اشارة إلى ان النعم كلها منه وقيل معناه قولوا الحمد لله الذي دلنا على توحيد معرفته وهدانا إلى شكر نعمته وأوضح لنا السبيل إلى جنته (بل اكثرهم لا يعلمون) يعني ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ان الحمد لله وان جميع النعمة مني ثم ضرب سبحانه مثلا آخر فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه وقيل معناه لا يقدر ان يدبر امر نفسه (وهو كل على مولاه) أي تفل ووبال على وليه الذي يتولى أمره (أينما يوجهه لا يأت بغير) معناه انه لا منفعة لمولاه فيه أينما يرسله في حاجة لا يرجع بغير ولا يهتدي إلى منفعة (هل يستوي هو) أي هذا الأبكم الموصوف بهذه الصفة (ومن يأمر بالعدل) أي ومن هو فصيح يأمر بالعدل والحق ويدعو إلى الثواب والبر (وهو على صراط مستقيم) أي على دين قويم وطريق واضح فبما يأتي به ويذر والمراد انها لا يستويان قط لأنه لا جواب لهذا الكلام إلا النفي وهذا كما قال أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون وقيل في معنى هذا المثل أيضا قولان ﴿ احدهما ﴾ انه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته ومن لا يؤمل منه واصل الخير كله من الله تعالى فكيف يستوي بينه وبين شيء سواء في الصادة ﴿ والآخر ﴾ انه مثل للكافر والمؤمن فالأبكم الكافر والذي يأمر بالعدل المؤمن عن ابن عباس وقيل ان الأبكم أي بن خلف ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون عن عطاء وقيل ان الأبكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشي وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ عن مقاتل ثم وصف سبحانه نفسه مؤكدا لما قدم ذكره من اوصاف الكمال فقال (والله غيب السموات والأرض) ومعناه انه المختص بعلم الغيب وهو ما غاب عن جميع الخلائق ما يصح ان يكون معلوما قال الجبائي ويمكن ان يكون المعنى والله ما غاب عنكم مما في السموات والأرض ثم قال (وما امر الساعة) في قدرته (إلا كلمح البصر) أي كطرف العين وقيل كرد البصر قال الزجاج وما امر اقامة الساعة في قدرته إلا كلمح البصر أي لا يتعذر عليه شيء (او هو أقرب) من ذلك وهو مبالغة في ضرب المثل به في السرعة ودخول أو هنا لأحد امرين اما للابانة على انه على إحدى هاتين المنزلتين واما لشك المخاطب وقيل معناه بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو قادر على اقامة الساعة وعلى كل شيء يريد أن القدير مبالغة في صفة القادر

* النظم *

وجه اتصاله بما قبله ان امر القيامة من الأمور الغائبة ومن اعظمها واهمها لما فيه من الثواب والعقاب والانتصاف والانتصاف والساعة اسم لإمارة الخلق وحياتهم

قوله تعالى (٧٨) وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ

أَلَسَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٩) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ
السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ
إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (ثلاث آيات)
= (القراءة) =

قد ذكرنا القراءة في امهاتكم في سورة النساء وقرأ ابن عامر وحمة ويعقوب وسهل وخلف ألم تروا بالتاء
والباقون بالياء وقرأ اهل الكوفة وابن عامر ظعنكم ساكنة العين والباقون بفتح العين
= (الحجة) =

من قرأ ألم تروا بالتاء فإنه يدل عليه ما قبله من قوله وجعل لكم السمع واهلكم تشكرون ومن قرأ
بالياء فإنه على وجه التنبيه لمن تقدم ذكرهم من الكفار والظعن والظعن بفتح العين وسكونها لفتان ومثله النهر
والنهر والشمع والشمع قال الاعشى

فَقَدْ أَشْرَبَ الرَّاحَ قَدْ تَعَلَّمِينَ يَوْمَ الْمَقَامِ وَيَوْمَ الظُّعْنِ

قال ابو علي ولا يجوز ان يكون الظن مخففا عن الظعن كما ان عضدا مخفف عن عضد وكفا مخففا عن كنف
الا ترى ان من قال ذلك لم يخفف نحو جعل ورسن كما ان الذي يقول والليل إذا يسر وذلك ما كنا نبغ لا يقول
والليل إذا يغش وحرف الحلق وغيره في ذلك سرا

❖ اللفظة ❖

الامهات اصله الامات ولكن الهاء زيدت موزدة كما زادوها في اهرقت الماء والاصل اهرقت والافئدة
جمع فؤاد كما يقال غراب واغربة ولم يجمع الفؤاد على اكثر العدد لم يقل فيه فئدان كما قالوا غرابان الجو الهوا
البعيد من الأرض وابعده منه السكالك والأوح وواحد السكالك سكاكة عن الزجاج قال الشاعر

وَيَلْمِهَا فِي هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً وَلَا كَهَذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبٌ (١)

والسكن كل ما يسكن اليه والسكن ايضا المسكن قال الفراء السكن بفتح الكاف الدار وبسكونها
أهل الدار ومنه الحديث ان الرمانه تشبع السكن واصله من السكن الذي هو ضد الحركة وهما من جنس
الاكوان التي يكون الجسم بها كائنا في الجهات ومنه السكن لأنه يسكن حركة المذبح والأثاث متاع البيت
الكثير من قولهم شعر أثيث أي كثير واث الثبت يثبت إذا حشر وانتف واذنك انتمر ولا واحد للأثاث
كما انه لا واحد للمتع قال الشاعر

أَهَاجَتِكَ الطَّعْمَانِ يَوْمَ بَانُوا بِذِي الرَّثْبِيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ (٢)

= « الاعراب » =

قوله لا تعلمون شيئا في موضع نصب على الحال من الكاف والميم وقوله شيئا يجوز ان يكون منتصبا على
المصدر أي لا تعلمون علما ويجوز ان يكون مفعولا ويكون تعلمون بمعنى تعرفون لاقتصاره على مفعول واحد واثان
ومتاعا نصب بجعل اي يجعل لكم اثانا ومتاعا

= « المعنى » =

ثم عدد سبحانه نعماءه له آخر فقال (والله اخبركم من بطون امهاتكم) معنا عليكم بذلك وانتم لا تعلمون

(١) قائله امرى القيس ورواية الديوان «لا كالتى فى هواه» ونسبه فى التبيان والطبرى الى ابراهيم بن عمران
الانصارى . وقوله «ويلمها» مخفف «ويلامها» . (٢) قائله محمد بن نسير الثقفى . وفى بعض النسخ «الزى» و
رواية اللسان واشاقتك الطعمان اه .

شينا) من منافكم ومضاركم في تلك الحال (وجعل لكم السم والابصار والأفئدة) أي تفضل عليكم بالحواس الصحيحة التي هي طرق إلى العلم بالمدرجات وتفضل عليكم بالقلوب التي تفقهون بها الأشياء. إذ هي محل المعارف (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروه على ذلك وتحمدوه ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الدلائل بدلالة أخرى فقال (ألم تروا) أي ألم تفكروا وتنظروا (إلى الطير مسخرات في جو السماء) أي كيف خلقها الله خلقة يمكنها معها التصرف في جو السماء. صاعدة ومنحدرة وذاهبة وجائية مذلات للطيران في الهواء بأجنحتهم تطير من غير أن تعتمد على شيء (ما يسكنهن إلا الله) أي ما يسكنهن من السقوط على الأرض من الهواء إلا الله فيسكن الهواء تحت الطير حتى لا ينزل فيه كماسك الماء تحت السائح في الماء حتى لا ينزل فيه فجعل أمسك الهواء تحتها أمسكا لها على التوسع فأحسن سكنها في الجو وإنما هو فعلها للمعنى ألم تنظروا في ذلك فتعلموا أن لها مسخرا ومدبرا لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه شيء وأنه إنما خلق ذلك ليعتبروا به فيصلوا إلى الثواب الذي عرضهم له ولو كان فعل ذلك مجرد الانعام على العبيد لكان حسنا لكنه سبحانه وتعالى ضم إلى ذلك التعريض للثواب (إن في ذلك لآيات) أي دلالات على وحدانية الله تعالى وقدرته (لقوم يؤمنون) لأنهم الذين انتفعوا به ثم عدد سبحانه نعمها آخر في الآية الأخرى فقال (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) أي موصفا تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر والمدر وذلك أنه سبحانه خلق الحشب والمدر والآلة التي يمكن بها تسقيف البيوت وبنائها (وجعل لكم من جلود الأنعام) يعني الانطاع والادم (بيوتا تستخفونها) أي قبانا وخياما يخف عليكم حملها في أسفاركم (يوم ظننكم) أي ارتعالمكم من مكان إلى مكان وقيل معنى الظن سير أهل البوادي لنجمة أو حضور ماء أو طلب مرتع (ويوم اقامتكم) أي اليوم الذي تنزلون موضعا تقيمون فيه أي لا يتقل عليكم في الحالتين (ومن اصوافها) وهي للضأن (وأوبارها) وهي للابل (وأشعارها) وهي للمعز (أثانا) أي مالا عن ابن عباس وقيل نوعا من متاع البيت من الفراش والاكسية وقيل طنفس وبسطا وثيابا وكسوة والكل متقارب (ومتاعا) تتمتعون به ومعاشا تتجرون فيه (إلى حين) أي إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل إلى وقت الموت عن الكلبي ويحتمل أن يكون أراد به موت المالك أو موت الأنعام وقيل إلى وقت البلى والفناء وفيه إشارة إلى أنها فانية فلا ينبغي للعاقل أن يجتارها على نعيم الآخرة

قوله تعالى (٨١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِيلَ نَفِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسَلِمُونَ (٨٢) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٣) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٤) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٥) وَإِذَارَةُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ (خمس آيات)

✽ اللمة ✽

الأكنان جمع كَن وهو الموضع الذي يستتر صاحبه فيه ويقال كنت الشيء في كِنه أي صنهه واكننته أي أخفيت به وكل ما لبسته من قيص أو درع أو جوشن أو غيره فهو كَن قال الزجاج والعتب الموجدة يقال عتب عليه يعتب إذا وجد عليه فإذا فاورضه ما عتب عليه قالوا عاتبه وإذا رجع إلى مسرته قيل عتب والاسم العتبي وهو وجوع المتروك عليه إلى ما يرضي العاتب واستعبه طلب منه أن يعتب قال أبو مسلم الاستعتاب مأخوذ من العتاب

والعتب واصله دبع الاديم وهو عتابه وفي المثل إنما يعاتب الاديم ذو البشرة يقال عتبت على فلان واستعتبتة إذا أنكرت منه فعلا واستتلتته عنه وارتد اصلاحه واعتبك فلان إذا صار لك إلى ما تحب وزال عما تكره

✽ الإعراب ✽

فإن تولوا شرط وتقديره فإن تولوا لم يلزمك تقصير من أجل توليهم فإن الذي عليك هو البلاغ إلا أنه حذف الجزء ادلالة الكلام عليه . للذين كفروا في محل الرفع لوقوع الاذن عليه

— (المعنى) —

ثم عدد سبحانه نما آخر أضافها إلى ما عدده قبل من نعمه فقال (والله جعل لكم مما خلق) من الاشجار والابنية (ظلالات) أي أشياء تستظلون بها في الحر والبرد (وجعل لكم من الجبال اكنانا) أي مواضع تسكنون بها من كهوف وتقوب وتآوون اليها (وجعل لكم سراويل) أي قمصا من القطن والكتان والصفوف عن ابن عباس وقتادة (تقيكم الحر) ولم يقل وتقيكم البرد لأن ما وقى الحر وقى البرد وإنما خص الحر بذلك مع ان وقايتها البرد أكثر لأن الذين خوطبوا بذلك أهل حر في بلادهم فعاجتهم إلى ما يقى الحر أكثر عن عطا على ان العرب تكتفي بذكر احد الشيتين عن الآخر للعلم به كما قال الشاعر

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهَا يَلِينِي (١)

فكفى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه ذكره الغراء (وسراويل تقيكم بأسكم) يعني دروع الحديد تقيكم شدة الطعن والضرب وتدفع عنكم سلاح أعدائكم (كذلك) أي مثل ما جعل لكم هذه الاشياء وانعم بها عليكم (يتم نعمته عليكم) يريد نعمة الدنيا ويدل عليه قوله (لعلكم تلمنون) قال ابن عباس معناه لعلكم يا أهل مكة تعلمون انه لا يقدر على هذا غيره فتحدوه وتصدقوا رسوله (فإن تولوا فاننا عليك البلاغ المبين) هذا تسلية للأنبياء عليهم السلام ومعناه فان عرضوا عن الايمان بك يا محمد والقبول عنك وعن التدبير لما عدده في هذه السورة من النعم وبنيت فيها من الدلالات فلا عتب عليك البلاغ الظاهر وقد بلغت كما امرت والبلاغ الاسم والتبليغ المصدر مثل الكلام والتكليم ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) أي يعرفون نعم الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم واكمال عقولهم وخلق انواع المنافع التي ينتفعون بها لهم ثم انهم مع ذلك ينكرون تلك النعم ان تكون من جهة الله تعالى خاصة بل يضيفونها إلى الأوثان ويشكرون الأوثان عليها يقولون رزقنا ذلك بشفاعه آلهتنا فيشركونهم معه فيها وقيل ان معناه يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم وهو من نعم الله سبحانه ثم يكذبونه ويحدونه عن السدي (واكثرهم الكافرون) لأنها قال اكثرهم لأن منهم من لم تقم الحجة عليه إذ لم يبلغ حد التكليف نصره أو كان ناقص العقل مأوفا ولم تبلغه الدعوة فلا يقع عليه اسم الكفر وقيل انها ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه ان فيهم من يؤمن وقيل انه من الخاص في الصيغة العام في المعنى عن الجبائي وقريب منه قول الحسن أراد جميعهم الكافرون واناعدل عن البعض احتقاراً له ان يذكره وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة انه ليس لله تعالى على الكافر نعمة وان جميع ما فعله بهم إنما هو خذلان ونقمة لأنه سبحانه نص في هذه الآية على خلاف قولهم (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) يعني يوم القيامة بين سبحانه انه يبعث فيه من كل امة شهيدا وهم الأنبياء والمدول من كل عصر يشهدون على الناس بأعمالهم وقال الصادق (ع) لكل زمان وامة إمام تبعث كل امة مع إمامها وفائدة بعث الشهداء مع علم الله سبحانه بذلك ان ذلك اهل في النفس واعظم في تصور الحال وأشد في الفضيحة إذا قامت الشهادة بمحضرة الملائكة مع جلالة الشهود وبعدهم عند الله تعالى ولا أنهم إذا علموا ان المدول عند الله يشهدون عليهم بين يدي الخلائق فإن ذلك يكون زجراً لهم عن المعاصي وتقديره واذكر يوم نبعث (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أي لا يؤذن لهم

(١) قاله المثقب العبدى ومرجع الضمير في قوله «أيها» في بيت بعده وهو «الغدير الذي نالنيته بهام الشر الذي يبتغيني» .

في الكلام والاعتذار عن ابن عباس كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل معناه لا يؤذن لهم في الرجوع إلى الدنيا وقيل معناه لا يسمع منهم العذر يقال اذنت له أي استمعت كما قال عدي بن زيد
 في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ما ذی مشار (١)
 عن ابي مسلم (ولا هم يستعجبون) اي لا يسترضون ولا يستصلحون كما كان يفعل بهم في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف ومعناه لا يسألون ان يرضوا الله بالكف عن معصية يرتكبونها (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب) معناه إذا رأى الذين اشرکوا بالله تعالى النار (فلا يخفف عنهم) العذاب (ولا هم ينظرون) أي لا يجهلون ولا يؤخرون بل عذابهم دائم في جميع الأوقات فان وقت التوبة والندم قد فات

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله فان تولوا بما قبله انه سبحانه امر نبيه ﷺ ان يذكرهم بهذه النعم ويحتج عليهم بهذه الحجج فان اسلموا فذاك وان اعرضوا فلاشيء على الرسول فانما عليه البلاغ المبين فقط ووجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها وهي قوله ويوم نبث من كل امة شهيدا انها تتصل بقوله فانما عليك البلاغ لأن المعنى انا نجازيهم على اعمالهم يوم نبث من كل امة شهيدا وقال ابو مسلم انه عطف على قوله والله خلقكم ثم يتوفاكم يريد ثم يبعثكم يوم يبعث من كل امة شهيدا

قوله تعالى (٨٦) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هؤُلاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٧) وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الْمَسْمُومَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٨) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٩) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٩٠) إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَبُهْجِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ بِعِظَتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (خمس آيات)

﴿ اللغة ﴾

تقول القيت الشيء إذا طرحته واللقى الشيء الملقى والقيت إليه مقالة أي قتلها له وتلقاها إذا قبلها والسلام الاستسلام والانقياد والتبيان والبيان واحد - الأزهرى قال العرب تقول بينت الشيء تبيننا وتبيننا

﴿ المعنى ﴾

ثم ابان سبحانه عن حال المشركين يوم القيامة فقال (وإذا رأى الذين اشرکوا شرکاءهم) يعني الاصنام والشياطين الذين اشرکوا مع الله في العبادة وقيل سآهم شرکاءهم لأنهم جعلوا لهم نصيبا من الزرع والانعام ففهم إذا شرکواهم على زعمهم (قالوا ربنا هؤلاءِ شرکائنا الذين كنا ندعوا من دونك) اي يقولون هؤلاءِ شرکائنا التي اشرکناها معك في الإلهية والعبادة واضلونا عن دينك فحملهم بعض عذابنا (فألقوا إليهم القول انکم لکاذبون) معناه فقالت الأصنام وسائر ما كانوا يعبدونه من دون الله بانطاق الله تعالى إياهم لهؤلاء انکم لکاذبون في انا امرناکم بعبادتنا وانکنکم اختتم الضلال بسوء اختيارکم لأنفسکم وقيل انکم لکاذبون في قولکم انا آلهة والقائم المعنى إلى النفس اظهارها حتى تدرکه متحيزاً عن غيره (والقوا إلى الله يومئذ السلم) معناه

واستسلم المشركون وما عبدوهم من دون الله لأمر الله وانقادوا لحكمه يومئذ عن قتادة وقيل معناه ان المشركين زال عنهم نخوة الجاهلية وانقادوا قسرا لا اختيارا واعتقروا بما كانوا ينكرونه من توحيد الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي بطل ما كانوا يأملونه ويتمنون من الأمان الكاذبة من ان آلهتهم تشفع لهم وتنفع (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أي عرضوا عن دين الله وقيل صدوا غيرهم عن اتباع الحق الذي هو سبيل الله وقيل صدوا المسلمين عن البيت الحرام عن ابي مسلم (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) أي عذبناهم على صدقهم عن دين الله زيادة على عذاب الكفر وقيل زدناهم الأفاعي والمقارب في النار لما اتياها كالنخل الطوال عن ابن مسعود وقيل هي انهار من صفر مذاب كالنار يعذبون بها عن ابن عباس ومقاتل وقيل زيدوا حيات كأمثال الفيلة والبخت وعقارب كالبغال الدم عن سعيد بن جبیر (ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) أي من امثالهم من البشر ويجوز ان يكون ذلك الشهيد نبيهم الذي ارسل اليهم ويجوز ان يكون المؤمنون العارفين يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي وفي هذا دلالة على ان كل عصر لا يجوز ان يخلو ممن يكون قوله حجة على أهل عصره وهو عدل عند الله تعالى وهو قول الجبائي واكثر اهل العدل وهذا يوافق ما ذهب اليه اصحابنا وان خالفوهم في ان ذلك العدل والحجة منه هو (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يريد على قومك وامتك وانما افردته بالذكر تشريفا له وتم الكلام هاهنا ثم قال سبحانه (وتزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيان لكل شيء) أي بيانا لكل امر مشكل ومعناه ليبين كل شيء يحتاج اليه من امور الشرع فإنه ما من شيء يحتاج الخلق اليه في امر من امور دينهم إلا وهو مبين في الكتاب اما بالتنصيص عليه او بالاحاطة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ والحجج القائمين مقامه أو اجماع الأمة فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفادا من القرآن (وهدي ورحمة) أي ونزلنا عليك القرآن دلالة إلى الرشد ونعمة على الخلق لما فيه من الشرائع والاحكام ولأنه يؤدي إلى نعم الآخرة (وبشرى للمسلمين) اي بشارة لهم بالثواب الدائم والنعيم المقيم (ان الله يأمر بالعدل) وهو الانصاف بين الخلق والتعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل ولا عوج (والاحسان) إلى الناس وهو التفضل ولفظ الاحسان جامع لكل خير والاغلب عليه استعماله في التبرع بايتاء المال وبذل السعي الجميل وقيل العدل التوحيد والاحسان أداء الفرائض عن ابن عباس وعطاء وقيل العدل في الأفعال والاحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول إلا ما هو حسن وقيل العدل ان ينصف وينتصف والاحسان ان ينصف ولا ينتصف (وإيتاء ذي القربى) أي ويأمرهم باعطاء الأقارب حقهم بصلتهم وهذا عام وقيل المراد بذوي القربى قرابة النبي ﷺ والذين ارادهم الله بقوله فإن الله خمسته وللرسول ولذوي القربى على ما مر تفسيره وهو المروي عن ابي جعفر (ع) قال نحن هم (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) انما جمع بين الأوصاف الثلاثة في النهي مع ان الكل منكر فاحش ليعين بذلك تفصيل ما نهى عنه لأن الفحشاء قد يكون ما يفعله الإنسان في نفسه من القبيح مما لا يظهره والمنكر ما يظهره للناس مما يجب عليهم انكاره والبغى ما يتناول به من الظلم لغيره وقيل ان الفحشاء الزنا والمنكر ما ينكره الشرع والبغى الظلم والكبر عن ابن عباس وقيل ان العدل استواء السرية والعلانية والاحسان ان تكون السرية أحسن من العلانية والفحشاء والمنكر ان تكون العلانية أحسن من السرية عن سفيان بن عيينة (يعظكم لعلكم تذكرون) معناه يعظكم بما تضمنت هذه الآية من مكارم الأخلاق لكي تتذكروا وتفكروا وترجعوا إلى الحق قال عبد الله بن مسعود هذه الآية أجمع آية في كتاب الله للخير والشر قال قتادة أمر الله سبحانه بمكارم الأخلاق ونهاهم عن سفاسف الاخلاق وجاءت الرواية ان عثمان بن مظعون قال كنت اسلمت استحياء من رسول الله ﷺ لكثرة ما كان يعرض علي الإسلام ولم يقر الإسلام في قلبي فكنت ذات يوم عنده حال تأمله فشيخص بصره نحو السماء كأنه يستفهم شيئا فلما سري عنه سألته عن حاله فقال نعم بينا أنا أحدثك إذ رأيت جبرائيل في الهواء فأتاني بهذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقرأها علي إلى آخرها فقرأ

الإسلام في قلبي واتييت عمه ابا طالب فأخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمدا ^{صلى الله عليه وسلم} ترشدوا فإنه لا يأمركم إلا بمكارم الأخلاق واتييت الوليد بن المغيرة وقرأت عليه هذه الآية فقال ان كان محمد قاه فنعم ما قال وان قاه ربه فنعم ما قال قال فأنزل الله أفرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى يعني قوله فنعم ما قال ومعنى قوله واكدى انه لم يقم على ما قاله وقطعه وعن عكرمة قال ان النبي ^{صلى الله عليه وسلم} قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد فأعاد فقال ان له خلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لشمع وان اسفله لمغلق وما هو قول البشر

✽ النظم ✽

وجه اتصال قوله وتزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بما قبله انه سبحانه لما بين ان الانبياء تشهد على أمهم يوم القيامة بين عقبيه انه سبحانه قد كلف الجميع وازاح عنهم في التكليف بأن أنزل القرآن بما فيه من البيان والهداية والرحمة والبشارة لأهل الإيمان وانهم إذا عوقبوا فانما اتوا في ذلك من قبل نفوسهم وهذا كله مما يدخل في الشهادة ووجه اتصال قوله ان الله يأمر بالعدل الآية بما قبله انه سبحانه لما ذكر القرآن بين عقبيه ما يأمر به وينهى عنه فيه وقيل انه يتصل بقوله ويوم نبث كأنه قال بعد ذكر القيامة والشهود انه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم فاعلموا انه سبحانه لا يظلم احدا بل يعدل ويفضل ولذلك جاء بالشهود ليشهدوا على امهم انهم اتوا فيما لا قوة من العذاب من قبل انفسهم

قوله تعالى (٩١) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ (٩٢) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٣) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَ نَكْمٍ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (أربع آيات)

✽ اللفظة ✽

التوكيد التشديد واوكد عقدك أي شدة وهي لفة أهل الحجاز وأهل نجد يقولون اكدت تأكيدا والانكاث الانقاض واحدها نكث والنكث المصدر وهذا قول لا نكثة فيه أي لا خلف وكل شيء نقض بعد الثقل فهو انكاث جبلا كان او غزلا والجل منتكث أي منقبض ومنه سموا من تابع الإمام طائفا ثم خرج عليه نكاثا لأنه نقض ما وكد على نفسه بالإيمان والمهود كفعل الناكثة غزها والدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقيل الدخل الدغل والحديمة وانما قيل الدخل لأن داخل القلب على ترك الرفاء والظاهر على الرفاء قال ابو عبيدة كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل وكل ما دخله عيب فهو مدخول واربي افعل من الربا وهو الزيادة ومنه الربوة والربا في المال واربي فلان للزيادة التي تريدها على عزيزة في رأس ماله قال الشاعر

وَأَسْمَرَ حَظِييَ كَانَ كَعُوبَهُ نَوَى الْقَسْبِ قَدَارِي ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ (١)

✽ الاعراب ✽

انكاثا منصوب لأنه في معنى المصدر دخلا بينكم منصوب لأنه مفعول له والمعنى تتخذون ايمانكم للدخل

(١) البيت منصوب الى حاتم الطائي والظي : الرميح النسوب الى الخط وهو موضع باليامة والقسم : نوع من الثمر اليابس ونواه اصلب النوى وفي بعض الكتب «ارمي» بالميم وارمي واربي لفتان . يصف الشاعر رمحا وشبه كعوبه بنوى القسب .

والنفس وقوله ان تكون امة على تقدير بان تكون امة وهي اربى موضع اربى رفع مبتدأ وخبر وكلامها في محل نصب بانه خبر كان وقال الفراء ان موضع اربى نصب وهي عماد وهذا لا يجوز لان الفصل الذي يسميه الكوفيون عمادا لا يدخل بين النكرة وخبره وقد اخطأ أيضا بان شبه ذلك بقوله تجدوه عند الله هو خيرا فان الهاء في تجدوه معرفة وهاهنا امة نكرة فلا يشبه ذلك ويجوز ان تكون الجملة صفة لا امة ولا يحتاج تكون إلى خبر لانه بمعنى يحدث ويقع وامة فاعله وتقديره كراهة ان تكون فهو مفعول له وثلاثا يكون عند الكوفيين

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الأمر بالعدل والاحسان والنهي عن المنكر والمدوان عقبه سبحانه بالأمر بالوفاء بالعهد والنهي عن نقض الأيمان فقال (وارفوا بهد الله إذا عاهدتم) قال ابن عباس الوعد من العهد وقال المفسرون العهد الذي يجب الوفاء به والوعد هو الذي يحسن فعله وعاهد الله ليفعله فإنه يصير واجبا عليه (ولا تنقضوا الأيمان بعدتوكيدها) هذا نهى منه سبحانه عن نكث الأيمان وهو ان ينقضها بخلافه موجبها وارتكاب ما يخالف عقدها وقوله بعدتوكيدها أي بعد عقدها وبراءها وتوثيقها باسم الله تعالى وقيل بعد تشديدها وتغليظها بالعزم والمقد على اليمين بخلاف لغو اليمين عن ابي مسلم (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي حسيبا فيما عاهدتموه عليه وقيل كفيلا بالوفاء وذلك ان من حلف بالله فكأنه اكفل الله بالوفاء بما حلف وقيل انه قولهم الله علي كفيل أو وكيل وقيل أراد به ان الكفيل بالشئ يكون حفيظا له والانس انما يؤكد الأمر على نفسه بذكر اسم الله تعالى على جهة اليمين ليحفظ سبحانه ذلك الامر (ان الله يعلم ما تفعلون) من نقض العهد والوفاء به فإياكم ان تلقوه وقد نقضتم وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا النبي ﷺ على الاسلام فقال سبحانه للمسلمين الذين بايعوه لا يحملنكم قلة المسلمين وكثرة المشركين على نقض البيعة فإن الله حافظكم أي اثبتوا على ما عاهدتم عليه الرسول واكذبتموه بالأيمان وقيل نزلت في قوم خالفوا قوما فبجاءهم قوم وقالوا نحن أكثر منهم واعز واقوى فانقضوا ذلك العهد وخالفونا (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) أي لا تكونوا كالامراة التي غزلت ثم نقضت غزلها من بعد امرار وقتل للفزل وهي امرأة حمقاء من قريش كانت تنزل مع جواربها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن ان ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها واسمها ربيعة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة وكانت تسمى خرقاء مكة عن الكلبي وقيل انه مثل ضربه الله تعالى شبه فيه حال ناقض العهد بمن كان كذلك (انكاثا) جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث وينقض لينزل ثانية (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) أي دخلا وخيانة ومكرا وذلك انهم كانوا يخلفون في عهودهم ويضرون الحيانة وكان الناس يسكنون إلى عهدهم ثم ينقضون العهد فقد اتخذوا ايمانهم مكرا وخيانة (ان تكون امة هي اربى من امة) أي لا تنقضوا العهد بسبب ان يكون قوم أكثر من قوم زامة اعلى من امة ولاجل ذلك وتقديره ولا تنكثوا ايمانكم متخذوها دغلا وغدرا وخديعة لمداراتكم قوما هم أكثر عددا ممن حلفتم له ولقلتمكم وكثرتهم بل عليكم الوفاء بما حلفتم والحفظ لما عاهدتم عليه (انما يبلوكم الله به) أي انما يختبركم الله بالأمر بالوفاء والهاء في به عائدة على الامر وتحقيقه انه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بحسب العمل (وليبين) أي وليفصلن (لكم يوم القيامة ما كنتم فيه) أي في صحته (تتخلفون) وليظهرن لكم حكمه حتى يعرف الحق من الباطل (ولو شاء لجمعكم امة واحدة) أي لجمعكم مهتدين يعني به مشيئة القدرة كما قال واو شاء الله لجمعهم على الهدى (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان او بالحكم عليه بالضلال (ويهدي من يشاء) بالترفيق وبالحكم عليه بالهداية وقد ذكرنا معاني الضلال والهدى في سورة البقرة (ولتستلن عما كنتم تعملون) من الطاعات بالمعاصي فستجازون على كل منها بقدرة (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) نهى سبحانه عن الحلف على امر يكون باطنه بخلاف ظاهره فيضمر خلاف ما يظهر أي يضر الخلف

والحنث فيه (فنزل قدم بعد ثبوتها) هذا مثل ضربه الله تعالى ومعناه فضلوا عن الرشد بعد ان تكونوا على هدى يقال زل قدم فلان في امر كذا اذا عدل عن الصواب وقيل معناه فيسخط الله عليكم بعد رضاه عنكم لأن ثبات القدم تكون برضاه الله سبحانه ووزلة القدم تكون بسخطه وقيل انها نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته الا سلام وأهله فنهبوا عن نقض ذلك (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله) أي تذوقوا العذاب بما منعتم الناس عن اتباع دين الله (ولكم) مع ذلك (عذاب عظيم) يريد عذاب الآخرة وروى عن سلمان الفارسي « ره » انه قال تهلك هذه الأمة بنقض موثيقها وروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال نزلت هذه الآيات في ولاية علي (ع) وما كان من قول رسول الله ﷺ سَلِمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله ولو شاء الله لجلكم امة واحدة الآية بما قبله انه اخبر في الآية المتقدمة انه يبين لهم في الآخرة الحق من الباطل والمحق من المبطل بيان ضرورة فأخبر عقيب ذلك انه يقدر على ذلك أيضا في الدنيا ولكنه لم يفعل ذلك ليستحق الناس الثواب بأعمالهم

قوله تعالى (٩٥) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٦) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٨) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٩) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (١٠٠) إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (ست آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابن كثير وعاصم ولنجزين بالنون والباقون بالياء وروى عياش عن ابي عمرو بالنون ايضا

﴿ الحجة ﴾

حجة الياء وما عند الله باق والنون في المعنى مثل الياء

﴿ اللفظ ﴾

النفاد الفناء ونقد الشيء بنقد نفاذاً اذا فني وانفد القوم اذا فني زادهم ونافدت الرجل مثل حاكته ومعناه يرجع إلى ان كل واحد من الخصبين يريد نفاذ حجة الآخر ومنه الحديث ان نافدتهم نافدوك ومن الناس من يرويه بالقاف والمعنى ان قلت قالوا لك والباقي هو الموجود المستمر وجوده وقيل الموجود عن وجود من غير فصل وضمه الغائي وهو المدوم بعد الوجود واختلاف المتكلمون في الباقي فقال البلخي انه يبقى بمعنى هو بقاء وقال الاكثرون لا يحتاج إلى معنى به يبقى والبقاء هو استمرار الوجود والاستمادة طلب المماذ استعمال من العوذة والمباذ والله سبحانه معاذ من عاذبه وقال النبي ﷺ للترأة التي قالت له اعوذ

بالله منك لقد عدت بماذا فالحي بأهلك واصل السلطان من التسلط وهو القهر وانما سميت الحجة سلطانا لأن
الخصم به يقهر وقبل اشتق من السليط وهو دهن الزيت وسميت الحجة سلطانا لاضاءتها وفي الحديث عن
ابن عباس رأيت عليا وكان عينه سراجا سليط

✽ الاعراب ✽

ما عند الله اسم ان وهو فصل وخير وخبره وما عندكم مبتدأ وينفد خبره وكذلك ما عند الله باق وانما
قال ولنجزينهم بلفظ الجمع لأن لفظ من يقع على الواحد والجمع فرد الضمير على المعنى

— النزول —

قال ابن عباس ان رجلا من حضرموت يقال له عبدان الاشرع قال يا رسول الله ان امرأ القيس
الكندي جاورني في ارضي فاقطع من ارضي فذهب بها مني والقوم يعلمون اني لصادق ولكنه اكرم
عليهم مني فسأل رسول الله ﷺ امرأ القيس عنه فقال لا أدري ما يقول فأمره ان يحلف فقال عبدان
انه فاجر لا يبالي ان يحلف فقال ان لم يكن لك شهود فخذ بيمينه فلما قام ليحلف انظره فانصرفا فنزل قوله
ولا تشتروا بعهد الله الآياتان فلما قرأهما رسول الله ﷺ قال امرو القيس اما ما عندي فينفذ وهو صادق
فيا يقول لقد اقطعت ارضه ولم أدر كم هي فليأخذ من ارضي ما شاء ومثلها معها بما اكلت من ثمرها فنزل
فيه ومن عمل صالحا الآية

✽ المعنى ✽

لما تقدم النهي عن نقض العهد أكد سبحانه فقال (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) اي لا تخالفوا عهد الله
بسبب شيء يسير تنالونه من حطام الدنيا فذكرونا قد بتم عظيم ما عند الله بالشيء الحقير (ان ما عند الله هو خير
لكم) معناه ان الذي عند الله من الثواب على الوفاء بالعهود خير لكم واشرف مما تأخذونه من عرض الدنيا على
نقضها فإن القليل الذي يبقى خير من الكثير الذي يفتى فكيف بالكثير الذي يبقى في مقابلة القليل الذي
يفنى (ان كنتم تعملون) الفرق بين الخير والشر والتفاوت الذي بين القليل والفاني والكثير الباقي (ما عندكم
ينفذ وما عند الله باق) بين سبحانه بهذا ان العاة التي لأجلها كان الثواب خيرا من متاع الدنيا هو ان الثواب
الذي عند الله يبقى والذي عندكم من نعيم الدنيا يفنى ثم اخبر سبحانه انه يجزي الصابرين فقال (ولنجزين الذين
صبروا) اي لنكافئن الذين ثبتوا على الطاعات وعلى الوفاء بالعهود (اجرهم) وثوابهم (باحسن ما كانوا يعملون)
اي بالطاعات من الواجبات والمندوبات فإن افعال المكلف قد تكون طاعة وقد تكون مباحا لا يقع الجزاء
عليه ولا يستحق عليه اجر ولا حمد فلذلك قال سبحانه باحسن فإن الطاعة احسن من المباح وهذا يدل على فساد
قول من يقول انه لا يكون حسن احسن من حسن (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن) هذا وعدم
الله سبحانه اي من عمل عملا صالحا سواء كان ذكرا او انثى وهو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد الله مقرر بصدق
انبيائه (فلنجينه حياة طيبة) قيل فيه اقوال ✽ احدها ✽ ان الحياة الطيبة الرزق الحلال عن ابن عباس وسعيد
بن جبير وعطاء ✽ وثانيها ✽ انها القناعة والرضا بما قسم الله عن الحسن ووهب وروي ذلك عن النبي ﷺ
✽ وثالثها ✽ انها الجنة عن قتادة ومجاهد وابن زيد قال الحسن لا يطيب لأحد حياة الا في الجنة وقال ابن زيد
الا ترى الى قوله يا ليتني قدمت حياتي ✽ ورابعها ✽ انها رزق يوم يوم ✽ وخامسها ✽ انها حياة طيبة في القبر
(ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) مر تفسيره وإنما كرره تأكيداً (فاذا قرأت القرآن فاستمع
بالله من الشيطان الرجيم) معناه اذا اردت يا محمد قراءة القرآن فاستمع بالله من شر الشيطان المرجوم المطرود

الملعون وهذا كما يقال اذا اكلت فاغسل يديك واذا صليت فكبر ومنه اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم والاستعاذة استدفاع الاديء بالأعلى على وجه الخضوع والتذلل وتأويله استعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل وفي التأويل من الخطل والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارج الصلاة وقد تقدم ذكر اختلاف القراء في لفظ الاستعاذة في اول الفاتحة (انه) يعني الشيطان (ليس له سلطان) اي تسلط وقدرة (على الذين آمنوا) بالله (وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى انه لا يقدر على ان يكرههم على الكفر والمعاصي وقيل معناه ليس له حجة على ما يدعوههم اليه من المعاصي عن فتادة (إنما سلطانه على الذين يتولونه) معناه إنما تسلطه على الذين يطيعونه فيقبلون دعاءه ويتبعون اغواءه (والذين هم به) اي بسبب طاعته (مشركون) بالله وقيل معناه والذين هم بالله مشركون اي بشركون مع الله سبحانه غيره في العبادات عن مجاهد

﴿ النظر ﴾

اتصل قوله فإذا قرأت القرآن الآيات بما قدمه سبحانه من الأمر بالطاعات فعقب ذلك بالاستعاذة من الشيطان الأمر بالمعاصي تحذيراً منه وإنما خص القرآن لأن القرآن هو العمدة في جميع أمور الدين وقيل اتصل بقوله وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ثم اعترض ذكر الأوامر والنواهي ثم عاد الكلام الى ذكر القرآن والأمر بالاستعاذة عند قراءته

قوله تعالى (١٠١) وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠٢) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٣) وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٤) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٥) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ بلحَدون بفتح الياء والحاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء وروي في الشواذ عن الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بالالف واللام

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ بلحَدون قوله ومن يرد فيه بلحاد ومن قرأ بلحَدون فلأن لحد لغة في الحد وذلك اذا مال ومنه أخذ اللحد لأنه في جانب القبر ويكون الضم ارجح من حيث لغة التنزيل

﴿ اللفظة ﴾

التبديل في اللفظة رفع الشيء مع وضع غيره مكانه يقال بدله وابدله واستبدل به بمعنى واللسان العضو المعروف ويقال للغة اللسان وتقول العرب للقصيدة هذه لسان فلان قال الشاعر

لِسَانَ السُّوءِ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا وَحَدَّتْ وَمَا حَسِبْتُكَ أَنْ تَجِينَنَا (١)

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه مخبراً عن احوال الكفار (واذا بدلنا آية مكان آية) معناه واذا نسخنا آية وآتينامكانها آية

اخرى إمانسخ الحكم والتلاوة وإمانسخ الحكم مع بقاء التلاوة (والله اعلم بما ينزل) معناه والله اعلم بمصالح ما ينزل
 فينزل كل وقت ما توجه المصلحة وقد تختلف المصالح باختلاف الاوقات كما تختلف باختلاف الاجناس والصفات
 (قالوا انما انت مفتر) اي قال المشركون انما انت كاذب على الله قال ابن عباس كانوا يقولون يسخر محمد
 باصحابه بأمرهم اليوم بأمر وغدا بأمرهم بأمره الكاذب بأتهم بما يقول من عند نفسه (بل اكثرهم لا يعلمون)
 اية لا يعلمون انه من عند الله او لا يعلمون جواز النسخ ولا أي سبب ورد النسخ (قل) يا محمد (نزل روح
 القدس) اي انزل النسخ جبرائيل (ع) (من ربك بالحق) اي بالأمر الحق الصحيح الثابت (ليثبت الذين
 آمنوا) بما فيه من الحجج والآيات فيزدادوا تصديقا وبقينا ومعنى تثبيته استدعاؤه لهم بالطاعة ومعه ته الى الثبات
 على الايمان والطاعة (وهدي) اي وهو هدى فيكون هدى خبر مبتدأ محذوف (وبشرى للمسلمين) اي
 بشاره لهم بالجنة والثواب (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) يقول سبحانه انا نعلم ان الكفار يقولون
 ان القرآن ليس من عند الله وإنما يعلم النبي ﷺ بشر قال ابن عباس قالت قريش انما يعلمه بلعام وكان
 قينا بمكة روميا نصرانيا وقال الضحاك اراد به سلمان الفارسي (ره) قالوا انه يتعلم القصص منه وقال مجاهد
 وقتادة ارادوا به عبداً لبني الحضرمي روميا يقال له يعيش او عائش صاحب كتاب اسلم وحسن اسلامه وقال
 عبد الله بن مسلم كان غلامان في الجاهلية نصرانيان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار واسم الآخر
 خير كانا صيقلين يقرآن كتابا لهما بلسانهما وكان رسول الله ﷺ ربما مرَّ بهما واستمع لقراءتهما فقالوا
 انما يتعلم منهما ثم الزمهم الله تعالى الحجة واكذبهم بأن قال (لسان الذي يلحدون اليه اعجمي) اي لغة
 الذي يضيفون اليه التلميم ويملون اليه القول اعجمية ولم يقل اعجمي لأن المعجمي هو المنسوب الى العجم
 وإن كان فصيحاً والاعجمي هو الذي لا يفصح وان كان عربياً الا ترى ان سبويه كان عجمياً وان كان لسانه
 لسان اللغة العربية وقبل يلحدون اليه يرمون اليه ويرغمون انه يعلمك اي لسان هذا البشر الذي يزعمون انه
 يعلمك اعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في اعلى طبقات البيان (وهذا) القرآن
 (لسان عربي مبين) اي ظاهر مبين لا يشكك يعني اذا كانت العرب تمجز عن الاتيان بمثله وهو بلقمتهم
 فكيف يأتي الأعجمي بمثله قال الزجاج وصفه بأنه عربي اي صاحبه يتكلم بالعربية ثم اتبع سبحانه هذه
 الآية بذكر الوعيد للكفار على ما قالوه فقال (ان الذين لا يؤمنون بأيات الله) اي بحجج الله التي اظهرها
 والمعجزات التي صدق بها قومك يا محمد (لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم) اي لا يشبههم الله على الايمان ولا يهديهم الى
 طريق الجنة بدلالة انه انما نفى هداية من لا يؤمن فالظاهر انه اراد بذلك الهدى الذي يكون ثوابا على الايمان
 لا الهداية التي في قوله فاما ثمود فهديناهم ثم بين سبحانه ان هؤلاء هم المفترون فقال (انما يفترى الكذب
 الذين لا يؤمنون بأيات الله) اي انما يفترون الكذب الذين لا يصدقون بدلائل الله تعالى دون من آمن
 بها لأن الايمان يحجز عن الكذب (وأولئك هم الكاذبون) لا انت يا محمد فخصر فيهم الكذب بمعنى ان
 الكذب لازم لهم وعادة من عاداتهم وهذا كما تقول كذبت وانت كاذب فيكون قولك انت كاذب
 زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية زجر عن الكذب حيث اخبر سبحانه انه انما يفترى الكذب من
 لا يؤمن وقد روي مرفوعا انه قيل يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن
 يسرق قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يكذب قال لا ثم قرأ هذه الآية

(النظم) =

قيل في اتصال قوله وإذا بدلنا آية مكان آية بما تقدم وجوان ~~احدهما~~ ~~من تمام صفة أولياء الشيطان~~

المذكورين في قوله على الذين يتولونه وتقديره يتولون الشيطان ويشركون بالآية المنزلة ويقولون عند تبديل الآية مكان الآية الأخرى انما انت مفتر * والآخر * ان الآية منقطعة عما قبلها وهي معطوفة على الآي المتقدمة التي فيها وصف أفعال الكافرين والاول اوجه

قوله تعالى (١٠٦) مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٩) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١١٠) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا أَنْهُمْ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (خمس آيات)

* القراءة *

قرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء والباقون فتينوا بضم الفاء وكسر التاء

* اخبة *

قال ابو علي حجة من قرأ فتينوا ان الآية في المستضعفين المقيمين الذين كانوا بمكة وهم صهيب وعمار وبلال فتنوا وحملوا على الارتداد عن دينهم فمنهم من اعطى التقية وعمار منهم فانه من اظهر ذلك تقية ثم هاجر ومن قرأ فتينوا فيكون على معنى فنن نفسه باظهار ما اظهر من التقية فكأنه يحكي الحال التي كانوا عليها من اظهار ما اخذوا به من التقية لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد وهي قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الى قوله الا المستضعفين وقوله من كفر بالله من بعد إيمانه الا من اكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان

(الاعراب) —

قال الزجاج قوله من كفر بالله في موضع رفع على البدل من الكاذبين وهو تفسير للكاذبين ولا يجوز ان يكون رفا بالابتداء لأنه لا خبر هاهنا للابتداء فإن قوله من كفر بالله من بعد إيمانه الا من اكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان ليس بكلام تام وقوله فعليهم غضب من الله خبر قوله من شرح بالكفر صدرا وقال الكوفيون من كفر شرط وجوابه يدل عليه جواب من شرح فكأنه قيل من كفر فعليه غضب من الله وهذا كفولهم من يأتنا فن يجوز نكرمه فجواب الأول محذوف وقوله انهم في الآخرة هم الخاسرون يجوز ان يكون في موضع رفع على ان يكون قوله لا من لا جرم رد للكلام والمعنى وجب انهم ويجوز ان يكون في موضع نصب على ان يكون المعنى جرم فعلهم هذا انهم الخاسرون وتكون لا مزيدة ويجوز ان يكون معناه لا بد انهم فيكون على حذف الجار اي لا بد من ذلك ثم ان ربك . خبر ان قوله غفور رحيم وهذا من باب ما جاء في التنزيل ان فيه مكررا وكذلك الآية التي تأتي بعد ثم ان ربك للذين عملوا سوء الآية

* النزول *

قيل نزل قوله الا من اكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان في جماعة اكرهوا وهم عار وياسر ابوه وامه سمية

وصهيب وبلال وخباب عذبوا وقتل أبو عمار وامة واعطاهم عمار بلثانه ما أرادوا منه ثم اخبر سبحانه بذلك رسول الله ﷺ فقال قوم كفر عمار فقال ﷺ كلا ان عمارا مليا إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه وجاء عمار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال ﷺ ما وراءك فقال شرير رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت الآية عن ابن عباس وقتادة وقيل نزلت في اناس من اهل مكة آمنوا وخرجوا يريدون المدينة فأدركهم قريش وفتنهم فتكلموا بكلمة الكفر كارهين عن مجاهد وقيل ان ياسرا وسمية ابوي عمار اول شهيدين في الاسلام وقوله من كفر بالله ومن شرح بالكفر صدرا وهو عبد الله بن سعد ابن ابي سرح من بني عاصم بن لؤي واما قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الآية فقيل انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الرضاة وابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة وغيرهم من أهل مكة ففتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ثم انهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا فنزلت الآية فيهم

✽ المعنى ✽

(من كفر بالله من بعد إيمانه) اختلف في تقديره فقيل ان تقديره وتلخيص معناه من كفر بالله بأن يرثد عن الإسلام وشرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (إلا من اكره) فتكلم بكلمة الكفر على وجهه التقية مكرها (وقلبه مطمئن) أي ساكن (بالإيمان) ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك وقيل انه يتصل بما تقدم فعناه انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ثم استثنى من ذلك من اكره على ذلك وكان مطمئن القلب إلى الإيمان في باطنه فإنه بخلافه (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي من اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به (فعليهم غضب من الله) وله العذاب في الآخرة ثم اشار سبحانه إلى العذاب العظيم فقال (ذلك بأنهم استحبوا) أي آثروا (الحياة الدنيا) والتلذذ فيها والركون اليها (على الآخرة) عنى بذلك انهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلبا لها دون طلب الآخرة (وان الله لا يهدي القوم الكافرين) قد سبق معناه (أو أوثك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) قد سبق معنى الطبع على القلوب والسمع والأبصار في سورة البقرة (وأوثك هم الغافلون) وصفهم بعموم الغفلة مع ان الخواطر تزعمهم لجهلهم عما يؤدبهم اليه حالهم في الآخرة وقيل اراد انهم بمنزلة الغافلين فيكون تهجينا لهم وذما ثم قال (لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون) هذا تأكيد لحكم الخسار عليهم يعني انهم هم المغبونون إذ حرموا الجنة ونعيمها وعذبوا في النار (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) أي عذبوا في الله وارتدوا على الكفر فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم (ثم جاهدوا) مع النبي ﷺ (وصبروا) على الدين والجهاد (ان ربك من بعدها) أي من بعد تلك الفتنة أو تلك الغفلة التي فعلوها من التفوه بكلمة الكفر (لنفور رحيم)

✽ النظم ✽

واتصلت هذه الآية الأخيرة بقوله إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان فيبين سبحانه حالهم بعد ما تخلصوا من المشركين وهاجروا وجاهدوا عن ابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر الخاسرين اتبعه سبحانه بذكر من رحمتهم صفتهم وهو من هاجر وجاهد

قوله تعالى (١١١) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَبَاجُدُ لِعَنِّ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ (١١٢) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٤) فَكُلُّوا مِنْهَا رِزْقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٥) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (خمس آيات)

(- القراءة -)

قرأ عباس بن الفضل عن ابي عمرو والخوف بالنصب والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة الأعرج وابن يمر وابن اسحاق وعمرو بن نعيم بن ميسرة لما نصف الستم الكذب بالجر وقراءة مسلم بن محارب الكذب

(- الحجة -)

من قرأ والخوف بالنصب فإنه حمله على الاذاقة والخوف لا يذاق على الحقيقة فحمله على اللباس اولى وقوله والكذب بالجر يكون على البدل من ما نصف واما الكذب فهو وصف الاستهوه وجمع كاذب أو كذوب

❖ اللغة ❖

الأنعم جمع نعمة فهو مثل شدة واشد وقيل ان واحدها نعم فهو كفصن واغصن وقيل واحدها نعماء فيكون كبأساء وأبوئس وقوله أذاقها الله استمارة تقول العرب اركب هذا الفرس وذقه اي اختبره قال الشياخ

فَذَاقَ فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا كَفَىٰ وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السِّهْمَ حَاجِزًا (١)
يصف قوسا وقال الآخر

وَإِنَّ اللَّهَ ذَاقَ حُلُومَ قَيْسٍ فَلَمَّا رَأَىٰ خِفَتَهَا قَلَّهَا (٢)
❖ الاعراب ❖

يوم تأتي منصوب على احد شيئين اما على معنى ان ربك لغفور رحيم يوم تأتي واما ان يكون على معنى العظة والتذكير أي اذ كر يوم تأتي عن الزجاج

(- المعنى -)

(يوم تأتي كل نفس) أراد به يوم القيامة (تجادل عن نفسها) أي تخاصم الملائكة عن نفسها وتحتج بما ليس فيه حجة وتقول والله ربنا ما كنا مشركين ويقول اتباعهم ربنا هو لا، اضلونا فأتهم عذابا ضعفا من النار ويحتمل ان يكون المراد انها تحتج عن نفسها بما تقدر به ازالة العقاب عنها (وتوفى كل نفس ما عملت) أي جزاء ما عملت من خير وشر (وهم لا يظلمون) في ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي مثل قرية (كانت آمنة) أي ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يفار عليهم (مطمئنة) قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف او ضيق (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) أي يحمل اليها الرزق الواسع من كل موضع ومن كل بلد كما قال سبحانه يبجي إليه ثمرات كل شيء (فكفرت بأنعم الله) أي فكفر اهل تلك القرية بأنعم الله ولم

(١) اغرق السهم: بالغ في نزعه وقوله «حاجز» أي لها حاجز يمنع من اغراق أي فيها لين وشدة وفي المنقول عن الاساس «لها ولها ان يفرق» وفي اللسان «ان يفرق النبل» (٢) راء لغة في راي.

يؤدوا شكرها (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) أي فأخذهم الله بالجوع والخوف بصنيعهم وسوء فعلهم وسمى اثر الجوع والخوف لباساً لأن اثر الجوع والهزال يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس وقيل لأنهم شملهم الجوع والخوف كما يشمل اللباس البدن وقيل ان هذه القرية هي مكة عن ابن عباس ومجاهد وقيادة عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى اكلوا القذ والمهز وهو الوبر يخلط بالدم والقراد ثم يؤكل وهم مع ذلك خائفون وجلون من النبي ﷺ واصحابه يغيرون عليهم قوافلهم وذلك حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف وقيل انها قرية كانت قبل نبينا ﷺ بعث الله اليهم نبيا فكفروا بذلك النبي وقتلوه فعدبهم الله بعذاب الاستئصال (ولقد جاءهم رسول منهم) يعني أهل مكة بعث الله عليهم رسولا من صميمهم ليتبعوه لا من غيرهم (فكذبوه) وجحدوا نبوته (فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أي في حال كونهم ظالمين وعذبهم ما حل بهم من الجوع والخوف المذكورين في الآية المتقدمة وما نالهم يوم بدر وغيره من القتل ومن قال ان المراد بالقرية غير مكة قال هذه صورة القرية المذكورة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) صيغته صيغة الإبراء والمراد به الإباحة أي كلوا بما اعطاكم الله من اللذات واحلها لكم (واشكروا نعمة الله) فيها خلقه لكم واحلها لكم (ان كنتم اياه تعبدون) وهذه الآية مع التي بعدها مفسرة في سورة البقرة (١)

قوله تعالى (١١٦) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ (١١٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَّا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِمِجَاهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَفَقِيرٌ رَحِيمٌ (أربع آيات)

✽ الإعراب ✽

متاع قليل خبر مبتدأ محذوف وتقديره متاعهم بهذا الذي فعلوه متاع قليل وتم الكلام عند قوله لا يفلحون

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر ما احل الله سبحانه لهم وحرّم عليهم عقبه سبحانه بالنهي عن مخالفة اوامره ونواهي في التحليل والتحرير فقال (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب) وتقديره لوصف السنتكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) اي لا تقولوا لما حلتتموه بانفسكم مثل الميتة هذا حلال ولما حرمتتموه مثل السائبة هذا حرام (لنفتروا على الله الكذب) اي لتكذبوا على الله في اضافة التحريم اليه (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) اي لا ينجون من عذاب الله ولا يتالون خيرا (متاع قليل) معناه الذين هم فيه من الدنيا بشي قليل ينتفعون به اياما قلائل (ولهم عذاب أليم) في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمانا قصصنا عليك من قبل) يعني بذلك ما ذكره في سورة الانعام من قوله وعلى الذين هادوا حرمانا كل ذي ظفر الآية عن الحسن وقيادة وعكرمة وعنى بقوله من قبل نزول هذه الآية لأن ما في سورة الانعام نزل قبل هذه الآية (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالعصيان والكفر نعم الله تعالى والجحود بانبيائه واستحقوا بذلك تحريم هذه الاشياء عليهم لتغيير المصلحة عند كفرهم وعصيانهم

ثم ذكر سبحانه التائبين بعد تقدم الوعد والوعيد فقال (ثم ان ربك) الذي خلقك يا محمد (للذين عملوا السوء) اي المعصية (بجهالة) اي بداعي الجهل فإنه يدعو الى التوبح كما ان داعي العلم يدعو الى الحسن وقيل بجهالة السيئات او بجهالتهم للمعاقبة وقيل بجهالة انها سوء وقيل بجهالة هو ان يجعل بالاقدام عليها ويعد قسه التوبة عنها (ثم تابوا) عن تلك المعصية (من بعد ذلك واصلحوا) نياتهم وافعالهم (ان ربك من بعدها) اي من بعد التوبة او الجهالة او المعصية (لفقور رحيم) واعاد قوله ان ربك للتأكيد وليعود الضمير في قوله من بعدها الى الفعلة

✽ النظم ✽

انما اتصل قوله وعلى الذين هادوا حرمتنا ما قصصنا عليك بما تقدم ذكره من التحريم والتحليل ليبين ان ما كانوا يحرمونه ويحللونه بزعمهم ليس في التوراة كما انه ليس ذلك في القرآن وقيل ليبين انه اذا لم يحرم على اليهود جميع الطيبات بمصائبهم فكيف يحرم على المسلمين ذلك

قوله تعالى (١٢٠) **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢١)** شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢٢) **وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٣)** ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٤) **إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (خمس آيات)**

✽ المعنى ✽

(ان ابراهيم كان امة) اختلف في معناه فقيل قدوة ومعلما للخير قال ابن الاعرابي يقال للرجل العالم امة وهو قول اكثر المفسرين وقيل اراد امام هدى عن قتادة وقيل سمأه امة لأن قوام الأمة كان به وقيل لأنه قام بعمل امته وقيل لأنه اقرء في دهره بالتوحيد فكان مؤمنا وحده والناس كفارا عن مجاهد (قانتا لله) اي مطيعا له دائما على عبادته عن ابن مسعود وقيل مصليا عن الحسن (حنيفا) اي مستقيما على الطاعة وطريق الحق وهو الاسلام (ولم يك من المشركين) بل كان موحداً (شاكراً لأنعمه) اي لأنعم الله معترفاً بها (اجتباه) الله اي اختاره الله واصطفاه (وهداه الى صراط مستقيم) اي دلّه الى الدين المستقيم وهو الاسلام والتوحيد (وآتيناه) اي اعطيناه (في الدنيا حسنة) اي نعمة سابقة في قسه وفي اولاده وهو قول هذه الأمة كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وقيل هي النبوة والرسالة عن الحسن وقيل هي انه ليس من اهل دين الا وهو برضاه ويتولاه عن قتادة وقيل هي تنويه الله بذكره بطاعته لربه ومسارعتة الى مرضاته حتى صار اماماً يقتدى به ويهتدى بهداه وقيل هي اجابة الله دعوته حتى اكرم بالنبوة ذريته (وانه في الآخرة لمن الصالحين) ولم يقل لني اعلى منازل الصالحين مع اقتضاه حاله ذلك ترغيباً في الصلاح فإنه عز اسمه بين انه (ع) من جملة الصالحين مع علو رتبته وشرف منزلته نثراً لهم وتنويهاً بذكر من هو منهم وناهيك بهذا الترغيب في الصلاح وبهذا المدح لا إبراهيم (ع) ان يشرف جملة هو منها حتى يصير الاستدعاء اليها بأنه فيها (ثم اوخينا اليك) يا محمد (ان اتبع ملة ابراهيم) اي امرناك باتباع ملة ابراهيم (حنيفاً) اي مستقيم الطريقة في الدعاء الى توحيد الله وخلع الانداد له وفي العمل بسنته (وما كان) ابراهيم (من المشركين) ومتى قيل ان نبينا كان أفضل منه فكيف امر الفاضل باتباع المفضول فجوابه ان ابراهيم (ع) سبق الى اتباع الحق ولا يكون في سبق المفضول إلى متابعة الحق زراية على الفاضل في اتباعه (وإنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) معناه وإنما جعل السبت لعنة ومسحاً على الذين اختلفوا فيه فحرموه ثم اسحلوه فلنهم

الله ومسحهم عن الحسن ويجوز ان يكون اختلافهم فيه انهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة ودخل فيه السمك يوم السبت واخذوه يوم الأحد وقيل معناه انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا في امر الجمعة وهم اليهود وكنوا قد اسروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما اسروا به عن مجاهد وابن زيد وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى قال بعضهم السبت اعظم الأيام لأن الله سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء وقال الآخرون بل الأحد اعظم لأنه ابتداء بخلق الأشياء فيه فهذا اختلافهم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من امور دينهم ويفصل بين الحق والمبطل منهم

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها انه لما امر سبحانه باتباع الحق جذر من الاختلاف فيه بما ذكر من احوال المختلفين في السبت كيف شدد عليهم فرضه وضيق عليهم أمره وقيل انه سبحانه رد على اليهود والنصارى دعوتهم ان ابراهيم كان منهم ثم رد عليهم في هذه الآية ما اوجبوه من تعظيم امر السبت وانه لا يجوز نسخه كما رد عليهم ذلك عن ابي مسلم

قوله تعالى (١٢٥) ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١٢٦) وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خبير للصابرين (١٢٧) وأصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون (١٢٨) إن الله مع الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (اربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وحده في ضيق بكسر الصاد وكذلك في النمل والباقون بفتح الصاد

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج من فتح أراد ضيق فخفف مثل سيد وهين ولين ويجوز ان يكون بمعنى الضيق فيكون مصدراً قال ابو الحسن الضيق والضيق لفتان في المصدر قال ابو علي ينبغي ان يحمل على انه مصدر لأنك إذا حملته على انه مخفف من ضيق فقد اقتت الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة والمعنى لا تكن في ضيق أي لا يضيق صدرك من مكرهم كما قال وضائق به صدرك وليس المراد لا تكن في أمر ضيق قال ابو حنيفة الضيق بالكسر في المعاش والمسكن والضيق بالفتح في القلب وقال علي بن عيسى يقال في صدري ضيق من هذا الأمر بالفتح وهو أكثر من الكسر

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه نبيه بالدعاء إلى الحق فقال (ادع إلى سبيل ربك) أي ادع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته (بالحكمة) أي بالقرآن وسمي القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة اللجام وإنما قيل لها حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي ان يختار وقيل ان الحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصالح والفساد لأن بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الأفعال والأقوال (والموعظة الحسنة) معناه الوعظ الحسن وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع وقيل ان الحكمة هي النبوة والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي ناظرهم بالقرآن وبأحسن

ما عندك من الحجج وتقديره بالكلمة التي هي احسن والمعنى اقتل المشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب في النصيحة ليكونوا أقرب إلى الإجابة فإن الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وقيل هو ان يجادلهم على قدر ما يهتمونه كما جاء في الحديث امرنا معاشر الانبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم (إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) أي عن دينه (وهو اعلم بالمهتدين) أي القابلين للهدى وهو يأمرك في الفریقين بما فيه الصلاح (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) معناه وان أردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة والمكافاة فعاقبوا بقدر ما عوقبتهم به ولا تزدوا عليه وقالوا ان المشركين لما مثلوا بقتلى احدو بمحزمة بن عبد المطلب فشقوا بطنه وأخذت هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكه وجدعوا انفه وأذنه وقطعوا مذاكيره قال المسلمون لئن امكنا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلا عن الأموات فنزلت الآية عن الشعبي وقتادة وعطاء بن يسار وقيل ان الآية عامة في كل ظلم كغصب أو نحوه فإنما يجازى بمثل ما عمل عن مجاهد وابن سيرين وابراهيم وقال الحسن نزلت الآية قبل ان يؤمر النبي ﷺ بقتال المشركين على العموم وأمر بقتال من قاتله ونظيره قوله فإن قاتلوكم فاقتلوهم (ولئن صبرتم) أي تركتم المكافاة والقصاص وجرعتهم مرارته (هو خير للصابرين) معناه الصبر خير وانفع للصابرين لما فيه من جزيل الثواب (واصبر) يا محمد فيما تبلغه من الرسالة وفيما تلقاه من الأذى وقيل معناه اصبر على ما يجب الصبر عليه وعمما يجب الصبر عنه (وما صبرك إلا بالله) أي وليس صبرك إلا بتوفيق الله واقداره وتيسيره وترغيبه فيه (ولا تحزن عليهم) أي ولا تحزن على المشركين في اعراضهم عنك فإنه يكون الظفر والنصرة لك عليهم ولا عتب عليك في اعراضهم فقد بلغت ما امرت به وقضيت مات عليك وقيل معناه ولا تحزن على قتلى أحد فإن الله تعالى قد تغلبهم إلى ثوابه وكرامته (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي ولا يكن صدرك في ضيق من مكرهم بك وباصحابك فإن الله سبحانه يرد كيدهم في نحورهم ويحفظكم من شرورهم (ان الله مع الذين اتقوا) الشرك والفواحش والكبائر بالنصرة والحفظ والكلاءة (و) مع (الذين هم محسنون) قال الحسن اتقوا ما حرم عليهم وأحسنوا فيما فرض عليهم

(سورة بني اسرائيل)

هي مكية كلها وقيل مكية إلا خمس آيات ولا تقتلوا النفس الآية ولا تقربوا الزنى الآية أولئك الذين يدعون الآية أم الصلاة الآية وآت ذا القربى حقه الآية عن الحسن وقيل مكية إلا ثماني آيات وان كادوا ليفتنونك إلى قوله وقل رب ادخني مدخل صدق الآية عن قتادة والمعدل عن ابن عباس

✽ عدد آياتها ✽

مائة واحدي عشرة آية كوفي وعشر آيات في الباقيين ✽ اختلافها ✽ آية للاذقان سجداً كوفي

✽ فضلها ✽

أبي بن كعب عن النبي ﷺ انه قال من قرأ سورة بني اسرائيل فرقى قلبه عند ذكر الوالدين اعطي في الجنة قطارين من الاجر والقطار الف اوقية ومائتا اوقية والاوقية منها خير من الدنيا وما فيها وروى الحسن ابن ابي العلام عن الصادق (ع) انه قال من قرأ سورة بني اسرائيل في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القاسم ويكون من اصحابه

✽ تفسيرها ✽

ختم الله تعالى سورة النحل بذكر النبي ﷺ وافتتح سورة بني اسرائيل أيضا بذكره وبيات اسرائه الى المسجد الاقصى فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢) وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا (٣) ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابو عمرو وحده الا يتخذوا بالياء والباقون بالتاء

= (الحجة) =

من قرأ بالياء فلأن ما تقدمه على لفظ الغيبة والمعنى هديناهم لأن لا يتخذوا ومن قرأ بالتاء فللانصراف من الغيبة الى الخطاب كما في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ثم قال إياك نعبد والضمير في الا تتخذوا وان كان على لفظ الخطاب فإنما يعني به الغيب في المعنى

✽ الاعراب ✽

سبحان منصوب على المصدر على معنى اسبح لله تسيحاً قال ابو علي من زعم ان الا تتخذوا على اضمار القول فكأنه يراد قال ان لا تتخذوا لم يكن قوله هذا مستقيماً وذلك لأن القول لا يتخلو من ان يكون بعده جملة تحكي او معنى جملة يعمل فيه لفظ القول فالأول كقوله قال زيد عمرو منطلق فموضع الجملة نصب بالقول والآخري نحو ان يقول القائل لا إله إلا الله فتقول قلت حقاً أو يقول الثلج حار فتقول قلت باطلاً فهذا معنى ما قاله وليس نفس القول وقوله ان لا تتخذوا خارجاً من هذين الوجهين ألا ترى ان ان لا تتخذوا ليس هو القول كما ان قولك حقاً إذا سمعت كلمة الاخلاص بمعنى القول وليس قوله ان لا تتخذوا الجملة فيكون كقولك قال زيد عمرو منطلق ويجوز ان تكون ان بمعنى اي التي للتفسير وانصرف الكلام في الغيبة الى الخطاب كما انصرف منها الى الخطاب في قوله وانطلق الملائم منهم ان امشوا في الأمر فكذلك انصرف في الغيبة الى الخطاب في النعي في ان لا تتخذوا وكذلك قوله ان اعبدوا الله ربي وربكم في وقوع الأمر بعد الخطاب ويجوز ان يضم القول ويجعل يتخذوا على القول المضمرة إذا جملت ان زائدة فيكون التقدير وجعلناه هدى لبني اسرائيل وقلنا لا تتخذوا فيجوز إذا في قوله ألا تتخذوا ثلاثة أوجه **أحدها** ان تكون ان الناصبة للفعل فيكون المعنى وجعلناه هدى كراهة ان يتخذوا من دوني وكيلاً أو لأن لا يتخذوا **والآخر** ان يكون بمعنى أي لأنه بعد كلام تام فيكون التقدير اي لا تتخذوا **والثالث** ان تكون ان زائدة ويضم القول فأما قوله ذرية من حملنا فانه يجوز ان يكون مفعول الاتخاذ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين وافرد الوكيل وهو في معنى الجمع لأن فيلما يكون مفرداً للفظ والمعنى على الجمع نحو قوله وحسن أولئك رفيقاً فإذا حمل على هذا كان مفعولاً ثانياً في قراءة من قرأ بالتاء والياء ويجوز ان يكون نداء وذلك على قراءة من قرأ بالتاء لأن النداء للخطاب ولو رفع ذرية على البدل من الضمير المرفوع في ان لا تتخذوا كان جائزاً ويكون التقدير الا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلاً ولو جعلته مجرداً بدلا من قولك بني اسرائيل جاز وكان التقدير وجعلناه هدى لذرية من حملنا مع نوح

✽ النزول ✽

قيل نزلت الآية في اسرائه و كان ذلك بمكة صلى المغرب في المسجد الحرام ثم اسري به في ليلته ثم رجع فصلي الصبح في المسجد الحرام فاما الموضع الذي اسري اليه ابن كان فان الاسراء الى بيت المقدس وقد نطق به القرآن ولا يدفعه مسلم وما قاله بعضهم ان ذلك كان في النوم فظاهر البطلان اذ لا معجز يكون فيه ولا يرهان وقد وردت روايات كثيرة في قصة الميراج في عروج نبينا ﷺ الى السماء ورواها كثير من الصحابة مثل ابن عباس وابن مسعود وانس وجابر بن عبد الله وحذيفة وعائشة وام هاني وغيرهم عن النبي ﷺ وزاد بعضهم وقص بعض وتنقسم حملتها الى اربعة اوجه **➤** احدها **➤** ما يقطع على صحته لتواتر الاخبار به واحاطة العلم بصحته **➤** وثانيها **➤** ما ورد في ذلك مما تجوزُه العقول ولا تأباه الاصول فنحن نجوزُه ثم نقطع على ان ذلك كان في يقظته دون منامه **➤** وثالثها **➤** ما يكون ظاهره مخالفا لبعض الاصول الا انه يمكن تأويلها على وجه يوافق المقول فالاولى ان تأوله على ما يطابق الحق والدليل **➤** ورابعها **➤** ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله الا على التعسف البعيد فالاولى ان لا يقبله فاما الاول المقطوع به فهو انه اسري به على الجملة واما الثاني فمنه ما روي انه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والمرش والسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك واما الثالث فنحو ما روي انه رأى قوماً في الجنة يتمتعون فيها وقوماً في النار يعذبون فيها فيحمل على انه رأى صفتهم واسماءهم (واما) الرابع فنحو ما روي انه **ﷺ** كلم الله سبحانه جهرة وراه وقعد معه على سريره ونحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه والله سبحانه يتقدس عن ذلك وكذلك ما روي انه شق بطنه وغسله لأنه **ﷺ** كان طاهراً مطهراً من كل سوء وعيب وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء فمن جملة الاخبار الواردة في قصة الميراج ما روي ان النبي **ﷺ** قال اتاني جبرائيل (ع) وانا بمكة فقال قم يا محمد فقمتم معه وخرجت الى الباب فإذا جبرائيل ومعه ميكائيل واسرافيل فأتى جبرائيل (ع) بالبراق وكان فوق الحمار ودون البغل خده كخذ الانسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس وقوائم كقوائم الابل عليه رحل من الجنة وله جناحان من فخذيه خطوه منتهى طرفه فقال اركب فركبت ومضيت حتى اتهمت الى بيت المقدس ثم ساق الحديث الى ان قال فلما انتهيت الى بيت المقدس اذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند رب العزة وصليت في بيت المقدس وفي بعضها بشر لي ابراهيم في رهط من الأنبياء ثم وصف موسى وعيسى ثم اخذ جبرائيل (ع) بيدي الى الصخرة فاقعدني عليها فإذا معراج الى السماء لم ار مثلها حسناً وجمالاً فصعدت الى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتهام وملائكتها يسلمون عليّ ثم صعدي جبرائيل الى السماء الثانية فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعدي الى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف ثم صعدي الى السماء الرابعة فرأيت فيها ادريس ثم صعدي الى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون ثم صعدي الى السماء السادسة فإذا فيها خلق كثير يموج بعضهم في بعض وفيها الكروبيون ثم صعدي الى السابعة فابصرت فيها خلقاً وملائكة وفي حديث ابي هريرة رأيت في السماء السادسة موسى ورأيت في السماء السابعة ابراهيم (ع) قال ثم جاوزناها متصاعدين الى اعلى عليين ووصف ذلك الى ان قال ثم كلمني ربي وكلمته ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وسدرة المنتهى ثم رجعت الى مكة فلما أصبحت حدثت به بالناس فكذبني ابو جهل والمشركون وقال مطعم بن عدي اتزعم انك سرت مسيرة شهرين في ساعة اشهد انك كاذب قالوا ثم قالت قريش اخبرنا عما رأيت فقال مررت بعير بني فلان وقد اضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قعب مملوء من ماء فشربت الماء ثم غطيته كما كانت فسألوم هل وجدوا الماء في القدر قالوا هذه آية واحدة قال ومررت بعير بني فلان فنفرت بكرة فلان فانكسرت يدها فسألوم عن ذلك فقالوا هذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن غيرها

قال مررت بها بالتنعيم وبين لهم اجمالها وهيئتها وقال تقدمها حمل اوراق عليه فرارتان محيطتان وبطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا هذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو التيه وهم يقولون لقد قضى محمد بيننا وبينه قضاء يتنا وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه فقال قائل والله ان الشمس قد طلعت وقال آخر والله هذه الابل قد طلعت بقدمها بعير اوراق فبهنوا ولم يؤمنوا وفي تفسير العياشي بالاسناد عن ابي بكر عن ابي عبد الله (ع) قال لما اسرى برسول الله ﷺ الى السماء الدنيا لم يمر باحد من الملائكة الا استبشر قال ثم مر بملك حزين كئيب فلم يستبشر به فقال يا جبرائيل ما مررت باحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا الملك فمن هذا فقال هذا مالك خازن جهنم وهكذا جعله الله قال فقال له النبي ﷺ يا جبرائيل اسأله ان يرينيها قال فقال جبرائيل (ع) يا مالك هذا محمد رسول الله ﷺ وقد شككنا الي فقال ما مررت باحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا فاخبرته ان هكذا جعله الله وقد سألتني ان اسألك ان تربيه جهنم قال فكشف له عن طبق من اطباقها قال فما رأي رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى قبض وعن ابي بصير قال سمعته يقول ان جبرائيل احتمل رسول الله حتى انتهى به الى مكان من السماء ثم تركه وقال له ما وطأ نبي قط مكانك

المعنى

(سبحان الذي اسرى بعبده) سبحان كلمة تنزيه وبراء لله عز اسمه عما لا يليق به من الصفات وقد يراد به التعجب بمعنى سبحان الذي سير عبده محمداً ﷺ وهو عجب من قدرة الله تعالى وتعجب ممن لم يقدر الله حق قدره واشرك به غيره وسرى بالليل واسرى بمعنى وقد عددي هنا بالباء والوجه في التأويل انه اذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً فليل سبوح اي عجب (ليلاً) قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة (من المسجد الحرام) وقال اكثر المفسرين اسرى برسول الله ﷺ من دار ام هاني اخت علي بن ابي طالب وزوجها هبيرة بن ابي وهب المخزومي وكان ﷺ نائماً تلك الليلة في بيتها وان المراد بالمسجد الحرام هنا مكة ومكة والحرم كلها مسجد وقال الحسن وقتادة كان الاسراء من نفس المسجد الحرام (إلى المسجد الأقصى) يعني بيت المقدس وإنما قال الأقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام (الذي باركنا حوله) اي جعلنا البركة فيما حوله من الاشجار والثمار والنبات والأمن والغصب حتى لا يحتاجوا الى ان يجلب اليهم من موضع آخر وقيل باركنا حوله اي جعلنا البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الانبياء ومهبط الملائكة عن مجاهد وبذلك صار مقدساً عن الشرك لأنه لما صار متعبداً للأنبياء ودار مقام لم تفرق المشركون عنهم فصار مطهراً من الشرك والتقديس التطهير فقد اجتمع فيه بركات الدين والدنيا (لترية من آياتنا) أي من عجائب حججنا ومنها اسراؤه في ليلة واحدة من مكة إلى هناك ومنها ان أراه الأنبياء واحداً بعد واحد وان عرج به إلى السماء وغير ذلك من العجائب التي اخبر بها الناس (انه هو السميع) لأقوال من صدق بذلك أو كذب (البصير) بما فعل من الاسراء والمعراج (وأتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) أي وجعلنا التوراة حجة ودلالة وبيانا وإرشاداً لبني اسرائيل بهتدون به (الا تتخذوا من دوني وكيلاً) أي امرهم ان لا يتخذوا من دوني معتمداً يرجعون اليه في التوابع وقيل ربايتو كلون عليه (ذرية من حملنا مع نوح) أي اولاد من حملنا مع نوح في السفينة فأنجيناهم من الطوفان وقد ذكرنا وجوه ذلك في الاعراب وعلى هذا يدور المعنى (انه كان عبداً شكوراً) معناه ان نوحاً كان عبداً لله كثير الشكر وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماء حمد الله وشكر له وقال الحمد لله وقيل انه كان يقول في ابتداء الأكل والشرب بسم الله وفي انتهائه الحمد لله وروي عن ابي عبد الله (ع) وابي جعفر (ع) ان نوحاً كان إذا أصبح وامسى قال اللهم إني أشهدك ان ما اصبح أو امسى بي من نعمة في دين أو دنيا فنتك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها علي حتى ترضى وبعد الرضى وهذا كان شكره

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله وآتينا موسى الكتاب بما قبله ان المعنى فيه سبحانه الذي امرى بمحمد ﷺ وأراه الآيات كلها كما أرى موسى الآيات والمعجزات الباهرات وقيل ان معناه ان كونك نبياً ليس بيدع فقد آتيناك الكتاب والحجج كما آتينا موسى النوراة فلم أقروا به وانكروا أمرك والطريق فيها واحد وقيل ان معناه انهم كفروا بموسى كما كفروا بما اخبرتهم به من اسرائلك

قوله تعالى (٤) وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٥) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٦) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٧) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٨) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

ليسوء بفتح الهمزة شامي كوفي غير حفص إلا ان الكسائي يقرأ بالنون والباقون ليسووا بالياء وضم الهمزة على وزن ليسوعوا وفي الشواذ قراءة ابن عباس لتفسدن بضم التاء وفتح السين وعيسى الثقفي لتفسدن بفتح التاء وضم السين وقراءة علي «ع» عبيداً لنا وقراءة ابي السامك فحاسوا بالهاء وقراءة ابي بن كعب ليسوا بالنون

﴿ الحجة ﴾

من قرأ ليسوء بالياء ففاعل ليسوء يجوز ان يكون احد شيئين إما اسم الله تعالى لأن الذي تقدم بعثنا ورددنا لكم وأمددناكم بأموال وبنين وإما البعث ودل عليه بعثنا المتقدم كقوله لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم أي البخل خيراً لهم ومن قرأ ليسوء بالنون كان في المعنى كقول من قدر ان الفاعل ما تقدم من اسم الله تعالى وجاز ان ينسب المساءة إلى الله تعالى وان كانت من الذين جاسوا خلال الديار في الحقيقة لأنهم فعلوا المساءة بقوة الله تعالى فجاز ان ينسب اليه واما قوله ليسووا فمعناه إذا جاء وعد الآخرة أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين بعثناهم ليسووا وجوهكم فحذف بعثناهم لأن ذكره قد تقدم والحجة في ليسووا انه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله ثم بعثناهم وبعده ليدخلوا المسجد الحرام والمبعوثون في الحقيقة هم الذين يسوونهم يقتلهم إياهم وامرهم لهم فهو وفق المعنى وقال وجوهكم على ان الوجوه مفعول به ليسوء وعدتي الى الوجوه لأن الوجوه قد يراد به ذو الوجوه كقوله كل شيء هالك إلا وجهه وقوله وجوه يومئذ ناضرة ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال النابغة

أَقَارِعُ عَوْفِيلاً أَحَاوِلُ غَيْرَهَا وَجُوهٌ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَن تَجَادِعُ (١)

وأما قراءة ابي ليسوء فالوجه فيه على قول ابن جني ان يكون على حذف الفاء كما يقال إذا سألتني فلا أعطيك كأنك تأمر تسك ومعناه فلا أعطيتك واللامان بعده للامر أيضاً ومما ليدخلوا المسجد ولينبروا ويقوي ذلك انه لم يأت لا إذا جواب فيما بعد واما من قرأ لتفسدن ولتفسدن فاحدى القراءتين شاهدة للأخرى لأن من افسد

فقد فسد وأما حاسوا فمعناه منى جاسوا بعينه

✽ اللفظة ✽

القضاء فصل الأمر على أحكام ومنه سمي القاضي ثم يستعمل بمعنى الخلق والاحداث كما قال فقضاهن سبع سموات وبمعنى الإيجاب كما قال وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبمعنى الاعلام والايثار بما يكون من الأمر وهو المعنى هاهنا وأصله الأحكام والعلو الارتفاع وعلا فلان الشيء إذا أطاقه ويقال علا في المكارم يعلى علا فهو علي وعلا في المكان يعلو علوا فهو عال والجوس التحلل في الديار يقال تركت فلانا يجوس بني فلان ويجوسهم ويدوسهم أي يطأهم قال ابو عبيد كل موضع خالطته ووطئته فقد حسته وجسته قال حسان

وَمِمَّا الَّذِي لَأَقَى بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ
فَجَاسَ بِهِ الْأَعْدَاءُ عَرَضَ الْعَسَاكِرِ (١)

وقيل الجوس طلب الشيء باستقصاء والكرة معناه الرجمة والدولة والغير العدد من الرجال قال الزجاج ويجوز ان يكون جمع نفر كما قيل المبيد والضئين والمبيز والكلب ونفر الإنسان ونفره ونغيره ونافره رهطه الذين ينصرونه وينفرون معه والنتير الإهلاك والتبار والهلاك والدمار واحد وكل ما يكسر من الحديد والذهب تبر والحصير الحبس ويقال للملك حصير لأنه محجوب قال لبيد

وَقَامَ غَلْبَ الرِّقَابِ كَانَهُمْ
جِنٌّ لَدَى بَابِ الْحَصِيرِ قِيَامٌ (٢)

والحصير البساط المرمول لخصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسج

✽ المعنى ✽

لما تقدم امره سبحانه لبني اسرائيل عقب ذلك بذكر ما كان منهم وما جرى عليهم فقال (وقضينا إلى بني اسرائيل) أي أخبرناهم وأعلمناهم (في الكتاب) أي في النوراة (لتفسدن في الأرض مرتين) أي حقاً لا شك فيه أن اخلافكم سيفسدون في البلاد التي تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس وأراد بالفساد الظلم وأخذ المال وقتل الأنبياء وسفك الدماء وقيل كان فسادهم الأول قتل زكريا والثاني قتل يحيى بن زكريا عن ابن عباس وابن مسعود وابن زيد قالوا ثم سلط الله عليهم سابور ذا الاكتاف ملكاً من ملوك فارس في قتل زكريا وسلط عليهم في قتل يحيى بخت نصر وهو رجل خرج من بابل وقيل الفساد الأول قتل شعيا والثاني قتل يحيى وان زكريا مات حتف انفه عن محمد بن اسحاق قال وأتاهم في الأول بخت نصر وفي الثاني ملك من ملوك بابل وقيل كان الأول جالوت فقتله داود (غ) والثاني بخت نصر عن قتادة وقيل انه سبحانه ذكر فسادهم في الأرض ولم يبين ما هو فلا يقطع على شيء مما ذكر عن ابي علي الجبائي (ولتظلمن علواً كبيراً) أي ولتستكبرن ولتظلمن الناس ظلماً عظيماً والعلو نظير العتو هنا وهو الجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه (فاذا جاء وعد أولاهما) معناه فاذا جاء وقت أولى المرتين اللتين تفسدون فيها والوعد هنا بمعنى الموعود ووضع المصدر موضع المفعول به أي اذا جاء وقت الموعود لا فسادكم في المرة الأولى (بشئنا عليكم عبادةً لنا أولي بأس شديد) أي سلطنا عليكم عبادةً لنا أولي شوكة وقوة ونجدة وخلقنا بينكم وبينهم خاذلين لكم جزاءً على كفركم وعتوكم وهو مثل قوله أرسلنا الشياطين على الكافرين توزم أزا عن الحسن وقيل معناه أمرنا قوماً مؤمنين بقتالكم وجهادكم لأن ظاهر قوله تعالى عبادةً لنا وقوله بشئنا يقتضي ذلك عن الجبائي وقبل يجوز ان يكونوا مؤمنين أمرهم الله بجهاد هؤلاء ويجوز ان يكونوا كافرين فتألفهم نبي من الأنبياء

(١) العرض : الجيش الضخم . (٢) القمام من الرجال : السيد الكثير الخير ، وغلب جمع اغلب : الغليظ الرقبة وهم يصفون ابداً السادة بلفظ الرقبة وطولها .

لحرب هؤلاء وسلطهم على نظرائهم من الكفار والفساق عن ابي مسلم (فجاسوا خلال الديار) أي فطافوا وسط الديار يترددون وينظرون هل بقي منهم احد لم يقتلوه عن الزجاج (وكان وعداً مفعولاً) أي موعوداً كاتنا لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أي رددنا لكم يا بني اسرائيل الدولة واظهرناكم عليهم وعاد ملككم على ما كان عليه (وأمددناكم بأموال وبنين) أي وأكثرنا لكم أموالكم وأولادكم ورددنا لكم العدة والقوة (وجعلناكم أكثر نفيراً) أي أكثر عدداً وأنصاراً من اعدائكم (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) معناه ان أحسنتم في أفعالكم وأعمالكم ففعل احسانكم عائد عليكم وثوابه واصل اليكم تنصرون على اعدائكم في الدنيا وتتابون في العقبى (وإن أسأتم فلها) معناه وان أسأتم قد أسأتم إلى أنفسكم أيضاً لأن مضره الاساءة عائدة اليها وإنما قال فلها على وجه التقابل لأنه في مقابلة قوله ان احسنتم أنفسكم كما يقال أحسن إلى نفسه ليقابل أساء إلى نفسه ولأن معنى قولك أنت منتهى الاساءة وأنت المختص بالاساءة متقارب فلذلك وضع اللام موضع إلى وقيل ان قوله فلها بمعنى فعلها كقوله تعالى لمم اللعنة أي عليهم اللعنة وقيل معناه فلها الجزاء والعقاب وإذا امكن حمل الكلام على الظاهر فالاولى ان لا يعدل عنه وهذا الخطاب لبني اسرائيل ليكون الكلام جارياً على النسق والنظام ويجوز ان يكون خطاباً لامة نبينا ﷺ فيكون اعتراضاً بين القصة كما يفعل الخطاب، والواعظ يحكي شيئاً ثم يعظ ثم يعود إلى الحكاية فكانه لما بين ان بني اسرائيل لما علوا وبغوا في الأرض سلط عليهم قوماً ثم لما تابوا قبل توبتهم وأظفرهم على عدوهم خاطب أمتنا بأن من أحسن عاد نفع احسانه اليه ومن أساء عاد ضرره اليه ترغيباً وترهيباً (فإذا جاء وعد الآخرة) أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين والمراد به جاء وعد الجزاء على الفساد في الأرض في المرة الأخيرة أو جاء وعد فسادكم في الأرض في المرة الأخيرة أي الوقت الذي يكون فيه ما أخبر الله عنكم من الفساد والعدوان على العباد (ليسوا وواجهكم) أي غزاكم اعداؤكم وغلبوكم ودخلوا دياركم ليسوا وكم بالقتل والاسرى قال سته اسوء مساءة ومساوية وسوائية إذا أحرزته وقيل معناه ليسوا كباراً كم وروءاء كم وفي مساءة الاكبر واهاتم مساءة الأصغر (وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس ونواحيه فكنتي بالمسجد وهو المسجد الأقصى عن البلد كما كنتي بالمسجد الحرام عن الحرم ومعناه وليستولوا على البلد لأنه لا يمكنهم دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء (كما دخلوه أول مرة) دل بهذا على ان في المرة الأولى قد دخلوا المسجد أيضاً وإن لم يذكر ذلك ومعناه وليدخل هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مرة (وليتبروا ما علوا تنبيراً) أي وليدمروا وهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً ويجوز ان يكون ما مع الفعل بتأويل المصدر والمضارع محذوف أي ليتبروا مدة علوهم (عسى ربكم) يا بني اسرائيل (ان يرحمكم) بعد انتقامه منكم ان تبتم ورجتم إلى طاعته (وان عدتم عدنا) معناه وإن عدتم إلى الفساد عدنا بكم إلى العقاب لكم والتسليط عليكم كما فعلناه فيما مضى عن ابن عباس قال انهم عادوا بعد الأولى والثانية فسلط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم ويأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) أي سجننا ومحسباً عن ابن عباس

❖ القصة ❖

اختلف المفسرون في القصة عن هاتين الكرتين اختلافاً شديداً فالأولى تنورد من جملتها ما هو الأهم

٤٠٠ (سورة بني اسرائيل) قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الى قوله وكل شيء فصلناه تفصيلا

على سبيل الايجاز قالوا لما عنا بنوا اسرائيل في المرة الاولى سلط الله عليهم ملك فارس وقيل بخت نصر وقيل ملكا من ملوك بابل فخرج اليهم وحاصره وفتح بيت المقدس وقيل ان بخت نصر ملك بابل بعد سنحاريب وكان من جيش غرود وكان لزانة لآب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد وأحرق التوراة والتي الجيف في المسجد وقتل على دم يحيى سبعين الفا وسبى ذرارهم وأغار عليهم وأخرج أموالهم وسبى سبعين الفا وذهب بهم الى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس واولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكا من ملوك فارس عارفا بالله سبحانه وتعالى فردهم الى بيت المقدس فأقاموا به مائة سنة على الطريق المستقيم والطاعة والعبادة ثم عادوا الى الفساد والمعاصي فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله وقيل غزاهم ملك الرومية وسباهم عن حذيفة وقال محمد بن اسحق كان بنو اسرائيل يعصون الله تعالى وفيهم الاحداث والله يتجاوز عنهم وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان الله تعالى بعث اليهم شعيا قبل مبعث زكريا وشعيا هو الذي بشر بعيسى (ع) وبمحمد ﷺ وكان لبني اسرائيل ملك كان شعيا يرشده ويسدده ففرض الملك وجاء سنحاريب الى باب بيت المقدس بستائة الف راية فدعا الله سبحانه شعيا فبرأ الملك ومات جمع سنحاريب ولم ينج منهم الا خمس نفر منهم سنحاريب فهرب وارسلوا خلفه من اخذه ثم امر سبحانه باطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فاطلقوه وهلك سنحاريب بعد ذلك بسبع سنين واستخلف بخت نصر ابنه فلبث سبع عشرة سنة وهلك ملك بني اسرائيل ومرج أمرهم وتنافسوا في الملك فقتل بعضهم بعضا فقام شعيا فيهم خطيبا ووعظهم بمظالم بليغة وأمرهم ونهاهم فمؤا بقتله فهرب ودخل شجرة قطموا الشجرة بالمنشار فبعث الله اليهم ارميا من سبط هرون ثم خرج من بينهم للارأى من أمرهم ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس وفل ما فعل ثم رجع الى بابل بسبايا بني اسرائيل وكانت هذه الدفعة الأولى وقيل ايضا ان سبب ذلك كان قتل يحيى بن زكريا وذلك ان ملك بني اسرائيل أراد ان يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى وبلغ أمها فحقدت عليه وبعثته على قتله فقتله وقيل انه لم يزل دم يحيى بن زكريا يظلي حتى قتل بخت نصر منهم سبعين الفا واثنين وسبعين الفا ثم سكن الدم وذكر الجميع ان يحيى بن زكريا هو المقتول في الفساد الثاني قال مقاتل كان بين فساد الأول والثاني مائتا سنة وعشر سنين وقيل انما غزا بني اسرائيل في المرة الأولى بخت نصر وفي المرة الثانية ملك فارس والروم وذلك حين قتلوا يحيى فقتلوا منهم مائة الف وثمانين الفا وخرب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خرابا حتى بناء عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومي الا خائفا وقيل انما غزاهم في المرة الأولى جالوت وفي الثانية بخت نصر والله اعلم

قوله تعالى (٩) **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا** (١٠) **وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (١١) **وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا** (١٢) **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ فَفَصِيلًا** (أربع آيات)

❖ اللغة ❖

مبصرة أي مضيئة منيرة نيرة قال ابو عمرو أراد تبصر بها كما يقال ليل نائم وسر كائم وقال الكسائي العرب قول ابصر النهار إذا أضاء وقبل المبصرة التي أهلها بصراء فيها كما يقال رجل مخبث أي أهله خبيثاء ومضف أي أهله ضعفاء ولا يكتب الواو في يدع في المصحف وهي ثابتة في المعنى

❖ الإعراب ❖

ان لم أجراً كبيراً فتح أن على تقدير حذف الباء اي يبشرهم بأن لهم الجنة وان الثانية معطوفة عليها ولو كسرت على الاستئناف لجاز وان لم يقرأ به احد وأعدنا أصله أعددنا فقلبت احدى الدالين تاءً فراراً من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده وهو قوله فصلناه والتقدير وفصلنا كل شيء

❖ المعنى ❖

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) معناه ان هذا القرآن يهدي إلى الديانة والملة والطريقة التي هي أشد استقامة يقال هذه الطريق والطريق وقيل معناه يرشد إلى الكلمة التي هي اعدل الكلمات وأصوبها وهي كلمة التوحيد وقيل يهدي إلى الحال التي هي اعدل الحالات وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته عن الزجاج (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم) اي بأن لهم (أجراً كبيراً) أي ثواباً عظيماً على طاعتهم (و) يبشرهم أيضاً (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالنشأة الآخرة (اعتدنا لهم) اي هيأنا لهم (عذاباً أليماً) وهو عذاب النار وإنما سمي العذاب اجراً لأنه يستحق في مقابلة عمل كالأجرة التي تجب في مقابلة عمل يعود نفعه إلى المستأجر والثواب يستحق على الله تعالى وان كان نفعه يعود إلى العامل لأنه سبحانه اوجب ذلك على نفسه في مقابلة عمل العبد فضلاً منه وكرماً (ويدع الإنسان بالشرك دعاءه بالخير) قيل في معناه اقوال ❖ احدها ❖ ان الإنسان ربما يدعو في حال الزجر والغضب على نفسه واهله وماله بما لا يجب ان يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير فلو اجاب الله دعاءه لاهلكه لكنه لا يجب بنفسه ورحمته عن ابن عباس والحسن وقتادة ❖ والآخر ❖ ان معناه ان الإنسان قد يطلب الشر لاستعماله المنفعة ❖ وثالثها ❖ ان معناه ويدعو في طلب المحذور كدعائه في طلب المباح (وكان الإنسان عجولاً) يسجل بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء في الخير عن مجاهد وقيل يريد ضميراً لا صبراً له على ضراء ولا على سراء عن ابن عباس وروي عنه ايضاً انه أراد به آدم (ع) لما انتهت النفخة إلى سرته أراد أن ينهض فلم يقدر فشبّه الله سبحانه ابن آدم بأبيه في الاستعجال وطلب الشيء قبل وقته (وجعلنا الليل والنهار آياتين) اي داليتين يدلان على وحدانية خالقهما لما في كل واحد منهما من الفوائد من الكسب بالنهار والاستراحة بالليل والزيادة في اجزاء احدهما بالنقصان من اجزاء الآخر ولأن كل واحد منهما ينقضي لمجيب الآخر وذلك يدل على حدوثها اذ القديم لا يجوز عليه الاتقضاء وعلى ان لها محدثاً قادراً علماً وقد علمنا ضرورة ان أحداً من البشر لم يحدثها لعجز البشر عن ذلك فدل على انه من صنع القديم القادر لذاته العالم لذاته الذي ليس كمثل شيء ولا يتمذر عليه شيء وقيل ان الآيتين هنا الشمس والقمر (فجعلنا آية الليل) وهي القمر اي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد عن ابن عباس (وجعلنا آية النهار) يعني الشمس (مبصرة) أي نيرة مضيئة

للابصار يبصر أهل النهار النهار بها وقيل ان معناه جعلنا آية الليل محمودة والمراد جعلنا الليل مظلم لا يبصر فيه كما لا يبصر ما يحى من الكتاب وجعلنا آية النار مبصرة اي جعلنا النهار مضيئا يبصر فيه وتذكر الاشياء فيه وعلى هذا فتكون آية الليل هي الليل نفسه وآية النهار هي النهار نفسه كما يقال نفس الشيء وعين الشيء وهذا من عجيب البلاغة وقيل ان آية الليل ظلمته وآية النهار ضوؤه فالمراد محونا ظلمة الليل بضوء النهار ومحونا ضوء النهار بظلمة الليل الا انه ذكر احدهما وحذف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف ثم بين سبحانه الغرض في ذلك وقال (لتبتنوا فضلا من ربكم) اي لتسكنوا بالليل وتطلبوا الرزق بأنواع التصرف في النهار الا انه حذف لتسكنوا بالليل لما ذكره في مواضع اخرى (وتعلموا عدد السنين والحساب) اي لتعلموا بالليل والنهار عدد السنين والشهور وآجال الديون وغير ذلك من المواقيت وتعلموا حسنات اعماركم وآجالكم ولولا الليل والنهار لما علم شيء من ذلك (وكل شيء فصلناه تفصيلا) اي ميزناه تمييزا ظاهرا بينا لا يلبس وبيناه تبيانا شافيا لا يخفى

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الأولى بقوله عسى ربكم ان يرحمكم والوجه فيه انه لما أمر بني اسرائيل بالرجوع الى الطريق المستقيم من التوبة وقبول الاسلام بين ان ذلك الطريق هذا الكتاب الذي يدل على ما هو احسن الاديان وقيل بتصل بقوله وآتيناه موسى الكتاب اي كما آتيناه التوراة آتيناه محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الذي يهدي الى الاحسن الا قوم وقيل اتصل بقوله سبحانه الذي اسرى كأنه قال اسرى بعبدته وآتاه الكتاب الذي هذه صفته وانما اتصل قوله بدع الانسان بالشر الآية مما تقدم من بشارة الكفار بالعذاب فيبين عقبيه انهم يستعملون العذاب جهلا وعنادا ثم بين انه يستجيب لهم ما فيه صلاحهم ثم بين بالآية الأخرى انه انعم عليهم بوجوه النعم كالليل والنهار ونحو ذلك وان لم يشكروه

قوله تعالى (١٢) وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ويخرج له بضم الياء وفتح الراء وقرأ يعقوب ويخرج له بفتح الياء وضم الراء والباقون ونخرج بالنون وقرأ ابو جعفر وابن عامر تلقية بضم التاء وفتح اللام وتشديد القاف والباقون بفتح الياء وسكون اللام = (الحجعة) =

من قرأ ويخرج له فمعناه انه يخرج له عمله او يخرج له طائرته يوم القيامة كتابا ويكون كتابا منصوبا على الحال ومن قرأ ويخرج فتقديره فيخرج له عمله او طائرته ويكون كتابا حاليا ايضا من الضمير في يخرج كما في الأول ومن قرأ ونخرج بالنون فيكون كتابا مفعولا لنخرج ويجوز ان يكون منصوبا على التمييز على معنى ونخرج طائرته له كتابا ويجوز ان يكون نصبا على الحال فيكون بمعنى ذا كتاب اي مثبتا في الكتاب الذي قال فيه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها وقوله منشورا يكون منصوبا على الحال من الماء في يلقاه على القراءات

جميعاً ومن قرأ بلفظه منشوراً فإنه يدل عليه قوله وإذا الصحف نشرت ومن قرأ بلفظه فيدل عليه قوله وبلقون فيها تحية وسلاماً

اللغة

الإنسان يقع على الذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت رجل وامرأة ومثل ذلك فرس يقع على الذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت حصان وجحر وفي المألج برذون ورمكة وكل يعبر يقع على الذكر والمؤنث فإذا فصلت قلت حمل وناقعة واشتقاق الإنسان من الأونس أو الأونس وهو فعلان عند البصريين وقال الكوفيون هو من النسيان وأصله إنسيان حذف الياء منه استخفافاً واحتجوا على ذلك بقول العرب في تصغيره انيسيان وهذه الياء عند البصريين زائدة وهو من التصغير الشاذ عندهم مثل عشيبة ومغربان الشمس وليلية وأشباه ذلك والطائر هاتما عمل الإنسان شبه بالطائر الذي ينسج ويتبرك به والطائر الذي يبرح فينشأ به والسائح الذي يجعل ميامنه إلى ميامره والبارح الذي يجعل ميامره إلى ميامنك والأصل في هذا أنه إذا كان سائحاً أمكن الرامي وإذا كان بارحاً لم يمكنه قال أبو زيد كل ما يجري من طائر أو ظبي أو غيره فهو عندهم طائر وانشد لكثير

فَلَسْتُ بِنَاسِهَا وَلَسْتُ بِتَارِكِ إِذَا عَرَضَ الْأَدَمُ الْجَوَارِي سَوْهَا
أَأَدْرِكُ مِنْ أُمِّ الْحَكِيمِ غَيْطَةَ بِهَا خَبَرْتَنِي الطَّيْرُ أَمْ قَدِ اتَّبَعَتْهَا (١)

ينخر في البيت الأخير ان الذي زجره طائر وانشد لزهير في ذلك

فَلَمَّا أَنْ تَفَرَّقَ آلُ لَيْلَى جَرَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ظِبَاءُ
جَرَّتْ سُنْحًا فَقُلْتُ لَهَا مَرَوْعًا نَوَى مَشْمُولَةً فَتَى الْإِقَاءُ (٢)

قال وقولهم سألت الطير وقلت للطير إنما هو زجرتها من خير أو شر ويقوي ما ذكره قول الكمي

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ ، هَمَّهُ أَصَاحُ غُرَابٍ أَمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ (٣)

وانشد لحسان بن ثابت

ذَرِينِي وَعَلِيَّ بِالْأُمُورِ وَشَيْئِي أَي لَيْسَ رَأْيِي بِمَشُورٍ وَأَنْشَدَ لِكَثِيرٍ
فَمَا طَائِرِي فِيهَا عَلَيْكَ بِأَخِيلاً (٤)

أَقُولُ إِذَا مَا الطَّيْرُ مَرَّتْ مَحِيلَةً (٥)

وإنما قال طائره في عنقه ولم يقل في يده لينبه على لزوم ذلك له وتعلقه به كما يقال طوقتك كذا أي قلدتك كذا والزمته إياك ومنه قلده السلطان كذا أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق قال الأعشى

قَلَدْتِكِ الشَّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا الْأَفْصَالِ وَالشَّعْرَ حَيْثُ مَا جَعَلَا

وقال الآخر

إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكَ فَقَالَتْ بَيْنَ أُذُنِي وَعَاتِقِي مَا تُرِيدُ

والعرب تقيم هذا العضو مقام الذات فتقول أعنت ربة وطوقت عنقي أمانة ولذلك قال أبو حنيفة إذا قال الإنسان عنقك أو رقبتك حرٌّ عنق لأنه يعبر بذلك عن جميع البدن ولو قال يدك أو شعرك حرٌّ لا يعنى لأنه لا يعبر بذلك عن جميع البدن وقال الشافعي هما سواء يعنى في الحالين

(= الاعراب) =

موضع بنفسك رفع لأنه فاعل كفي وحسباً نصب على التمييز له وقال أبو بكر السراج المعنى كفي الاكتفاء

(١) الإدم من الأطباء : بيض تملوهم جدد فيهن غبرة وقوله «سؤالها» مفعول «تارك». والنبيطة : شبه هودج النساء (٢) السائح : ما أتاك من بينك من ظبي أو طائر ومقابله البارح والعرب يتبرك بالسائح و يتشأم بالبارح وقديتشام بالسائح كما في هذا البيت وفي اللسان «قللتها اجيزي» والنوى : الموضع الذي تنويه ومشمولة أى شاملة

بنفسك فالفاعل على هذا محذوف والجار والمجرور في موضع النصب على اصله وحسبنا نصب على الحال من كفى

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الوعيد أتبع ذلك بذكر كيفية فقال (وكل انسان الزمان طائره في عنقه) معناه والزمان كل انسان عمله من خير أو شر في عنقه عن ابن عباس وعنه وقنادة يريد جعلناه كالطوق في عنقه فلا يفارقه وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم جرى طائره بكذا ومثله قوله سبحانه قالوا طائركم معكم وقوله إنما طائركم عند الله وقيل طائره بينه وشؤمه عن الحسن وهو ما بتطير منه وقيل طائره حظه من الخير والشر عن ابي عبيدة والقتبي وخصّ العنق لأنه محل الطوق الذي يزين المحسن والفعل الذي يشين المسيء وقيل طائره كتابه وقيل معناه جعلنا لكل انسان دليلاً من نسيه لأن الطائر عندما يستدل به على الأمور الكائنة فيكون معناه كل انسان دليل نفسه وشاهد عليها إن كان محسناً فطائره ميمون وإن ساء فطائره مشؤوم (ونخرج له يوم القيامة كتاباً) وهو ما كتبه الحفظة عليهم من أعمالهم (بلقاء) أي يرى ذلك الكتاب (منشوراً) أي مفتوحاً معروضاً عليه ليقرأه ويعلم ما فيه والهاء في له يجوز ان تكون عائدة إلى الانسان ويجوز ان تكون عائدة إلى العمل (اقرأ كتابك) فهانذا حذف أي ويتألم له اقرأ كتابك قال قتادة بقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا وروى جابر بن خالد بن نعيم عن ابي عبد الله (ع) قال يذكر العبد جميع أعماله وما كتب عليه حتى كأنه فعلت تلك الساعة فلذلك قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا بغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) أي محاسباً وإنما جملة محاسباً لنفسه لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلها مكتوبة ورأى جزاء أعماله مكتوباً بالعدل لم ينقص عن ثوابه شيء ولم يزد على عقابه شيء أذعن عند ذلك وخضع وتضرع واعترف ولم يتهماً له حجة ولا إنكار وظهر لأهل المحشر انه لا يظلم قال الحسن يا ابن آدم لقد أنصفك من جعلك حسيب قسك (من اهتدى فلنأتمم بهتدي لنفسه) أي من اهتدى في الدنيا إلى دين الله وطاعته فنعمته اهتدائه راجعة إليه (ومن ضل فلنأتمم يضل عليها) أي ومن ضل عن الدين في الدنيا فضرر ضلاله راجع إلى نفسه وعقوبة ضلاله على نفسه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة حمل أخرى أي ثقل ذنوب غيرها ولا يعاقب أحد بذنوب غيره وروى عن النبي ﷺ انه قال لا تحن يمينك على شمالك وهذا مثل ضربه (ع) وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول من يقول ان أطفال الكفار يعذبون مع آبائهم في النار (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) معناه وما كنا معذبين قوماً يعذب الاستئصال الا بعد الاعذار اليهم والانذار لم بأبلغ الوجوه وهو ارسال الرسل اليهم مظهرة في العدل وإن كان يجوز مؤاخذتهم على ما يتعلق بالعقل معجلاً فعلى هذا التأويل تكون الآية عامة في العقليات والشرعيات وقال الاكثرون من المفسرين وهو الأصح ان المراد بالآية انه لا يعذب سبحانه في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد البعثة فتكون الآية خاصة فيما يتعلق بالسمع من الشرعيات فأما ما كانت الحجة فيه من جهة العقل وهو الإيمان بالله تعالى فانه يجوز العقاب بتركه وان لم يبعث الرسول عند من قال ان التكليف العقلي بنفسك من التكليف السمعي على ان المحققين منهم يقولون انه وان جاز التعذيب عليه قبل بعثة الرسول فانه سبحانه لا يفعل ذلك مبالغة في الكرم والفضل والاحسان والطول فقد حصل من هذا انه سبحانه لا يعاقب احداً حتى ينفذ اليهم الرسل المنبئين إلى الحق الهادين إلى الرشد استظهاراً في الحجة لأنه إذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع تأكد الأمر وزال الريب فيما يلزم العبد وقد أخبر سبحانه في هذه الآية عن ذلك وهذا لا يدل على انه لو لم يبعث رسولا لم يحسن منه ان يعاقب إذا ارتكب القبائح العقلية إلا ان يفرض في بعثة الرسول لطفاً فإن عند ذلك لا يحسن منه سبحانه ان يعاقب احداً إلا بعد أن يوجه إليه مما هو لطف له فيزاح بذلك عنه

→ وقيل: اخذ بهادات الشمال (٣) يجب الوقوف على «الطير» ثم يبدأ «بهم» ليعلم الغرض والزرهنا: التيمن او التشاؤم بالطير وغيره. (٤) اخيل: طائرا خضريتشام العرب به. (٥) مغيرة اي مكروهة من الاخيل.

قوله تعالى (١٦) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا (١٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٨) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا (١٩) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (٢٠) كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢١) أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢٢) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (سبع آيات)

❖ القراءة ❖

القراءة العامة أمرنا بالتحفيف غير ممدود وقرأ يعقوب أمرنا بالمد وهو قراءة علي بن ابي طالب (ع) والحسن والبي العالية وقتادة وجماعة وقرأ أمرنا بالتشديد للميم ابن عباس وابوعثمان النهدي وابو جعفر محمد بن علي بخلاف وقرأ أمرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر

❖ الحجة ❖

قال ابو عبيدة امرنا اكثرنا من قولهم امر بنو فلان أي كثروا وانشد للبيد
 إِنْ يَغِيظُوا يَهِيظُوا وَإِنْ أَمَرُوا
 يَوْمًا يَصِيرُوا لِلْهَلِكِ وَالنَّفْدِ

قال ابو علي لا يخلو قوله امرنا محققة الهمزة من ان يكون فعلنا من الأمر أو من أمر القوم وامرهم مثل شترت عينه وشترتها ورجع ورجعته وسار وسرته فمن لم ير ان يكون امرنا من امر القوم إذا كثروا كما حكى ذلك يونس عن ابي عمرو فإنه ينبغي ان يكون من الامر الذي هو خلاف النهي ويكون المعنى امرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومن قرأ أمرنا فإنه يكون فعلنا من امر القوم إذا كثروا وامرهم الله وكذلك ان ضاعف العين فقال امرنا ويقوي حمل امرنا على النقل من امر وان لا يجعل من الامر الذي هو خلاف النهي ان الأمر بالطاعة على هذا يكون مقصوراً على المترفين فقد امر الله بطاعته جميع خلقه من مترف وغيره ويحمل أمرنا على انه مثل امرنا ونظير هذا كثرة واكثره الله وكثره ولا يحمل أمرنا على ان المعنى جعلناهم امراء لأنه لا يكاد يكون في قرية واحدة جماعة امراء فإن قلت يكون منهم الواحد بعد الواحد فإنهم إذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال وانما يهلك بكثرة المعاصي في الأرض وعلى هذا جاء الأمر في التنزيل يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فأوباي فاعبدون فأمرنا بالخروج من الأرض التي تكثر فيها المعاصي إلى ما كان بخلاف هذه الصفة ومما جاء فيه امر بمعنى الكثرة قول زهير

وَالْإِثْمُ مِنْ شَرِّ مَا يُصَالُ بِهِ وَالرِّبُّ كَالْقَيْثِ نَبْتُهُ أَمْرٌ

واما أمرنا فقد روى ابن جني باسناده عن ابي حاتم قال قال ابو زيد يقال امر الله ماله وأمره ومن قال ان امرنا لا يكون بمعنى اكثرنا قال في قوله خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة ان معنى مأبورة مؤمرة فإنما قال هذه لمكان الازدواج كما قالوا الغدايا والعشايا والغداة لا تجمع على الغدايا لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام

(اللفظة) =

الترفة النعمة قال ابن عرفة المترف المتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع منه والتدمير والاهلاك والدمار المهلاك ويقال

(١) الحديث منسوب الى النبي (ص) و في بعض الكتب « أومهرة مأبورة » والسكة : الطريقة المصطفة من النخل . والمأبورة : الملحفة وقيل : السكة سكة العرث والمأبورة : المصلحة له والنهر : ولد الفرس والاشي : المهرة أراد (ص) خيرا المال : نتاج اوزرع .

ذمته وذاميته وذمته فهو مذموم ومذؤوم ومذموم بمعنى ويكون ذامته بمعنى طردته ويقال اصنع ذاك وخلاك ذم أي ولاذم عليك والدحر الإبعاد والمدحور المبعد والمطروود يقال اللهم ادحر عنا الشيطان أي ابده

✽ الاعراب ✽

كم اهلكنا موضع كم نصب بأهلكنا ودخلت الباء في قولك يربك للمدح كما تقول ناهيك به رجلا وجاد شوبك ثوبا وطاب بطعامك طعاما واكرم به رجلا ويكون في كل ذلك في موضع رفع كما قال الشاعر

وَيَخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرْءِ هَدْيَهُ
كَفَى الْهَدْيِ مَخْغَيْبِ الْمَرْءِ مَخْبِرًا (١)

فرفع لما اسقط الباء وبصليها في موضع نصب على الحال لمن تريد بدل من قوله عجلنا له فيها ما نشاء واعاد اللام لما كان البدل في تقدير جملة أخرى كقوله لمن آمن منهم ومذموما حال من الضمير المستكن في بصليها كلا عند نصب كلا بمد وهو لاء بدل من قوله كلا أي عند كل واحد من هؤلاء وهو لاء

✽ المعنى ✽

(واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيا ففسقوا فيها) لما لم يميز في العقول تقديم إرادة العذاب على المعصية لأنه عقوبة عليها ويستحقه لأجلها فحق لم توجد المعصية لم يحسن فعل العقاب وإذا لم يحسن فعله لم تحسن إرادته اختلفوا في تأويل الآية وتقديرها على وجوه ✽ أحدها ✽ ان معناه وإذا اردنا ان نهلك أهل قرية بعد قيام الحجبة عليهم وإرسال الرسل اليهم امرنا مترفيا أي رؤساءها وساداتها بالطاعة واتباع الرسل أمرا بعد أمر نكرره عليهم وبينه وبينه نأيتهم بها اعذارا للعصاة وانذارا لهم وتوكيدا للحجة ففسقوا فيها بالمعاصي وأبوا إلا تماديا في العصيان والكفران (فحق عليها القول) أي فوجب حينئذ عليها الوعيد (فدمرناها تدميرا) أي أهلكتناها هلاكا وإنما خص المترفين وهم المنعمون والرؤساء بالذكر لأن غيرهم تبع لم فيكون الأمر لهم أمرا لا اتباعهم وعلى هذا فيكون قوله امرنا مترفيا جوابا لا إذا واليه يؤول ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير ان معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا ومثله امرتك ففصيتني ويشهد بصحة هذا التأويل الآية المتقدمة وهي قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه إلى قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴿١﴾ وثانيها ﴿٢﴾ ان قوله امرنا مترفيا من صفة القرية وتقديره وإذا اردنا ان نهلك قرية صفتها انا كنا قد امرنا مترفيا ففسقوا فيها فلا يكون لا إذا جواب ظاهر في اللفظ للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظيره قوله سبحانه حتى إذا جاؤوها وفنحت ابوابها إلى قوله ونعم أجر العاملين فلم يأت لا إذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة وبما يشهد بصحة ذلك قول الهذلي حتى إذا سلكوهم في قتائده شلا كما تطرد الجمالة الشرذا (٣)

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيدة ✽ وثالثها ✽ ان الآية محمولة على التقديم والتأخير وتقديرها إذا امرنا مترفي قرية بالطاعة ففسقوا اردنا اهلاكهم وبما يمكن ان يكون شاهدا لهذا الوجه قوله وإذا كنت فيم فأقت لم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وقيام الطائفة معه يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال وكذلك قوله إذا قتم إلى الصلاة فاعسلوا وجوهكم والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة ✽ ورابعها ✽ انه سبحانه ذكر الإرادة على وجه المجاز والاتساع وإنما عني بها قرب الهلاك والعلم بكونه لا محالة كما يقال إذا أراد الليل ارت يموت خلط في ما كله ويسرع إلى ما تتوق نفسه إليه وإذا أراد التاجر ان يفقر أنه الخسران من كل وجه ومعلوم ان الليل والتاجر لم يريد في الحقيقة شيئا لكن لما كان من المعلوم من حال هذا الهلاك ومن حال ذلك الخسران حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه وللكلام العرب اشارات واستعارات ومجازات لاجلها كان كلامهم في الغاية القصوى من الفصاحة والوجه الأول عندي أصح الوجوه وأقربها إلى الصواب إذا تأولت الآية على الأمر الذي هو ضد النهي فأما إذا تأولت الآية على معنى القراءتين

(١) قائله زيادة بن زيد المدوي . والهدى : الطريقة والسيرة . (٢) البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي . وقائمة : موضع . والجمالة : اصعاب الجمال كالبنغالة والحمارة و انتصاب «شلا» على المصدر يعني اذا سلكوهم هذا الموضع شلوهم شلايشبه طرد الشر من الجمال اذا تراحت على الباء .

الأخيرة من أمرنا بالمدوامنا بالتشديد فلن يخرج على هذا الوجه وتكون محمولة على احد الأوجه الثلاثة الأخر ثم بين سبحانه ما فعله من ذلك بالقرون الخالية فقال (وكم أهلكتنا من القرون) أي من الأمم الكثيرة المكذبة (من بعد نوح) أي من بعد زمان نوح إلى زمانك هذا لأن كم تقييد التكثير كما ان رب تقييد التقليل والقرن مائة وعشرون سنة عن عبد الله بن ابي أوفى وقيل مائة سنة عن محمد بن القاسم المازني وروي ذلك مرفوعاً وقيل ثمانون سنة عن الكلبي وقيل اربعون سنة ورواه ابن سيرين مرفوعاً (وكفى ربك بذنوب عباده خبيراً) أي كفى ربك عالماً بذنوب خلقه (بصيراً) بها يجازيهم عليها ولا يفوته شيء منها ثم بين سبحانه انه يدبر عباده بحسب ما يراه من المصلحة فقال (من كان يريد العاجلة) أي النعم العاجلة وهي الدنيا فبهر عنها بصفتها (عجلنا له فيها ما نشاء) من البسط والتقتير وعلق ذلك بمشيئته لا بمشيئته العبد فقد شاء العبد ما لا يشاءه الله فلا يعطيه لكونه مفسدة (لمن يريد) أي لمن يريد اعطاءه يسن بذلك أنه ربما يكون حريصاً يريد الدنيا فلا يعطى وإن اعطى اعطى قليلاً (ثم جعلنا له جهنم يصلها) أي يصير يصلها ويمتدق بناها (مذموماً) ملوماً (مدحوراً) مبعداً من رحمة الله وروي عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي اقترضه الله عليه لا يريد به وجه الله والدار الآخرة عجل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة وذلك ان الله سبحانه وتعالى يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه الله عليه (ومن اراد الآخرة) أي ومن اراد خير الآخرة ونعيم الجنة (وسعى لها سعيها وهو مؤمن) أي فعل الطاعات وتجنب المعاصي وهو مع ذلك مصدق بتوحيد الله تعالى مقرراً بأنبيائه (فأولئك كان سعيهم مشكوراً) أي تكون طاعتهم مقبولة وقيل شكره انه سبحانه بضاعف حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم عن قتادة والمعنى انا احللتنا سعيهم محل ما يشكر عليه في حسن الجزاء وروي عن الحسن انه قال اطلبوا الآخرة فما رأيت طالباً لها إلا نالها وربما نال الدنيا وما رأيت طالب دنيا نال الآخرة وربما لا ينال الدنيا ايضاً (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء) أي كل واحد من هذين الفريقين ممن يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ندم أي تزيدم وقيل كلا نعطي من الدنيا البر والفاجر عن الحسن والمعنى انا نعطي المؤمن والكافر في الدنيا وأما الآخرة فللمتقين خاصة (من عطاء ربك) أي نعمة ربك ورزقه (وما كان عطاء ربك محظوراً) معناه وما كان رزق ربك محبوباً عن الكافر لكفره ولا عن الفاسق لفسقه «سؤال» فإن قيل هل يجوز ان يريد المكلف بعمله العاجل والآجل والجواب نعم إذا جعل العاجل تبعاً للآجل كالمجاهد في سبيل الله يقاتل لاعتزاز الدين ويجعل الغنيمة تبعاً (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) بأن جعلنا بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء وبعضهم موالى وبعضهم عبيداً وبعضهم أصحاء وبعضهم مرضى على حسب ما علمناه من المصالح (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) أي درجاتها ومراتبها أعلى وأفضل وهي مستحقة على قدر الأعمال فينبغي أن تكون رغبتهم في الآخرة وسعيهم لها أكثر وقد روي ان ما بين أعلى درجات الجنة وأسفلها ما بين السماء والأرض وفي الآية دلالة على ان الطاعة لا تزيد في رزق الدنيا وإنما تزيد في درجات الآخرة (لا تجعل مع الله إلهاً آخر) قيل ان الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته وقيل معناه لا تجعل أيها السامع أو أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر في اعتقادك واقرارك ولا في عبادتك ولا في رغبتك ورهبتك (فتقدم مذموماً مخذولاً) معناه فإنك إن فعلت ذلك قدمت وبقيت ما عشت مذموماً على لسان العقلاء مخذولاً ولا ناصر لك يمنع الله نصرته عنك وبكلك إلى ما أشركت به «وقيل» معنى القعود الذل والخزي والخسران والمجز لا الجلوس كما يقال قدم به الضعف عن القتال أي عجز عنه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انها اتصلت بقوله حتى يبعث رسولا والمعنى انه لا يعذب إلا بعد إرسال

الرسول وتقديم الامر والنهي وإتمام النعمة في الانذار والاعذار وظهور العصيان من الكفار والفجار وقيل انها تتصل بما تقدم من قصة بني اسرائيل وما فعل بهم في الكفرة الأولى والثانية فبين سبحانه ان ما فعله موافق لمادته فيمن يريد إهلاكه فلانما يهلك القرى إذا أمر مترفها بالطاعة فسقوا فيكون اهلاكم بالاستحقاق لاعلى الابتداء

قوله تعالى (٢٣) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٤) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رِيَّانِي صَغِيرًا (٢٥) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

يبلغان بالالف و كسر النون كوفي غير عاصم والباقون يبلنن أف بفتح الفاء هاهنا وفي الأنبياء والاحقاف مكى شامي ويعقوب وسهل واف بالكسر والتنوين في الجميع مندفي وحفص والباقون اف بالكسر غير منون وفي الشواذ قراءة ابي السالمات مضمومة غير منونة وقرأ ابن عباس اف خفيفة وجناح الذل بكسر الذال

❖ الحجة ❖

قال ابو علي قوله اما يبلنن يرتفع احدهما به وقوله كلاهما مطوف عليه والذكر الذي عاد من قوله احدهما يعني عن اثبات علامة الضمير في يبلنن فلا وجه لقول من قال ان الوجه اثبات الالف لتقدم ذكر الوالدین عنى به الفراء وإنما الوجه في ذلك انه على الشيء الذي يذكر على وجه التوكيد ولو لم يذكر لم يقع بترك ذكره اخلال نحو قوله أموات غير أحياء فقوله غير أحياء توكيد لأن قوله أموات يدل عليه فيكون الالف مجردة لمعنى التثنية ولا حظ للاسمية فيها ويرتفع احدهما أو كلاهما بالفعل وقال الزجاج يكون أحدها أو كلاهما بدلا من الألف في يبلنن قال ابو علي من قرأ أف بالفتح فانه بناء على الفتح كقولهم سرعان اذا اهالقهو واسم لسرع ومثله وشكان قال

لَوْ شَكَانَ مَا عَنَيْتُمْ وَشَجَّتُمْ^(١) يَا خَوَانِكُمْ وَالْعِزُّ لَمْ يَتَجَمَّعْ

و كذلك اف اسم لا تضجر واتكره ونحو ذلك ومن قرأ أف فإنه بدخول التنوين يدل على التنكير مثله مه وصه ومثله قولهم فداء لك منوه على الكسر وإن كان في الأصل مصدراً كما كان أف في الأصل مصدراً من قولهم أفه وتقف يراد بها تننا ودفرا ومن قرأ أف ولم ينون جعله معرفة فلم ينون كما ان من قال صه وغاق فلم ينون أراد به المعرفة فإن قلت ما موضع أف في هذه اللغات بعد القول هل يكون موضعه نصباً كما ينتصب المفرد بعده أو يكون كما تكون الجمل فالقول ان موضعه موضع الجمل كما انك لو قلت رويد لكان موضعه للجمل قال الزجاج في اف سبع لغات اف بالضم منونا وغير منون واف بالكسر منونا وغير منون واف واقفا واقفا ومالة وزاد ابن الانباري اف خفيفة مفتوحة قال ابو الحسن وقول الذين قالوا أف أكثر وأجود ولو قلت اف لك واقفا لك لاحتمل وجهين ❖ احدهما ❖ ان يكون الذي صار اسما للفعل لحقه التنوين علامة للتنكير ❖ والآخر ❖ ان يكون نصباً معرباً وكذا الضم فإن لم يكن معه لك كان ضعيفاً ألا ترى أنك لا تقول وبيل ولو قلته لم يستقم حتى يوصل به لك فيكون في موضع الخبر والذل ضد الصعوبة والذل ضد العز والأول في الذابذة والثاني في الإنسان

❖ الأعراب ❖

قوله وبالوالدين احسانا العامل في الباء قضي والتقدير وقضى بالوالدين احسانا ويجوز ان يكون على تقدير

(١) وفي اللسان «أوشكان» . (٢) [ساكنة واف خفيفة] .

واوصى بالوالدين إحسانا وحذف لدلالة الكلام عليه قال الشاعر
عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إِذْ تَشَكُّونَا وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءَ إِذْ يُوْصِينَا
خَيْرًا بِهَا كَأَنَّا خَافُونَا

فاعمل بوصينا في الخير كما ريباني أي كرحمة تربيتها بمعنى رحمة تحدث عند التربية كما تقول ضرر التلف وقيل الكاف بمعنى على ارحمها على ما ريباني عن الأخصى وكذا قال في قوله كما أمرت ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين منكم فحذف ويجوز ان يكون على كان لكم فوضع الظاهر موضع المضمحل لأنهم الصالحون

« المعنى » -

لما تقدم النهي عن الشرك والمعاصي عقب سبحانه بالأمر بالتوحيد والطاعات فقال سبحانه (وقضى ربك) أي أمر ربك أمراً باتاً عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل الزم واوجب ربك عن الربيع بن أنس وقيل أوصى عن مجاهد (ان لا تعبدوا إلا اياه) معناه أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره فإتى قيل ان الأمر لا يكون أمراً بأن لا يكون الشيء لأن الأمر يقتضي ارادة المأمور به والارادة لا تتعلق بأن لا يكون الشيء وإنما تتعلق بحدوث الشيء فالجواب ان المعنى أراد منكم عبادته على وجه الاخلاص وكره منكم عبادة غيره وعبر عن ذلك بقوله أمر ان لا تعبدوا إلا اياه (وبالوالدين إحساناً) أي وقضى بالوالدين احساناً أو أوصى بالوالدين إحساناً ومعناها واحد لأن الوصية أمر (إما يلفظ عندك الكبير أحدهما أو كلاهما) يعني به الكبير في السن والمعنى إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبراً أو عاش أحدهما حتى يكبر يريد ان بلغا في السن مبلغاً يصيران بمنزلة الطفل الذي يحتاج إلى تمهد وخص حال الكبير وإن كان من الواجب طاعة الوالدين على كل حال لأن الحاجة أكثر في تلك الحال إلى التمهد والخدمة وهذا مثل قوله ويكلم الناس في المهد وكهلاً مع ان الناس كلهم يتكلمون في حال الكهولة والوجه فيه انه سبحانه اخبر ان عيسى يكلم الناس في المهد وانه يعيش حتى يكهل ويتكلم بعد الكهولة ونحو ذلك قوله والأمر يومئذ لله وإنما خص ذلك اليوم لأنه لا يملك فيه احد سواه وقيل ان الكبير في الآفة راجع الى المخاطب أي ان بلغت حال الكبير وهو حال التكليف وقد بقي معك أبواك أو أحدهما (فلا تقل لها أف) وروي عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده ابي عبد الله (ع) قال لو علم الله لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من أف لأتني به وفي رواية اخرى عنه قال أدنى العقوق أف ولو علم الله شيئاً أسمر منه واهون منه لنهى عنه وفي خبر آخر فليعمل العاق ما يشاء ان يعمل فلن يدخل الجنة فالمعنى لا يظلمها بقليل ولا كثير قال مجاهد معناه ان بلغا عندك من الكبير ما يبولان ويجدثان فلا تتخذ برها وامط عنها كما كانا ييطان عنك في حال الصغر والمتبرم يكسر قول أف وهي كلمة تدل على الضجر وقيل ان الأف والتف وسخ الا صابع إذا فتلتته عن ابي عبيدة وقيل هي كلمة كراهة عن ابن عباس وقيل معناه التنن وجاء في المثل أير من النسر قالوا لأن النسر إذا كبر ولم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقه كما كان ابواه يزقانه (ولا تنهرها) أي لا تزجرها باغلاظ وصياح وقيل معناه لا تمتنع من شيء اراداه منك كما قال واما السائل فلا تنهر (وقل لها قولاً كريماً) أي وخاطبهما بقول رقيق لطيف حسن جميل بعيد عن القو والقيح يكون فيه كرامة لهما وبدل على كرامة المقول له على القائل وقيل معناه قل لهما قول العبد المذنب للسيد اللفظ الفليظ عن سعيد بن المسيب (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي وبالغ في التواضع والخضوع لهما قولاً وفعلاً برأ بهما وشفقة عليهما والمراد بالذل هاهنا اللين والتواضع دون الهوان من خفض الطائر جناحه إذا ضم فرخه اليه فكأنه سبحانه قال ضم أبويك إلى قسك كما كانا يفعلان بك وانت صغير واذا وصفت العرب إنساناً بالسهولة وترك الآباء قالوا هو خافض الجناح وقال ابو عبد الله (ع) معناه لا تملأ عينيك من النظر اليهما الا برأفة ورحمة ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يديك فوق ايديهما

ولا تتقدم قدامهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) معناه ادع لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد ماتهما جزاء لثريتهما اياك في صباحك وهذا إذا كانا مؤمنين وفي هذا دلالة على ان دعاء الولد لوالده الميت مسموع وإلا لم يكن للأمر به معنى وقيل ان الله تعالى اوصى الأبناء بالوالدين لقصور شفقتهم ولم يوص الوالدين بالأبناء لوفور شفقتهم وذكر حال الكبر لأنهما احوج في تلك الحال إلى البر لضعفهما وكونهما كلاً على الولد ففي الحديث ان النبي ﷺ قال رغم انفة رغم انفة رغم انفة قالوا من يا رسول الله قال من ادرك ابويه عند الكبر احدهما او كلاهما ولم يدخل الجنة اوردته مسلم في الصحيح وروى ابو اسيد الانصاري قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانا قد عهدتهما من بعدهما واكرام صديقتهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما قال قتادة هكذا علمت وبهذا أمرتم فخذوه بتعليم الله وادبه (ربكم اعلم) اي اكثر معلوماً وقيل اثبت علماً فإنه سبحانه اعلم بأن الجسم حادث من الانسان العالم بذلك (تأ في قوسكم) اي بما تضمرون من البر والمعقوق فمن ندرت منه نادرة وهو لا يضمر عقوقاً غير الله له ذلك وقيل معناه انه اعلم بجميع ما في ضمائركم وهذا اوجه (لمن تكونوا صالحين) اي طائمين لله (فإنه كان للأوابين غفورا) والأواب المتعبد الراجع عن ذنبه عن مجاهد وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل ان الأولين المطيعون المحسنون عن قتادة وقيل انهم الذين يذنبون ثم يتوبون ثم يذنبون ثم يتوبون عن سعيد بن المسيب وقيل هم الراجعون الى الله فيما يتوبهم عن ابن عباس وقيل هم المسبحون عن ابن عباس في رواية اخرى وبعضه قوله يا جبال اوبي معه وقيل انهم الذين يصلون بين المغرب والعشاء روي ذلك مرفوعاً وروي هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال صلاة اربع ركعات بقرأني كل ركعة خمسين مرة قل هو الله احد هي صلاة الأوابين

قوله تعالى (٢٦) وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ أَمْوَالَكَ فِي سَبِيلِ الْقَوْلِ إِنَّ أَلْبَسْتَهُمْ لَعْنَةً مِنْ رَبِّكَ فَتَعْتَدُ مَلُومًا مَحْسُورًا (٣٠) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِمَبَادِرِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (خمس آيات)

(اللقمة)

النبذير التفريق بالاسراف وأصله ان يفرق كما يفرق البذر الا انه يختص بما يكون على سبيل الافساد وما كان على وجه الاصلاح لا يسمى تذبذرا وان أكثر قال النابغة

تَرَائِبُ يَسْتَنْصِيءُ الْحَلِيَّ فِيهَا كَجَمْرِ النَّارِ بَذَرٌ بِالظَّلَامِ (١)

والاعراض صرف الوجه عن الشيء وقد يكون عن قلب وقد يكون للاشتغال بما هو الاولى وقد يكون للازدلال كما قال واعرض عن الجاهلين وأصل الحسر الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا إذا كشف عنه والحسرة الغم لانحسار ما فات ودابة حسير اذا كَلَّتْ لشدة السير لانحسار قوتها بالكلال ومنه قوله ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير والمحسور المنقطع به لذهاب ما في يده وانحساره عنه قال المذلي
إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطْرَهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورٌ (٢)

ويقال حسرت الرجل بالمسألة اذا افتيت جميع ما عنده

✽ الاعراب ✽

وأما تعرض تقديره وان تعرض وما مزبدة وابتغاء مفعول له وقيل هو مصدر وضع موضع الحال اي مبتغيا
رحمة من ربك ترجوها اي راجيا إياها وترجوها جملة في موضع الجر بكونها صفة لرحمة ويجوز ان يكون في
موضع النصب على الحال من الضمير في تعرض

✽ المعنى ✽

ثم حث سبحانه نبيه ﷺ على إيتاء الحقوق لمن يستحقها على كيفية الاتفاق فقال (وآت ذى القربى
حقه) معناه واعطى القربات حقوقهم التي اوجباها الله لهم في أموالكم عن ابن عباس والحسن وقيل ان المراد قرابة
الرسول عن السدي قال ان علي بن الحسين (ع) قال لرجل من اهل الشام حين بعث به (ع) عبيد الله بن زياد
الى يزيد بن معاوية أقرأت القرآن قال نعم قال أما قرأت وآت ذى القربى حقه قال وانكم ذو القربى الذي أمر
الله ان يؤتى حقه قال نعم وهو الذي رواه اصحابنا عن الصادقين (ع) واخبرنا السيد ابو الحمد مهدي
ابن نزار الحسيني قراءة قال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله المسكافي قال حدثنا الحاكم الواحد ابو
محمد قال حدثنا [عبد الله] عمر بن احمد بن عثمان بيغداد شفاها قال اخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال
حدثنا جعفر بن محمد الاحمسي قال حدثنا حسن بن حسين قال حدثنا ابو معمر سعيد بن خثيم وعلي بن القاسم
الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهر عن فضل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري قال
لما نزل قوله وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدكا قال عبد الرحمن بن صالح كتب
المأمون الى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فدك فكتب اليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضيل بن مرزوق عن
عطية فرد المأمون فدكا الى ولد فاطمة (ع) (والمسكين وابن السبيل) معناه وآت المسكين حقه الذي جعله
الله له من الزكاة وغيرها وآت المجتاز المنقطع عن بلاده حقه ايضا (ولا تبذر تبذرا) قيل ان المبذر
الذي ينفق المال في غير حقه عن ابن عباس وابن مسعود وقال مجاهد لوافق مَدًّا في باطل كان مبذرا ولو
اتفق جميع ماله في الحق لم يكن مبذرا وروي عن ابي عبد الله (ع) ان امير المؤمنين (ع) قال لعنابة كن زاملة
للمؤمنين وان خيرا المطايا امثلها واسلمها ظهرا ولا تكن من المبذرين (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) معناه ان
المسرفين اتباع الشياطين سالكون طريقهم وهذا كما يقال لمن لازم السفر هو اخو السفر وقيل معناه انهم قرناء
الشياطين في النار (وكان الشيطان لربه كفورا) اي كان الشيطان في قدم مذهبه كثير الكفر مرة بعد اخرى
(وإما تعرض عنهم) اي وان تعرض عن هؤلاء الذين امرتك بإيتاء حقوقهم عند مسألتهم إياك لأنك لا تجد
ذلك حياء منهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) اي لتبتغي الفضل من الله والسعة التي يمكنك معها البذل بأمل تلك
السعة وذلك الفضل (فقل لهم قولاً ميسوراً) اي عدّهم عدّة حسنة وقل لهم قولاً سهلاً لينا يتيسر عليك وروي ان
النبي ﷺ كان لما نزلت هذه الآية اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله وإياكم من فضله
(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) اي لا تكن ممن لا يعطي شيئا ولا يهب فتكون بمنزلة من يده مغلولة الى
عنقه لا يقدر على الاعطاء والبذل وهذا مبانة في النهي عن الشح والامساك (ولا تبسطها كل البسط) اي ولا تعط
ايضا جميع ما عندك فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء وهذا كناية عن الاسراف (فتقدم لوما)
تلوم نفسك وتلام (محسورا) منقطعا به وايس عندك شيء عن السدي وابن عباس وقيل عاجزا نادما عن قتادة
وقيل محسورا من الثياب والمحسور الثريان عن ابي عبد الله (ع) وقيل معناه ان امسكت قدمت ملوما مذموما
وان اسرفت بقيت متحسرا مضموما عن الجبائي وقال الكلبي لا تعط ما عندك جميعا فيجيب الآخرون يسألونك
فلا تجد ما تعطهم فيلومونك وروي ان امرأة بعثت ابنتها الى رسول الله ﷺ وقالت قل له ان أمي تستكسيك

درعا فان قيل حتى يا تينا شي* فقل له انها تستكسيك قميصك فاتاه فقال ما قالت له فترج قميصه فدفعه اليه فترت الآيه ويقال انه (ع) بقي في البيت اذ لم يجد شيئاً يلبسه ولم يمكنه الخروج الى الصلاة فلامه الكفار وقالوا ان محمداً اشتغل بالنوم والاهو عن الصلاة (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسع مرة ويضيق مرة بحسب المصلحة مع سعة خزائنه (انه كان بعباده خيراً بصيراً) اي عالماً بأحوالهم بصيراً بمصالحهم فيبسط على واحد ويضيق على آخر يدبرهم على ما يراه من الصلاح

(النظم) -

وانما اتصلت هذه الآيه الأخيرة بما قبلها من حيث ان فيها حثاً على الاعطاء اعتماداً على الله تعالى ونهيان البخل وحثاً على التقصد اذ هو سبحانه مع غناه وكمال قدرته يوسع مرة ويضيق مرة اخرى مراعاة للمصلحة فمن هو دونه اولى ان يراعي الصلاح ويملك طريق التقصد

قوله تعالى (٣١) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣٢) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِذْهُ كَانَتْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٣) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْفَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٤) وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٥) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوتُمْ بِالْقِيسَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (خمس آيات)

(القراء) -

قرأ ابو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان كان خطأً بفتح الحاء والطاء من غير الف بعدها وقرأ ابن كثير خطأً بكسر الحاء ومدوداً والباقون خطأً بكسر الحاء من غير مد وفي الشواذ قراءة الزهري واي رجاء خطأ بكسر الحاء غير ممدود وقراءة الحسن خطأً بالمد وفي رواية اخرى منه خطأً بفتح الحاء والطاء خفيفة وقرأ اهل الكوفة غير غاصم فلا تسرف بالتاء والباقون بالياء وقرأ اهل الكوفة غير اي بكسر القسطاس بكسر القاف والباقون بضمها (اللمحة) -

الخطأ ما لم يتعمد وكان المأثم فيه موضوعاً عن صاحبه قال ابو علي قالوا الخطأ في معنى خطي كما ان خطي في معنى اخطأ في مثل قوله

عِبَادُكَ يَخْطُونَ وَأَنْتَ رَبُّ كَرِيمٍ لَا يَلِيقُ بِكَ الذَّمُّ

فمجرى الكلام انهم خاطئون وفي التنزيل لا توأخذنا ان نسينا او اخطانا والمواخذة عن المخطي موضوع فهذا يدل على ان اخطانا في معنى خطئنا وكما جاء اخطأ في معنى خطي كذلك جاء خطي في معنى اخطأ في قوله «يا لهف هنيئاً إذ خطئنا كاهلاً» وفي قول الآخر

وَالنَّاسُ يَلْحُونَ الْأَمِيرَ إِذَا هُمُ خَطُّوا الْعَوَابَ وَلَا يَلَامُ الْمُرِيدُ

فكذلك قراءة ابن عامر خطأ في معنى اخطأ كما جاء خطي بمعنى اخطأ ويجوز ان يكون الخطأ بمعنى الخطء ايضاً كالمثل والمثل والشبه والشبه واليدل والبذل واما قراءة ابن كثير خطأ فإنه يجوز ايضاً ان يكون مصدر خطأ وان لم يسمع خطأ ولكن جاء ما يدل عليه وهو قوله «تخطأت النبل أحشاء» قال وانشدنا محمد ابن السري في وصف كرامة

(١) هذا صدر بيت لامرئ القيس قاله عندما اغار على بني أسد . وبعده «نحن جلبنا القرح القوافلاً» . (٢) قائله اوفى بن مطر البازني وتمامه «الا ابلغناختي جابراً» بأن خليلك لم يقتل في تخطأت النبل أحشاء» في وأخر يومى

وَأَشَعَتْ قَدَّ نَاوَلْتَهُ أَحْرَشُ الْفِرَى
تَخَاطَأَهُ الْقُنَاصُ حَتَّى وَجَدْتَهُ
أَدْرَتْ عَلَيْهِ الْمُدَجِّنَاتُ الْهَوَاضِبُ
وَخَرَطُوهُ فِي مَقْعِ الْمَاءِ رَأْسِبُ (١)

فتخاطأ يدل على خاطأ لأن تناه مطاوع فعل كما أن تفعل مطاوع فعمل ووجه من قرأ خطأ بين فإنه يقال خطى بخطأ خطأ اذا تعدد الشيء والفاعل منه خاطى وقد جاء الوعيد فيه في قوله تعالى لا يأكله الا الخاطئون واما خطاه فهو اسم بمعنى المصدر من اخطأت كالعلماء من اعطيت وقال ابن جنى يقال خطى يخطأ خطأ خطأ وخطأ في الدين واخطاه الغرض ونحوه وقد يتداخلان واما خاطأ وخطأ فتخفيف خطأ وخطاه قال ابو علي واما قوله فلا يسرف بالياء فان فاعل يسرف يجوز ان يكون على وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون القاتل الاول فيكون تقديره فلا يسرف القاتل في القتل ويكون مضرا وان لم يجز له ذكر لأن الحال تدل عليه فلأن قلت كيف يكون في القتل قصد بين شيئين حتى ينهى عن الاسراف فيه الذي هو ترك القصد (فالجواب) انه لا يستنع ان يكون فيه الاسراف كما جاء في اموال اليتامى ولا تأكلوها اسرافا ولم يجز ان يترك كل منه لا على الاقتصاد ولا على غيره لقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية فكذلك لا يستنع ان يقال للقاتل الاول لا يسرف في القتل لأنه يقتله يكون مسرفا ويكون الضمير على هذا في قوله انه كان منصورا لقوله ومن قتل مظلوما تقديره فلا يسرف القاتل المبتدى يقتله في القتل لأن من قتل مظلوما كان منصورا بأن يقتض له وليه او السلطان ان لم يكن له ولي غيره فيكون هذا ردعا للقاتل عن القتل كما ان قوله ولكم في القصاص حياة كذلك فالولي اذا اقتص فلانما يقتص للمقتول ومنه انتقل الى الولي بدلالة ان المقتول لو ابرئ من السبب المؤدى الى القتل لم يكن للولي ان يقتص ولو صالح الولي من العمد على مال كان للمقتول ان يردّتي منه دينه ولا يستنع ان يقال في المقتول منصور لأنه قد جاء ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون في يسرف ضمير الولي اي فلا يسرف الولي في القتل واسرافه فيه ان يقتل غير الذي قتل او يقتل اكثر من قاتل وليه وكان مشركوا العرب يفعلون ذلك والتقدير فلا يسرف الولي في القتل اذ الولي كان منصورا يقتل قاتل وليه والاقتصاص من القاتل ومن قرأ فلا تسرف بالياء احتمل وجهين ايضا ﴿ احدهما ﴾ ان يكون المبتدى القاتل ظلما فليل له لا تسرف ايها الانسان فتقتل ظلما من ليس لك قتله ان من قتل مظلوما كان منصورا بأخذ القصاص له ﴿ والآخر ﴾ ان يكون الخطاب للولي فيكون التقدير فلا تسرف ايها الولي في القتل فتتمدى قاتل وليك الى من لم يقتله ان المقتول ظلما كان منصورا وكل واحد من المقتول ظلما ومن ولي المقتول قد تقدم ذكره في قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا واما القسطاس والقسطاس فهما لفتان مثل القراطاس والقراطاس والضم اكثر

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ولا تقتلوا اولادكم) اي بناتكم (خشية املاق) اي خوف فقر وعجز عن النفقة عليهم ويحتمل ان يكون قوله ولا تقتلوا منصوبا عطفا على قوله ان لا تصدوا ويجوز ان يكون على النهي فيكون مجزوما ولو ما نهاهم الله عن ذلك لأنهم كانوا يشدون البنات فيدفنونهن احياء (نحن نرزقهم وايام) اخبر سبحانه انه متكفل برزق اولادهم ورزقهم (أن قتلهم كان خطأ كبيرا) يعني ان قتلهم في الجاهلية كان عظيما عند الله وهو اليوم كذلك (ولا تقربوا الزنى) وهو وطء المرأة حراما بلا عقد ولا شبهة عقد (انه كان فاحشة) اي مصيبة كبيرة عظيمة والمراد انه كان عندهم في الجاهلية فاحشة وهو الآن كذلك ومثل هذا في القرآن كثير (وساء سبيلا) اي وبئس الطريق الزنا وفيه اشارة الى ان العقل يقبح الزنى من حيث انه لا يكون للولد نسب اذ ليس بعض الزناة اولي به من بعض فيؤدى الى قطع الانساب وابطال الموارث وابطال صلة الرحم وحقوق الاباء على الاولاد وذلك مستكر في القول واخبرني المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن علي قال حدثنا الشيخ ابو جعفر

(١) كل شيء خشن فهو أحرش وأحرش وفي بعض النسخ «أحوش» بالواو وفي التبيان والمنقول من تفسيرى القرطبي وروح المعاني «أحرس» بالسین والراء والقوى: الطعام للضيف . وسحابة مدجنة : ذات المطر الكثير والهضبة : المطرة الدائمة العظيمة الفطر: والقنص: الصيادون .

الطوسي قال حدثنا ابو عبد الله الحسن بن احمد بن حبيب الفارسي عن ابي بكر محمد بن احمد بن محمد الجرجاني قال سمعت ابا عمر وعثمان بن الخطاب المعروف بابي الدنيا يقول سمعت علي بن ابي طالب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول في الزناست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفنا وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب وسره الحساب والدخول في النار والخلود في النار (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وهو ان يجب عليه القتل اما لكفره أو رده أو لأنه قتل نفساً بغير حق أو ذنباً وهو محصن (ومن قتل مظلوماً) بغير حق (فقد جعلنا لوليهِ سلطاناً) أي قد اثبتنا لوليهِ سلطان القود على القاتل أو الذية أو العفو عن ابن عباس والضحاك وقيل سلطان القود عن قتادة (فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً) مرّ تفسيره قبل (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده) فسره في سورة الانعام (واوفوا بالعهد) في الرصية مال اليتيم وغيرها وقيل ان كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد وقد يجب الشيء ايضاً بالندب والعهد به وان لم يجب ابتداءً وانما يجب عند العقد (ان العهد كان مسؤولاً) عنه لاجزاء عليه فحذف عنه لأنه مفهوم وقيل ان معناه ان العهد يسأل فيقال له بما نقضت كما تسأل الموردة بأي ذنب قتلت (واوفوا الكيل إذا كلفتم) أي أتموه ولا تبخسوا منه ومعناه ووفوا الناس حقوقهم اذا كلفتم عليهم (وزنوا بالقسطاس) وهو الميزان صغر ام كبر عن الزجاج وقيل هو القبان عن الحسن وقيل هو العدل بالرومية عن مجاهد فيكون معمولاً على موافقة اللتين (والمستقيم) الذي لا يخس فيه ولا يغبن (ذلك خير) أي خير ثواباً عن قتادة وقيل اقرب إلى الله عن عطاء وقيل معناه ان ايفاء الكيل والوزن خير لكم في دنياكم فانه يكسب اسم الأمانة في الدنيا (واحسن تأويلاً) اي واحسن عاقبة في الآخرة ومرجماً من آل يؤول إذا رجع حيث الله سبحانه بهذه الآية على اتمام الوزن والكيل في المعاملات والبياعات وايفاء حقوق العباد

قوله تعالى (٣٦) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٧) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٨) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٩) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٤٠) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابن عامر واهل الكوفة كان سيئه بضم الهززة مضافاً إلى الماء وقرأ الباقون سيئة منصوباً منوناً غير مضاف

الحجة

من قرأ سيئته مضافاً قال لأنه قد تقدم ذكر أمور منها سيئ ومنها حسن فخص الله سبحانه السيئ منها بأنه مكروه عنده لأنه عز اسمه لا يكره الحسن ويقوي ذلك قوله مكروها ولو كان سيئته غير مضاف لوجب ان تكون مكروهة فإن قيل ان التانيث غير حقيقي فلا يمنع ان يذكر قيل ان هاهنا التذكير لا يحسن وان لم يكن حقيقياً لأن الموت قد تقدم ذكره فإن قوله «وَلَا أَرْضَ أَبْغُلُ إِتْقَانًا» مستقيم عندهم ولو قال أبقل ارض لم يستقيم وذلك ان المتقدم الذكر ينبغي ان يكون الراجع اليه وبقه كما يكون وبقه في التثنية والجمع واذا لم يتقدم له ذكر لم يلزم ان يراعي ذلك ومن قرأ سيئته فانه يشبه ان يكون لما رأى الكلام اقتطع عند قوله واحسن تأويلاً وكان

(١) عجزيت قاله عامر بن جوين الطائي وقبله «فلامزنة ودقت ودقها» والمزنة: القطعة من السحاب والودق المطر. وأبقل: أخرج البقل والشاهد في أبقل حيث لم يقل أبقلت.

الذي بعده من قوله ولا تقف ما ليس لك به علم لا أمر حسنا فيه قال كل ذلك كان سيئة فأفرد ولم يصف
فإن قلت كيف ذكر الموث ثم قال مكروها قلت فإنه يجوز أن لا تجمل مكروها صفة سيئة ولكن نجمله بدلا
ولا يازم أن يكون في البديل ذكر المبدل منه كما يجب ذلك في الصفة ويجوز أن يكون مكروها حالا من الذكر
الذي في قوله عند ربك على أن تجعل عند ربك صفة للنكرة قال النحوي البصير ليس هذا بصحيح لأن الضمير الذي
في الطرف موث كما أن السيئة موث فيلزم منه ما لزم من الأول إذا جعلته صفة للسيئة وأن حمله على التائت
غير الحقيقي بجي منه ما قال في قوله ولا أرض اقبل ابقالها

اللغة

التهو اتباع الاثر ومنه القيافة فكأنه يتبع قفا المتقدم قال

وَمِثْلُ الدَّمَى شَمُّ الْعَرَانِينَ سَاكِنٌ
بِهِنَّ الْحَيَاءُ لَا يَشْعُنَ التَّقَايَا (١)

اي التقاذف قال ابو عبيدة القفر العضية يقال قافه يقرفه وقفاه يقفوه بمعنى فهو مثل جذب وجذب واصل
الحرق القطع ورجل حرق يتحرق في السخا. والخرق الفلاة لا تقطاع اطرافها بتباعدها قال رؤبة وقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ
خَاوِيِ الْمُخْتَرِقِ اي خاوي المقطع والمرح شدة الفرح

الإعراب

قال كل أو لك لأن أو لك وهو لاء للجمع القليل من المذكر والمؤنث وإذا أريد الكثير يقال كل هذه
وتلك قال الشاعر

فَمِ الْمَنَازِلُ بَعْدَ مَنَزَلَةِ اللَّوِيِّ
وَالْعَيْشُ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْأَيَّامِ

فأولئك كما يكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم وقوله كان عنه مسؤولا الها. تعرد الى كل
اي يسأل عن استعمال هذه الاشياء. وان شئت كان الها. يعود الى الانسان اي يسأل عن الانسان فيما استعمل
هذه الاشياء. ويكون في مسؤولا ضمير يعود الى كل وقدره ابو عبي ان افعال السمع والبصر والفؤاد كل افعال
أولئك. طولا مصدر وضع موضع الحال اما عن الفاعل في ان تبلغ او من العبال وجوز الأمرين ابر علي وقتلني
منصوب باضمار ان اكونه جواب النهي بالقاء. ملوما مدحورا نصب على الحال ومرحا نصب على التمييز ويجوز
ان يكون مصدرا وضع موضع الحال كقولهم جاء زيد ركضا وجاء زيد ركضا فركضا أو كد في الاستعمال
لأن ركضا يدل على توكيد الفعل وتقديره يركض ركضا وعلى هذا يكون معناه ولا تمش في الارض مختالا وقيل
ان طولا نصب على التمييز

المعنى

ثم قال سبحانه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ومعناه لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم
عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه لا تقل في قفا غيرك كلاما اي اذا مر بك فلا تقبته من الحسن وقيل هو شهادة
الزور عن محمد بن الحنفية والاصل انه عام في كل قول وفعل او عزم يكون على غير علم فكأنه سبحانه قال
لا تقل الا ما تعلم انه مما يجوز ان يقال ولا تفعل الا ما تعلم انه مما يجوز ان يفعل ولا تعتقد الا ما تعلم انه مما يجوز
ان يعتقد وقد استدلل جماعة من اصحابنا بهذا على ان العمل بالقياس وبخبر الواحد غير جائز لأنها لا يوجب العلم
وقد نهى الله سبحانه عن اتباع ما هو غير معلوم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) معناه
ان السمع يسأل عما سمع والبصر عما رأى والقلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع والبصر والفؤاد والمراد ان
اصحابها هم المسؤلون ولذلك قال كل أو لك وقيل بل المعنى كل أو لك الجوارح يسأل عما فعل بها قال الرازي
عن ابن عباس يسأل الله العباد فيما استعملوها وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن ابيه عن الحسن بن محبوب عن

(١) قائله النابتة الجعدي. والشم: ارتفاع قصبه الأنف. والعرينين: الأنف وشم الأنف من صفات المدح (٢) وبعبده

«مشبه الإعلام لماع الخفق» ومكان قاتم الاعماق اي مغبر النواحي.

ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن اربع خصال صورك فيما افنيته وجسدك فيما ابليت وما لك من اين كسبته واين وضعته وعن جنات أهل البيت (ولا تمس في الارض مرحا) معناه لا تمس على وجه الاشر والبطر والخيلاء والتكبر قال الزجاج معناه لا تمس في الارض مختلاً فخوراً وقيل المرح شدة الفرح بالباطل (انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) هذا مثل ضربه الله تعالى قال انك ايها الانسان لن تشق الارض من تحت قدمك بكبرك ولن تبلغ الجبال بطاؤك والمضي انك لن تبلغ ما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك ان تبلغ هذا فما وجه المنازعة على ما هذا سبيله مع ان الحكمة زاجرة منه وانما قال ذلك لأن من الناس من يمشي في الارض بطراً يبدق قدميه عليها ليري بذلك قدرته وقوته ويرفع رأسه ومنقفاً فيبين سبحانه انه ضعيف مهين لا يقدر ان يخرق الارض يبدق قدميه عليها حتى ينتهي الى آخرها وان طولها لا يبلغ طول الجبال وان كان طويلاً لم الله سبحانه عباده التواضع والورع والوقار (كل ذلك) اشارة الى جميع ما تقدم ذكره ما نهى الله سبحانه عنه في هذه الآيات (كان سيئه) اي معصيته (عند ربك مكروها) له سبحانه يكرهها ولا يريد لها ولا يرضاها وعلى القراءة الثانية فيكون ذلك اشارة الى جميع ما امر به من الحسنات ونهى عنه من المصبات اي كان سيئاً ما سبق من هذه الاشياء مكروها عند ربك وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة فانه سبحانه صرح بأنه يكره المعاصي والسيئات وإذا كرهها فكيف يريد لها فان من المعال ان يكون الشيء الواحد مراداً مكروها عنده (ذلك) الذي تقدم ذكره من الأوامر والنواهي (مما اوحى اليك ربك) يا محمد (من الحكمة) المؤدية الى المعرفة بالحسن والقبح والفرق بينهما (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر) في اقرارك وقولك والخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره ليكون ابلغ في الزجر كقوله لن اشركت ليجبطن ملك (قتلني) أي فتطرح بمعنى انك إذا فعلت ذلك القيت وطرحت (في جهنم ملوماً بلومك الناس) مدحوراً أي مطروداً بعداً عن رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة ائناً) هذا خطاب لمن جعل الملائكة بنات الله تعالى ومعناه اخلصكم الله سبحانه بالبنين وخصكم بهم واتخذ لنفسه الإناث وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه واختصكم بالأرفع وجعل لنفسه الأدون تقول اصفيت فلانا بالشيء إذا آرت به (انكم لتقولون قولاً خفياً) اي كبيراً في الاثم واستحقاق العقوبة حيث اضمتم الى الله سبحانه ما لم ترضوا لأنفسكم به وجعلتم الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم أدون خلق الله وهم الاثنت

قوله تعالى (٤١) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذْ الْأَبْتَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٣) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٤) نُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (أربع آيات)

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الكوفة غير ما صم ليدكروا ساكنة الذال خفيفة وفي سورة الفرقان مثله والباقيون ليدكروا بفتح الذال والكاف وتشديدها في السورتين وقرأ كما يقولون بالياء يسبح له بالياء أهل المدينة والشام وابو بكر وقرأ أهل البصرة كما تقولون بالياء ما يقولون بالياء تسبح له بالياء وقرأ اخضر كما يقولون وقما يقولون بالياء تسبح بالياء وقرأ الجميع بالياء ابن كثير وقرأ الجميع بالياء حمزة والكسائي وخلف

❦ الحجة ❦

قال ابو علي حجة من قال ليدكروا قوله ولقد وصلنا لهم القول لئلا يتذكروا فالتذكر هنا أشبه من الذكر

لأنه كان يراد به التدبير وليس يراد الذكر الذي هو ضد البيان ولكنه كما قال كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم بل المراد ليتدبروه بقولهم ووجه التخفيف ان التخفيف قد جاء في هذا المعنى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فهذا ليس على معنى لاتنسوه ولكن تدبروه ومن قرأ كما يقولون بالياء فالمعنى كما يقول المشركون من اثبات الآلهة من دونه فهو مثل قوله تعالى قل للذين كفروا ستغيبون لأنهم غيب فأما من قرأ سبحانه وتعالى عما يقولون فإنه يحتج بوجهين ﴿أحدهما﴾ ان يعطف على كما يقولون ﴿والآخر﴾ ان يكون نزه سبحانه نفسه عن دعوتهم قال سبحانه وتعالى عما يقولون ومن قرأ كما تقولون بالتاء وعما يقولون بالياء فإن الأول على ما تقدم والثاني على أنه نزه نفسه عن قولهم ويجوز أن تحمله على القول كأنه قال قل أنت سبحانه وتعالى عما يقولون واما قوله تسبح له السموات فكل واحد من اليا. والتاء حسن

المعنى

ثم احتج سبحانه على الذين تقدم ذكرهم فقال (واقدر صرفنا) أي كررنا الدلائل وفصلنا المعاني والأمثال وغير ذلك مما يجب الاعتبار به (في هذا القرآن ليدكروا) أي ليتفكروا فيها فيعلموا الحق وحذف ذكر الدلائل والعبر لدلالة الكلام عليه وعلم السامع به (وما يزيدهم إلا نفورا) أي وما يزداد هؤلاء الكفار عند تصريف الأمثال والدلائل لهم إلا تباعدا عن الاعتبار ونفورا عن الحق وأضاف النفور إلى القرآن لأنهم ازدادوا النفور عند نزوله كقوله فلم يزدكم دعائي إلا فرارا فإن قيل إذا كان المعلوم انهم يزدادون النفور عند انزال القرآن فما المعنى في انزاله وما وجه الحكمة فيه قيل الحكمة فيه الزام الحاجة وقطع المذرة في اظهار الدلائل التي تحسن التكليف وانه يصلح عند انزاله جماعة ما كانوا يصلحون عند عدم انزاله لولا لم يتزل لكان هؤلاء الذين ينفرون عن الايمان يفسدون بفساد اعظم من هذا النفور فالحكمة اقتضت انزاله لهذه المعاني وإفا ازدادوا نفورا عند مشاهدة الآيات والدلائل لاعتقادهم انها شبه وحيل وقلة تفكرهم فيها (قل) يا محمد هؤلاء المشركين (لو كان معي آلهة كما يقولون) هم أو تقولون أنتم على القراءتين (إذا لايتفورا إلى ذي العرش سيلا) أي لطلبوا طريقتهم إلى مالك العرش وللتسوا الزلفه عنده لملهم بملوه عليهم وعظمتهم عن مجاهد وقتادة وقال اكثر المفسرين معناه لطلبوا سيلا إلى معازة مالك العرش ومقابله ومنازعة فإن المشركين في الإلهية يكرهون متساويين في صفات الذات ويطلب احدهما مقابلة صاحبه ليصفو له الملك وفي هذا إشارة إلى دليل التانع ثم نزه سبحانه نفسه من ان يكون له شريك في الإلهية فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون) أي عن قولهم (علوا كبيرا) وإنما لم يقل تعاليا كبيرا لأنه وضع مصدر مكان مصدر نحوه قوله تتبأ إليه تشبها ومعنى تعاليا ان صفاته في اعلى المراتب ولا مساوي له فيها لأنه قادر لا أحد أقدر منه وعالم لا أحد اعلم منه وخص العرش باضافته إليه تعظيما للعرش ويجوز ان يريد بالعرش الملك (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) معنى التسبيح هاهنا الدلالة على توحيد الله وعدله وانه لا شريك له في الإلهية وجرى ذلك مجرى التسبيح باللفظ وربما يكون التسبيح من طريق الدلالة اقوى لأنه يؤدي إلى العلم (وان من شيء إلا يسبح بحمده) أي ليس شيء من الموجودات إلا ويسبح بحمد الله تعالى من جهة خلقته إذ كل موجود سوى القديم حادث يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع صنعه أو صنع من صنعه فهو يدعو إلى تثبيت قديم غني بنفسه عن كل شيء سواه ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات وقيل ان معناه وما من شيء من الاحياء إلا يسبح بحمده عن الحسن وقيل ان كل شيء على العموم من الوجود والطيور والجمادات يسبح الله تعالى حتى صرير الباب وخروج الماء عن ابراهيم وجماعة (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون تسبيح هذه الأشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالتها على توحيد الله (انه كان حليا)

يهلكم ولا يماثلكم بالعقوبة على كفركم (نفورا) لكم اذا تبتم وانبتتم اليه

قوله تعالى (٤٥) واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجبا مستورا (٤٦) وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على آذانهم نفورا (٤٧) نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك واذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تنصون إلا رجلا مسحورا (٤٨) أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سيلا (أربع آيات)

✽ اللفظة ✽

الوقر بانفتح الثقل في الاذن وبالكسر الحمل والاصل فيه الثقل إلا انه خولف بين البناءين للفرق والنفور جمع نافر وهذا الجمع قياس في كل فاعل اشتق من فعل مصدره على فعول مثل ركوع وسجود وشهود والنجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنتان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقرر على لفظه
- (الاعراب) -

قوله ان يفقهوه في موضع نصب بأنه مفعول له على كراهة ان يفقهوه . نفورا نصب على الحال وتقديره ولوا نافرين وقيل انه مصدر ولوا خرج على غير لفظه لأن معنى ولوا نفروا فكأنه قال نفروا نفورا

✽ النزول ✽

قيل نزل قوله واذا قرأت القرآن الآية في قوم كانوا يؤذون النبي ﷺ بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند الكعبة وكانوا يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن دعاء الناس إلى الدين فقال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذوه عن الزجاج والجبائي

✽ المعنى ✽

لما تقدم قوله ولقد صرفنا في هذا القرآن بين سبحانه حالهم عند قراءة القرآن فقال (واذا قرأت القرآن) يا محمد (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم المشركون (حجبا مستورا) قال الكلبي وهم ابو سفيان والنضر بن الحرث وابو جهل وأم جميل امرأة ابي لهب حجبت الله رسوله عن ابصارهم مند قراءة القرآن وكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه وقيل أراد حجبا ساترا عن الأخص والفاعل قد يكون في لفظ المفعول يقال مشوروم وميمون إنما هو شائم ويامن وقيل هو على بناء النسب لاعلى ان المفعول بمعنى الفاعل والمفعول بمعنى المفعول والمعنى حجبا ذا ستر وهذا هو الصحيح وقيل حجبا مستورا عن الأعين لا يبصر إنما هو من قدرة الله تعالى حجبت نبيه بحجاب لا يرونه ولا يراه النبي ﷺ وقيل ان المعنى في الآية جعلنا بينك وبينهم حجبا بمعنى باعدنا بينك وبينهم في القرآن فهو لك وللمؤمنين معك شفاء وهدى وهو للمشركين في آذانهم وقر عليهم عسى فهذا هو الحجاب عن ابي مسلم وهذا بعيد والاول أوجه لأنه الحقيقة (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) مر تفسيره في سورة الأنعام (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) معناه واذا ذكرت الله بالتوحيد وأبطلت الشرك (ولوا على آذانهم نفورا) أي اعرضوا عنك مديرين نافرين والمعنى بذلك كفار قريش وقيل هم الشياطين عن ابن عباس وقيل معناه إذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولوا وقيل إذا سمعوا قول لا إله إلا الله (نحن اعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك) معناه ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين وغرضهم في الاستماع اليك وقد علمنا سبب استماعهم وهذا كما يقال فملت ذلك بحرمتك (واذ هم نجوى) أي متناجون وقيل هم ذور نجوى

والمعنى انا نعلمهم في حال ما يصغرون الى سباح قراءتك وفي حال ما يقومون من عندك ويتنجلون فيابينهم فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم هو كاهن وبعضهم هو شاعر وقيل يعني به ابا جهل وزمعة بن الأسود وعمرو بن هشام وخويطب بن عبد العزى اجتمعوا وتشاوروا في أمر النبي ﷺ فقال ابو جهل هو مجنون وقال زمعة هو شاعر وقال خويطب هو كاهن ثم اتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك عليه فقال هو ساحر (إذ يقول الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا) قيل فيه وجهه ﴿ احدها ﴾ انهم يقولون ما يتبعون إلا رجلا قد سحر فاختلط عليه امره وإنما يقولون ذلك للتفخير عنه ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بالمسحور المخدوع المعلق كما في قول امرئ القيس

أَرَانَا مَوْضِعِينَ لِحْتَمِ غَيْبِ
وَنَسَحَرَ فِي الطَّعَامِ وَفِي الشَّرَابِ (١)

وقول امية بن ابي الصلت

فَإِنْ تَسَأَلِنَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا
عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمَسْحُورِ (٢)

﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى ان تتبعون إلا رجلا ذا سحر أي رثة خلقه الله بشرا مثلكم ﴿ ورابعها ﴾ ان المسحور بمعنى الساحر كما قيل في قوله حجابا مستورا أي ساترا وقد زيف هذا الوجه والوجه الثلاثة أوضح وعلى هذا فعنى الآية البيان عما توجه حال المعادي للدين الناصب للحق اليقين وان قلبه كأنه في كنانة عن تفهمه وكأن في أذنيه وقرأ عن استماعه فهو مؤثر نافر عنه بناجي في حال الانحراف عنه جهالا أمثاله قد بعدوا بالحجة حتى نسبوا صاحبها إلى انه مسحور لما لم يكن لهم إلى مقاومة ما أتى به سبيل ولا على كسره بالمعارضة دليل ثم قال سبحانه على وجه التعجب (أنظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) أي شبهوا لك الاشياء فقالوا مجنون وساحر وشاعر (فضلوا) بهذا القول عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) أي لا يجدون حيلة ولا طريقا إلى بيان تكذيبك إلا البهت الصريح وقيل لا يجدون سبيلا أي لا يجدون حيلة وطريقا إلى صد الناس عنك وإلى اثبات ما ادعوا عليك وقيل ضلوا عن الطريق المستقيم وهو الدين والإسلام فلا يجدون إليه طريقا بعد ما ضلوا عنه

قوله تعالى (٤٩) وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَعْنَا لِمَعْبُوثُونَ خَلَقًا جَدِيدًا (٥٠) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥١) أَوْ خَلَقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥٢) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَنْظَنُونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا

(أربع آيات) قد ذكرنا اختلاف القراء في الاستفهامين من قوله إذا وأنا في سورة الرعد

فلا معنى لإعادته

﴿ اللثة ﴾

الرفات ما تكسر ويلي من كل شيء ويكثر بناء فعال في كل ما يحطم ويرضض يقال حطام ودقاق وتراب وقال المبرد كل شيء مدقوق مبالغ في دقه حتى انسحق فهو رفات وقال القراء لا واحد له من لفظه يقال رغت الشيء رفقا فهو مرفوت إذا صير كالحطام ويقال انفض رأسه بنفضه منفض رأسه بنفضه نفضا إذا حركه قالوا والنفض تحريك الرأس بارتفاع وانخفاض ومنه قيل للظلم نفض لأنه يحرك رأسه في مشيه بارتفاع وانخفاض قال العجاج « أَصَلَّ نَفْصًا لِأَنِّي مَسْتَهْدَجًا » ونفض السن إذا تحركت قال « فَتَفَضَّتْ مِنْ هَرَمِ أَسْنَانِهَا »

(١) قوله موضعين أي مسرعين وأراد من قوله لِحْتَمِ غَيْبِ الموت الذي قد غيب عنا وقته وقد مر البيت في صفحة ٣٤
أيضاً . (٢) نسبة في التبيان للسان والمصباح إلى لبيد وهو موجود في ديوانه : ١ : ٨٠ . (٣) الظلم : الذكر من النعام . (٤) هذا عجزيت صدره « واستبدلت رسمه سفجاً » والصكك : اضطراب الركيبتين والعرقوبتين من الانسان ←

« الاعراب »

إذا في موضع نصب بضم بدل عليه قوله أَلَمْ نَلْعَبُوتُونَ وتقديره أنبعث في ذلك الوقت ولا يجوز ان يكون ظرفاً لقوله مبعوثون لأنَّه ما بعد ان ولأم الابتداء لا يجوز ان يعمل فيما قبلها والباء في مجمله باء الحال اي تستجيبيون حامدين له ويدعوكم في موضع الجر بإضافة يوم اليه وتستجيبيون عطف عليه وتظنون ليس في موضع الجر لأن الواو للحال وتقديره وحالكم إذ ذاك ان تظنوا قليلاً نصب على الظرف وتقديره ان لبثتم لازمتاً قليلاً

(المعنى)

لما تقدم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في انكاره فقال (وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا) اي غيلدا عن ابن عباس وقيل تراباً عن مجاهد (ان المبعوثون خلقاً جديداً) والمعنى قال المنكرون للبعث انا اذا متنا وانتشرت لحومنا وصرنا عظاما وتراباً أنبعث بعد ذلك خلقاً جديداً اي متجدداً وهو انكار في صورة الاستفهام (قل) يا محمد لهم (كونوا حجارة او حديداً) اي اجهدوا في ان لاتعادوا وكونوا ان استطعتم حجارة في القوة او حديداً في الشدة (او خلقاً مما يكبر في صدوركم) اي خلقاً هو اعظم من ذلك عندكم واصعب فالنكم لا تفوتون الله تعالى وسيحييكم بعد الموت وينشركم الا ان الكلام خرج مغرج الأمر لأنه ابلغ في الإلزام وقيل يعني بقوله ما يكبر في صدوركم الموت عن ابن عباس وسعيد بن جبیر اي لو كنتم الموت لأمانكم الله تعالى ولبس شيكبر في صدور بني آدم من الموت وقيل يعني به السماوات والارض والجبال عن مجاهد (فيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة) معناه فالنك اذا قلت لهم ذلك سيقولون لك من يحيينا بعد الموت قل يا محمد يحييكم من خلقكم اول مرة فإن من قدر على ابتداء الشيء كان على اعادته اقدر ما لم تبطل قدرته ولم يتغير فإن ابتداء الشيء اصعب من اعادته وإنما قال ذلك لهم لأنهم كانوا يقرؤن بالنشأة الاولى (فينفضون اليك رؤوسهم) اي فيسبحون كون اليك رؤوسهم تحريك المستهزي المستخف المتبسط لما تنذرهم به (ويقولون متى هو) اي متى يكون البعث (قل عسى ان يكون قريباً) لأن ما هو آت قريب ومن كلام الحسن كأنك بالدنيا لم تكني وكأنك بالآخرة لم تنزل (يوم يدعوكم فتستجيبيون بحمده) معناه عسى ان يكون بعثكم قريباً ايها المشركون يوم يدعوكم من قبوركم الى الموقف على السنة الملائكة وذلك عند النفخة الثانية فيقولون ايها العظام النخرة والجلود البالية عودي كما كنت تستجيبيون مضطربين بحمده اي حامدين لله على نعمه واتم موحدون وهذا كما يقول القائل جاء فلان بفضبه اي جاء غضبان وقيل معنى تستجيبيون بحمده انكم تستجيبيون معترفين بأن الحمد لله على نعمه لا تنكرونه لأن المعارف هناك ضرورة قال سعيد بن جبیر يخرجون من قبورهم يقولون سبحانك وبحمدك ولا يفهم في ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا يفهم الحمد (وتظنون ان لبثتم الا قليلاً) اي وتظنون انكم لم تلبثوا في الدنيا الا قليلاً لسرعة انقلاب الدنيا الى الآخرة قال الحسن وقتادة استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة ومن المفسرين من يذهب الى ان هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم الذين يستجيبيون الله بحمده ويمجدونه على احسانه اليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لكونهم في قبورهم منعمين غير معذبين واهام السرور والرخاء قصار

قوله تعالى (٥٣) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ بِنَزْعِ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ بَرَحْمِكُمْ أَوْ إِنْ يَسَاءَ بَعْدَ رَبِّكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (٥٥) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٦) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ

دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (خمس آيات)

❖ اللفظة ❖

الوسيلة القربة والثواب الراغب قال لييد « يلى كل ذي دين الى الله واسل » قال الزجاج الوسيلة والسؤل والطابة في معنى واحد

❖ الاعراب ❖

يقولوا جواب شرط محذوف تقديره قل لعبادي قولوا التي هي احسن يقولوا وكان ابو عثمان يزعم أن يقولوا واقع موقع قولوا وهو مبني لأنه وقع موقع قولوا ووقوع الفعل موقع الفعل المبني لا يوجب له البناء الا ترى ان قوله تؤمنون بالله ورسوله واقع موقع آمنوا وهو معرب وإنما ذلك في الاسماء نحو يا زيد بني لوقوعه موقع يا أنتواو لتلك يدفع بالابتداء والذين يدعون صفة لهم ويبتغون خبر الابتداء وقوله ايهم اقرب قال الزجاج ان شئت كان ايهم رفعا بالابتداء والخبر وقوله اقرب ويكون معناه ينظرون ايهم اقرب اليه فيتوسلون به والجملة متعلقة ينظرون المضمره ويجوز ان يكون ايهم اقرب بدلا من الواو في يبتغون

❖ النزول ❖

كان المشركون يؤذون اصحاب رسول الله ﷺ بمكة فيقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فيقول لهم اني لم اؤمر فيهم بشي فأ نزل الله سبحانه قل لعبادي الآية عن الكلبي

❖ المعنى ❖

ثم امر سبحانه عباده باتباع الأحسن من الأقوال والأفعال فقال (وقل) يا محمد (لعبادي) وهذا اضافة تخصيص وتشريف أراد به المؤمنين وقيل هو عام في جميع المكثفين (يقولوا التي هي أحسن) أي يختاروا من المقالات والمذاهب المقالة التي هي أحسن المقالات والمذاهب وقيل معناه مرم يقولوا الكلمة التي هي أحسن الكلمات وهي كلمة الشهادتين وكل ما ندب الله اليه من الأقوال وقيل معناه بأمرنا بما امر الله به وبنهوا عما نهى الله عنه عن الحسن وقيل معناه قل لهم يقل بعضهم لبعض أحسن ما يقال مثل رحمك الله ويفقر الله لك وقيل معناه قل لعبادي إذا سمعوا قولك الحق وقول المشركين يقولوا ما هو أولى ويتبعوا ما هو أحسن عن ابي مسلم وقال نظيره فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه (ان الشيطان يترغ بينهم) أي يفسد بينهم ويغري بعضهم ببعض ويلقي بينهم العداوة (ان الشيطان كان) في جميع الأوقات (للانسان) أي لآدم وذريته (عدواً مبيتاً) مظهراً للعداوة ثم خاطب سبحانه الفريقين فقال (ربكم أعلم بكم) معناه انه أعلم بأحوالكم فيدبر أموركم على ما يعلمه من المصلحة لكم (ان يشأ برحمتكم أو ان يشأ بعذبتكم) قيل أراد انه سبحانه مالك للرحمة والعذاب فيكون الرجاء اليه والخوف منه عن الجبائي وقيل معناه ان يشأ برحمتكم بالتوبة أو ان يشأ بعذبتكم بالإصرار على المعصية عن الحسن وقيل معناه ان يشأ برحمتكم باخراجكم من مكة وتخليصكم من ايداء المشركين أو ان يشأ بعذبتكم بتسليطهم عليكم وقيل ان يشأ برحمتكم بفضلهم وان يشأ بعذبتكم بعدله وهو الأظهر ثم عاد الى خطاب النبي ﷺ فقال (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أي وما أرسلناك موكلا عليهم حفيظاً لأعمالهم يدخل الايمان في قلوبهم شأوا أم أبوا ومعناه انك لا تؤاخذ بأعمالهم فإننا أرسلناك داعياً لهم الى الايمان فإن أجابوك والا فلا شيء عليكم فإن عتاب ذلك يعزلهم واللائمة تلزمهم (وربك أعلم بين في السموات والأرض) أي هو أعلم بين في

السماوات من الملائكة ومن في الأرض من الأنبياء بين سبحانه بهذا انه لم يختار الملائكة والأنبياء للميل اليهم وإنما اختارهم لعلهم يباينهم وقيل معناه انه أعلم بالجميع فجعلهم مختلفين في الصور والرزق والأحوال كما اقتضته المصلحة كما فضل بعض النبيين على بعض (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) والمعنى ان الأنبياء وان كانوا في أعلى مراتب الفضل فإنهم طبقات في ذلك وبعضهم أعلى من بعض بزيادة الدرجة والثواب وبالمعجزات والكتب ولما كان سبحانه عالماً بيوطن الأمور اختارك للنبوّة وفضلك على الأنبياء كما فضل بعضهم على بعض فسخر بعضهم النار والآن لبعضهم الحديد وآتى بعضهم الملك وكلم بعضهم وكذلك خصك بخصائص لم يعطها أحداً وختم بك النبوة ثم قال (وآتيناهم داود زبوراً) قال الحسن كل كتاب زبور الا ان هذا الاسم غلب على كتاب داود (ع) كما غلب اسم الفرقان على القرآن وان كان كل كتاب من كتب الله فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل وقال الزجاج معنى ذكر داود هنا انه يقول لا تنكروا تفضيل محمد ﷺ واعطاء القرآن فقد اعطينا داود الزبور ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله (ادعوا الذين زعمتم من دونه) انها إلهة عند ضرب ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم او يحولوا تلك الحالة الى حالة اخرى (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) للحالة التي تكهونها الى حالة تحبونها يعني تحويل حال القحط الى الخصب والفقير الى الغنى والمرض الى الصحة وقيل معناه لا يملكون تحويل الضر عنكم الى غيركم بين سبحانه ان من كان بهذه الصفة فإنه لا يصلح للإلهية ولا يستحق العبادة والمراد بالذين من دونه الملائكة والمسيح وعزير عن ابن عباس والحسن وقيل هم الجن لأن قوماً من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن مسعود قال واسلم أو لك النفر من الجن وبقي الكفار على عبادتهم قال الجبائي ثم رجع سبحانه الى ذكر الانبياء في الآية الاولى فقال (أو لك الذين يدعون ببيتغون إلى ربهم الوسيلة) ومعناه أو لك الذين يدعون إلى الله تعالى ويطلبون القرية اليه بفعل الطاعات (أيهم أقرب) أي ليظهر أيهم الأفضل والأقرب منزلة منه وتأويله ان الأنبياء مع علو رتبهم وشرف منزلتهم إذا لم يعبدوا غير الله فإنهم أولى ان لا تعبدا غير الله وإنما ذكر ذلك حثاً على الاقتداء بهم وقيل ان معناه أو لك الذين يدعونهم ويعبدونهم ويمتقدون انهم آلهة من المسيح والملائكة يبتغون الوسيلة والقرية إلى الله تعالى بعبادتهم ويبتعد كل منهم ليكون أقرب من رحمته أو يطلب كل منهم ان يعلم أيهم أقرب إلى رحمته أو إلى الإجابة (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) أي وهم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمته ان اطاعوا ويخافون عذابه ان عصوا ويعملون عمل العبيد (ان عذاب ربك كان محذوراً) أي متقياً يجب ان يحذروا منه لصعوبته وقد ذكرنا ما جاء في معنى الوسيلة عند قوله وابتغوا اليه الوسيلة

قوله تعالى (٥٨) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٩) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٦٠) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّهْمَ بآئِي أَرِينَاكَ الْإِفْتِنَةَ لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُورِهِمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (ثلاث آيات)

﴿ اللغة ﴾

المسطور المكتوب قال المعاج
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ ذَا الْجَلَالِ قَدْ قَدَّرَ
فِي الصُّحُفِ الْأُولَى الَّذِي كَانَ سَطَرَ

والمنع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه وإنما جاز في وصف الله تعالى منعنا للمبالغة في أنه لا يقع منه الفعل فكأنه قد منع منه الفعل وإن كان لا يجوز إطلاق مثل هذه الصفة عليه سبحانه لأنه قادر لذاته ومقدوراته غير متناهية فلا يصح أن يمانه شيء

✽ الاعراب ✽

وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون أن الأولى نصب وأن الثانية رفع والمعنى وما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين ومبصرة نصب على الحال والشجرة الملعونة تقديرها وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس أيضاً والمعنى الشجرة الملعونة أهلها وآكلوها وهم الكفرة والفجرة فلما حذف المضاف استتر الضمير في اسم المفعول فأنث المفعول لما جرى على الشجرة وقوله فما يزيدم الا طغيانا كبيرا أي فما يزيدم التخويف فأضمر التخويف لجرى ذكر الفعل واتصّب قوله طغيانا على أنه مفعول ثان لقوله يزيد

✽ المعنى ✽

ثم زاد سبحانه في الموعظة فقال (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) معناه وما من قرية إلا نحن مهلكوها بإماتة أهلها (أو معذبوها عذاباً شديداً) وهو عذاب الاستئصال فيكون هلاك الصالحين بالموت وهلاك الطالحين بالعذاب في الدنيا فإنه يفتي الناس ويخرب البلاد قبل يوم القيامة ثم تقوم القيامة عن الجبائي ومقاتل وقيل إن المراد بذلك قري الكفر والضلال دون قري الإيمان والمراد بالهلاك التدمير عن أبي مسلم (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أخبر أن ذلك كائن لا محالة ولا يكون خلافه ومعناه كان ذلك الحكم في الكتاب الذي كتبه الله تعالى للملائكته وهو اللوح المحفوظ مكتوباً (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) ذكر فيه أقوال **✽** أحدها **✽** إن التقدير ما منعنا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ومعناه إن لم نرسل الآيات التي اقترحتها قريش في قولهم حوّل لنا الصفا ذهباً وفجر لنا الأرض ينبوعاً إلى غير ذلك لأننا لو أرسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعالجة بالعقوبة كما إننا لما أجبنا الأولين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذبوا بها عذبناهم بعذاب الاستئصال لأن من حكم الآية المقترحة أنه إذا كذب بها وجب عذاب الاستئصال ومن حكمنا التنافي هذه الآيات إن لا نعذبهم بعذاب الاستئصال لشرف محمد ﷺ ولما يعلم في ذلك من المصلحة ولأن فهم من يؤمن به وينصره ومن يولد له ولد مؤمن ولأن أمته باقية وشريعته مبددة إلى يوم القيامة فلذلك لم نجهم إلى ذلك وانزلنا من الآيات الواضحات والمعجزات البينات ما تقوم به الحجة وتقطع به المذرة **✽** الثاني **✽** إن معناه إننا لا نرسل الآيات لعلنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون انزالنا إياها عبثاً لا فائدة فيه كما إن من كان قبلهم لم يؤمنوا عند انزال الآيات والمعجزات ضربان **✽** أحدهما **✽** ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لا بد من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع **✽** والثاني **✽** ما يكون لطفاني الإيمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه **✽** الثالث **✽** إن المعنى إننا لا نرسل الآيات لأن آباءكم وأسلافكم سألوها مثلها ولم يؤمنوا عندها وأنتم على آثار أسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون أنتم عن أبي مسلم (وأتينا ثمود الناقة مبصرة) أي بينة أراد آية مبصرة كما قال وجعلنا آية النهار مبصرة ومعناه دلالة واضحة ظاهرة وقيل ذات إبصار وقيل تبصرهم وتبين لهم حتى يبصروا بها الهدى من الضلالة وهي ناقة صالح المخرجة من الصخرة على الصفة التي اقترحوها (فظلموا بها) أي فكفروا بتلك الآية وجحدوا بأنها من عند الله وقيل ظلموا أنفسهم بسببها وبمقرها (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) أي لا نرسل الآيات التي نظهرها على الأنبياء إلا عظة للناس وزجر وتخويفاً لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (واذ قلنا لك أي واذكر الوقت الذي قلنا لك يا محمد) إن ربك احاط بالناس) أي احاط علماً بأحوالهم وبما يفعلونه من طاعة أو

معصية وما يستحقونه على ذلك من الثواب والعقاب وهو قادر على فعل ذلك بهم فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وهذا معنى قول ابن عباس وقيل إن المراد به أنه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم الى ائذناك إذا لم تأتم ما اقترحوا منك من الآيات وهذا حث للرسول ﷺ على التبليغ ووعد له بالمعصية من اذية قومه وهذا معنى قول الحسن وقيل معناه انه احاط بأهل مكة فيستفتحها لك عن مقاتل وقال الفراء معناه احاط امره بالناس وقيل معناه انه قادر على ما سألوه من الآيات عالم بمصالحهم فلا يفعل إلا ما هو الصلاح فامض لما امرت به من التبليغ فإن الله سبحانه إن انزلها فلا يعلم في انزالها من اللطف وإن لم ينزلها فلا يعلم من المصلحة عن الجبائي (وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن) فيه اقوال * احدها * ان المراد بالرؤيا رؤية العين وهي ما ذكره في اول السورة من اسراء النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس والى السماوات في ليلة واحدة إلا أنه لما رأى ذلك ليلا واخبر بها حين اصبح سماها رؤيا وسماها فتنة لأنه أراد بالفتنة الامتحان وشدة التكليف ليعرض المصدق بذلك لجزيل نوابه والمكذوب لأليم عقابه وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد * وثانيها * ما روي عن ابن عباس في رواية اخرى انها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة وهو بالمدينة فقصدتها فصدته المشركون في الحديدية عن دخولها حتى شك قوم ودخلت عليهم الشبهة فقالوا يا رسول الله اليس قد أخبرتنا انا ندخل المسجد الحرام آمنين فقال ﷺ اوقلت لكم انكم تدخلونها العام قالوا لا فقال لندخلها إن شاء الله ورجع ثم دخل مكة في العام القابل فنزل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وهو قول الجبائي والبي مسلم وإنما كان فتنة وامتحانا وابتلاء لما ذكرناه * وثالثها * ان ذلك رؤيا رآها النبي ﷺ في منامه أن فروداً تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك واغتم به روى سهل بن سعيد عن ابيه ان النبي ﷺ رأى ذلك وقال انه ﷺ لم يستجمع بعد ذلك ضاحكا حتى مات وروى سعيد بن يسار ايضا وهو المروي عن ابي جعفر (ع) والبي عبد الله (ع) وقالوا على هذا التأويل ان الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو امية اخبره الله سبحانه بتظلمهم على مقامه وقتلهم ذريته روي عن المنهال بن عمرو قال دخلت على علي بن الحسين (ع) فقلت له كيف اصبحت يا ابن رسول الله فقال اصبحنا والله بمنزلة بني اسرائيل من آل فرعون يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم واصبح خير البرية بعد رسول الله ﷺ يلعن على المناير واصبح من يجنبنا منقوصا حقه بحبه ايانا وقيل للحسن يا ابا سعيد قتل الحسين بن علي (ع) فبكي حتى اختلج جنباه ثم قال واذلاه لأمة قتل ابن دعيها ابن بنت نبيها وقيل ان الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم عن ابن عباس والحسن وقيل الشجرة الملعونة هي اليهود عن ابي مسلم وتقدير الآية وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة الا فتنة للناس قالوا وانما سمى شجرة الزقوم فتنة لأن المشركين قالوا ان النار تحرق الشجرة فكيف تنبت الشجرة في النار وصدق بها المؤمنون وروي ان ابا جهل قال ان محمداً بوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها الشجرة وقوله في القرآن معناه التي ذكرت في القرآن (ونخوفهم) اي نرهبهم بما نقص عليهم من هلاك الأمم الماضية وقيل بما نزل من الآيات (فما يزيدهم) ذلك (الا طفيانا كبيرا) اي عتوا في الكفر عظيما وتماديا في النفي كبيراً لأنهم لا يرجعون عنه

قوله تعالى (٦١) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٣) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٤) وَأَسْتَفْرِزُونَ مِنْ اسْتَنْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْنِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ

فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا بَعِدْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا غُرُورًا (٦٥) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص ورجلك بكسر الجيم والباقون بسكونها

— (الحجة) —

من سكن الجيم فهو جمع راجل مثل راكب وركب وصاحب وصحب وتاجر وتجر وأما قراءة حفص بكسر
الجيم فروى أبو علي عن أبي زيد يقال رجل رجل للراجل ويقال جاءنا حافيا رجلا وانشد

أَمَا أَقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَىٰ فَرَسٍ وَلَا كَذَا رَجُلًا إِلَّا بِأَصْحَابِ (١)

كأنه قال أما أقاتل فارسا وراجلا وروى ابن جني عن قطرب انه قال الرجل الرجل وعليه قراءة عكرمة

وقنادة ورجالك قال زهير في الرجل

هُمْ ضَرَبُوا عَنْ فَرَجِهَا بِكَيْتِيَةٍ كَيْضَاءَ حَرَسٍ فِي جَوَانِبِهَا الرَّجُلُ (٢)

— (اللفظة) —

الاحتناك الاقتطاع من الأصل يقال احتنك فلان ما عند فلان من مال او علم إذا استقصاه فأخذه كله

واحتنك الجراد الزرع إذا أكله كله قال الشاعر

أَشْكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ أَجْحَمْتَ جَهْدًا إِلَىٰ جَهْدٍ بِنَا وَأَضَعَفْتَ

وَأَحْتَنَكْتَ أَمْوَالَنَا وَجَلَّفْتَ (٣)

وقيل انه من قولهم حنك الدابة يحنكها إذا جعل في حنكها الأسفل جبلا يقودها به والموفور المكمل يقال

وفوره افره وفرا قال زهير

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرِضِهِ بَيْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يَشْتَمُ

والاستفزاز الإزعاج والاستنهاض على خفة وامراع وأصله القطع وتفزز الثوب إذا تحرق وتفززه تفزيزا

فكان معنى استفزة استنزله بقطعه عن الصواب ورجل فرأى خفيف والاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل

ومنه الطوع والطاعة وهو الاتقياد للفعل والارجلاب السوق بجلبة من السائق والجلبة شدة الصوت وقال ابن الاعرابي

أجلب الرجل على صاحبه إذا توعدده بالشر وجمع عليه الجيش

﴿ الأعراب ﴾

قال الزجاج طينا منصوب على الجبال بمعنى انك انشأته في حال كونه من طين ويموز أن يكون تقديره

من طين فحذف من فوصل الفعل ومثله قوله ان تسترضعوا أولادكم أي لأولادكم وقيل انه منصوب على التمييز

والكاف في قوله أرايتك لا موضع لها من الاعراب لأنها حرف خطاب جاء للتوكيد وموضع هذا نصب

بأرايت والجواب محذوف المعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي ولم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من

طين فحذف ما ذكرناه لأن في الكلام دليلا عليه

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه قصة آدم «ع» وإبليس فقال (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) قد

مر تفسيره في سورة البقرة (قال) إبليس (أسجد لما خلقت طينا) وهو استفهام بمعنى الانكار أي كيف

(١) قائله يحيى بن وائل قيل انه خرج يقاتل السلطان فقيل له أنتخرج راجلا تقاتل؟ فقال البيت . وكانه قال : اما

أقاتل فارساً ولا راجلاً الا ومعنى أصعابى . (٢) الفرج : الثور وحرس : جبل ورواية العموى في معجم البلدان « كبيضاء

حرس في طوائفها الرجل » . (٣) جلغه يجعلفه - بالضم - نزعه ويقال للسنة الشديدة التي تذهب بالاموال جالفة

اسجد له وانا أفضل منه وأصلي اشرف من أصله وفي هذا دلالة على ان إبليس فهم من ذلك تفضيل آدم على الملائكة ولولا ذلك لما كان لامتناعه من السجود وجه وإنما جاز أن يأمرهم سبحانه بالسجود لآدم «ع» ولم يجوز أن يأمرهم بالعبادة له لأن السجود يترتب في التعظيم حسب ما يراد به وليس كذلك العبادة التي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع لأنه يترتب في التعظيم لجسه يبين ذلك انه لو سجد لها لم يكن له منزلة في التعظيم على قياس غيره من افعال الجوارح (قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي) أي قال إبليس أرأيت يا رب هذا الذي فضله علي يعني آدم «ع» (لئن أخرتن إلى يوم القيامة) أي لئن أخرت أجل موتي (لأحتكن ذريته إلا قليلا) أي لا غوهم ذريته واقودنهم معي إلى المعاصي كما تقاد الدابة بمنكها إذا شد فيها حبل تجر به إلا القليل الذين تعصمهم وهم المخلصون عن ابي مسلم وقيل لأحتكنهم أي لأستولين عليهم عن ابن عباس وقيل لأستأصلنهم بالاغواء من احتناك الجراد الزرع وهو ان يأكله ويستأصله عن الجبائي وإنما طمع الملعون في ذلك لأن الله سبحانه أخبر الملائكة انه سيجعل في الارض من يفسد فيها فكان العلم قد سبق له بذلك عن الجبائي وقيل لأنه وسوس إلى آدم فلم يجده له عزما فقال ان اولاده اضعف منه عن الحسن (قال) الله سبحانه له على وجه الاستهانة والاستخفاف (اذهب) يا إبليس (فمن تبعك منهم) أي من ذرية آدم «ع» واقضى أثرك وقيل منك (فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) أي موفرا كاملا لا نقصان فيه عن الاستحقاق (واستغفر من استطعت منهم بصوتك) أي واستغفرت من استطعت منهم اذ دعاه وهذا تهديد في صورة الأمر عن ابن عباس ويكون كما يقول الانسان لمن يهدده أجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وإنما جاء التهديد في صورة الأمر لأنه بمنزلة ان يؤمر الغير باهانة نفسه وقيل بصوتك أي بالقضاء والمزامير والملاهي عن مجاهد وقيل كل صوت يدعى به إلى الفساد فهو من صوت الشياطين (واجلب عليهم بجحلك) أي اجمع عليهم ما قدرت عليه من مكابذك وأتباعك وذريتك واعوانك وعلى هذا فيكون الباء مزيدة في بجحلك أي وكل راكب او ماش في معصية الله من الانس والجن فهو من خيل إبليس ورجله وقيل هو من اجلب القوم وجلبوا أي صاحوا أي صح بجحلك ورجلك واحشرم عليهم بالاغواء (وشاركهم في الأموال والأولاد) وهو كل مال أصيب من حرام وأخذ بغير حقه وكل ولد زنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل ان مشاركتهم في الأموال انه أمرهم ان يجعلوها سائبة وبجيرة وغير ذلك وفي الأولاد انهم هو دودهم ونصروهم ومجسوم عن قتادة وقيل ان كل مال حرام او فرج حرام فله فيه شرك عن الكلبي وقيل ان المراد بالأولاد تسميتهم عبد شمس وعبد الحرث ونحوهما وقيل هو قتل الموقودة من اولادهم والقولان مرويان عن ابن عباس (وعدم) أي ومنهم البقاء وطول الأمل وانهم لا يبعثون وكل هذا زجر وتهديد في سورة الأمر (وما يعضم الشيطان إلا غرورا) هذا اخبار من الله عز وجل ان مواعيد الشيطان تكون غرورا أي يزين لهم الخطأ انه صواب وهو اعتراض (ان عبادي) يعني الذين بطيعوني اضافهم الى نفسه تشريفا لهم (ليس لك عليهم سلطان) أي قوة وقاذ لأنهم يطعون ان مواعيدك باطلة فلا يترون بها وقيل معناه لا سلطان لك على جميع عبادي إلا في الوسوسة والدعاء إلى المعصية فأما في ان تمنعهم عن الطاعة وتحملهم على المعصية جبرا وكرها فلا عن الجبائي (وكفى برك وكيلا) أي حافظا لعباده من شرك

نظم

الوجه في اتصال الآيات بما قبلها على تقدير وما يزيدهم إلا ظفينا كبيرا محققين ظن إبليس فيهم يوم قيل له اسجد فقال كذا وكذا عن علي بن عيسى وقيل اتصلت بقوله ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبيتا ثم عاد إلى ذكر الشيطان لزيادة الايضاح والبيان بما أبان عن قصته مع آدم «ع» عن ابي مسلم

قوله تعالى (٦٦) رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٧) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٨) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا (٦٩) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِهِ نَبِيًّا (أربع آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير وابو عمرو بخسف ونزل ونميد كم فنرسل عليكم فنفرقكم كله بالتون وقرأ ابو جعفر ويعقوب فنفرقكم بالتاء والباقي بالياء وقرأ الباقون كلها بالياء

❖ الحجة ❖

من قرأ الجميع بالياء فلما تقدم من قوله ضل من يدعون إلا إياه فلما نجاكم ومن قرأ بالتون فلأن هذا النحو قد تقطع بضمه من بعض ولأن الانتقال من النبية إلى الخطاب جائز ومن قرأ فنفرقكم بالتاء فإنه رد الضمير المؤنث في فنفرقكم إلى الريح

❖ اللفظة ❖

الأجزاء سوق الشيء حالا بعد حال والخاص من قولهم حصبه بالحجارة يحصبه حصبا إذا رماه بها رميا متتابعا قال القتيبي الخاص الريح التي ترمى بالحصباء وهي الحصا الصغار قال الفرزدق

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَالَ الشَّامِ يَضْرِبُنَا
بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ القَطَنِ مَنْدُوفٍ (١)

والقاصف الكاسر بشدة قصفه يقصفه قصفا

❖ المعنى ❖

لما تقدم ذكر الشيطان وذكر المشركين وعبدة الأوثان احتج عليهم سبحانه بدلائل التوحيد والإيمان فقال (ربكم) أي خالقكم ومدبركم (الذي يزجي لكم الفلك) أي يجري لكم السفن (في البحر) بما خلق من الرياح وبأن جعل الماء على وجه يمكن جري السفن فيه (لتبتغوا من فضله) أي لتطلبوا من فضل الله تعالى بر كوب السفن على وجه الماء فيما فيه صلاح دنياكم من التجارة أو صلاح دينكم من الفرق (إنه كان بكم رحيمًا) حيث أنعم عليكم بهذه النعم (وإذا مسكم الضر) أي الشدة (في البحر) بسكون الرياح واحتباس السفن أو باضطراب الأمواج وغير ذلك من أهوال البحر (ضل من تدعون إلا إياه) أي ذهب عنكم ذكر كل مبود إلا الله فلا ترجون هناك النجاة إلا من عنده فتدعونه ولا تدعون غيره (فلما نجاكم) من البحر (إلى البر) وأمتم الفرق (اعرضتم) عن الإيمان به وعن طاعته كفرانا للنعمة (وكان الإنسان كفورا) أي كثير الكفران (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) معناه إن فعلكم هذا فعل من يقوم انه إذا صار إلى البر آمن المكاره حتى اعرضتم عن شكر الله وطاعته فهل أمتم أن يخسف بكم أي يغيبككم ويذهبكم في جانب البر وهو الأرض يقال خسف الله به الأرض أي غاب به فيها وأراد به بعض البر وهو موضع حلولهم فيه فسأه جانبا لأنه يصير بعد الخسف جانبا وقيل أنهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر

(١) اندف : طرقت القطن بالسندف . والنديف : القطن المندوف . وفي رواية التبيان « كنديف القطن شور » .

فحذرهم ما امنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر (او يرسل عليكم حاصبا) اي او هل امتم أن يرسل عليكم حجارة تحصبون بها أي ترمون بها والمعنى انه سبحانه قادر على اهلاككم في البر كما انه قادر على اغراقكم في البحر (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أي حافظا يحفظكم عن عذاب الله ودافعا بدفعه عنكم (أم أمنتم) اي ام هل أمنتم (أن يصيدكم فيه تارة أخرى) اي في البحر مرة أخرى بأن يجعل لكم حاجة او يحدث لكم رغبة او رهبة فترجعون إلى البحر مرة أخرى (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) اي فإذا ركبت البحر ارسل عليكم ريحا شديدة كاسرة للسفينة وقيل الحاصب الريح المهلكة في البر والقاصف المهلكة في البحر (فيفرقكم بما كفرتم) من نعم الله (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) أي تابعا يتبع اهلاكم لكم للمطالبة بدمائكم ويقول لم فعلت هذا بهم وهذا في معنى قول المفسرين يعني نائرا ولا ناصرأ

قوله تعالى (٧٠) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧١) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٢) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (ثلاث آيات)

﴿ القراءه ﴾

قرأ اهل البصرة اعمرى الأولى بالامالة واعمرى الثانية بالتفخيم وقرأ حمزة والكسائي بالامالة فيها والباقون بالتفخيم فيها وقرأ زهد عن يعقوب يوم يدعوا بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الحسن يوم يدعوا بضم الياء وفتح العين

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من امالها فإنه حسن لأنه يتحو بالألف نحو الياء اعلم انها ينقلب إلى الياء وإن كانت فاصلة او مشبهة بالفاصلة فالامالة فيها حسنة لأن الفاصلة موضع وقف والألف تنحى في الوقف فإذا أمالناحى بها نحو الياء ليكون اظهر لها وأبين ونما بقوي ذلك ان من العرب من يقطب هذه اللفظ في الوقف ياءت ليكون أبين لما قالوا أعمى وحلى ومنهم من يقول افعو وهم كأنهم احرص على البيان من الاولين من حيث كانت الواو اظهر من الياء والياء أخفى منها من حيث كانت اقرب إلى الألف من الواو الياء واما من أمال الألف من الكلمة الأولى ولم يمل من الثانية فإنه يجوز أن لا يجعل اعمرى الكلمة الثانية عبارة عن المؤوف الجارحة ولكنه جعله افضل من كذا مثل أبلد من فلات فجاز أن يقول فيه افضل من كذا وإن لم يجز أن يقول ذلك في المصاب يبصره فإذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة لأن آخرها إنما هو من كذا وإنما تحسن الامالة في الاواخر لما تقدم وقد حذف من افضل الذي هو للتفضيل الجار والمجرور وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله فإنه يعلم السر وأخفى المعنى من السر وكذلك قولهم عام اول اي اول من عامك وكذلك قوله فهو في الآخرة اعمرى أي اعمرى منه في الدنيا ومعنى اعمرى في الآخرة انه لا يهتدي إلى طرق الثواب ويؤكد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله وأضل سيلا فكما ان هذا لا يكون إلا على افضل فكذلك المعطوف عليه ومعنى أضل سيلا في الآخرة ان ضلاله في الدنيا قد كان ممكنا من الخروج منه وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه ويجوز ان يكون اعمرى فيمن تأوله افضل من كذا على هذا التأويل ايضا قال ابن جني قراءة الحسن يوم يدعوا على لغة من ابدل الألف في الوصل واوا نحو افعو وحبلو ذكر ذلك سيبويه واكثر هذا في الوقف

* المعنى *

لما تقدم قول إبليس هذا الذي كرمت علي ذكر سبحانه بعد ذلك تكرمه لبني آدم بأنواع الاكرام وفتون الانعام فقال (ولقد كرمتنا بني آدم) أي فضلناهم عن ابن عباس وأجرت الصفة على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفة كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقيل إنما عممهم بالتكرمة مع ان فيهم الكافر المهان لأن المعنى اكرمتهم بالنعم الدنيوية كالصور الحسنة وتسخير الأشياء لهم وبعث الرسل اليهم وقيل معناه عاملناهم معاملة المكرم على وجه المبالغة في الصفة واختلف فيما كرموا به فقيل بالقوة والعقل والنطق والتميز عن ابن عباس والضحاك وقيل انهم يأكلون باليد وكل دابة تأكل بضمها رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس وقيل بتعديل القامة وامتدادها عن عطاء وقيل بالأصابع يعملون بها ما يشاؤون روى ذلك جابر بن عبد الله وقيل بتسليطهم على غيرهم وتسخير سائر الحيوانات لم عن ابن جرير وقيل بأن جعل محمدا ^{صلى الله عليه وسلم} منهم عن محمد بن كعب وقيل بأنهم يعرفون الله ويأتمرون بأمره وقيل بجميع ذلك وغيره من النعم التي خصوا بها وهو الأوجه (وحملناهم في البر والبحر) في البر على الإبل والخيول والبغال والحمير وفي البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) أي من السائر والفواكه والأشياء الطيبة وسائر الملاذ التي خص بها بنو آدم ولم بشر كههم شي من الحيوانات فيها (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) استدلل بعضهم بهذا على ان الملائكة افضل من الأنبياء قال لأن قوله على كثير يدل على ان هنا من لم يفضلهم عليه وليس إلا الملائكة لأن بني آدم افضل من كل حيوان سوى الملائكة بالاتفاق وهذا باطل من وجوه * احدها * ان التفضيل هنا لم يرد به الثواب لأن الثواب لا يجوز التفضيل به ابتداء وإنما المراد بذلك ما فضلهم الله به من فتون النعم التي عددنا بعضها * وثانيها * ان المراد بالكثير الجميع فوضع الكثير موضع الجميع والمعنى انا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير كما يقال بذلت له العريضة من جاهي وأبجته المتبع من حريمي ولا يراد بذلك اني بذلت له عريضة جاهي ومنعته ما ليس بعريضة وأبجته متبع حريمي ولم أبجحه ما ليس متبعا بل المقصود اني بذلت له جاهي الذي من صفته انه عريضة وفي القرآن ومحاورات العرب من ذلك ما لا يحصى ولا يخفى ذلك على من عرف كلامهم قال سويد بن ابي كاهل في شعره

مِنْ أَناسٍ لَيْسَ فِي أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سَوْءُ الْجَزَعِ

ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا ولو اراد ذلك لم يكن مادحاهم * وثالثها * انه إذا سلم ان المراد بالتفضيل زيادة الثواب وان لفظه من في قوله من خلقنا يفيد التبعيض فلا يمتنع أن يكون جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم لأن الفضل في الملائكة عام لجميعهم او اكثرهم والفضل في بني آدم يختص بقليل من كثير وعلى هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء افضل من الملائكة وإن كان جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم ومتى قيل إذا كان معنى التكريم والتفضيل واحدا فما معنى التكرار * فجوابه * ان قوله كرمتنا بني عن الانعام ولا بني عن التفضل فجاء بلفظ التفضيل ليدل عليه وقيل ان التكريم يتناول نعم الدنيا والتفضيل يتناول نعم الآخرة وقيل ان التكريم بالنعم التي يصح بها التكليف والتفضيل بالتكليف الذي عرضهم به للمنازل العالية (يوم ندعوا كل أناس بأمامهم) فيه اقوال * احدها * ان معناه بنيتهم عن مجاهد وتنادة ويكون المعنى على هذا أن ينادى يوم القيامة فيقال هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيامهم ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان وهاتوا متبعي رؤساء الضلالة وهذا معنى ما رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وروي ايضا عن علي «ع» ان الأئمة إمام هدى وإمام ضلالة ورواه الوابي عنه بأئمتهم في الخير والشر * وثانيها * معناه بكتابهم الذي أنزل عليهم من أوامر الله ونواهيه فيقال يا أهل القرآن ويا أهل التوراة عن ابن زيد والضحاك * وثالثها * ان معناه بمن كانوا يأتمون به

من علمائهم وأئمتهم من الجبائي والبي عبيدة ويجمع هذه الأقوال ما رواه الخاص والعام عن الرضا علي بن موسى «ع» بالأسانيد الصحيحة انه روى عن آباءه «ع» عن النبي ﷺ انه قال فيه بدعي كل اناس بإمام زمانهم وكتاب ربههم وستة فيهم وروى عن الصادق «ع» انه قال ألا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلى من يتولونه ودعانا إلى رسول الله ﷺ وفزعتم الينا فأولى أين ترون يذهب بكم إلى الجنة ورب الكعبة قالها ثلاثا * ورباعيا * ان معناه بكتابتهم الذي فيه اعمالهم عن ابن عباس في رواية أخرى والحسن والبي العالية * وخامسا * معناه بأفعالهم عن محمد بن كعب (فمن أوتي كتابه يمينه) أي فمن اعطي كتاب عمله الذي فيه طاعاته وثواب اعماله يمينه (فأولئك يقرؤون كتابهم) فرحين مسرورين لا يبغضون عن قراءته لما يرون فيه من الجزاء والثواب (ولا يظلمون فتيلًا) أي لا يتقصون ثواب اعمالهم مقدار فتيل وهو المقتول الذي في شق النواة عن فتادة وقيل القليل في بطن النواة والتقدير قشر النواة عن الحسن جعل الله اعطاء الكتاب باليمين علامة الرضا والخلاص واعطاء الكتاب باليسار ومن وراء الظهر علامة السخط والملاك (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) ذكر في معناه اقوال * احدها * ان هذه إشارة إلى ما تقدم ذكره من النعم ومعناه ان من كان في هذه النعم وعن هذه العبر أعمى فهو عما غيب عنه من امر الآخرة أعمى عن ابن عباس * وثانيها * ان هذه إشارة إلى الدنيا ومعناه من كان في هذه الدنيا أعمى عن آيات الله ضالا عن الحق ذاهبا عن الدين فهو في الآخرة أشد تحميرا وذهابا عن طريق الجنة او عن الحجة إذا سئل فلان من ضل عن معرفة الله في الدنيا يكون يوم القيامة منقطع الحجة فالأول اسم والثاني فعل من العمى وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وفتادة * وثالثها * ان معناه من كان في الدنيا أعمى القلب فإنه في الآخرة أعمى العين يحشر كذلك عقوبة له على ضلالتة في الدنيا عن ابي مسلم قال وهذا كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى وتأول قوله سبحانه فبصره اليوم حد يد بأن معناه الاخبار عن قوة المعرفة والجاهل بالله سبحانه يكون عارفا به في الآخرة وتقول العرب فلان بصير بهذا الأمر وإنما أرادوا بذلك العلم والمعرفة لا الابصار بالعين وعلى هذا فليس يكون قوله فهو في الآخرة أعمى على سبيل المبالغة والتعجب وإن عطف عليه بقوله (وأضل سبيلا) ويكون التقدير وهو أضل سبيلا قال ويجوز أن يكون أعمى عبارة عما يلحقه من النعم المفرط فإنه إذا لم ير إلا ما بسوء فكأنه أعمى كما يقال فلان سخين العين * ورباعيا * ان معناه من كان في الدنيا ضالا فهو في الآخرة أضل لأنه لا يقبل توبته عن الحسن واختاره الزجاج على هذا القول وقال تأويله انه إذا عمى في الدنيا وقد عرفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وصلة فعبي عن رشده ولم ينب فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلا لأنه لا يجد طريقا إلى الهداية

* النظم *

قيل في وجه اتصال قوله يوم ندعو كل اناس بإمامهم بما قبله وجوه * احدها * انه سبحانه ذكر تفضيل بني آدم ثم بين أن ذلك التفضيل إنما يكون في ذلك اليوم فيستحق المهتدون الثواب بهدايتهم * وثانيها * انها اتصلت بقوله إن عذاب ربك كان محذورا أي فاحذروا يوم يدعى كل أمة بإمامهم * وثالثها * انها اتصلت بقوله يعيدكم أي يعيدكم يوم يدعو * ورباعيا * انه تعالى ذكر فيما تقدم من آمن ومن كفر ثم بين في هاتين الآيتين ما أعد للفریقين من ثواب وعقاب وانه يعطيهم ذلك على ما هو مكتوب في كتبهم عن ابي مسلم

قوله تعالى (٧٣) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلًا (٧٤) وَلَوْلَا أَنْ تَبَتْنَاكَ لَكُنْتُمْ لَكِيْلًا لَقَدْ كُنْتُمْ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٥) إِذَا

لَا ذِقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (ثلاث آيات)

✽ الإعراب ✽

لولا ان ثبتناك تقديره لولا تثبيتنا اياك فإن هاهنا في موضع رفع بالابتداء وخبره مضمرة وهذا يدل على بطلان مذهب ابي سعيد حيث قال «لولا حددت ولا عدوى لمحدود» واستدل به على ان لولا تدخل على الفعل وخصي عليه اضرار أن في البيت

— النزول —

في سبب نزوله اقوال ✽ احدها ✽ ان قريشا قالت للنبي ﷺ لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بالهتنا فحدث نفسه وقال ما علي في ان ألم بها والله يعلم اني لكاره لها ويدعوني استلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية عن سعيد بن جبير ✽ وثانيها ✽ انهم قالوا له كف عن شتم آلهتنا وتسفيه احلامنا واطرد هؤلاء العبيد والسقاط الذين رآهم راحة الصنان حتى يجالسك ونسمع منك فطمع في اسلامهم فنزلت الآية ✽ وثالثها ✽ ان رسول الله ﷺ اخرج الاصنام من المسجد فطلبت اليه قريش ان يترك صنما كان على المروة فهم يتركه ثم امر بعد بكره فنزلت الآية رواه العياشي باسناده ✽ ورابعها ✽ انها نزلت في وفد ثقيف قالوا نبايعك على ان تعطيتنا ثلاث خصال لا ننحني بفنون الصلاة ولا نكسر اصنامنا بأيدينا وتمتعنا باللات سنة فقال ﷺ لا خير في دين ليس فيها ركوع ولا سجود فأما كسر اصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاعة لللات فإنني غير ممتعكم بها وقام رسول الله ﷺ وتوضأ فقال عمر بن الخطاب ما بالكُم آذيتُم رسول الله ﷺ انه لا بدع الاصنام في ارض العرب فما زالوا به حتى انزل الله هذه الآيات عن ابن عباس ✽ وخامسها ✽ ان وفد ثقيف قالوا اجلنا سنة حتى قبض ما بهدي لآلهتنا فإذا قبضنا ذلك كسرناها واسلمنا فهم بتأجيلهم فنزلت الآية عن الكاظمي رواه عن عطية عن ابن عباس

— المعنى —

ثم حكي الله سبحانه عن الكفار فقال (وان كادوا ليقتنوك عن الذي اوحينا اليك) ان هذه مخففة من الثقلة والمعنى ان المشركين الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة هموا وقاربوا ان يزولوك ويصرفوك عن القرآن الذي اوحينا اليك اي من حكمه (لتفترية علينا غيره) اي لتفترع علينا غير ما اوحينا اليك والمعنى لتحل محل المفترية لأنك تخبر انك لا تنطق الا عن وحي فإذا اتبعت اهواءهم او هممت انك تفعله بأمر الله فكنت كالمفترية (واذا لا تخذوك خيلا) معناه وانك لو اجبتهم إلى ما طلبوا منك لتولوك وأظهروا خلتك اي صداقتك لموافقتك معهم وقيل هو من الخلة التي هي الحاجة اي فقيرا محتاجا اليهم والأول اوجه (ولولا ان ثبتناك) اي ثبتنا قلبك على الحق والرشد بالنبوة والعصمة والمعجزات وقيل بالالطاف الخفية (لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) أي ركونا قليلا والمعنى لقد قاربت ان تسكن اليهم بعض السكون وأن تميل اليهم ميلا قليلا فتعطيهم بعض ما سألوك يقال كدت أفعل كذا اي قاربت ان افعله ولم افعله وقد صح عنه ﷺ قوله وضع عن أمي ما حدثت به قسها ما لم تعمل به او بتكلم به قال ابن عباس يريد حيث سكنت عن جوابهم والله اعلم بنيه ثم توعدده سبحانه على ذلك لو فعله فقال (اذا لا ذقناك ضعف الحياة وضعف المات) اي لو فعلت ذلك لعذبناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب المات اي مثلي مانعذب به المشرك في الدنيا ومثلي ما نعذب به المشرك في الآخرة لأن ذنبك يكون اعظم وقيل ان المراد بالضعف العذاب المضاعف لله والمعنى لا ذقناك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن ابان بن تظب وأنشد قول الشاعر

لَمَقْتَلِ مَالِكٍ إِذْ بَانَ مِنِّي أَيَبْتُ اللَّيْلَ فِي ضِعْفِ السِّمِّ

اسم عذاب قال ابن عباس رسول الله ﷺ معصوم ولكن هذا تخويف لأنه لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه (ثم لا تجدك علينا نصيرا) أي ناصرا بنصرك وقال انه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ اللهم لا تكلفني إلى نفسي طرفة عين أبدا عن قتادة قوله تعالى (٧٦) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٧) سَنَةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسِنَّتِنَا تَحْوِيلًا (آيتان)

(- القراءة -)

قرأ أهل الحجاز وابوعمر وروأبو بكر خلقك بغير الف والباقون خلافك بالالف وقرأ رويس عن يعقوب بالوجهين

✽ الحجة ✽

قال ابو علي زعم ابو الحسن ان خلافك في معنى خلقك ومعناه بعدك فنقرأ خلقك او خلافك فهو في القراءتين جميعا على تقدير حذف المضاف أي بعد خروجك فيكون مثل قول ذي الرمة

لَهُ وَأَجْفٌ بِالْقَلْبِ حَتَّى تَقْطَعَتْ خِلَافَ الثَّرِيَاءِ مِنْ أَرِيكِ مَا رَبُّهُ (١)

والمعنى خلاف طلوع الثريا وكذلك جعل قوله خلاف رسول الله ﷺ اسما للجهة كان على حذف المضاف كأنه خلاف خروج رسول الله ﷺ ومن جملة مصدرها جملة مضافا إلى مفعول به وعلى أي الأمرين حمل ذلك في سورة التوبة كان بمقدم المقدم فيه مصدر لا اسم المكان لأن اسم المكان لا يتعلق به شيء

✽ الاعراب ✽

قال لا يلبثون بالرفع لأن إذا وقعت بعد الواو جاز فيها الالف لأنها متوسطة في الكلام كما انه لا بد من أن تلتقى اذا وقعت حشوا سنة من قد ارسلنا اتصب بمعنى قوله لا يلبثون لأن تأويله انا سنتا هذه السنة فيمن ارسلنا قبلك والتقدير اهلكناهم اهلكنا كما وسنة مثل سنة من قد ارسلنا قبلك

✽ النزول ✽

نزلت في أهل مكة لما هموا باخراج النبي ﷺ من مكة عن مجاهد وقاتدة وقيل نزلت في اليهود بالمدينة لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالوا له ان هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وانما أرض الأنبياء الشام فأنت الشام عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه ان الكفار لما يشوا من اجابته إياهم فيما التمسوه منه كادوا له فقالوا (وان كادوا يستغزونك من الأرض ليخرجوك منها) معناه وان المشركين ارادوا ان يزججوك من ارض مكة بالاخراج عن قتادة ومجاهد وقيل عن ارض المدينة يعني اليهود عن ابن عباس وقيل يعني جميع الكفار ارادوا ان يخرجوك من ارض العرب عن الجبائي وقال الحسن ليستغزونك معناه ليقتلونك (واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا) معناه أنهم لو اخرجوك لكانوا لا يلبثون بعد خروجك الا زمنا قليلا ومدة يسيرة قيل وهي المدة بين خروج النبي ﷺ من مكة وقتلهم يوم بدر عن الضحاك وقيل أنهم اخرجوه واهلكوا والمراد بقوله الا قليلا الا ناسا قليلا منهم يريد من اقلت منهم يوم بدر وآمنوا بعد ذلك (سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا) معناه أنهم لو اخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك كسنتنا فيمن قبلك قال سفيان بن عيينة يقول لم ترسل قبلك رسولا فأخرجه قومه الا اهلكوا فقد سنتنا هذه السنة فيمن ارسلنا قبلك اليهم (ولا تجد لسننتنا تحويلا) أي تبديلا ومعناه ما يتبعها لأحد ان يقلب سنة الله ويبطلها والسنة هي العادة الجارية والصحيح ان المعنيين في الآية مشركوا مكة وانهم لم يخرجوه

(١) وجف القلب : خفق . واريك : اسم وادأوجيل على خلاف ذكره العموي في المعجم .

من مكة ولكنهم هموا بإخراجه كما في قوله واذا يمكر بك الذين كفروا إلى قوله او يخرجوك ثم خرج بالتفصيل
لما امر بالمجرة خوفاً منهم وندموا على خروجه ولذلك ضمنوا الاموال في رده فلم يقدروا على ذلك ولو اخرجوه
لاستوفوا بالعذاب ولما توارطوا

قوله تعالى (٧٨) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ
الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا
(٨٠) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
نَاصِرًا (٨١) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (أربع آيات)

اللغة

الدلوك الزوال وقال المبرد دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها وقيل هو الغروب واصله من الدلك فسمي
الزوال دلو كما لأن الناظر اليها بدلك عينه لشدة شعاعها وسمي الغروب دلو كما لأن الناظر بدلك عينه ليتبينها
قال ثعلب دلكت الشمس مالت وقال الزجاج يقال دلكت يروح ويروح اي مالت للزوال حتى صار الناظر
يحتاج إذا تبصرها ان يكسر الشعاع عن بصره براحتة قال الراجز

هَذَا مَقَامٌ قَدَمِي رِبَاحٍ لِلشَّمْسِ حَتَّى دَلَكْتَ بَرَّاحٍ (١)

ورباح اسم ساقى الاوبل ومن قال يروح يروح الباء جعلها اسما للشمس مبنياً على فعال مثل قطام وحزام ومن روى
يرواح بكسر الباء أراد براحتة وقال الفراء اي قال بالراحة على العين لينظر هل غابت الشمس بعد، وغسق الليل
ظهور ظلامه يقال غسقت القرحة اذا امتجرت فظهر ما فيها والتهجد التيقظ والسهر بما ينفي النوم والمجود النوم
وهو الأصل هجد بهجد نام وقد هجدته إذا نومتة قال لبيد

قُلْتُ هَجَّدْنَا وَقَدْ طَالَ السَّرِيُّ وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَا الدَّهْرُ غَفْلًا (٢)

وقال آخر

الْأَطْرَقْنَا وَالرِّفَاقُ هَجُودٌ فَبَاتَتْ بَعْلَاتُ النَّوَالِ تَجُودٌ

وقال الحطيثة

الْأَطْرَقَتْ هِنْدُ الْمَنُودِ وَصَحْبَتِي بِحُورَانَ حُورَانَ الْجُنُودِ هَجُودٌ (٣)

قال المبرد التهجد السهر للصلاة او لذكر الله وقال علقمة التهجد يكون بعد نومة والنافلة والنفل الغنيمة
قال لبيد

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلٍ وَإِذْنِ اللَّهِ رَبِّنِي وَعَجَلٍ (٤)

أي وعجلي وعسى من الله واجبة وقد أشد لابن مقبل في وجوبها

ظَنِّي بِهِمْ كَمَسِي وَهُمْ يَتَنَوَّقُونَ (٥) يَتَنَوَّقُونَ جَوَائِزَ الْأَمْثَالِ

يريد كيقين والزهوق الملاك والبطلان يقال زهقت نفسه إذا خرجت فكأنه قد خرجت إلى الملاك

الاعراب

قرآن الفجر منصوب على تقدير وأقم قرآن الفجر وانصب قوله نافلة لك لأنه في موضع الحال

(١) وفي رواية الجوهرى «ذبح حتى دلكت . اهـ» وذبح اي كثرت عليه الذباب وفي رواية الفنوي «بكرة حتى دلكت : اهـ» ذكره في اللسان . (٢) السرى : سير الليل كله . وقد رنا اي قدرنا على التهجد او على السير . وخنى الدهر : آفته وفساده اي ان غفلنا فساد الدهر فلم يقمنا . (٣) حكى عن الثعلب انه قال ان اهل الشام يسون كل كورة

* المعنى *

ثم امر سبحانه بعد اقامة البيئات وذكر الوعد والوعيد باقامة الصلاة فقال مخاطباً للنبي ﷺ والمراد هو وغيره (اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) اختلف المفسرون في الدلوك فقال قوم دلوك الشمس زوالها وهو قول ابن عباس بخلاف ابن عمر وجابر وابي العالية والحسن والشعبي وعطا ومجاهد وقتادة والصلاة المأمور بها على هذا هي صلاة الظهر وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) ومعنى قوله لدلوك الشمس اي عند داركها وقال قوم داركها غروبها وهو قول النخعي والضحاك والسدي والصلاة المأمور بها على هذا هي المغرب وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس والقول الأول هو الاوجه لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس فصلاوات دلوك الشمس الظهر والعصر وصلات غسق الليل هما المغرب والمشاء الآخرة والمراد بقرآن الفجر صلاة الفجر فهذه خمس صلوات وهذا معنى قول الحسن واختاره الواحدي وغسق الليل هو أول بدء الليل عن ابن عباس وقتادة وقيل هو غروب الشمس عن مجاهد وقيل هو سواد الليل وظلمته عن الجبائي وقيل هو انتصاف الليل عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) واستدل قوم من اصحابنا بالآية على ان وقت صلاة الظهر موشع الى آخر النهار لأنه سبحانه اوجب إقامة الصلاة من وقت دلوكها الى غسق الليل وذلك يقتضي ان ما بينها وقت ولم يرتضه الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه قال لأن من قال ان الدلوك هو الغروب فلا دلالة فيه عنده بل يقول اوجب سبحانه إقامة المغرب من عند الغروب الى وقت اختلاط الظلام الذي هو غروب الشفق ومن قال الدلوك هو الزوال امكنه ان يقول ان المراد بالآية بيان وجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن لا بيان وقت صلاة واحدة وأقول انه يمكن الاستدلال بالآية على ذلك بأن يقال إن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس الذي هو الزوال الى غسق الليل وقتاً للصلوات الأربع إلا أن الظهر والعصر اشتراكاً في الوقت من الزوال الى الغروب والمغرب والمشاء الآخرة اشتراكاً في الوقت من الغروب الى الفسق وافرد صلاة الفجر بالذكر في قوله (وقرآن الفجر) ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان اوقاتها ويؤيد ذلك ما رواه العياشي بالاستناد عن عبيد بن زرارة عن ابي عبد الله (ع) في هذه الآية قال ان الله افترض اربع صلوات أول وقتها من زوال الشمس الى انتصاف الليل منها صلاتان أول وقتها من عند زوال الشمس الى غروبها الا ان هذه قبل هذه ومنها صلاتان أول وقتها من غروب الشمس الى انتصاف الليل إلا ان هذه قبل هذه والى هذا ذهب المرتضى علم الهدى قدس الله روحه في اوقات الصلوات وقال الزجاج ان في قوله وقرآن الفجر فائدة عظيمة تدل على ان الصلاة لا تكون إلا بقراءة لأن قوله أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر قد أمر فيه ان يقيم الصلاة بالقراءة حتى سميت الصلاة قرآناً فلا يكون صلاة إلا بقراءة (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) كلهم قالوا معناه ان صلاة الفجر تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار وقال النبي ﷺ تفضل صلاة الجماعة صلاة احدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً ويجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر اورده البخاري في الصحيح (ومن الليل فتهجد به) خطاب للنبي ﷺ اي فصل بالقرآن عن ابن عباس ولا يكون التهجد إلا بعد النوم عن مجاهد والاسود وعلقمة واكثر المفسرين وقال بعضهم ما تنفلت به في كل الليل يسمى تهجداً والتهجد الذي يلقي الهجود عن نفسه كما يقال المتخرج والمتأمم (نافلة لك) اي زيادة لك على الفرائض وذلك ان صلاة الليل كانت فريضة على النبي ﷺ مكتوبة عليه ولم تكتب على غيره وكانت فضيلة لغيره عن ابن عباس وقيل كانت واجبة عليه فنسخ وجوبها بهذه الآية وقيل ان معناه فضيلة لك وكفارة لغيرك فإن كل انسان يحاف ان لا يقبل فرضه فيكون نفلته كفارة والنبي لا يحتاج إلى كفارة عن مجاهد وقيل معناه نافلة لك ولغيرك وانما اختصه بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير الى الاقتداء به والحث على الاستئنان بسنته (عسى ان يعيذك ربك مقاماً محموداً) عسى من الله واجبة والمقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه اي

ببعثك يوم القيامة بئنا أنت محمود فيه ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة كما يقال بعثت بعيري أي أثرته وأقمته فيكون معناه يقيمك ربك مقاما محمودا يحمذك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع وقد اجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس وهو المقام الذي يعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفه ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون ^{وذلك} أول شافع وأول مشفع (وقل) يا محمد (رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المدخل والمخرج هنا مصدر الإدخال والإخراج فالتقدير ادخلني ادخال صدق وأخرجني إخراج صدق وفي معناه اقوال **➤** أحدها **➤** أن المعنى ادخلني في جميع ما أرسلتني به ادخال صدق وأخرجني منه سالما إخراج صدق أي اعطني على الوحي والرسالة عن مجاهد **➤** وثانيها **➤** أن معناه ادخلني المدينة وأخرجني منها إلى مكة للفتح عن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير **➤** وثالثها **➤** أنه ^{وذلك} أمر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر أو خرج من أمر والمراد ادخلني كل أمر مدخل صدق من أي مسلم **➤** ورابعها **➤** أن المعنى ادخلني القبر عند الموت مدخل صدق وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق عن عطية عن ابن عباس ومدخل الصدق ما تحمد عاقبته في الدنيا والدين وثمنا أضاف الإدخال والإخراج إليه سبحانه وإن كانا من فعل العبد لأنه سأله اللطيف المقرب إلى خير الدين والدنيا (واجعل لي من أدنك سلطانا نصيرا) أي اجعل لي عزاً امتنع به ممن يحاول صدي عن إقامة فرائضك وقوة تنصرني بها على من عاداني فيك وقيل اجعل لي ملكا عزيزا أقهر به العصاة فنصر بالرعب حتى خافه العدو على مسيرة شهر وقيل حجة بينة أتقوى بها على سائر الأديان الباطلة عن مجاهد قال وسمه نصيرا لأنه تقمع به النصر على الأعداء فهو كالمعين (وقل) يا محمد (جاء الحق) أي ظهر الحق وهو الإسلام والدين (وزهد الباطل) أي وبطل الباطل وهز الشرك عن السدي وقيل الحق التوحيد وعبادة الله والباطل عبادة الأصنام عن مقاتل وقيل الحق القرآن والباطل الشيطان وزهد بطل واضمحل عن قتادة وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال دخل النبي ^{صلى الله عليه وسلم} مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهد الباطل إن الباطل كان زهوقا أورده البخاري في الصحيح قال الكلبي فجعل الصنم ينكب لوجهه إذ قال ذلك وأهل مكة يقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد (إن الباطل كان زهوقا) أي مضمحلا ذاهبا هالكا لا تبات له

قوله تعالى (٨٢) وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٣) وَإِذَا أُنعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَمَّ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَوسِسًا قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أبو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان وناء بجانبه ممدودة ممدودة وفي حم مثله وقرأ حمزة إلا المعجلى وأبو بكر برواية حماد ويحيى وعياش وأبو شعيب السوسي عن يزيد بن نصير عن الكسائي نثي بفتح النون وكسر الهمزة وقرأ حمزة برواية المعجلى وخلف والكسائي نثي بكسر النون والهمزة وقرأ الباقون نأى بفتح النون والهمزة في وزن نعي

✽ الحجة ✽

قال أبو علي ناء مثل فاع وهو على القلب وتقديره فلع ومثله رأى ورآء قال
فكَلَّ خَلِيلٍ رَأَى نِي فَهَوَ قَائِلٌ
مِنَ أَجَلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْغَدِي (١)

(١) قائله كثير وهامة اليوم أوغداى يموت اليوم أوغداً .

ومن امال الفتحين فلان الألف منقلبة من الياء التي في الناي فإذا أراد أن ينحو نحوها
امال فتحة النون لإمالة فتحة الهزة وقد قالوا رأيت عمادا فأمالوا الألف لإمالة الألف فكذلك امالوا
الفتحة لإمالة الفتحة لأنهم يجرون الحركة مجرى الحرف في اشياء ومن فتح النون وكسر الهزة فإنه لم يمل الفتحة
الأولى لإمالة الفتحة الثانية كما لم يملوا الألف لإمالة الألف في رأيت عمادا

— اللغة —

الشائكة الطريقة والمذهب يقال هذا طريق ذو شواكل أي ينشعب منه طرق جماعة

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن القرآن فقال (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ووجه الشفاء فيه من وجوه
« منها » ما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك « ومنها » ما فيه من النظم والتأليف والفصاحة
البالغة حد الإعجاز الذي يدل على صدق النبي ﷺ فهو من هذه الجهة شفاء من الجهل والشك والعمى في
الدين ويكون شفاء للقاوب « ومنها » انه يتبرك به بقراءته ويستعان به على دفع الملل والاسقام ويدفع الله به
كثيرا من المكروه والمضار على ما تقتضيه الحكمة « ومنها » ما فيه من أدلة التوحيد والعدل وبيان الشرائع
والأمثال والحكم وما في التعبد بتلاوته من الصلاح الذي يدعو إلى امثاله بالمشاركة التي بينه وبينه فهو شفاء
للناس في دنياهم وآخرتهم ورحمة للمؤمنين أي نعمة لهم وخصمهم بذلك لأنهم المنتفعون به (ولا يزيد الظالمين
إلا خسارا) ومعناه انهم لا يزدادون عنده إلا خسارا يجرون الثواب ويستحقون العقاب لكفرهم به وتركهم
التدبر له والتفكير فيه وهذا كقوله فلم يزداهم دعائي إلا فرارا ويحتمل أن يريد ان القرآن يظهر خبث سرائرهم
وما يفترون به من الكيد والمكر بالنبي ﷺ فيقتضون بذلك (وإذا أنعمنا على الانسان اعرض) عن ذكرنا
أي ولّى كأنه لم يقبل علينا بالدعاء والابتهاال (وننا بجانبه) أي بمد بنفسه عن القيام بحقوق انعامنا فلا يشكره
كما اعرض عن النعمة بالقرآن وقال مجاهد معناه تباعد منا وعلى هذا فيكون معناه تجبر وتكبر واعجب بنفسه
لأن المعجب نافر عن الناس متباعد عنهم (وإذا مسه الشركان يؤوسا) معناه وإذا أصابه المحنة والشدة أو الفقر
لم يصبر وكان قنوطا من رجا الفرج من الله تعالى بخلاف المؤمن الذي يرجو الفرج والروح فيكون المراد بالآية
خاصا وإن كان اللفظ عاما وسمى الأمراض والبلايا شرآ لكونها شرا عند الكافر من حيث لا يرجو ثوابا ولا
عرضا ولأن الطباع تنفر عنها وتكرهها وإلا فهي في الحقيقة صلاح وحكمة وصواب (قل) يا محمد
لهم (كل يعمل على شاكلته) أي كل واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها عن
ابن عباس وقيل على طريقته وسنته التي اعتادها عن الفراء والزجاج وقيل على ما هو اشكل بالصواب وأولى
بالحق عنده عن الجبائي قال ولهذا قال (فربكم اعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي انه يعلم أي الفريقين على الهدى
وأيهما على الضلالة وقيل معناه انه اعلم بمن هو اصوب ديننا واحسن طريقا وقال بعض ارباب اللسان هذه الآية
ارجى آية في كتاب الله لأن الأليق بكرمه سبحانه وجوده الغفر عن عباده فهو يعمل به

قوله تعالى (٨٥) وَيَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

(٨٦) وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٧) إِلَّا

رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٨) قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ

يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ

فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (خمس آيات)

✽ اللفظة ✽

الظهير المعين وهو المظاهر وأصله من الظهر كأن كل واحد يسند ظهره إلى ظهر صاحبه فيتقوى به والتصريف
تصيير الشيء دائرا في الجهات وكذلك تصريف الكلام هو تصيره دائرا في المعاني المختلفة

✽ الإعراب ✽

إلا رحمة من ربك الرحمة استثناء من الأول والمعنى وأكن الله تعالى رحمك فأثبت ذلك في قلبك لا يأمن
مرفوع لأنه غلب جواب القسم على جواب ان واللام في لثن موطنه للقسم دالة عليه والتقدير فواؤه لا يأتون بثله
ومثله قول كثير

لَثْنٌ عَادِلِي عَبْدَ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا وَأَمْكَنْتَنِي مِنْهَا إِذَا لَا أَقِيلُهَا (١)

— المعنى —

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (يستلونك) يا محمد (عن الروح) اختلف في الروح المسؤول
عنه على اقوال (احدها) انهم سألوه عن الروح الذي هو في بدن الانسان ما هو ولم يجبههم وسأله عن ذلك قوم من
اليهود عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة واختاره الجبائي وعلى هذا فإنما عدل النبي ﷺ عن جوابهم لعلمه
بأن ذلك ادعى لهم إلى الصلاح في الدين ولأنهم كانوا بسوء العزم متمتعين لا مستفيدين فلو صدر الجواب لازدادوا
عنادا وقد قيل ان اليهود قالت لكفار القريش سلوا محمدا عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي وان لم
يجبكم فهو نبي فإننا نجد في كتبنا ذلك فأمر الله سبحانه بالمدول عن جوابهم وان يكلمهم في معرفة الروح الى
ما في عقولهم ليكون ذلك علما على صدقه ودلالة نبوته (وثانيها) انهم سألوها عن الروح أهي مخلوقة محدثة
أم ليست كذلك فقال سبحانه (قل الروح من امر ربي) أي من فعله وخلقه وكان هذا جوابا لهم عما سألوه منه
بعينه وعلى هذا فيجوز أن يكون الروح الذي سألوها عنه هو الذي به قوام الجسد على قول ابن عباس وغيره أم
جبرئيل «ع» على قول الحسن وقتادة أم ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان
يسبح الله بجميع ذلك على ما روي عن علي «ع» أم عيسى «ع» فإنه قد سمي بالروح (وثالثها) ان المشركين
سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك أو كيف صار معجزا وكيف صار نظمه وترتيبه مخالفا
لأنواع كلامنا من الخطب والاشعار وقد سمي الله تعالى القرآن روحا في قوله وكذلك أوحينا إليك روحا من
أمرنا فقال سبحانه قل يا محمد ان الروح الذي هو القرآن من امر ربي أنزله دلالة على دلالة نبوتي وليس من فعل المخلوقين
ولأنما يدخل في امكانهم وعلى هذا فقد وقع الجواب أيضا موقفا واما على القول الأول فيكون معنى قوله
الروح من امر ربي هو من الأمر الذي يعلمه ربي ولم يطلع عليه احد واختلف العلماء في ماهية الروح فقيل انه
جسم دقيق هوائي متردد في مخارق الحيوان وهو مذهب أكثر المتكلمين واختاره الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله
روحه وقيل جسم هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة عن علي بن عيسى قال فلكل حيوان روح وبدن
إلا ان منه من الأغلب عليه الروح ومنه من الأغلب عليه البدن وقيل ان الروح عرض ثم اختلف فيه فقيل هو
الحياة التي يتهاى به المحل لوجود القدرة والعلم والاختيار وهو مذهب الشيخ المفيد في عبد الله محمد بن محمد بن
النعمان «ره» والبلخي وجماعة من المعتزلة البغداديين وقيل هو معنى في القلب عن الاسودري وقيل ان الروح الانسان
وهو الحي المكلف عن ابن الاخشيد والنظام وقال بعض العلماء ان الله تعالى خلق الروح من ستة اشياء من جوهر
النور والطيب والفضاء والحياة والعلم والعلو ألا ترى انه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا يبصر بالعينين ويسمع

بالأذنين ويكون طيبا فإذا خرج من الجسد نبت الجسد ويكون باقيا فإذا فارقه الروح بلي وفيه ويكون حيا ونجروجه يصير ميتا ويكون عالما فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئا ويكون علويا لطيفا توجد به الحياة بدلالة قوله تعالى في صفة الشهداء بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين واجسامهم قد بليت في التراب وقوله (وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا) قيل هو خطاب للنبي ﷺ وغيره إذا لم يبين له الروح ومعناه وما أوتيتهم من العلم المنصوص عليه إلا قليلا أي شيئا يسيرا لأن غير المنصوص عليه أكثر فأون معلومات الله تعالى لا نهاية لها وقيل خطاب لليهود الذين سأروه فقالت له اليهود عند ذلك كيف وقد اعطانا الله التوراة فقال التوراة في علم الله قليل ثم قال سبحانه (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) يعني القرآن ومعناه اني اقدر ان آخذ ما اعطيتك كما منعت غيرك ولكني دبرتك بالرحمة لك فأعطيتك ما تحتاج اليه ومنعتك ما لا تحتاج الى النص عليه وان توهم قوم انه مما تحتاج اليه فتدبر أنت بتدبير ربك وارض بما اختاره لك (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لو فعلنا ذلك لم تجد علينا وكيلا يستوفي ذلك منا وقيل معناه ولو شئنا لمحونا هذا القرآن من صدوركم وصدر أمك حتى لا يوجد له أثر ثم لا تجد له حفيظا يحفظه عليك ويحفظ ذكره على قلبك عن الحسن والبي مسلم والأصم قالوا وفي هذا دلالة على ان السؤال وقع عن القرآن (إلا رحمة من ربك) معناه لكن رحمة من الله ربك لك اعطاك ما اعطاك من العلوم ومنعتك ما منعتك منها وأثبت القرآن في قلبك وقلوب المؤمنين (إن فضله كان) فيا مضى وفيما يستقبل (عليك كبيرا) عظيما اذ اختارك للنبوّة وخصك بالقرآن فقابله بالشكر وقال ابن عباس يريد حيث جعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود ثم اجتمع سبحانه على المشركين باعجاز القرآن فقال (قل لئن اجتمعت الأونس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار لئن اجتمعت الأونس والجن متعاونين يتعاضدين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه على الوجوه التي هو عليها من كونه في الطبقة العليا من البلاغة والدرجة القصوى من حسن النظم وجودة المعاني وتهديب العبارة والحلو من التناقض واللفظ المسخوط والمعنى الدخول على حد يشكل على السامعين ما بينها من التفاوت لعجزوا عن ذلك ولم يأتوا بمثله (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي معينا على ذلك مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه عن ابن عباس وفي هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال ابو مسلم وفي هذا ايضا دلالة على ان السؤال بالروح وقع عن القرآن لأنه من تمام ما أمر الله نبيه ﷺ أن يجيئهم به (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) معناه ولقد بيننا لهم في هذا القرآن من كل ما يحتاج اليه من الدلائل والأمثال والبر والأحكام وما يحتاجون اليه في دينهم ودنياهم ليتفكروا فيها (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أي جعوزا للحق والمثل قد يكون الشيء بعينه وقد يكون صفة للشيء وقد يكون شبه

قوله تعالى (٩٠) وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا (٩١) أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فنفجر الأنهار خلالها فججيرا (٩٢) أو نسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا (٩٣) أو يكون لك بيت من زخرف أو نرقي في السماء ونحن نؤمن لربك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا (٩٤) وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا (٩٥) قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (ست آيات)

❁ القراءة ❁

قرأ اهل الكوفة ويعقوب حتى تفجر لنا بفتح التاء وضم الجيم والباقون تفجّر بضم التاء وتشديد الجيم وقرأ ابو جعفر وابن عامر كسفا بفتح السين هاهنا وفي سائر القرآن كسفا ساكنة السين وقرأ حفص بالفتح في جميع القرآن إلا في الطور وقرأ اهل المراق وابن كثير بالسكون في جميع القرآن إلا في الروم ولم يقرأ في الروم بسكون السين إلا ابو جعفر وابن عامر وابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي والباقون قل على الأمر

(الحجة) -

من قرأ تفجّر بالتشديد فلا نهم ارادوا كثرة الانفجار من الينبوع وهو وإن كان واحدا فلكثير الانفجار منه حسن ان يقال بتكرير العين كما يقال ضرب زيد إذا كثر منه فعل الضرب ومن قرأ تفجّر فلأن الينبوع واحد فلا يكون كقوله فتفجّر الأنهار خلاها تفجيها لأن فجرت الأنهار مثل غلقت الأبواب فلذلك اتفق الجميع على التشديد فيه والكسف القطع واحدها كسفة ومن سكنه جاز ان يريد الجمع مثل يسدرة ويسدر قال ابو زيد كسفت الثوب اكسفه كسفا إذا قطعه قال ابو علي إذا كان المصدر الكسف فالكسف الشيء المقطوع كالطحن والطحن والسقي والسقي ونحو ذلك فجاز ان يكون قوله او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا بمعنى ذات كسف وذلك ان اسقط لا يتمدى إلا إلى مفعول واحد فوجب ان ينتصب كسفا على الحال لظلال الظلال في المعنى وإذا كان كذلك وجب ان يكون الكسف هو السماء فيصير المعنى او تسقط السماء علينا مقطعة او قطعاً ومن قرأ قال سبحان ربي فالوجه فيه ان الرسول قال عند اقتراحهم هذه الأشياء سبحان ربي ومن قرأ قل فهو على الأمره بأن يقول ذلك

❁ اللفظ ❁

التفجير التشقيق عما يجري من ماء او ضياء ومنه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود ومنه الفجور لأنه خروج إلى الفساد يشق به عمود الحق والينبوع يفعول من نبع الماء ينبع فهو تابع إذا فار والقيل الكفيل من قبلت به اقبل قبالة أي كفلت وتقبل فلان بالشيء إذا تكفل به قال الزجاج وجائز أن يكون المعنى تأتي بهم حتى زاهم مقابلة اي معاينة وانشد غيره

نُصَالِحَكُم حَتَّى تَبَوُّوا مِثْلَهَا كَصَرَخَةِ حَبْلِ أَسْلَمَتَهَا قَبْلَهَا

أي قابلتها التي هي مقابلتها والعرب تجربيه في هذا المعنى مجرى المصدر فلا يشي ولا يجمع ولا يؤنث وأصل الزخرف من الزخرفة وهي الزينة وزخرفت الشيء إذا أكملت زينته ولا شيء في تحسين بيت وترينه وزخرفته كالذهب ويقال في الصعود رقيت ارقى رقياً وفيما تدأويه بالرقيمة رقيت ارقى رقيماً ورقياً

❁ النزول ❁

قال ابن عباس ان جماعة من قريش وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو سفيان بن حرب والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي أمية وأميه بن خلف والعاص بن وائل ونيبه ومنبه ابنا الحجاج والنضر بن الحارث وابو البخاري بن هشام اجتمعوا عند الكعبة وقال بعضهم لبعض ابشروا إلى محمد فكلموه وخصموه فبعثوا اليه ان اشرف قومك قد اجتمعوا لك فبادر عليه السلام اليهم فلما منه انهم بدا لهم في أمره وكان حريصاً على رشدهم فجلس اليهم فقالوا يا محمد انا دعوناك لنعذر اليك فلا نعلم احدا ادخل على قومه ما ادخلت على قومك نشتت الامة وعبت الدين وسفقت الأحمال وفرقت الجماعة فإن كنت جئت بهذا لتطلب مالا اعطيناك وإن كنت تطلب الشرف سودناك علينا وإن كانت علة غلبت عليك طلبنا لك الأطباء فقال عليه السلام ايس شيء من ذلك بل بعثني الله اليكم رسولا وأنزل كتاباً فلن قبلتم ما جئت به فهو

(١) ويروى «بشرتها» - بسرتهاقيلها - قبولها» والقيل والقبول كلاهما بمعنى القابلة ، سميت بذلك لقبولها الولد وقوله «اسلمتهاقبيلها» اي بنست منهاقاله في اللسان .

حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا قالوا فإذا نيس أحد اضيق بلدا منا فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال ويجري لنا انهارا كأنهار الشام والعراق وأن يبعث لنا من مضى وليكن فيهم قصي فإنه شيخ صدوق لنا لهم عما تقول أحق أم باطل فقال صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت قالوا فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك ويجعل لنا جنات وكنوزا وقصرنا من ذهب فقال صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت وقد جئتم بما بعثني الله به فإن قبلتم وإلا فهو يحكم بيني وبينكم قالوا فاسقط علينا السماء كما زعمت إن ربك إن شاء فعل ذلك قال ذلك إلى الله إن شاء فعل وقال قائل منهم لا نوؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته عائكة بنت عبدالمطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ثم سألك لأنفسهم أمورا فلم تفعل ثم سألك أن تجعل ما تحرفهم به فلم تفعل فوالله لا أوؤمن بك أبدا حتى تتخذ سلما إلى السماء ثم ترقى فيه وأنا انظر ويأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك وقال ابو جهل انه أبي إلا سب الألهة وشتم الآباء وأنا أعاهد الله لأحملن حجرا فإذا سجد ضربت به رأسه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات

— المعنى —

لما بين سبحانه فيما تقدم اعجاز القرآن عقب ذلك البيان بأنهم ابوا الا الكفر والظنمان واقترحوا من الآيات ما ليس اهم ذلك فقل (وقالوا ان نوؤمن لك) اي ابن نصدقك فيما تدعي من النبوة (حتى تفجر لنا من الارض) أي تشقق لنا من ارض مكة فإنها قليلة الماء (ينبوعا) اي عينا ينبع منه الماء في وسط مكة (او تكون لك جنة) وهي ما تجتة الاشجار اي تسره (من نخيل وعنب فتفجر الأنهار) من الماء (خلاها) اي وسطها (فقجيرا) أي تشقيا حتى يجري الماء تحت الاشجار (او تسقط السماء) كما زعمت علينا كسفا (اي قطعا قد تتركب بعضها على بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقوله كما زعمت معناه كما خوفتنا به من انشقاق السماء وانفطارها وقيل معناه كما زعمت انك نبي تأتي بالمعجزات (او تأتي بالله والملائكة قبيلا) اي كفيلا ومعناه تأتي بكل واحد حتى يكون كفيلا ضامنا لنا بما تقول عن ابن عباس والضحاك وقيل هو جمع القبيلة اي تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة عن مجاهد وقيل معناه مقابلين لنا كالشيء يقابل الشيء حتى نشاهدهم قبيلا اي مقابلة نعاينهم ويشهدون بأنك حق ودعوتك صدق عن الجبائي وقتادة وهذا يدل على ان القوم كانوا مشبهة مع شركهم (او يكون لك بيت من زخرف) اي من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الزخرف النقوش عن الحسن (او ترقى في السماء) اي تصعد (ولن نوؤمن لربك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) اي ولو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منا كتابا من الله شاهدا بصحة نبوتك ونقروا وهو مثل قوله بل يريد كل امرء منهم ان يوتى صحفا منشرة (قل سبحانه ربي) اي تزيها له من كل قبيل وبراءة له من كل سوء وفي ذلك من الجواب انكم تتخيرون الآيات وهي إلى الله سبحانه فهو العالم بالتدبير الفاعل لما توجه المصلحة فلا وجه لطلبكم إياها مني وقيل معناه تعظيها له عن ان يحكم عليه عبده لأن له الطاعة عليهم وقيل انهم لما قالوا تأتي بالله وترقى في السماء إلى الله لاعتقادهم ان الله تعالى جسم قال قل سبحانه ربي عن كونه بصفة الاجسام حتى تجوز عليه المقابلة والتزول وقيل معناه تزيها له من ان يفعل المعجزات تابعا للاقتراحات (من كنت إلا بشرا رسولا) معناه ان هذه الاشياء ليس في طاقة البشر ان يأتي بها وان يفعلها فلا اقدر بنفسي ان آتي بها كما لم يقدر من كان قبلي من الرسل والله تعالى انما يظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة وقد فعل فلا تطالبوني بما لا يطالب به البشر (وما منع الناس ان يؤمنوا) اي وما صرف المشركين من الايمان اي التصديق بالله وبرسوله (اذ جاءهم الهدى) اي حين أتاهم الحجج والبيانات (إلا ان قالوا) اي الاقولهم (ابث الله بشرا رسولا) دخلت عليهم الشبهة في انه لا يجوز ان يبعث الله رسولا الا من

(الجزء الخامس عشر) قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إلى قوله وكان الإنسان قتورا ٤٤١ ج ٤

الملائكة كما دخلت عليهم الشبهة في ان عبادتهم لا تصلح لله فوجهها إلى الأصنام فعضموا الله بجهلهم بما ليس فيه تعظيم وإنما ذكر سبحانه هنا لفظ المنع مبالغة في وصف الصرف وإلا فالمنع يستحيل معه الفعل فلا يجوز أن يكون مراداً هنا ولكن شبه الصرف بالمنع (قل) يا محمد (لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين) أي ساكنين قاطنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) منهم عن الحسن وقيل معناه مطمئين إلى الدنيا ولذاتها غير خائفين ولا متعبدين بشرع لأن المطمئن من زال الخوف عنه عن الجبائي وقيل معناه لو كان أهل الأرض ملائكة لبثنا اليهم ملكاً ليكونوا إني اتهم اليه أمرع عن أبي مسلم وقيل ان العرب قالوا كنا ساكنين مطمئين فبما محمد فآزعنا وشوش علينا أمرنا فبين سبحانه انهم لو كانوا ملائكة مطمئين لأوجبت الحكمة إرسال الرسل اليهم فكذلك كون الناس مطمئين لا يمنع من إرسال الرسول اليهم إذ هم أحوج اليه من الملائكة فكيف انكروا إرسال الرسول اليهم مع كونهم مطمئين « سؤال » قالوا إذا جاز ان يكون الرسول إلى النبي ملكاً ليس من جنسه فالأجاز ان يكون الرسول إلى الناس أيضاً ملكاً ليس من جنسهم بوجوده فان صاحب المعجزة قد اختير للنبوّة فصارت حاله مقاربة لحال الملك وليس كذلك غيره من الأمة لأنه يجوز ان يرى الملائكة كما يرى بعضهم بعضاً بخلاف الأمة وأيضاً فإن النبي يحتاج إلى معجزة تعرف بها رسالة نفسه كما احتاجت إليه الأمة فجعل الله المعجزة رؤيته الملك

قوله تعالى (٩٦) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٧) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِدَ اللَّهُ فَبُهِدَ اللَّهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ يُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَا وَأَمَّ جَهَنَّمَ كَلَّمَآ خَبِتَ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٨) ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أءِذَا نَا لْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٩) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارْتِيَابٍ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (١٠٠) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (خمس آيات)

❖ اللفظة ❖

الخبو سكن النار عن الالتهاب يقال خبت النار تخبو قال عدي بن زيد
وَسَطَهُ كَالْبِرَاعِ أَوْ سَرَجِ الْمَجْدَلِ حِينًا يُخْبُو وَحِينًا يُنِيرُ (١)
وقال آخر

وَكَانَ كَالْحَرْبِقِ أَصَابَ غَابًا فَيَخْبُو سَاعَةً وَيُنِيرُ سَاعًا

والقتر التضيق والقنور فعول منه للمبالغة ويقال قتر بقتر وتقتّر واقتر وقتر إذا قدر في النفقة

❖ الاعراب ❖

كفى بالله المقول محذوف وهو الكاف والباء زيادة وشهيداً تمييز والتقدير كفاك الله من جملة الشهداء من يهدي الله ومن يضل كلاهما شرط ووحيد الضمير المتصل يهدي ويضل على اللفظ ثم قال فلن تجد لهم أولياء ويحشرهم الخ فجمع الضمير في كل ذلك على المعنى وقوله كلما خبت زدناهم سعيراً الجملة في موضع الحال من جهنم لأن جهنم توضع موضع مثلظ ومتشعر ولولا ذلك لم يجز محي الحال عنها ويجوز ان تكون الجملة لا محل

(١) هذا البيت من قصيدة يعظ فيها النعمان بن النضر ومطلعها «أرواح مودع أم بكور» أنت فانظر لاي ذاك

تصير . والبراع جمع براعه وهي ذباب يطير بالليل كأنه نار . والمجدل : القصر .

لها من الاعراب ويكون في تقدير العاطفة والتقدير وكما خبت فحذف الواو على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره مجرورين على وجوههم وقوله لو انتم تملكون انتم مرفوع بفعل مضمر بفسره هذا الظاهر الذي هو قوله تملكون لأن لو يقع بها الشيء لوقوع غيره فلا يليها إلا الفعل وإذا وليها اسم عمل فيه فعل مضمر قال
لَوْ غَيْرَكُمْ عَلَيَّ الزَّيْرَ يَحْبِلُهُ أَدَى الْجَوَارِ إِلَى بَنِي الْعَوَامِ (١)

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) اني رسول الله اليكم وقد مرّ معناه في سورة الرعد (انه كان بعباده خبيراً بصيراً) لا يخفى عليه من احوالهم شيء والمراد به تأكيد الوعيد (ومن يهد الله فهو المهتد) أي من يحكم الله بهداه فهو المهتد بإخلاصه وطاعته على الحقيقة (ومن يضل) أي ومن يحكم بضلالة (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي لن تجد لهم أنصاراً بقدرت على إزالة اسم الضلال عنهم وقد ذكرنا وجوه الهدى والضلال في سورة البقرة (ونحشرهم) أي نجتمعهم (يوم القيامة على وجوههم) أي يسحبون على وجوههم إلى النار كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في أهاته وتعذبه وروى انس بن مالك ان رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي أمشاه على رجله في الدنيا قادر على ان يشبهه على وجهه يوم القيامة أوردته البخاري ومسلم في الصحيح (عمياً وبكياً وصماً) قيل المعنى عمياً عما يسرهم بكياً عن التكلم بما ينفعهم صماً عما يتمهم عن ابن عباس أي كأنهم عدمو هذه الجوارح وقيل يحشرون على هذه الصفة عمياً كما عموا عن الحق في دار الدنيا بكماً جزاء على سكوتهم عن كلمة الاخلاص وصلاً لتركهم سماع الحق واصفاتهم إلى الباطل قال مقاتل هذا حين يقال لهم اخشوا فيها ولا تكلمون وقيل يحشرون كذلك ثم يجعلون يبصرون ويسمعون وينطقون عن الحسن (مأواهم جهنم كلما خبت زبدانهم صميراً) أي مستقرهم جهنم كلما سكن الثهايبا زبدانهم اشتعالاً فيكون كذلك دائماً ومتى قيل كيف يبقى الحي حياً في تلك الحالة من الاحتراق دائماً قلنا ان الله تعالى قادر على ان يمنع وصول النار إلى مقاتلهم (ذلك) أي ذلك الذي تقدم ذكره من العقاب (جزاؤهم) استحقوقه (بأنهم كذبوا) [كذا في النسخ والصواب كفروا] (بآياتنا) أي بتكذيبهم بآيات الله (وقالوا أنما كنا عظاماً ورفاتا) مثل التراب مترضين (أنا لمبعوثون خلقاً جديداً) مرّ معناه في هذه السورة (أولم يروا) أي أولم يعلموا (ان الله الذي خلق السموات والأرض قادر على ان يخلق مثلهم) لأن القادر على الشيء قادر على امثاله إذا كان له مثل أو أمثال في الجنس وإذا كان قادراً على خلق أمثالهم كان قادراً على إعادة أهون من الإنشاء في الشاهد وقيل أراد قادر على ان يخلقهم ثانية وأراد بمثلهم إياهم وذلك ان مثل الشيء في حاله فيجاز ان يبتدئ به عن الشيء منه يقال مثلك لا يفعل كذا بمعنى أنت لا تفعله ونحوه ليس كذلك شيء وتم الكلام ههنا ثم قال سبحانه (وجعل لهم أجنالاً لرب فيه) أي وجعل لإعادتهم وقتاً لا شك فيه انه كائن لا محالة وقيل معناه وضرب لهم مدة ليتفكروا ويعلموا فيها ان من قدر على الاجتهاد قدر على الإعادة وقيل وجعل لهم أجنالاً يعيشون اليه ويخترمون عنده لا شك فيه (فأبى الظالمون) لنفوسهم الباطسون حقها بفعل المعاصي (إلا كفوراً) أي جحوداً بآيات الله ونعمه وفي الآية دلالة على ان القادر على الشيء يجب ان يكون قادراً على جنس مثله إذا كان له مثل وعلى انه يجب ان يكون قادراً على ضده لأن منزلته في المقدور منزلة مثله وفيه دلالة أيضاً على انه يقدر على إعادته إذا كان مما بغى وتصح عليه الإعادة ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي لو ملكتم خزائن أرزاق الله وقيل لو ملكتم مقدرات ربي أي ما يقدر عليه ربي من النعم إذا لا يكون له سبحانه موضع يخزن فيه الرحمة ثم يخرج منه كما يكون للعباد ورحمته نعمته (إذا لا مسكتكم) شعماً وبخلًا (خشية الأوقات)

(١) مرالبيت في ج ٢ : ٣٨٦ . (٢) في صفحة ٣٠١ من هذه الطبعة . (٣) قدخلت المخطوطة مما أوردناه بين المعفتين وكأنه كان مكتوباً في هامش بعض النسخ فأدخله الناسخ في المتن سهواً .

أي خشية الفقر والفاقة عن ابن عباس وقتادة وقيل خشية أن تنفقوا فتفتقروا عن السدي والمعنى لا مسكنم عن الاتفاق خشية الفقر للاتفاق (وكان الإنسان قنوراً) أي بخيلاً عن ابن عباس وقتادة وهذا جواب لقولم لن تؤمن لك حتى تقبر لنا من الأرض ينبوعاً ويقال نقتت تقفات القوم إذا قادت وأتقها صاحبها أي أتقدها حتى افتقر وظاهر قوله وكان الإنسان قنوراً العموم وقد علمنا أن في الناس الجواد والوجه فيه أحد أمرين وهو أن يكون الأغلب عليهم من ليس بجواد فحاز الاطلاق تظليماً للأكثر وأيضاً فإن ما يعطيه الإنسان وان عد جواداً يجل في جنب ما يعطيه الله سبحانه لأن الإنسان إنما يعطي ما يفضل عن حاجته ويمسك ما يحتاج إليه والله سبحانه لا تجوز عليه الحاجة فيفيض من التعم على المطيع والعامي إفاضة من لا يخاف الحاجة

قوله تعالى (١٠١) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّئِلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠٢) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٣) فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٤) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَهُمْ عَدُوٌّ آخِرَةٌ جِيئْنَا بِكُمْ لَقِينَاهُمْ (٥٠١) وَيَا لِحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (خمس آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ الكسائي وحده لقد علمت بضم اللام والباقون بفتحها

❖ الحجة ❖

قال أبو علي حجة من فتح ان فرعون ومن كان يتبعه قد علموا صحة أمر موسى بدلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ومن قال لقد علمت إذا قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بعلمه وعلمه لا يكون حجة على فرعون وإنما يكون علم فرعون بما علم من صحة أمر موسى حجة عليه فالقول انه لما قيل له ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجتون كان ذلك قدحا في علمه لأن المجنون لا يعلم فكأنه تقي ذلك فقال لقد علمت صحة ما أتيت به وانه ليس بسحر علما صحيحا كعلم العقلاء فصير العقل حجة عليه من هذا الوجه وزعموا ان هذه القراءة رويت عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع»

❖ اللفظة ❖

التبور الملاك ثبره الله يشبره ويشبره لثنان ورجل مشبور محبوس عن الخيرات قال

إِذْ أَجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ النَّبِيِّ وَمَنْ قَالَ مِثْلَهُ مَثْبُورٌ

وتقول العرب مائبرك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه وما متمك منه وتيف مصدر قولك لفت الشيء أي جمته يقال لفتته لقا ولقيقا ومن ذلك قولم لفت الجيوش ضربت بعضها ببعض فاختلف الجميع قال الزجاج التيف الجماعات من قبائل شتى

❖ المعنى ❖

ثم ذكر سبحانه قصة موسى «ع» فقال (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي ولقد أعطينا موسى تسع دلالات وحجج واضحات واختلف في هذه الآيات التسع فقيل هي يد موسى وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم عن ابن عباس والضجك وقيل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر

والعصا والطمسة والحجر عن محمد بن كعب وعن ابي علي الجبائي أيضا إلا انه ذكر بدل الطمسة اليد وعن قتادة ومجاهد وعكرمة وعطا كذلك إلا انهم ذكروا بدل البحر والطمسة والحجر اليد والسنين وقص من الثمرات والطمسة هي دعاء موسى وتأمين هارون وقال الحسن مثل ذلك إلا انه جعل الأخذ بالسنين وقص من الثمرات آية واحدة وجعل التاسعة تلقف العصا ما يأفكون وقيل انها تسع آيات في الاحكام روى عبد الله ابن سلمة عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نأل هذا النبي قال فأتى الرسول ﷺ فسأله عن هذه الآية فقال هو أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا بالبري إلى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا القرار يوم الزحف وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا في السبت فقبل يده وقال أشهد انك نبي (فأسأل بني اسرائيل إذ جاءهم) هذا أمر للنبي ﷺ ان يسأل بني اسرائيل لتكون الحجة عليهم أبلغ وقيل ان المعنى فأسأل أبها السامع لأن العلم قد وقع بخبر الله تعالى فلا حاجة إلى الرجوع إلى أهل الكتاب وقيل ان معنى السؤال أن تنظر ما في القرآن من أخبار بني اسرائيل عن الحسن وروي عن ابن عباس انه قرأ فسأل بني اسرائيل بمعنى فسأل موسى فرعون بني اسرائيل أن يرسلهم (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) أي معطي علم السحر فهذه العجائب التي فعلتها من سحرك وقيل معناه إني لأظنك سحرًا فوضع المفعول موضع الفاعل كما يقال مشووم ويميمون في معنى شائم وبامن وقيل معناه انك سحرت فأنت تحمل تسك على ما تقول السحر الذي بك وقيل مسحورا أي مخدوعا عن ابن عباس (قال) موسى (لقد علمت) أنت يا فرعون (ما أنزلت هذه الآيات إلا رب السموات والأرض) الذي خلقهن (بصائر) أي أنزلها حجبًا وبراهين للناس يبصرون بها أمور دينهم وقيل أدلة على نبوتك لأنك تعلم انها ليست من السحر وروي ان عليا (ع) قال في علمت والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فقال لقد علمت (واني لأظنك يا فرعون مشورا) معناه واني لاعلمك يا فرعون هالكا لكفرتك وانكارك عن قتادة والحسن وقيل أعلمك ملمونا عن ابن عباس وقيل مخبولا لا عقل لك عن ابن زيد وقيل بعيدا عن الخير مصروفا عنه عن القراء وقيل المراد به الظن على الظاهر لأن الملاك يكون بشرط الاصرار ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله (فأراد أن يستفهم من الأرض) معناه فأراد فرعون ان يزعم موسى ومن معه من ارض مصر وفلسطين والاردن بالنفي عنها وقيل بأن يقتلهم (فأغرقناه ومن معه) من جنوده (جميعا) لم ينج منهم أحد ولم يهلك من بني اسرائيل أحد (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون وقومه (لبني اسرائيل اسكنوا الأرض) أي أرض مصر والشام. (فإذا جاء وعد الآخرة) يعني يوم القيامة عن اكثر المفسرين أي وعد الكرة الآخرة وقيل أراد نزول عيسى عن الكلي وقتادة (جئنا بكم لفيقا) معناه جئنا بكم من القبور إلى الموقف للحساب والجزاء مختلطين التف بعضكم ببعض لا تتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وقيل لفيقا أي جميعا أولكم وآخركم عن ابن عباس ومجاهد (وبالحق أنزلناه) معناه وبالحق أنزلنا القرآن عليك (وبالحق نزل) القرآن وتأويله أردنا بانزال القرآن الحق والصواب وهو ان يؤمن به ويعمل بما فيه ونزل بالحق لأنه يتضمن الحق ويدعو إلى الحق وقال البلخي يجوز ان يكون المراد أنزلنا موسى فيكون كقوله وأنزلنا الحديد ويجوز ان يكون المراد وأنزلنا الآيات اي وأنزلنا ذلك كما قال ابو عبيدة انشدني رؤبة

فِهِ خَطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقُ كَأَنَّهُ فِي الْعَيْنِ تَوَلَّيْعُ الْبَهَقِ (١)

فقلت له ان أردت الخطوط فقل كأنها وإن اردت السواد واليباض فقل كأنها قال فقال لي كأن ذا ويطلع البهق (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) مبشرا بالجنة لمن اطاع ومنذرا بالنار لمن عصى

قوله تعالى (١٠٦) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٧) قُلْ

(١) وفي اللسان في مادة ولع «فيها خطوط . اه . والتوليع : التلميع من البرص . والبهق : يباغض دون البرص . (٢) قال ابن المنصور بعد ذكر القصة قال ابن بري : ورواية الاصمعي كانها اي كان الخطوط «انتهى» وأورد البيت في مادة ولع هكذا «فيها خطوط من سواد وبلق» كانها في الجسم . اه .

آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا
 (١٠٨) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٩) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ
 وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١١٠) قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
 وَلَا تَجْمَعُوا بَصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا يَهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١١) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ
 وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا
 (ست آيات)

✽ القراءة ✽

القراءة المشهورة في فرقناه بالتخفيف وروى عن علي «ع» وابن مسعود وابن عباس والبي بن كعب والشعبي
 والحسن بخلاف وقتادة وعمرو بن فائد فرقناه بالتشديد

✽ الحجة ✽

معنى فرقناه فصلناه ونزلناه آية آية وسورة سورة وبدل عليه قوله على مكث والمكث والمكث لثلاث

✽ الإعراب ✽

قرآنا منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر أي وفرقنا قرآنا فرقناه وجاء بالنصب ولم يأت فيه الرفع لأن
 صدره فعل وفاعل وهو قوله وبالحق أنزلناه على مكث في موضع نصب على الحال أي متمهلاً متوقفاً غير مستعجل
 يخرون للأذقان في موضع رفع بكونه خبر إن وسجداً نصب على الحال إن كان وعد ربنا إن هذه مخففة من
 الثقيلة وهي واللام دخلتا للتأكيد أياما تدعوا تدعوا مجزوم بالشرط الذي يتضمنه أي وعلامة الجزم فيه سقوط
 النون وما مزيدة مؤكدة للشرط وإيا منصوب بتدعو

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وقرآنا فرقناه) أي وانزلنا عليك يا محمد قرآنا فصلناه سوراً وآيات عن
 أبي مسلم وقيل معناه فرقنا به الحق عن الباطل عن الحسن وقيل معناه جعلنا بعضه خيراً وبعضه أمراً وبعضه نهياً وبعضه
 وعداً وبعضه وعيداً وانزلناه مخففاً لم تنزله جميعاً إذ كان بين أوله وآخره نيف وعشرين سنة (لتقرأ على الناس
 على مكث) أي على تثبت وتوادة قترتله ليكون أمكن في قلوبهم ويكونوا أقدر على التأمل والتفكير فيه
 ولا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك عن ابن عباس وبجاهد وقيل معناه لتقرأ عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء (ونزلناه
 تنزيلاً) على حسب الحاجة ووقوع الحوادث وروى عن ابن عباس أنه قال لئن قرأ سورة البقرة وارتلتها أحب إليّ
 من أن أقرأ القرآن هذا وعن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تقرأوا القرآن في أقل من ثلاث وقرأوا في سبع
 (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (آمنوا به) أي بالقرآن (أو لا تؤمنوا) فإن إيمانكم ينفعكم ولا ينفع
 غيركم وتركم الإيمان بضرركم ولا بضر غيركم وهذا تهديد لهم وهو جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تهجر لنا
 (إن الذين أوتوا العلم من قبله) أي أعطوا علم التوراة من قبل نزول القرآن كعبد الله بن سلام وغيره فلمواصفة
 النبي ﷺ قبل مبشئه عن ابن عباس وقيل أنهم أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم وقيل أنهم أمة محمد ﷺ عن الحسن
 (إذا بتلى عليهم) القرآن (يخرون للأذقان سجداً) أي يسقطون على الوجوه ساجدين عن ابن عباس وقتادة
 وإنما خص الذقن لأن من سجد كان أقرب شيء منه إلى الأرض ذقنه والذقن مجمع اللحيين (ويقولون سبحان

إلا شريكاً هو لك وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا لولا أولياء الله لذل الله عن محمد بن كعب القرظي
 * سؤال * قالوا كيف يحمد سبحانه ان لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك والحمد انما يستحق على فعل له
 صفة التفضل * والجواب * انه ليس له الحمد في الآية على انه لم يفعل وانما الحمد له سبحانه على أفعاله المحمودة
 وتوجه الحمد إلى من هذه صفته كما يقال أنا أشكر فلاناً الجميل ولا نشكره على جماله بل على أفعاله

(سورة الكهف)

مكية قال ابن عباس إلا آية واصبر تسك مع الذين يدعون ربهم فإنها نزلت بالمدينة في قصة عيينة بن
 حصن الفزاري

* عدد آياتها *

مائة واحدى عشرة آية بصري وعشر كوفي وست شامي وخمس حجازي

* اختلافها *

إحدى عشرة آية فزدناهم هدى غير الشامي إلا قليل مدني الاخير إني فاعل ذلك غدا غير الاخير ذرعاً ومن
 كل شيء سبباً عراقي شامي والآخر، هذه أبدأ غير شامي والآخر، عندها قوماً غير الكوفي والآخر فاتبع سبباً الثلاث
 عراقي بالأخسر من أعمالاً عراقي شامي

* فضلها *

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة فإن خرج الدجال في تلك
 الثانية الأيام عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ الآية التي في آخرها قل إنما أنا بشر مثلكم الآية حين يأخذ
 مضجعه كان له في مضجعه نور يتلأل إلى الكعبة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه فإن كان
 في سكة فتلاها كان له نوراً يتلأل إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ .
 سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم تضره فتنة الدجال ومن
 قرأ السورة كلها دخل الجنة وعن النبي ﷺ قال الا أدلكم على سورة شيعها سبعون الف ملك حين نزلت
 ملأت عظيمتها ما بين السماء والأرض قالوا بلى قال سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى
 الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام واعطي نوراً يبلغ السماء ووقى فتنة الدجال وروى الواقدي بإسناده عن ابي
 الدرداء عن النبي ﷺ قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره ومن حفظ
 خواتيم سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة وروى أيضاً بالاسناد عن سعيد بن محمد الجزمي عن ابيه عن
 جدّه عن النبي ﷺ قال من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج
 الدجال عصم منه وروى العياشي بإسناده عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن ابيه عن ابي عبد الله «ع» قال
 من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً وبهتة الله مع الشهداء ووقف يوم القيامة مع الشهداء

* تفسيرها *

ختم الله سبحانه سورة بني اسرائيل بالتحميد والتوحيد وذكر النبي ﷺ والقرآن وافتتح سورة الكهف
 أيضاً بالتحميد والتوحيد وذكر القرآن والنبي ﷺ ليتصل أول هذه بأخر تلك اتصال الجنس بالجنس فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ
عِوَجًا (٢) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا (٣) مَا كَثِيرٌ فِيهِ آيَاتٌ (٤) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٥) مَا لَهُمْ
بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِيَأْتِيَهُمْ كِبْرُتَ كَلِمَةٍ تَخْرِجُهُمْ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٦) فَلَمَّا كَلَّمَكَ
بِأَخِيضٍ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (ست آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر برواية يحيى من لدنه باشمام الدال الضم وكسر الهاء والنون وقرأ الباقون بضم الدال وسكون
النون وفيه الشواذ كبرت كلمة يرفع كلمة قرأه يحيى بن هبيرة والحسن وابن أبي اسحاق والثقفى
والاعرج بخلاف وعمرو بن عبيد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي في لدن ثلاث لغات لدن مثل سبع ويخفف الدال ويكون على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يحذف
الضمة من الدال فيقال لدن ﴿ والآخر ﴾ ان يحذف الضمة من الدال وينقل إلى اللام فيقال لدن مثل
عَضُدٌ في عَضُدٍ وفي كلا الوجهين يجتمع في الكلمة ساكنان فمن قرأ من لدنه بكسر النون فإن الكسرة فيه
ليست كسرة اعراب وإنما هي كسرة لالتقاء الساكنين وذلك ان الدال اسكنت كما اسكنت الباء في سبع والنون
ساكنة فالتقى الساكنان فكسر الثاني منهما فأما اشمام الدال الضمة فيعلم ان الأصل كان في الكلمة الضمة
ومثل ذلك قولهم أنت تغرين وقولهم قيل اشمت الكسرة فيهما الضمة ليدل على ان الاصل فيهما التحريك بالضم
وان كان الاشمام في لدنه ليس في حركة خرجت إلى اللفظة وإنما هو بهيئة العضو لاخراج الضمة وأما الجار
في قوله من لدنه فيحتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون صفة متعلقا بشديد ﴿ والآخر ﴾ ان يكون صفة
للكسرة وفيها ذكر للموصوف

﴿ اللفظة ﴾

العوج بالفتح فيما يرى كالقناة والخشبة وبالكسر فيما لا يرى شخصا قائما كالدين والكلام والقيم والمستقيم
والباعع القاتل المهلك يقال بضع نفسه يبخمها بخمًا وبخوعًا قال ذو الرمة

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِعُ الْوَجْدِ نَفْسُهُ (١) لِسِيٍّ نَحْتُهُ عَنِ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

يريد نحته فخفف والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال أسف الرجل فهو أسف واسيف قال الاعشى

تَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّهُ يَضُمُّ إِلَى كَسْحِيهِ كَفًّا مَخْضَبًا

قِيمًا نصب على الحال من الكتاب والعامل فيه انزل وقوله ان لهم أجرًا تقديره بأن لهم أجرًا فحذف الجار
وما كثرين نصب على الحال في معنى خالد بن وقوله كبرت كلمة اختلف في نصب كلمة فقال السراج انتصب على
تفسير المضر على حد قولهم نسم رجلا زيد والتقدير على هذا كبرت الكلمة كلمة ثم حذف الأول لدلالة الثاني عليه
ومثله كرم رجلا زيد ولؤم صاحب عمرو ويكون المخصوص بالكسرة في هذه المسألة محذوفًا لدلالة صفة عليه
والتقدير كلمة تخرج من أفواههم أي كلمة خارجة من أفواههم فيكون مرفوعًا على وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان
يكون مبتدأ وما قبله الخبر ﴿ والآخر ﴾ ان يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي كلمة تخرج وقيل انتصب

كلمة على التمييز المنقول عن الفاعل على حد قولك تصيبت عرقا وتفتأت شحما والأصل كبرت كلمتهم الخارجة من افواههم قال الشاعر

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ^(١) هُدَجَ الرِّيَالُ تَكْبَهُنَّ شِيَالًا

اي تكبهن الرياح شيالا ومن قرأ كبرت كلمة فإنه جعل كلمة فاعل كبرت وجعل قولهم اتخذ الله ولدا كلمة كما قالوا للقصيدة كلمة وعلى هذا فيكون قوله تخرج من افواههم في موضع رفع بكونه صفة لكلمة ولا يجوز أن يكون وصفا لكلمة الظاهرة المنصوبة لأن الوصف يقرب النكرة من المعرفة والتمييز لا يكون معرفة البتة ولا يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من كلمة المنصوبة لوجهين أحدهما أن الحال يقوم مقام الوصف والثاني أن الحال لا يكون من نكرة في غالب الأمر واسفا منصوب بأنه مصدر وضع موضع الحال ولو كان في غير القرآن لجاز أن لم يؤمنوا بالفتح كما في قول الشاعر

أَتَجَزَّعُ أَنْ بَانَ الخَلِيطُ المَوْدِعُ وَحَبَلُ الصَّفَا مِنْ عِزَّةِ المَّتَّقِعِ

المعنى

(الحمد لله) يقول الله سبحانه خلقه قولوا كل الحمد والشكر لله (الذي أنزل على عبده) محمد ﷺ (الكتاب) أي القرآن وانجبه من خلقه وخصه برسالته فبعثه نبيا رسولا (ولم يجعل له عوجا قويا) فيه تقديم وتأخير وتقديره الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قويا ولم يجعل له عوجا وعنى بقوله قويا معتدلا مستقيما مشويا لا تناقض فيه عن ابن عباس وقيل قويا على سائر الكتب المتقدمة بصدقها وبمخفظها وينفي البطل عنها وهو ناسخ لشرائعها عن الفراء وقيل قويا لامور الدين يلزم الرجوع اليه فيها فهو كقيم الدار الذي يرجع اليه في امرها عن النهي لم وقيل قيادا دائما يدوم ويثبت الى يوم القيامة لا ينسخ عن الأصم ولم يجعل له عوجا اي لم يجعله ملتبسا لا يفهم ومعوجا لا يستقيم وهو معنى قول ابن عباس وقيل لم يجعل فيه اختلافا كما قال عز وجل اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا عن الزجاج ومعنى العوج في الكلام ان يخرج من الصحة إلى الفساد ومن الحق إلى الباطل وبما فيه فائدة إلى ما لا فائدة فيه ثم بين سبحانه الغرض في انزاله فقال (لينذر بأسا شديدا من لدنه) ومعناه ليخوف العبد الذي أنزل عليه الكتاب الناس عذابا شديدا ونكالا وسطوة من عند الله تعالى ان لم يؤمنوا به (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا) معناه وليبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الطاعات بعد الإيمان ان لهم ثوابا حسنا في الآخرة على إيمانهم وطاعتهم في الدنيا وذلك الثواب هو الجنة (ما كثر فيه ابداء) اي لا يثنى في ذلك الثواب خالد بن مؤبد بن لا ينقلون عنه (ويذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) اي وليحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله وهم قريش عن الحسن ومحمد بن اسحاق وقيل هم اليهود والنصارى عن السدي والكلبي فعم جميع الكفار بالانذار في الآية الاولى وخص في هذه الآية القائلين بهذه المقالة منهم لتقليدهم الآباء في ذلك ولا يصرارهم على الجهل وقلة التفكير ولصوتهم الناس عن الدين (ما لهم به من علم ولا لا بائهم) اي ليس لهؤلاء القائلين بهذا القول الشيع علم به ولا لاسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل ما هم عليه اليوم وإنما يقولون ذلك عن جهل وتقليد من غير حجة وقيل معناه ليس لهم بالله من علم ولا لا بائهم (كبرت كلمة تخرج من افواههم) اي عظمت الكلمة كلمة تخرج من افواه هؤلاء الكفار ووصف الكلمة بالخروج من الافواه توسعا ومجازا وإن كانت الكلمة عرضا لا يجوز عليها الدخول والخروج ولا الحركة والسكون ولكن لما كانت الكلمة قد تحفظ وثبت وتوجد مكتوبة ومقروءة في غير الموضوع الذي فعلت فيه وصفها بالخروج وذكر الافواه تأكيد والمعنى انهم صرّحوا بهذه الكلمة العظيمة في القبح واظهروها (ان يقولون الا كذبا) اي ما يقول هؤلاء الا كذبا واقتراء على الله (فلملك) يا محمد (باخع

نفست على آثامهم) اي مهلك وقاتل نفسك على آثام قومك الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً مردداً منهم على ربهم (إن لم يؤمنوا) اي ان لم يصدقوا (بهذا الحديث) اي بهذا القرآن الذي اتزل عليك (اسفاً) اي حزنا وتلهفا ووجدا بإدبارهم عنك واعراضهم عن قبول ما آتيتهم به وقيل على آثامهم اي بعد موتهم لشدة شفقتك عليهم وقيل معناه من بعد توليهم واعراضهم عنك وقيل اسفا اي غيظا وغضبا عن ابن عباس وقتادة وهذه معاتبه من الله سبحانه لرسوله على شدة وجده وكثرة حرصه على ايمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغا يقربه إلى الملاك

قوله تعالى (٧) إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً (٨) وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً (آيات)

(اللفظة)

الصعيد ظهر الأرض وقال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات به والجرز الأرض التي لا تثبت كأنها تأكل التبت اكلا يقال أرض جرز وارضون اجراز وقال سيويه يقال جرزت الأرض فهي مجرزة وجرزها الجراز والنعم ويقال للسنة المجذبة الجرز لجدوبها وييسها وقلة امطارها قال الرازي « قد جرقتهن السنون الاجراز » ويقال اجرز القوم إذا صارت ارضهم جرزا وجرزوه ارضهم إذا اكلوا نباتها كله

الاعراب

ايهم مرفوع بالابتداء لأن لفظه لفظ الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام اي لنتخير اهكذا احسن عملا ام هذا وهو تعليق لما في الخبر من معنى العلم

المعنى

ثم بين سبحانه انه ابتداء خلقه بالنعم وان اليه مصير الامم فقال (إنا جعلنا ما على الأرض) من الأنهار والأشجار وانواع المخلوقات من الجماد والحيوان والنبات (زينة لها) اي حلية للأرض ولاهها (لنبلوهم ايهم احسن عملا) اي لنتخيرهم ونمنعهم والمعنى لتعامل عبادنا معاملة المتبلى وقد سبق ذكر امثاله والاحسن عملا الأعمل بطاعة الله والاطوع له وقيل ان معنى الابتلاء الامر والنهي لأن بهما يظهر المطيع من العاصي وقيل اراد بالزينة الرجال لأنهم زينة الأرض وقيل اراد الانبياء والعلماء (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) معناه وانا مخربون الأرض بعد عمارتها وجاعلون ما عليها مستويا من الأرض يابسا لا نبات عليه وقيل بلاقع عن مجاهد وفي قوله ايهم احسن عملا دلالة على انه سبحانه اراد من الخلق العمل الصالح وعلى ان افعالهم الصادرة منهم عائدة من جهتهم ولولا ذلك لما صح الابتلاء وفي ذلك بطلان قول اهل الجبر

قوله تعالى (٩) أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (١٠) إذ أوحى الفية إلى الكهف فقالوا ربنا آتينا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً (١١) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً (١٢) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين احصى لما لبثوا أمداً (أربع آيات)

اللمة

الكهف المغارة في الجبل الا انه واسع فاذا صغر فهو غار والرقيم اصله من الرقم وهو الكتابة يقال رقيمت

الكتاب ارقمه فهو فعيل بمعنى مفعول كالجرير والقتيل ومنه الرقم في الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه والارقم الحية المنقشة لا فيه من الخطوط وتقول العرب عليك بالرقمة ودع الضفة اي عليك برقمة الوادي حيث الماء ودع الجانب والاروى الرجوع والفتية جمع فتى وفتلة من اسماء الجمع وليس بناه يقاس عليه يقال صبي وصبية وعلام وعلمة ولا يقال غني وغنية لأنه غير مطرد في باب الضرب معروف ومعنى ضربنا على آذانهم سلطنا عليهم النوم وهو من الكلام البالغ في الفصاحة يقال ضربه الله بالفالج اذا ابتلاه الله به قال قطرب هو كقول العرب ضرب الامير على يد فلان اذا منعه من التصرف قال الأسود بن يعفر وكان ضريرا

وَمِنْ الْحَوَادِثِ لَا أَبَالَكَ أَنْتَنِي
ضَرَبْتَ عَلَيَّ الْأَرْضَ بِالْأَسَدِ (١)

والحزب الجماعة والامد النايبة قال النابغة

إِلَّا لِيَلِيكَ أَوْ مِنْ أَنْتَ سَابِقُهُ
سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا امْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ (٢)

(- الاعراب -)

سنين نصب على الظرف وعددا منصوب على ضربين ﴿ احدهما ﴾ على المصدر المعنى تعدد مددا ويجوز ان يكون نعتا لسنين . المعنى سنين ذات عدد قال الزجاج والفائدة في قولك عدد في الأشياء المحدودات انك تريد توكيد كثرة الشيء لأنه اذا قل فهم مقداره ومقداره عدده فلم يحتاج إلى ان يعد فالعدد في قولك أقممت اياما عددا انك تريد بها الكثرة وجائز ان يؤكد بعدد معنى الجماعة في انها قد خرجت من معنى الواحد قال وامد منصوب على نوعين ﴿ احدهما ﴾ التمييز ﴿ والآخر ﴾ على احصى امدا فيكون العامل فيه احصى كأنه قال لتعلم أهؤلاء . احصى الأمد أمر هؤلاء ويكون منصوبا بلبثوا ويكون احصى متلقا بلما فيكون المعنى أي الحزبين احصى للبهتم في الأمد قال ابو علي ان انتصابه على التمييز عندي غير مستقيم وذلك لأنه لا يخلو من ان يحمل احصى على ان يكون فعلا ماضيا أو أفعل نحو أحسن واعلم فلا يجوز ان يكون احصى بمعنى أفعل من كذا وغير مثال للماضي من وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه يقال احصى يحصي وفي التزويل احصاه الله ونسوه وأفعل يفعل لا يقال فيه هو افعل من كذا وأما قولهم ما أولاه بالخير وما اعطاه الدرهم فمن الشاذ النادر الذي حكمه ان يحفظ ولا يقاس عليه ﴿ والآخر ﴾ ان ما ينتصب على التمييز في نحو قولهم هو اكثر مالا واعز علما يكون في المعنى فاعلا ألا ترى ان المال هو الذي كثر والعلم هو الذي عز وليس ما في الآية كذلك ألا ترى ان الأمد ليس هو الذي احصى فهو خارج عن حد هذه الأسماء وإذا كان ماضيا كان المعنى لتعلم اي الحزبين احصى أمدا للبهتم فيكون الأمد على هذا منتصبا بأنه مفعول به والعامل فيه احصى

﴿ النزول ﴾

محمد بن اسحق باسناده عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ان النضر بن الحرث بن كلدة وعقبة بن ابي معيط انفذها قريش إلى اجار اليهود بالمدينة وقالوا لها سلامهم عن محمد وصفا لهم صفته وخبراهم بقوله فلأنهم اهل الكتاب الأول وعندهم من علم الانبياء ما ليس عندنا فخرجنا حتى قدما المدينة فسألا اجار اليهود عن النبي ﷺ وقالاهم ما قالت قريش فقال لها اجار اليهود اسأله عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو رجل متقول فأروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومضاربها ما كان نبوه وسلوه عن الروح ما هو في رواية أخرى فلان اخبركم عن الثنتين ولم يخبركم بالروح فهو نبي فانصرفوا إلى مكة فقالا يا معاشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وقصا عليهم القصة فجاءوا إلى النبي ﷺ فسأله فقال اخبركم بما سألتهم عنه فدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا

(١) سدن على الطريق اي عميت على مذاهبي وواحد الاسداد أسد . (٢) أمدا الخيل في الرهان : مدافعها في السباق ومنتهى غاياتها الذي تسبق اليه .

ولا يأتيه جبرائيل حتى ارجف اهل مكة وتكلموا في ذلك فشق على رسول الله ﷺ ما تكلم به اهل مكة عليه ثم جاءه جبرائيل (ع) عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ما سأوره عنه عن امر الفتية والرجل الطواف وانزل عليه ويسألونك عن الروح الاية قال ابن اسحق فذكر لي ان رسول الله ﷺ قال لجبرائيل حين جاءه لقد احببت عني يا جبرائيل فقال له جبرائيل (ع) وما نتزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا الاية

= (المعنى) =

(أم حسبت) معناه بل احسبت يا محمد (ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا) فلخلق السارات والارض اعجب من هذا عن مجاهد وقادة ويحتمل انه لما استبطأ الجواب حين سأوره عن القصة قيل له احسبت ان هذا شيء عجيب حرصا على ايمانهم حتى قوي طمعك انك إذا خبرتهم به آمنوا والمراد بالكهف كهف الجبل الذي اوى اليه القوم الذين قص الله اخبارهم واختلف في معنى الرقيم فقيل انه اسم الوادي الذي كان فيه الكهف عن ابن عباس والضحاك وقيل الكهف غار في الجبل والرقيم الجبل نفسه عن الحسن وقيل الرقيم القرية التي خرج منها اصحاب الكهف عن كعب والسدي وقيل هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصة اصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف عن سعيد بن جبير واختاره البلخي والجبائي وقيل جعل ذلك اللوح في خزائن الملوك لأنه من عجائب الأمور وقيل الرقيم كتاب ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله تعالى ما فيه عن ابن زيد وقيل ان اصحاب الرقيم هم نفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسد عليهم فقالوا ايدعوا الله تعالى كل واحد منا بعمله حتى يفرج الله عنا ففعلوا فنجاهم الله ورواه النعمان بن بشير مرفوعا (إذ اوى الفتية إلى الكهف) اي اذ كمر قلوبكم اذ التجأ أو لك الشبان إلى الكهف وجعلوه مأواهم هربا بدينهم إلى الله (فقالوا) حين آروا اليه (ربنا آتانا من ادلك رحمة) أي نعمة ننجو بها من قومنا وفرج عنا ما نزل بنا (وهيب لنا من أمرنا رشدا) اي هيب واصلح لنا من امرنا ما نصيب به الرشد وقيل هيب لنا مغرجا من الغار في سلامة عن ابن عباس وقيل معناه دلنا على امر فيه نجاتنا لأن الرشد والنجاة بمعنى وقيل يسر لنا من امرنا ما نلتس به رضاك وهو الرشد وقالوا هولاء الفتية قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يخفون الاسلام خوفا من ملكهم وكان اسم الملك دقيانوس واسم مدينتهم افسوس وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدعو اليها ويقتل من خالفه وقيل انه كان مجوسيا يدعو إلى دين المجوس والفتية كانوا على دين المسيح لما برح اهل الانجيل وقيل كانوا من خواص الملك وكان يبر كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه ثم اتفق أنهم اجتمعوا واطهروا أمرهم فأووا إلى الكهف عن عبيد بن عمير وقيل أنهم كانوا قبل بعث عيسى (ع) (فضرنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) معناه أفتاهم سنين ذات عدد وتأويله فأجبت دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات اليها سنين كثيرة لأن النائم اذا يشبه بسامع الصوت ودل سبحانه بذلك على أنهم لم يموتوا وكانوا نياما في امن وراحة وجمام نفس وهذا من فصيح لغات القرآن التي لا يمكن ان يترجم بمعنى يوافق اللفظ (ثم بعثناهم) أي ايقظناهم من نومهم (لنعلم أي الحزبين احصى لما لبثوا امدا) اي ليظهر معلومنا على ما علمناه وذكرنا الوجه في امثاله فيما سبق والمعنى لننظر اي الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم اصحاب الكهف عدل لبثهم وعلم ذلك وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بيتهم فبعثهم الله ليعين ذلك ويظهر وقيل يعني بالحزبين اصحاب الكهف لما استيقظوا اختلفوا في تعداد لبثهم وذلك قوله وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الاية

✽ النظم ✽

اتصل قوله أم حسبت ان اصحاب الكهف الاية بما قبها من وجوه احدها انه لما اخبر عن زينة الارض وعن الابتلاء عقبه بذكر الفتية التي تركت زينة الدنيا واختارت طاعة الله وفارقت ديارها واموالها حثا

على الاقتداء بهم ﴿والآخر﴾ انه اتصل بقوله فطك باخع نفسك على آثارهم اي فلا تأسف عليهم لانه لا يضرك كفره والله ناصرك وحافظك من اعدائك كما حفظ اصحاب الكهف ﴿والثالث﴾ انه اتصل بقوله ويهيئ المؤمنين اي وينصرهم كما نصر اصحاب الكهف

قوله تعالى (١٣) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٤) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا (١٥) هُوَ الَّذِي قَامُوا أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يُأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٦) وَإِذِ اعْتزَلْتُمُوهُم مَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ بِنُشْرِكِكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر والأعشى والبرجمي عن ابي بكر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والباقون مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء.

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج وذكر قطرب وغيره اللتين جميعا في مرفق الأمر ومرفق اليد ومرفق اليد بالكسر أجود قال أبو الحسن مرفقا أي شيئا يرتفقون به مثل المقطع ونحوه ومرفقا جعله اسما مثل المسجد أو يكون لفة قال ابو علي قوله جعله اسما أي جعل المرفق اسما ولم يجعله اسم المكان ولا المصدر من رفق يرفق كما ان المسجد ليس باسم الموضع من سجد يسجد وقوله أو يكون لفة أو يجعله في اسم المصدر كما جاء المطلق ونحوه ولو كان على القياس لفتحت اللام

﴿ اللفظة ﴾

الشطط الخروج عن الحد بالتلو فيه واصله مجاوزة الحد في البعد وشطت الجارية تشط شططا وشطاطة إذا جاوزت الحد في الطول واشط في السوم إذا جاوز القدر بالتلو فيه والاعتزال التنحي عن الأمر والاعتزال بمناء قال

يَأَيَّتْ عَاتِكَةَ الَّتِي اتَّعَزَلَتْ
حَدَّرَ الْعِدَى وَيَهِيئُ الْفُؤَادَ مَوْكَلِيَهُ

وسمي عمرو بن عبيد واصحابه معتزلة لما اعتزلوا حلقة الحسن

﴿ الإعراب ﴾

كسر إنهم فتية على الاستئناف إذ قاموا يتعلق بربطنا أي في الوقت الذي قاموا فيه وشططا منصوب على المصدر المعنى لقد قلنا قولنا شططا وما يبدون في موضع نصب عطفا على الماء والميم في اعتزلتموهم والمراد الاصنام التي يبدونها من دون الله ويعبوز ان تكون ما مصدرية أي وعبادتهم الا عبادة الله فعطف المضاف والاستثناء على هذا من الماء والميم وان جعلت ما موصولة كان الاستثناء من مفعول يبدون استثناء منقطعا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قصة أصحاب الكهف فقال (نحن نقص عليك) أي نتلو عليك يا محمد (نبأهم) أي خبرهم (بالحق) أي بالصدق والصحة (انهم فتية) أي أحداث وشباب (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أي بصيرة في الدين ورغبة في الثبات عليه بالألطف القوية لدواعيهم إلى الايمان وحكمهم لهم سبحانه بالفتوة لأن رأس الفتوة الايمان وقيل الفتوة بذل الندى وترك الأذى وترك الشكوى عن مجاهد وقيل هي اجتناب المحارم واستعمال المكارم

(وربطنا على قلوبهم) أي شددنا عليها بالالطاف والحواطر الموقية للإيمان حتى وطئوا أنفسهم على اظهار الحق والثبات على الدين والصبر على المشاق ومفارقة الوطن (إذ قاموا) أي حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس الذي كان يفتن أهل الايمان عن دينهم (فقالوا) بين يديه (ربنا رب السموات والارض) أي ربنا الذي نصده خالق السموات والارض (لن ندعوا من دونه إلها) أي لن نعبد إلها سواه معه (لقد قلنا إذا شططا) معناه ان دعونا مع الله إلها آخر فلقد قلنا إذا قولنا مجاوزا للحق غاية في البطلان (هؤلاء قومنا) أي أهل بلدنا (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) يعبدونها (لولا يأتون عليهم بسطان بين) أي هلا يأتون على عبادتهم غير الله بحجة ظاهرة وفي هذا ذم زجر للتقليد وإشارة إلى انه لا يجوز ان يقبل دين إلا بحجة واضحة (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم ان له شريكا في العبادة (وإذا اعترتموهم وما يعبدون إلا الله) قال ابن عباس وهذا من قول تليغا وهو رئيس اصحاب الكهف قال لهم فإذا فارقتموهم وتنجيتهم عنهم جانبيا يعني عبدة الأصنام وفارقتهم ما يعبدون أي اصنامهم إلا الله فانكم لن تتركوا عبادته وذلك ان اولئك كانوا يشركون بالله ويجوز انه كان فيهم من يعبد الله مع عبادة الأصنام فقال إذا اعترتم الأصنام ولم تعترلوا الله ولا عبادته فيكون الاستثناء متصلا ويجوز ان يكون جميعهم كانوا يعبدون الأوثان من دون الله فيكون الاستثناء منقطعا (فأوروا إلى الكهف) أي صيروا إليه واجملوه ما واكم (ينشر اكم ربكم من رحمته) أي ييسط عليكم ربكم من نعمته (ويهين لكم من امركم مرفقا) أي يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم باليسر والرفق واللطف عن ابن عباس وكما ارتفعت فهو مرفق وقيل معناه يصلح لكم من امر معاشكم ما ترتفقون به وفي هذا دلالة على عظم منزلة الهجرة في الدين وعلى قبح المقام في دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا باظهار كلمة الكفر وبالله التوفيق

قوله تعالى (١٧) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ فَهْوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُرِيدًا (١٨) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا (آيات)

القراءة

قرأ ابن عامر ويعقوب تزور بتشديد الزاي وقرأ أهل الكوفة تراور بالتخفيف والباقون تزاور بتشديد الزاي وقرأ أهل الحجاز ملئت بالتشديد والباقون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الجعدي تزوار وقراءة الحسن وتقلبهم بفتح التاء والقاف والباء وضم اللام

(الحجة) -

من قرأ تزاور فإنه تتزاور فادغم التاء في الزاي ومن قرأ تراور حذف الثانية وخفف الكلمة بالحذف كما حذف أولئك بالادغام ومن قرأ تزور فقد قال ابو الحسن لا معنى له في هذا الموضع إنما يقال هو مزور عني أي منقبض عني يدل عليه قول عنزة

شَكَا إِلَيَّ بِمَبْرَةٍ وَتَحَمَّحُمُ (١)

فَازُورٌ مِنْ وَقَعِ الْقَنَابِلْبَانِيهِ

قال ابو علي والذي حسن القراءة به قول جرير

(١) يصف فرسه وشكواه من وقوع الرماح على صدره في الحرب . واللبان : الصدر . والتحمم : حنين الفرس في صهبايه .

عَسَفَنَ عَنِ الْأَدَائِمِ مِنْ مَهَيْلٍ وَفِي الْأَطْعَانِ عَنِ طَلْحِ أَزْوَارٍ (١)

فظاهر استعمال هذا في الاطعمان مثل استماله في الشمس وتزاور على وزن تفاعل وتزوار على وزن تفعال من الازويرار وقوله المثلث منهم بالتشديد للتكثير قال ابو الحسن الحقيفة أجود لا يكادون يقولون ملاً مني رعباً وانما يقولون ملاً مني رعباً قال ابو علي يدل على قول ابى الحسن قول امرى القيس «فَمَلَّائِنَا أَقْطَاوَسَنَا» وقول الاعشى «وَقَدْ مَلَّتْ بِكَرٍّ وَمَنْ لَفَّ لَهَا» وانشدوا في التثنية قول المخبل السعدي «فَمَلَّ مِنْ كُفِّ بْنِ عَرَفٍ سَلَّيْلَهُ» ومن قرأ وتقلبهم فإنه نصبه بفعل مضمحل دل عليه ما قبله فكانه قال وترى أو تشاهد تقلبهم

❀ اللغة ❀

القرض القطع يقال قرضت الموضع إذا قطعته وجاوزته قال الكسائي هو المجازاة يقال قرضني فلان يقرضني وجذاني يجذوني بمعنى قال ذو الرمة

إِلَى ظَمْنٍ يَقْرُضُنْ أَجْوَازَ مُشْرِفٍ شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ (٢)

ويستعمل القرض في اشياء غير هذا منه القطع للثوب وغيره ومنه المقرض ومنه قرض الفأر قال ابو الدرداء «ان قارضتهم قارضوك وان تركتهم لم يتركوك» يعني ان طلعت فيهم وعبتهم فعلوا بك مثله وان تركهم من ذلك لم يتركوك والقراض بلغة الحجاز المضاربة والقرض هو قول الشعر القصيدة منه خاصة دون الرجز ومنه قيل للشعر القريض قال الاغلب العجلي «أرجزا تريد أم قريضا» والفجوة المتسع من الارض وجمعه فجوات وفجاء ممدود وفجوة الدار ساحتها والايقاظ جمع يقظ يقظان قال الراجز «وجدوا اخوتهم ايقاظا» والرقود جمع راقد وراقديرقد رقادا وراقودا والوصيد من اوصدت الباب اي اغلقته وجمعه وصائد ويقال وصيد واصيد واوصدت واصدت مثل ورخت الكتاب وارخته ووكدت الأمر واكدته

❀ الاعراب ❀

وترى الشمس إلى قوله وهم في فجوة منه متعلق بالرؤية وقوله إذا طلعت وإذا غربت كلاهما مجزأ بهما في موضع المفعول الثاني والحال والجملة التي هي وهم في فجوة منه في موضع الحال وكبهم باسط ذراعيه أعمل اسم الفاعل حيث نصب به ذراعيه وان كان بمعنى الماضي لأنه حكاية حال كما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وهذا يشار به إلى الحاضر ولم يكن المشار اليهما حاضرين حين قص القصص على النبي ﷺ ولكنه على تلك الحال قص القصص. فهو المهتمد كتب في المصحف هنا بغير ياء وفي الاعراف بالياء وحذف الياء جائز في الاسماء خاصة ولا يجوز في الافعال لأن حذف الياء في الفعل دليل الجزم وحذف الياء في الأسماء واقع إذا لم يكن الالف واللام نحو مهتمد فدخلت الالف واللام وترك الحرف على ما كان عليه ودلت الكسرة على الياء المعذوفة قال الزجاج لو اطلعت بكسر الواو ويجوز الضم والكسر اجود لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة والأصل في التقاء الساكنين الكسر وجاز الضم لأن الضم من جنس الواو ولكنه إذا كان بعد الساكن مضموم فالضم هناك احسن نحو أو أنقص قرئ بالضم والكسر فرأى منصوب على المصدر لأن معنى وليت فررت ورعبا منصوب على التمييز يقال امتلأت فرقا وامتلاً الاتاء ماء

— المعنى —

ثم بين سبحانه حالهم في الكهف فقال (وترى الشمس) اي لو رأيتها لرأيت (إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين) اي تميل وقت طلوعها من كهفهم الى جهة اليمين (وإذا غربت تقرضهم) اي تمدل عنهم وتقرضهم (ذات الشمال) إلى جهة الشمال شمال الكهف اي لا تدخل كهفهم وقيل تقرضهم اي تجاوزهم منحرفة عنهم عن ابن عباس (وهم في فجوة منه) اي في متسع من الكهف وقيل في فضاء منه عن قتادة وقيل كان متسعا داخل

(١) الدعس : الاثر . والبهيل : التل من الرمل . والطلح : موضع . (٢) بعده « وحسبك من غنى شيع وري » .
(٣) الظمن : جمع الظمينة : اليهودج . والاجواز جمع الجوز : وسط الشئ . ومشرف والفوارس : موضعان يقول نظرت الى ظمن يجزن بين هذين الموضعين .

الكهف بحيث لا يراه من كان بيابه وينالهم نسيم الريح ثم اخبر سبحانه عن لطفه بهم وحفظه اياهم في مضجعتهم واختياره لهم اصحح المواضع لرقادهم فبأهم مكانا من الكهف مستقبلا بنات النعش تيميل الشمس عنهم طالمة وغاربة كيلا يؤذيهم حرها او تقيز ألوانهم او تبلي ثيابهم وهم في متسع ينالهم فيه روح الريح وكان باب الغار مقابل القطب الشمالي (ذلك من آيات الله) اي من ادلته وبرهانه (من يهد الله فهو المهتد) مثل اصحاب الكهف (ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) مثل قوم اصحاب الكهف (وتحسبهم ايقاظا) أي لو رأيتهم لحسبتهم منبهين (وهم رقود) اي نائمون في الحقيقة قال الجبائي وجماعة لأنهم مقتحموا العيون يتنفسون كأنهم يريدون ان يتكلموا ولا يتكلمون وقيل انهم يتقلبون كما يتقلب اليقظان (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) معناه ونقلبهم تارة عن اليمين إلى الشمال وتارة عن الشمال إلى اليمين كما يتقلب النائم لأنهم لو لم يتقلبوا لاكلتهم الارض ولبليت ثيابهم لطول مكثهم على جانب واحد وقيل كانوا يقبلون كل عام تقبلتين عن ابي هريرة وقيل كان تقليبهم كل عام مرة عن ابن عباس وقوله (وكلبهم) قال ابن عباس واكثر المفسرين انهم هربوا من ملكهم ليلا فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه وقيل انهم مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا خيانية فانا احب اولياء الله فناموا حتى احرسكم عن كلب وقيل كان ذلك كلب صيدهم وقيل كان ذلك الكلب مضرب اللون عن مقاتل وقيل كان امر واسمه قطمير عن ابن عباس وفي تفسير الحسن ان ذلك الكلب مكث هناك ثلاثة مائة وتسع سنين بغير طعام ولا شراب ولا نوم ولا قيام (باسط ذراعيه) هو ان يلقىهما على الأرض مبسوطتين كافتراش السبع (بالصيد) اي بفنا الكهف عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل بالباب وقيل بباب الفجوة او فناء الفجوة لا باب الكهف لأن الكفار خرجوا إلى باب الكهف في طلبهم ثم انصرفوا ولو رأوا الكلب على باب الغار لدخلوه وكذلك لو كان بالقرب من الباب ولما انصرفوا آيسين عنهم فلأنهم سدوا باب الغار بالحجارة فجاء رجل ماشيته إلى باب الغار وأخرج الحجارة واتخذ لماشيته كئنا عند باب الغار وهم كانوا في فجوة من الغار عن الجبائي وقيل الرصيد عتبة الباب عن عطاء (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) معناه لو اشرفت عليهم ورأيتهم في كهفهم على حالتهم لفررت منهم واعرضت عنهم هربا لاستيحاشك الموضع (ولمليت منهم رعبا) اي وللي قلبك خوفا وفزعا وذلك ان الله منعهم بالرعب لئلا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم وقيل كانوا في مكان موحش من رآه فزع ولا يمتنع ان الكفار لما أتوا باب الكهف فزعوا من وحشة المكان فسدوا باب الكهف ليهلكوا فيه وجعل سبحانه ذلك لطفا لئلا ينالهم مكروه من سبع وغيره وليكونوا محروسين من كل سوء وقيل انهم كانت اظفارهم قد طالت وكذلك شعورهم ولذلك يأخذ الرعب منهم رعبا لا يصح لقوله تعالى حكاية عنهم لبثنا يوما او بعض يوم وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال غزوت مع معاذية نحو الرزم فبثروا الكهف الذي في ارجاب الكهف فقالوا يا مازنية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقاتلنا له ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك قال الله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولمليت منهم رعبا فقال معاذية لا انتهي حتى اعلم عليهم فبعث رجلا فلما دخلوا الكهف ارسل الله عليهم ريحا اخرجتهم

قوله تعالى (١٩) وَكَذَلِكَ بَشَأَهُمْ لَيَسَّاءُ لَوْ اَبَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَاَبْعَثُوا اَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ اِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ اَيُّهَا اَزْ كَى طَعَامًا فَلْيَا نِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ اَحَدًا (٢٠) اِنَّهُمْ اِنْ بَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ اَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا اِذَا اَبَدًا (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو وايز بكر وحزمة وخلف يورقكم ساكنة الراء والباقون بكسر الراء وروي عن ابي عمرو
بالوادم الكاف في القاف وفي الشواذ قراءة ابي رجا يورقكم بكسر الواو والادغام
(الهجعة) -

في ورقكم اربع لغات فتح الواو وكسر الراء وهو الأصل وفتح الواو وسكون الراء وكسر الواو وسكون
الراء والادغام قال ابن جنى هذا عند اصحابنا مخفي غير مدغم لكنه اخفى كسرة القاف فظنها القراء مدغمة
ومآذاه لو كانت مدغمة لوجب نقل كسرة القاف إلى الراء كقولهم يورق وبرق وللقراء في هذا عادة ان يعبروا
عن المخفي بالمدغم للطف ذلك عليهم

﴿ الاعراب ﴾

كم لبستم تقدروه كم يوما لبستم فكم منصوبة بلبستم والميز محذوف الا ترى ان جوابه لبثنا يوما او بعض يوم
فليظن ايها اذكى طعاما الجملة التي هي ايها اذكى مفعول فليظن وطعاما تمييز

﴿ المعنى ﴾

(وكذلك بعثناهم) معناه وكما فعلنا بهم الامور العجيبة وحفظناهم تلك المدة المديدة بمشاهم من تلك الرقدة
واحييناهم من تلك النوم التي اشبهت الموت (ليتساءلوا بينهم) اي ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في
مدة لبثهم فينتبهوا بذلك على معرفة صانعهم ويزدادوا يقينا الى يقينهم (قال قائل منهم كم لبستم) في نومكم
(قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) قال المفسرون انهم دخلوا الكهف غدوة وبشتم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوما
فلما رأوا الشمس قالوا او بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) وهذا القائل هو
تلميذا رئيسهم عن ابن عباس رَدَّ علم ذلك إلى الله تعالى (فابشوا احدكم يورقكم هذه) والورق الدراهم وكان
معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم عن ابن عباس (إلى المدينة) يعني المدينة التي خرجوا منها
(فليظن ايها اذكى طعاما) اي اطهر واحل ذبيحه عن ابن عباس قال لأن عامتهم كانت مجوسا وفيهم قوم ومنون
يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما عن الكلبي وقيل اكثر طعاما من قولم زكى المال إذا زاد عن عكرمة وذلك
لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه وقيل كان من طعام اهل المدينة ما لا يستحله اصحاب الكهف
(فليأتكم يورق منه) اي فليأتكم بما ترزقون اكله (وليتلف) اي وليدقق النظر وينحيل حتى لا يطلع عليه
وقيل وليتلف في الشراء فلا يما كس البائع ولا ينازعه (ولا يشعرن بكم احدا) اي لا يخبرن بكم ولا يكتننكم
احدا من اهل المدينة (إنهم إن يظهروا عليكم) اي يشرفوا ويطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم (يرجوكم) اي
يقتلوكم بالرجم وهو من اخبث القتل عن الحسن وقيل معناه يورقكم ويشتموكم يقال رجمه بلسانه عن ابن جريج
(او يعيدوكم في ملتهم) أي يردوكم إلى دينهم (ولن تفلحوا إذا ابدا) معناه ومتى فعلتم ذلك لن تقوزوا ابدا
بشيء من الخير ومتى قيل من اكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح فكيف تصح الآية فالجواب يجوز أن يكون اراد
يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الاكراه ويجوز أن يكون في ذلك الوقت كان لا يجوز الثقة في اظهار الكفر

قوله تعالى (٢١) وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ
فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا
عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّهُمْ عَلَيْكُمْ مَسْجِدًا (٢٢) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَالْبَيْتِ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ
سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ

إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٣) وَلَا تَقُولنَّ لِسَاءَةِ
إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٤) إِلَّا أَنْ بَشَاءَ اللَّهُ وَآذُكَرُّ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي
لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا أربع آيات عد المدني الاخير الاقليل آية وترك غدا وعد غير الاخير غدا آية
وترك الاقليل

❖ اللغة ❖

عثر على الشيء يعثر عثراً إذا اطلع عليه واعثرت عليه غيره والماتور حفرة تخفر ليصطاد به الاسديقال للرجل
إذا تورط وقع في عاثور واصله من العثار والمرء الجدال ما ربت الرجل اماربه مرأه

❖ الاعراب ❖

اذ يتنازعون بجوز أن يكون منصوباً بقوله اعثرنا اي اطلعنا عليهم في وقت المنازعة في امرهم وبجوز ان
يكون منصوباً بقوله ليعلموا وإنما دخلت الواو في قوله وتامنهم ولم يدخل في الأولين لأن هاهنا عطف جملة على
جملة وهناك وصف النكرة بجملة فإن التقدير م سبعة وم ثلاثة وثلاثة مرفوع بأنه خير مبتدأ محذوف وراهمهم
كلبهم وصف لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم صفة الخمسة وهذا قول علي بن عيسى قال وفرق ما بينها ان السبعة
اصل للمبالغة في العدد لأن جلائل الامور سبعة سبعة واقول قد وجدت لأبي علي الفارسي في هذا كلاماً
طويلاً سأخصه لك واهذبه فضل تهذيب قال إن الجملتين اللبسة احدهما بالآخرى وهي ان تكون غير اجنبية
منها على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان تعطف بحرف العطف والآخر ان توصل بها بغير حرف العطف فما يوصل
بها بما قبلها بغير حرف العطف من الجملة على اربعة اضرب ﴿ احدها ﴾ ان تكون صفة ﴿ والآخر ﴾ ان
تكون حالاً ﴿ والثالث ﴾ ان تكون تفسيرا ﴿ والرابع ﴾ ان لا تكون على احد هذه الأوجه الثلاثة
لكن يكون في الجملة الثانية ذكر مما في الأولى ليعلم فيها فالأول نحو مرتت يرجل ابوه قائم وبسلام يقوم
ولا وجه لادخال حرف العطف على هذا لأن الصفة تبين الموصوف وتخصه فلو عطفت لخرجت بالعطف من ان
تكون صفة لان العطف ليس الثاني وهو المعطوف فيه بالأول وإنما يشرك الثاني في اعراب الأول والصفة هو الموصوف
في المعنى ﴿ واما ﴾ الثاني وهو ان تكون حالاً فلا يدخل حرف العطف عليه ايضاً لأن الحال مثل الصفة في
انها تفرق بين هياتين او هيات كما ان الصفة تفرق بين موصوفين او موصوفات وهي مثل المفعول في انها تكون بعد
كلام تام فكما لا يدخل الحرف ، تعاطف بين الصفة والموصوف ولا بين المفعول وما عمل فيه كذلك لا يدخل بين الحال
وذي الحال والجمل الواقعة موقع الحال إما ان تكون من فعل وفاعل أو من مبتدأ وخبر نحو رأيت زيدا بضحك
وجاء زيد ابوه منطلق قال الشاعر

وَلَوْلَا جَنَانُ اللَّيْلِ مَا آبَ عَامِرٌ
إِلَى جَعْفَرٍ سِرْبَالَهُ لَمْ يَمِزَّقِ

﴿ واما ﴾ الثالث وهي الجملة التي تكون تفسيراً لما قبلها فنحو قوله وعد الله الذين آمنوا ثم قال لهم مقرة
واجر عظيم فالمقرة تفسير الوعد الذي وعدوا فأما قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم ثم قال تؤمنون بالله فتؤمنون
على لفظ الخبر ومعناه الامر بدلالة قوله يفقر لكم وحسن ان يكون الأمر على لفظ الخبر لوقوعه كالتفسير لما قبله
من ذكر التجارة وحكم التفسير أن يكون خبراً فلذلك حسن كون الأمر على لفظ الخبر هنا ﴿ واما ﴾ الرابع
الذي لا يكون اتصاله على الوجوه الثلاثة ويكون في الجملة الثانية ذكر مما في الأولى فإن هذا الوجه يتصل
بما قبله على وجهين ﴿ احدهما ﴾ بحرف عطف كما يتبع الأجنبي اباه بحرف عطف وذلك نحو زيد ابوك

(١) قائله سلامة بن جندل وجنان الليل اي ما ستر من ظلمته . وآب : جمع والشاهد في «سرباله لم يمزق» فإنا
هذه جملة اسمية من مبتدأ وخبر وقد وقعت حالاً من عامر الذي هو فاعل «آب» وقد ربط الشاعر جملة الحال الاسمية بالخبر
العائد الى صاحب الحال ولم يأت بالواو .

واخوه عمرو فهذه قد نزلت منزلة الأجنبية من الأولى في العطف بالواو ونحو قام زيد وخرج عمرو وزيد قائم وبكر خارج والآخران يتبع الثانية الأولى بغير حرف عطف كقوله سبحانه انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ويقول في آية اخرى وكانوا يبصرون بالواو وقوله سيقولون ثلاثة رابهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ويقولون سبعة وثمانهم كلبهم والدليل على هذا نوع آخر خارج عن الانواع الثلاثة ان قوله وثمانهم كلبهم بعد الجملة المحذوف مبتدأها لا يخلو من ان يكون حالا او صفة او تفسيرا او جملة منقطعة من الاول ولا يجوز ان يكون في موضع الحال لأن ما قبلها من الكلام لا معنى فعل فيه عاملا في الحال والحال لا بد لها من عامل فيها ولا يمكن ان يجعل المبتدأ المضمر هذا وما اشبهه من اسما الاشارة فينتصب الحال عنها لأن المخبر عنهم هاهنا ليسوا بشار اليهم في وقت الاخبار وانما المراد الاخبار عن عددهم ولو كانوا بحيث يشار اليهم لم يقع الاختلاف في عددهم ولا يجوز أن يكون تفسيرا لأن التفسير هو المفسر في المعنى ولا يجوز أن يكون شي من جزء الجملة التي هي رابعهم كلبهم شيئا من جزء الجملة التي هي م ثلاثة ولا يجوز أيضا أن يكون صفة للنكرة التي قبلها لأنه لا يخلو في الوصف من احد امرين اما ان يعمل اسم فاعل كما يعمل سائر اسما الفاعلين الجارية على افعالها فيرتفع ما بعده به واما ان يجعل جملة في موضع وصف ولا يعمل اسم الفاعل عمل الفعل فيكون مبتدأ وخبرا ولا يجوز الاول لأنه في معنى الماضي والماضي لا يقدر فيه الاتصال وانما يقدر في الحاضر والآتي لأنه كما اعرب من الافعال المضارعة ما كان حاضرا وآتيا كذلك لم يعمل الماضي من اسما الفاعلين ولو لا الماضي لم يمتنع اعمال قوله رابعهم وسادسهم ولا تكرر أيضا الجملة صفة لثلاثة كما توصف النكرات بالجل لأن هذه جملة مستأنفة وليست على حد الصفة بل على حد ما بعدها من قوله وثمانهم كلبهم فحذفت الواو واستغني عنها اذا كانت انما تذكر لتدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما في الأولى كأنه يستغني به عن ذكر الواو لأن الحرف يدل على ابصاله وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال أيضا فيستغني به ويكتفى بذلك منه وهذا فصل جامع في النحو جليل الموقع كثير الفائدة اذا تأمله المتأمل حق التأمل واحكمه اشرف به على كثير من المسائل إن شاء الله وأما من قال ان هذه الواو واو الثانية واستدل بقوله حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها لأن للجنة ثمانية ابواب فشي لا يعرفه النحويون

المعنى

(وكذلك أعتزنا عليهم) اي وكما اتناهم وبعثناهم اطعمنا واعتزنا عليهم اهل المدينة وجملة امرهم وحالمهم على ما قاله المفسرون انهم لما هربوا من ملكهم ودخلوا الكهف امر الملك ان يسد عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف فيموتوا عطشا وجوعا وليكن كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ابقاؤ ثم ان رجلين مؤمنين كتبيا شأن الفتية وانسابهم واسماهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقالوا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم حين يقرأون هذا الكتاب ثم انقرض اهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له ندليس وقيل بندوسيس عن محمد بن اسحاق وتجزب الناس في ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع وقال اي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بها ان البعث حق وان الساعة حق آية لا ريب فيها فألقى الله في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذي فيه الكهف ان يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا احدهم ليطلب لهم طعاما فاطلع الناس على امرهم وبعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليمجد القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جعلها

الله في ملكه فلما بلغه الخبر حمد الله وركب معه مذنبته حتى أتوا أهل الكهف فذلك قوله وكذلك اعثرنا عليهم (ليعلموا ان وعد الله) بالبعث والثواب والعقاب (حق وان الساعة لا ريب فيها) أي ان القيامة لا شك فيها فإن من قدر على ان ينجم جماعة تلك المدة المدبدة أحياء ثم يوقظهم قدر أيضاً على ان يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أي فعلنا ذلك حين تنازعوا في البعث فمعتهم من انكره ومنهم من قال يبعث الأرواح دون الأجسام ومنهم من أثبت البعث فيها وازاد الأمر اليهم لتنازعهم فيه كما يقال ما صنعتهم في أمرهم عن عكرمة وقيل ان معناه إذ يتنازعون في قدر مكثهم في الكهف وفي عددهم وفيما يفعل بهم بعد ان اطلعوا عليهم وذلك انه لما دخل الملك عليهم مع الناس وجعلوا يسألونهم سقطوا ميتين فقال الملك ان هذا الامر عجيب فما ترون فاختلفوا فقال بعضهم ابنوا عليهم بنيانا كما تبنى المقابر وقال بعضهم اتخذوا مسجداً على باب الكهف وهذا التنازع كان منهم بعد العلم بموتهم عن ابن عباس (فقالوا) أي قال مشركوا ذلك الوقت (ابنوا عليهم بنيانا) أي استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان كما يقال بنى عليه جداراً إذا حوطه وجمله وراء الجدار (ربهم أعلم بهم) معناه ربهم أعلم بحالهم فيما تنازعوا فيه وقيل انه قال ذلك بعضهم ومعناه ربهم أي خالقهم الذي أنامهم وبعثهم أعلم بحالهم وكيفية أمرهم وقيل معناه ربهم أعلم بهم أحياء نيام هم أم أموات فقد قيل انهم ماتوا وقيل انهم لا يموتون إلى يوم القيامة (قال الذين غلبوا على أمرهم) يعني الملك المؤمن واصحابه وقيل اولياء اصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد الذين استولوا على أمرهم عن الجبائي (لتتخذن عليهم مسجداً) أي معبداً وموضعاً للعبادة والسجود يتعبد الناس فيه برب كانتهم وذل ذلك على ان الغلبة كانت للمؤمنين وقيل مسجداً يصلي فيه اصحاب الكهف إذا استيقظوا عن الحسن وقد روي ايضا ان اصحاب الكهف لما دخل صاحبهم اليهم واخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مدة مقامهم سألو الله تعالى أن يعيدهم إلى حالتهم الأولى فأعادهم اليها وحال بين من قصدهم وبين الوصول اليهم بأن أضلهم عن الطريق إلى الكهف الذي كانوا فيه فلم يبتدوا اليه ثم بين سبحانه تنازعهم في عددهم فقال (سيقولون) أي سيقول قوم من المختلفين في عددهم (ثلاثة) أي م ثلاثة (رابعهم كلبهم ويقولون) أي ويقول آخرون م (خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب) أي قذفا بالظن من غير يقين عن قتادة (ويقولون) أي ويقول آخرون هم (سبعة وثامنهم كلبهم) وقيل ان هذا اخبار من الله تعالى بأنه سيقع نزاع في عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت يعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم (قل) يا محمد (ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) من الناس عن قتادة وقيل قليل من أهل الكتاب عن عطاء وقال ابن عباس انا من ذلك القليل هم سبعة وثامنهم كلبهم والأظهر ان يكون عرف ذلك من جهة النبي ﷺ وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال قال هم مكسلينا ومليخا ومرطولس ونيونوس وسارينونوس ودرينونوس وكشوطينونوس وهو الراعي (فلا تمار فيهم) أي فلا تجادل الخائضين في عددهم وشأنهم (إلا مراة ظاهرا) فيه وجوه * احدها * ن مضاه الا تجادلهم إلا بما اظهرنا لك من امرهم عن ابن عباس وفتادة ومجاهد أي لا تجادل إلا بحجة ودلالة واخبار من الله سبحانه وهو المراء الظاهر * وثانيها * ان المراد لا تجادلهم إلا جدالا ظاهرا وهو ان تقول لهم أثبتتم عددا وخالفكم غيركم وكلا القولين يتمل الصدق والكذب فهلوا بحجة تشهد لكم * وثالثها * ان المراد إلا مراة * بشهده الناس ويحضرونه فلو اخبرتهم في غير ملاء من الناس لكذبوا عليك ولبسوا على الضعفة فادعوا انهم كانوا يعرفونه لأن ذلك من غوامض علومهم (ولا تستفت فيهم منهم احدا) معناه ولا تستخبر في أهل الكهف وفي مقدار عددهم من أهل الكتاب احدا ولا تستفتهم من جهتهم عن ابن عباس ومجاهد وفتادة والخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره لئلا يرجعوا في ذلك إلى مساءلة اليهود فإنه كان واثقا بخبر

الله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله) قد ذكر في معناه وجوه * احدهما * انه نهي من الله تعالى لبيه ﷺ ان يقول اني افعل شيئا في الغد إلا ان يقيد ذلك بمشيئة الله تعالى فيقول إن شاء الله قال الاخفش وفيه اضرار القول وتقديره إلا ان تقول إن شاء الله ولما حذف تقول نقل إن شاء الله إلى لفظ الاستقبال فيكون هذا تأديبا من الله للعباد وتعلما لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج عن حد القطع فلا يلزمهم كذب او حنث إذا لم يفعلوا ذلك لما منع وهذا معنى قول ابن عباس * وثانيها * ان قوله ان يشاء الله بمعنى المصدر وتعلق بما تعلق به على ظاهره وتقديره ولا تقولن اني فاعل شيئا غدا إلا مشيئة الله عن القراء وهذا وجه حسن يطابق الظاهر ولا يحتاج فيه إلى بناء الكلام على محذوف ومعناه ولا تقل اني افعل إلا ما يشاء الله ويريده وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال لا تقل اني افعل إلا الطاعات ولا يطمئن على هذا جواز الاخبار عما يفعل من المباحات التي لا يشاؤها الله تعالى لأن هذا النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم بدلالة انه لو لم يقل ذلك لم يأت بلا خلاف * وثالثها * انه نهي عن ان يقول الانسان سأفعل غدا وهو يجوز الاخترام قبل ان يفعل ما اخبر به فلا يوجد مخبره على ما اخبر به فهو كذب ولا يأمن ايضا أن لا يوجد مخبره بمحدث شيء من فعل الله تعالى نحو المرض والعجز وبأن يبدو له هو في ذلك فلا يسلم خبره من الكذب إلا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فإذا قال اني صائر غدا إلى المسجد ان شاء الله امن من ان يكون خبره هذا كذبا لأن الله تعالى إن شاء أن يبلجه إلى المصير إلى المسجد غدا حصل المصير إليه منه لا محالة فلا يكون خبره هذا كذبا وان لم يوجد المصير منه إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناء في ذلك من مشيئة الله تعالى عن الجبائي وقد ذكرنا فيما قبل ما جاء في الرواية ان النبي ﷺ سئل عن قصة اصحاب الكهف وذوي القرنين فقال اخبركم عنه غدا ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه اياما حتى شق عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وقوله (واذكر ربك إذا نسيت) فيه وجهان * احدهما * انه كلام متصل بما قبله ثم اختلف في ذلك فقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت فقل إن شاء الله وإن كان بعد يوم او شهر او سنة عن ابن عباس وقد روي ذلك عن أمتنا (ع) ويمكن ان يكون الوجه فيه انه إذا استثنى بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد اتصال الكلام في الكلام وفي ابطال الحنث وسقوط الكفارة في اليمين وهو الأشبه بمراد ابن عباس في قوله وقيل فاذا ذكر الاستثناء ما لم تقم من المجلس عن الحسن ومجاهد وقيل فاذا ذكر الاستثناء إذا تذكرت ما لم ينقطع الكلام وهو الوجه وقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بأن تندم على ما قطعت عليه من الخبر عن الأصم * والآخر * انه كلام مستأنف غير متعلق بما قبله ثم اختلف في معناه فقيل معناه واذكر ربك إذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب عن عكرمة وقيل انه امر بالاتقطاع إلى الله تعالى ومعناه واذكر ربك إذا نسيت شيئا بك إليه حاجة يذكره لك عن الجبائي وقيل المراد به الصلاة والمعنى اذ نسيت صلاة فصلها إذا ذكرتها عن الضحاك والسدي قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه اعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل في الإيمان والطلاق والعناق وسائر العقود وما يجري مجراها من الأخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به ولذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى الانسان في الماضي فيقول قد دخلت الدار إن شاء الله تعالى ليخرج بهذا الاستثناء من ان يكون كلامه خيرا قاطعا او يلزم به حكم وإنما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه اظهار الاقطاع إلى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه يختص بالطاعات ولعنا تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص بالطاعات ولعنا جرى قول القائل لأقضيبن غدا ما علي من الدين او لأصلين غدا إن شاء الله مجرى ان يقول اني فاعل ان لطف

الله تعالى فيه وسهله ومتى قصد الخالف هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع منه الفعل ان يكون حائفاً او كاذباً لأنه إذا لم يقع علمنا انه لم يلفظ فيه لأنه لا لطف له وهذا الوجه لا يصح ان يقال في الآية لأنه يختص الطاعات والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحاً بدلالة اجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنه في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخية والبقاء على ما هو عليه من الأحوال وهذا هو المراد إذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية وقد يدخل في الكلام استثناء المشيئة في الكلام وإن لم يرد به شيء من المتقدم ذكره بل يكون الغرض الاقتران الى الله تعالى من غير أن يقصد به الى شيء من هذه الوجوه ويكون هذا الاستثناء غير معتبر به في كونه كاذباً او صادقاً لأنه في الحكم كأنه قال لأفعلن كذا وإن وصلت إلى مرادي مع انقطاعي إلى الله تعالى واظهاره الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا يمكن في الآية ومتى تؤمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها من يذهب إلى خلاف العدل من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد الطاعات من الأفعال دون المعاصي لوجب إذا قال عليه الدين لغيره وطالبه به والله لأعطينك حقه غداً إن شاء الله ان يكون كاذباً او حائفاً إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وإن كان لم يقع ولكن يجب أن تلزمه به الكفارة وإن لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرج من كونه حائفاً كما انه لو قال والله لأعطينك حقه غداً ان قام زيد فقام ولم يعطه يكون حائفاً وفي التزام الحث خروج من الاجماع انتهى كلامه رضي الله عنه وقوله (وقل عسى ان يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً) معناه قل عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون اقرب من الرشد وأدل من قصة اصحاب الكهف عن الزجاج ثم ان الله سبحانه فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب اخبار المرسلين وآثارهم ما هو واضح في الدلالة واقرب إلى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل ان معناه أذع الله أن يذكرك إذا نيت شيئاً وقل ان لم يذكرني الله ذلك الذي نيت فإنه يذكرني ما هو أتمتع لي منه عن الجبالي

قوله تعالى (٢٥) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٦) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٧) وَآتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا (ثلاث آيات)

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ثلاثمائة سنين مضافا والباقون بالتنوين وقرأوا ولا تشرك بالفاء مجزوماً ابن عاصم وروح وزيد عن يعقوب وسهل والباقون ولا يشرك بالرفع والياء
(الحجة -)

قال ابو الحسن يكون السنين ثلاثمائة قال ولا تحسن اضافة المائة إلى السنين لا تكاد العرب تقول مائة سنين قال وهو جائز في ذا المعنى وقد يقوله بعض العرب قال ابو علي وبما يدل على صحة قول من قال ثلاثمائة سنين ان هذا الضرب من العدد الذي يضاف في اللغة المشهورة إلى الاحاد نحو ثلاثمائة رجل واربعمائة نوب قد جاء مضافاً إلى الجمع في قول الشاعر

فَأَزَوْدُونِي غَيْرَ سَحْقٍ عِمَامَةٍ وَخَمْسِي مِمِّي مِنْهَا قَيْسِي وَزَايِفُ (١)

وذلك ان قوله ميمي لا يخلو من ان يكون في الأصل كأنه فلة فجمع على فِئَلٍ مثل سِدْرَةٍ وَسِدْرٍ أَوْ

يكون فصلة فجمع على فعول مثل بدره وبدور ومائة ومون قال «عظيما الكلاكل والمؤون» والأولى حملة على فعول وانه خفف كما يخفف في القوافي كقوله «كنهور كان من أعقاب السمي» ثم كسر فاؤه كما بكسر في نحو حلى وقال غيره ان العرب قد تضع الجمع هنا موضع الواحد لأن الأصل أن تكون الاضافة الى الجمع قال الشاعر

ثَلَاثًا بِنَ قَدَّ مَضِينَ كَوَامِلًا وَهَا أَنَا ذَا قَدَّ أَجَنِّي مَرَّ رَابِعٍ

فجاء به على الأصل ومن نون ثلاثمة ففي نصب سنين قولان * أحدهما * ان يكون سنين بدلا من ثلاثمة او عطف بيان * والآخر * ان يكون تمييزا كما تقول عندي عشرة ارطال زيتا قال الريح بن ضيع الغزاري

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتِينَ عَامًا فَقَدَّ ذَهَبَ اللَّذَاذَةَ وَالْفَتَاءَ

قال الزجاج ويجوز أن يكون سنين من نعت المائة فيكون مجرورا وهو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال عنتره فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحمة

فجعل سودا نعتا حلوبة وهو في المعنى نعت لجملة العدد قال ابو علي لا يمتنع أن يكون الشاعر جعل حلوبة جمعا وجعل سودا وصفا لها وإذا كان المراد به الجمع فلا يمتنع أن يقع تفسيرا لهذا الضرب من العدد من حيث كان على لفظ الآحاد كما يقال عشرون قرأ وثلاثون قبلا ومن قرأ ولا تشرك بالهاء فإنه على النهي عن الاشراك والقراءة الأخرى أشيع وأولى لتقدم اسماء النبية وهو قوله ما لهم من دونه من ولي والمعنى ولا يشرك الله في حكمه أحدا

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن مقدار مدة لبثهم فقال (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين) معناه واقام اصحاب الكهف من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله واطلع عليهم الخلق ثلاثمائة سنة (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين إلا انه استغنى بما تقدم عن اعادة ذكر تفسير التسع كما يقال عندي مائة درهم وخمسة (قل الله اعلم بما لبثوا) معناه ان حاجك يا محمد أهل الكتاب في ذلك فقل الله اعلم بما لبثوا وذلك ان أهل نجران قالوا اما الثلاثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها وقيل ان معناه الله اعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا وحكي عن قتادة انه قال قوله ولبثوا في كهفهم الآية حكاية عن قول اليهود وقوى ذلك بقوله قل الله اعلم بما لبثوا فذكر انه سبحانه العالم بمقدار لبثهم دون غيره وقد ضعف هذا الوجه بأن اخبار الله لا ينبي صرفها إلى الحكاية إلا بدليل قاطع ولو كان الأمر على ما قاله لم تكن مدة لبثهم مذكورة ومن المعلوم ان الله سبحانه أراد بالآية الاستدلال على عجيبة قدرته وباهر آيته وذلك لا يتم إلا بعد معرفة مدة لبثهم فالمراد بقوله قل الله اعلم بما لبثوا بعد بيان مدة لبثهم ابطال قول أهل الكتاب واختلافهم في مدة لبثهم فتقديره قل يا محمد الله اعلم بمدة لبثهم وقد اخبر بها فخذوا بما اخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب فهو اعلم بذلك منهم (له غيب السماوات والارض) والغيب أن يكون الشيء بحيث لا يقع عليه الادراك أي لا يفيب عن الله سبحانه شيء لأنه لا يكون بحيث لا يدركه فيعلم ما غاب في السماوات والارض عن إدراك العباد (أبصر به وأسمع) هذا لفظ التعجب ومعناه ما أبصره وأسمعه أي ما أبصره تعالى لكل مبصر وما أسمعه لكل مسموع فلا يخفى عليه من ذلك وإنما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم ورويه ان يهوديا سأل علي بن ابي طالب (ع) عن مدة لبثهم فأخبر بما في القرآن فقال انا نجد في كتابنا ثلاثمائة فقال (ع) ذلك بسمي الشمس وهذا بسمي القمر وقوله (ما لهم من دونه من ولي) أي ليس لأهل السموات

(١) المائة : الغاصرة ، (٢) الكنهور من السحاب : المتراكب الثمين . والسمة على فصول جمع سماء : المطر وذكر في هامش اللسان ان هذا الشطر لا وزن له معروف .

والأرض من دون الله من ناصر يتولى نصرتهم (ولا يشرك) الله (في حكمه أحداً) فلا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به وقيل معناه انه لا يشرك الله في حكمه بما يخبر به من النبي أحداً وعلى القراءة الأخرى معناه ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (واقبل ما أوحى إليك من كتاب ربك) أي واقرا عليهم ما أوحى الله إليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم فإن الحق فيه وقيل معناه اتبع القرآن واعمل به (لا تبدل لكلماته) أي لا مغير لما أخبر الله به فيه وما أمر به وعلى هذا فيكون التقدير لا تبدل لحكم كلماته (ولن تجد من دونه ملتحداً) معناه ان لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ عن مجاهد وقيل حرزا عن ابن عباس وقيل موثلاً عن قتادة وقيل معدلاً ومحيصاً عن الزجاج وابي مسلم والأقوال متقاربة في المعنى يقال لحد إلى كذا أو التحد إذا مال إليه

قوله تعالى (٢٨) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٩) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَفِضُوا كَمَا لَمْ يَلْمِشْ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِشْرِ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (آيَاتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عاصم وحده بالغدوة والباقون بالغداة وفي الشواذ قراءة الحسن ولا تعد عينيك وقراءة عمرو بن فائد من اغفلنا قلبه

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي أما غدوة فهو اسم موضوع للتعريف وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف واللام كما لا تدخل على سائر الأعلام وإن كانت قد كتبت في المصحف بالواو ولم يدرك على ذلك كما أنهم كتبوا الصلوة بالواو وهي الف وحجة من ادخل اللام المعرفة عليها انه قد يجوز وان كانت معرفة ان تتنكر كما حكاه أبو زيد من أنهم يقولون لقيته فينة والفينة بعد الفينة فينة مثل غدوة في التعريف بدلالة امتناع الانصراف وقد دخلت عليه لام التعريف وذلك ان يقدر من أمة كلها له مثل هذا الاسم فيدخل التنكير لذلك ويقوي هذا تنفية الأعلام وجمعها وقوله «لا هيتم الليلة للمطي» وقولم أما النضرة فلا نضرة لك فاجري مجرى ما يكون شائماً في الجنس وكذلك الغدوة وأما قوله ولا تعد عينيك فإنه منقول من عدت عينك إذا جاوزتاه وهو من قولهم جاء القوم عدا زيدا أي جاوز بعضهم زيدا ثم نقل إلى اعديت عيني عن كذا أي صرفتها عنه قال الشاعر

حَتَّى لِحِقْنَا بِهِمْ تَعْدِي فَوَارِسُنَا كَأَنَّا رَعْنُ قَفِي يَرْفَعُ الْآلَا (١)

أي تعدي فوارسنا خيلهم عن كذا فحذف المفعول بعد المفعول او تعديها من عدا الفرس أي جرى وعلى ان أصلها واحد لأن الفرس إذا عدا فقد جاوز مكاناً إلى غيره وأما من قرأ من اغفلنا قلبه فمعناه ولا تطعم من ظننا غافلين عنه وهو من قولم اغفلت الرجل أي وجدته غافلاً قال الاعشى

أَنْوِي وَقَصَّرَ لَيْلَةَ لِيَزُودَا نَمَضِي وَأَخْلَفَ مِنْ قَتِيلَةٍ مَوْعِدَا (٢)

أي صادفه مخلقا

(١) الرعن : الانف العظيم من الجبل تراه مقدماً . والقف : ما ارتفع من الارض وال : شيء كالشراب تراه في اول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وقوله «يرفع الآلا» مقلوب أي يرفعه الآلا . (٢) قوله نَمَضِي أي مضى الماشق

* اللفظة *

الفرط التجاوز للحق والخروج عنه من قولهم افرط افرطاً إذا امرف والسرادق الفسطاط المحيط بما فيه ويقال السرادق ثوب يدار حول الفسطاط قال رؤبة

يَا حَكَمَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ سَرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ مَمْدُودٌ

والمهل خثارة الزيت وقيل هو النحاس الذائب والمرتفق المتكأ من المرتفق يقال ارتفق إذا اتكأ على سرفقه قال ابو ذؤيب

بَاتَ الْحَلِيَّ وَيَتُّ اللَّيْلَ مَرْتَفِقًا كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ (١)

ويقال إنه مأخوذ من الرفق والمنفعة

* الغزول *

نزلت الآية الأولى في سلمان وابي ذر وصهيب وعمار وحباب وغيرهم من فقراء اصحاب النبي ﷺ وذلك ان المولفة قلوبهم جاؤا إلى رسول الله ﷺ وهم عيينة بن الحصين والاقرع بن حابس وذووم فقالوا يا رسول الله ان جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء روائح صنائهم وكانت عليهم جبات الصوف جلسنا نحن اليك وأخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ بلبسهم فأصابهم في مؤخر المسجد بذكرون الله عز وجل فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني ان اصبر نفسي مع رجال من أمي معكم الحيا ومعكم الممات

* المعنى *

ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالصبر مع المؤمنين فقال (واصبر نفسك) يا محمد اي احبس نفسك (مع) الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي بدوامون على الصلاة والدعاء عند الصباح والمساء لا شغل لهم غيره ويستفتحون يومهم بالدعاء ويختمونه بالدعاء (يريدون وجهه) اي رضوانه وقيل يريدون تعظيمه والقربة اليه دون الرياء والسعة (ولا تعد عينك عنهم) اي ولا تتجاوز عينك عنهم بالنظر إلى غيرهم من ابناء الدنيا (تريد زينة الحياة الدنيا) تريد في موضع الحال اي يريد اجمالاً أهل الشرف والغنى وكان النبي ﷺ حريصاً على إيمان العظماء من المشركين طمعاً في إيمان اتباعهم ولم يزل إلى الدنيا وزينتها قط ولا إلى أهلها وإنما كان يلين في بعض الأحيان للروساء طمعاً في إيمانهم فموتب بهذه الآية وأمر بالاقبال على فقراء المؤمنين وان لا يرفع بصره عنهم مريداً مجالسة الاشراف (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) قيل في معناه أقوال **أحدها** ان معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بتعريضه للغفلة ولهذا قال واتبع هواه ومثله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم **وثانيها** اغفلنا قلبه اي نسبنا قلبه إلى الغفلة كما يقال اكفره إذا نسه إلى الكفر وسماه كافراً كقول الكمي

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُوا فِي بَيْبِكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا مَسِيٌّ وَمَذْبُوبٌ

وثالثها اغفلنا قلبه صادفناه غافلاً عن ذكرنا كما قالت العرب سألتكم فما اقبحتمناكم وقاتلتكم فما أجبتكم **ورابعها** اغفلنا قلبه اي جعلناه غفلاً لم نسمه بسمة قلوب المؤمنين ولم نعلم فيه علامة المؤمنين لتعرفه الملائكة تلك السمة تقول العرب اغفل فلان ماشيته إذا لم يسمها بسمة تعرف **وخامسها** ان معناه ولا تطع من تركنا قلبه خذلناه وخلينا بينه وبين الشيطان بتركه امرنا عن الحسن (واتبع هواه) اي لا تطع من أتبع هواه في شهواته وافعاله (وكان امره فرطاً) اي سرفوا وافرطاً عن مقاتل والجبائي وقيل تجاوز الحد عن الاخفش وقيل ضياعاً وهلاكاً عن مجاهد والسدي قال الزجاج ومن قدم العجز في امره اضاعه واهلكه فيكون المعنى في هذا انه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله واتبع الهوى ثم قال سبحانه (وقل) يا محمد لهؤلاء الذين امروك

(١) الخلي: الفارغ. والصاب: شجر مرو وقيل: عصارة شجر مرو ربما نزلت منه قطرة فتقع في العين كأنها شهاب نار وربما اضمف البصر. (٢) الصنان: تنن الابط.

بشمعية الفقراء (الحق من ربكم) اي هذا الحق من ربكم يعني القرآن وقيل معناه الذي آتيتكم به الحق الزجاج من ربكم يعني لم آتكم به من قبل قسي وإنما آتيتكم به من قبل الله وقيل معناه ظهرت الحجة ووضع الحق من ربكم وزالت الشبهة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا وعيد من الله سبحانه وانذار ولذلك عقبه بقوله «انا اعتدنا» وانما جاز التهديد بلفظ الأمر لأن المهدد كالأمر بإهانة نفسه ومعناه فليختر كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفعون الله تعالى بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم وإنما يرجع النفع والضرر اليهم (انا اعتدنا) اي هيأنا واعدنا (للظالمين) اي الكافرين الذين ظلموا انفسهم بعبادة غير الله تعالى (نارا احاط بهم سرادقها) والسرادق حائط من نار يحيط بهم عن ابن عباس وقيل هو دخان النار ولهبها يصل اليهم قبل وصولهم اليها وهو الذي في قوله الى ظل ذي ثلاث شعب عن قتادة وقيل اراد ان النار احاطت بهم من جميع جوانبهم فشبّه ذلك في السرداق عن ابي مسلم (وان يستغيثوا) من شدة العطش وحرّ النار (بغائوا بماء كالمهل) وهو كل شيء اذيب كالرصاص والنحاس والصفير عن ابن مسعود وقيل كمكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة رأسه روى ذلك رفوعا وقيل كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل هو القبح والدم عن مجاهد وقيل هو الذي انتهى حره عن سعيد ابن جبير وقيل انه ماء اسود وان جهنم سوداء وماؤها اسود وشجرها اسود واعلمها سود عن الضحاك (يشوي الوجوه) اي ينضجها عند دونه منها ويحرقها وانما جعل سبحانه ذلك اغانة لا فترانه بذكر الاغانة (بش الشراب) ذلك المهل (وساءت) النار (مرتقفا) اي متكثرا لهم قيل ساءت مجتمعها مأخوذ من المرافقة وهي الاجتماع عن مجاهد وقيل منزلا ومستقرا عن ابن عباس وعطا

قوله تعالى (٣٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣١) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خضراء من سندسٍ وإستبرقٍ متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتقفا آياتان

* اللفظة *

العدن الإقامة يقال عدن بالمكان بعدن عدنا والاسوار جمع اسوار على حذف الزيادة لأن الاصل اساور عن قطرب وابي عبيدة وقيل جمع اسورة واسورة جمع سوار عن الزجاج وهو سوار الينا بالكسر وقد حكى سوار بالضم والسندس ما رق من الدباج واحده سندسة والاستبرق الغليظ من الدباج وقيل هو الحرير قال قال المرقيش

تَرَاهُنَّ يَلْبَسْنَ الْمَشَاعِرَ مَرَّةً
وَأَسْتَبْرِقَ الدِّبَاجِ طَوْرًا لِبَاسَهَا (١)

والأرائك جمع أربكة وهي السرير قال
خَدُوذٌ جَفَّتْ فِي السَّيْرِ حَتَّى كَانَتْ
قال الزجاج الأرائك الفرش في المجال قال الأعشى
بَيْنَ الرُّوْقِ وَجَانِبِ مَنْ سَتَرَهَا
مِنْهَا وَيَبِينُ أَرْبِكَةَ الْأَنْضَادِ (٢)

* الإعراب *

قيل في خبران الذين آمنوا أقوال * احدها * انه قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا وعلى هذا فيكون في الخبر محذوفا كأنه لا نضيع اجر من احسن عملا منهم * والثاني * ان يكون الخبر أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ويكون انا لا نضيع الخ اعتراضا بين الاسم والخبر * والثالث * ان المعنى انا لا نضيع اجرهم لأن من الحزنة ذات الحجارة . (٣) الانضاد جمع التضد : السرير يجعل عليه المتاع والنياب .

احسن عملاً في المعنى هم الذين آمنوا

« المعنى » -

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بذكر الوعد فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الطاعات (انا لانضج اجر من احسن عملاً) اي لاترك اعمالهم تذهب ضياعاً بل نجازهم ونوفهم اجورهم من غير بخس (اولئك لهم جنات عدن) اي اقامة لهم لأنهم يبقون فيها ببقاء الله دائماً ابداً وقيل عدن بطنان الجنة اي وسطها وهي جنة من الجنان عن ابن مسعود وعلى هذا فإنما جمع لسمتها ولأن كل ناحية منها تصلح ان تكون جنة (تجري من تحتهم الأنهار) لأنهم على غرف في الجنة كما قال وهم في الغرفات آمنون وقيل ان انهار الجنة تجري في أخاديد من الأرض فلذلك قال تجري من تحتهم الأنهار (يحلون فيها من اساور من ذهب) اي يجعل لهم فيها حللي من اساور وقيل انه يحلى كل واحد بثلاثة اساور سوار من فضة وسوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وياقوت عن سعيد بن جبير (ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق) اي من الديباج الرقيق والغليظ وقيل إن الاستبرق فارسي معرب اصله استبره قيل هو الديباج المنسوج بالذهب (متكئين فيها على الأرائك) اي متنعمين في تلك الجنات على السرر في الحجال وانما قال متكئين لأن الاتكاء يفيد انهم منعمون في الأمن والراحة فإن الإنسان لا يتكئ الا في حال الأمن والسلامة (نعم الثواب) اي طاب ثوابهم وعظم عن ابن عباس (وحسنت) الأرائك (مرتفقا) اي موضع ارتفاق وقيل منزلاً ومجلساً ومجتمعاً

قوله تعالى (٣٢) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٣) كَلِمَاتٍ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا كُلُّهُمَا وَلم تظلم منه شيئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٤) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٥) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٦) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (خمس آيات)

(القراءة) -

قرأ ابو جعفر وعاصم ويعقوب وسهل وكان له ثمر واحيط بثمره في الموضوعين بالفتح ووافق رويس في الاول وقرأ ابو عمرو بضم التاء وسكون الميم في الموضوعين والباقون بضم التاء والميم في الحرفين وقرأ اهل الحجاز وابن عامر خيراً منهما بزيادة ميم وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ اهل العراق منها بغير ميم

الحجة

قال ابو علي الثمرة ما يجتني من ذب الثمر وجمعها ثمرات ويجمع على ثمر كبقرة وبقر وعلى ثمار كقربة ورقاب وعلى هذا تشبيه المخلوقات بغير المخلوقات وقد شبه كل واحد منهما بالآخر ويجوز في القياس ان يكسر ثمار على ثمر ككتاب وكتب وقراءة ابي عمرو وكان له ثمر يجوز ان يكون جمع ثار كما يخفف كُتب ويجوز ان يكون ثمر جمع ثمرة كبذرة وبدن وخشبة وخشب ويجوز ان يكون ثمر واحدة كمنق وطلب فعلى اي هذه الوجوه كانت جاز اسكان العين منه كذلك في قوله واحيط بثمره وقال بعض اهل اللغة الثمر المال والتمر المأكول وجاء في التفسير قريب من هذا قالوا الثمر النخل والشجر ولم يرد به الثمرة والتمر على ما روي عن عدة من السلف بل الأصول التي تجعل الثمرة لا قس الثمر بدلالة قوله فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها اي في الجنة والنفقة إنما تكون على ذوات الثمرة في اغلب العرف وكانت الآفة التي ارسلت اليها اصطلحت

الاصول واجتاحتها كما جاء في صفة الجنة الاخرى فاصبحت كالصريم اي كالليل في سوادها لاحتراقها و كالنهار في بياضها وما بطل من خضرتها بالآفة النازلة بها وحكي عن ابي عمرو شمر والشمر انواع الممال فياذا اصطم الثمر فاجتيج دخلت الثمرة فيه ولا يمكن ان يصاب الاصل ولا تصاب الثمرة وإذا كان كذلك فمن قرأ بشمره ونثره كان قوله ابين من قرأ بالفتح ويجوز القراءة بالفتح كأنه اخبر عن بعض ما اصاب وامسك عن بعض وقوله خيرا منها منقلبا فالافراد لأنه اقرب إلى الجنة المفردة في قوله ودخل جنته والتثنية لتقدم ذكر الجنة

اللغة

حَفَّ القوم بالشئ إذا اطافوا به وحفافا الشيء جانبا كأنهما اطافا به قال طرفه
كَانَ جَنَاحِي مَضْرَحِي تَكْنَفَا حِفَافِيهِ شُكَا فِي الْعَسِيبِ بِمِثْرٍ (١)

والمعاودة مراجعة الكلام في المخاطبة ويقال كمت فلانا فمارجع إلى حوارا ومحورة وحويرا

الإعراب

إنما قال أنت على لفظ كلنا فإنه بمنزلة كل في انه مفرد اللفظ ولو قال اتنا على المعنى لجاز قال الشاعر في التوحيد
وَكَتَلَاهُمَا قَدْ خَطَّ لِي فِي صَحِيفَتِي فَلَا الْعَيْشَ أَهْوَاهُ وَلَا الْمَوْتَ أَرْوَحُ (٢)

المعنى

ثم ضرب الله لعباده مثلا يستفيثهم به إلى طاعته ويزجرهم عن معصيته وكفران نعمته فقال مخاطبا لنبيه
(واضرب لهم مثلا رجلين) روي عن ابن عباس انه قال يريداني ملك كان في بني اسرائيل توفي وترك ابنين وترك مالا جزيلاً فأخذ أحدهما حقه منه وهو المؤمن منهما فتقرب إلى الله تعالى واخذ الآخر حقه فتملك به ضياعا منها هاتان الجنة وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم انه يريد هجلا كان له بستانان كبيران كثيرا الثار كما حكى سبحانه وكان له جار فقير فافتخر الغني على الفقير وقال له انا اكثر منك مالا واعز نفرا وهذا اليق بالظاهر (جعلنا لأحدهما جنتين) اي بستانين اجنهما الاشجار (من اعتاب وحفناهما بنخل) اي جعلنا النخل مطيفا بهما (وجعلنا بينهما زرعاً) اي وجعلنا بين البستانين مزرعة فكلت النعمة بالعنب والتمر والزرع (كلنا الجنة آتت اكلها) اي كل واحدة من البستانين آتت غلتها وأخرجت ثمرتها وسماء اكلنا لأنه ما كول (ولم تظلم منه شيئا) أي لم تنقص منه شيئاً بل أدته على التمام والكمال كما قال الشاعر

وَيُظْلِمُنِي مَالِي كَذَا وَلَوْ يَدِي لَوْ يَدُهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ (٣)

اي ينقصني مالي (وفجرنا خللها نهر) اي شققنا وسط الجنة نهر يسقيهما حتى يكون الماء قريبا منهما يصل اليهما من غير كدر وتعيب ويكون ثمرهما وزرعهما بدوام الماء فيهما او في وأروى (وكان له ثمر) قيل ان معناه وكان للنخل الذي فيهما ثمر وقيل معناه وكان للرجل ثمر ملكه من غير جنتيه كما يملك الناس ثمارا لا يملكون اصلها عن ابن عباس وقيل كان لهنت الرجل مع هذين البستانين الذهب والفضة عن مجاهد وقيل كان له معهما جميع الاموال عن قتادة وابن عباس في رواية اخرى (فقال لصاحبه وهو يحاوره) اي فقال الكافر لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ويراجه في الكلام (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) اي اعز عشيرة ورهطا وسمى العشيرة نفرا لأنهم ينفرون معه في حوائجه وقيل معناه اعز خدما وولدا عن قتادة ومقاتل (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) اي ودخل الكافر بستانه وهو ظالم لنفسه بكفره وعصيانه (قال ما أظن ان تبيده هذه ابدا) اي ما اقدر ان تفنى هذه الجنة وهذه الثمار ابدا وقيل يريد ما اظن هذه الدنيا تفنى ابدا (وما اظن الساعة قائمة) اي وما احسب القيامة آتية كائنه على ما يقوله الموحدون (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) معناه ولئن كانت القيامة

(١) يصف ناحيتي عيب ذنب الناقة وشبه شعر ذنبها في طوله بجناحي النسر . والمضرحى : النسر . وشك الشيء بالشئ : انتظمه . والعسيب : عظم الذنب و السرد : الابرة (٢) أروح الشيء : وجدريه (٣) قاله فرعان بن اعرف التيمي وكان له ابن عاق يقال له منازل وفيه يقول البيت وفي رواية اللسان «تظلم مالي هكذا . اهـ» وفي رواية

والبعث حقا كما يقوله الموحدون لا يجدن خيرا من هذه الجنة قال الزجاج وهذا يدل على ان صاحبه المؤمن قد اعلمه ان الساعة تقوم وانه يبعث فأجابته بأن قال له ولئن رددت إلى ربي ابي كما اعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الآخرة افضل منها لكرامتي عليه ظن الجاهل انه اوتي ما اوتي لكرامته على الله تعالى وقيل معناه لا كسبن في الآخرة خيرا من هذه التي اكتسبتها في الدنيا ومن قرأ منهما رد الكناية إلى الجنة اللتين تقدم ذكرهما وفي هذا دلالة على انه لم يكن قاطعا على نفي المعاد بل كان شاكا فيه

قوله تعالى (٣٧) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٨) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٩) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَمَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٤٠) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوَفِّيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا (٤١) أَوْ يُصْبِحَ مَاوًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤٢) وَأَحْضِظْ بِشِعْرِي وَفَاصْبِحْ يَقْلِبُ كَفْيَهُ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَىٰ غُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٣) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٤) هَٰذَا لِكِ الْوَلَايَةِ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (ثمانى آيات)

القراءة

قرأ ابن عامر وابن فليح والبرجمي وبقوب لكننا باثبات الالف في الوصل والوقف وقرأ الباقرن لكن بحذف الألف في الوصل وقرأ البخاري لورش بالوجهين بالوصل ولا خلاف في اثبات الالف في الوقف إلا تقيده فإنه قرأ بنهر الف في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة ابي بن كعب والحسن لكن انا وقراءة عيسى الثقفي لكن هو الله ربي وقرأ البرجمي عن ابي بكر غورا بضم الغين هاهنا وفي الملك وقرأ ولم يكن له فئة بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقرن ولم تكن بالتاء وقرأ ابو عمرو الولاية بفتح الواو والله الحق بالرفع وقرأ الكسائي الولاية بكسر الواو والحق بالرفع وقرأ حمزة وخلف الولاية بكسر الواو والحق بالجر وقرأ الباقرن الولاية بفتح الواو والحق بالجر وقرأ عاصم وحمزة وخلف عقبا ساكنة القاف والباقرن بضم القاف

(الحجة) =

قال الزجاج من قرأ لكن بشديد النون فهو لكن انا في الأصل فطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتح فصارت لكنن بنونين مفتوحين فاجتمع الحرفان من جنس واحد فأدغمت النون الاولى في الثانية وحذفت الألف في الوصل لأن الف انا تثبت في الوقف وتحذف في الأصل في اجود اللغات نحو أن قمت بخير الألف ويجوز انا قمت باثبات الالف وهو ضعيف جدا ومن قرأ لكننا فاثبت الألف في الوصل فإنه على لغة من قال انا قمت فاثبت الألف قال الشاعر

أَنَا شَبِيحُ الْعَشِيرَةِ فَأَعْرِفُونِي حَمِيدًا قَدْ تَذَرَيْتُ السَّنَامَا (١)

إلا ان اثبات الألف في لكننا هو الجيد لأن الهمزة قد حذفت من انا فصار اثبات الألف عوضا من الهمزة قال ابو علي لا ارى قوله ان اثبات الألف هو الجيد لأنه صار عوضا من الهمزة كما قال لأن هذه

الألف تلحق للوقف مثل الهاء في ماهيه وحساويه والهاء في مثل هذا الطرف مثل الف الوصل في ذلك الطرف فكما ان اثبات همزة الوصل في الوصل خطأ كذلك الهاء والألف في الوصل خطأ فلا يلزم ان يثبت عوض من الهمزة المحذوفة ألا ترى ان الهمزة في **وَبَلَّغْتَهُ** قد حذفت حذفاً على غير ما يوجب قياس التخفيف ولا يعوض منها فأن لا يعوض منها في التخفيف القياسي اجدر لأن الهمزة هنا في تقدير الثبات ولولا ذلك لم يحرك حرف اللين في نحو **جَبَّالٌ** في **جَبَّالٌ** ومونة في مونة قال وقد تجي هذه الألف مثبتة في الشعر نحو قول الأعشى

فَكَيْفَ أَنَا وَأَنْتِ حَالِي الْقَوَائِي بَعْدَ الْمَشِيبِ كَفَيْ ذَاكَ عَاراً

وقول الآخر انا شيخ المشيرة والبيت «ولا يكون ذلك مختاراً في القراءة ومن قرأ لكنا في الوصل فإنه يحمّل امرين **احدهما** أن يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذي هو نحن فيدغم النون من لكن لسكونها في النون من علامة الضمير فيكون على هذا لكنا باثبات الألف وصلاد ووقفا لا غير الا ترى ان احدا لا يحذف الألف من نحو فعلنا وقوله هو من هو الله ربي ضمير الحديث والقصة كما انه في قوله فإذا هي شاخصة وقوله قل هو الله احد كذلك والتقدير الامر الله احد لأن هذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر فيصير المبتدأ والخبر موضع خبره كما انه في **انَّ وَكَانَ** وظنفت وما يدخل على المبتدأ والخبر كذلك وعاد الضمير على الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ولو عاد على اللفظ لكان لكنا هو الله ربنا ودخلت لكن مخففة على الضمير كما دخلت في قوله إنا معكم والوجه الآخر ان سيبويه حكى انه سمع من يقول اعطني ايضاً فشدد والحق الهاء بالتشديد للوقف والهاء مثل الألف في سبباً والياء في عيلى واجرى الهاء مجرهما في الاطلاق كما كانت مثلهما في نحو قوله

صَفِيَّةٌ قَوْمِي وَلَا تَجْزَعِي وَبَكِي النَّسَاءَ عَلَيَّ حَمَزَةً

فهذا الذي حكاه سيبويه في الكلام وليس في شعر وكذلك الآية يكون الألف فيها كالهاء ولا يكون الهاء للوقف الا ترى ان الهاء للوقف لا يبين بها المرء ولا ما ضارع المرء فلي احد هذين الوجهين يكون قول من اثبت الألف في الوصل او عليها جميعاً ولو كانت فاصلة لكانت مثل فأضلونا السيللا (واما قراءة ابي لكن انا في الاصل في قراءة الجماعة لكن على ما تقدم بيانه لأن الف انا محذوف في الوصل قال الشاعر

وَرَمَيْتَنِي بِالطَّرْفِ أَيَّ أَنْتَ مَذْنِبٌ وَتَقْلَيْتَنِي لَكِنَّ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي

أي لكن انا وانا مرفوع بالابتداء وخبره الجملة المركبة من المبتدأ والخبر التي هي هو الله ربي والمائد على المبتدأ من الجملة الياء في ربي ومن قرأ **لَكِنَّ** هو الله ربي فأعراه واضح واما من قرأ **غُوراً** فيمكن أن يكون **غُوراً** لفة في **غُور** وإنما جاز أن يقع المصدر موقع الصفة للمبالغة كما قال الشاعر

قَطَّلَ حَيَادَهُ نَوْحاً عَلَيْهِ مَقْلَدَةً أَعْتَنَهَا صُفُوناً

واما قوله ولم يكن له فئة بالياء فإن الياء والتاء هنا حسن وأما قوله هنالك الولاية لله الحق فقد حكى ابو عبيدة عن ابي عمرو ان الولاية هنا لحن لأن الكسر في فعالة يجي فيما كان صنعة ومعنى متقلدا كالكتابة والإمارة والخلافة وما اشبه ذلك وليس هنا معنى تولى امر إنما هو الولاية من الدين وكذلك التي في الأفعال ما لكم من ولايتهم من شيء وقال بعض أهل اللغة الولاية النصر يقال هم أهل ولاية عليك أي متناصرون عليك والولاية ولاية السلطان قال وقد يجوز الفتح في هذه والكسر في تلك كما قالوا الولاية والولاية والولاية بمعنى واحد فلي هذا بجوز الكسر في الولاية في هذا الموضع ومن كسر القاف من الحق فجعله من وصف الله تعالى وصفه بالحق وهو مصدر كما وصفه بالعدل والسلام والمعنى ذو الحق وذو السلام وكذلك الأمر له معنى ذو العبادة وبدل عليه قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين ومن رفع الحق جملة صفة للولاية ومعنى وصف الولاية

بالحق انه لا يشوبها غيره ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق واما قوله عقبا فلان ما كان على فعل جاز تخفيفه على ما تقدم ذكره

✽ اللفظة ✽

أصل الحساب السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكان ذلك من رمي الأسورة وأصل الباب الحساب وإنما يقال لما يرمي به حساب لأنه بكثرة كثرة الحساب قال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه والزلق الأرض الملساء المستوية لا نبات فيها ولا شيء وأصل الزلق ما تزلق عنه الاقدام فلا يثبت عليه

✽ الإعراب ✽

ما شاء الله يحتمل أن يكون ما رفعاً وتقديره الأمر ما شاء الله فيكون موصولاً والضمير العائد إليه يكون محذوفاً لطول الكلام ويجوز أن يكون التقدير ما شاء الله كائن ويحتمل أن يكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء ويكون الجواب محذوفاً وتقديره أي شيء شاء الله كان ومثله في حذف الجواب قوله فلان استطعت أن تبغني فقفا في الأرض ان ترن انا اقل اقل منصوب بأنه مفعول ثان لترن وأنا إن شئت كان توكيدا او وصفا لياء المتكلم وإن شئت كان فصلا كما تقول كنت انت القائم يا هذا قاله الزجاج ويجوز رفع اقل وقد قرأ بها عيسى بن عمر فيكون انا مبتدأ وأقل خبره والجملة في موضع نصب بأن يكون المفعول الثاني لترني وقوله فعسى القاء جواب قوله ان ترني وثوابا وعقبا منصوبان على التمييز

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه جواب المؤمن للكافر فقال (قال له صاحبه وهو يحاوره) أي يخاطبه وبجيبه مكفرا له بما قاله (ا كفرت بالذي خلقك من تراب) يعني أصل الخلقة أي خلق أباك من تراب وهو آدم (ع) وقيل لما كانت النطفة خلقها الله سبحانه بمجرى المادة من الغذاء والغذاء ينبت من تراب جاز أن يقول خلقك من تراب (ثم من نطفة ثم سواك رجلا) أي تقلك من حال إلى حال حتى جعلك بشرا سويا معتدل الخلقة والقامة وإنما كفروه بإنكاره المعاد وفي هذا دلالة على ان الشك في البعث والنشور كفر (لكننا هو الله ربنا) تقديره لكن انا أقول هو الله ربنا وخالقي ورازقي فلان اخترت علي بدنياك فلان افتخاري بالتوحيد (ولا اشرك برابي احدا) أي لا اشرك بعبادتي إياه احدا سواء بل أوجهها اليه وحده خالصا وإنما استحال الشرك في العبادة لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم وبالنعمة التي لا يوازنها نعمة منعم وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ثم قال (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله) معناه وقال لصاحبه الكافر هلا حين دخلت بستانك فرأيت تلك الثمار والزرع شكرت الله تعالى وقلت ما شاء الله كان وإني وإن تعبت في جمعه وعمارته فليس ذلك إلا بقدره الله وتيسيره ولو شاء حال بيني وبين ذلك ولترع البركة عنه فإنه لا يقوى أحد على ما في يديه من النعمة إلا بالله ولا يكون له إلا ما شاء الله ثم رجع إلى نفسه فقال (ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فمسي ربنا أن يوتينا خيرا من جنتك) معناه إن كنت تراني اليوم فقيرا أقل منك مالا وعشيرة وأولادا فلعل الله ان يوتيني بستانا خيرا من بستانك في الآخرة او في الدنيا والآخرة (ويرسل عليها حسابانا من السماء) أي ويرسل على جنتك عذابا او نارا من السماء فيحرقها عن ابن عباس وقتادة وقيل يرسل عليها عذاب حسابان وذلك الحسابان حساب ما كسبت يدك من الزجاج وقيل ويرسل عليها مرامي من عذابه اما بردا واما حجارة او غيرها مما يشاء من انواع العذاب (فتصبح صيدا زقا) أي ارضا مستوية لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أرضا من بعد ان كانت أنفع ارض (او يصبح ماؤها غورا) أي غائرا ذاهبا في باطن غامض منقطعاً فيكون ارض اعدم ارض للماء بعد ان كانت أوجد ارض للماء (فلن تستطيع له طلبا) أي فلن تقدر على طلبه إذا غار ولا يبتغي له أثر تطلبه به فلن تستطيع رده قيل

معناه فلن تستطيع طلب غير ذلك الماء بدلا منه إلى هنا انتهى مناظرة صاحبه وانذاره ثم قال سبحانه (وأحيط بشره) معناه اهلك وأحيط العذاب بأشجاره ونجيله فهلكت عن آخرها تقول أحيط ببني فلان إذا هلكوا من آخرهم وأصل الاحاطة ادارة الحائط على الشيء وفي الخبر ان الله عز وجل أرسل عليها نارا فأهلكها وغار ماؤها (فأصبح) هذا الكافر (يقلب كفيه) تأسفا وتحسرا (على ما أنفق فيها) من المال وهو أن يضرب يديه واحدة على الأخرى عن ابن عباس وتقلب الكفين يفعله النادم كثيرا فصار عبارة من الندم (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها وما عرش لكرومها وذلك ان السقف ينهدم أولا ثم ينهدم الحائط على السقف وقيل ان العروش الأبنية ومعناه خالية على بيوتها قد ذهب شجرها وبقيت جدرانها لا خير فيها (ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا) ندم على الكفر لفناء ماله لا لوجوب الإيمان فلم ينفعه ولو ندم على الكفر فأمن بالله تحقيقا لانتفع به وقيل انه ندم على ما كان منه من الشرك بالله تعالى وآمن (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) أي لم يكن لهذا الكافر جماعة يدفون عذاب الله عنه وقيل الفئة الجند قال المصباح « كما يجوز الفئة الكمي » (وما كان منتصرا) أي وما كان ممتنعا عن قتادة قيل معناه وما كان مستردا بدل ما ذهب عنه قال ابن عباس وهذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات في قوله اني كان لي قرين يقول أنتك لمن المصدقين إلى قوله فاطلع فرآه في سراة الجحيم وروى هشام بن سالم وابان بن عثمان عن الصادق (ع) قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله سبحانه حسبنا الله ونعم الوكيل فإني سمعت الله يقول بعقبها فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء وعجبت لمن اغتم كيف لا يفزع إلى قوله لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين فإني سمعت الله سبحانه يقول بعقبها فاستجبنا له ونجينا من النعم وكذلك ننجي المؤمنين وعجبت لمن مكر به كيف لا يفزع إلى قوله وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فإني سمعت الله عز وجل يقول بعقبها فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله ما شاء الله لا قوة إلا بالله فإني سمعت الله يقول بعقبها فعسى ربي أن يوتيخيرا من جنتك وعسى موجبة وقوله (هنالك الولاية لله الحق) اخبر سبحانه ان في ذلك الموضع وفي ذلك الوقت الذي يتنازع فيه الكافر والمؤمن الولاية بالنصرة والاعزاز لله عز وجل فهو الذي يتولى أمر عباده المؤمنين ويملك النصرة لمن أبا. وهما هنالك اشارة إلى يوم القيامة وتقديره الولاية يوم القيامة لله يريد يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ويتبرون مما كانوا يعبدون عن القسبي وقيل معناه هنالك ينصر المؤمنين ويخذل الكافرين فالولاية يومئذ خالصة له لا يملكها احد من العباد (هو خير ثوابا) أي هو افضل ثوابا من يرجمي ثوابا على تقدير لو كان يثيب غيره لكان هو خير ثوابا (وخير عقبا) أي عاقبة طامته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير عقب طاعة ثم حذف المضاف اليه والعقب والعقبى والعاقبة يعني

قوله تعالى (٤٥) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٦) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٧) وَيَوْمَ نُسِطِرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمَّ نُفَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٨) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْمَعْلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٩) وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويوم تُسَيَّر بضم التاء وفتح الياء الجبال رفع والباقون نُسِير بالنون وكسر الياء والجبال نصب

= (الحجة) =

قال ابو علي حجة من بنى الفعل للمفعول به قوله وسَيَّرَت الجبال وقوله وإذا الجبال سيرت ومن قرأ نسير فلأنه اشبه بما بعده من قوله وحشرناهم فلم نقادر منهم احدا

= (اللغة) =

المشيم ما يكسر ويحطم من يبس النبات والذر والتذرية تطير الريح الأشياء الخفيفة في كل جهة يقال ذرته الريح تذروه وذرتته وأذرتته وأذريت الرجل عن الدابة إذا القيته عنها قال الشاعر

فَقُلْتُ لَهُ صَوَّبٌ وَلَا تُجْهِدُهُ فَيَذُرُكَ مِنْ أُخْرَى الْقَطَاةِ فَتَزَلُّوْا (١)

والمنادرة الترك ومنه الغدر لأنه ترك الوفا. ومنه الغدير ترك الماء فيه والاشفاق الخوف من وقوع مكروه مع تجرؤ أن لا يقع وأصله الرقة ومنه الشفق الحمراء الرقيقة التي تكون في السماء وشفقة الانسان على ولده رفته عليه

﴿ الإعراب ﴾

صفا نصب على الحال أي مصفرين . ان لن نجعل ان هذه مخففة من الثقيلة وان نجعل لكم موعدا خبره وقال قد كتبت في المصحف اللام مفصلة ولا وجه له . لاينادر في موضع نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يضرب المثل للدنيا تزهدا فيها وترغيبا في الآخرة فقال (واضرب)
يا محمد (لهم مثل الحياة الدنيا كما اتلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) أي نبت بذلك الماء نبات التفت
بعضه ببعض يروق حسنا وغضاضة وهذا مفسر في سورة يونس (ع) (فأصبح هشيا) أي كسيرا مفتتا (تذروه
الرياح) فتقله من موضع إلى موضع فاققلب الدنيا كاققلب هذا النبات (وكان الله على كل شيء مقتدرا)
أي قادرا لا يجوز عليه المنع قال الحسن أي كان الله مقتدرا على كل شيء قبل كونه قال الزجاج وتأويله ان
ما شاهدتم من قدرته ليس بمحدث وانه كذلك كان لم يزل هذا مذهب سيبيويه وقيل انه اخبار عن الماضي ودلالة
على المستقبل وهذا المثل إما هو للمتكبرين الذين اغترؤا بأموالهم واستكفوا عن مجالسة فقراء المؤمنين اخبرهم
الله سبحانه أن ما كان من الدنيا لا يراد الله سبحانه به فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادة له فهو يروق ماخالطه
ذلك الماء فإذا انقطع عنه عاد هشيا لا ينتفع به ثم قال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) أي يتفاخر بهما ويتزين
بهما في الدنيا ولا ينتفع بهما في الآخرة وإنما سألها زينة لأن في المال جلالا وفي البنين قوة ودفعاً فصار زينة الحياة
الدنيا وكلاهما لا يبقى للانسان فينتفع به في الآخرة (والباقيات الصالحات) وهي الطلعات لله تعالى وجميع
الحسنات لأن ثوابها يبقى ابداً عن ابن عباس وقتادة (خير عند ربك ثوابا وخير املا) أي افضل ثوابا واصدق
املا من المال والبنين وسائر زهرات الدنيا فإن من الامال كواذب وهذا امل لا يكذب لان من عمل الطاعة
وجد ما يأمله عليها من الثواب وقيل ان الباقيات الصالحات هي ما كان يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين
وهو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر عن ابن عباس في رواية عطا ومجاهد وعكرمة وروى انس
ابن مالك عن النبي ﷺ انه قال جلسائه خذوا جنتكم قالوا احذر عدو قال خذوا جنتكم من النار قولوا
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فإزهم المقدمات وهن المجيبات وهن المعقبات وهن الباقيات
الصالحات ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) عن آباءه عن النبي ﷺ ثم قال ولذكر الله اكبر قال ذكر الله

عند ما احل او حرم وروي عن النبي ﷺ انه قيل ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وروى ابو عبد الله ان تجاهدوه فلا تمجروا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فالنهن من الباقيات الصالحات قولها وقيل هي الصلوات الخمس عن ابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق والنخعي وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وروي عنه ايضا ان من الباقيات الصالحات القيام بالليل لصلاة الليل وقيل ان الباقيات الصالحات من البتات الصالحات والاولى حملها على العموم فيدخل فيها جميع الطاعات والخيرات وفي كتاب ابن عقدة أن ابا عبد الله (ع) قال للحسين بن عبد الرحمن يا حسين لا تتصفر مودتنا فالنهن من الباقيات الصالحات قال يا ابن رسول الله ما استصغرها ولكن احمد الله عليها وإنما سميت الطاعات صالحات لأنها اصلح الأعمال للمكلف من حيث امر بها ووعد الثواب عليها وتوعد بالعقاب على تركها (ويوم نسير الجبال) قيل انه يتعلق بما قبله وتقديره والباقيات الصالحات خه ثوابا في هذا اليوم وقيل انه ابتداء كلام وتقديره واذا ذكر يوم نسير الجبال يعني يوم القيامة وتسير الجبال قلمها عن اما كتبها فالنهن الله سبحانه يقلعها ويحطمها هباء منثورا وقيل نسيرها على وجه الأرض كما تسير السحاب في السماء ثم يحطمها كشيئا مهبطا كما قال يوم ترجف الأرض والجبال الآية ثم يصيرها كالغمام المنفوش ثم يصيرها هباء منبثا في الهواء كما قال وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ثم يصيرها بمنزلة السراب كما قال وسيرت الجبال فكانت سرابا (وترى الأرض بارزة) اي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل او بناء او شجر يسترها عن عيون الناظرين وقيل ان معناه وترى باطن الأرض ظاهرا قد برز من كان في بطنها فصاروا على ظهرها عن عطا وتقديره وترى ما في الأرض بارزا فهو مثل قول النبي ﷺ ترمي الأرض بأفلاذ كبدها (وحشرناهم) اي وبعثناهم من قبورهم وجمعناهم في الموقف (فلم نغادر منهم احدا) اي فلم نترك منهم احدا إلا حشرناه (وعرضوا على ربك) يعني المشحورين يعرضون على الله تعالى يوم القيامة (صفا) اي مصفوفين كل زمرة وامة صفا وقيل يعرضون صفا بعد صفا كالصفوف في الصلاة وقيل يعرضون صفا واحدا لا يجذب بعضهم بعضا ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة) معناه لقد جئتمونا ضعفاء فقراء عاجزين في الموضع الذي لا يملك فيه الحكم غيرنا كما كنتم في ابتداء الخلق لا تملكون شيئا وقيل معناه ليس معكم شيء مما اكتسبتموه في الدنيا من الأموال والأولاد والخدم تنتفون به كما كنتم في اول الخلق وروي عن النبي ﷺ انه قال يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاة عراة غرلا فقات عائشة يارسول الله اما يستحي بعضهم من بعض فقال ﷺ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (بل زعمتم ان ان نجعل لكم موعدا) اي ويقال لهم ايضا بل زعمتم في دار الدنيا أن الله لم يجعل لكم موعدا للبعث والجزاء والحساب يوم القيامة (ووضع الكتاب) اي ووضع الكتاب فمن الكتاب اسم جنس والمعنى ووضعت صحائف بني آدم في ايديهم وقيل معناه ووضع الحساب فمبعث عن الحساب بالكتاب لانهم يحاسبون على اعمالهم المكتوبة عن الكلي (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) اي خائفين مما فيه من الاعمال السيئة (ويقولون يا ويلتنا) هذه لفظة يقولها الإنسان إذا وقع في شدة فيدعو على نفسه بالويل والشبر (ما لهذا الكتاب) أي أي شيء لهذا الكتاب (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها) اي لا يترك صغيرة من الذنوب ولا كبيرة إلا عدّها واثبتها وحواسها وقد مر تفسير الصغيرة والكبيرة في سورة النساء واث الصغيرة والكبيرة بمعنى الفعلة والحصلة (ووجدوا ما عملوا حاضرا) اي مكتوبا في الكتاب مثبتا وقيل معناه وجدوا جزاء ما عملوا حاضرا فجعل وجود الجزاء كوجود الأعمال توسما (ولا يظلم ربك احدا) معناه ولا ينقص ربك ثواب محسن ولا يزيد في عقاب مسي وفي هذا دلالة على انه سبحانه لا يماقب الأطفال لأنه إذا كان لا يزيد في عقوبة المذنب فكيف يعاقب من ليس بمذنب

قوله تعالى (٥٠) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ

بَدَلًا (٥١) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ
الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥٠) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ما شهدناهم بالنون على التعظيم والباقرن ما شهدتهم بالطاء وقرأ حمزة ويوم تقول بالنون والباقرن بالياء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ نقول بالنون حمله على ما تقدم في المضي فكما ان كنت للتكلم فكذلك نقول ومن قرأ بالياء فحجته
ان الكلام قد انقضى فالمعنى ويوم يقول الله نادوا شركائي وهذا يقوي القراءة بالياء لانه لو كانت بالنون لكان
الاشبه ان يقول نادوا شركانا

— (اللفظة) —

الفسق الخروج إلى حال تضر يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها

قال روية

يَهْوِينَ فِي نَجْدٍ وَعَوْرًا غَائِرًا فَوَاسِقًا عَن قَصَلِهَا جَوَائِرًا

قال ابو عبيدة هذه التسمية لم نسمها في شيء من اشعار الجاهلية ولا احاديثها وإنما تكلم بها العرب بعد
نزول القرآن وقال المبرد الأمر على ما ذكره ابو عبيدة وهي كلمة فصيحة على السبحة العرب وقال قطرب فسق
عن امر ربه اي عن رد امر ربه كقولهم كسوته عن امرى وأطعته عن جوع والعضد ما بين المرفق إلى الكتف
وفيه خمس اقسام عَضُدٌ وَعَضِدٌ وَعَضْدٌ وَعَضْدٌ وَعَضْدٌ وَعَضْدٌ فَلَانَا أَعْتَهُ وَفَلَانٌ عَضْدِي اسْتِمَارَةٌ وَاعْتَضِدَ بِهِ
اي استعان . قال ثعلب كل شيء حال بين شيئين فهو موبق من يوبق ويوبق وبوقا إذا هلك وحكى الزجاج وبقى
الرجل يوبق وبقا

﴿ الاعراب ﴾

بش للظالمين بدلا اسم بش مضر فبش بقواه بدلا وقوله للظالمين فصل بين بش وبين ما انتصب على التمييز
والتقدير بش البدل للظالمين ذرية ابليس فذرية ابليس هو المخصص بالذم عن ابي علي الفارسي

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ ان يذكر هؤلاء المشركين عن مجالسة الفقراء قصة ابليس وما اورثه الكبر
فقال (وإذ قلنا) اي واذكر يا محمد إذ قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس) قد مر تفسيره فيما
تقدم وإنما تقرر هذا القول في القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج اتصاله به فهو كالمعنى الذي يفيد امرا في مواضع
كثيرة الاخبار عنه باخبار مختلفة وقوله (كان من الجن) من قال ان لبليس لم يكن من الملائكة استدل بهذا
لأن الجن غير الملائكة كما انهم خير الانس ومن قال انه كان من الملائكة قال ان المعنى كان من الذين يستترون
من الابصار مأخوذ من الجن وهو السمير وقيل كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن كانوا خزان الجنان فأضيقوا
اليها كقولك كوفي وبصري وضعف الألوان هذين الوجهين لأن لفظ الجن إذا اطلق فالمفهوم منه هذا الجنس
المعروف لا الملائكة (فسق من امر ربه) اي خرج عن طاعة ربه ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال (افتخذونه
وذريته اولياء من دوالي وهم لكم عدو) معناه افتخبروا امر ابليس وامر ذريته وتتخذونهم اولياء تتولونهم

بالطاعة من دوني وهم جسيما أعداء لكم والعاقل حقيق بأن يتهم عدوه على نفسه وهذا استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ قال مجاهد ذريته الشياطين وقال الحسن الجن من ذريته (بش للظالمين بدلا) تقديره بش البدل للظالمين بدلا ومعناه بش ما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس عن الحسن وقيل بش البدل طاعة الشيطان عن طاعة الرحمن عن قتادة (ما شهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) أي ما حضرت إبليس وذريته خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم مستمينا بهم على ذلك ولا استنحت ببعضهم على خلق بعض وهذا اخبار عن كمال قدرته واستغنائته عن الأنصار والاعوان وبدل عليه قوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أي الشياطين الذين يضلون الناس امرانا يعضدونني عليه وكثيرا ما يستعمل العضد بمعنى العون وإنما وحدته هنا لوفاق القواصل وقيل أن معنى الآية انكم اتبعتم الشيطان كما يتبع من يكون عنده علم لا ينال إلا من جهته وانا ما اطلعتهم على خلق السموات والأرض ولا على خلق أنفسهم ولم اعطهم العلم بانه كيف تخلق الاشياء فمن اين تتبعونهم وقيل معناه ما حضرت مشركي العرب وهؤلاء الكفار خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم اي وما حضرت بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقتهم فمن اين قالوا ان الملائكة بنات الله ومن اين ادعوا ذلك (ويوم يقول) يريد يوم القيامة يقول الله للمشركين وعبدة الأصنام (نادوا شركائي الذين زعمتم) في الدنيا انهم شركائي ليدفعوا عنكم العذاب (فدعوهم) يعني المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله (فلم يستجيبوا لهم) أي فلا يستجيبون لهم ولا ينفعونهم شيئا (وجعلنا بينهم) أي بين المؤمنين والكافرين (موبقا) وهو اسم واد عميق فرق الله به سبحانه بين اهل الهدى وأهل الضلالة عن مجاهد وقاتدة وقيل بين المبرودين وعبدتهم موبقا أي حاجزا عن ابن الأعرابي أي فادخلنا من كانوا يزعمون أنهم مبرودهم مثل الملائكة والمسيح الجنة وادخلنا الكفار النار وقيل معناه جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقا أي مهلكا لهم في الآخرة عن الفراء وروي ذلك عن قتادة وابن عباس فالبين على هذا القول معناه التواصل والمعنى ان تواصلهم وتوادهم في الكفر صار سبب هلاكهم في الآخرة وقيل موبقا عداوة عن الحسن فكانه قال عداوة مهلكة وروي عن انس ابن مالك انه قال المربق واد في جهنم من قبيح ودم

النظم

وجه اتصال قوله ما شهدتهم خلق السموات والأرض بما قبله انه يتصل اتصال الحجة التي تكشف حيرة الشبهة لانه بمنزلة ان يقال انكم قد اقبلتم على اتباع إبليس وذريته وتركتم امر الله تعالى مع كثرة الحجج ولو شهدتم خلق السموات والأرض لم يزيدوا على ما فعلتم من اتباعهم وقيل انه سبحانه بين بذلك انه المتفرد بالخلق والاختراع لا شريك له فيه فلا ينبغي ان تشركوا معه في العبادة غيره او تدعوا غيره إلها

- قوله تعالى (٥٣) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا
 (٥٤) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا
 (٥٥) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا
 (٥٦) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآبَائِهِمْ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوعًا (أربع آيات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة قبلابضتين والباقرن قبلاً

* الحجة *

قد ذكرنا الوجه في سورة الأنعام (١)

* اللغة *

المواقفة ملايسة الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب وواقع به ايقاعا والتوقع الترتب لوقوع الشيء والمصرف المعدل قال ابو كثير

أَزْهَبَ هَلْ عَنِ شَيْءٍ مِنْ مَصْرَفٍ أَمْ لَا خُلُودٍ لِبِأَذْلِ مُتَكَلِّفٍ

والتصريف تنقيح المعنى في الجهات المختلفة والادحاض الازهاب بالشيء إلى الهلاك ومكان دحض اي مزلق
مزل لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم قال « وَحَادَ كَمَا حَادَ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ » (٢)
= (الاعراب) =

أن يؤمنوا في موضع نصب والمعنى ما منع الناس من الايمان إلا طلب أن يأتيهم فيكون ان يأتيهم في موضع
رفع وما انذروا في موضع نصب عطفا على آياتي وهزوا هو المفعول الثاني لا تحذوا
= (المعنى) =

ثم بين سبحانه حال المجرمين فقال (ورأى المجرمون النار) يعني المشركين رأوا النار وهي تتلظى حنقا عليهم
عن ابن عباس وقيل هو عام في اصحاب الكبائر (فظنوا انهم موقعوها) اي علموا انهم داخلون فيها واقعون في
عذابها (ولم يجدوا عنها مصرفا) اي معدلا ومرضا ينصرفون اليه ليتخلصوا منها (ولقد صرفنا) اي بينا (في هذا
القرآن للناس من كل مثل) وتصريفها ترديد ما من نوع واحد وانواع مختلفة ليتفكروا فيها وقد مر تفسيره
في بني اسرائيل (وكان الانسان اكثر شيا جدلا) يريد بالانسان النضر بن الحارث عن ابن عباس ويريد اي بن
خلف عن الكلبي وقال الزجاج معناه وكان الكافر يدل عليه قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل (وما منع
الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم) معناه ما منعهم من الايمان بعد مجيء الدلالة ومن ان
يستغفروا ربهم على ما سبق من معاصيهم (إلا ان تأتيهم سنة الأولين) اي الا طلب ان تأتيهم العادة في الأولين
من عذاب الاستتصال حيث آتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حين امنوا من قبول الهدى والايمان (او يأتيهم
العذاب قبلا) او طلب ان يأتيهم العذاب عيانا مقابلة من حيث يرونه وتأويله انهم بامتناعهم من الايمان بمزلة
من يطلب هذا حتى يؤمنوا كرها لا أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وهذا كما يقول القائل لغيره ما منعك
ان تقبل قولي إلا ان تضرب على ان المشركين قد طلبوا مثل ذلك فقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم ومن قرأ قبلا فهو في معنى الأول ويجوز أن يكون ايضا جمع
قبيل وهو الجماعة أي يأتيهم العذاب ضروبا من كل جهة ثم بين سبحانه انه قد ازاح العلة واطهر الحجة وأوضح
المحجة فقال (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) اي لم نرسل الرسل إلى الخلق إلا مبشرين لهم بالجنة إذا
أطاعوا او مخوفين لهم بالنار إذا عصوا (ويجادل الذين كفروا بالباطل) اي وينظر الكفار دفعا عن مذاهبهم
بالباطل (ليدحضوا به الحق) اي ليزيلوا الحق عن قراره قال ابن عباس يريد المستهزئين والمقسمين واتباعهم
وجداهم بالباطل انهم الزموا أن يأتي بالآيات على احوالهم على ما كانوا يفترونه ليطلوا به ما جاء به محمد ﷺ
يقال ادحضت حجته أي ابطلتها (واتخذوا آياتي) يعني القرآن (وما انذروا) اي ما تحذروا به من البعث والنار
(هزوا) مهزوا به استهزؤوا به

قوله تعالى (٥٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ

(١) راجع ج ٢ : ٣٥٠ من هذه الطبعة . (٢) هذا عجز بيت قاله طرفة وقبله «ردت ونجى اليشكري حذاره»

يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٨) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلْ لَكُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَكُمْ مَوْعِدٌ أَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا (٥٩) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ حفص عن عاصم لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام وكذلك في النمل وما شهدنا مهلك وقرأ حماد ويحيى عن أبي بكر بفتح الميم واللام وقرأ الأعشى والبرجمي عنه هاهنا باضم وهناك بالفتح وقرأ الباقون لمهلكهم ومهلك بضم الميم وفتح اللام

✽ اللمحة ✽

من قرأ لمهلكهم فإن المهلك يجوز أن يكون مصدراً ويجوز أن يكون وقتاً فيكون معناه لاهلاكهم أو لوقت اهلاكهم ومن قرأ لمهلكهم فالمراد لوقت هلاكهم ومن قرأ بفتح الميم واللام فهو مصدر مثل الهلاك وقد حكى ابن تيمية يقول هلكني زيد وعلى هذا حمل بعضهم قوله «وَمَهْلِكُ هَالِكٍ مَنْ تَمَرَّجًا» فقال هو بمعنى مهلك فيكون هالك مضافاً إلى المفعول به وإذا لم يكن بمعنى مهلك يكون هالك مضافاً إلى الفاعل مثل حسن الوجه وكذلك قوله لمهلكهم على قراءة حفص أو لمهلكهم بفتح اللام والميم فإنه مصدر فعلى قول من عدى هلكت يكون مضافاً إلى المفعول به وعلى قول من لم يمدّه يكون مضافاً إلى الفاعل

✽ الإعراب ✽

تلك القرى تلك رفع بالابتداء والقرى صفة لها مبينة لها وأهلكناهم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ ويجوز أن يكون موضع تلك القرى نصباً بفعل مضر يكون أهلكناهم مفسراً لذلك الفعل وتقديره وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم

✽ المعنى ✽

ثم قال سبحانه (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) معناه ليس أحد أظلم لنفسه ممن ذكر أي وعظ بالقرآن وآياته ونبيه على أدلة التوحيد فأعرض عنها جانباً (ونسي ما قدمت يداه) أي نسي المعاصي التي استحق بها العقاب وقيل معناه تذكر واشتغل عنه استخفافاً به وقلة معرفته بماقته لأنه نسي ذلك ثم قال سبحانه (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) وهي جمع كنة (أن يفقهوه) أي كراهة أن يفقهوه أو لتلا يفقهوه (وفي آذانهم وقراً) أي ثقلاً وقد تقدم بيان هذا فيما مضى وجعلته أنه على التمثيل كما قال في موضع آخر (وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً) فالغنى كأن على قلوبهم أكنة أن يفقهه وفي آذانهم وقراً أن يسمع (وان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) أخبر سبحانه أنهم لا يؤمنون أبداً وقد خرج مخبره موافقاً لخبره فاتوا على كفرهم (وربك الغفور ذو الرحمة) معناه وربك الساتر على عباده الغافر الذنوب المؤمنين ذر النعمة والافضال على خلقه وقيل الغفور الثائب ذو الرحمة للمصير بأن يهمل ولا يعجل وقيل الغفور لا يؤاخذهم عاجلاً ذو الرحمة يؤخرهم ليتوبوا (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد) وهو يوم القيامة والبعث (لن يجدوا من دونه موثلاً) أي ملجأ عن ابن عباس وقسادة وقيل محرزا عن مجاهد وقيل منجا ينجيهم عن أبي عبيد قال يقال لا رأيت نفسه أي لا تجت قال الأعشى

(١) هذا صدر بيت قاله المجاج وبمده «هائلة أهواله من أدلجاء» والمهمة: البفازة البعيدة. وحكى عن الأصمعي في قوله هالك من تمرجاي هالك المترجمين ان لم يهذبوا في السير أي من تعرض فيه هلك.

وَقَدْ أَخَالَسَ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتَهُ وَقَدْ يَخَافُ مِنِّْي ثُمَّ لَا يَثَلُّ

وقال الآخر

لَا وَأَلَّتْ نَفْسَكَ خَلِيَّتَهَا لِلْعَامِرِيِّينَ وَلَمْ تُكَلِّمْ (١)

(وتلك القرى) إشارة إلى قرى عاد وثمود وغيرهم (اهلكتناهم لما ظلموا) بتكذيب انبياء الله وجود آياته (وجعلنا لمهلكهم) أي وجعلنا الوقت لإهلاكهم اولوقت هلاكهم (موردا) معلوما يهلكون فيه لمصلحة اقتضت تأخيرها اليه وإنما قال سبحانه تلك القرى ثم قال اهلكناهم ولم يقل اهلكناها لأن القرية هي المسكن نحو المدينة والبلدة وهي لا تستحق الهلاك وإنما يستحق الهلاك اهلها ولذلك قال لما ظلموا ايضي أهل القرية الذين اهلكناهم

قوله تعالى (٦٠) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦١) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦٢) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ إِنَّا كُنَّا نَسُوا حُوتَهُمْ فَاتَّخَذْنَا لَهُمْ سَبِيلًا مِمَّا نَشَاءُ بِالْأَعْيُنِ وَأَنْتَ كَاشِفُ الْعَيْنِ وَإِنَّهُمْ لَحِقُوا الصَّخْرَةَ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٤) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (خمس آيات)

القراءة

قرأ حضم وما انسانيه بضم الهاء وفي الفتح بما عاهد عليه الله بضم الهاء والباقون بكسر الهاء من غير بلوغ الياء إلا ابن كثير فإنه يشب الياء في التوصل وقد تقدم القول في وجه ذلك

اللمة

لا ابرح اي لا ازال ولو كان معناه لا ازول كان محالاً لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع ارضاً قال الشاعر
وَأَبْرَحُ مَا أَدَامَ اللَّهُ قَوْمِي رَخِي الْبَالُ مُنْتَقِطًا مُجِيدًا (٢)

أي لا ازال والحقب الدهر والزمان وجهه احقاب قال الزجاج والحقب ثمانون سنة والسرب الملك والمذهب ومعناه في اللغة المحفور في الارض لا نفاذ له ويقال للذاهب في الارض سارب قال الشاعر

أَنْتِ سَرَبٌ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبٍ وَقَرَّبُ الْأَحْلَامِ غَيْرُ قَرِيبٍ (٣)

والنصب والوصب والتمب نظائر وهو الوهن الذي يكون على الكبد

الاعراب

سرباً منصوب على وجهين أحدهما ان يكون مفعولاً ثانياً لاتخذ كما يقال اتخذت طريقى مكان كذا واتخذت طريقى في السرب والاخر ان يكون مصدر ايديل عليه اتخذ سبيله في البحر فكانه قال فسر السرب سرباً وقوله ان اذكروه في موضع نصب بدل من الهاء في انسانيه والمعنى وما انساني ان اذكروه إلا الشيطان وعجبا منصوب على وجهين أحدهما ان يكون على قول يوشع اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا والاخر ان يكون قال يوشع واتخذ سبيله في البحر فأجابه موسى (ع) فقال عجبا فكانه قال اعجب عجبا وقصصا مصدر وضع موضع الحال تقديره يقصان الاثر قصصا والقصص اتباع الأثر وقال أحد المحققين عجبا في موضع حال تقديره قال ذلك متعجبا وقصصا مصدر لعل مضمير يدل عليه قوله فارتدا على آثارهما فإن معناه فاقصصا الأثر

(١) كلمه كذا : جرحه . (٢) قائله خدش بن زهير وفي رواية الاشعوني «بعد الله منتطقاً . اهـ» منتطقاً اي لا يزال يجنب فرسه الجوار من قولهم جاء فلان منتطقاً فرسه : اذجنبه ولم يركبه وقيل : اراد انه لا يزال ينطق القول الصواب المستجاد في التناء على . (٣) قائله قيس بن الحطيم وروى «سريت» بالياء وعليه فمعناه كيف سريت ليلاً وأنت لا تسرين نهاراً

* النزول *

ذكر علي بن ابراهيم في تفسيره قال لما اخبر رسول الله ﷺ قريشا بخبر اصحاب الكهف قالوا اخبرنا عن العالم الذي امر الله موسى (ع) ان يتبعه من هو كيف تبعه وما قصته فانزل الله تعالى

* المعنى *

(وإذ قال موسى لفتاه) اكثر المفسرين على انه موسى بن عمران وفتاه يوشع بن نون وسماه فتاه لأنه صحبه ولازمه سفرا وحضرا للتعلم منه وقيل لأنه كان يخدمه ولهذا قال له آتنا غداءنا وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقال محمد بن اسحاق يقول اهل الكتاب ان موسى الذي طلب الخضر هو موسى ابن ميثا بن يوسف وكان نبيا في بني اسرائيل قبل موسى بن عمران إلا ان الذي عليه الجمهور انه موسى بن عمران ولان اطلاقه يوجب صرفه الى موسى بن عمران كما ان اطلاق محمد ﷺ ينصرف إلى نبينا ﷺ قال علي ابن ابراهيم حدثني محمد بن علي بن بلال قال اختلف يونس وهشام بن ابراهيم في العالم الذي آتاه موسى أيها كان اعلم وهل يجوز أن يكون على موسى حجة في وقته وهو حجة الله على خلقه فكتبوا إلى ابي الحسن الرضا (ع) يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب اتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر فسلم عليه موسى فانكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام قال من انت قال انا موسى بن عمران قال انت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما قال نعم قال فما جاجتك قال جئت لتعلمني مما علمت رشدا قال اني وكت بأمس لا تطيقه ووكلت بأمس لا اطيقه اغيبر بطوله (لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين) معناه لا ازال امضي وامشي ولا اسلك طريقا آخر حتى ابلغ ملتقى البحرين ببحر فارس وبحر الروم وبما يلي المغرب ببحر الروم وبما يلي المشرق ببحر فارس عن قتادة وقال محمد بن كعب هو طنجة وروي عنه افريقيه وكان وعد ان يلقي عنده الخضر (أو أمضي حقا) اي دهرًا عن ابن عباس وقيل سبعين سنة عن مجاهد وقيل ثمانين سنة عن عبد الله بن عمر (فلما بلغنا مجمع بينهما) اي فلما بلغ الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين (نسيانا حوتهما) اي تركاه وقيل انه ضل الحوت عنهما حين اتخذ سبيله في البحر سرىا فسمي ضلاله عنهما نسيانا منهما له وقيل انه من النسيان والناسي له كان احدهما وهو يوشع فأضيف النسيان اليها كما يقال نسي القوم زادم إذا نسيه متعمدا امرهم وقيل ان النسيان وجد منهما جميعا فإن يوشع نسي أن يحمل الحوت او ان يذكر موسى ما قد رأى من امره ونسي موسى أن يأمره فيه بشي فصار كل واحد منهما ناسيا لغيره مانسيه الآخر وقوله (فاتخذ سبيله في البحر سرىا) اي فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا يذهب فيه وذلك ان موسى وفتاه تزودا حوتًا ملحوحًا عن ابن عباس وقيل حوتًا طريقًا عن الحسن ثم انطلقا يمسيان على شاطي البحر حتى اتعيا إلى صخرة على ساحل البحر فاوبا اليها وعنده عين ماء تسمى عين الحياة فجلس يوشع بن نون وتوضأ من تلك العين فاتضح على الحوت شي من ذلك الماء فعاش ووثب في الماء وجعل يضرب يذنبه الماء فكان لا يسلك طريقا في البحر إلا صار ماء جامدا فذلك معنى قوله فاتخذ سبيله في البحر سرىا (فلما جاوزا) ذلك المكان قال موسى (لفتاه آتنا غداءنا) قيل انهما انطلقا بقية يومهما وليتهما فلما كان من الغد قال موسى ليوشع آتنا غداءنا اي اعطنا ما نتفدى به والغداء طعام الغداة والعشاء طعام العشي والانسان إلى الغداء اشد حاجة منه إلى العشاء (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) اي تعابو شدة قالوا ان الله تعالى التي على موسى الجوع ليتذكر حديث الحوت (قال) له يوشع عند ذلك (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت) ومعناه ان يوشع تذكر قصة الحوت لما دعا موسى بالطعام ليأكل فقال له أرأيت حين رجعنا إلى الصخرة ونزلنا هناك فإني تركت الحوت وفقدته وقيل نسيت ونسيت حديثه وقيل فيه اضمار اي نسيت ان اذكر لك امر الحوت ثم اعتذ فقال (وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره) وذلك انه لو ذكر لموسى (ع)

قصة الحوت عند الصخرة لما جاوزها موسى ولما ناله النصب الذي اشكاه ولم يلق في سفره النصب إلا يومئذ (واتخذ سبيله في البحر عجبا) أي سبيلا عجبا وهو ان الماء انجذب عنه وبقي كالكرة لم يلتصق وقيل ان كلام يوشع قد اقتطع عند قوله واتخذ سبيله في البحر فقال موسى عند ذلك عجبا كيف كان ذلك وقيل ان معناه واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا عن ابن عباس والمعنى دخل موسى الكرة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر (قال ذلك ما كنا نبغ) قال موسى «ع» ذلك ما كنا نطلب من العلامة (فارتدا على آثارهما) أي رجعا وعاذا عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاء به بقصان آثارهما (قصصا) أي ويتبعانها ويوشع امام موسى «ع» حتى انتهيا إلى مدخل الحوت

❖ القصة ❖

سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال اخبرني أبي ابن كعب قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس اعلم قال انا فغضب الله عليه إذا لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه ان لي عبدا يجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه ففناه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فتابا واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربرا وامسك الله عن الحوت جربة الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومها وليتها حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر الله تعالى به فقال فتاه أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة الآية قال وكان الحوت سربرا ولموسى وفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغ الآية قال رجما بقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فوجدنا رجلا مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه وانت على علم من علم الله علمك لا أعلمه انا فقال له موسى مستجديني إن شاء الله صابرا ولا اعصي لك أمرا فقال له الخضر فإنت اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمسيان على ساحل البحر فمرت سفينة وكلمهم أن يحملوهم فحملوا الخضر فحملوه بنير قول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدم فقال له موسى قوم قد حملونا بنير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتفرق أهلها لقد جئت شيئا امرا قال ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذنهما نسبتي ولا تهزقني من امري عسرا قال وقال رسول الله ﷺ كانت الأولى من موسى «ع» نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر فقرة فقال له الخضر ما علمني وعلمك من علم الله إلا مثل ما قص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فيينا هما يمسيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فأقلعه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بنير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الأولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني إلى قوله يريد أن ينقض كان ماثلا فقال الخضر «ع» بيده فأقامه فقال موسى «ع» قوم قد أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله ﷺ وددنا ان موسى كان صبرا حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبيرة كان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وروى اصحابنا عن ابي عبد الله «ع» ايضا انه كان يقرأ كل سفينة صالحة غصبا وروى ذلك ايضا عن ابي جعفر قال وهي قراءة امير المؤمنين «ع»

(١) المكمل : الزنبيل يجعل فيه التمر وغيره (٢) القدم : آلة النجر والنحت .

قوله تعالى (٦٥) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا
 (٦٦) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (٦٧) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
 صَبْرًا (٦٨) وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا (٦٩) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا
 وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٧٠) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُخْبِرَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
 (٧١) فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا
 (٧٢) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٣) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي
 مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٤) فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ
 لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا (٧٥) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (احدى عشرة آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو ويعقوب رُشدا بالفتح والباقون رُشدا بضم الراء وسكون الشين وقرأ فلا تسألني مشددة النون
 بدني شامي والباقون خفيفة النون ولم يخالفوا في إثبات الياء فيه وصلادوقها لانها مثبتة في جميع المصاحف وقرأ
 ليغرق بفتح الياء والراء اهلهما بالرفع كوفي غير عاصم والباقون لتغرق بضم التاء اهلهما بالنصب وقرأ زكية بغير
 الف كوفي وشامي وسهل والباقون زاكية وقرأ نكرا بضمين مدني غير اسماعيل وابو بكر ويعقوب وسهل وابن
 ذكوان والباقون نكرا ساكنة الكاف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الرشد والرشد لقتان وقد اجري العرب كل واحد منها مجرى الآخر فقالوا اسد واسد وخشب
 وخشب فجمعوا فعلا على فعل ثم فعلا ايضا على فعل وذلك قوله والفلك التي تجري في البحر وفي آية اخرى في
 الفلك المشحون فهذا يدل على انهم اجروها مجرى واحد ومن قرأ فلا تسألني بالتشديد فإنه لما ادخل النون الثقيلة
 بني الفعل مصابا على الفتح قال والقراءة بالتاء في لتغرق اولي ليكون الفعل مستندا إلى المخاطب كما كان المعطوف
 عليه كذلك وهو اخرقتها وهذا يأتي في معنى الياء ايضا لأنهم إذا اغرقهم غرقوا وقوله نكرا فعل وهو من امثلة
 الصفات قالوا ناقة أجد ومشية سحج فمن خفف ذلك كما يخفف نحو العنق والطنب والشغل فالتخفيف فيه مستمر

﴿ اللفظة ﴾

الإمر الداهية العظيمة قال الشاعر

لَقَدْ لَقِيَ الْأَقْرَابُ مِنِّي نَكْرًا دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِذَا إِمْرًا ﴿١﴾

وهو مأخوذ من الامر لأنه الفاسد الذي يحتاج أن يوتر بترصه إلى الصلاح ومنه رجل إمر إذا كان
 ضعيف الرأي لأنه يحتاج ان يوتر حتى يقوى زا به ومنه أمير القوم اي كثروا ومعناه احتاجوا إلى من يأمرهم
 وينهاهم ومنه الأمر من الأمور اي الشيء الذي من شأنه ان يوتر فيه

﴿ الالهراب ﴾

قوله رُشدا يجوز ان ينصب على انه مفعول له ويكون المعنى هل اتبعك للرشد او لطلب الرشد على ان تعلمني فيكون
 وعلى ان تعلمني حالا من قوله اتبعك ويجوز ان يكون قوله رُشدا مفعولا به وتقديره اتبعك على ان تعلمني رُشدا بما

علمته ويكون العلم الذي يتعدى إلى مفعول واحد فيتعدى بتضمين العين إلى مفعولين والمعنى على ان تعلمني امرا ذا رشد وعلما ذا رشد او خيرا نصب على المصدر والمعنى لم يخبره خيرا

✽ المعنى ✽

(فوجدا عبدا من عبادنا) اي صادف موسى وفناه وادر كما عبداً من عبادنا قائماً على الصخرة بصلي وهو الخضر «ع» واسمه بلياً بن ملكان وإنما سمي خضراً لأنه إذا صلى في مكان اخضر ما حوله وروي مرفوعاً انه قد علم على فروة يضاء فاهتزت تحته خضراء وقيل انه رآه على طنفسة خضراء فسلم عليه فقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال له موسى وما ادراك من انا ومن اخبرك اني نبي قال من ذلك علي واختلف في هذا العبد فقال بعضهم انه كان ملكاً امر الله تعالى موسى ان يأخذ عنه ما حمله اياه من علم بواطن الأشياء وقال الا كثرون انه كان من البشر ثم اختلفوا فقال الجبائي وغيره انه كان نبياً لأنه لا يجوز ان يبيع النبي من ليس بنبي ليتعلم منه العلم لما في ذلك من الغشاضة على النبي وكان ابن الاخشيد يجوز ان لا يكون نبياً ويكون عبداً صالحاً اودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره وهذا ليس بالوجه ومتى قيل كيف يكون نبي اعلم من موسى في وقته قلنا يجوز ان يكون الخضر خصاً بعلم ما لا يتعلق بالاداء فاستعلم موسى من جهته ذلك العلم فقط وإن كان موسى اعلم منه في العلوم التي يوثقها من قبل الله تعالى (آتيناها رحمة من عندنا) يعني النبوة وقيل طول الحياة (وعلمناه من لدنا علماً) اي علماً من علم الغيب عن ابن عباس وقال الصادق (ع) كان عنده علم لم يكتب لموسى (ع) في الألواح وكان موسى يظن ان جميع الأشياء التي يحتاج اليها في تابوته وان جميع العلم قد كتب له في الألواح (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشداً) اي علماً ذا رشد قال قتادة لو كان احد مكتفياً من العلم لا كنتي نجسي الله موسى ولكن قال هل اتبعك الآية عظيمة «ع» بهذا القول غاية التعظيم حيث أضاف العلم اليه ورضي باتباعه وخاطبه بمثل هذا الخطاب والرشد العلوم الدينية التي ترشد إلى الحق وقيل هو علوم اللطاف الدينية التي تخفى على الناس (قال) العالم (انك لن تستطيع معي صبرا) أي يتقرب عليك الصبر ولا يخف عليك ولم يرد انه لا يقدر على الصبر وإنما قال ذلك لأن موسى «ع» كان يأخذ الأمور على ظواهرها والخضر كان يحكم بما اعلمه الله من بواطنها فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك ثم قال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً) أي كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكروا وانت لم تعرف باطنه ولم تعلم حقيقته والخبر العلم وفي هذا دلالة على انه لم يرد بقوله لن تستطيع معي صبراً نفي الاستطاعة للصبر لأنه لو أراد ذلك لكان لا يستطيع الصبر سواء علم او لم يعلم (قال) موسى (ستجدني إن شاء الله صابراً) أي اصبر على ما أرى منك (ولا أعصي لك امراً) تأمرني به ولا أخالفك فيه قال الزجاج وفيما فعله موسى «ع» وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم والرحلة فيه ما يدل على انه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وانه يجب أن يتواضع لمن هو اعلم منه وإنما قيده (ع) صبره بمشئته الله لأنه اخبر به على ظاهر الحال فجوز ان لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه فقال إن شاء الله ليخرج بذلك من أن يكون كاذباً (قال) الخضر له (فإن اتبعني) واقتضيت أثري (فلا تستلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً) اي لا تسألني عن شيء افعله مما تنكروه ولا تعلم باطنه حتى اكون انا الذي افسره لك (فانطلقا) يميشان على شاطئ البحر (حتى اذاركبا في السفينة خرقها) ومعناه انها أرادا أن يعبرا في البحر إلى ارض أخرى فاتيا معبراً عرف صاحب السفينة الخضر (ع) فحملها فلما ركبا في السفينة خرق الخضر (ع) السفينة أي شقها حتى دخلها الماء وقيل انه قلع لوحين مما يلي الماء فحشاهما موسى (ع) بثوبه (قال) منكراً عليه (أخرقتها لتفرق أهلها) ولم يقل لتفرق وإن كان في غرقها غرق جميعهم لأنه أشفق على القوم أكثر من اشفاقه على نفسه جرباً على عادة الأنبياء ثم قال بعد انكاره ذلك (لقد جئت شيناً امراً) اي منكراً عظيماً يقال امر

الامر امرا إذا كبر والإمر الاسم منه (فقال) له الخضر (ألم أقل) لك (انك لن تستطيع معي صبرا) أي ألم أقل حين رغبت في اتباعي ان قسك لا تطاوعك على الصبر معي فتذكر موسى ما بذل له من الشرط ثم (قال) معذرا مستقبلا (لا تؤاخذني بما نسيت) أي غفلت من التسليم لك وترك الانكار عليك وهو من النسيان الذي هو ضد الذاكرة وروي عن أبي بن كعب قال انه لم ينس ولكنه من معاريف الكلام وقيل بما تركت من وصيتك وعهدك عن ابن عباس وعلى هذا فيكون من النسيان بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة والسهو (ولا ترهقني من امري عسرا) أي لا تكلفني مشقة تقول ارهقته عسرا إذا كلفته ذلك والمعنى عاملني باليسر ولا تعاملني باليسر ولا تضيق علي الأمر في صحبتي إياك (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) ومعناه فخرجا من البحر وانطلقا يمشيان في البر يعني موسى والخضر ولم يذكر يوشع لأنه كان تابعا لموسى او كان قد تأخر عنها وهو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر (ع) في البحر فلحقيا غلاما يلعب مع الصبيان فذبحه بالسكين عن سعيد بن جبير وكان من احسن أولئك الغلمان واصبحهم وقيل صرعه ثم زرع رأسه من جسده وقيل ضربه برجله فقتله وقال الأصبم كان شابا بالغا لأن غير البالغ لا يستحق القتل وقد يسمى الرجل غلاما قالت ليلي الاخيلية

شفاها من الداء العضال الذي بها
غلام إذا هز القناة سقاها (١)

(قال أنفك نفسا زكية) أي طاهرة من الذنوب وزكية يورثة من الذنوب وقيل الزاكية التي لم تذب والزكية التي أذنت ثم ثابت حكي ذلك عن أبي عمرو بن العلاء وقيل الزكية أشد مبالغة من الزاكية عن تغلب وقيل الزاكية في البدن والزكية في الدين (بغير نفس) أي بغير قتل نفس يريد القود (لقد جئت شيئا نكرا) أي قطعيا منكرا لا يعرف في شرع والمنكر اشد من الأمر عن قتادة وإنما قال ذلك لأن قلبه صار كالمغلوب عليه حين رأى قتله (قال) العالم (ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) أعاد هذا القول لتأكيد الأمر عليه والتحقيق لما قاله أولا مع النهي عن العود بمثل سؤاله

قوله تعالى (٧٦) قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا (٧٧) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها حديرا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لآخذت عليه أجرا (٧٨) قال هذا فراق بني وبينك ما نسيتك يتأويل ما لم نستطيع عليه صبرا (٧٩) أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (٨٠) وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا (٨١) فأردنا أن يدهما بهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما (٨٢) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم نستطيع عليه صبرا (سبع آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ يعقوب برواية روح وزيد فلا تصحني والباقون فلا تصاحبني وقرأ أهل المدينة وأبو بكر عن عاصم من لدني خيفة النون والباقون لدني بالشديد وقرأ ابن كثير واهل البصرة لتأخذت بكسر الخاء مخففة وابن كثير

يظهر منه الذال والباقون لَتَحَدَّتْ وعاصم يظهر الذال والآخرون يدغمون وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو أن يبدلها بفتح الباء وتشديد الدال وكذلك في التحريم أن يبدله وفي القلم أن يبدلنا والباقون بسكون الباء وتخفيف الدال وقرأ رُحْمًا بضم الحاء أبو جعفر وابن عامر وعاصم وعباس وبعقوب وسهل والباقون بسكون الحاء وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ جدارا يريد أن ينقض بضم الياء وقراءة علي بن أبي طالب (ع) وعكرمة ويحيى بن يعمر بنقاص بصاد غير معجمة وبالألف وقراءة عبد الله والأعمش يريد لينقض

✽ الحجة ✽

من قرأ فلا تصحبي فعناه لا تكونن صاحبي ومن قرأ فلا تصاحبني فعناه إن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وأما قوله من لدني فإن الوجود تشديد النون لأن أصل لدن الاسكان فإذا اضمتهما إلى قسك زدت نونا لتسلم سكون النون الأولى تقول من لدن زيد ومن لدني كما تقول عن زيد وعني ومن قرأ لدني لم يعجز له أن يقول عني لأن لدن اسم غير متمكن ومن وعن حرفان جاء المعنى ولدن مع ذلك أثقل من من وعن والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدني في معنى حسي ويجوز قدني قال «قدني من نصر الخبيبين قدني» فجاء بالفتن وقال أبو زيد اتخذنا مالا نتخذة اتخذنا وقال أبو علي وجه الادغام ان هذه الحروف متقاربة فيدغم بعضها في بعض كما يدغم سائر المتقاربة فالطاء والذال والفاء يدغم بعضها في بعض للمقاربة فأما الصاد والسين والزاء فيدغم بعضها في بعض ويدغم فيها الحروف الستة ولا بدغم في الستة لما يختل من ادغامها في مقاربتها من الصغير وأما قوله ان يبدلها فإن ابدل وبدل متقاربان في المعنى كما ان انزل ونزل كذلك وأما قوله رُحْمًا فإن الرُحْمَ والرُحْمَ هاهنا الرحمة قال رؤبة

يَا مَنْزِلَ الرَّحْمِ عَلَى إِدْرِيسٍ وَمَنْزِلَ اللَّعْنِ عَلَى إِبْلِيسِ

قال ابن جني قوله يريدان ينقض معناه قد قاربوا شارف ذلك فهو عائد إلى معنى يكاد وقد جاء ذلك عنهم وانشد أبو الحسن

كَادَتْ وَكَدَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى

وحسن هنا لفظ الارادة لأنه اقوى في وقوع الفعل وذلك انهادعية الى وقوعه وهي ايضا لاتصح الامع الحياة ولا يصح الفعل الا لذي الحياة وليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر ما لا حياة له نحو ميل الحائط واشراق ضوء القمر وينقاص اي ينكسر يقال قصته فانقاص قال

فِرَاقٌ كَقَيْصِ السِّنِّ فَالْصَّبْرُ إِنَّهُ لِكُلِّ أَنَاثٍ كَسْرَةٌ وَجِبُورٌ (٣)

وقالوا ايضا قصته فانقاص بصاد معجمة يعني هدمته فانهدم قال «كَانَتْهَا هَدْمٌ فِي الْجَفْرِ مَنَقَاضٌ» وقراءة العامة بنقض يحتمل امرين أحدهما ان يكون ينقل من القضة وهي الحمى الصفار والآخر ان يكون يفعل من نقضت الشيء كقراءة النبي ﷺ يريد ان ينقض فيكون كيزور ويرعوي ونحوهما مما جاء من غير الالوان والعيوب ومن قرأ لينقض فإن شئت قلت اللام زائدة فيه واحتجبت فيه بقراءة النبي ﷺ وان شئت قلت تقديره ارادته لكذا كقولك قيامه لكذا وجلوسه لكذا ثم وضع الفعل موضع مصدره كما اشد أبو زيد

فَقَالُوا مَا نَشَاءُ فَقَلَّتْ لَهُوَ إِلَى الْأَصْبَاحِ آثِرٌ ذِي آثِرٍ (٥)

اي اللهو فوضع اللهو موضع مصدره وانشد ايضا

وَأَهْلَكُنِي لَكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَعَوَّجَكُمْ عَلَيَّ وَاسْتَقِمُّ

اي واستقامتي وكاللام هنا اللام في قوله

(١) هذا صدر بيت وبعده «ايس الامام بالشحيح البلعد» ونسبه الجوهري الى حميد بن نورا الهلالي وفي كلام غيره الى حميد الارقط تعرض فيه بعد الله بن الزبير و«الخبين» يروي على صيغة الشئ ويروي على الجمع فعلى الاول عنى عبدالله وأخاه مصعب أو هو وابنه خبيبا وعلي الثاني اراد هو وشيمته «والبلعد» من البعد الرجل اى ظلم فى الحرم واتتهك

أُرِيدُ لِأَنْسِي ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا نَمَثَلَ لِي لَيْلَى بِكُلِّ مَسْبَلٍ

فيحتمل اللام هنا الوجهين اللذين تقدم ذكرهما

اللغة

الاتقاض السقوط بسرعة. قال ذو الرمة «فَاتَّقَضَ كَالْكُوكَبِ الدَّرِيِّ مَنْصَلِيًا» والوراء والخلف واحد وهو قبيض جهة القدام ويستعمل وراء بمعنى القدام ايضا على الاتساع لأنها جهة مقابلة لجهة فكان كل واحدة من الجهتين وراء الاخرى قال الشاعر

أَثْرُ جَوْ بَنُو مَرْوَانَ سَمِعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَأْيَا

وقال ليبد

أَلَيْسَ وَرَاءِي إِنْ تَرَأَخْتَ مَنِيَّتِي لَزُومُ الْعَصَا تَحْنُو عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ

وقال الفراء يجوز ذلك في الزمان دون الاجسام قال علي بن عيسى وغيره يجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر والارهاق ادراك الشيء بما يغشاه ورهقه الفارس اي غشيه وادركه يهضم مراهق إذا قارب ان يغشاه حال البلوغ ويقال ارهقه امرا أي الحقه اياه قال الأزهري الرهق جهل الإنسان وارهقه عسرا كلفه اياه وجاء في الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة مراهقا خرج إلى عرفة اية ضاق عليه الوقت

الإعراب

قال الزجاج قوله هذا فراق يعني وينك زعم سيبويه أن معنى مثل هذا التوكيد يعني هذا فراق بيننا اي هذا فراق اتصالنا ومثله من الكلام اخزي الله الكاذب مني ومنك وهذا لا يكون إلا بالواو ولا يجوز هذا فراق يعني فبينك لأن معنى الواو الاجتماع ومعنى الفاء ان يأتي الثاني في اثر الأول ومساكين لا ينصرف لأنه جمع ليس له في الآحاد نظير رحمة من ربك منصوب على ضربين * احدهما * ان المعنى فعلنا ذلك رحمة اي للرحمة كما تقول اتقذت من الملكة رحمة لك (الآخر) أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله فأراد ربك ان ييلنا اشدهما ويستخرجنا كنزهما رحمهما الله بذلك

المعنى

(قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبي) أي قال له موسى جوابا إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة او بعدها النفس وقتلها فلا تتركني اصحبك (قد بلغت من لدني عذرا) اي قد اعذرت فيما بيني وبينك وقد اخبرتني اني لا استطيع معك صبرا عن ابن عباس وهذا اقرار من موسى (ع) بأن الخضر قد قدم اليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما انكره وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال استعجبني نبي الله موسى ولو صبر لرأى انما من المجالب (فانطلقا حتى إذا أتيا اهل قرية) وهي انطاكية عن ابن عباس وقيل أيلة عن ابن سيرين ومحمد بن كعب وقيل هي قرية على ساحل البحر يقال لها ناصرة وبها سميت النصراني نصارى وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (استطعا اهلها) اي سألهم الطعام (فأبوا ان يضيفوها) والتضيف والإضافة بمعنى واحد اي لم يضيفها احد من اهل القرية وروي ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانوا اهل قرية لثام وقال ابو عبد الله (ع) لم يضيفوهما ولا يضيفون بعدهما احدا إلى ان تقوم الساعة (فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض) وصف الجدار بالإرادة مجاز ومثناه قرب ان ينقض واشرف على ان ينهدم وذلك على التشبيه بمال من يريد الفعل في الثاني وهذا من فصيح كلام العرب ومثله في اشعارهم كثير قال الراعي يصف الإهبل

→ حرمة . (٢) اي ارادت و اردت . (٣) قاله أبو ذؤيب وفي اللسان «عشرة وجبور» . و يروي «كبيض» بالضاد ايضا (٤) الجفر : البئر الواسعة التي لم تملو . (٥) قاله عروة بن الورد . وآثر ذى أنيراي اول كل شيء .

فِي مَهْمَةٍ قَلِقَتْ بِهَا هَامَانَهَا

قَلِقَ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدْنَ فُصُولَا

وقال الآخر

يُرِيدُ الرَّمَحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءِ

وَيَرْغَبُ عَن دِمَائِ بَنِي عَقِيلِ

وقريب منه قول الآخر

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسَعْدِي

لَزَمَاتُ بِهِم بِالْإِحْسَانِ

أي كأنه بهم وقال عنبرة يصف فرسه

فَأَزُورُ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلْبَانِهِ

وَشَكَا إِلَيَّ بِصَبْرِهِ وَتَحَمُّمِهِ (١)

(فأقامه) أي سواه قيل انه دفع الجدار بيده فاستقام عن سميد بن جبير (قال لو شئت لتخلفت عليه اجرا) معناه إنهم لما بخلوا عليهما بالطعام وأقام الخضر جدارهم المشرف على الانهدام عجب موسى من ذلك فقال لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتى كنا نسد به جوعتنا (قال هذا فراق يني وبينك) معناه هذا الكلام والانكار على ترك الأجر هو الفرق بيننا وقبل معناه هذا وقت فراق اتصالنا وكرّر بين تأكيدياً عن الزجاج وقيل معناه هذا الذي قلته سبب الفراق يني وبينك ثم قال له (سأبئك) أي سأخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي بتفسير الأشياء التي لم تستطع على الامساك عن السؤال عنها صبرا (أما السفينة فكانت لمساكين) معناه اما السبب في خرق السفينة فهو انها كانت لفقرائها لاشي لهم يكفيهم قدسكتهم قلة ذات ايديهم (يعملون في البحر) يعملون بها في البحر ويقيمون بها (فأردت أن أعيها) أي احدث فيها عيبا (وكان وراءهم) أي وكان قدامهم (ملك يأخذ كل سفينة) صحيحة او غير معيبة (غصبا) عن قتادة وابن عباس قال عباد بن صيب قدمت الكوفة لاسمع من اسماعيل بن ابي خالد فررت بشيخ جالس فقلت يا شيخ كيف امر إلى منزل اسماعيل ابن ابي خالد فقال لي وراءك فقلت ارجع فقال اقول وراءك وارجع فقلت أليس وزائي خلفي قال لا ثم قال حدثني عكرمة عن ابن عباس وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا قال ولو كان وراءهم لكانوا قد جاوزوه ولكن كان بين ايديهم قال الخضر إنما خرقتها لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورثها أهلها بقطعة خشب فالتفموا بها وقيل يحتمل ان الملك كان خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه ولم يعلم به اصحاب السفينة وعلم به الخضر «ع» (واما الغلام فكان ابواه مؤمنين) وروي عن أبي وابن عباس انها كانتا بقروآن واما الغلام فكان كافرا (فخشيتم أن يرهقها طغيانا وكفرا) أي فعلنا انه إن بقي يرهق ابويه أي بغشها طغيانا وكفرا وهو من كلام الله تعالى وقيل معناه فخفنا ان يحصل ابويه على الطغيان والكفر بأن يباشر ما لا يمكنها منه فيحملها على الذب عنه والنصب له فيؤدّي ذلك إلى أمور يكون مجاوزة للحد في المصيان والكفر وهو من كلام الخضر لأن الله تعالى لا يجوز عليه الخشية وقيل معناه فكرهنا أن يرهق الغلام ابويه وإنما وظلما بطغيانه وكفراه (فأردنا أن يبدلها ربها خيرا منه زكاة) أي ولدا خيرا منه ديننا وطهاره وصلاحا (واقرب رحما) أي وارحم بها عن قتادة والزكاة الصلاح والركي الصالح والرحم العطف والرحمة وقيل معناه ابرؤالديه وأوصل للرحم عن ابن عباس وقيل معناه واقرب ان يرحمها قال قتادة قال مطرف ايم الله اننا لنعلم انها فرحنا به يوم ولد وحرنا عليه يوم قتل ولو عاش كان فيه مهلكتها فرضي رجل بما قسم الله له فإن قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكرهه خير مما قضى لك فيما تحب فاستخر الله وارضى بقضائه وروي انها ابدلها بالغلام المقتول جاربه فولدت سبعين نبيا عن ابي عبد الله (ع) وقيل انه تزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا هدى الله على يديه أمة

من الأمم عن الكلبي وفي نقل الغلام دلالة على وجوب اللطف على ما نذهب إليه لأن المفهوم من الآية انه تدبير من الله تعالى لم يكن يجوز خلافه وأنه إذا علم من حال الإنسان أنه يفسد عند شيء يجب عليه في الحكمة ان يذهب ذلك الشيء حتى لا يقع هذا الفساد ومتى قيل انه لو حصل لنا العلم بذلك كما حصل لذلك العالم هل كان يحسن منا القتل قلنا ان هذا العلم لا يحصل إلا للأنبياء وعند حصول العلم به يحسن ذلك ومتى قيل إن الله كان قادراً على إزالة حياة الغلام بالموت من غير المقتول التبقية التي هي المفسدة من غير ادخال ايلام عليه بالقتل فلم أمر بالقتل فالجواب من وجهين ﴿ احدثهما ﴾ ان الله تعالى قد علم ان ابويه لا يثبتان على الإيمان إلا بقتل هذا الغلام فتمين وجه الوجوب في القتل ﴿ والآخرة ﴾ ان تبقية الغلام إذا كانت مفسدة فالتعالى مخير في إزالتها بالموت من غير ألم وبالقتل لأن القتل وإن كان فيه ألم يلحق المقتول فإن بإزائه اعواضا كثيرة توازي ذلك الألم ويزيد عليه اضعافا كثيرة فيصير القتل بالمنفعة العظيمة التي بإزائه كأنه ليس بألم ويدخل في قبيل النفع والاحسان (وأما الجدار فكان) اي فإنما أقننه لأنه كان (لفلانين بيمين في المدينة) يعني القرية المذكورة في قوله أتيا أهل قرية (وكان تحته كنز لهما) والكنز هو كل مال مذخور من ذهب أو فضة وغير ذلك واختلف في هذا الكنز فقيل كانت صحف علم مدفونة تحته عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقال ابن عباس ما كان ذلك الكنز الا علما وقيل كان كنزا من الذهب والفضة عن قتادة وعكرمة واختاره الجبائي ورواه ابو الدرداء عن النبي ﷺ وقيل كان لوحا من ذهب وفيه مكتوب عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن . عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتم . عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح . عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يقبل . عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ عن ابن عباس والحسن وروى ذلك عن ابي عبد الله (ع) وفي بعض الروايات زيادة وتقصان وهذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن ان الكنز كان مالا كتب فيه علم فهو مال وعلم (وكان ابوهما صالحا) بين سبحانه انه حفظ الغلامين بصلاح أيها ولم يذكر منهما صلاحا عن ابن عباس وروى عن ابي عبد الله (ع) انه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء وقال ﷺ ان الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله (فأراد ربك ان يبلغنا أشدهما) اي بتنهائهما إلى الوقت الذي يعرفان فيه قمع انفسهما وحفظ مالهما وهو ان يكبرا ويعقلا ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) اي نعمة من ربك والمعنى ان كل ما فعلته رحمة من الله تعالى اي رحم الله بذلك المساكين وابوي الغلام واليتيمين رحمة (وما فعلته عن امري) اي وما فعلت ذلك من قبل نفسي وإنما فعلته بأمر الله تعالى قال ابن عباس يريد انكشف لي من الله علم فعلت به ثم قال (ذلك) الذي قلته لك (تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) اي نقل عليك مشاهدته ورويته واستنكرته يقال استطاع يستطيع واسطاع بسطيع قال ابو علي الجبائي لا يجوز ان يكون الخضر حيا إلى وقتنا هذا لأنه لو كان لعرفه الناس ولم يخف مكانه ولانه لا نبي بعد نبينا ﷺ وهذا الذي ذكره غير صحيح لأن تبقيته في مقدور الله تعالى ويجوز ان تنخرق المادة للأنبياء صلوات الله عليهم بالاجماع ولا يتمتع ايضا أن يكون بحيث لا يتعرف إلى احد وان الناس وإن كانوا يشاهدونه لا يعرفونه وقوله انه لا نبي بعد نبينا مسلم ولكن نبوة الخضر (ع) كانت ثابتة قبل نبوة نبينا محمد ﷺ وأما شرعه لو كان له شرع خاص فإنه منسوخ بشرية نبينا ولو كان داعيا إلى شريعة من تقدمه من الأنبياء فإن شريعة نبينا ﷺ ناسخة لما فلا يؤدى إلى ما قاله الجبائي

قوله تعالى (٨٣) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٤) إِنَّا

مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا (٨٥) فَاتَّبَعَ سَبِيًّا (٨٦) حَتَّى إِذَا بَلَغَ

مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٧) قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا خمس آيات في الكوفي ست في البصري أربع في المدني عدد الكوفي في والبصري من كل شيء سبباً فاتبع سبباً آيتين ولم يعد الكوفي في عندها قوما آية بل جعل آخر الآية حسناً

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة فأتبع ثم أتبع بهزمة القطع وفتحها وتخفيف التاء وسكونها والباقون فأتبع بهزمة الوصل وتشديد التاء وفتحها وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة غير حفص حامية والباقون حمئة بغير الف مهموز

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي تبع فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة تعدى إلى مفعولين بذلك على ذلك قوله واتبعتهم في هذه الدنيا لعنة وأما أتبع فإنه افتعل يتعدى إلى مفعول واحد كما يتعدى فعل اليه مثل حفرته واحفرته وشوبته واشتوبته ومن قرأ فأتبع سبباً تقديره فأتبع سبباً أو أتبع امره سبباً أو أتبع ما هو عليه سبباً فحذف أحد المفعولين كما حذف في قوله لينذر بأساً شديداً ولا يكادون يفقهون قولاً والمعنى لينذر الناس بأساً شديداً ولا يكادون يفقهون أحداً قولاً ومن قرأ فأتبع سبباً فالمعنى اتبعه في كل وجه وجهناه له وأمرناه به السبب الذي ينال به صلاح ما مكن منه وقال أبو عبيدة معناه اتبع طريقاً وأثراً ومن قرأ حمئة فعلى فاعلة ومن قرأ حامية فهي فاعلة من حميت تحمى فهي حامية وروي عن الحسن أنه قال حارة ويمجوز فيمن قرأ حامية إن يكون فاعلة من الحماة فخفف الهمزة على قياس قول أبي الحسن فيقلبها باء محضة وإن خففها على قول الخليل كانت بسين بين قال سيبويه وهو قول العرب

﴿ اللفظة ﴾

القرن قرن الشاة وغيرها وقرون الشعر الذوات ومنه قول أبي سفيان ولا الروم ذوات القرون أراد قرون شعورهم لأنهم كانوا يطولونه والذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وهو التفكير وقد يكون باللسان وكل ما وصل شيئاً إلى شيء فهو سبب يقال للطريق إلى الشيء سبب وللجبل سبب وللباب سبب والحماة الطين الأسود يقال حممت البئر تحماً فهي حمئة إذا صار فيها الحماة قال أبو الأسود

تَحْمِيٌّ بِمِلْئِهَا طَوْرًا وَطَوْرًا تَحْمِيٌّ بِمِحْمَاةٍ وَقَلِيلٌ مَاءٌ

وحمات البئر اخرجت منه الحماة واحمأتها القيت فيها الحماة

﴿ الإعراب ﴾

إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً مع الفعل في موضع نصب بفعل مضمر كما أن قوله فاما من بعد واما فداء كذلك ويمجوز أن يكون أن مع الفعل في موضع المبتدأ والخبر مضمر أي اما العذاب واقع منك فيهم واما اتخاذا أمر ذي حسن واقع منك فيهم فحذف الخبر لطول الكلام بالصلة وهذا اظهر والأول عن أحمد بن يحيى

« المعنى » -

ثم بين سبحانه قصة ذي القرنين فقال (وپسألونك) يا محمد (عن ذي القرنين) أي عن خبره وقصته لا عن شخصه واختلف فيه فقيل انه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض عن مجاهد وعبد الله بن عمر وقيل انه كان

ملكا عادلا وروى عن علي بن ابي طالب (ع) انه كان عبداً صالحاً احب الله وواجهه الله وناصره الله وناصره الله
 قد امر قومه بقوى الله فضربوه على قرنه ضربة بالسيف فقاتب عنهم ما شاء الله ثم رجع اليهم فسدعاهم الى الله
 فضربوه على قرنه الآخر بالسيف فذلك قرناه وفيكم مثله يعني نفسه (ع) وفي سبب تسميته بذو القرنين اقوال آخر
 منها * انه سمي به لانه كانت له ضفيرتان عن الحسن * ومنها * انه كان على رأسه شبه القرنين تواريه
 العامة عن يعلى بن عبيد ومنها انه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب فسمي بذلك لاستيلائه على قرن
 الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها عن الزهري واختاره الزجاج * ومنها * انه رأى في منامه انه دنى من
 الشمس حتى اخذ بقرنها في شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين عن وهب * ومنها * انه
 عاش عيش قرنين فاتقرض في وقته قرنان من الناس وهو حسي * ومنها * انه كان كريم الطرفين من اهل
 بيت الشرف من قبل ابيه وامه قال معاذ بن جبل كان من ابناء الروم واسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية
 (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) معناه قل يا محمد سأقرأ عليكم منه خبراً وقصة (انا مكنا له في الأرض) اي
 بسطنا يده في الأرض وملكناه حتى استولى عليها وقام بمصالحها وروى عن علي (ع) انه قال سخر الله له السحاب
 فعمله عليها ومد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه في الأرض وهو
 انه سهل عليه المسير فيها وذلك له طريقها وحزونها حتى تمكن منها اتي شاء (وآتيناه من كل شيء سبباً) اي
 فأعطيناه من كل شيء علماً يتسبب به إلى إرادته ويبلغ به إلى حاجته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل معناه
 وآتيناه من كل شيء يستعين به الملوك على فتح البلاد ومحاربة الاعداء عن الجبائي وقيل معناه وآتيناه من كل شيء
 سبيلاً كما قال سبحانه لعلي ابلغ الاسباب اسباب السماوات اي سببها (فأتبع سبباً) معناه فأتبع طريقاً واحداً في
 سلوكه قال الزجاج معناه فأتبع سبباً من الاسباب التي اوتيها وذلك انه اوتي من كل شيء سبباً فأتبع من تلك
 الاسباب التي اوتي سبباً في المسير إلى المغرب ومن قرأ فأتبع سبباً فمعناه لحق كقوله فأتبعه الشيطان والأصل فيه
 ما مر ذكره في الحجية (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) اي موضع غروبها ومعناه انه انتهى إلى آخر العارة من جانب
 المغرب وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحد إلى موضع غروب الشمس ولم يرد بذلك انه بلغ إلى موضع الغروب
 لانه لا يصل إليه أحد (وجد) تغرب معناه وجدها كأنها تغرب (في عين حمئة) وان كانت تغرب في
 ورائها عن الجبائي وابن مسلم والبلخي لأن الشمس لا تزيال الزمان ولا تدخل عين الماء ولأنه قال وجد عندها قوماً
 ولكن لما بلغ ذو القرنين ذلك الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين كما ان من كان في البحر رآها
 كأنها تغرب في الماء ومن كان في البر رآها كأنها تغرب في الأرض والمساء والعين الحمئة هي ذات الحماة وهي
 العين السوداء المنتن والحامية الحارة وعن كعب قال اجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وقوله (ووجد عندها
 قوما) معناه ووجد عند العين ناساً (قلنا يا ذا القرنين إما ان تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) في هذا دلالة على ان
 القوم كانوا كفاراً والمعنى اما ان تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك وأما ان تأسرههم وتمسكهم بعد الأمر
 لتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمى وقيل معناه واما ان تغفو عنهم واستدل من ذهب إلى ان ذا القرنين كان نبياً
 بهذا قال لأن أمر الله تعالى لا يعلم الا بالوحي والوحي لا يجوز إلا على الانبياء وقال الكلبي ان الله تعالى الهمة ولم
 يوح اليه وقال ابن الانباري ان كان ذو القرنين نبياً فان الله تعالى قال له كما يقول للأنبياء إما بتكليم او بوحي
 وان لم يكن نبياً فإن معنى قلنا اللهمنا لأن الالهام ينوب عن الوحي قال سيجانه وواحيننا إلى أم موسى أي والهمناها
 قال قتادة فقضى ذو القرنين فيهم بقضاء الله تعالى وكان عالماً بالسياسة قال (أباً من ظلم) اي اشرك عن ابن عباس
 (فسوف نعذبه) اي نقتله اذا لم يرجع عن الشرك (ثم يرد إلى ربه) بعد قتلي اياه (فيعذبه عذاباً نكراً) اي
 منكرًا غير معهود يعني سيف النار وهو أشد من القتل في الدنيا

قوله تعالى (٨٨) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا
(٨٩) ثُمَّ اتَّبَعَ سِبْيَا (٩٠) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ
مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩١) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩٢) ثُمَّ اتَّبَعَ سِبْيَا خمس آيات عراقى

— (القراءة) —

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ويعقوب فله جزاء بالنصب والتنوين . والباقيون جزاء الحسنى بالرفع والإضافة

✽ الحجة ✽

قال أبو علي من قال فله جزاء الحسنى كان المعنى فله جزاء الخلال الحسنى التي عملها لأن الإيمان والعمل
الصالح خلال ومن قال فله جزاء الحسنى فالمعنى له الحسنى جزاء فجزاء مصدر وقع موقع الحال أي فله الحسنى
مجزبة وقال أبو الحسن وهذا لا يكاد العرب تتكلم به مقدا إلا في الشعر

✽ المعنى ✽

(وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) مرّ معناه (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي سنقول له قولاً
جميلاً وسنأمره بما ييسر عليه ولا نؤاخذ به بما مضى من كفره (ثم اتبع سبياً) أي طريقاً آخر من الأرض
ليؤديه إلى مطلع الشمس ويوصله إلى المشرق (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) أي بلغ موضع ابتداء العارة من
الجناب الذي تطلع منه الشمس (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) معناه أنه لم يكن بها
جبل ولا شجر ولا بناء لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والامراب
وإذا غربت تصرفوا في أمورهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وروى أبو بصير عن أبي جعفر (ع) قال لم يعلموا
صنعة البيوت وقوله كذلك معناه مثل ذلك القليل الذي كانوا عند مغرب الشمس في أن حكمهم حكم أولئك
وقيل إن معناه أنه اتبع سبياً إلى مطلع الشمس مثل ما اتبع سبياً إلى مغرب الشمس وتم الكلام عند قوله (كذلك)
ثم ابتداء سبحانه فقال (وقد أحطنا بما لديه خبراً) أي علمنا ما كان عند ذي القرنين من الجيوش والعدة والآت
السياسة وقيل معناه أحطنا علماً بصلاحه واستقلاله بما ملكناه قبل أن يفعله كما علمناه بعد أن فعله ولم يخف علينا
حاله وفي قوله بما لديه إشارة إلى حسن الثناء عليه والرضا بأفعاله لامثاله أمر الله تعالى في كل أحواله (ثم اتبع سبياً)
معناه ثم اتبع مسلماً بالغا ما يبلفه قطراً من اقطار الأرض وهذا بقوي قول من قال إن الأرض كروية الشكل
لأنه لم يأخذ في الطريق الذي كان قد عاد فيه وإنما أخذ في طريق آخر

قوله تعالى (٩٣) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا
(٩٤) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْ جُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ
تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٥) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٦) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ
نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٧) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا
(٩٨) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (ست آيات)

* القراءة *

قرأ ابن كثير وابو عمرو بين السدين وسدا بالفتح هنا وفي ياسين بالضم وقرأ أهل الكوفة غير عاصم بين السدين بضم السين وسدا حيث كان بالفتح وقرأ حفص الجميع بالفتح وقرأ الباقون الجميع بالضم كل القرآن وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يفتقون بضم الياء وكسر القاف والباقيون بفتح الياء والقاف وقرأ عاصم بأجوج وأجوج بالهمزة ومثله سكة الالبياء وقرأ الباقون بغير همزة فهما في السورتين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم خراجا وولي المؤمنين خراجا فخرج ذلك كله بالالف والباقيون خرجا بغير الف سكة الموضمين فخرج ذلك بالالف وقرأ ابن كثير ما مكثني بنونين والباقيون بنون واحدة مشددة وقرأ يحيى عن أبي بكر ردما اثولي بالوصل وقرأ حمزة ويحيى عن أبي بكر قال أتوني بالوصل أيضا والباقيون أتوني بقطع الالف في الحرفين وقرأ أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر بين السدين بفتح الصاد والدال وقرأ الباقون بضم الصاد والدال غير أبي بكر فلم يقرأ بضم الصاد وسكون الدال حمزة غير حمزة فاستطاعوا مشددة الطاء والباقيون خفيفة الطاء وقرأ أهل الكوفة دكاه بالمد والهمزة ن د كما تونا غير مهموز

* الحجة *

قال ابو عبيدة كل شيء وجدته العرب من فعل الله من الجبال والسماب فهو سد بالضم وما بناه الادميون فهو سد وقال غيره هالتان كالصنف والضعف والفقير والفقير قال ابو علي يجوز ان يكون السد بالفتح مصدر او السد بالضم المسدود كالأشياء التي يفصل فيها بين المصادر والاسماء نحو السقي والسقي والشرب والشرب فإذا كان كذلك فالاشبه بين السدين لأنه المسدود ويجوز فيمن فتح السدين ان يجعله اسما للمسدود نحو نسج اليمن وضرب الأمير بمعنى المنسوج والمضروب ومن قرأ لا يكادون يفقهون فإن فقهت يتمدى الى مفعول واحد نحو فقهت السنة فإذا نقلته تعدى الى مفعولين فيكون المعنى فيمن ضم لا يكادون يفقهون أحداً قولاً لحذف أحد المفعولين كما حذف من قوله فاتبعهم مشرقين والمعنى فاتبعهم جندهم مشرقين وقوله فاتبعهم فرعون وجنوده أي فاتبعهم فرعون طلبه إياهم أو تتبعهم لهم والحذف في هذا النحو كثير قال ابو علي بأجوج ان جعلته عربياً فهو يفعول من أج نحو يربوع ومن لم يهمز امكن ان يكون خفف الهمزة فقلبها الفا فهو على قوله يفعول أيضاً وان كانت الالف في بأجوج ليس على التخفيف فإنه فاعول من ي ج ج فإن جعلت الكلمة من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كن قال ساق ونحو ذلك مما جاء مهموزاً ولم يتبع ان يهمز ويكون الامتناع من صرفه على هذا للتأنيث والتعريف كأنه اسم القبيلة كجبوس وأما أجوج فمن همز فمفعول من اج فالكلمتان على هذا من اصل واحد ومن لم يهمز فإنه فاعول من معج فالكلمتان على هذا من أصلين وليسا من اصل واحد ويكون ترك الصرف فيه أيضاً للتعريف والتأنيث فإن جعلتهما من المعجمية فهذه التمثيلات لا تصح فيهما وإنما امتنا من الصرف المعجمة والتعريف وقوله هل نجعل لك خراجاً أي هل نجعل لك عطية نخرجها اليك من اموالنا وكذلك قوله أم تسألهم خراجاً أي مالا يخرجونه اليك فأما المضروب على الارض فالخراج وقد يجوز في غير ضرائب الأرض الخراج بدلالة قول المعاج «يوم خراج يخرج السرجاً» فهذا ليس على الضرائب التي ألزمت الارضين لأن ذلك لا يضاف الى وقت من يوم وغيره وإنما هو شيء مؤبد لا يتغير وقوله ما مكثني باظهار المثاليين فلأن الثاني منهما غير لازم لأنك قد تقول قد مكثتك ومكثته فلا تلزم النون فلما لم تلزم لم يمتد بها كما ان التاء في اقتتلوا كذلك ومن ادغم لم ينزله منزلة مالا يلزم فأدغم كما ان من قال قتلوا في اقتتلوا كان كذلك قال ابو علي ومكن مكانه فهو مكين فعل غير متمداً ذاصفت العين عديته بذلك وحجة من قرأ ردما ابتوني ابتوني ان اشبهه بأعينوني بقوة لأنه كلفهم المعونة على عمل السد ولم يقبل الخراج السدي بذلوه له وقوله ابتوني الذي معناه جيؤني وإنما هو معونة على ما كلفهم في

قوله فأعيتوني بقوة وأما أتوني فمعناه اعطوني، فاعطوني يجوز ان يكون على المناوئة ويجوز ان يكون على الاتهاب
واتتوني المقصورة لا يحتمل الاجيتوني فيكون احسن هنا لاختصاصه بالمعونة فقط دون ان يكون سؤال عين
والعطية قد تكون هبة قال

وَمِنَا الَّذِي أَعْطَى الرَّسُولَ عَطِيَّةً أَسَارِي تَمِيمٍ وَالْعَيُونَ دَوَامِعَ

فالعطية تجري مجرى الهبة لم والانعام عليهم في فك الاسر وقد تكون بمعنى المناولة ووجه قراءة من قرأ أتوني
انه لم يرد بانوني العطية والهبة ولكن تكليف المناولة بالاتس كما كان قراءة من قرأ أتوني لا يصرف الى اشتدائه
تمليك عين هبة ولا يغيرها فأما اتصاب زير الحديد فإنك تقول اتميك بدرهم قال

أَتَيْتَ بَعْدَ اللَّهِ فِي الْقَيْدِ مُؤْتَقًا فَهَلَّا مَعْبُدًا ذَا الْحَيَانَةِ وَالْقَدْرِ

فيصل الفعل إلى المفعول الثاني بحرف جر ثم يجوز ان يحذف الحرف اتساعا فيصل الفعل إلى المفعول
الثاني على حدامرتك الخبر ونحوه والصدف والصدف والصدف لغات فاشية قال ابو عبيدة الصدفان جنبتا الجبل
ومن قرأ اتتوني افرغ عليه قطرا فمعناه جيتوني به كما قلناه في اتتوني زير الحديد في اتصال الفعل الى المفعول
الثاني بحرف الجر الا انه اعلم الفعل الثاني فلو اعلم الفعل الأول لكان اتتوني افرغه عليه - بقطر الا ان
يقدر ان الفعل يصل إلى المفعول الثاني بلا حرف كما كان كذلك في قوله اتتوني زير الحديد وجميع ما مر بنا في التنزيل
من هذا النحو انما هو على اعمال الثاني كما يختاره سيبويه فمن ذلك قوله بستفتونك قل الله بفتنكم في الكلاله ومنه
قوله هاؤم اقرأوا كتابيه ووجه من قرأ اتتوني ان المعنى ناولوني قطرا افرغ عليه قطرا الا انه اعلم الثاني من الفعلين
كما اعلم الثاني من قصر اتتوني وقراءة حمزة فما استطاعوا انما هو على ادغام التاء في الطاء ولم يلق حركتها على السين
فيحرك ما لا يتحرك ولكن ادغم مع ان الساكن الذي قبل المدغم ليس حرف مد وقد قرأت القراء غير حرف
من هذا النحو وقد تقدم ذكر وجه هذا النحو وما يؤكده ذلك ان سيبويه انشد

كَأَنَّهُ بَعْدَ كَلَالِ الزَّاجِرِ وَمَسِجِهِ مَرَّ عَقَابِ كَلْبِ رِيٍّ

والحذف في استطاعوا والانيات في استطاعوا كل واحد منهما احسن من الادغام على هذا الوجه الذي هو جمع
بين السين الساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة ايضا وأما قوله جملة د كما فإنه يحتمل امرين **احدهما**
انه لما قال جملة د كما كانت بمنزلة خلق وعمل فكانه قال د كما د كما فحمله على الفعل الذي دل عليه قوله
جملة والوجه الآخر ان يكون جملة ذاك فحذف المضاف ويمكن ان يكون حالا في هذا الوجه ومن قرأ
د كما فعل حذف المضاف كأنه جملة مثل د كما قالوا ناقة د كما اي لاسنام لها ولا بد من تقدير الحذف لأن
الجبل مذكر فلا يوصف بد كما

اللغة

السد وضع ما ينتهي به الخرق يقال سَدَهُ بِسَدِّهِ ومنه سد السهم لأنه سد عليه طرق الاضطراب ومنه السداد
الصواب والردم السد والحاجز يقال رَدَمَ فلان موضع كذا يَرْدِمُهُ رَدْمًا والثوب المَرْدَمُ الخلق المرقع ومنه قول عنتره
هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مَرْدَمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ

أي هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع والزيرة الجملة المجتمعة من الحديد والفضة ونحوها
واصله الاجتماع ومنه الزبور وزيت الكتاب إذا كتبه لأنه جمع حروفه قال ابو عبيدة القطر الحديد
المذاب وأنشد

حُسامُ كَلَوْنَ المَلِيحِ صَافٍ حَدِيدُهُ جَرَّازٌ مِنْ أَقْطَارِ الحَدِيدِ المُنْتَبِ (٢)

وأصله من القطر لأن الرصاص والحديد إذا أذيب قطر كما يقطر الماء وفي استطاع ثلاث لغات استطاع يستطيع واستطاع بسطيع واستاع بسنيع يمخف الطاء استثقلوا اجتماعهما وهما من مخرج واحد فاستطاع بسطيع يقطع الالف وهو أطاع افعل فزادوا السين عوضاً من ذهاب حركة الواو لأن أصل أطاع أطوع ومثله اهراق يهريق زادوا الهاء في أراق يريق وليس هذا العوض بل لازم الا ترى ان ما كان نحوه لم يلزمه هذا العوض

المعنى

(حتى إذا بلغ بين السدين) ثم أخبر سبحانه عن حال ذي القرنين بعد منصرفه عن المشرق انه سلك طريقاً إلى ان بلغ بين السدين ووصل إلى ما بينهما وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما وهو الحاجزين بأجوج وماجوج ومن وراءهم عن ابن عباس وقاتلة والضحاك وقيل أراد بالسدين الموضع الذي فيه السدان اليوم لأنه لو كانت هناك سد لم يكن لطلبهم السد معنى والسد الموضع المسدود لا المنفتح (وجد من دونهما قوم ما لا يكادون يفقهون قولاً) أي خصوا بلفظ كادوا لا يعرفون غيرها قال ابن عباس كادوا لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم وإنما قال لا يكادون لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم وإن كان بعد شدة ولذلك حكى الله عنهم انهم (قالوا يا ذا القرنين ان بأجوج وماجوج منسدون في الأرض) ويجوز ان يكون الله سبحانه فقههم ذا القرنين لسانهم كما فهم سليمان (ع) منطلق الطير أو قالوا له بترجمان ان بأجوج وماجوج منسدون في أرضهم وفسادهم انهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابهم وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه عن الكلبى وقيل أرادوا انهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم وورد في الخبر عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ عن بأجوج وماجوج فقال بأجوج لمة وماجوج امة كل امة اربعمائة امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى الف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز قلت يا رسول الله وما الارز قال شجر بالشام طوال وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهو لاء الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدى اذنيه وملتحف بالأخرى ولا يمرؤن فيل ولا وحش ولا حمل ولا خنزير إلا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان بشريون انهار المشرق وبحيرة طبرية قال وهب ومقاتل انهم من ولد يافث بن نوح ابي الترك وقال السدي الترك سرية من بأجوج وماجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجه وقال قتادة ان ذا القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة دون السد فهم الترك وقال كعب م نادرة في ولد بني آدم وذلك ان آدم (ع) احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء بأجوج وماجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وهذا بعيد وقوله (فهل نجعل لك خراجاً) أو خراجاً معناه فهل نجعل لك بضعاً من أموالنا (على ان تجعل بيننا وبينهم سداً) أي حائطاً وقيل في الفرق بين الخرج والخراج ان الخراج اسم لما يخرج من الأرض والخرج اسم لما يخرج من المال وقيل الخراج الغلة والخرج الاجرة وقيل الخراج ما يؤخذ عن الأرض والخرج ما يؤخذ عن الرقاب قاله ابو عمرو وقيل الخراج ما يؤخذ في كل سنة والخرج ما يؤخذ دفعة عن تطلب (قال) ذو القرنين (ما مكفي فيه ربي خير) أي أعطاني ربي من المال ومكفي فيه من الاتساع في الدنيا خير مما عرضتموه علي من الأجر (فأعينوني بقوة) أي برجال فيكون معناه بقوة الأبدان وقيل بعمل تعملونه معي عن الزجاج وقيل بألة العمل وذلك زير الحديد والصفير (أجعل بينكم وبينهم ردماً) أي سداً وحاجزاً قال ابن عباس الردم اشد الحجاب وقيل هو السد المتراكب بعضه على بعض (أتوني زير الحديد) أي اعطوني قطع الحديد أو جيشوا بقطع الحديد على القراءة الأخرى وفي الكلام حذف وهو انهم أتوه بما طلبه منهم من زير الحديد ليصنع الردم في وجوه بأجوج وماجوج فبناه (حتى إذا ساءى بين الصدفين) أي

سوى بين جانبي الجبل بما جعل بينهما من الزبر قال الأزهرى يقال لجانبي الجبل صدقان لتصادفهما أي تحاذبهما وتلاقيهما وقيل هما جبلان كل واحد منهما منعدل عن الآخر كأنه قد صدف عنه وقوله (قال انفخوا) بمناه قال ذو القرنين انفخوا النار على الزبر أمرهم ان يوتى بمنافع الحدادين فينفخوا في نار الحديد التي لوقدت فيه (حتى إذا جعله ناراً) أي حتى إذا جعل الحديد كالنار في منظره من الحمي واللهب فصار قطعة واحدة لزوم بعضها بعضاً (قال أتوني افرغ عليه قطراً) أي اعطوني نحاساً مذاباً او صفراً مذاباً او حديداً مذاباً اصبه على السدين الجبلين حتى ينسد الثقب الذي فيه ويصير جداراً مصمتاً فكانت حجارته الحديد وطينه النحاس الذائب عن ابن عباس ومجاهد والضحاك قال قتادة فهو كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء (فما استطاعوا ان يظهره) بمناه فلما لم يستطع بأجوج وأجوج ان يعلوه ويصعدوه يقال ظهرت السطح إذا علوته (وما استطاعوا له تقياً) أي ولم يستطيعوا ان ينقبوا اسفله لكثافته وصلابته وتقي بذلك كل عيب يكون في السد وقيل ان هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي موخرهما البحر المحيط وقيل انه وراء درند وخزران من ناحية ارمينية واذربيجان وقيل ان مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً (قال) ذو القرنين (هذا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله لعباده انعم بها عليهم في دفع شر أجوج وأجوج عنهم (فاذا جاء وعد ربي) يعني إذا جاء وقت اشراط الساعة ووقت خروجهم الذي قدره الله تعالى (جعله دكاً) أي جعل السد أرضاً مستوية مع الأرض مدكو كاً أو ذا دك وإنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود وجاء في الحديث انهم بدأبون في حفرة نهارهم حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غداً وقتحه ولا يستثنون فيمردون من الغد وقد استوى كما كان حتى إذا جاء وعد الله قالوا غدا نفتح ونخرج إن شاء الله فيمردون اليه وهو كهيبته حين تركوه بالامس فيخرقونه ويخرجون على الناس فينشقون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء ترجع وفيها كهيبته الدماء فيقولون قد قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نفثاً في اقاتهم فيدخل في آذانهم فيهلكون بها فقال النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتسكر من لحوهم سكرًا وفي تفسير الكلبي ان الخضر واليسع يجتمعان كل ليلة على ذلك السد يجحيان بأجوج وأجوج عن الخروج (وكان وعد ربي حقاً) أي وكان ما وعد الله بأن يفعله لا بد من كونه فإنه حق اذ لا يجوز ان يخلف وعده

قوله تعالى (٩٩) وتر كنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً
 (١٠٠) وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً (١٠١) الذين كانت أعينهم في غطاء عن
 ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً (١٠٢) أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من
 دوني أولياء إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً (١٠٣) قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً
 (١٠٤) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنماً (١٠٥) أولئك
 الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً (١٠٦)
 ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي هزواً (ثماني آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ أبو بكر في رواية الاشي والبرجمي عنه وزيد عن يعقوب أفحسب الذين كفروا برفع الباء وسكون

(١) الننف : دود يسقط من أنوف الابل والنعيم . وقيل : دود أبيض يكون في النوى اذا انقع .

السين وهو قراءة أمير المؤمنين (ع) وابن يعمر والحسن ومجاهد وعكرمة وقنادة والضحاك وابن أبي ليلى وهذا من الاحرف التي اختارها ابو بكر وخالف عاصم فيها وذكره انه ادخلها في قراءة عاصم من قراءة أمير المؤمنين (ع) حتى استخلص قراءته وقرأ الباقر أفحسب بكسر السين وفتح الباء.

(= الحجة) =

قال ابن جنى مضافاً أفحسب الكافرين وحظهم ومطلوبهم ان يتخذوا عبادي من ذوي اولياء بل يجب ان يعبدوا انفسهم مثلهم فيكون كلهم عبيداً واولياء لي ونحوه قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيداً لك وهذا ايضا هو المعنى إذا كانت القراءة أفحسب الذين كفروا الا ان حسب ساكنة السين اذهب في الذم لهم وذلك لأنه جعله غاية مرادهم ومجموع مطلوبهم وايست القراءة الأخرى كذلك

﴿ اللغة ﴾

الترك التخيلية والتريكة بيضة المنام كأنها تركت بالبراء والتريكة ايضا الروضة ينفلها الناس فلا يرعونها والترك ضد الأخذ والترك في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى وإنما يجوز على العاذر بعذره الا انه يتوسع فيه فيعير فيه عن الاخلال بالشيء بالترك والموج اضطراب الماء بتراكم بعضه على بعض والتزل ما بهيئ للتزليل وهو الضيف قال الشاعر

تَزِيلُ الْقَوْمِ أَعْظَمُهُمْ حَقُّوقًا وَحَقُّ اللَّهِ فِي حَقِّ التَّزِيلِ

وطعام ذو نزل ونزل بفتح النون والزاء ايضا ذو فضل

﴿ الاعراب ﴾

ان يتخذوا في موضع نصب يوقوع حسب عليه ومن قرأ فحسب بالرفع وسكون السين فان يتخذوا في موضع رفع اعمال منصوب على التمييز لأنه لما قال بالاخرين كان مبهما لا يدل على ما خسروه في ذلك الحمران في اي نوع وقع والذين يصلح ان يكون في موضع جر على الصفة للأخسرين ويصلح ان يكون في موضع رفع على الاستئناف اي هم الذين ضل سعيهم

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن حال تلك الأمم فقال (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) اي وتركنا يوماً جوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السديموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم ويكون حالهم كحال الماء الذي يتموج باضطراب امواجه وقيل انه أراد سائر الخلق من الجن والانس اي وتركناهم يوم خروج يأجوج ومأجوج يمتلطنون بعضهم ببعض لأن ذلك علم للساعة ثم ذكر سبحانه نفخ الصور فقال (ونفخ في الصور) لان خروج يأجوج ومأجوج من اشراط الساعة واختلف في الصور فقيل هو قرن ينفخ فيه عن ابن عباس وابن عمر وقيل هو جمع صورة فلون الله سبحانه يصور الخلق في القبور كما صورهم في ارحام الامهات ثم ينفخ فيهم الارواح كما نفخ وهم في ارحام امهاتهم عن الحسن وابي عبيدة وقيل انه ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات فالنفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق التي يصعق من في السموات والارض بها فيموتون والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم (فجمعناهم جمعا) اي حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في صعيد واحد (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) اي اظهرنا جهنم وبرزناها لهم حتى شاهدوها ورأوا الران عذابها قبل دخولها ثم وصف الكافرين فقال (الذين كانت امينهم في خطاء عن ذكري) ذكر سبحانه السبب الذي استحقوا به النار يعني الذين غفلوا عن الاعتبار بقدرتي المرجب لذكري واعرضوا عن التفكير في آياتي ودلائلي فصاروا بمنزلة من يكون في عينه غطاء يمنعه من الإدراك (وكانوا لا يستطيعون سمعا) اي وكان يتقبل عليهم سماع القرآن وذكر الله تعالى كما يقال فلان

لا يستطيع النظر اليك ولا يستطيع ان يسمع كلامك اي يتقل عليه ذلك وأراد بالعين هنا عين القلب كما يضاف العى الى القلب (أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء) معناه أفحسب الذين جعلوا توحيد الله ان يتخذوا من دوني اربابا ينصرونهم ويدفعون عقابي عنهم والمراد بالعباد المسيح والملائكة الذين عبدوهم من دون الله وهم يراء منهم ومن كل مشرك بالله تعالى وقيل معناه أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا من دوني آلهة وانا لا اغضب لنفسي عليهم ولا أعاقبهم عن ابن عباس ويدل على هذا المحذوف قوله (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) اي منزلا عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس يريد هي مشواهم ومصيرهم وقيل معناه انا جعلنا جهنم معدة مهية للكافرين مندنا كما يهيا التزل للضيف (قل) يا محمد (هل ننبئكم) اي هل نخبركم (بالاخرين اعمالا) اي باخسر الناس اعمالا والمعنى بالقوم الذين هم اخسر الناس فيا عملوا وهم كفار أهل الكتاب اليهود والنصارى (الذين ضل سعيهم) اي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) اي يظنون انهم بفعلهم محسنون وان افعالهم طاعة وقربة وروى المياشي باسناده قال قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين (ع) فـأله من أهل هذه الآية فقال أو تلك أهل الكتاب كفروا ربهم وابتدعوا في دينهم فحبطت اعمالهم وما أهل النهر منهم بيميد يعني الخوارج (أو تلك الذين كفروا بآيات ربهم وقائه فحبطت اعمالهم) اي جعلوا بحجج الله وبيناته وقائه جزائه في الآخرة فبطلت وضاعت اعمالهم التي عملوها لأنهم اوقعوها على خلاف الوجه الذي امرهم الله به (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) اي لا قيمة لهم عندنا ولا كرامة ولانستبهم بل نستخف بهم ونعاقبهم تقول العرب ما فلان مندنا وزن اي قند ومثله ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له لثقله بسرعة بطشه وقلة تثبته وروي في الصحيح ان النبي ﷺ قال إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة (ذلك جزاؤهم جهنم) معناه الامر ذلك الذي ذكرت من حبط اعمالهم وخيبة قدرهم ثم ابتدا سبحانه فقال جزاؤهم جهنم (بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) اي بكفرهم واتخاذهم آياتي اي ادلتي الدالة على توحيددي يعني القرآن ورسلي هزوا اي مهزوا به

قوله تعالى (١٠٧) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**
 (١٠٨) **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا** (١٠٩) **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** (١١٠) **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** (أربع آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ان ينفذ بالياء والقون تنفذ باتاء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وسليمان التيمي ولو جئنا بمثله مدادا

✽ الحجة ✽

قال ابو علي تنفذ باتاء احسن لأن المسند اليه للفعل موثق والمذكر حسن ايضا لأن التانيث ليس بحقيقي ومن قرأ مددا فهو منصوب على الحال كما يقال جئتك بزيد عونا لك ومددا لك ويجوز ان ينتصب على المصدر بفعل مضمربدل عليه قوله ولو جئنا بمثله فكأنه قال امددنا به امدادا ثم وضع مددا موضع امدادا وقال الزجاج هو منصوب على التمييز ومن قال جئنا بمثله مدادا فإنه ينتصب على التمييز والمعنى بمثله من المداد ويكون مثل

قولك لي مثله عبدا اي من المييد وعلى الثمرة مثلها زبدا اي من الزبد

(= اللغة =)

الفردوس البستان الذي يجتمع فيه الثمر والزهر وسائر ما يتبع ويلد قال الزجاج هو البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قال وقال قوم ان الفردوس الاودية التي تنبت ضروباً من النبات وقالوا هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ولم نجد في اشعار العرب الا في بيت حسان

فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ كُلَّ مَوْجِدٍ جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُونَ

والجول التحول يقال قد حال من مكانه حولا كما قالوا في المصادر صغر صغراً وعظم عظماً وعاد في حيا عوداً وقيل إن الجول ايضا الحيلة وقيل ان الجول بمعنى التحويل يقال حولوا عنها تحويلاً وحولوا عن الأزهري وابن الأعرابي والمداد الذي يكتب به والمدد المصدر وهو محي شيء بعد شيء والكلمة الواحدة من الكلام وقد يقال للقصيدة كلمة لأنها قطعة واحدة من الكلام (وما) يسأل عنه فيقال إن الكلمات لأقل العدد فكيف جاء بها هاهنا والجواب أن العرب تستغني بالجمع القليل من الجمع الكثير وبالكثير عن القليل قال الله تعالى وهم في الغرفات آمنون والغرف في الجنة أكثر من ان تحصى وقال هم درجات عند الله وقال حسان

لَنَا الْجَنَّاتُ الْغُرَيْرِيْلَمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَمْسِيًا فَنَائِقَطْرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا (١)

وكان ابو علي الفارسي ينكر الحكاية التي تروى عن النابغة وانه قال لحسان قلت جفانتكم واسيافكم فقال لا يصح هذا عن النابغة

✽ الإعراب ✽

إن جعلت تولا بمعنى المنزل فهو خبر كان على ظاهره وان جعلته بمعنى ما يقام للنازل قدرت المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونسيمها تولا ويجوز أن يكون تولا جمع نازل فيكون نصبا على الحال من الضمير في لهم ومعنى كان انه كان في علم الله تعالى قبل ان يخلقوا عن ابن الانباري وقوله فليعمل يجوز كسر اللام واسكانها والاصل الكسر إلا انه يتقل في اللفظ

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر حال الكافرين عقبه سبحانه بذكر حال المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) اي كان في حكم الله وعلمه لهم بساتين الفردوس وهو اطيب موضع في الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها عن فتادة وقيل هو الجنة الملتفة الأشجار عن فتادة وقيل هو البستان الذي فيه الأعتاب عن كعب وروى عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس اعلاها درجة منها تفجر انهار الجنة الاربعة فإذا سأتم الله تعالى فأسأله الفردوس (تولا) اي منزلا ومسأوى وقيل ذات تزول (خالدين فيها) أي دائمين فيها (لا يبغون عنها حولا) اي لا يطلبون عن تلك الجنات تحولا إلى موضع آخر لطيبتها وحصول مرادهم فيها ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ فقال (قل) يا محمد لجميع المكلفين (لو كان البحر) وهو اسم الجنس اي لو كان البحر بانه (مدادا لكلمات ربي) اي مدادا يكتب به ما يقدر الله عليه من الكلام والحكم وقيل أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على ان يخلقها من الاشياء ويأمر به كما قال في عيسى (ع) وكلمته القاها إلى مريم وقيل أراد بالكلمات ما وعد لأهل الثواب واوعد لأهل العقاب عن ابي مسلم (نفد البحر) اي لفتى ماء البحر (قبل ان تنفذ كلمات ربي) وقيل ان كلماته المراد بها مقدوراته وحكمته وعجائبه وقوله (ولو جئنا بمثله مددا) اي ولو جئنا بمثل البحر مددا له اي عونا وزيادة لما نفذ ذلك وقيل أراد بكلمات ربي معاني كلمات ربي وفوائدها وهي القرآن وسائر كتبه ولم يرد

(١) الجنات: الفصاح . والنر: البيض . أراد انها بيض من كثرة الشحم وبياض اللحم . يصف قومه بالجوود والشجاعة (٢) حكى ان النابغة الذبياني كان يضرب له بسوق عكاظ قبة حمراء من آدم فتأبى الشعراء فتمرض عليه أشعارها فصدف أن انشده حسان يوماً هذا البيت فقال النابغة: أنت شاعر ولكنك أقلت جفانك وأسيافك ، أراد ان أسياف جميع

بذلك اعيان الكلمات لانه قد فرغ من كتابتها فيكون تقدير قل لو كان البحر مدادا لكتابة معاني
كلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كتابة معاني كلمات ربي فحذف لأن المضي مفهوم والمداد هو الجائي والآتي
شيئا بعد شيء قال ابن الانباري سمي المداد مدادا لأنه مادة الكتاب ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداد
وروي عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل قوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قالت اليهود أوتينا علما كثيرا
أوتينا التوراة وفيها علم كثير فأنزل الله هذه الآية ولذلك قال الحسن أراد بالكلمات العلم فإنه لا يدرك ولا يحصى
ونظيره ولو ان مافي الأرض من شجرة اقلام الآية ثم قال (قل) يا محمد (انما انا بشر مثلكم) قال ابن
عباس علم الله نبيه التواضع لتلا يزهى على خلقه فأمره ان يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره الا أنه اكرم بالروحي
وهو قوله (يوحى إلي أنما لكم إله واحد) لا شريك له اي لا فضل لي عليكم إلا بالدين والنبوة ولا علم لي
إلا ما علمنيه الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فإي قسنا كان يطعم في لقاء ثواب ربه ويأمله ويقرب بالبعث
اليه والوقوف بين يديه وقيل معناه فمن كان يخشى لقاء عقاب ربه وقيل ان الرجاء يشتمل على كلا المعنيين الخوف
والأمل وأنشد في ذلك قول الشاعر

فَلَا كُلُّ مَا تَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ كَائِنٌ وَلَا كُلُّ مَا تَرْجُو مِنَ الشَّرِّ وَاوَاقِعُ

(فليعمل عملا صالحا) اي خالصا لله تعالى يتقرب به اليه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) غيره من ملك او بشر او
حجر او شجر عن الحسن وقيل معناه لا يراني في عبادته احد من عبدين جبر و قال مجاهد جاء رجل إلى النبي ﷺ
فقال اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك الا لله فيذكر ذلك مني وأحمد عليه فيسرتني ذلك واعجب به
فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا فقرت الآية قال عطاء عن ابن عباس إن الله تعالى قال ولا يشرك
بعبادة ربه احدا ولم يقل ولا يشرك به لأنه أراد العمل الذي يعمل لله ويجب ان يحمد عليه قال ولذلك يستحب
للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها كيلا يعظمه من يصله بها وروي عن النبي ﷺ انه قال قال الله عز
وجل انا اغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري فأنا منه بري فهو للذي اشرك اوردته مسلم في
الصحيح وروي عن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس قال سمنا رسول الله ﷺ يقول من صلى صلاة يراني بها
فقد اشرك ومن صام صوما يراني به فقد اشرك ثم قرأ هذه الآية وروي ان ابا الحسن الرضا (ع) دخل يوما على
المؤمن فرآه يتوضأ للصلاة والظلام يصب على يده الماء فقال لا تشرك بعبادة ربك أحدا فصرف المؤمن الظلام
وتولى اقام وضوئه بنفسه وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن وروي الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده
عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده من علي (ع) قال ما من عبد يقرأ تمسك انما أنا بشر مثلكم إلى آخره إلا
كان له نوراً في مضجعه إلى بيت الله الحرام فلو كان من أهل البيت الحرام كان له نوراً إلى بيت المقدس وقال ابو
عبد الله (ع) ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم الا يتيقظ في الساعة التي يريد

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية الثانية وهي قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي بما قبلها انه لما تقدم الأمر
والنهي والوعد والوعيد وعقب ذلك سبحانه ببيان ان مقدراته لا تنتهي وانه قادر على ما يشاء في افعاله وأوامره
على حسب المصالح فمن الواجب على المكلف ان يتأمل أمره ونهيه ويتقن بوعده ويتقن بوعده



لادنى العدد والكثير السيوف، والجفنت كذلك لادنى العدد والكثير الجفان . وفي هذا البيت كلام للغشاء ايضاً فانها
قالت لسان : لقد قلت يلمن بالضحى وكان حقه بالدمى ، وقلت : الفرو كان حقه البيض ويقطرن وكان الاجمل يسلم
أوبفض .

سورة مريم (ع)

وهي مكية بالاجماع

﴿ عدد آياتها ﴾

وهي ثمان وتسعون آية عراقى شامى والمدنى الاول وتسع مكى والمدنى الاخير

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات كهيعص سكوفى الرحمن مدا غير الكوفى فى الكتاب ابراهيم مكى والمدنى الاخير

﴿ فضلها ﴾

ابى بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطى من الاجر بعدد من صدق بزكريا وكذب به ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون وابراهيم واسحاق ويعقوب واسماعيل عشر حسنات وبعدد من دعى لله ولدا وبعدد من لم يدع له ولدا وقال الصادق (ع) من اذ من قراءة سورة مريم لم يمت فى الدنيا حتى يصوب منها ما يفتنه فى نفسه وماله ووالده وكان فى الآخرة من اصحاب عيسى بن مريم (ع) واعطى من الاجر فى الآخرة ملك سليمان ابن داود فى الدنيا

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة الكهف بذكر التوحيد والدعاء اليه وافتتح هذه السورة بذكر الانبياء الذين كانوا على تلك الطريقة بمثا على الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم وحثا عليه فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) كهيعص (٢) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا (٣) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٥) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٦) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ست آيات فى الكوفى وخمس فى غيرهم

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو كهيعص بأماله ها وفتح يا وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وحزمة وخلف بفتحها وأماله يا وقرأ الكسائى بأماله ها ويا وروى ذلك عن اليزيدي عن ابى عمرو وعن يحيى عن ابى بكر والباقون بفتحها وقرأ ابو عمرو والكسائى يرثنى ويرث بالجزم فيها والباقون بالرفع فيها وفى الشواذ قراءة الحسن ذكر رحمة ربك وقراءة عثمان وابن عباس وزيد بن ثابت وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وابن يعمر وسعيد بن جبير واني خفت الموالي بفتح الحاء وتشديد الفاء وكسر التاء وقراءة علي بن ابى طالب (ع) وابن عباس وجعفر بن محمد وابن يعمر والحسن والجعدري وقتادة واني نهيك يرثنى وأرث من آل يعقوب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي القول فى امالة هذه الحروف انها لا تمتنع لأنها ليست بجزوف معنى وإنما هي اسما. لهذه الاصرات قال سيويه قالوا بالامالة انها اسما لما يتهجى به فجازت فيها الامالة كما جازت فى الاسماء ويدلك على انها اسما انك إذا اخبرت عنها امرتها وان كتبت لا تمر بها قبل ذلك كما ان اسما العدد إذا اخبرت عنها امرتها فكما ان اسما العدد

قبل ان تعربها اسما فكذلك هذه الحروف وإذا كانت اسما ساغت الامالة فيها فأما من لم يعل فاعلى مذهب أهل الحجاز وكلهم اخى نون عين الاخصا فانزه بين النون وقال ابو عثان وبيان النون مع حروف القم لحن إلا ان هذه الحروف تجري على الوقف عليها والقطع لها عنا بعدها فتحكمها البيان وان لا تحصى فكذلك اسما المدد حكما على الوقف وعلى انها منفصلة عما بعدها وما يبين انها على الوقف انهم قالوا ثلاثة اربعة نقلوا حركة الهزة الى الهاء لسكونها ولم يلقبوها تا، وان كانت موصولة لما كانت الية بها الوقف فكذلك النون ينبغي ان تبين لأنها في لية الوقف والانفصال مما بعدها ولمن لم يبين ان يستدل بتكهم قطع الهزة في ألم الله ألا ترى ان الهزة لم تقطع وان كان ما هي منه في تقدير الانفصال مما قبله فكذلك لم يبين النون من عين لأنها جلت في حكم الإتصال كما كانت الهزة فياذ كرنا كذلك قال ابو الحسن التبيين يعني تبين النون اجود في العربية لأن حروف الهجاء والمدد يفضل بعضها من بعض قال وعامة القراء على خلاف التبيين ووجه الرفع في قوله يرتني ويرث إنه سال ربه وليا وارثا وليس المعنى على الجزاء اي ان وهبه يرث ووجه الجزم انه على الجزاء وجواب الدعاء ومن قرأ يرتني وأرث فمعناه التجريد وتقديره فهب لي وليا يرتني منه وأرث من آل يقوب وهذا الوارث نفسه قال ابن جنى قال وهذا ضرب من العربية غريب فكأنه جرد منه وارثا ومثله قوله تعالى لهم فيها دار الخلد وهي نفسها دار الخلد فكأنه جرد من النار دارا وعليه قول الاخطل

بَنَزَوْا لَصِي بَعْدَ مَا مَرَّ مَضُوبٌ بِأَشْعَثَ لَا يَفْلِي وَلَا هُوَ يَقْمَلُ

ومصوب نفسه هو الأشعث فكأنه استخلص منه اشعث وأما قراءة الحسن ذكر رحمة ربك فان فاعل ذكر ضمير ما تقدم اي هذا المثلون القرآن الذي هذه الحروف اوله وفاتحته بذكر رحمة ربك وعلى هذا ايضا يرتفع قوله ذكر رحمة ربك اي هذا القرآن ذكر رحمة ربك وإن شئت كان التقدير وما نقص عليك ذكر رحمة ربك فيكون على الوجه الأول ذكر خبر مبتدأ وعلى الوجه الثاني يكون مبتدأ ومن قال خفت المولى فمعناه قل بنوعى واهلي ومعنى من وراثي اي من اخلفه بعدي فقوله بن وراثي خال متوقعة محكية اي متصورا متوقفا كونهم بعدي ومثله مسألة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي متصورا به صيده به غدا

اللغة

الوهن الضف ونقصان القوة يقال وهن يهن وهنا والاشتعال انتشار شعاع النار وقوله واشتعل الرأس شيامن احسن الاستعارات والمعنى اشتعل الشيب في الرأس وانتشر كما ينتشر شعاع النار قال الزجاج يقال للشيب إذا كثر جدا قد اشتعل رأس فلان وانشد للبيد

إِنْ قَرَيْتُ رَأْسِي أَمْسَى وَأَضْحَى سَلَطَ الشَّيْبُ عَلَيْهِ فَأَشْتَعَلَ

والدعاء طلب الفعل من المدعو وفي مقابله الاجابة كما ان في مقابلة الامر الطاعة والمولى اصله من الولي وهو القرب وسمي ابن العم مولى لانه يليه في النسب وقال ابن الاباري في كتابه شكل القرآن المولى في الافة ينقسم على ثمانية اقسام المنعم والمتق والمتمتع والمولى والاولى بالشبي وابن العم والجار والصهر والحليف واستشهد على كل قسم من هذه الاقسام بشي من الشعر وما استشهد به في انه بمعنى المولى والاولى قول الاخطل

فَأَصْبَحَتْ مَوْلَاهُمْ مِنَ النَّاسِ بَعْدَهُ وَأُخْرَى قَرَيْشٍ أَنْ تَهَابَ مُحَمَّدًا

وقوله ايضا يخاطب بني أمية

أَعْطَاكَ اللَّهُ جَدًّا تَنْصُرُونَ بِهِ لَمْ يَأْتِرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ لَا جَدًّا إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدَ مُحْتَقَرٍ وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشْرُوا

والعاقرة المرأة التي لا تلد يقال امرأة عاقرة ورجل عاقر لا يولد له ولد قال الشاعر
 لَيْسَ الْفَتَىٰ إِنْ كُنْتُ أَسْوَدًا عَاقِرًا جَبَانًا فَمَا عَذْرِي لَدَىٰ كُلِّ مَحْضِرٍ
 والعقر في البدن الجرح ومنه أخذ العاقرة لأنه نقص أصل الحلقة أما بالجراحة وأما بامتناع الولادة وعقرت
 الفرس بالسيف ضربت قوائمها والجمل على أربعة أقسام بمعنى الأحداث كقولهم جعل البناء أي أحدثه وبمعنى ان يحدث
 ما يتخير به كقولهم جعل الطين خزفاً وبمعنى ان يحدث فيه حكماً كقولهم جعل فلانا فاسقا أي بما أحدث فيه
 من حكمه وتسميته وبمعنى ان يحدث ما يدعو به إلى ان يفعل كقولهم جعله ان يقتل زيدا أي بأن أمره به ودعاه
 إلى قتله

❁ الاعراب ❁

ذكر مرتفع بالمضمر وتقديره هنا الذي يتلوه عليك ذكر رحمة ربك وهو مصدر مضاف إلى ما هو المفعول في
 المعنى ورحمة مصدر مضاف إلى الفاعل وعبد مفعول لرحمة وذكر يا بدل من عبده أو عطف بيان ويقرب بالقصر والمد قوله قال
 رب اني وهن العظم مني بيان وتفسير للنداء الحفي وشيئا منصوب على التمييز والتقدير واشتعل الرأس من الشيب
 بدعائك تقديره بدعائي إياك فالمصدر مضاف إلى المفعول كقوله من دعاء الخير وبسؤال نعتك

❁ المعنى ❁

(كهيعص) قد بينا في اول البقرة اختلاف العلماء في الحروف المعجم التي في أوائل السور وشرحنا اقوالهم
 هناك وحدث عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال ان كاف من كريم وها من هاد ويا من
 حكيم وعين من عليم وصاد من صادق وفي رواية عطا والكلي عنه ان معناه كاف لخلق هاد لعباده يده فوق
 ايديهم عالم بيريته صادق في وعده وعلى هذا فالن كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله عز وجل
 ودروي عن امير المؤمنين (ع) انه قال في دعائه اسألك يا كهيعص (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) أي هذا خبر
 رحمة ربك زكريا عبده ويعني بالرحمة اجابته اياه حين دعاه وسأله الولد زكريا اسم نبي من انبياء بني اسرائيل
 كان من اولاد هارون بن عمران اخي موسى بن عمران وقيل ان معناه ذكر ربك عبده بالرحمة (إذ نادى ربه نداء
 خفيا) أي حين دعا ربه دعاء خفيا خاليا سرا غير جهر مخفيه في نفسه لا يريد به رياء وفي هذا دلالة على ان المستعب
 في الدعاء الاخفاء وان ذلك اقرب إلى الاجابة وفي الحديث خير الدعاء الحفي وخير الرزق ما يكفي وقيل انها اخفاء
 لتلا يهزأ به الناس فيقول انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر (قال رب اني وهن العظم مني) اي ضعف
 وإنما اضاف الوهن إلى العظم لأن العظم مع صلابته إذا ضعف وتناقص فكيف باللحم والعصب وقيل إنها خص
 العظم لانه شكا ضعف البطش والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم وغيره (واشتعل الرأس شيئا) معناه
 ان الشيب قد عم الرأس وهو نذير الموت عن انبياء المسلمين وقيل معناه تلالاً الشيب في رأسي لكثرة عن ابن الانباري
 وصف حاله خضوعاً وتذلاً لا تعريفاً (ولم اكن بدعائك رب شقياً) اي ولم اكن بدعائي اياك فيا مضى مخيباً
 محروماً والمعنى انك قد عودتني حسن الاجابة وما خيبتني فيا سألتك ولا حرمتني الاستجابة فيا دعوتك فلا تخيبني
 فيا اسألك ولا تحرمني اجابتك فيا ادعوك يقال شقي فلان بمواجهته إذا تعب بسببها ولم يحصل مطلوبه منها (واني
 خفت الموالي) وهم الكلاله عن ابن عباس وقيل العصبه عن مجاهد وقيل لهم العمومه وبنو العم عن انبياء جعفر (ع)
 وقيل بنو العم وكانوا اشرار بني اسرائيل عن الجبائي وقيل هم الورثة عن الكلبي (من وراثي) اي من خلفي
 (وكانت امرأتى عاقراً) اي عقيلاً تلد (فوبلي من لذنك ويا) اي ولدا يليني فيكون اولي بيراتي (برثني) ان
 قرأته بالجزم فالمعنى ان تهب لي برثني وان رفعت جملته صفة لولي والمعنى ويا وارثا لي (ويرث من آل يعقوب)
 وهو يعقوب بن ماثان وأخوه عمران بن ماثان ابو مريم عن الكلبي ومقاتل وقيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

لأن زكريا كان متزوجا باخت ام مريم بنت عمران ونسبها يرجع إلى يعقوب لأنها من ولد سليمان بن داود (ع) وهو من ولد يهوذا بن يعقوب وزكريا من ولد هارون وهو من ولد لاوي بن يعقوب عن السدي ثم اختلف في معناه فقيل معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة عن ابي صالح وقيل معناه يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب عن الحسن ومجاهد واستدل اصحابنا بالآية على ان الأنبياء يورثون المال وأن المراد بالارث المذكور فيها المال دون العلم والنبوة بأن قالوا إن لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على ما ينتقل من الموروث إلى الوارث كالأموال ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة أيضا فإن زكريا (ع) قال في دعائه (واجعله رب راضيا) أي اجعل يارب ذلك الولي الذي يرثني مرضيا عندك ممتثلا لأمرك ومتى حملنا الارث على النبوة لم يكن لذلك معنى وكان لغوا عبثا ألا ترى انه لا يحسن أن يقول احد اللهم ابعث لنا نبيا واجعله عاقلا مرضيا في اخلاقه لأنه إذا كان نبيا فقد دخل الرضا وما هو اعظم من الرضا في النبوة ويقوي ما قلناه أن زكريا صرح بأنه يخاف بني عمه بعده بقوله وإني خفت الموالي من رائي وإنما يطلب وارثا لأجل خوفه ولا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم لأنه (ع) كان اعلم بالله تعالى من ان يخاف أن يعث نبيا من ليس باهل للنبوة وأن يورث علمه وحكمته من ليس لها باهل ولانه إنما بعث لاداعة العلم ونشره في الناس فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثه فان قيل ان هذا يرجع عليكم في وراثة المال لان في ذلك اضافة الضن والبخل اليه قلنا معاذ الله ان يستوي الأمران فالمراد بالمال قد يرزق المؤمن والكافر والصالح والطالح ولا يتمتع ان يأسى على بني عمه إذا كانوا من اهل الفساد أن يظفروا بساله فيصرفوه فيما لا ينبغي بل في ذلك غاية الحكمة فان تقوية الفساق واعانتهم على افعالهم المذمومة محظورة في الدين فمن عد ذلك بخلا وضنا فهو غير منصف وقوله خفت الموالي من رائي يفهم منه ان خوفه إنما كان من اخلاقهم وافعالهم ومعاني فيهم لامن اعيانهم كإيمان من خاف الله تعالى فإنه خاف عقابه فالمراد به خفت تضييع الموالي مالي وانفاقهم اياه في معصية الله تعالى

قوله تعالى (٧) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٨)
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٩) قَالَ
كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (١٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَنْتَ كَلِمَةُ النَّاسِ ثَلَاثَ لِهَالٍ سَوِيًّا (١١) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي عتيا وصليا وحشيا وبكيا بكسر اوائلها وحفص كذلك إلا في بكيا فإنه يضم الباء منها والباقون بالضم في الجميع وقرأ حمزة والكسائي خلقناك والباقون خلقتك

✽ الحجة ✽

قال ابو علي اعلم أن ما كان على فعول كان على ضربين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون جمعا والآخر أن يكون مصدرا وقد جاءت احرف في غير المصادر وهي قليلة والجمع إذا كان على فعول من مثل اللام جاء على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون اللام واوا والآخر أن يكون يا. فما كانت اللام منه واوا من هذه الجموع قلت إلى اليا. وذلك نحو حقو وحقي وعصا وعصي وقد جاءت حروف قليلة من ذلك على الاصل فمن ذلك ما حكاه سيبويه من

قولهم انكم لتنظرون في نجو كثيرة وقولهم فتو في جمع فتى فما كان كذلك فإن كسر الفاء فيه مطرد وذلك نحو ولي وحقي وعصي وإنما جاز ذلك لأنها غيرت تغييرين وهما ان الواو التي هي لام قلبت والواو التي كانت قبلها قلبت ايضا فلما غيرت تغييرين قويا على هذا التغيير من كسر الفاء وأما ما كان لامة يا، نحو ثدي وحلي ونجى فقد كسروا الفاء ايضا منه فقالوا حلي وثدي وإن لم يغير تغييرين فقد اجروا الياء. هاهنا مجرى الواو كما اجروا الياء في اسر واتبس افتعل من اليسر واليبس مجرى الواو وفي اتصل واتهب فأما ما كان من ذلك مصدرا فما كان من الواو فالقياس فيه ان يصح نحو العترو العلولا ن واوه لم يلزمها الانقلاب كما يلزمها الانقلاب في الجمع ولكن لما كانوا قد قلبوا الواو في هذا النحو وإن كان مفردا نحو معدى ومرضى قلبوا ذلك ايضا في نحو عتي ثم اجرى المصدر مجرى الجمع في كسر الفاء منه فأما ما كان من هذه المصادر من الياء فليس يستمر الكسر في فائه كما استمر في الجمع وفي المصادر التي من الواو ألا ترى ان المضي في نحو فما استطاعوا مضيا ليس أحد يروي فيه الكسر فيما علمنا وحكى ابو عمرو عن ابي زيد آوى اليه اويا وبما يؤ كد الكسر في هذا النحو انهم قد قالوا قسي فألزموها كسر القاف وذلك إنه قلبت الواو إلى موضع اللام فلما وقعت موقعا قلبت كما تقاب الواو إذا كانت لاما وكسرت الفاء والزممت الكسرة وحجة من قال قد خلقتك ان قبله قال ربك وحجة من قال خلقتك قوله فيا بعدو حنانا من لدنا ولأنه قد جاء بلفظ الجمع بعد لفظ الافراد قال سبحانه سبحان الذي أسرى ببنده ثم قال وآتينا موسى الكتاب

❖ اللفظة ❖

الغلام اسم المذكر أول ما يبلغ ومنه اشتق اغتلم الرجل اذا اشتدت شهوته للجماع ثم يستعمل في التلبذ فيقال غلام تغلب العتي والعسي بمعنى يقال عتايتموا عتوا وعتيا وعسى يعسوا وعسيا فهو عات وعاس إذا غيره طول الزمان إلى حال اليبس والجفاف وفي حرف ابي وقد بلغت من الكبر عتيا والايحاء القاء المعنى إلى النفس في خفية بسرعة وأصله من قولهم ألوحى ألوحى اي الاسراع الاسراع

❖ الاعراب ❖

«اسمه يحيى» جملة اسمة محرورة الموضع صفة الغلام كذلك في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما قيل لك ولهم تلك أصله لم تكن حذف التثنية منه اكثرته في الكلام فكانت جزم مرتين وسويا منصوب على الحال ان سبحوا ويجوز ان يكون التقدير اي سبحوا ويجوز ان يكون انه سبحوا فحذف واضمر الاسم ولم يعرض من المضمرة شيئا كقوله اولا أن من الله علينا كما جاء العوض في قوله ليعلم ان قد ابلغوا وعلم ان سيكون منكم مرضى وحسبوا أن لا تكون فتنة فيمن رفع وبكرة وعشيا منصوبان على الظرف

— (المعنى) —

(يا زكريا انا نبشرك بغلام) هاهنا حذف معناه فاستجاب الله دعاء زكريا واوحى اليه يا زكريا انا نبشرك على السنة الملائكة بخبر يرى السرور به في وجهك وهو ان يولد لك ابن (اسمه يحيى) وقد تقدم تفسيره في سورة آل عمران (لم نجعل له من قبل سميا) اي لم يسم أحد قبله باسمه عن قتادة وابن جريج والسدي وابن زيد وفي هذا تشرية له من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان الله سبحانه تولى تسميته ولم يكلها إلى الابوين والآخر أنه سماه باسم لم يسبق اليه يدل ذلك الاسم على فضله وقال ابو عبد الله (ع) وكذلك الحسين (ع) لم يكن له من قبل سميا ولم تبك السماء إلا عليها اربعين صباحا قيل له وما كان بكاءها قال كانت تطلع حمراء وتقيب حمراء وكان قاتل يحيى ولد زنا وقاتل الحسين (ع) ولد زنا وروى سفيان بن عيينه عن علي بن زيد عن علي بن الحسين (ع) قال خرجنا مع الحسين (ع) فدا نزل متزلا ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقال يوما ومن هو ان الدنيا على الله عز وجل ان رأس يحيى بن زكريا اهدي إلى بني من بغايا بني اسرائيل وقيل إن معنى قوله

لم نجعل له من قبل سمياً لم تلد العواقر مثله ولذا وهو كقوله هل تعلم له سمياً أي مثلاً عن ابن عباس ومجاهد (قال رب أنى يكون لي غلام) فسرناه في سورة آل عمران (وكانت امرأتى عاقراً) قال الحسن إنما قال ذلك على جهة الاستخاراي أتعيدنا شابين أم ترزقنا الولد شيخين (وقد بلغت من الكبر عتياً) معناه وقد بلغت من كبر السن إلى حال أليس والجفاف ونحول العظم عن قيادة ومجاهد قال قتادة كان له بضع وتسعون سنة (قال كذلك) أي قال الله سبحانه الأمر على ما أخبرتك من هبة الولد على الكبر (قال ربك هو علي هين) أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وافتق رحم امرأتك بالولد عن ابن عباس (وقد خلقتك من قبل) أي من قبل يحيى (ولم تك شيئاً) أي انشأتك وأوجدتك ولم تك شيئاً موجوداً فإزالة عقر زوجتك وإزالة ما يمنع قبول الولد يسر في الاعتبار من ابتداء الانشاء وروى الحكم بن عيينة عن أبي جعفر (ع) قال إنما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمس سنين (قال) زكريا يا (رب اجعل لي آية) أي دلالة وعلامة استدلل بها على وقت كونه (قال) الله تعالى (آيتك) أي علامتك على ذلك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) أي وانت سوي صحيح سليم من غير علة قال ابن عباس اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيام وقال قتادة والسدي اعتقل لسانه من غير بأس ولا خرس فإنه كان يقرأ الزبور ويدعو إلى الله ويسبحه ولا يمكنه ان يكلم الناس وهذا أمر خارج عن العادة (فخرج على قومه من المحراب) أي من مصلاه عن ابن زيد وسمي المحراب محراباً لأن المتوجه إليه في صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته والاصل فيه مجلس الاشراف الذي يحارب دونه ذباً عن أهله قالوا وكان زكريا قد أخبر قومه بما بشر به فلما خرج عليهم وامتنع من كلامهم علموا إجابة دعائه فسروا به (فأوحى اليهم) أي أشار اليهم وأوحى بيده وقيل كتب لهم في الارض عن مجاهد (ان سبحوا بكرة وعشيا) أي صلوا بكرة وعشيا عن الحسن وقتادة وتسمى الصلاة سبحة وتسيحاً لما فيها من التسبيح وقيل أراد التسبيح بينه وقال ابن جريج أشرف عليهم زكريا من فوق غرفة كان يصلي فيها لا يصعد إليها إلا بسلم وكانوا يصلون معه الفجر والعشاء فكان يخرج اليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام فعرفوا عند ذلك انه قد جاء وقت حمل امرأته يحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء قوله تعالى (١٢) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٣) وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٤) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٥) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (أربع آيات)

✽ اللفظة ✽

اصل الحنان الرحمة يقال حنانك وحنانك وقال امرؤ القيس

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَمَجَى بْنِ جَرَمٍ
مَعْيَزٌ حَنَانُكَ ذَا الْخَنَابِ

وقال آخر

قَالَتْ حَنَانُ مَا أَنَّى بِكَ هَاهُنَا
أَذُونَسَبِ أُمِّ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ

أي أمرنا حناناً قال ابو عبيدة وأكثر ما يستعمل بلفظ التثنية قال طرفه

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَأَمْتَبَقِي بَعْضَنَا
حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرَاهُونِ مِنْ بَعْضِ

وتحنن عليه أي تعطف عليه قال الخطيب لعمر بن الخطاب

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِكُ
فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

(١) راجع الجزء الاول صفحة : ٤٣٩ . (٢) بنوشجى بن جرم : حى من قضاة والعمير : جمع العز . وقوله «وينمها» أي يعطيها وهو على رواية الاصمعي كما فى اللسان لكن فى رواية ابن الاعرابي «وينمها» وقوله «حنانك» قال ابن منظور فسرّه ابن الاعرابي فقال : معناه رحمتك يارحمان فاعنني عنهم . وفسر الاصمعي حنانك برحمتك أيضاً أي انزل عليهم رحمتك ورزقك فرواية ابن الاعرابي وتفسيره تسخطوهم . ورواية الاصمعي وتفسيره تشكروهم .

وحنت عليه احن حينا وحنانا وحنة الرجل امرأته والجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقا وفيه جبرية وجبروت
والجبار من التخل ما فات اليد

✽ الإعراب ✽

«بقوة الباء في موضع الحال اي خذ الكتاب مجدا مجتهدا

✽ المعنى ✽

ثم قال سبحانه (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) هاهنا اختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى واعطيناه الفهم
والعقل وقتلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعني التوراة بما قواك الله عليه وايدك به ومعناه وانت قادر على أخذه قوي
على العمل به وقيل معناه يجيد وصحة عزيمة على القيام بما فيه (وآتيناه الحكم صيا) اي آتيناه النبوة في حال
صباه وهو ابن ثلاث سنين عن ابن عباس وروى العياشي بإسناده عن علي بن اسباط قال قدمت المدينة وانا اريد
مصر فدخلت على ابي جعفر محمد بن علي الرضا (ع) وهو اذ ذك خاسي فجعلت أتأمله لأصفه لاصحابنا بمصر فنظر
الي فقال لي يا علي ان الله قد اخذ في الأمامة كما اخذ في النبوة قال فلما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما
وقال وآتيناه الحكم صيا فقد يجوز ان يعطى الحكم ابن اربعين سنة ويجوز ان يعطاه الصبي وقيل ان الحكم
الفهم وهو انه اعطي فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة عن مجاهد وعن معمر قال ان الصبيان قالوا ليحيى
اذهب بنا لنلعب فقال ما للعب خلقنا فانزل الله فيه وآتيناه الحكم صيا وروي ذلك عن ابي الحسن الرضا (ع)
(وحنانا من لدنا) والحنان العطف والرحمة اي وآتيناه رحمة من عندنا عن ابن عباس وفتادة والحسن وقيل معناه
تحنتنا على العباد ورقة قلب عليهم ليدعوهم الى طاعة الله تعالى عن الجبائي وقيل معناه محبة منا عن عكرمة واصله
الشفقة والرفقة ومنه حنين الناقة وهو صوتها اذا اشتاقت الى ولدها وقيل معناه تحنت الله عليه كان اذا قال يا رب
قال الله ليبيك يا يحيى وهو المروي عن الباقر (ع) وقيل معناه تعطفنا منا عن مجاهد فهذه خمسة اقوال (وزكاة)
اي وعملا صالحا زاكيا عن فتادة والضحاك وابن جريج وقيل زكاة لمن قبل دينه حتى يكونوا اذكيا عن الحسن
وقيل يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص عن ابن عباس وقيل معناه وصدقة تصدق الله به على ابويه عن الكلبي
وقيل معناه زكيا بحسن الثناء عليه كما في كفي اليهود الانسان عن الجبائي فهذه خمسة اقوال (وكان تقيا)
ي مخلصا مطيعا متقيا لما نهى الله عنه قالوا وكان من تقواه انه لم يعص احد خطيئة ولم يبه بها «سؤال» يقال لم اضاف
الله سبحانه كونه زكاة الى نفسه وهو انما كان مطيعا زكيا فعله «وجوابه» انه انما صار كذلك بالطاف من الله
لا سيما في تلك الحالة من الصغر ولأننا امتدى بهداية الله اياه (وبرا بوالديه) اي بارا بوالديه محسنا اليهما
مطيعا لهما لطيفا بهما طالبا مرضاتهما (ولم يكن جبارا) اي متكبرا متطاولا على الخلق وقيل الجبار الذي
يقتل ويضرب على الغضب عن ابن عباس (عصيا) اي عاصيا لربه فعيل بمعنى فاعل (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا) اي سلام عليه بنا في هذه الأيام عن عطاء وقيل وسلامة وأمان له منا عن الكلبي ومعناه سلامة
وأمن له يوم ولد من عبث الشيطان به واغوائه اياه ويوم يموت من بلاء الدنيا ومن عذاب القبر ويوم يبعث حيا من
هول المطلع وعذاب النار وانما قال حيا تأكيذا لقوله يبعث وقيل يعني انه يبعث مع الشهداء لأنهم وصفوا بأنهم احياء
قال سفيان بن عيينة اوحش ما يكون الانسان في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت
فيرى قوما لم يكن عابثهم واحكاما ليس له بها عهد ويوم يبعث فيرى نفسه في عشر عظيم فخص الله سبحانه
يحيى بالكرامة والسلام والسلامة في المواطن الثلاثة وقيل إن السلام الأول يوم الولادة تفضل والثاني والثالث
على وجه الثواب والجزاء

قوله تعالى (١٦) واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا

(١٧) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٨) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا (١٩) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (٢٠) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو وورش وقالون برواية الحلواني ويعقوب ليهب بالياء والياقون لأهب بالهمزة

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة من قال لأهب فأسند الفعل إلى المتكلم والهة لله تعالى ومنه إن الرسول والوكيل قد يسند هذا النحو إلى نفسه وإن كان الفعل للموكل أو المرسل للعلم بأنه مترجم عنه ومن قال ليهب لك فهو على تصحيح اللفظ في المعنى ففي قوله تعالى ليهب ضمير من قوله ربك وهو سبحانه الواهب وزعموا ان في حرفي ابى وابن مسعود ليهب ولو خفت الهمزة من لأهب لكان في قول ابى الحسن ليهب فنقلها ياء محضة وفي قول الخليل لأهب يجعلها بين الياء والهمزة

﴿ اللفظة ﴾

النبذ اصله الطرح والاتباء افتعال منه ومنه قوله نبتذوه وراء ظهورهم اي القوه واتبذ فلان ناحية اي تنحية ناحية وجلس فلان نبذة من الناس ونبذة بفتح النون وضمها اي ناحية وإنما يقال ذلك إذا جلس قريبا منهم حتى لو نبذوا اليه شيئا لوصل اليه فالاتباء اتخاذ الشيء بالكاء غيره عنه والمكان الشرقي الذي كان في جهة الشرق قال جرير

هَبَّتْ جَنُوبٌ فَذِكْرِي مَا ذَكَرْتُمْ
عِنْدَ الصَّفَاةِ إِلَى شَرْقِي حَوْرَانَا

﴿ الاعراب ﴾

مكانا نصب على الظرف بشرا سويا منصوب على الحال

﴿ المنى ﴾

ثم عطف سبحانه قصة مريم وعيسى «ع» على قصة زكريا ويحيى «ع» فقال (واذ كر في الكتاب) اي في كتابك هذا وهو القرآن (مريم) اي حديث مريم وولادتها عيسى وصلاحها ليقندي الناس بها ولانكون معجزة لك (اذ اتبذت من أهلها مكانا شرقيا) اي اقردت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق وقعدت ناحية منهم قال ابن عباس انما اتخذت النصرى المشرق قبلة لانها اتبذت مكانا شرقيا وقيل اتخذت مكانا تنفرد فيه للعبادة لثلاث تشتمل بكلام الناس عن الجبائي وقيل تباعدت عن قومها حتى لا يرونها عن الاصم والي مسلم وقيل انها تمت ان تجد خلوة فتغلي رأسها فخرجت من يوم شديد البرد فجلست في مشرفة الشمس عن عطا (فاتخذت من دونهم حجابا) اي فضربت من دون أهلها لثلاث يروها سترها وحاجزا بينها وبينهم (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبرائيل (ع) عن ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم وسماه الله روحا لأنه روحاني واصله الى نفسه تشريفا له (فتمثل لها بشرا سويا) معناه فأناها جبرائيل فاتصّب بين يديها في صورة آدمي صحيح لم ينقص منه شيء وقال ابو مسلم ان الروح الذي خلق منه المسيح تصور لها انسان والاول هو الوجه لاجماع المفسرين عليه وقال عكرمة كانت مريم اذا حاضت خرجت من المسجد وكانت عند خالتها امرأة زكريا ايام حبضها فإذا طهرت عادت الى بيتها في المسجد فيينا هي في مشرفة لها في ناحية الدار وقد ضربت بينها وبين أهلها سترًا لتغتسل وتمشط اذ دخل عليها جبرائيل في صورة رجل شاب

امرد سوي الخلق فانكرته فاستعادت بالله منه (قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) معناه اني اعتمد بالرحمن من شرك فاخرج من عندي ان كنت تقيا «سؤال» يقال كيف شرطت في التعمد منه ان يكون تقيا والتقي لا يحتاج ان يتعمد منه وانما يتعمد من غير التقى «والجواب» ان التقى اذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما بسخط الله فحي ذلك تخويف وترهيب له وهذا كما تقول ان كنت مؤمنا فلا تظلمني فالمعنى ان كنت تقيا فاتعظ واخرج وروي عن علي (ع) انه قال علمت ان التقى ينهائى عن المعصية وقيل ان معنى قوله ان كنت تقيا ما كنت تقيا حيث استحللت النظر اليه وخلوت بي فلما سمع جبرائيل (ع) منها هذا القول (قال) لها (انما انا رسول ربك لأهب لك) وقد بينا معنى القرائتين (غلاما زكيا) اي ولدا طاهرا من الادناس وقيل ناميا في افعال الخير وقيل يريد نبيا عن ابن عباس (قالت) مريم (اني يكون لي غلام) اي كيف يكون لي ولد (ولم يمسنى بشر) على وجه الزوجية (ولم اك بغيا) اي ولم اكن زانية وانما قالت ذلك لأن الولد في العادة يكون من احدى هاتين الجهتين والمعنى اني لست بذات زوج وغير ذات الزوج لا تلد الا عن فجور ولست فاجرة وإنما يقال للفاجرة بغية بمعنى انها تبغى الزنا اسماء تاليه وفي هذه الآيات دلالة على جواز اظهار المعجزات لغير الانبياء لأن من المعلوم ان مريم ليست بنبية واثبتها الله على صرة البشر وبشارة الملك اباها وولادتها من غير وطئ الى غيرها من الآيات التي اثبتها الله بها من اكبر المعجزات ومن لم يجوز اظهار المعجزات على غير النبي اختلفت اقوالهم في ذلك قال الجبائي وابنه انها معجزات لزكريا (ع) وقال البلخي انها معجزات لعيسى على سبيل الارهاص والتأسيس لنبوته

قوله تعالى (٢١) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢٢) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٣) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا (٢٤) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٥) وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا (٢٦) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٧) فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٨) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٩) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٣٠) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (عشر آيات)

القراءة

قرأ حمزة وحفص نسيا بفتح النون والباقون نسيا بكسر النون وقرأ من تحتها بكسر الميم أهل المدينة والكوفة غير ابي بكر وسهل فالباقون من تحتها وقرأ حفص عن عاصم تساقط بضم التاء وكسر القاف وقرأ أحمد عن عاصم وبصير عن الكسائي ويعقوب وسهل بساقط بالياء وتشديد السين وقراءة حمزة تساقط بفتح التاء وتخفيف السين والباقون تساقط بفتح التاء وتشديد السين وفي الشواذ قراءة مسروق يساقط بضم الياء وتخفيف السين وقرأ طلحة بن سليمان رطبا جنيا بكسر الجيم فالما ترين بسكون الياء والتخفيف

= الحجعة =

قال أبو علي قال أبو الحسن النسي هو الشيء الحقيق بنسي نحو النعل والسوط وقال غيره النسي اغفل ما من شيء حقيق وقال بعضهم ما اذا ذكر لم يطلب وقالوا الكسر اعلى اللغتين قال الشنفرى

كَانَ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا تَقْصُهُ عَلَى أَمِّهَا وَإِنْ تُخَاطِبُكَ تَبَلَّتِ (١)

وقال في قوله من تحتها انه جبرائيل او عيسى وقال بعض اهل التأويل لا يكون الا عيسى (ع) ولا يكون جبرائيل لأنه لو كان جبرائيل لتاداهما من فوقها وقد يجوز ان يكون جبرائيل وليس قوله من تحتها يراد به الجهة السفلى وإنما المراد من دونها بدلالة قوله قد جعل ربك تحتك سرياً ولم يكن النهر محاذياً لهذه الجهة ولكن المعنى جعله دونك وقد يقال فلان تحتنا اي دوننا في الموضع والاشبه ان يكون المتأدي لها عيسى فإنه اشد ازالة لما خامر قلبها من الاغتمام واذا قال من تحتها كان عاماً وضع موضع الخاص والمراد به عيسى قال والوجه كلها كما في تساقط متفقة في المعنى الا قراءة حفص الا ترى ان من قرأ تساقط إنما هي تساقط فحذف التاء التي يدغمها غيره وكلهم جعل فاعل الفعل الذي هو تساقط او تساقط في رواية حفص النخلة ويجوز ان يكون فاعل تساقط او تساقط هي جذع النخلة الا انه لما حذف المضاف اسند الفعل الى النخلة في اللفظ فاما تعديتهم تساقط فهو تفاعل لأن تفاعل مطاوع فاعل فكما عدي نحو تفعل في نحو تجرعه وتمزته فكذلك عدي تفاعل فيما جاء من ذلك في الشعر قول اوفى بن مطر

تَخَاطَطَاتِ النَّبْلِ أَحْشَاءَهُ وَأَخْرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعْجَلِ (٢)

وقول الآخر

تَطَالَعَنَا خِيَالَاتُ لِسَلْمَى كَمَا تَطَالَعُ الدِّينَ الْغَرِيمُ

وقول امرئ القيس

وَمِثْلِكَ يَبْضَاءُ الْعَوَارِضِ طِفْلَةً لَعُوبٌ تُنَاسَانِي إِذَا قَمَّتَ سِرْبًا بَالِي (٣)

اراد تنسني ومن قرأ بالياء امكن ان يكون فاعله المزل لأن قوله هزي قد دل عليه فإذا كان كذلك جاز ان يضمه كما اضمر الكذب في قوله من كذب كان شراً له ويمكن ان يكون الجذع ويجوز في الفعل اذا اسند الى الجذع وجهان * احدهما * ان الفعل اضيف الى الجذع كما اضيف الى النخلة برمتها لأن الجذع معظمها * والآخر * ان يكون الجذع منفرداً عن النخلة يسقط عليها ويكون سقوط الرطب من الجذع آية لعيسى (ع) ويصير سقوط الرطب من الجذع اسكن لنفسها واشد ازالة لاهتمامها وسقوط الرطب من الجذع منفرداً من النخل مثل رزقها الذي كان يأتيها المحراب في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً الى قوله هو من عند الله وقوله رطباً في هذه الوجوه منصوب على انه مفعول به ويجوز في قوله تساقط عليك اي تساقط عليك ثمرة النخلة رطباً فحذف المضاف الذي هو الثمرة ويكون انتصاب رطب على الحال وجاز ان يضم الثمر وان لم يجر لها ذكر لأن ذكر النخلة يدل عليها فأما الباء في قوله وهزي اليك بجذع النخلة فيحتمل امرين * احدهما * ان يكون زيادة كقوله التي بيده والتي بيده وقوله

يَوَادٍ يَمَانٍ يَنْبِتُ الشَّتَّ صَدْرَهُ وَأَسْفَلَهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّهْبَانِ (٤)

ونحو ذلك ويجوز ان يكون المعنى وهزي اليك بهز جذع النخلة رطباً كما قال ذو الرمة

وَصَوَّحَ الْبَقْلَ نَأَاجٍ تَجِيئِي بِهِ هَيْفٌ بِمَانِبَةٍ فِي مَرَّهَا نَكَبٌ (٥)

اي تجيئى بمجيئة هيف يعني اذا جاء النأاج جاء الهيف وكذلك اذا هزت الجذع هزت بهزه رطباً اي فلماذا

(١) النسي: الشيء المطروح لا يؤبه له. وبلت - بالفتح - : اذا قطع. وبالكسر: اذا سكن. قيل انه يصف جارية بالحياه. (٢) وقيل هذا البيت قوله «الابلغاخلى جابراً» بان خليلك لم يقتل. (٣) جارية طفلة: ناعة. (٤) نسيه في اللسان الى الاحول الشكرى. والشت: هجر طيب الريح. والمرخ والشهبان ايضاً: قسنان من الاشجار البرية (٥) صوح البقل: تميسه. والنأاج: السريع. والهيف: ويح حارة تجيئى من ناحية اليمن وهي النكباء.

هزرت الرطب سقطوا ما قراءة مسروق بساقط فإنه بمعنى يسقط شيئاً بعد شيء وانشد ابن جنبي قول ضابئ البرجمي
بُسَاقِطُ عَنْهُ رَوْقُهُ ضَارِبَاتِهَا سِقَاطُ حَدِيدِ الْقَيْنِ أَخْوَلُ أَخْوَلًا

ايه يسقط قرن هذا الثور ضاربات كلاب الصيد لطعنه اياها به شيئاً بعد شيء واما قراءة طلحة رطباً جنياً فإنه اتبع كسرة الجيم كسرة النون قال ابن جنبي شبه النون وان لم يكن من حروف الحلق يهن في نحو الشخير والنخير والرغيف واما تَرَيْنَ فهي شاذ لكنه جاء في لغة اثبات النون في الحزم وانشد ابو الحسن
لَوْلَا فَوَارِسٌ مِنْ قَيْسٍ وَأَسْرِهِمْ يَوْمَ الصَّلِيْفَاءِ لَمْ يُؤْفُونَ بِالْجَارِ (١)

اللغة

القصي البعيد والقاصي خلاف الداني وقوله فأجاءها اي جاء بها المخاض وهو مما يعدي تارة بالباء وتارة بهمزة النقل قال زهير

وَجَارٍ سَارَ مَعْتَمِدًا عَلَيْنَا أَجَاءَتْهُ الْمَخَافُفُ وَالرَّجَاءُ

اي جاءت به ويروى جاء قال الكسائي تميم تقول ما اجاءك الى هذا وما امشاك اليه ومن امثالهم شراً جاءك الى محبة عرقوب وتميم تقول امشاك والسري النهر لأنه بسري بجريانه قال لبيد
فَتَوَسَّطًا عَرَضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مَتَجَاوِرًا قَلَامُهُمَا (٢)

ويقال قررت به عينا اقر قرورا فهي لغة فريش واهل نجد يقولون قررت به بفتح العين اقر قراراً كما يقولون قررت بالمكان بالفتح والجنبي بمعنى المجني من جنيت الثمرة واجنيتها اذا قطعها وقال ابن اخت جديمه
هَذَا جِنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ (٣)

وفي معناه قول البكيت بمدح أهل البيت «ع»

خِيَارَهَا يَجْتَنُونَ فِيهِ إِذَا جَانُونَ فِي ذِي كَفِّهِمْ أَرْبُؤَا (٤)

قال ابو مسلم القرني مأخوذ من فرى الأديم إذا قطعه على وجه الاصلاح ثم يستعمل في الكذب وقال الزجاج يقال فلان يفرى القرني إذا كان يعمل عملاً يبالغ فيه قال الرازي «قَدْ كُنْتَ تَفْرِينُ بِهِ الْقُرْيَا» (٥)

الاعراب

عينا منصوب على التمييز فأما ترين أصله ترأين إلا ان الاستعمال بغير همز والياء فيه ضمير المؤنث وإنما حركت لالتقاء الساكنين وهما الياء والنون الأولى من المشددة كما تقول للمرأة ارضين زيدا وقوله من كان في المهد صيباً كان هنا بمعنى الحدوث والوقوع والتقدير كيف نكلم من وجد في المهد صيباً نصب على الحال من كان ومثل كان هاهنا قوله وإن كان ذو عسرة ومثله قول الربيع

إِذَا كَانَتِ الشِّتَاءُ فَادْفِئُونِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدِمُهُ الشِّتَاءُ (٦)

ويموز ان يكون كان هنا مزيدة كما في قول الشاعر

جِيَادُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَامِي عَلَى كَانِ الْمُسَوِّمَةِ الْعَرَابِ (٧)

فلي هذا يكون العامل في الحال نكلم قال الزجاج الاجود أن يكون من في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى من يكن في المهد صيباً فكيف نكلمه ويكون صيباً حالاً كما تقول من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه

(١) وفي اللسان «لولا فوارس من نعم واسرتهم . اهـ» وقال ابن منظور: صليفاً : موضع . (٢) البخعة: القطعة من المع مثل يضرب في العاجة الى لثيم . لان المراد من العرقوب عرقوب الرجل ، وانه لا مخ له . (٣) البيت من معلقته المشهورة وضمير الشئبة من توسطاً وصدعا يرجع الى العبر والواتان . والتصديق : التشقيق : ومسجورة اي مملوءة ماء . والقلام

* المعنى *

(قال كذلك) اي قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة الامر كذلك اي كما وصفت لك (قال ربك هو علي هين) اي احداث الولد من غير زوج للمرأة سهل منأت لا يشق علي (ولنجمله آية للناس) معناه ولنجمله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوته ودلالة على براءة أمه (ورحمة منا) له ولنجمله نعمة منا على الخلق يهدون بسببه (وكان أمراً مقضياً) اي وكان خلق عيسى من غير ذكر أمراً كأننا مفروغا عنه محتوما قضى الله سبحانه بأن يكون وحكمه به (فحملته) اي فحملت مريم بعيسى فنجلت في الحال قيل ان جبرائيل أخذ رذن قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها ووجدت حس الحمل وقيل نفخ في كمها فحملت عن ابن جريج وروي عن الباقر (ع) إنه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه فقحة فكل الولد في الرحم من ساعتها كما بكل الولد في ارحام النساء تسعة اشهر فخرجت من المستحرم وهي حامل محج مثقل فنظرت اليها خالتها فأنكرتها ومضت مريم على وجهها مستحبة من خالتها ومن زكريا (فانتبذت به مكاناً قصياً) اي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد وقيل معناه اقردت به مكاناً بعيداً من قومها حياء من أهلها وخوفاً من أن يتهموها بسوء واختلفوا في مدة حملها فقيل ساعة واحدة قال ابن عباس لم يكن بين الانتباز والحمل إلا ساعة واحدة لأنه تعالى لم يذكر بينهما فصلاً لأنه قال فحملته فانتبذت به فأجاءها والفاء للتعقيب وقيل حملت به في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زاغت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين عن مقاتل وقيل كانت مدة حملها تسع ساعات وهذا مروى عن ابي عبد الله (ع) وقيل ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية وذلك انه لم يعش مولود وضع لثانية اشهر غيره (فأجاءها الخاض) اي الجأها الطلق اي وجع الولادة (إلى جذع النخلة) فالتجأت اليها لتستند اليها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وقيل أجاءها اي جاء بها قال ابن عباس نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة اليها فإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس لها سفوف والجذع ساق النخلة والالف واللام دخلت للمهد لا للجنس اي النخلة المعروفة فلما ولدت (قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) اي شيئاً حقيراً متروكاً عن ابن عباس وقيل شيئاً لا يذكر ولا يعرف عن قتادة وقيل حياضة ملقاة عن عكرمة والضحاك ومجاهد قال ابن عباس فسمع جبرائيل كلامها وعرف جزعها (فناداها من تحتها) وكان أسفل منها تحت أكمة (ألا تحزني) وهو قول السدي وقتادة والضحاك ان المنادي جبرائيل ناداها من سفح الجبل وقيل ناداها عيسى عن مجاهد والحسن ووهب وسعيد بن جبير وابن زيد وابن جرير والجبائي وإنما تمت «ع» الموت كراهية لأن يعصي الله فيها وقيل استحياء من الناس ان يظنوا بها سوءاً عن السدي وروي عن الصادق «ع» لأنها لم تر في قومها رشيداً ذافراً يترهبها من سوء (قد جعل ربك تحتك سرياً) اي ناداها جبرائيل او عيسى ليزول ما عندها من الغم والجزع لا تغتمني قد جعل ربك تحت قدميك نهراً تشربين منه وتنظرون من النفاس عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير قالوا وكان نهراً قد انقطع الماء عنه فارسل الله الماء فيه لمريم واحيي ذلك الجذع حتى اثمر واورق وقيل ضرب جبرائيل (ع) برجله فظهر ماء عذب وقيل بل ضرب عيسى برجله فظهرت عين ماء تجري وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل السري عيسى (ع) عن الحسن وابن زيد والجبائي والسري هو الشريف الرفيع قال الحسن كان والله عبد اسري (وهزي اليك بجذع النخلة) معناه اجذي اليك بجذع النخلة والباء مزيدة وقال الفراء العرب تقول هزه وهز به (تساقط عليك رطباً جنياً) مر معناه وقال الباقر (ع) لم تستشف النفاس بمثل الرطب ان الله اطعمه مريم في قاسها وقالوا ان الجذع كان يابساً لا ثمر عليه اذ لو كان عليه ثمر لهزته من غير ان تؤمر به وكان في الشتاء فصار معجزة بخروج الرطب في غير اوانه وبخروج دفعة واحدة فإن العادة ان يكون نورا اولاً ثم يصير بلحاً ثم يسرا وروي انه لم يكن للجذع رأس فضرته برجلها فاورقت واثمرت وانتثر عليها الرطب جنياً والشجرة التي لا رأس لها لا تثمر في

ضرب من النبات . قال الزوزني : وتحرير المعنى انهما قد وردا شيئاً متبلياً ماءً فدخلا فيها من عرض نهرا وقد تجاوزت بينهما . (٤) قاله عمرو بن عدى بن اخت جذية قوله في هذا البيت قصة ذكره البيهقي في جمع الامثال ج ٢ : ٣٦١ وقد تمثل به أمير المؤمنين (ع) حين امر بكس بيت المال ورشه وقد قسم بين المسلمين ما فيه من الاموال . (٥) اريت يده : سه

العادة وقيل ان تلك النخلة كانت برنية وقيل كانت عجوة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (فكلي واشربي) اي كلي يا مريم من هذا الرطب واشربي من هذا الماء (وقري عينا) جاء في التفسير وطيبى قسا وقيل معناه لتقر عينك سرورا بهذا الولد الذي تربى لأن دمة السرور باردة ودمة الحزن حارة وقيل معناه لتسكن عينك مسكون سرور برويتك ما تحبين (فاما تربى من البشر احدا) فسألك عن ولدك (فقولي اني نذرت للرحمن صوما) اي صمنا عن ابن عباس والمعنى اوجبت على نفسي لله ان لا اتكلم وقيل صوما اي امساكا عن الطعام والشراب والكلام عن قتادة وانما صمت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما ييري به ساحنها عن ابن مسعود وابن زيد وهب وقيل كان في بني اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي بدل على هذا قوله (فلن اكلم اليوم انيا) اي اني صائم فلن اكلم اليوم احدا وكان قد اذن لها ان تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم بشئ آخر عن السدي وقيل كان الله تعالى امرها بان تنذر الله الصمت واذا كلمها احد تومي بانها نذرت لله صمنا لأنه لا يجوز ان يأمرها بأن تخبر بانها نذرت ولم تنذر لأن ذلك كذب عن ابي علي الجبائي (فأتت بقومها تحمله) اي فأتت مريم بعيسى حاملة له وذلك انها لفته في خرقة وحملتة الى قومها (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) اية امرا عظيما بديعا اذ لم تلد انثى قبلك من غير رجل عن مجاهد وقاتدة والسدي وقيل امرا قبيحا منكرا من الافتراء وهو الكذب عن الجبائي (يا اخت هارون) قيل فيه اقوال **احدها** ان هارون هذا كان رجلا صالحا في بني اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس وقاتدة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي (ص) وقيل انه لما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون فقولهم يا اخت هارون معناه يا شبيهة هارون في الصلاح ما كان هذا معروفا منك **وثانيها** ان هارون كان اخاها لا ييها ليس من امها وكان معروفا بحسن الطريقة عن الكلبي **وثالثها** ان هارون اخو موسى (ع) فنسبت اليه لأنها من ولده كما يقال يا اخا تميم عن السدي **رابعها** انه كان رجلا فاسقا مشهورا بالمهر والفساد فنسبت اليه وقيل لها يا شبيته في قبح فعله عن سعيد بن جبير (ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغي) اي كان ابوك صالحين فمن ابن جئت بهذا الولد (فاشارت اليه) اي فأومت الى عيسى (ع) بأن كليمه واستشهدوه على براءة ساحتي فتعجبوا من ذلك ثم (قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صيا) معناه كيف نكلم صيا في المهدي وقيل صيا في الحجر رضيعا وكان المهدي حجر امه الذي تربيته فيه اذ لم تكن هيأت له مهديا عن قتادة وقيل انهم غضبوا عند اشارتها اليه وقالوا لسخرتها بنا اشد علينا من زناها فلما تكلم عيسى (ع) قالوا ان هذا الأمر عظيم عن السدي (قال) عيسى (ع) (اني عبد الله) قدم اقاربه بالعبودية ليبطل به قول من بدعي له الربوبية وكان الله سبحانه انطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه ثم قال (أتاني الكتاب وجعلني نبيا) اي حكم لي بالنبات الكتاب والنبوة وقيل ان الله تعالى اكمل عقله في صغره وارسله الى عباده وكان نبيا مبعوثا الى الناس في ذلك الوقت مكلفا عاقلا ولذلك كانت له تلك المعجزة عن الحسن والجبائي وقيل انه كلمهم وهو ابن اربعين يوما عن وهب وقيل يوم ولد عن ابن عباس واكثر المفسرين وهو الظاهر وقيل ان معناه اني عبد الله سيوتي الكتاب وسيجعلني نبيا وكان ذلك معجزة لمريم (ع) على براءة ساحتها

قوله تعالى (٣١) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا

(٣٢) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٣) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٤) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٥) مَا كَانَ

لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (خمس آيات)

→ اي قطعت وانقر صاحبها (٦) ذكره بشامه في اللسان في مادة «فري» (٧) أدفاه: أسخنه وقائله ربيع بن ضبع الفزاري وهو من المعبرين وهذا البيت من قصيدة قالها بعد ما بلغ من العمر مائتي سنة ذكره الشريف المرتضى (ره) في الإلهام ١٦ : ٢٥٤ اجمع . (٨) قوله تسامى اصله تسامى من السمو بمعنى الرفعة وفي رواية الاشونى «سراة بنى أبي بكر. اهمه

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول الحق بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة أبي مجلز وأبي نهيك وبرا بوالدتي بكسر الباء

﴿ الحجعة ﴾

قال أبو علي قول الحق الرفع فيه على أن قوله ذلك عيسى بن مريم كلام والمبتدأ المضمر ما دلَّ عليه هذا الكلام أي هذا الكلام قول الحق ويمجوز أن يضم هو ويجعله كناية عن عيسى «ع» أي هو قول الحق لأنه قد قيل فيه روح الله وكلمته والكلمة قول وأما النصب فعلى أن قوله ذلك عيسى بن مريم يدل على أحق قول الحق وتقول هذا زيد الحق لا الباطل لأن قولك هذا زيد عندك بمنزلة أحق فكأنك قلت أحق الحق وأحق قول الحق ومن قال وبرا بوالدتي فكأنه قال والزمني برا بوالدتي ويكون معطوفا على موضع الجار والمجرور من قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وعليه بيت الكتاب «بَدَّهَبْنِي فِي نَجْدٍ وَعَوْرًا غَائِرًا» أي ويسلكن غورا وإن شئت حملته على حذف المضاف بمعنى وجعاني ذا بر وإن شئت جعلته آية على المبالغة كقول الخنساء «فَأِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ» (١)

﴿ اللفظة ﴾

السلام مصدر سلمت والسلام جمع سلامة والسلام اسم من أسماء الله تعالى وسلام مما يبدأ به في التكررة لأنه اسم يكثر استعماله يقال سلام عليك والسلام عليك وأسماء الاجناس يكثر الابتداء بها وفائدة نكرتها قريب من فائدة معرفتها تقول ليك وخير بين بديك وإن شئت قلت والخير بين بديك إلا أنه لما جرى ذكر سلام قبل هذا الموضع بغير الف ولا م كان الاحسن أن يرد ثمانية بالالف واللام

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه تمام كلام عيسى «ع» فقال (وجعلني مباركا أينما كنت) أي وجعني معلما للخير عن مجاهد وقيل تقاعاً حيث ما توجهت والبركة نماء الخير والمبارك الذي ينتمي للخير به وقيل نابجا دائما على الإيمان والطاعة وأصل البركة الثبوت عن الجبائي (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي بإقامة الصلاة وأداء الزكاة (مادمت) أي مابقيت (حيا) مكلفاً (وبراً بوالدتي) أي واجعني باراً بها ووددي شكرها فيما قاسته بسبي (ولم يجعلني جبارة) أي متجبرا (شقياً) والمعنى أنني بلطفه وتوفيقه كنت محسناً إلى والدتي متواضعا في نفسي حتى لم أكن من الجبابرة الاشقياء (والسلام علي) أي والسلامة علي من الله (يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) أي في هذه الاحوال الثلاث وقد مر تفسيرها قبل في قصة يحيى وفي هذه الآيات دلالة على أنه يمجوز أن يصف الإنسان نفسه بصفات المدح إذا أراد تعريفها إلى غيره لا على وجه الاختيار قيل ولما كلّمهم عيسى «ع» بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى «ع» فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى بن مريم) معناه ذلك الذي قال أني عبد الله عيسى بن مريم لا ما يقوله النصارى من أنه ابن الله وأنه آله (قول الحق) مرعناه في الحجعة (الذي فيه يمترون) أي يشكون يعني اليهود والنصارى فزعمت اليهود انه ساحر كذاب وزعمت النصارى انه ابن الله وثالث ثلاثة وقيل هو أمترأ النصارى واختلافهم فبعضهم قالوا هو الله وقال بعضهم ابن الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة ثم كذبهم الله تعالى فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد) معناه ما كان يبني لله أن يتخذ من ولد أي ما يصلح له ولا يستقيم عن ابن الانباري قال فتابت اللام عن الفعل وذلك ان من اتخذ ولدا فإنما يتخذ من جنسه لأن الولد مجانس للوالد والله تعالى ليس كمثله شيء فلا يكون له سبحانه ولد ولا يتخذ ولدا وقوله من ولد من هذه هي الذي تدل على نفي الواحد والجماعة فالمعنى أنه لا يجوز أن يتخذ ولدا واحداً ولا أكثر ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال (سبحانه) ثم بين السبب في كون عيسى من غير آب فقال (إذا قضى أمرا

(١) وقيل «ترتع مارتحت حتى اذا ذكرت» وقد مر في صفحة : ٢٨٠ .

فلو أنما يقول له كن فيكون) وقد مر تفسيره فيما مضى والمعنى أنه لا يتمذر عليه إنباء شيء على الوجه الذي أراد
قوله تعالى (٣٦) وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٧) فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٨) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ
يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٩) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ
قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٠) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ (خمس آيات)

(- القراءة -)

قرأ أهل الكوفة وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وإن الله بكسر الهمزة والباقون بالفتح

✽ الهمزة ✽

قال أبو علي حجة من كسر أنه جعله مستأنفا كما أن المعطوف عليه مستأنف وحجة من فتح أنه حمل على
قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم

✽ الإعراب والمعنى ✽

قوله (وإن الله ربي وربكم) من فتح الهمزة فيه أربعة أوجه ✽ أحدها ✽ أن المعنى وقضى أن الله ربي وربكم
عن أبي عمرو بن العلاء ✽ والثاني ✽ أنه معطوف على كلام عيسى أي وأوصاني بأن الله ربي وربكم ✽ والثالث ✽
ذلك عيسى بن مريم وذلك أن الله ربي وربكم عن القراء ✽ والرابع ✽ أن العامل فيه فاعبدوه والتقدير
ولأن الله ربي وربكم (فاعبدوه) فخذف الجار ومن كسر الهمزة جاز أن يكون معطوفاً على قوله قال أني عبد الله
أي وقال إن الله ربي وربكم وجاز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى أو أمر من الله لرسوله أن يقول ذلك
وقوله (هذا صراط مستقيم) معناه هذا طريق واضح فالزموه وقيل إن المعنى هذا الذي أخبرتكم إن الله أمرني
به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه (فاختلف الأحزاب من بينهم) الاختلاف في المذهب أن يعتقد
كل قوم خلاف ما يعتقد الآخرون والأحزاب جمع حزب وهو الجمع المنقطع في رأيه عن غيره وتحزبوا أي
صاروا أحزاباً فالمعنى أن الأحزاب من أهل الكتاب اختلفوا في عيسى «ع» فقال قوم منهم هو الله وهم اليعقوبية
وقال آخرون هو ابن الله وهم النسطورية وقال آخرون هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية وقال المسلمون هو عبد الله
عن قتادة ومجاهد وإنما قال من بينهم لأنهم من ثبت على الحق وقيل إن من زائدة والمعنى اختلفوا بينهم (فويل)
أي فشد عذاب وهي كلمة وعيد (للذين كفروا) بالله بقولهم في المسيح (من مشهد يوم عظيم) المشهد بمعنى
الشهود والحضور أي من حضورهم ذلك اليوم وهو يوم القيامة وسمي عظيماً لعظم أهواله وقيل لهم من مجمع
يوم أي من الفضيحة على رؤوس الجمع يومئذ (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) قيل فيه وجهان ✽ أحدهما ✽
أن التقدير صاروا ذوي سمع وبصر والجار والمجرور في موضع رفع لأنه فاعل أسمع والمعنى ما أسمعهم وأبصرهم
يوم القيامة وإن كانوا في الدنيا صماً وبكماً عن الحق عن الحسن ومعناه الأخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك
الحال ومثله قوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) يعني أن
الكافرين في الدنيا آثروا الهوى على الهدى فهم في ذهاب عن الدين وعدول عن الحق والمراد أنهم في الدنيا
جاهلون وفي الآخرة عارفون حيث لا تنفعهم المعرفة وقال أبو مسلم وهذا يدل على أن قوله سبحانه صم بكم عمي
ليس معناه الآفة في الأذن واللسان والعين بل هو أنهم لا يتدبرون ما يسمعون ويرون ولا يعتبرون ألا ترى أنه

جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين في مقابلته فأقام السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله في مقابلة الضلال المبين ﴿وَالثَّانِي﴾ ان معناه اسمعهم وابصرهم اي بصروهم وبيّن لهم انهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال مبين عن الجنة والثواب عن الجبائي قال ويجوز أن يكون المعنى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم يعني يوم القيامة في ضلال عن الجنة وهذا بعيد وقد استدرك على الجبائي في قوله والأولى والأظهر في الآية الوجه الأول (وانذرهم يوم الحسرة) الخطاب للنبي ﷺ والمعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسي هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من العمل وهو يوم القيامة وقيل إنما يتحسر المستحق للعقاب فأما المؤمن فلا يتحسر وروى مسلم في الصحيح بالاسناد عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيجاء بالملوت كأنه كبش الملح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا وكل قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت قال وذلك قوله وأنذرهم يوم الحسرة الآية ورواه اصحابنا عن ابي جعفر «ع» وابي عبد الله «ع» ثم جاء في آخره فيفرح أهل الجنة فرحاً لو كان أحد يومئذ ميتاً لما اتوا فرحاً ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً لما اتوا (إذ قضي الأمر) اي فرغ من الأمر وانقطعت الآمال وأدخل قوم النار وقوم الجنة وقيل معناه اتقضى أمر الدنيا فلا يرجع اليها الاستدراك الفائت وقيل معناه حكم بين الخلائق بالعدل وقيل قضي على أهل الجنة بالخلود وقضي على أهل النار بالخلود (وهم في غفلة) في الدنيا عن ذلك ومعناه انهم مشغولون اليوم بما لا يعنيهم غافلون عن احوال الآخرة (وهم لا يؤمنون) اي لا يصدقون بذلك ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) اي نمت سكانها فنرثها ومن عليها من العقلاء لأننا نمتهم ونهلكهم فلا يبقى فيها مالك ومتصرف (والينا يرجعون) اي إلينا يردون بعد الموت اي إلى حيث لا يملك الأمر والنهي غيرنا

قوله تعالى (٤١) وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤٢) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٣) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٥) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٦) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْإِهْيَابِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ نَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٧) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٨) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٩) فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْزُبُ عَنْهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٥٠) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (عشر آيات)

﴿ القراءه ﴾

قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في قوله يا أبت والوجه في ذلك في سورة يوسف «ع»

﴿ اللفه ﴾

الصديق هو كثير التصديق بالحق حتى يصير علماً فيه والرغبة عن الشيء قبيض الرغبة فيه والرغبة الدعاء

إلى الرغبة في الشيء والانتهاه الامتناع من الفعل المنهي عنه يقال نهاء عن الأمر فانتهى وأصله النهاية والنهي زجر
عن الخروج من النهاية المذكورة والتناهي بلوغ نهاية الحد والرجم الرمي بالحجارة والرجم الشتم وأصله من الرجم
والرجم وهو الحجارة والملي الدهر الطويل قال الفراء يقال كنت عندنا مملوءة ومملوءة ومملوءة ومملوءة ومملوءة وكله من طول المقام
والحفي المستقصي في السؤال والحفي اللطيف بعموم النعمة وأصل الباب الاستقصاء تقول تحفيت به أي بالفت في
إكرامه وحفوته من كل خير بالفت في منعه واحفيت شاربي بالفت في أخذه حتى استأصلته واحفيت في السؤال
بالفت وكل شيء استوصل فقد احتفني وتقول العرب جاءني لسان فلان أي مدحه وذمه قال عامر بن الحرث

إِنِّي أَتَنِّي لِسَانَ لَا أَسْرُ بِهَا
مِنْ عَلَوٍ لَأَعْجَبُ مِنْهَا وَلَا سَخْرُ
جَاءَتْ مَرَجَمَةٌ كُنْتُ أَحْذَرُهَا
لَوْ كَانَتْ بِنَفْعِي الْإِسْفَاقُ وَالْحَذْرُ

❖ الاعراب ❖

قال الزجاج العرب تقول في النداء يا ابنت ويا أمت ولا يقال قال ابني كذا وقالت امي كذا وزعم الخليل
وسيبويه انها بمنزلة قولهم يا عمه ويا خالة وزعم انه بمنزلة قولهم رجل ربة وغللام بفعلة وان الهاء عوض من ياء
الاضافة في يا ابني وقوله مليا منصوب على الظرف وكلا مفعول جملة

❖ المعنى ❖

ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم (ع) فقال (واذكر) يا محمد (سيف الكتاب) أي القرآن (ابراهيم) انه كان
صديقاً أي كثير التصديق في أمور الدين عن الجبائي وقيل صادقاً مبالغا في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى عن
أبي مسلم (نيا) أي علياً رفيع الشأن برسالة الله تعالى (إذ قال لأبيه) آزر (يا أبت) أي يا ابني ودخلت التاء
للمبالغة في تحقيق الإضافة (لم تعبد ما لا يسمع) دعاء من يدعو (ولا يبصر) من يتقرب إليه وبعبده (ولا
يعني عنك شيئاً) من أمور الدنيا أي لا يكفيك شيئاً فلا ينفك ولا يضررك (يا أبت) أي قد جاءني من العلم
بالله والمعرفة (ما لم يأتك فاتبعني) على ذلك واقتدي فيه (اهدك صراطاً سوياً) أي أوضح لك طريقاً مستقيماً
معتدلاً غير جائر بك عن الحق إلى الضلال (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فيما يدعوك إليه
فتكون بمنزلة من عبده ولا شبهة ان الكافر لا يعبد الشيطان ولكن من أطاع شيئاً فقد عبده (إن الشيطان كان
لرخص عاصياً) أي عاصياً (يا أبت) أي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن (أي يصيبك عذاب من جهة الله سبحانه
لاصرارك على الكفر) فتكون للشيطان ولياً) أي فتكون موكولاً إلى الشيطان وهو لا يعني عنك شيئاً عن
الجبائي وقيل معناه فتكون لاحقاً بالشيطان باللعن واخذلان واللاحق يسمى التالي والذي يتلو الشيء والذي
يليه سواء عن أبي مسلم وقيل فتكون له قربناً في النار وقيل معناه فيكون الشيطان ولياً نصرتك ولم يقل
فيكون الشيطان وليك لأنه ابلغ في الفضيحة وإنما أراد زجره عن موالاته الشيطان لا تحقيق النصرة بعني إذا
لم يكن لك الانصرته فأنت مخذول لا ناصر لك وقد بينا فيما مضى ان الذي يقوله اصحابنا ان هذا الخطاب
من ابراهيم (ع) إنما توجه إلى من ساء الله أباه لأنه كان جدّاً لابراهيم (ع) لانه وان أباه الذي ولده كان اسمه
تارخ لاجماع الطائفة على ان أباه نبينا ﷺ إلى آدم (ع) كلهم مسلمون موحدون ولما روي عنه ﷺ
انه قال لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا والكافر
غير موصوف بالطهارة لقوله تعالى إنما المشركون نجس (قال) آزر مجيباً لابراهيم (ع) حين دعاه إلى الإيمان
(أراغب أنت عن آلهتي) أي أمرض أنت عن عبادة آلهتي التي هي الاصنام (يا ابراهيم) وتارك لها وزاهد
فيها (لئن لم تنته) أي لئن لم تمتنع عن هذا (لأرجنك) بالحجارة عن الحسن والجبائي وقيل لأرئيتك بالذنب

والعيب واشتمنك عن السدي وابن جريج وقيل معناه لا تقتلك (واهجرني مليا) اي فارقتني دهرأ طويلا عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي وقيل مليا سويا سليما عن عقوبتي عن ابن عباس وقتادة وعطاء والضحاك من قولهم فلان ملي بهذا الأمر اذا كان كاملا فيه مضطلعا به (قال) ابراهيم (سلام عليك) سلام توديع وهجر على الطف الوجوه وهو سلام متاركة ومباعدة منه عن الجبائي وابي مسلم وقيل هذا سلام اكرام ويرتقبائل جفوة ابيه بالبر تأدية لحق الابوة اي هجرتك على وجه جميل من غير عقوق (سأستغفر لك ربي) قيل فيه اقوال * احدها * انه انما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل ولم يكن بعد قد استقر قبح الاستغفار للمشر كبن * وثانيها * انه قال سأستغفر لك ربي على ما يصح ويجوز من ترك عبادة الاوثان واخلاص العبادة لله تعالى عن الجبائي * وثالثها * ان معناه سادعو الله ان لا يعذبك في الدنيا عن الأصم (انه كان بي حفيا) اي بارأ لطيفارحبا عن ابن عباس ومقاتل وقيل ان الله عودني احسانه وكان لي مكرما وقيل كان عالما بي وبما ابتغيه من مجادلتيك لعله يهديك (واعتز لكم وما تدعون من دون الله) اي واتنحى منكم جانبا واعتزل عبادة ما تدعون من دونه من الاصنام (وادعوا) اي واعبد (ربي عسى ان لا أكون بدعاء ربي شقيا) كما شقيتم بدعاء الاصنام وانما ذكر عسى على وجه الخضوع وقيل معناه لعله يقبل طاعتي وعبادتي ولا اشقى بالرد فان المؤمن بين الرجاء والخوف (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) اي فارقتهم وهاجرهم الى الارض المقدسة (وهبنا له اسحاق) ولدا (ويعقوب) ولد (وكلا جعلنا نبيا) اي انسانا وحشته من فراقهم باولاد كرام على الله وكلا من هذين جعلناه نبيا يقتدى به في الدين (وهبنا له من رحمتنا) اي نعمتنا سوى الاولاد والنبوة من نعم الدين والدنيا (وجعلناهم لسان صدق عليا) اي ثناء حسنا في الناس عليا مرتفعا سائرا في الناس و كل اهل الاديان يتولون ابراهيم وذريته ويشنون عليهم ويدعون انهم على دينهم وقيل معناه واعلينا ذكركم بان محمدا صلى الله عليه وسلم وامته بذكورهم بالجميل الى قيام القيامة وقيل هو ما يتلى في التشهد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم

قوله تعالى (٥١) واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا و كان رسولا نبيا (٥٢) وناديتاه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا (٥٣) وهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا (٥٤) واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا (٥٥) وكان يا امرأهه يا لصلاة والزر كاة وكان عند ربه مرضيا (خمس آيات)

* القراءة *

قرأ اهل الكوفة مخلصا بفتح اللام والباقون مخلصا بكسرها

* الحجة *

من كسر اللام فحجته واخلصوا دينهم لله ومن فتحها فحجته انا اخلصناهم

* اللفظة *

يقال ناجاه بناجيه اذا اختصه بكلام القاه اليه واصل النجاة الارتفاع من الارض ومنه النجاة ايضا وهو الارتفاع عن الهلكة والنجاة السرعة لأنه ارتفاع في السير ومنه المناجاة لأنه ارتفاع الحديث الى المحدث والتعجب بمعنى المتاحي كالجليس والضجيع وقيل نجى مصدر بمعنى ارتفاع لأن معنى قربناه رفعناه وبجوز ان يكون التقدير وقربناه مكانا رفيعا

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (موسى انه كان مخلصا) اخلص العبادة لله تعالى واخلص نفسه لاداء الرسالة وبفتح اللام يكون معناه اخلصه الله بالنبوة واختاره للرسالة (وكان رسولا) الى فرعون وقومه (نبيا) رفيع الشأن عالي القدر (وناديتاه من جانب الطور الأيمن) الطور جبل بالشام ناداه الله تعالى من جانبه اليمين وهي بين موسى وقيل من جانب اليمين من الطور هربد حيث اقبل من مدين ورأى النار في الشجرة وهو قوله يا موسى اني انا الله رب العالمين (وقربناه نجيا) اي مناجيا كليما قال ابن عباس قربته الله وكلمه ومعنى هذا التقرب انه اسمعه كلامه وقيل قربته حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التوراة وقيل قربناه اي ورفعنا منزلته واعلينا محله حتى صار محله منا في الكرامة والمنزلة محل من قومه مولاه في مجلس كرامته فهو تقرب كرامة واصطفا لا تقرب مسافة وادناه اذ هو سبحانه لا يوصف بالحلول في مكان فيقرب من بعد او يبعد من قرب او يكون احد اقرب اليه من غيره (ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا) اي انعمنا عليه باخيه هارون حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون وجعلناه نبيا اشركناه في امره وشددنا به ازوه (واذكر في الكتاب) الذي هو القرآن (اسماعيل) بن ابراهيم ايضا (انه كان صادقا الوعد) اذا وعد بشي وفي به ولم يخلف (وكان) مع ذلك (رسولا نبيا) الى جرحهم وقد مضى معناه قال ابن عباس انه واعد رجلا ان ينتظره في مكان ونسي الرجل فانتظره سنة حتى اتاه الرجل وذلك مروى عن ابي عبد الله (ع) وقيل اقام ينتظره ثلاثة ايام عن مقاتل وقيل ان اسماعيل بن ابراهيم (ع) مات قبل ابيه ابراهيم (ع) وان هذا هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فسلخوا جلدة وجهه وفروة رأسه فخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستغفاه ورضي بشوابه وفوض امرهم الى الله تعالى في عقوبه ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) ثم قال في آخره اتاه ملك من ربه يقرئه السلام ويقول قد رأيت ما صنع بك وقد امرني بطاعتك فمرني بما شئت فقال يكون لي بالحسين (ع) أسوة (وكان يأمر اهله) اي قومه وعترته وعشيرته وقيل امته عن الحسن (بالصلاة والزكاة) وقيل انه كان يأمر اهله بصلاة الليل وصدقة النهار (وكان) مع ذلك (عند ربه مرضيا) قد رضي اعماله لانها كلها طاعات لم تكن فيها قبائح وقيل مرضيا معناه صالحا زكيا ورضيا فحصل له عنده المنزلة العظيمة قوله تعالى (٥٦) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ اِدْرِيْسَ اِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٧) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٨) اُولَئِكَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ اٰدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْرٰئِيْلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاَجْتَبَيْنَا اِذْ اَنْتَلٰى عَلَيْهِمْ اَبَاتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَّبُكِيًّا (٥٩) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاَتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٦٠) اِلَّا مَنْ تَابَ وَاٰمَنَ وَعَمِلَ صٰلِحًا فَاُولٰٓئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَّلَا يُظْلَمُوْنَ شَيْئًا (خمس آيات)

﴿ اللفظ ﴾

العلي العظيم العلو والعلو العظيم فيما يقدر به على الامور ومنه يوصف الله تعالى بانه علي والفرق بين العلي والرفيع ان العلي قد يكون بمعنى الاقتدار وبمعنى علو المكان والرفيع من رفع المكان لا غير ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه رفيع واما رفيع الدرجات فالرفيع وصف للدرجات بالرفعة وبكفي وزنه فعول وهو جمع بالك ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى البكاء والحلف بفتح اللام يستعمل في الصالح وبسكون اللام في الطالح وقد يستعمل كل واحد

في الآخر قال لييد

ذَهَبَ الدِّينُ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ (١)

* الاعراب *

سجدا وبكيا نصب على الحال وتقديره خروا ساجدين وباكين قال الزجاج وهي حال مقدرة المعنى خروا مقدرين السجود لأن الانسان في حال خروده لا يكون ساجدا الا من تاب في موضع نصب اي فسوف يلقون العذاب الا التائبين فيكون الاستثناء متصلا ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا من غير الاول ويكون المعنى لكن من تاب وامن فاولئك يدخلون الجنة

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه حديث ادريس فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (ادريس) وهو جد اب نوح (ع) واسمه في التوراة اخنوخ وقيل انه سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وهو اول من خط بالقلم وكان خياطا واول من خاط الثياب وقيل ان الله تعالى علمه النجوم والحساب وعلم الهيئة وكان ذلك معجزة له (انه كان صديقا نبيا) مرعاه (ورفعناه مكانا عليا) اي عاليا رفيعا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة عن انس وابي سعيد الخدري وكعب ومجاهد وقيل الى السماء السادسة عن ابن عباس والضحاك قال مجاهد رفع ادريس (ع) كما رفع عيسى (ع) وهو حي لم يميت وقال آخرون انه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وروي ذلك عن ابي جعفر وقيل ان معناه ورفعناه محله ومرتبته بالرسالة كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ولم يرد به رفعة المكان عن الحسن والجائني وابي مسلم ولما فصل سبحانه ذكر النبيين ووصف كلا منهم بصفة تخصه جمعهم في المدح والثناء فقال (اولئك) تقدم ذكرهم (الذين ائتم الله عليهم) بالنبوة وقيل بالثواب وبسائر النعم الدينية والدنيوية (من النبيين من ذرية ادم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل) انما فرق سبحانه ذكر نبيهم مع ان كلهم كانوا من ذرية ادم (ع) لتبين مراتبهم في شرف النسب فكان لادريس شرف القرب لادم لانه جد نوح (ع) وكان ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح وكان اسماعيل واسحاق ويعقوب من ذرية ابراهيم لما تبعوا من ادم حصل لهم شرف ابراهيم وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية اسرائيل (ومن هدينا واجتبتنا) قيل انه تم الكلام عند قوله اسرائيل ثم ابتدأ فقال (ومن هدينا واجتبتنا من الامم قوم اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) فحذف لدلالة الكلام عليه عن ابي مسلم وروي عن علي بن الحسين (ع) انه قال نحن عتينا بها وقيل بل المراد به الانبياء الذين تقدم ذكرهم من ذرية ادم ومن هديناهم واجتبتناهم اي هديناهم الى الحق فاهتدوا واخترناهم من بين الخلق ثم وصفهم فقال (اذا تتلى عليهم) اي تقرأ عليهم (آيات الرحمن) وهو القرآن عن ابن عباس (خروا سجدا) اي ساجدين لله (وبكيا) اي باكين متضرعين اليه بين الله سبحانه انهم مع جلالة قدرهم كانوا يبكون عند ذكر آيات الله وهو لا العصاة ساهون لاهون مع احاطة السيئات بهم ثم اخبر سبحانه فقال (فخلف من بعدهم خلف) والخلف البدل السبي معناه من بعد النبيين المذكورين قوم سوء وقيل هم اليهود ومن تبعهم لأنهم من ولد اسرائيل وقيل هم من هذه الامة عند قيام الساعة عن مجاهد وقتادة (اضاعوا الصلاة) تركوها عن محمد بن كعب وقيل اضاعوها بتأخيرها عن مواعيتها من غير ان تركوها اصلا عن ابن مسعود وابراهيم وعمر بن عبدالعزيز والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (واتبعوا الشهوات) اي انفذوا الشهوات فيما حرم الله عليهم فقال رهب فخلف من بعدهم خلف شرابون للشهوات لعابون بالكعبات ركابون للشهوات متبعون لذات تاركون للجمعات مضيعون للصلوات (فسوف يلقون غيا) اي يلقون مجازاة الغي عن الزجاج وهذا كقوله ومن يفعل ذلك يلقى اثمها اي مجازاة الاثم وقيل يلقون غيا

(١) هذا بيت من قصيدة مشهورة قالها في رثاء اخيه من امه اربدين قيس وقد خرج مع عامر بن الطفيل ليعنرا برسول الله (ص) فدعا عليهما في قصة مشهورة فماتتا من رجوعهما وقدم البيت في ج ٢ : ٤٩٥ بمعناه فراجع .

اي شرا وخيبة عن ابن عباس وابن زيد ومنه قول الشاعر « ومن يغرو لا يعدم على الغي لائما » اي يحب وقيل الغي واد في جهنم عن ابن مسعود وعطاء وكعب (الا من تاب) اي ندم على ما سلف (وآمن) في مستقبل عمره (وعمل صالحا) من الواجبات والمندوبات (فاو تلك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) ومن قرأ يدخلون بضم الياء. وفتح الحاء. اراد ان الله سبحانه يدخلهم الجنة بان يأمرهم بدخولها وهذا يطابق قوله ولا يظلمون ومن قرأ يدخلون اراد انهم يدخلونها بأمر الله والمعنيان واحد ولا يخسرون شيئا من ثوابهم بل يوفيه الله اليهم على التمام والكمال وفي هذا دلالة على ان الله لا يمنع احداً ثواب عمله ولا يبطله لانه سبحانه سمي ذلك ظلماً

قوله تعالى (٦١) جَنَّاتُ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا (٦٢) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ (٦٣) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٤) وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرِّ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ رويس عن يعقوب نُورث بالتشديد والباقون نورث وفي بعض الروايات عن ابي عمرو هل تعلم يدغم اللام في التاء. والاكثر الاظهار

✽ اللمعة ✽

يقال اورثه وورثه بمعنى قال ابو علي يرى سيبويه ان ادغام اللام في التاء. والبدال والطاء. والصاد والزاي والسين جائز لأن مخرج اللام قريب من مخرجهم وهي حروف طرف اللسان وانشد لمرحوم العقيلي

فَدَّرَ ذَا وَلَكِنَّ هُنَّ مَتِيْمًا عَلَى ضَوْءِ بَرْقِ آخِرِ اللَّيْلِ نَاصِبِ

✽ الاعراب ✽

جنات عدن بالنصب على البدل من قوله الجنة وقوله بالغيب في موضع الحال اي كائنة بالغيب وذو الحال جنات عدن وسلاما استثناء منقطع فكأنه قال لا يسمعون فيها كلاما يؤلمهم ولكن يسمعون سلاما وما تنزل الا بأمر ربك تقديره قل ما تنزل فاضمر القول له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك قال ابو علي هذه الآية تدل على ان الازمنة ثلاثة ماض وهو قوله ما بين ايدينا ومستقبل وهو قوله وما خلفنا وحال وهو قوله وما بين ذلك وما كان ربك نسيارب السماوات والارض بدل من اسم كان وان شئت كان خبر مبتدأ محذوف وان شئت كان مبتدأ وقوله فاعبده خبره وهذا على قول الاخفش دون سيبويه

✽ النزول ✽

قيل ان العاص بن وائل السهمي لم يعط اجرة اجير استعمله وقال لو كان ما يقوله محمد حقا فنحن اولى بالجنة ونعيمها فحينئذ اوفوا بجره فنزلت تلك الجنة التي نورث الاية وقيل احتبس الوحي اياما لا سئل النبي ﷺ عن قصة اصحاب الكهف وذوي القرنين والروح فشق ذلك عليه فلما اتاه جبرائيل استبطأه فنزلت وما تنزل الا بامر ربك الاية عن مكرمة والضحاك وقتادة والكليبي ومقاتل

— (المعنى) —

ثم وصف سبحانه الجنة فقال (جنات عدن) اي جنات اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ووحد في الآية

المتقدمة وجمع ههنا فكأنه جنة تشتمل على جنات وقيل لأن لكل واحد من المؤمنين جنة تجمعها الجنة العظمى (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) المراد بالعباد المؤمنون كما قال فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل انه يتناول المؤمن والكافر ولكن بشرط رجوع الكافر عن كفره وقال بالغيب لأنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت ولا اذن سمعت عن ابن عباس والمعنى انه وعدهم امرا لم يكونوا يشاهدونه فصدقوه وهو غائب عنهم (انه كان وعده) اي موعوده (ماتيا) اي آتيا لا محالة والمفعول هنا بمعنى الفاعل لأن ما آتيتك فقد آتاك وما آتاك فقد آتيتك يقال آتيت على خمسين سنة وآتت علي خمسون سنة وقيل إن الموعود هو الجنة والجنة مأتية يأتيها المؤمنون (لا يسمعون فيها لقرا) اي لا يسمعون في تلك الجنات القول الذي لا معنى له يستفاد وهو اللغو وقيل قد يكون اللغو الهزل وما يلغى من الكلام مثل الفحش والباطيل (إلا سلاما) اي إلا سلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض قال الزجاج السلام اسم جامع لكل خير لأنه يتضمن السلامة اي يسمعون ما يسلمهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال المفسرون ليس في الجنة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشيا والمراد انهم يوتون برزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغذاء والمشاء وقيل كانت العرب إذا أصاب احدهم الغذاء والمشاء لمعيت به وكانت تكره الوجبة وهي الأكلة الواحدة في اليوم فأخبر الله تعالى ان لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيا على قدر ذلك الوقت وليس ثم ليل وإنما هو ضوء ونور عن قتادة وقيل انهم يعرفون مقدار الليل بارحاء الحجب واغلاق الابواب ومقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب (تلك الجنة التي) هي مذكورة في قوله فأولئك يدخلون الجنة التي (نورث من عبادنا من كان تقيا) اي إنما نملك تلك الجنة من كان تقيا في دار الدنيا بتك المعاصي وفعل الطاعات وإنما قال نورث مع أنه ليس بتملك نقل من غيرهم اليهم لأنه شبه بالميراث من جهة انه تمليك بمجال استوفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا عن الجبائي وقيل إنه تعالى اورثهم من الجنة المساكن والمنازل التي كانت لأهل النار لو اطاعوا الله تعالى وأضاف العباد إلى نفسه لأنه أراد المؤمنين (وما نتزل إلا بأمر ربك) قال ابن عباس إن النبي ﷺ قال لجبرائيل ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فتزل وما نتزل إلا بأمر ربك الآية اي إذا امرنا نزلنا عليك وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وقيل انه قول أهل الجنة انا لا نتزل موضعا من الجنة إلا بأمر الله تعالى عن ابي مسلم (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا اي ما مضى من أمر الدنيا وما بين ذلك اي ما بين النفختين عن ابن عباس وقتادة والضحاك والربيع قال مقاتل وما بين النفختين اربعون سنة وقيل معناه ابتداء خلقنا ومنتهى آجالنا ومدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا ما بقي من امر الدنيا وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك من حياتنا اي هو المدبر لنا في الاوقات الماضية والآتية والذاهبة وقيل ما بين أيدينا اي الأرض عند نزولنا وما خلفنا السماوات إذ نزلنا منها وما بين ذلك السماء والأرض (وما كان ربك نسيا) قيل هذا تمام حكاية قول الملائكة وقول أهل الجنة وقيل بل تم الكلام قبله ثم اخبر الله سبحانه عن نفسه ومعناه انه سبحانه ليس ممن ينسى ويخرج عن كونه عالما لأنه عالم لذاته وتقديره وما نسيك يا محمد وان آخر الوحي عنك وقيل ما كان ربك ناسيا لأحد حتى لا يبسه يوم القيامة عن ابي مسلم (رب السماوات والأرض) اي خاتمتها ومدبرهما (وما بينهما) من الخلائق والاشياء (فاعبده) وحده لا شريك له (واصطبر لعبادته) اي اصبر على تحمل مشقة عبادته ثم قال لنيب ﷺ (هل تعلم لهسميا) اي مثلا وشبيها عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وسعيد بن جبير وقيل هل تعلم احدا يستحق ان يسمى إلهما إلا هو عن الكلبي وقيل هل تعلم احدا يسمى إلهما خالقا رازقا محيا مميتا قادرا على الثواب والعقاب سواه حتى تعبده فإذا لم تعلم ذلك فالزم عبادته وهذا استفهام بمعنى النفي اي لا تعلم من يسمى بلفظة الله

قوله تعالى (٦٦) وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثٌ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا (٦٧) أَوْلَا يَذْكُرُ

الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٨) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهم وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَحْضِرَنَّهم
 حول جهنم جثيا (٦٩) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ من كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهم أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٧٠) ثُمَّ
 لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (خمس آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ نافع وعاصم وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وسهل اولا يذكر خفيفا والباقون اولا يذكر بالتشديد
 - (الحمزة) -

قال ابو علي التذکر يراد به التدبیر والتفکر وليس تذکرا عن نسيان والثقیلة كأنه في هذا المعنى اكثر فمن
 ذلك قوله ولم نمرکم ما يتذکر فيه من تذکر وقال إنما يتذکر اولوا الالباب فأضافته إلى اولي الالباب يدل على
 ان المراد به النظر والتفکر والحقیفة في هذا المعنى دون ذلك في الكثرة وقد قال الله تعالى إن هذه تذکرة فمن
 شاء ذکروه وزعموا انه في حرف ابي اولا يتذکروا ما قوله ولم يك شيئا فمعناه لم يك شيئا موجودا وليس يراد انه
 قبل الخلق لم يقع عليه اسم شيء وهذا كقوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
 وقد قال ان زلزلة الساعة شيء عظیم

— (اللفظة) —

الجثي جمع الجاثي وهو الذي برك على ركبتيه واصله جثو فعول من جثى يجثو وقد تقدم القول فيه في أوائل
 السورة والشیعة الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الامور ومنه تشایع القوم إذا تعاونوا والصلي مصدر صلی
 يصلي صلیا مثل لقی يلقى لقیيا وصلی يصلي صلیا مثل مضى يمضي مضيا

❖ الإعراب ❖

العامل في قوله إذا ماتت مضمرة دل عليه قوله سرف اخرج حيا والتقدير إذا ماتت بعثت ولا يجوز ان يغفل فيه
 اخرج لأن ما بعد اللام لا يعمل في شيء كما ان ما بعد ان كذلك وما بعد الاستفهام وحرف النفي وقد ذكرنا ذلك
 في مواضع والشیاطین یجتمعون ان یکفرون منصرفا بأنه مقوم باداءه ونحوه والایمان یجتمعون ان یکفرون منصرفا
 بمعنى لنحشرنهم مع الشیاطین وجثيا منصوب على الحال وعتيا منصوب على التمییز وكذلك صلیا فأما الرفع في أيهم
 أشد قال الزجاج فيه ثلاثة اقوال ❖ احدها ❖ قال سيويه عن يونس ان لنزعه معلقة لم تعمل شيئا فكان
 قول يونس ثم لنزعه من كل شیعة ثم استأنف فقال أيهم ❖ والثاني ❖ حكى سيويه عن الخليل انه بمعنى
 الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ومثله قول الشاعر

وَلَقَدْ أَتَيْتُ مِنَ الْقَنَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبَيْتُ لَأُحْرِجَ وَلَا مَحْرُومٍ

والمعنى فأبيت بمنزلة الذي يقال لا هو حرج ولا محروم ❖ والثالث ❖ قال سيويه ان ايهم مبنية على الضم
 لأنها خالفت اخواتها بان استعمل معها حذف الابتداء تقول اضرب ايهم افضل تريد ايهم هو افضل فيحسن
 الاستعمال كذلك بعذف هو ولا يحسن اضرب من افضل حتى تقول من هو افضل ولا يحسن كل ما اطيب حتى
 تقول كل ما هو اطيب قال فلما خالفت من وما والذي لا تقول فيه ايضا خذ الذي افضل حتى تقول خذ الذي هو
 افضل فلما خالفت هذا الخلاف بنيت على الضم في الاضافة والنصب حسن وان كنت قد حذفته هو لأن هو قد يجوز
 حذفها وقد قرئ تماما على الذي احسن على معنى الذي هو احسن قال ابو علي ينبغي ان يكون مراد يونس بقوله
 ان الفعل معلق انه معمل في موضع من كل شیعة وليس يريد به انه غير معمل في شيء البتة بل يريد انه معمل

في موضع الجار والمجرور لأن لفظ التعليق انما يستعمل فيما يعمل في الموضع دون اللفظ ولو اراد انه لا عمل له في لفظ ولا موضع لقال ملغى ولم يقل ملحق كما تقول في زيد ظننت منطلق انه ملغى واذا كان كذلك كان قول الكسائي في الآية مثل قول يونس لأن الكسائي قال ان قوله لننزعن من كل شيعة كقولك اكلت من طعام فإن كان كذلك كان ايهم منقطعا من هذه الجملة وكانت جملة مستأنفة فإن قال قائل لم زعم سيويه انه اذا حذف العائد من الصلة وجب البناء على الضم فالجواب ان الصلة تبين الموصول وتوضحه كما ان المضاف اليه يبين المضاف ويخصه فكما ان المضاف اليه لما حذف بني المضاف فكذلك لما حذف العائد من الصلة الى الموصول هنا بني فإن قال ما ينكر ان لا يكون حذف المبتدأ العائد من الصلة عوض حذف المضاف اليه من المضافات لأن المحذوف هنا بعض الجملة وفي المضاف قد حذف المضاف كله قيل ان حذف العائد هنا نظير حذف المضاف اليه هناك الا ترى ان الذي يبين به الموصول ويتضح انما هو الراجع الذي في الجملة ولولا الراجع لم يبين واذا كان المبين له الراجع من الجملة فالحذف منها كان بمنزلة حذف المضاف اليه من المضاف

✽ النزول ✽

نزل قوله ويقول الانسان الآية في النبي ابن خلف الجمحي وذلك انه اخذ عظما بالياً فجعل يفتقه بيده ويذريه في الريح ويقول زعم محمد صلى الله عليه وسلم ان الله يبعثنا بعد ان نموت ونكون عظاما مثل هذا ان هذا شيء لا يكون ابدا عن الكلبي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة في رواية عطا عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والبعث والنشور حكى سبحانه عقيب قول منكري البعث ورد عليهم باوضح بيان واجلى برهان فقال ويقول الانسان اذا ما مت لسرف اخرج حيا) هذا استفهام المراد به الانكار والاستهزاء اي اذا ما مت اعادني الله حيا فقال سبحانه مجيبا لهذا الكافر (أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل) اي اولا يتذكر هذا الجاحد حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الاعادة وقيل ان الانسان هنا مفرد في اللفظ مجموع في المعنى يريد جميع منكري البعث (ولم يك شيئا) معناه ولم يك شيئا كائنا او مذكورا «سؤال» قيل كيف تدل النشأة الاولى على النشأة الثانية والواحد منا يقدر على افعاله كالحركات والسكنات والاصوات وغيرها ولا يقدر على اعادتها «والجواب» من وجوه ﴿احدها﴾ انه سبحانه خلق الاجسام والحياة فيها والبقاء جائز عليها فيجب ان يقدر على اعادتها بخلاف افعالنا فانها لا تبقى ولا يصح الاعادة عليها ﴿والثاني﴾ ان الابتداء اصعب من الاعادة فلماذا كان قادرا على الابتداء فلان يكون قادرا على الاعادة اولى ﴿والثالث﴾ انه سبحانه استدل بخلق الاجسام على انه قادر لذاته اذ القادر بقدره لا يصح منه فعل الاجسام واذا كان قادرا لذاته ويقدر على ايجاد ما يصح وجوده وقتين قدر على اعادته ثم حقق سبحانه امر الاعادة فقال (فوربك) يا محمد (لنحشرنهم والسياطين) اي لنجمعنهم ونبعثنهم من قبورهم مقرنين باوليائهم من الشياطين وقيل لنحشرنهم ولنحشرن الشياطين ايضا (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) اي مستوفزين على الركب عن قتادة والمعنى يجثون حول جهنم متخاصمين ويتبرأ بعضهم من بعض لأن المحاسبة تكون بقرب جهنم وقيل جثيا اي جماعات جماعات عن ابن عباس كأنه قيل زمرا وهو جمع جثة وجثة هي المجموع من التراب والحجارة وقيل معناه قياما على الركب وذلك لضيق المكان بهم لا يمكنهم ان يجلسوا عن السدي (ثم لننزعن من كل شيعة) اي لنستخرجن من كل جماعة (ايهم اشد على الرحمن عتيا) اي الاعنى فالاعنى منهم قال قتادة لننزعن من كل اهل دين قادتهم ورووسهم في الشر والعنى هاهنا مصدر كالتعنى وهو التمرد في العصيان وقيل يبدأ بالاكثرا جرما فالاكثرا عن مجاهد واي الاحوص (ثم لنعلم بالذين هم اولى بها صليا) اي لنعلم بالذين هم اولى بشدة العذاب واحق بعظيم العقاب واجدر بلزوم النار

قوله تعالى (٧١) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧٢) ثُمَّ نُنَجِّي
 الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٣) وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٤) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ
 أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِيًّا (٧٥) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَا حَتَّى إِذَارَ آوَا
 مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ الكسائي وروح وزيد عن يعقوب ثم ننجي بالتخفيف والباقون ننجي بالتشديد وقرأ ابن كثير مقاما
 بضم الميم والباقون بفتحها وقرأ أهل المدينة غير ورش وابن عامر والاعشى والبرجمي عن أبي بكر ورياً بغير
 همز مشددة الياء والباقون ورياً موهوذة وفي القراءات قراءة طلحة وريا خفيفة بلا همز وقراءة سعيد بن جبير وزيلزاي

✽ الحجة ✽

انجاء ينجيه ونجاه ينجيه بمعنى والمصدر واسم الموضع من باب يفعل يجيى على مفعل فالمقام بفتح الميم يصاح
 ان يكون مصدرا من قام يقوم ويصلح ان يكون اسم الموضع والمقام المصدر والموضع من اقام يقيم فاما قول زهير
 وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ (١)
 فانما هو على حذف المضاف اي اهل مقامات ومشاهد وروي عن الاصمعي انه قال المجلس القوم وانشد
 « واستبَّ بمدك يا كليب المجلس » قال ابو علي المجلس موضع الجلوس فالمعنى على اهل المجلس كما ان المعنى
 على اهل المقامات قال السكري المقامة المجلس والمقام المنزل وقوله خير مقاما من ضم الميم جعله اسما للشئ
 ومن فتح كان كذلك ايضا الا ترى ان الندي والنادي هما المجلس فمن ذلك قوله تعالى وتأتون في ناديك
 المنكرويدل على ذلك قوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثانا ورياً فإذ لا يراد به الحدث
 انما يراد به حسن الشارة والهيئة والمنظر وهذا انما يكون في الاماكن واما قوله ورياً قال ابو علي روي فعل
 من رأيت فكأنه اسم لما ظهر وليس المصدر وانما المصدر الرأي والرؤية يدل على ذلك قوله يرونهم مثليهم رأي
 العين فالرأي الفعل والرئي المرئي كالطحن والسطح والرقعي والرعي ومن خفف المهزة من ورياً لزم ان
 يبدل منها الياء لانكار ما قبلها كما يبدل من ذئب وبشر فإذا ابدل منها الياء وقعت ساكنة قبل حرف مثله
 فلا بد من الادغام وليس يجوز الاظهار في هذا كما جاز اظهار الواو في نحو روياً وروية يعني إذا خففت المهزة فيها
 لأن الياء في رواقبل مثل ووقعت في روياً قبل ما يجري مجرى المقارب قال ابن جنبي من قرأ ورياً مشددة فإنه فعل
 أما من رأيت وأما من رويت واصله وهو من المهزة وزياء كرعيا فخففت المهزة وابدلت ياء وادغمت الياء الثانية
 ويجوز ان يكون من رويت لأن للريان نضارة وحسنا فيتفق معناه ومعنى وزياء بالزاي واصله على هذا زوي فأبدلت
 الروايا وادغمت في الياء وأما ريا مخففة فيحتمل ان يكون مقلوبة من فعل إلى فلع فصار في التقدير رياً ثم حذف
 المهزة والقيت حركتها على الياء قبلها فصارت ريا ويحتمل ان يكون ريا من رويت ثم خففت بمحذف احدى
 الياءين فصارت ريا وأما الزي بالزاي ففعل من زويت اي جمعت ذلك وذلك انه لا يقال لمن له شيء واحد من
 آتته له زي حتى يكثر آتته المستعسنة وانشد ابن دريد

أَهْجَتِكَ الظَّالِمِينَ يَوْمَ بَاتُوا
 بِذِي الزِّي الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَرِ

(١) اندية جمع الندي بمعنى المطاء. وينتابها اي يقصدها. (٢) استب اي سب كل واحد منهم الاخر.

❖ اللغة ❖

الحتم القطع بالأمر والحتم والجزم والقطع بمعنى والندي والنادي المجلس الذي قد اجتمع فيه أهله ومنه دار الندوة وهي دار قصي بمكة وكانوا يجتمعون فيه للتشاور تبينا به وقد ندوت القوم اندوهم اذا جمعهم في مجلس وأصل الندي انه مجلس أهل الندي وهو الكرم قال حاتم

وَدُعِيتُ فِي أَوْلَى النَّدِيِّ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ بِأَعْيُنِ خُزْرٍ (١)

والاثاث المتاع من الفرش والثياب التي تزين بها واحدا اثاثه وقيل لا واحد لها والري ما يراه الرجل من ظاهر احوال القوم وهو اسم للمرئي كالذبيح اسم للمذبح

❖ الاعراب ❖

وإن منكم إلا واردها تقديره وما احدثت منكم فأحد مبتدأ ومنكم صفة وواردها خبر وجثيا منصوب على الحال مقاماً ونديا منصوبان على التمييز بـ **بِكُمْ** اهلكناكم نصب باهلكنا والتقدير كم قرنا اهلكنا من جملة القرون فحذف الميز بدلالة الكلام عليه فليصدق له الرحمن مبدأً فظله لفظ الامر ومعناه خبر والتقدير فمد له الرحمن مبدأً وباب الامر والخبر يتداخلان فكما ان قوله والمطلقات يتربصن تقديره فليتربصن فجعل لفظ الخبر بمعنى الأمر فكذا هاهنا جعل لفظ الأمر بمعنى الخبر وقوله ما يرددون مفعول رأوا وأما المذاب وأما الساعة بدل من ما يرددون وقوله من هو شرٌّ مكانا تعليق فعلي هذا يكون هو فصلا والفصل بين كلمة الاستفهام وخبره عزيز فالاولى ان يكون من هنا بمعنى الذي وفي موضع نصب بسبيلهم وهو شرٌّ مبتدأ وخبر والجملة صلة من

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه احوالهم يوم الحشر فقال (وإن منكم إلا واردها) اي ما منكم احد إلا واردها والهاء في واردها راجعة إلى جهنم واختلف العلماء في معنى الورد على قواين **➤** احدهما **➤** ان ورودها هو الوصول اليها والاشراف عليها لا الدخول فيها وهو قول ابن مسعود والحسن وقتادة واختاره ابو مسلم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى فأرسلوا واردهم فأدلى داوود وبأنك تقول وردت بلد كذا وماء كذا اي اشرفت عليه دخلته او لم تدخله وفي امثال العرب **«**إن ترد الماء يماؤ أكيس**»** وقال زهير

فَلَمَّا وَرَدَنَّ الْمَاءَ زُرْقًا جِئَامُهُ وَصَعْنَ عِصِيَّ الْخَاضِرِ الْمُتَخَيَّمِ (٣)

أراد فلما بلغن الماء اقمن عليه قال الزجاج والحجة القاطعة في ذلك قوله سبحانه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسبيها فهذا يدل على ان أهل الحسنى لا يدخلونها قالوا فمعناه إنهم واردون حول جهنم للمحاسبة ويدل عليه قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم يدخل النار من هوأهلها وقال بعضهم معناه إنهم واردون عرصة القيامة التي تجتمع كل برّ وفاجر **➤** والآخر **➤** ان ورودها بمعنى دخولها بدلالة قوله تعالى فأوردهم النار وقوله وانتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وهو قول ابن عباس وجابر واكثر المفسرين ويدل عليه قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولم يقل وندخل الظالمين وإنما يقال نذر ونترك للشيء الذي قد حصل في مكانه ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه للشركين خاصة ويكون قوايه وإن منكم المراد به منهم كما قال سبحانه وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء اي لهم وروي في الشراذ عن ابن عباس انه قرأ وإن منهم وقال الاكثرون انه خطاب لجميع المكلفين فلا يبقى برّ ولا فاجر الا ويدخلها فيكون يراد وسلاما على المؤمنين وعذابا لازما للكافرين قال السدي سألت مرة الهمداني عن هذه الآية فحدثني ان عبده بن مسعود حدثهم عن رسول الله **ﷺ** قال يرد الناس النار ثم يصدرون باعمالهم فأولهم

(١) الاخرز : الذي ينظر به وخر عينيه يقال قوم خزر . (٢) يعني ان ترد الماء ومعك ماء اقرب الى الجزم والكياسة من التفریط في حمله اي لا تقصر في حمل الماء ولو كنت وأردأ على الماء . يضرب في الاخذ بالجزم والاحتياط في الامور . (٣) البيت من معلقته الشهيرة ومرجع الضمير في وردن في بيت قبله . والزرق : شدة صفاء الماء . والجئام : مجتمع الماء

كلمع البرق ثم كسر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه وروى ابو صالح غالب ابن سليمان عن كثير بن زياد عن ابي سمينة قال اختلفا في الورد فقال قوم لا يرخلها مؤمن وقال آخرون يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فليقت جابر بن عبد الله فسأته فأومى بإصبعه إلى أذنيه وقال صمتان لم اكن سمعت رسول الله ﷺ يقول الورد الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا يدخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان النار او قال لجهنم ضجيجا من بردها ثم نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى مرفوعا عن يعلى بن مينة عن رسول الله ﷺ قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جزيا مؤمن فقد اظفأ نورك لمي وروى عن النبي ﷺ انه سئل عن معنى الآية فقال إن الله تعالى يجعل النار كالسمن الجماد ويجمع عليها الخلق ثم ينادي المتنادي ان خذي اصحابك وذري اصحابي قال ﷺ فوالذي نفسي بيده لمي اعرف باصحابها من الوالدة بولدها وروى عن الحسن انه رأى رجلا يضحك فقال هل علمت انك وارد النار قال نعم قال وهل علمت انك خارج منها قال لا قال فبم هذا الضحك وكان الحسن لم ير ضاحكا قط حتى مات وقيل ان الفائدة في ذلك ما روي في بعض الاخبار ان الله تعالى لا يدخل احدا الجنة حتى يطلعه على النار وما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه وكمال طيبه واحسانه اليه فيزداد لذلك فرحا وسرورا بالجنة ونعيمها ولا يدخل أحد النار حتى يطلعه على الجنة وما فيها من انواع النعيم والبراب ليكون ذلك زيادة عقوبة له حسرة على ما فاته من الجنة ونعيمها وقال مجاهد الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها فاعلى هذا من حم من المؤمنين فقد ورد في الخبر ان الحمى من قبيح جهنم وروى ان رسول الله ﷺ عاد مريضا فقال ابشر ان الله عز وجل يقول الحمى هي نار ي اسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار وقوله (كان على ربك حتما مقضيا) اي كائنا واقعا لا محالة قد قضى بأنه يكون وعلى كلمة وجوب فمعناه أوجب الله ذلك على نفسه وفيه دلالة على انه يجب عليه سبحانه أشياء من طريق الحكمة خلافا لما يذهب اليه أهل الجبر (ثم نجي الذين اتقوا) الشرك وصدقوا عن ابن عباس (ونذر الظالمين) اي ونقر المشركين والكفار على حالهم (فيها) اي في جهنم (جثيا) اي باركين على ركبهم وقيل جماعات على ما مر تفسيره وقيل المراد بالظالمين كل ظالم وعاص ثم قال سبحانه (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) ومعناه وإذا بتلى على الكافرين آياتنا المنزلة في القرآن ظاهرات الحجج والادلة يمكن تفهم معانيها (قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما) أي قال الذين يهودوا وحدانية الله وكذبوا انبياءه للذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم وغرضهم الانكار أي الفريقين اي أنحن ام انتم خير منزلا ومسكنا اي موضع اقامة (واحسن ندبا) اي مجلسا وإنما تفاخروا بالمال وزينة الدنيا ولم يتفكروا في العاقبة ولبسوا على الضعفة بأن من كان ذا مال في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة ثم تبهم سبحانه على فساد هذا الاعتقاد بأن قال (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن ائانا وريا) قال ابن عباس الاثنا المتاع وزينة الدنيا والرمية المنظر والهيئة والمعنى ان الله تعالى قد اهلك قبلهم أمما وجماعات كانوا اكثر اموالا واحسن منظرا منهم فأهلك اموالهم وافسد عليهم صورهم ولم تغن عنهم اموالهم ولا جمالهم كذلك لا يفتي عن هؤلاء وقيل ان المعنى بالآية النضر بن الحارث وذووه وكانوا يرجلون شعورهم ويلبسون خز ثيابهم ويفتخرون بشارتهم وهياتهم على اصحاب النبي ﷺ ثم قال سبحانه لئيبه ﷺ (قل) يا محمد (من كان في الضلالة) عن الحق والعدل عن اتباعه (فليمدد له الرحمن مدا) هذا لفظ أمر معناه الخبر وتأويله أن الله سبحانه جعل جزاء ضلالته ان يمد له بأن يتركه فيها كما قال ونذرهم في طغيانهم يعمهون إلا أن لفظ الامر يؤكدهم معنى الخبر فكان المتكلم يقول افعل ذلك وأمر تسمي به فالعنى فليمش ما شاء وأضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه يبقيه في الدنيا اي فليمش ما شاء الله من السنين والاعوام فإنه لا ينفمه طول عمره (حتى

إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب (أي عذاب الاستئصال عن الاصم وقيل عذاب وقت البأس وقيل عذاب القبر وقيل عذاب السيف) وإما الساعة) أي القيامة وعذاب النار (فسيعلمون) حين يرون العذاب (من هو شر مكانا) أي أهم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم ومكان المؤمنين الجنة (وأضعف جنداً) أي ويعلمون اجتهدهم اضعف أم جند النبي ﷺ والمسلمين وهذا رد لقولهم أي الفريقين خير مقاماً واحسن ندباً

قوله تعالى (٧٦) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٧) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ آوُلِدْهَا (٧٨) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٩) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٨٠) وَنَزَّلْنَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨١) وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُم عِزًّا (٨٢) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (سبع آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون اللام في هذه السورة اربعة مواضع وفي الزخرف ان كان للرحمن ولد وفي نوح وولده فهذه ستة مواضع وقرأ أهل البصرة وابن كثير وخلف في سورة نوح بالضم فقط وقرأ الباقون بفتح الواو واللام في جميع القرآن

✽ الحجة ✽

قال الفراء من امثال بني أسد « وُلِدْتُكَ مِنْ دَمِي عَقِيكَ » قال وكان معاذ الحرشي يقول لا يكون الولد إلا جمعا وهذا واحد بعني الذي في المثل وانشد

فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وَلَدَ حِمَارٍ

قال ابو علي يجوز ان يكون جمعا كاسد واسد ويجوز ان يكون واحداً فيكون ولد وولد كحزن وحزن وعرب وعرب فلا يكون كقول معاذ انه لا يكون إلا جمعا وما انشده الفراء من قوله « وليت فلانا كان ولد حمار » يدل على انه واحد ليس بجمع فهو مثل الفلك الذي يكون مرة جمعا ومرة واحدا

✽ الإعراب ✽

أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الموصول هو المفعول الأول لرأيت والاستفهام في موضع المفعول الثاني وهو قوله تعالى أطلع الغيب الآية قال الزجاج كلا زجر وردع وتنبه أي هذا مما يرتدع به وينبه على وجه الضلالة فيه وقال الفراء يكون صلة لما بعدها كقولك كلا ورب الكعبة وقال ابو حاتم جاءت في القرآن على وجهين بمعنى لا يكون ذلك وبمعنى الا التي للتنبيه وجاءت في مواضع متوجهة على التأويلين وبدل على ذلك انها قد تكون مبتدأة مثل قوله علم الانسان ما لم يعلم ثم ابتداء كلاً إن الانسان ليطغى قال الاعشى

كَلَّا زَعَمْتُمْ بِآنَا لَا تَقَاتِلُكُمْ إِنَّا لِمِثَالِكُمْ بِأَقْوَمْنَا قَتَلُ

وقال ابو العباس لا يوقف على كلاً لأنها جواب والفائدة تقع فيما بعدها وقيل يجوز الوقف عليه ومن مشكلات الوقف في القرآن الوقف على كلاً وقد قسمه القرآن على اربعة اقسام ➤ احدها ما يحسن الوقف عليه ويحسن الابتداء به ➤ والثاني يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به ➤ والثالث يحسن الابتداء به

(١) الخطاب لامرأة من بنى القين اى من نفست به فأدمى النفاس عقيك فهو ابنتك لاهذا الذى اتخذته ولداً بقولك

ولا يحسن الوقف عليه **والرابع** لا يحسن الوقف عليه ولا الابتداء به وهو في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعا وليس في النصف الأول شيء منه فأما القسم الأول وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء به فعشرة مواضع قوله ام اتخذوا عند الرحمن عهدا كلا وقوله ليكونوا لهم عزا كلا وقوله تعالى لعلني اعمل صالحا فيما تركت كلا قوله الذين الحقتم به شركاء كلا وقوله ثم ينجيهم كلا وقوله ان يدخل جنة نعيم كلا وقوله ان أزيد كلا وقوله صحفا منشرة كلا وقوله ربنا اهانن كلا وقوله ان ماله اخلده كلا فمن جعل كلا في هذه المواضع رداً للأول بمعنى لا ليس الأمر كذلك وقف عليه ومن جعله بمعنى الا التي للتنبيه او بمعنى حقا ابتداء به وهو يحتمل الوجهين في هذه المواضع **والثاني** وهو ما يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به فموضعان قوله فأخاف ان يقتلون قال كلا وقوله انا لمدركون قال كلا **والثالث** وهو ما يحسن الابتداء به ولا يحسن الوقف عليه فتسعة عشر موضعا قوله كلا انها تذكرة كلا والقمر كلا انه تذكرة كلا لما يقض ما أمره كلا بل تكذبون بالدين كلا إذا بلغت التراقي كلا لا وزر كلا بل يجبون العاجلة كلا سيعلمون كلا بل ران على قلوبهم كلا إن كتاب الفجار كلا ان كتاب الابرار كلا إنهم عن ربهم كلا إذا دكت الارض دكا كلا إن الانسان ليظنى كلا لئن لم ينته كلا لا تطعه كلا سوف تعلمون كلالو تعلمون . يحسن الابتداء بكلا في هذه المواضع ولا يحسن الوقف عليه لأنه ليس بمعنى الرد للأول وقال بعضهم إنه يحسن الوقف على كلا في جميع القرآن لأنه بمعنى اتبه إلا في موضع واحد وهو قوله كلالو القمر لأنه موصول باليمين بمنزلة قوله اي وربني **والرابع** فموضعان ثم كلالو يعلمون ثم كلا سوف تعلمون لا يحسن الوقف على ثم لأنه حرف عطف ولا على كلالو الفائدة فيما بعد هذين الحرفين

النزول

روي في الصحيح عن خباب بن الارت قال كنت رجلا غنيا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته انتقاضا فقاتلني لا أقضيك حتى تكفر بمحمد **والرابع** فقلت لن اكفر به حتى تموت وتبعث قال فاني لمبعوث بعد الموت فسوف أقضيك دينك إذا رجعت إلى مال وولد قال فنزلت الآية أفرأيت الذي كفر بآياتنا

المعنى

ثم بين سبحانه حال المؤمن فقال سبحانه (ويزيد الله الذين اهدوا هدى) قيل معناه ويزيد الله الذين اهدوا بالنسوخ هدى بالناسخ عن مقاتل وقيل يزيدهم هدى بالمعونة على طاعته والتوفيق لابتغاء مرضاته وهو ما يفتحه لهم من الدلالات وما يفعله بهم من اللطاف القريبة من الحسنات (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) فدمر تفسيره في سورة الكهف وجملته أن الاعمال الصالحة التي تبقى ببقاء ثوابها وتنفع صاحبها في الدنيا والآخرة خير ثوابا من مقامات الكفارات التي يفتخرون بها كل الافتخار (وخير مردا) اي خير عاقبة ومنفعة يقال هذا الشيء ارد عليك اي اتفق واعود عليك لأن العمل الصالح ذاهب عنه بفقره له فيرد الله تعالى عليه برد ثوابه اليه حتى يجده في نفسه (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) أفرأيت كلمة تعجيب ومعناه أرايت هذا الكافر الذي كفر بآياتنا من القرآن وغيره وهو العاص بن وائل عن ابن عباس ومجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عن الحسن وقيل هو عام فيمن له هذه الصفة عن ابي مسلم (وقال لا وتبين مالا وولدا) استهزاء اي لاعطين مالا وولدا في الجنة عن الكابي وقيل اعطي في الدنيا اي ان أقمت على دين آبائي وعبادة الهني اعطيت مالا وولدا (اطلع الغيب) هذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومعناه اعلم الغيب حتى يعلم اهو في الجنة أم لا عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه أنظر في اللوح المحفوظ عن الكابي وتأويله اشرف على علم الغيب حتى علم انه سنوته مالا وولدا وانه ان بعث رزق مالا وولدا (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) اي اتخذ عند الله عهدا

بمصل صالح قتمه عن قتادة وقيل معناه أم عهد الله اليه انه بدخل الجنة عن الكافي وقيل معناه أم قال لا إله إلا الله فيرحمه الله بها عن ابن عباس (كلا) أي ليس الأمر على ما قال من انه يؤتى المال والولد ويجوز أن يكون المعنى كلا انه لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهداً (سنكتب ما يقول) أي سنأمر الحفظة بآياته عليه لنجازيه به في الآخرة ونواقفه عليه (ونمد له من العذاب مدا) أي نصل له بعض العذاب ببعض ونزيده عذاباً فوق العذاب فلا ينقطع عذابه أبداً وأكّد الفعل بالمصدر كما يؤكّد بالتكرير (ونزته ما يقول) أي ما عنده من المال والولد باهلاً كنا إياه وابطال ملكه عن ابن عباس وقاتدة وابن زيد (وبأيتنا فردا) أي بأبي الآخرة وحيداً بلا مال ولا ولد ولا عدة ولا عدد (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني أن هؤلاء الكفار الذين وصفهم اتخذوا آلهة أي اصناماً عبدوها (ليكونوا لهم عزا) أي ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة عن القراء وهذا معنى قول ابن عباس ليمنموهم مني وذلك انهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمراد ليصبروا بهم إلى العز قال الله سبحانه (كلا) أي ليس الأمر كما ظنوا بل صاروا بهم إلى الذل والعذاب (سيكفرون بعبادتهم) أي سيحسدون بان يكونوا عبدوها ويتبرؤون منها لما يشاهدون من سوء عاقبة امرهم ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وقيل معناه ان المعبودين سيكفرون بعبادة المشركين لها ويكذبونهم فيها كما قال حكاية عنهم تبرأنا إليك ما كانوا ايانا يعبدون عن الجبائي (ويكونون عليهم ضدًا) قال الأخفش الضد يكون واحداً وجمعاً كالرسول والعدو ومعناه ويكونون عوناً عليهم واعداء لهم يخاصمونهم ويكذبونهم وقيل ويكونون قرناء لهم في النار ويلعنونهم ويتبرؤون منهم عن قتادة وقيل ويكونون اعداءهم يوم القيامة وكانوا في الدنيا اولياءهم عن القتيبي

قوله تعالى (٨٣) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين توزؤهم أزاً (٨٤) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً (٨٥) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً (٨٦) ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً (٨٧) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً (٨٨) وقالوا اتخذ الرحمن ولداً (٨٩) لقد جئتم شيئاً إداً (٩٠) تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً (٩١) أن دعوا للرحمن ولداً (٩٢) وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً (عشر آيات)

✽ القراءة ✽

في الشواذ رواية قتادة عن الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون قال فقلت انها بالنون يا أبا سعيد قال وهي للمتقين إذا وقراءة السلمي شيئاً إذا بفتح الهمزة وقرأ أبو جعفر وابن كثير وحفص تكاد بالتاء بتفطرن بالتاء وفتح الطاء مشددة وفي عسق مثله وقرأ نافع والكسائي يكاد بالياء بتفطرن في السورتين وقرأ أبو عمرو و أبو بكر وهبيرة عن حفص ويعقوب تكاد بالتاء بتفطرن بالياء والنون وكسر الطاء في السورتين وقرأ ابن عامر وحمزة وخلف هاهنا تكاد بالتاء بتفطرن بالنون مثل ابي عمرو وفي عسق تكاد بالتاء بتفطرن بالتاء ابضا

— الحجة —

حجة من قرأ يحشر وساق قوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً والأد بالفتح القوة قال «نصوت عني شرة وأدا» فلي هذا يمكن ان يكون المعنى لقد جئتم شيئاً ذا ايداي ذا قوة وإن شئت وصفته بالمصدر كقولهم رجل عدل وضيف والانتظار مطاوعة القطر يقال فطره فانظر والتفطر مطاوعة التفتير يقال فطرته فتفطر وكأنه اليتق بهذا الموضع لما فيه من معنى المبالغة وتكرير الفعل وذهب ابو الحسن في معنى قوله تكاد

السموات إلى ان معنى تكاد تريد وكذلك قال في قوله كذلك كدنا ليوسف اي أردنا له وأنشد

كَادَتْ وَكَذَتْ وَتَلْكَ خَيْرَ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ ذِكْرِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى

وكذلك قوله في أكاد أخفيها أي اريد أخفيها وعلى هذا فسر غيره قول الانوفه

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ وَسَاكِنٌ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا

اي ارادوا وقال المعنى يردن لانهم ينفطرون ولا يدنون من ذلك ولكن من مومن به اعظاما لقول المشركين ولا يكون على من هم بالشيء ان يدنو منه الا ترى ان رجلا لو أراد ان ينال السماء لم يذن من ذلك وقد كانت منه ارادة وقد قال بعض المتأولين في قوله تكاد السموات ينفطرن منه هذا مثل كانت العرب إذا سمعت كذبا او منكراتماظمتها وعظمتها بالمثل الذي عندها عظيما فقالت كادت الارض تنشق واظلم على ما بين السماء والارض فلما اقتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الاشياء واعظمتها قال ابو علي ومما يقرب من هذا قول الشاعر

أَلَمْ تَرَّ صَدْعًا فِي السَّمَاءِ مَبِينًا عَلَى ابْنِ لَبِيئِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ

وقول الآخر

وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مَقْشِرًا كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامٌ

وقال الآخر

لَمَّا أَنَّى خَبَرَ الزَّبِيرِ تَوَاضَعَتْ سُرُورَ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْحُشَعُ

✽ اللفظة ✽

الازعاج الى الأسم يقال أزه يأزه أزا وازبرا إذا مزه بالازعاج إلى امر من الأمور وأزت القدر أزيذا إذا غلت ومنه الحديث انه كان بصلي وازيز جوفه كأزيز الرجل من البكاء واززت الشيء إلى الشيء ضمته اليه والوفد جمع واند وقد يجمع وفودا أيضا وقد يفد وفدا وأوفد على الشيء أشرف عليه والسوق الحث على السير ساقه بسوقه سوقا ومنه الساق لاستمرار السير بها أو لان القدم بسوقها ومنه السوق لأنه يساق بها البيع والشري شيئا بعد شيء والورد الجماعة التي ترد الماء يقال ورد الماء يرد وريدا والإد الأمر العظيم قال الراجز

قَدَّ لَتِي الْأَعْدَاءُ مِنِّي نَكْرًا دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِذَا إِمْرًا

والانقطار الانشقاق والتفطر التشقق والهد المدم بشدة صوت

✽ الإعراب ✽

توزم جملة في موضع الحال ومفعول نعد لهم محذوف والتقدير نعد اعمالهم عدا ويوم نحشر ظرف قوله نعد لهم ويجوز أن ينتصب بقوله لا يملكون الشفاعة أي لا يملكون في ذلك اليوم وفدا منصوب على الحال من المتقين أي وافدين ووردا كذلك اي واردين إلا من اتخذ هو موصول وصلته في موضع رفع لأنه بدل من الواو في يملكون ويجوز ان يكون في محل نصب لأنه استثناء منقطع فإن من اتخذ عند الرحمن عهدا لا يكون من المجرمين وقوله تنشق الأرض جملة معطوفة على الجملة التي قبلها وتقديره وتكاد الأرض تنشق والجبال تحترق وهذا منصوب على المصدر في المعنى تقديره تحترق خرورا وتهدها ويجوز أن يكون في موضع الحال وان دعوا مفعول له والتقدير لان دعوا أي لأجل ذلك

✽ المعنى ✽

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (ألم تر) يا محمد (إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي خيلنا

بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا اليهم ودعواهم إلى الضلال حتى اغوهم ولم نحل بينهم وبينهم بالإجماع ولا بالتمتع
وعبر عن ذلك بالارسال على سبيل المجاز والتوسع كما يقال لمن خلى بين الكلب وغيره ارسل كلبه عليه عن الجبائي
وقيل معناه سلطناهم عليهم ويكون في معنى التخلية ايضا على ما ذكرناه (توزم أزا) أي تزعمهم ازعاجا
من الطاعة إلى المصيبة عن ابن عباس وقيل تغريمهم اغراء بالشر تقول امض امض في هذا الأمر حتى توقمهم في
النار عن سعيد بن جبير (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) معناه فلتطب نفسك يا محمد ولا تستعجل لهم العذاب
فأوت مدة بقائهم قليلة فإننا نعد لهم الأيام والسنين وما دخل تحت العد فكان قد قدوقيل معناه نعد انقاسهم
في الدنيا فهي معدودة إلى الأجل الذي أجلناه لعذابهم عن ابن عباس وهذا من ابلغ الوعيد وقيل معناه نعد اعمالهم
على ما ذكرناه قبل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي اذ كر لهم يا محمد اليوم الذي نجتمع فيه من اتقى
الله في الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه إلى الرحمن أي إلى جنته ودار كرامته وفودا وجماعات عن الأخص وقيل
ركبانا بووتون بنوق لم ير مثلها عليها رحائل الذهب وازمتها الزبرجد فير كيون عليها حتى يضربوا ابواب الجنة
عن امير المؤمنين (ع) وابن عباس (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أي ونحط المجرمين على المستير إلى جهنم
عطاشا كالابل التي ترد عطاشا مشاة على ارجلهم عن ابن عباس والحسن وقتادة وسعى العطاش وردا لأنهم يردون
لطلب الماء وقيل الورد النصيب أي هم نصيب جهنم من الفريقين والمؤمنون نصيب الجنة عن ابي مسلم (لا يملكون
الشفاعة) أي لا يقدرون على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع اهل الإيمان بعضهم لبعض لأن ملك
الشفاعة على وجهين * أحدهما * أن يشفع للغير * والآخر * أن يستدعي الشفاعة من غيره لنفسه فينب سبحانه
ان هؤلاء الكفار لا تنفذ شفاعة غيرهم فيهم ولا شفاعة لهم لغيرهم ثم استثنى سبحانه فقال (إلا من اتخذ عند
الرحمن عهدا) أي لا يملكون الشفاعة إلا هؤلاء وقيل لا يشفع إلا هؤلاء والمهد هو الإيمان والاقرار بوحدانية
الله تعالى وتصديق انبيائه وقيل هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن يتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا
الله عن ابن عباس وقيل معناه لا يشفع إلا من وعد له الرحمن باطلاق الشفاعة كالأ نبياء والشهداء والعلماء والمؤمنين
على ما ورد به الأخبار وقال علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره حدثني ابي عن الحسن بن محبوب عن سليمان
ابن جعفر (ع) عن ابي عبد الله (ع) عن ابيه عن آباءه (ع) قال قال رسول الله ﷺ من لم يحسن وصيته عند
الموت كان نقصا في مروءته قيل يا رسول الله وكيف يوصي الملت قال إذا حضرته وفاته واجتمع الناس إليه
قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني اعهد اليك في دار الدنيا اني اشهد أن
لا إله إلا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا ﷺ عبدك ورسولك وأن الجنة حق وأن النار حق وأن
البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق وأن الدين كما وصفت وأن الإسلام كما شرعت وأن القول كما حدثت
وأنت القرآن كما انزلت وانك انت الله الحق المبين جزى الله محمدا عنا خير الجزاء وحيا الله محمدا
وآله بالسلام اللهم باعدني عند كربتي وياصاحبي عند شدتي وياولي نعمتي إلهي وآله آباي لا تكلفني إلى نفسي
طرفة عين فإنك ان تكلفني إلى نفسي اقرب من الشر وأبعد من الخير وأنس في القبر وحشي وأجعل له عهدا يوم
القائك منشورا ثم يوصي بواجبه وهذه الوصية في سورة مريم في قوله لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا فهذا عهد الملت والوصية حق على كل مسلم وحق عليه أن يحفظ هذه الوصية ويعلمها وقال امير
المؤمنين علي (ع) علمنيها رسول الله ﷺ وقال علمنيها جبرائيل (ع) (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) هذا
اخبار عن اليهود والنصارى ومشركي العرب فإن اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال
مشركو العرب الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا إدا) هاهنا حذف تقديره قل لهم يا محمد لقد جئتم بشي
منكر عظيم شنيع فظيع فلاحذف الباء وصل الفعل إليه فنصبه (تكاد السموات يتفطرن منه) أي أرادت السموات
ان تنشق لعظم فريتهم اعظاما لقولهم ومعناه لو انشقت السموات بشي عظيم لكأن تنشق من هذا (وتنشق الأرض)

أي وكادت الأرض تنشق (وتخر الجبال) أي كادت الجبال تسقط (هدا) أي كسرا شديدا عن ابن عباس وقيل هدمًا عن عطاء (ان دعوا للرحمن ولدا) أي لان دعوا للرحمن ولدا او من ان دعوا للرحمن ولدا أي بسبب دعوتهم او تسميتهم له ولدا (وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا) أي ما يصلح للرحمن ولا يليق به اتخاذ الولد وليس من صفته ذلك لأن اثبات الولد له يقتضي حدوده وخروجه من صفة الألوهية واتخاذ الولد يدل على الحاجة تعالى عن ذلك وتقدس

قوله تعالى (٩٣) **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** (٩٤) **لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا** (٩٥) **وَكَلَّمَهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** (٩٦) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** (٩٧) **فَأَيُّمَا بَسْرَتَاهُ يَلْسَانَكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا** (٩٨) **وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا** (ست آيات)

❖ اللغة ❖

اللد شدّة الخصومة وفي التنزيل **الُدَّ** الخصام أي اشدّ الخصام خصومة وجمع **الُدِّ** قال الشاعر
إِنْ تَحْتَ الْأَشْجَارِ حَزْمًا وَعَزْمًا **وَخَصِيمًا أَلَدُّ ذَا مِعْلَاقٍ**
 أي شديد الخصومة والركز الصوت الخفي واصل الركز الحسن ومنه الركاز لانه يحس به مال من تقدم بالكشف عنه قال ذو الرمة

وَقَدْ تَوَجَّسَ رِكْزًا مِنْ سَنَائِكِهَا **أَوْ كَانَ صَاحِبَ أَرْضٍ أَوْ يَهِ الْمَوْمُ**
 الأرض الرعدة والموم البرسام واصل الاحساس الإدراك بالحاسة

❖ الاعراب ❖

كل مبتدأ ومن في موضع خبر والجار والمجرور من صلته واقي الرحمن في موضع رفع خبر كل وهو مضاف إلى المقول ووحد كلا على اللفظ وعبدًا في موضع الحال من الضمير من اتي وهل تحس منهم من احد من الأولى يتعلق بتحس والثانية مزيدة ويجوز أن يكون تقديره هل تحس احدا منهم ويكون منهم في موضع الصفة لاحد فلما قدم على الموصوف اتصب على الحال

❖ المعنى ❖

ثم قال سبحانه (ان كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا) أي ما كل من في السماوات والأرض من الملائكة والانس والجن إلا وآتى الله سبحانه عبدا مملوكا خاضعا ذليلا ومثله قوله وكل أتوه داخرين والمعنى ان الخلق عبيده خلقهم ورباهم وجرى عليهم حكمه وان عيسى وعزير والملائكة من جملة العبيد وفي هذا دلالة على ان النبوة والعبودية لا يجتمعان وانه إذا ملك الإنسان ابنه عتق عليه (لقد احصاهم وعددهم عددا) أي علم تفاصيلهم واعدادهم فكأنه سبحانه عددهم إذ لا يخفى عليه شيء من احوالهم (و كلمهم آتية يوم القيامة فردا) أي كل واحد منهم يأتي المحشر والموضع الذي لا يملك الأمر فيه إلا الله فردا وحيدا مفردا ليس له مال ولا ولد ولا ناصر مشغولا بنفسه لا بهمة هم غيره ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا وعطوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) قيل فيه أقوال ❖ احدها ❖ انها خاصة في علي بن ابي طالب (ع) فابن مؤمن إلا وفي قلبه حبة لطي (ع) عن ابن عباس وفي تفسير ابي حمزة الثمالي حدثني ابو جعفر الباقر (ع) قال

قال رسول الله ﷺ لعلي (ع) غل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين ودًا فقالها علي (ع) فنزلت هذه الآية وروي نحوه عن جابر بن عبد الله الانصاري ﴿ والثاني ﴾ انها عامية في جميع المؤمنين يجعل الله لهم المحبة والالفة والمقعة في قلوب الصالحين قال هرم بن حبان ما اقبل عبد بقلبه إلى الله إلا اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقهم مودتهم ورحمتهم ومحبتهم وقبال الربيع بن انس إن الله إذا أحب مؤمنا قال لجبرائيل اني احببت فلانا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في السماء إلا ان الله أحب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له قبول في اهل الأرض فلي هذا يكون المعنى يحبهم الله ويحبهم إلى الناس ﴿ والثالث ﴾ ان معناه يجعل الله لهم محبة في قلوب اعدائهم ومخالفهم ليدخلوا في دينهم ويمتزوا بهم ﴿ الرابع ﴾ يجعل بعضهم يحب بعضا فيكون كل واحد منهم عضدا لأخيه المؤمن ويكونون بدا واحدة على من خالفهم ﴿ والخامس ﴾ ان معناه سيجعل لهم ودًا في الآخرة فيحب بعضهم بعضا كحبة الوالد لولد هو في ذلك اعظم السرور وأتم النعمة عن الجبائي ويؤيد القول الأول ما صح عن امير المؤمنين (ع) انه قال لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو صبت الدنيا بجملتها على المنافق على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضى فاقضى على لسان النبي الامي انه قال لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (فإنا يسرناه بلسانك) أي يسرنا القرآن بأن ازلناه بلسانك وهي لغة العرب ليسهل عليهم معرفته ولو كان بلسان آخر ما عرفوه عن ابي مسلم وقيل معناه يسرناه قراءة القرآن على لسانك ومكانك من قراءته عن الجبائي (لتبشر به المتقين) أي لتبشر بالقرآن الذين ينقون الشرك والكبائر أي تخبرهم بما تسرهم مما اعدّه الله لهم (وتذر به قوما لدا) أي شدادا في الخصومة عن ابن عباس يعني قريشا وقيل قوما ذوي جدل مخاصمين عن قتادة ثم انذرهم سبحانه وخوفهم بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) أي قبل هؤلاء من قرن مكذبين للرسل وفيه تسلية للنبي ﷺ والمعنى لا يهملك كفرهم وشقاقهم فإن وبال ذلك راحع اليهم وقد اهلكنا قبلهم من كان مثلهم (هل تحس منهم من احد) أي هل تبصر منهم احدا (او تسمع له ركزا) أي صوتا عن ابن عباس وقتادة وقيل حسا عن ابن زيد والمعنى انهم ذهبوا فلا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت وكانوا اكثر اموالا واعظم اجساما واشد خصاما من هؤلاء فلم يفتنهم ذلك لما اردنا اهلاكم فحكهم هؤلاء الكفار حكم او لك في انه لا يبقى منهم عين ولا اثر والحمد لله رب العالمين

تم الجزء السادس من كتاب مجمع البيان في علوم القرآن

وقد تصدق تصحيحه والتعليق عليه العبد الفاني السيد هاشم الرسولي المحلّاق عني عنه وعن والده

بمحمّد وآله

فهرس المجلد الثالث من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الخامس والسادس حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سور التوبة ويونس وهود ويوسف والرعد و ابراهيم والحجر والنحل
والإسراء والكهف ومريم

صفحة	صفحة	صفحة
٤٢	٢٢	٢
ومنهم الذين يؤذون النبي إلى	وقالت اليهود عزير ابن الله	برأية من الله ورسوله إلى قوله
قوله ذلك الحزبي العظيم	إلى قوله سبحانه عما يشركون	وان الله مخزي الكافرين
٤٥	٢٤	٤
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم	ويريدون أن يطفئوا نور الله	وأذان من الله ورسوله إلى قوله
إلى قوله كانوا مجرمين	بأنفوسهم إلى قوله ولو كره	إن الله يحب المتقين
٤٧	المشركون	٦
المنافقون والمناققات بعضهم من	يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا	فلوذا انسلخ الأشهر الحرم
بعض إلى قوله انفسهم يظلمون	من الأجير والرهبان إلى قوله	إلى قوله ذلك بأنهم قوم لا يعلمون
٤٩	ما كنتم تكفرون	٨
المؤمنون والمؤمنات بعضهم	إن عدة الشهور عند الله اثنا	كيف يكون للمشركين عهد
أوليا. بعض إلى قوله وبئس المصير	عشر شهرا	عند الله إلى قوله واكثرهم فاسقون
٥٠	٢٦	٩
يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا	كاشحة الكفر	اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا
٥٢	٢٨	إلى قوله إن كنتم مؤمنين
ومنهم من عاهد الله إلى قوله	إنما النسي زيادة في الكفر	قاتلوهم يعذبهم الله إلى قوله
٥٤	٣٠	والله عليم حكيم
علام النيوب	يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا	١٢
الذين يلذون المطوعين من	قيل لكم إلى قوله والله على	أمر حسبتم أن تتركوا
المؤمنين إلى قوله والله لا يهدي	كل شيء قدير	١٣
٥٥	٣١	ما كان للمشركين أن يعمرؤا
القوم الفاسقين	إلا تنصروه فقد نصره الله	مساجد الله إلى قوله أن يكونوا
فرح المخلفون بمقدمهم خلاف	٣٢	من المهتدين
٥٦	٣٤	١٤
رسول الله إلى قوله فاقعدوا مع	انفروا خفافا وتقالا إلى قوله	أجملتم سقاية الحاج إلى قوله
٥٧	٣٦	إن الله عنده أجر عظيم
الخالفين	وتعلم الكاذبين	يا أيها الذين آمنوا إلى قوله
ولا تصل على احد منهم مات	لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله	والله لا يهدي القوم الفاسقين
٥٨	٣٧	١٦
ابدا إلى قوله وهم كافرون	واليوم الآخر إلى قوله وهم كارهون	لقد نصرم الله في مواطن كثيرة
٥٩	٣٨	١٧
وإذا أتت سورة إلى قوله	ومنهم من يقول إنذن لي إلى	ثم أنزل الله سكينته إلى قوله
٦٠	٣٩	والله غفور رحيم
ذلك الفوز العظيم	قوله إنا معكم متربصون	٢٠
٦١	٤٠	يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون
وجاء المعتدون من الأعراب	قل انفقوا طوعا او كرها	نجس
٦٢	٤١	٢١
ليس على الضعفاء ولا على المرضى	فلا تمجبك اموالهم	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
٦٣	٤٢	
إلى قوله فهم لا يعلمون	ويخلفون بالله إنهم لمنكم إلى	
٦٤	٤٣	
يعتذرون اليكم إذا رجعت إليهم	قوله وهم يجمعون	
٦٥	٤٤	
سيخلفون بالله لكم إلى قوله	ومنهم من يلزمك في الصدقات	
٦٦	٤٥	
عن القوم الفاسقين	إلى قوله إلى الله راغبون	
	٤٦	
	٤٧	
	٤٨	
	٤٩	
	٥٠	
	٥١	
	٥٢	
	٥٣	
	٥٤	
	٥٥	
	٥٦	
	٥٧	
	٥٨	
	٥٩	
	٦٠	
	٦١	
	٦٢	
	٦٣	
	٦٤	
	٦٥	
	٦٦	
	٦٧	
	٦٨	
	٦٩	
	٧٠	
	٧١	
	٧٢	
	٧٣	
	٧٤	
	٧٥	
	٧٦	
	٧٧	
	٧٨	
	٧٩	
	٨٠	
	٨١	
	٨٢	
	٨٣	
	٨٤	
	٨٥	
	٨٦	
	٨٧	
	٨٨	
	٨٩	
	٩٠	
	٩١	
	٩٢	
	٩٣	
	٩٤	
	٩٥	
	٩٦	
	٩٧	
	٩٨	
	٩٩	
	١٠٠	

صفحة	صفحة	صفحة
١١٢	٩١	٦٢
ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الى قوله وهم لا يظلمون	هو الذي جعل الشمس ضياء الى قوله لايات قوم يتقون	الاعراب اشد كفرا ونفاقا الى قوله إن الله غفور رحيم
١١٤	٩٢	٦٣
ويقولون متى هذا الوعد الى قوله بما كنتم تكسبون	ان الذين لا يرجون لقاءنا الى قوله ان الحمد لله رب العالمين	والسابقون الأولون من المهاجرين ومن حولكم من الأعراب
١١٥	٩٣	٦٥
ويستنبئونك احق هو الى قوله هو يحيي ويميت واليه ترجعون	ولو يجعل الله للناس الشراستمجالهم الى قوله ما كانوا يعملون	إلى قوله إن الله غفور رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون
١١٦	٩٥	٦٦
ياأيها الناس قد جاء تكلم موعظة من ربكم الى قوله خير ما يحمعون	ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الى قوله لننظر كيف تعملون	وآخرين مرجون لأمر الله والذين اتخذوا مسجدا ضارا
١١٧	٩٦	٦٧
قل أرأيتم ما انزل الله لكم وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن	واذا تتلى عليهم آياتنا بينات الى قوله انه لا يفلح للمجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم الى قوله اني معكم من المنتظرين	إلى قوله والله عليم حكيم إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم إلى قوله وبشر المؤمنين ما كان للنبي والذين آمنوا إلى قوله إن ابراهيم لأواه حليم
١١٨	٩٨	٦٨
ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم الى قوله هو السميع العليم	واذا اذقنا الناس رحمة الى قوله لنكونن من الشاكرين	وما كان الله ليضل قوما إلى قوله من ولي ولا نصير
١٢١	٩٩	٧٨
ألا ان الله من في السماوات ومن في الأرض الى قوله بما كانوا يكفرون	فلما انجاهم اذا هم يبغون في الأرض بغير الحق	لقد تلب الله على النبي والمهاجرين إلى قوله إن الله هو التواب الرحيم ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله
١٢٢	١٠٢	٨٠
واتل عليهم نبأ نوح الى قوله كيف كان عاقبة المنتذرين	انزلناه من السماء الى قوله صراط مستقيم	ما كان لأهل المدينة ومن حولهم إلى قوله ما كانوا يعملون
١٢٤	١٠٣	٨١
ثم بعثنا من بعده رسلا الى قوله وما نحن لكنا بمؤمنين	للذين احسنوا الحسنى الى قوله او لتلك اصحاب النارهم فيها خالدون	وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى قوله وهم كافرون
١٢٥	١٠٤	٨٢
وقال فرعون اتتوني بكل ساحر عليم الى قوله ولو كره المجرمون	ويوم نحشرهم جميعا	أولا يرون انهم يفتنون إلى قوله رووف رحيم
١٢٦	١٠٥	٨٥
فأمن لموسى الاذرية من قومه وقال موسى يا قوم ان كنتم الى قوله من القوم الكافرين	هنالك تلبو كل نفس ما سلفت قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله انهم لا يؤمنون	فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو
١٢٨	١٠٦	
وأوحينا الى موسى واخيه الى قوله الذين لا يطمون	قل هل من شركائكم الى قوله عليم بما يقطنون	
١٣٠	١٠٨	
وجاوزنا بيني اسرائيل البحر الى قوله عن آياتنا لتافلون	وما كان هذا القرآن ان يفترى الى قوله وربك اعلم بالفسدين	
١٣٢	١١١	
ولقد برأنا بني اسرائيل مبوا صدق الى قوله حتى يروا العذاب الأليم	وان كذبوك فقل لي عملي الى قوله انفسهم يظلمون	

﴿ سورة يونس ﴾

٨٧ بسم الله الرحمن الرحيم آلر
الى قوله ان هذا لساحر ميين
٨٩ ان ربكم الذي خلق السماوات
والأرض الى قوله بما كانوا يكفرون

صفحة	صفحة	صفحة
٢٣٤	٢٥٩	٢٣٤
ما تعبدون من دونه إلا اساء	قالوا لله لقد آثر الله علينا الى	٢٣٤
سميتموها إلى قوله فلبث في	قوله وأتوني بأهلكم اجمعين	٢٣٥
السجن بضع سنين	٢٦١ ولما فصلت العير قال ابوهم الى	٢٣٥
٢٣٥ وقال الملك إني أرى سبع بقرات	قوله انه هو الغفور الرحيم	٢٣٥
سان إلى قوله إلا قليلا مما	٢٦٣ فلما دخلوا على يوسف أوى اليه	٢٣٥
تأكلون	ابويه الى قوله وهم يكفرون	٢٣٦
٢٣٦ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد	٢٦٦ وما أكثر الناس الى قوله وهم	٢٣٦
إلى قوله وفيه يعصرون	لا يشعرون	٢٣٦
٢٣٩ وقال الملك ائتوني به إلى قوله	٢٦٨ قل هذه سبيلي الى قوله أفلا	٢٣٩
إن زبي غفور رحيم	تعقلون	٢٣٩
٢٤١ وقال الملك ائتوني به إلى قوله	٢٦٩ حتى إذا استياس الرسل الى	٢٤١
للذين آمنوا وكانوا يتقون	قوله لقوم يؤمنون	٢٤١
٢٤٤ وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه		٢٤٤
فعر فهم إلى قوله وأنا خير المنزلين		٢٤٤
٢٤٥ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم		٢٤٤
عندي إلى قوله لعلمهم يرجعون		٢٤٤
٢٤٦ فلما رجعوا إلى ابيهم إلى قوله		٢٤٤
قال الله على ما تقول و كيل		٢٤٤
٢٤٨ وقال يابني لا تدخلوا من باب		٢٤٤
واحد إلى قوله ولكن أكثر		٢٤٤
الناس لا يعلمون		٢٤٤
٢٥٠ ولما دخلوا على يوسف إلى قوله		٢٤٤
وفوق كل ذي علم عليم		٢٤٤
٢٥٣ قالوا ان يسرق فقد سرق اخ		٢٤٤
له من قبل الى قوله وهو خير		٢٤٤
الهاكئين		٢٤٤
٢٥٥ ارجعوا الى ابيكم		٢٤٤
٢٥٦ وسئل القرية التي كنا فيها إلى		٢٤٤
قوله إنه لا يباس من روح الله		٢٤٤
إلا القوم الكافرون		٢٤٤
٢٥٨ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز		٢٤٤
مستنا وأهلنا الضر إلى قوله اذ		٢٤٤
انتم جاهلون		٢٤٤
٢٩٠ والذين يقضون عهد الله الى		٢٩٠
قوله طوبى لم وحسن مآب		٢٩٠
٢٩٢ كذلك أرسلناك في امة الى قوله		٢٩٠
ان الله لا يخلف الميعاد		٢٩٠
٢٩٤ ولقد استهزى برسول من قبلك		٢٩٠
الى قوله وما لهم من الله من واق		٢٩٠
٢٩٥ مثل الجنة التي وعد المتقون الى		٢٩٠
قوله اليه ادعوا واليه مآب		٢٩٠
٢٩٦ وكذلك أنزلناه حكما عربيا		٢٩٠
٢٩٧ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك		٢٩٠
الى قوله فإنما عليك البلاغ		٢٩٠
وعلىنا الحساب		٢٩٠
٢٩٩ أولم يروا أنا تأتي الأرض الى		٢٩٠
قوله ومن عنده علم الكتاب		٢٩٠
الجزء السادس		
﴿ سورة الرعد ﴾		
٣٠٢ آلر كتاب أنزلناه اليك الى قوله	٢٧٣ سورة الرعد آلر تلك آيات	٢٧٣
أو لك في ضلال بعيد	الكتاب إلى قوله بلقاء ربكم	٢٧٣
٣٠٣ وما أرسلنا من رسول الى قوله	توقنون	٢٧٣
بلاء من ربكم عظيم	٢٧٤ وهو الذي مد الأرض وجعل	٢٧٣
٣٠٤ واذا تأذن ربكم الى قوله فأتونا	فيها رواسي وأنهارا	٢٧٣
بسلطان مبين	٢٧٥ وفي الأرض قطع متجاورات	٢٧٣
٣٠٦ قالت لهم رسلمهم إن نحن الا	٢٧٦ وإن تعجب فعجب قولهم إلى	٢٧٣
بشر مثلكم الى قوله وعلى الله	قوله ولكل قوم هاد	٢٧٣
فليتوكل المتوكلون	٢٧٩ الله يعلم ما تحمل كل اشي إلى	٢٧٣
٣٠٧ وقال الذين كفروا لرسلمهم الى	قوله وما لهم من دونه من وال	٢٧٣
قوله ذلك هو الضلال البعيد	٢٨١ هو الذي يريكم البرق إلى قوله	٢٧٣
٣٠٩ ألم تر أن الله خلق السماوات	بالغدو والآصال	٢٧٣
والأرض بالحق الى قوله مالنا	٢٨٤ قل من رب السماوات والأرض	٢٧٣
من محيص	الى قوله وهو الواحد القهار	٢٧٣
٣١٠ وقال الشيطان لما قضي الأمر	٢٨٥ انزل من السماء ماء	٢٧٣
الى قوله إن الظالمين لهم	٢٨٦ للذين استجابوا لربهم	٢٧٣
عذاب اليم	٢٨٨ أفمن يعلم أنما أنزل اليك الى	٢٧٣
	قوله فنعصم عقبى الدار	٢٧٣

صفحة	صفحة	صفحة	
٣٦٠ وأقسموا بالله جهد إيمانهم الى قوله كن فيكون	٣٣٩ ويثبهم عن ضيف ابراهيم الى قوله انها لمن الغابرين	٣١١ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله وفرعها في السماء	
٣٦١ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا الى قوله ولعلمهم يتفكرون	٣٤١ فلما جاء آل لوط المرسلين الى قوله لفي سكرتهم يعمهون	٣١٢ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجثت من فوق الأرض	
٣٦٢ فأمن الذين مكروا السيئات الى قوله ويفعلون ما يؤسرون	٣٤٢ فأخذتهم الصيحة مشرقين الى قوله ما كانوا يكسبون	٣١٣ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الى قوله فإن مصيركم الى النار	
٣٦٥ وقال الله لاتتخذوا آللهين اثنين الى قوله فسوف تعلمون	٣٤٤ وما خلقنا السوات والارض الى قوله الذين جعلوا القرآن عضين	٣١٥ قل لعبادي الذين آمنوا الى قوله إن الانسان لظلوم كفار	
٣٦٦ ويحجلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم الى قوله وهو العزيز الحكيم	٣٤٦ فوربك لسألنهم أجمعين الى قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين	٣١٧ واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا ممثالا الى قوله يوم يقوم الحساب	
٣٦٧ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة	﴿ سورة النحل ﴾		
٣٦٨ ويحجلون لله ما يكرهون الى قوله لقوم يسمعون	٣٤٨ أتى امر الله فلا تستمعجلوه الى قوله لا اله الا أنا فاتقون	٣٢٠ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الى قوله وضربنا لكم الامثال	
٣٦٩ وان لكم في الانعام لعبرة الى قوله ان الله عليم قدير	٣٤٩ خلق السوات والأرض بالحق الى قوله إن ربكم لرؤوف رحيم	٣٢٢ وقد مكروا مكروا الى قوله وليذكر أولوا الألباب	
٣٧٢ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق الى قوله وانتم لاتعلمون	٣٥٠ والخليل والبالغ والجمير لتركبوها وزينة الى قوله ومنه شجر فيه تسميون	﴿ سورة الحجر ﴾	
٣٧٤ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الى قوله ان الله على كل شيء قدير	٣٥١ وسخر لكم الليل والنهار الى قوله ان في ذلك لآية لقوم يذكرون	٣٢٦ آرتلك آيات الكتاب وقرآن مبين الى قوله وما يستأخرون	
٣٧٥ والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا	٣٥٣ لتأكلوا منه لحما طريا الى قوله إن الله لفتور رحيم	٣٢٩ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون الى قوله فاتبعه شهاب مبين	
٣٧٦ ألم يروا الى الطير مسخرات في جوار السماء الى قوله ومتاعا الى حين	٣٥٤ والله يعلم ما تسرون وما تعلمون الى قوله إنه لا يحب المستكبرين	٣٣٢ والأرض مددناها الى قوله انه حكيم عليم	
٣٧٧ والله جعل لكم مما خلق ظللا الى قوله ولا هم ينظرون	٣٥٥ واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم الى قوله فلبئس مشوى المنكبرين	٣٣٤ ولقد خلقنا الانسان من صلصال الى قوله مع الساجدين	
٣٧٩ واذا رءوا الذهب أشركوا شر كاهنهم الى قوله لعلكم تذكرون	٣٥٧ وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم الى قوله ما كانوا به يستهزئون	٣٣٥ قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين	
٣٨١ واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الى قوله ولكم عذاب عظيم	٣٥٨ وقال الذين أشركوا الى قوله وما لهم من ناصرين	٣٣٦ قال رب فانظرني الى يوم يبعثون الى قوله جزء مقسوم	
٣٨٣ ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله والذين هم به مشركون		٣٣٨ ان المتقين في جنات وعيون الى قوله وان عذابها هو العذاب الأليم	

صفحة	صفحة	صفحة
	٤٢١ أو لك الذبن بدعون يتفون	(سورآبني امس ائيل)
	الى قوله ان عذاب ربك كان محذورا	٣٩٤ سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى قوله انه كان عبدا شكورا
٤٤٨ الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الى قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا	٤٢٢ وان من قرية الا نحن مهلكوها الى قوله فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا	٣٩٧ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
٤٥٠ انا جعلنا ما على الارض زينة لها الى قوله احصى لما لبثوا امدا	٤٢٤ واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الى قوله جزاء موفورا	٤٠٠ ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الى قوله وكل شي فصلناه تفصيلا
٤٥٣ نحن نقص عليك نبأهم بالحق انى قوله وبهوى لكم من امركم مرفقا	٤٢٥ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان	٤٠٢ وكل انسان أزمانه طائره في عنقه الى قوله حتى نبعث رسولا
٤٥٤ وترى الشمس اذا ظلمت الى قوله ولملت منهم رجبا	٤٢٧ ربكم الذي يزجي لكم الفلك الى قوله لكم علينا به تبعا	٤٠٥ واذا أردنا ان نهلك قرية الى قوله فتتعد مذموما محذولا
٤٥٦ وكذلك بثناهم ليتساءلوا بينهم الى قوله ولن تفلحوا اذا ابدا	٤٣٠ وان كادوا ليفتنونك الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا	٤٠٨ وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الى قوله فانه كان للآوابين غفورا
٤٥٧ وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا الى قوله منهم احدا	٤٣٢ وان كادوا يستفزونك من الارض الى قوله ولا تجد لستنتا تحويلا	٤١٠ وآت ذا القربى حقه والمسكين الى قوله انه كان بعباده خيرا بصيرا
٤٥٨ ولا تقولن شي الى قوله لا قرب من هذا رشدا	٤٣٣ اقم الصلاة لدلوك الشمس الى قوله ان الباطل كان زهوقا	٤١٢ ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق الى قوله ذلك خيرا واحسن تاويلا
٤٦٢ وليثوا في كهفهم الى قوله ولن تجد من دونه ملتحدا	٤٣٥ وتنزل من القرآن ما هو شفاء الى قوله فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا	٤١٤ ولا تقف ما ليس لك به علم الى قوله لتقولون قولا عظيما
٤٦٤ واصبر قسك مع الذين يدعون ربهم الى قوله بس الشراب وساعت مرتفقا	٤٣٦ ويسألونك عن الروح الى قوله الا كفورا	٤١٦ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليدكروا الى قوله انه كان حليما غفورا
٤٦٦ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله وحسنت مرتفقا	٤٣٨ وقالوا لن تؤمن لك الى قوله من السماء ملكا رسولا	٤١٨ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك الى قوله فلا يستطيعون سبيلا
٤٦٧ واضرب لهم مثلا رجلين الى قوله لا تجد خيرا منها منقلبا	٤٤١ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم الى قوله وكان الانسان قتورا	٤١٩ وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا الى قوله ان لبثتم الا قليلا
٤٦٩ قال له صاحبه وهو يحاوره الى قوله هو خير ثوبا وخير عقبا	٤٤٣ ولقد آتينا موسى الى قوله وما أرسلناك الا مبشرا ونذبرا	٤٢٠ وقل لمبادي يقولوا التي هي احسن الى قوله وآتينا داود زبورا
٤٧٢ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا الى قوله ولا يظلم ربك احدا	٤٤٤ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس الى قوله ولا تؤمنوا الى قوله و كبره تكبيرا	
٤٧٤ واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم		

﴿سورة الكهف﴾

صفحة	صفحة	صفحة
٥١٥	٤٩٧	٤٧٥
واذ كر في الكتاب ابراهيم	ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات	ما اشهدتهم خلق السماوات
الى قوله وجعلناهم لسان صدق عليا	الى قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا	والأرض إلى قوله وجعلنا بينهم
٥١٧		موقفا
واذ كر في الكتاب موسى الى		٤٧٦
قوله عند ربه مرضيا	﴿سورة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر﴾	ورآ المجرمون النار فظنوا انهم
٥١٨	٥٠٠	مواقعوها إلى قوله وما انذروا هزوا
واذ كر في الكتاب ادريس	كهمص ذكر رحمة ربك عبده	٤٧٧
الى قوله ولا يظلمون شيئا	ذكرى الى قوله واجعله رب رضيا	ومن اظلم ممن ذكر آيات ربه
٥٢٠	٥٠٣	٤٧٨
جنات عدن التي وعد الرحمن	يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه	وربك الغفور ذو الرحمة الى قوله
عباده إلى قوله هل تعلم له سميا	يحيى الى قوله ان سبحوه بكرة وعشيا	وجعلنا لمهلكهم موعدا
٥٢١	٥٠٥	٤٧٩
ويقول الانسان اذا ما مت	يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى	واذ قال موسى لفتهاه الى قوله
٥٢٢		فارتدا على آثار مما قصصا
أولا بذكر الانسان انا خلقناه	قوله يوم يبعث حيا	٤٨٢
إلى قوله هم أولى بها صليا	٥٠٦	٤٨٢
٥٢٤	٥٠٧	لن تستطيع معي صبرا
وان منكم الا واردها إلى قوله	فاتخذت من دونهم حجابا الى قوله	٤٨٤
وأضعف جندا	ولم اك بغيا	قال ان سألتك عن شي بعدها
٥٢٧	٥٠٨	الى قوله تسطع عليه صبرا
أفرايت الذي كفر بآياتنا إلى	قال كذلك قال ربك هو علي	٤٨٨
قوله ويكونون عليهم ضدا	هين الى قوله آتاني الكتاب	وقوله فأتبع سببا
٥٢٩		٤٨٩
ألم تر أنا ارسلنا الشياطين على	وجعلني نبيا	حتى اذا بلغ مغرب الشمس الى
الكافرين الى قوله أن يتخذولدا	٥١٢	قوله فيعذبه عذابا نكرا
٥٣٢	٥١٤	٤٩١
ان كل من في السماوات والارض	الى قوله فانما يقول له كن فيكون	وأما من آمن وعمل صالحا الى
الى قوله او تسمع لهم ركزا	٥١٤	قوله وكان وعد ربي حقا
		٤٩٥
		وتركنا بعضهم يومئذ يموج في
		بعض الى قوله ورسلي هزوا

